

الفقه:

السلم والسلام

المرجع الديني الراحل

آية الله العظمى

الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي

(اعلى الله درجاته)

مركز الرسول الأعظم عليه السلام للتحقيق والنشر
بيروت لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

تهميش:
مركز الرسول الأعظم عليه السلام للتحقيق والنشر
بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

صدق الله العلي العظيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ

فَاجْنَحْهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

صدق الله العلي العظيم

سورة الأنفال: ٦١

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً

وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة البقرة: ٢٠٨

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«لا عاقبة أسلم
من عواقب السلم»

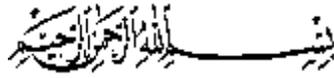
غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧٦ ح ١٠٩٢١

وقال علي عليه السلام:

«من عامل بالعنف ندم»

غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٥٨ ح ١٠٤٧٣

كلمة الناشر



ما من أمر في الإسلام إلا ويدل على أنه دين السلم والسلام، إذ يتجلى السلم في أهم مسائله العقائدية وذلك حينما لم يكره الإنسان على اعتناقه، وإلى غيرها من مسائله الفرعية، فكل شيء فيه سلم وسلام، ومن هنا فقد اختار المؤلف الراحل رحمه الله جملة من هذه المسائل للتدليل على ذلك واستطاع توظيف هذا النموذج الذي ورد في هذا الكتاب شاهداً ومصدقاً لقانون السلم والسلام في الإسلام.

كما أن الإمام الشيرازي رحمه الله لم يبحث مسألة السلام من الناحية السياسية كما تطرح في وسائل الإعلام العالمية، ومنها على سبيل المثال الالتزام بقرارات الأمم المتحدة وأنها تؤدي إلى السلام في العالم فهي وإن كانت خطوات في تحقيق السلام، مع غض النظر عن مصالح القوى الاستعمارية التي عادة ما تكون المحافل الدولية غطاء وستراً لها ولتنفيذ مخططاتها، لكن الشرع الإسلامي هو داعية السلم والسلام الحقيقي ويعمل لغرس هذه الفكرة عبر مقوماتها ومقدماتها الإنسانية، ويضمن دوامه واستمراره بقوانينه السمحة الفطرية.

وقد استخلص المؤلف آراءه في السلم والسلام في مختلف جوانب الحياة من المصادر التشريعية، مستلهماً إياها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وسيرة العترة الطاهرة عليهم السلام.

وهناك ميزة نلاحظها في بحوث السيد الشيرازي وهي شجاعته في طرق بعض البحوث التي لم يتناولها العلماء ممن سبقه، كالبحوث الفقهية في الطب والبيئة والأسرة والقانون وغيرها مما يعرف الناس شمولية الإسلام لمتطلبات الحياة وأنه ما من

شيء في هذه الدنيا إلا وللإسلام فيه رأي وقانون.

ولم يأل المؤلف جهداً في مواجهة الحياة مواجهة فعلية، فوضع كل جديد على بساط البحث وخرج بنتائج طيبة بينت أن الفقه يساير الحياة.

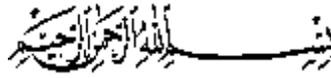
كما فصلّ الحديث في المسائل المستجدة، في أحكام المعاملات المالية والجنائية والقضائية والدستورية وغيرها.

وكان متطوراً في الفقه مع سنة الحياة في التطور فواكب تطور المجتمع الحديث وانتقاله إلى عصر الصناعة وتنقله في الفضاء وفي استخدامه الأثير وزرع الجنين ونقل بعض أعضاء الجسم من إنسان آخر، إلى عالم الانترنت والعولمة.

وهذا الكتاب القيم (فقه السلم والسلام) من تلك المؤلفات القيمة التي تبين للمجتمع أطروحة الإسلام في التعايش الدولي والإنساني لمختلف جوانب الحياة.

الناشر

كلمة المركز



تواجد الإنسان - ومنذ بدأ الخليقة - وهاجسه الأول تحقيق أعلى درجة من الاطمئنان والأمان والراحة، له ولعائلته، فكانت نتائج رغبته أن بدأ بمعرفة نفسه ومعرفة الآخر ومعرفة المخلوقات والطبيعة.

فهو يدرك المخاطر، ويعلم بضرورة اتخاذ خطوات تبعده عن الأذى، ومن هنا اختار لنفسه نظاماً وقائياً يحمي نفسه من نفسه، ويحمي نفسه من الآخرين، فكان أفضل الطرق التي جربها طول التاريخ مضافاً إلى تصريح المبادئ السماوية بذلك، هو الاهتداء إلى مبدأ (اللاعنف) أو (المسالمة) كسلوك يدعو إلى الركون إلى العقل، واللجوء إلى التسامح، فهو السبيل العقلاني لحل إشكالات العصر المتزاحمة بفعل فوضى الطموحات المتسارعة ونشر الأفكار القسرية على الناس والمجتمع.

وأول دعاة اللاعنف والسلم هم الأنبياء ﷺ، فالدين الإسلامي الحنيف صان للإنسان حقوقه، وحرّم الاعتداء على النفس والغير، وهي ضروريات اعتبرها الإسلام غاية وهدفاً أساسياً ليكون فرداً فعالاً في بناء الحضارة البشرية وتقدمها وازدهارها.

ومن هنا فإن الأصل في الإسلام السلم واللاعنف.

وقد كان ذلك واضحاً في بناء دعوته على السلم والسلام بقوله تعالى: ﴿انْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً﴾^(١).

وعليه فإن التاريخ الإسلامي والتشريع والفقه الإسلاميين زاخران بمواقف الرسول الأعظم ﷺ والأئمة الصالحين ﷺ. يقول الإمام علي عليه السلام: «فإنهم

(١) سورة البقرة: ٢٠٨.

صنفان: إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق»^(١).

إن الأساس الفكري والعملية والتطبيقي للدين الإسلامي قام على إنسانية الإنسان، أيًا كان دينه أو جنسه أو لونه أو عرقه أو معتقده، فقد قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٣).

إن الإسلام كدين ونظام كوني ومنهج حياتي يقف من العنف والعدوان والتعسف والإرهاب موقف المضاد، فكرة وسلوكاً، فقد كان الرسول ﷺ يدعو الناس إلى الإيمان بالإسلام بأسلوب المسالمة واللاعنف، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبِّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۗ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾^(٥).

فلا إكراه في الدين ولا عنف، وإنما الأسلوب الحسن والكلمة الطيبة والمجادلة بالحسنى وإلقاء السلام والاستماع إلى رأي الآخرين ومحاولة الإقناع.

قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٦).

وقال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٧).

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٨).

وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ

(١) نهج البلاغة: الكتب ٥٣.

(٢) سورة الإسراء: ٧٠.

(٣) سورة الحجرات: ١٣.

(٤) سورة يونس: ٩٩.

(٥) سورة الغاشية: ٢١-٢٢.

(٦) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٧) سورة النحل: ١٢٥.

(٨) سورة آل عمران: ١٥٩.

اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَبْتَابِ ﴿١﴾.

وقال عزوجل: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٢)

وعلى ضوء ذلك فإن الدين الإسلامي وخاصة مدرسة أهل البيت عليهم السلام لا يتفق مع من يؤمن بالإرهاب والعنف كوسيلة لفرض رأي أو محاولة تغيير، حتى وإن كان مسلماً ويتبع مذهباً ما أو معتقداً ما، فموجة العنف والقسوة والإرهاب تأسست في أفكار بعض المتطرفين وعشش في خيالهم وأفكارهم، فأخذوا بالتصفية الجسدية والتدمير أولاً، بدلاً من المحاوراة الفكرية والمسالمة، لكن الإسلام لا يؤمن مطلقاً بمفهوم العنف أو مفهوم المعاملة السيئة أو إيقاع الظلم بالآخرين، أو استخدام القسوة أو التعسف بيني الإنسان، فأفعال العنف بأنواعه التي تقع في المجتمعات وتستهدف الآخرين، والتي قد تبلغ أحياناً مستوى من التطرف والشدة أو الخروج عن القوانين، تعد خروجاً عن الدين وتعاليمه السمحة ودعوته إلى السلم والسلام وقول الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (٣).

وقد خطا الإسلام خطوة جبارة في رسم معالم منهج المسالمة والسلام وتمثل ذلك في الدعاء للعدو والصلاة لأجله، فرسول الله صلى الله عليه وآله وعلى الرغم مما تسبب به الأعداء له من الأذى كان يدعو لهم بقوله: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» (٤).

وهذه الروح العظيمة تجسدت في بكاء الإمام الحسين عليه السلام على الجيش الذي وقف أمامه في كربلاء حيث أجاب حين سُئل عن بكائه: «أبكي على قوم يدخلون النار بسببي». أي لأجل محاربتهم إياي.

لذا فالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وآل بيته الطاهرون عليهم السلام هم دعاة السلم وحملة

(١) سورة الزمر: ١٨.

(٢) سورة فصلت: ٣٤ - ٣٥.

(٣) سورة البقرة: ٨٣.

(٤) بحار الأنوار: ج ٩٥ ص ١٦٧.

مبدأ الإنسانية في المسألة واللاعنف، ونبذ ما هو نقيضه في الحياة اليومية، فترى الإمام جعفر الصادق عليه السلام يقول: «إنا أهل بيت مروتنا العفو عمن ظلمنا»^(١)، فيعبر عن أعلى درجات تطبيق مبدأ السلام واللاعنف وكذلك الصفح الجميل بأن لا تعاقب على الذنب.

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله مبدأ اللاعنف أو المسألة في العديد من الأحاديث حيث قال صلى الله عليه وآله: «إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام»^(٢). وقال صلى الله عليه وآله أيضاً في استخدام العفو ومبدأ اللاعنف: «تعافوا تسقط الضغائن بينكم»^(٣).

ويطرح الرسول صلى الله عليه وآله التطبيق العملي لمبدأ المسألة واللاعنف بقوله: «العفو أحق ما عمل به»^(٤).

وقول الإمام علي عليه السلام: «شر الناس من لا يعفو عن الزلة، ولا يستر العورة»^(٥). لقد عد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حكيم القوم في زمانه، وداعية السلم والمسألة، وراعي مبدأ اللاعنف، رغم شجاعته وقدرته الفائقة على المواجهة فقوله عليه السلام: «متى أشفي غيظي إذا غضبت؟ أحين أعجز عن الانتقام، فيقال لي: لو صبرت، أم حين أقدر عليه، فيقال لي: لو عفوت - غفرت -»^(٦). فقد عد عليه السلام فارساً في الجهاد والبسالة في القوة وبنفس القدر من المسألة واللاعنف والسيطرة على المشاعر المختلفة، يقول عليه السلام: «إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه»^(٧).

(١) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٤١٤ ح ٣١.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٨ ص ٤٤٠ ح ٢٤٠٠٥.

(٣) مجمع الزوائد للهيتمي: ج ٨ ص ٨٢ باب تعافوا تسقط الضغائن.

(٤) وهكذا ورد بالنسبة إلى الباربي عزوجل وأنه أهل العفو وأحق به، قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «يا أهل العفو، يا أحق من عفا، اغفر لي». مستدرک الوسائل: ج ١٠ ص ٣٧ ح ١١٣٩٩.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٥ ح ٥٠١٦.

(٦) نهج البلاغة: الحكم القصار ١٩٤.

(٧) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٧١ ح ١٥٩٩٠.

ويظهر الإمام زين العابدين عليه السلام في مبدأ المسالمة والسلام في أسمى وأرقى صورته وهو اللاعنف المطلق: «حق من أساءك أن تعفو عنه، وإن علمت أن العفو عنه يضر، انتصرت»^(١).

وقول أمير المؤمنين عليه السلام: «صافح عدوك وإن كره، فإنه مما أمر الله عزوجل به عباده يقول: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ وَمَا يُقَالُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقَالُهَا إِلَّا نُو حَظَّ عَظِيمٍ»^(٢) ما تكافئ عدوك بشيء أشد عليه من أن تطيع الله فيه»^(٣).

إن آل بيت النبوة عليهم السلام مارسوا السلام واللاعنف المطلق بكل أشكاله وأبعاده، ثم أوصوا المسلمين بعدهم بالسير على خطاهم، لأنهم كانوا دعاة صلح ومحبة ووفاء بين عامة المسلمين ودعاة سلم بين البشرية، فيقول الإمام عليه السلام: «بالعفو تستنزل - تنزل - الرحمة»^(٤).

وقول الإمام العسكري عليه السلام: «من كان الورع سجيته، والإفضال حليته، انتصر من أعدائه بحسن الثناء عليه»^(٥).

وهكذا تتناغم طروحات آل بيت النبوة عليهم السلام في تطبيق السلم ونبذ العنف في معالجة الكثير من المشكلات التي تنتج عن العنف وحالات الغضب، فقول رسول الله صلى الله عليه وآله موجهاً حديثه إلى الإمام علي عليه السلام:

«يا علي من صفات المؤمن:

أن يكون عظيمًا حلمه، جميل المنازعة..

أوسع الناس صدرًا، وأذلهم نفسًا..

لا يؤذي من يؤذيه..

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٦٢٥ ح ٣٢١٤.

(٢) سورة فصلت: ٣٤ - ٣٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٠ ص ١١٠.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٦ ح ٥٠٥٣.

(٥) بحار الأنوار: ج ٦٦ ص ٤٠٧ ح ١١٥.

لين الجانب، طويل الصمت، حليماً إذا جهل عليه، صبوراً على من أساء إليه..
 حليماً رقيقاً..
 ذا قوة في لين، وعزيمة في يقين..
 إذا قدر عفا..
 لسانه لا يغرق في بغضه..
 يعطف على أخيه بزلتته»^(١) الحديث.

وعليه فإن آل بيت الرسول ﷺ كانوا دعاة سلام ومسالمة في السلوك والتعامل والتعايش مع عامه الناس، رغم ما تحملوه من مصاعب ومتاعب من أبناء قومهم، ولكنهم كانوا على حق في استمرار دعوتهم السلمية ومبديتها اللاعنف في السلوك والتطبيق، والمسالمة وتحقيق السلام بين الناس التي هي سمة من سماتهم ﷺ والتي هي من مصاديق قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

وقول الإمام علي عليه السلام: «شيئان لا يوزن ثوابهما: العفو والعدل»^(٣).

وقوله عليه السلام: «من قابل الإحسان بأفضل منه فقد جازاه»^(٤).

إن الدين الإسلامي دين سلام، دين محبة بين البشرية جمعاء، وإن الله سبحانه وتعالى بعث للبشرية أفضل السبل عن طريق رسوله محمد ﷺ حيث أرسله رحمة وهدى للعالمين لينير لهم الدروب والسبل ويوضح لهم طريق الخير والمحبة، فالنبي ﷺ وآل بيته الطاهرون ﷺ هم دعاة سلم ومحبة ومسالمة، دعاة نبذ العداوة والعنف، وحل المنازعات باللاعنف، رغم أن الإنسان في تكوينه قد يرغب في القسوة واتباع طرق العدوان، إلا أن آل البيت ﷺ كانوا أشد رحمة بالبشرية جمعاء.

وكان المرجع الديني الراحل الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي قدس سره في

(١) مستدرك الوسائل: ج ١١ ص ١٧٨ ح ١٢٦٨٦.

(٢) سورة الشورى: ٤٠.

(٣) مستدرك الوسائل: ج ١١ ص ٣٢٠ ح ١٣١٤٦.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٧٨ ح ٦١٣٠.

عصرنا الحالي أبرز العلماء والفقهاء الذين تبنا نظرية السلم واللاعنف في مختلف جوانب الحياة، ابتداءً من علاقة المرء بذاته، وانتهاءً بعلاقته بالآخر أياً كان هذا الآخر، وبمعنى أوضح فإن الإمام الشيرازي رحمته الله لم يقصر تنظيره حول فقه السلم واللاعنف فيما يتعلق بالجانب الفقهي فحسب، بل انطلق بطرحه ليضفي على هذا المفهوم بعداً أشمل وأوسع برفضه كل أشكال العنف السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأسري وحتى في الحرب، وذلك اعتماداً على أن المسألة نظرية متكاملة، ومنهج سلوك متواصل، وخيار حضاري، وعليه كان الشيرازي رحمته الله داعية اللاعنف ومجدداً ورائداً في مبدأ السلام ونبذ الإرهاب في حل جميع المشكلات والقضايا المعاصرة، وكل ما تعانیه البشرية من سلوكيات منحرفة، فانتشار الأساليب والآليات التي يدعو إليها سماحته في حل الصراعات الفردية والجماعية والدولية في طريقها إلى التنفيذ، وما زالت كل دعواته إلى المسألة واللاعنف تجد طريقها إلى التطبيق الميداني، فقد جمع رحمته الله في طرحه لمبدأ المسألة واللاعنف أرقى الآراء والاتجاهات والأفكار المعاصرة، بل تنوعت بأبعادها أكثر مما طرحه (المهماتا غاندي)^(١) - وهو أحد أبرز رواد مبدأ اللاعنف في القرن العشرين - وذلك لأن الإمام الشيرازي رحمته الله استلهم هذه الفكرة من القرآن الكريم وسيرة النبي صلوات الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ومن هنا يتضح أفضلية أطروحته على سائر الأطروحات الموجودة عالمياً.

وربما تجاوز معاصريه في التقسيمات التخصصية النوعية لمبدأ السلام، فهو أبداع بطرحه كنظرية مصرفية تارة، وأبداع باعتباره يشكل مدرسة اجتماعية إنسانية لمبدأ اللاعنف تارة أخرى، فضلاً عن العنصر الفعّال في العمل والسلوك أو التنظير العقلي تارة ثالثة، فقد نسج رحمته الله نظرية واتجاهات متجانسة في السلم واللاعنف تناول خلالها رؤيته وأفكاره وأسلوبه العلمي وخلفيته كإطار نظري مرجعي للرؤية الإسلامية

(١) (موهنداس كرامشانند) (١٨٦٩ - ١٩٤٨م): فيلسوف ومجاهد هندي، ولد في بور بندر. اشتهر بلقب (المهماتا) أي النفس السامية، دعا إلى تحرير الهند من الإنجليز بالطرق السلمية والمقاومة السلبية بعيداً عن العنف. وكان سلاحه الأقوى الإضراب عن الطعام، أدت جهوده إلى استقلال الهند عام (١٩٤٧م)، يعد من أبرز دعاة السلام، اغتاله براهماني منعصب.

ونجح في ذلك أكبر نجاح.

فحينما يرفض الإمام المجدد (ح) العنف والعدوان كأسلوب لحل المشاكل، إنما يستند في ذلك إلى فكرة الإسلام القائم على جانب السلام بقوله:

(إن السلام يصل بصاحبه إلى النتيجة الأحسن، والمسلمون يبقون سالمين مهما كان لهم من الأعداء).

وإزاء ذلك عندما يطرح آراءه ونظرياته كاتجاهات حديثة تواكب السياقات الدولية في رفض التسلط والعنف والإرهاب بكل أشكاله على الأفراد أو على الشعوب، إنما يستمد رؤيته من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وما قاله آل البيت (عليهم السلام)، وكذلك الاعتماد على الحجج في المنطق العقلي لاستنباط مبدأ المسالمة، بالإضافة إلى القدرة الفائقة على الاجتهاد حول قضايا العصر وكذلك التشخيص الموضوعي للواقع الإسلامي ومشكلاته، وإزاء ذلك نستنتج من خلال هذه المعايير العميقة الفكر النظري والتطبيقي لوضع الإطار العام حيز التطبيق الميداني.. وتأسيساً على ذلك يمكن نستنتج:

- ١: لم تكن طروحات الإمام ثُمَّرَةُ الفكرية، نظرية خالصة، بل اعتمد مبدأ التطبيق الميداني للمشكلات.
 - ٢: تفاعل ظروف الوضع الراهن للمجتمعات الإسلامية (عربية وغير عربية) بالأحداث وتطابقها مع آرائه ونظرياته.
 - ٣: توافق المتغيرات الدولية الحالية مع طروحاته النظرية حتى ما طرحها قبل عدة عقود سابقة.
 - ٤: تأكد طروحاته في رؤيته لمبدأ السلم والسلام (وهي متغيرات مستقلة) كالأفكار والتعليمات والآراء، على التأثير بشكل متشابك على الوضع الدولي الراهن، اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وهي متغيرات تابعة.
- وهنا نلاحظ أن السلام ركيزة أساسية في النظرية السياسية التي يطرحها الإمام الشيرازي رحمته الله في مجوئه ودراساته وفي ممارساته وتطبيقاته.

فالسلم عنده هدف وغاية من جهة، ووسيلة وطريقة من جهة أخرى، أي إن السلم مبدأ استراتيجي شامل، وهو ليس هاجسا كما يتصوره البعض وإنما هو رؤية سياسية كاملة، بدليل الشمولية والتوكيد، فالهاجس طارئ، فيما الرؤية ثبات واستمرار ونظر ودليل..

فتراه قَدْ سَمِعْتُ يقول كقاعدة أولية وكقانون أصلي: (إن الأصل في الإسلام السلم واللاعنف)..

وفيه تتفق رؤيته مع الآراء والاتجاهات النظرية الحديثة في دراسة المجتمعات والشعوب ودعواتها إلى السلم والمحبة، واستخدام المنطق والعقل، وقوته في قدرة التمييز بين الخير والشر.

هذه الرؤية هي رؤية الإسلام، الذي يدعو إلى التفاهم والحوار وحل النزاعات كافة مهما تغيرت الأزمنة، لا سيما أن الإنسان هو المخلوق الذي اصطفاه الله بين الكائنات الحية الأخرى لنشر تعاليم الأديان كافة وحمل الرسالات وإشاعة الصفاء والمحبة بين الجميع.

يُعرّف الإمام الشيرازي رحمته الله مبدأ المسالمة أو اللاعنّف في تطبيقه العملي: (أن يعالج الإنسان الأشياء سواء كان بناءً أو هدمًا، بكل لين ورفق، حتى لا يتأذى أحد من العلاج، فهو بمثابة البلسم الذي يوضع على الجسم المتألم حتى يطيب).

ثم يضيف: لذا فالواجب على التيار الإسلامي والدولة الإسلامية، اختيار مبدأ المسالمة واللاعنف في الوصول إلى الغاية وهي إقامة الدولة الإسلامية بالنسبة إلى التيار، وإبقاؤها بالنسبة إلى الدولة القائمة حتى تتسع في بُعدي الكم والكيف.

ويرى الإمام الشيرازي قَدْ سَمِعْتُ أن السلم يحتاج إلى نفس قوية جداً، تتلقى الصدمة بكل رحابة ولا تردّها، حتى وإن سمحت الفرصة بالرد.

ثم يطرح سماحته تقسيماً نوعياً لللاعنف أو المسالمة على ثلاثة أقسام:

الأول: اللاعنّف الملّكي، أي تكوين النفس بحيث تظهر على الجوارح.

الثاني: اللاعنّف القسري الخارجيّ، أي أن الضعف أو جب ذلك، فإن الضعيف

- عادة - يلتجأ إلى هذا النوع من المسالمة للوصول إلى هدفه.

الثالث: اللاعنف القسري العقلاني، أي أن يرجح اللاعنف على العنف، من باب الأهم والمهم، وهذا قادر على العنف لا كالثاني، ولا ينبع اللاعنف عن ضمير وفضيلة، وإنما يرجحه حيث يراه طريقاً للوصول إلى هدفه.

وهكذا ربي الإمام الشيرازي رحمته الله أجيالا على مبدأ اللاعنف وأسس مدرسة السلم في عالمنا المعاصر. فهذا نجله آية الله السيد مرتضى الشيرازي يقول: إن الإسلام يدعو إلى اللاعنف والمسألة حتى في اللسان، ويستشهد بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(١)، وقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إني أكره لكم أن تكونوا سبابين»^(٢) ويصل بالنتيجة بقوله: إن من يملك قوة المنطق لا يحتاج إلى منطق القوة.

وعند عرض آراء ونظريات الإمام الشيرازي رحمته الله نجدها مستلهمة من مدرسة القرآن والعترة، وعند ملاحظتها مع الآراء والمنطلقات الأخلاقية للأديان، السماوية منها وغير السماوية، والاتجاهات الإصلاحية المعاصرة، نجد أنها تتفق مع المنطق الفكري والسلوكي لمبدأ اللاعنف، فجميعها تدعو إلى المسألة واحترام الرأي والمعتقد عند الإنسان، واحترام الإنسان كمخلوق بشري، فيرى الإمام الشيرازي رحمته الله أن قوة الروح غالبية على قوة الجسد، وملكة المسألة واللاعنف من صفات الروح التي تؤثر على سلوك الإنسان وتصرفاته.

وهنا نلاحظ ترابطاً جديلاً في نظرية الإمام الشيرازي رحمته الله بين السلام العالمي والعدالة الاجتماعية، وهي أطروحة تؤكد عليها جميع الدراسات المعاصرة بقوة، ففي هذا المجال يقول (ليستر بيرسون)^(٣) الحائز على جائزة نوبل للسلام: (إن رخاء الشعوب هو دعامة من دعائم السلام، وقد تطور هذا الموضوع في أذهاننا)، وهذه مقارنة فكرية رائعة مع طروحات ونظرية الإمام الشيرازي رحمته الله في السلم والسلام،

(١) سورة الأنعام: ١٠٨.

(٢) نهج البلاغة: الخطب ٢٠٦.

(٣) لستر بيرسون: سياسي كندي ١٨٩٧ - ١٩٧٢ م. رئيس الوزراء ١٩٦٣ - ١٩٦٨ م. قام بدور

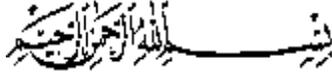
الوساطة في كثير من المنازعات الدولية، ومن أجل ذلك منح جائزة نوبل للسلام لعام ١٩٥٧ م.

وأيضاً هنالك ترابط روحي خلاق في فكر الإمام الشيرازي بين السلام والأخلاق، يدعمه العالم (سينوز) في قوله: (إن السلام ليس شيئاً آخر غير العزم الذي ينبثق من فضائل الروح).

وهكذا يكتمل البناء النظري والتطبيقي للسلام في سياسة الدولة الإسلامية، فهو عمل دائم تتفاعل في نطاقه العاطفة، والفكر، والمادة، والروح، والإرادة.. ثم إن العمل السياسي لتشكيل الحكومة الإسلامية ينبغي أن يقوم على السلام، فالإمام الشيرازي رحمته الله يرفض العنف طريقاً لهذا الهدف العقائدي الكبير، وي طرح مبدأ اللاعنف والمسالمة بكل مجالاتها واتجاهاتها المتعددة النظرية والتطبيقية بدلاً عنه، وهو في ذلك يستلهم الفكرة من المنهج الإسلامي الذي نص عليه القرآن الكريم ورسوله العظيم صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته الطاهرون عليهم السلام، فقولته تترسّ: (من الضروري لممارسي التغيير أن يعملوا في مقدمة أهدافهم مسالمة الجميع، وأن يعيش الكل بسلام، فكما أن للإنسان الحق في أن يعيش بكرامة وحرية ورفاه وسلام، عليه أن يترك الآخرين يعيشون كذلك).

وبناءً على ما تقدم فإن الإمام الشيرازي رحمته الله عد داعية اللاعنف في العصر الحديث لما لطروحاته النوعية والكمية في مبدأ السلم والسلام، والتي تعد مؤشراً مهماً للغاية من حيث دلالتها على إمكانية التطبيق الميداني في السلوك والممارسات، فالاتجاهات الإسلامية التي تؤمن بقوة هذا المبدأ، تستطيع أن تتلمس بدقة وعناية المفاهيم والآراء التي طرحها الراحل الإمام الشيرازي رحمته الله والتي تستند إلى مفاهيم ورؤى القرآن والسنة النبوية وروايات أهل بيت النبوة عليهم السلام.

المقدمة



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.
 إن (السلم والسلام) بمعناهما الأعم والشمولي يقتضيان الأمن والعافية،
 والاستقرار والازدهار، وكل ما يوجب تقدم الحياة وتطورها، ووضعها في أبعادها
 الصحيحة، صحية واجتماعية، واقتصادية وسياسية، وعسكرية وإعلامية، وغيرها.
 وهي كلمة تدخل في نفس الإنسان الاطمئنان والراحة والهدوء، وتوحي إليه
 بذلك. ومن الواضح أن الكل يبحث عن السلم والسلام في حياته، ويطلبه بفطرته،
 بل هذا ما نشاهده عند الحيوانات أيضاً، فكلها تطلب السلام^(١).
 ونحن لا نعلم عن الأشجار والجمادات كثيراً، لكن إذا كان هناك شعور فيها، كما
 تدل عليه الآيات والروايات^(٢) وكما ذكر جماعة من الفلاسفة القدماء والعلماء
 المتأخرين أيضاً، فإنها تطلب السلام - إن صح التعبير -.
 لكن الواضح أن سلام الإنسان غير سلام الحيوان، وسلام الحيوان غير سلام
 الشجر والنبات، وسلام الشجر والنبات غير سلام الجماد من الأنهار والجبال والنجوم
 وغيرها، وكلامنا عن الإنسان.
 إن للسلم والسلام في الإسلام مفهوما شموليا، يشمل العديد من الأبواب الفقهية

(١) لا يخفى أن المراد بالسلام هنا معناه الأعم.

(٢) قال تعالى: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾ سورة الدخان: ٢٩.
 وراجع بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ١٧٧ ح ٦، وفيه عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه دخل
 عليه رجل فقال له: فداك أبي وأمي إني أجد الله يقول: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده
 ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ سورة الإسراء: ٤٤، فقال عليه السلام: «هو كما قال»، فقال له: أتسبح
 الشجرة اليابسة؟ قال عليه السلام: «نعم، أما سمعت خشب البيت تنقض؟ وذلك تسبيحه، فسبحان
 الله».

المتعارفة من الطهارة إلى الديات، بل الأبواب الفقهية المعاصرة، كفقه السياسة وفقه الاجتماع وفقه الاقتصاد وفقه الحرب وفقه الإعلام وفقه العولمة وفقه القانون وغيرها.

وهناك بعض الأسئلة حول السلم والسلام ينبغي الإجابة عليها على ضوء الكتاب والسنة والإجماع والعقل، مثلاً:

١: ما هي مصاديق السلم والسلام الذي يطلبه الإنسان كفرد أو مجتمع، حتى يبقى وجوده صحيحاً، وينمو نمواً كاملاً مطرداً؟

٢: ما هي كيفية الوصول إلى السلم والسلام بمختلف مصاديقهما؟

٣: هل السلم والسلام مطلب كل إنسان، سواء أظهر الطلب له أم لم يظهره، وهل هو محصور على أولئك الذين يبحثون عنه لأمن أنفسهم واستقرارهم فقط، أم يعم الجميع؟ وبعبارة أخرى هل هو أمر فطري، أم لا؟

٤: ما هي مقومات السلم والسلام بقاءً وحدوثاً؟ وهل السلام أمر يصعب الوصول إليه، أو طريقه سهل، أو بين هذا وذاك، أو يختلف طريق السلام باختلاف المصاديق، فطريقه إلى الصحة مثلاً يختلف عن طريقه إلى الأمن، وهكذا، فلكل شيء سلام خاص وبعضه أصعب من بعض؟

٥: هل يحتاج السلم والسلام إلى السبب الذي يعين على تحقيقه كسائر ما في هذه الدنيا، حيث جعل الله لكل شيء سبباً، كما قال تعالى: ﴿ثم أتبع سبباً﴾^(١) ذكر ذلك مكرراً، وفي الأدعية: «يا مسبب الأسباب»^(٢).

٦: ثم إذا كانت هناك وسائل - وهو كذلك - فهل هذه الوسائل التي يتحتم على الإنسان استعمالها أمور تسهل لكل أحد، أو يختلف الناس في نيلها؟

٧: الأمم التي فقدت سلمها وسلامها في ناحية من النواحي، هل تتمكن من إعادته لنفسها؟

(١) سورة الكهف: ٨٩ و ٩٢.

(٢) مصباح الكفعمي: ص ١٧٠ الفصل ٢٠.

- ٨: ما هو الموقف الشرعي تجاه السلم والسلام بالمفهوم العالمي؟
- ٩: كيف يمكن الموازنة بين قانون السلم والسلام كأصل إسلامي وبين قانون المطالبة بالحقوق المهدورة؟
- ١٠: ما هي النسبة بين السلم والسلام والأحكام الخمسة من الوجوب والحرمة والاستحباب والكره والإباحة؟
- إلى غير ذلك من المباحث المتعلقة بالسلم والسلام، والتي ينبغي الإشارة إليها وبيان حكمها الشرعي من الأدلة الأربعة والله ولي التوفيق.

قم المقدسة

محمد

الشيرازي

تمهيد

السلم في الإسلام

- السلم من أسماء الله الحسنى
- السلم في سورة القدر
- مصدر كلمة الإسلام واشتقاقها
- خاتم الأنبياء عليه السلام حامل لواء السلم
- السلم تحية الإسلام
- الصلاة تنتهي بالسلم
- الجنة دار السلم

السلم مسؤولية الجميع

- الحاجة إلى السلم
- عقد المؤتمرات الدولية للبحث في السلم
- البحث عن السلم في وسائل الإعلام

المعنى الشمولي للسلم

- السلم بالمعنى الأعم

السلام في الإسلام

مسألة: استعملت كلمة السلم والسلام في الإسلام كتاباً وسنة في موارد كثيرة منها:

السلام من الأسماء الحسنى

إن (السلام) من أسماء الله الحسنى، قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

لأن الله عزوجل خالق السلم والسلام، ويضمن ذلك للناس بما شرعه من مبادئ، وبما رسمه من خطط ومناهج، وبمن بعثهم من أنبياء وأوصيائهم ﷺ، وبما أنزله من كتب، فهو تعالى مصدر السلم والسلام، والخير والفضيلة.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «إن السلام اسم من أسماء الله عزوجل»^(٢).

السلام في سورة القدر

ويظهر من الآية المباركة في سورة القدر أن الله تعالى يقدر ﴿السلام﴾ في كل شيء ولكل شخص، وإنما الإنسان نفسه هو الذي يحرف السلام عن مجراه الطبيعي بسوء اختياره، أو بني نوعه، أو بعض عوامل الطبيعة مما هي خاضعة لقانون الأسباب والمسببات.

قال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾^(٣).

(١) سورة الحشر: ٢٢-٢٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٣٦٨ ح ١٠٦٦.

(٣) سورة القدر: ١-٥.

فإن الملائكة في ليلة القدر يأتون بمقدرات العباد وبكل ما يكون في السنة المقبلة، إلى خليفة الله في الأرض ﷺ وحثته على عباده، غائباً مستوراً أو ظاهراً مشهوداً، ويكون ذلك سلاماً في كل أمر، سواء كان السلام فردياً أم اجتماعياً، وسواء كان في المال (السلام الاقتصادي) أم في الأسرة كسلام الزوج والزوجة، وسلام الآباء والأولاد، أم في الصحة بدنياً أو نفسياً، أم غير ذلك.

إلى غيرها من الآيات الشريفة والروايات الكثيرة التي وردت بلفظ السلم والسلام وسائر المشتقات منهما.

مصدر كلمة الإسلام واشتقاقها

ثم إن لفظ (الإسلام) مأخوذ من مادة السلم والسلام، وذلك كتناسب الحكم والموضوع، لأن السلام والإسلام يلتقيان في توفير الطمأنينة والأمن والسكينة والتقدم، كما قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١).

خاتم الأنبياء ﷺ حامل لواء السلام

وحامل هذه الرسالة خاتم الأنبياء محمد ﷺ هو حامل راية السلم والسلام، لأنه يحمل إلى البشرية الهدى والنور، والخير والرشاد، والرحمة والرأفة. وهو يتحدث عن نفسه فيقول: «إنما أنا رحمة مهداة»^(٢)، ويحدث القرآن عن رسالته فيقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣)، وقال ﷺ: «إن الله بعثني هدى ورحمة للعالمين»...^(٤) فإن الرحمة والسلم والسلام جاء بها الإسلام للناس كافة.

وكثرة تكرار لفظ السلام على هذا النحو، مع إحاطته بالجو الديني النفسي، من شأنه أن يوقظ الحواس جميعها، ويوجه الأفكار والأنظار إلى المبدأ السلمي العظيم.

السلام تحية الإسلام

(١) سورة الرعد: ٢٨.

(٢) كشف الغمة: ج ١ ص ٨.

(٣) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٢١٩ ح ١٥١٧٥.

كما إن الإسلام جعل (السلام) شعاراً له واختاره تحية للمسلمين، حيث إن المسلم إذا التقى بمسلم قال: (سلام عليكم) أو ما أشبه ذلك من الصيغ المذكورة في باب السلام وأحكامه^(١).

وتحية الله للمؤمنين تحية سلام: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾^(٢).

وتحية الملائكة للبشر في الآخرة سلام: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾^(٣).

وتحية المؤمنين بعضهم لبعض في الجنة هي سلام: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْتِيماً﴾ إلا قبيلاً سلاماً سلاماً^(٤).

الصلاة تنتهي بالسلام

وفي آخر كل صلاة يذكر المصلي لفظ (السلام) ثلاث مرات، فتبدأ الصلاة بتكبيرة الإحرام وتنتهي بالسلام، حيث نقول: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) وهو سلام على القائد الأعلى.

كما نقول بعد ذلك: (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) وهو سلام على المجموعة الصالحة من العباد.

و(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) وهو سلام على جميع من ينطبق عليه الخطاب.

الجنة دار السلام

ومن أسماء الجنة (دار السلام) كما في الآية المباركة: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٥)، فإنها مستقر الصالحين.

وأهل الجنة لا يسمعون من القول ولا يتحدثون بلغة غير لغة السلام:

(١) كقوله: (السلام عليك) و(عليكم السلام).

(٢) سورة الأحزاب: ٤٤.

(٣) سورة الرعد: ٢٣-٢٤.

(٤) سورة الواقعة: ٢٥-٢٦.

(٥) سورة الأنعام: ١٢٧.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾^(١).

وحتى جوابهم رداً على الجاهلين هو السلام: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٢).

السلام مسؤولية الجميع

مسألة: إن الإنسان ليس مأموراً بحفظ نفسه وسلمها وسلامها فقط، بل مأمور بحفظ غيره وسلمه وسلامه أيضاً، فلو سمع مسلم من ينادي: يا للمسلمين، فلم يجب به فليس بمسلم، كما قال رسول الله ﷺ: «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، ومن سمع رجلاً ينادي: يا للمسلمين، فلم يجب به فليس بمسلم»^(٣).
ومن هنا تظهر الحاجة إلى السلم والسلام ومعرفة مقدماتها ومقوماتها.

الحاجة إلى السلام

السلم والسلام كلمة ترددها الألسن في المحافل الصغيرة والكبيرة، الدولية والمحلية، خصوصاً في هذا العصر الذي تقدم في علومه وحضارته، كما تقدم في أسباب التناحر، فإن الحياة حيث صارت ضيقة إلى أبعد الحدود، والكل يريد كل الخير لنفسه ويريد إبعاد كل الشر عنها، تصادمت المصالح في إرادة الاستحواذ على مقتضيات الزمان، وفي هذا الإطار تنشأ الحروب والثورات والإضرابات والمظاهرات وأسباب العنف وما أشبه ذلك كما هو مذكور في علم الاجتماع. ومن هنا تتضح الحاجة إلى تطبيق قانون السلم والسلام ومعرفة مقوماته في مختلف مجالات الحياة.

عقد المؤتمرات الدولية للبحث في السلام

وفي هذا العصر بالذات خصوصاً في النصف الأخير من هذا القرن، التفت الإنسان إلى ضرورة البحث عن السلم والسلام، وصار الشغل الشاغل للناس في وسائلهم الإعلامية وغيرها، ومدارسهم الخاصة ومدارسهم الدولية، فصاروا

(١) سورة مريم: ٦٢.

(٢) سورة الفرقان: ٦٣.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ١٦٤ ح ٥.

يتكلمون في الشرق والغرب عن السلم والسلام، ويبحثون عنه في المؤتمرات الدولية وفي المؤتمرات القطرية، وينشدونه في كل محفل من المحافل، في شتى أقسامها وباختلاف مستوياتها، حتى تلك الدول التي تثير الرعب وتشيع الخوف في بلدانها وبين جيرانها، نراهم يبحثون عن السلام أو يتكلمون فيه.

هذا وقد أسس الإسلام أسس السلام وبين مصاديقه، فيلزم على المجامع الدولية أخذ ذلك بنظر الاعتبار للاستفادة من بركات الإسلام في تطبيق العدالة الاجتماعية ونشر السلم والسلام في العالم.

البحث عن السلام في وسائل الإعلام

والظاهرة الواضحة: إنه كلما اشتد البحث عن السلم والسلام في الوسائل الإعلامية وغيرها، وعلت الأصوات في ترويج كلمة السلام وتكرارها، ربما دل ذلك على مدى مشكلة البشرية ومعاناتها وصعوبة الوصول إلى السلام وتعدد مسالك سبله وضياح معالمة، وإلا لم يكن البحث عنه شديداً، فإن الإنسان إذا فقد شيئاً طلبه حثيثاً لكي يصل إليه.

ومن الواضح أن السلام بطرقه المختلفة وتباعد الآراء فيه له واقع واحد، كما قال الشاعر:

عِبَارَاتُنَا شَتَّى وَحُسْنُكَ وَاحِدٌ وَكَلٌّ إِلَى ذَاكَ الْجَمَالِ يُشِيرُ

فكيف يمكن الوصول إلى السلام، حيث إن الوصول إليه قد صعب، وذلك بسبب سلوك بعض الانتهازيين والمنحرفين ودول الاستعمار الذين يعرقلون عملية السلم والسلام ويجعلون طريقه صعب الوصول وإن أخذوا يتظاهرون بالنداء به.

المعنى الشمولي للسلم والسلام

مسألة: للسلم والسلام معنى شمولي على ما سيأتي.

ولكن كثرة استخدام كلمة (السلام) في وسائل الإعلام مقرونة بالمسائل السياسية لعلها توحي بأنه من مصطلحاتها ومفرداتها، والصحيح أنه مصطلح عام فلا يقتصر

استعماله في المجال السياسي فحسب، بل له علاقة في كل مجالات العلم والمعرفة، وله دور في مختلف الحياة الإنسانية، إذ ما من أمر يتعلق بشؤون الإنسان إلا وللسلام علاقة فيه.

كما أن السلم والسلام لا يختص في المعنى بما يقابل الحرب، نعم كثيراً ما يراد منه المفهوم المقابل للحرب.

السلام بالمعنى الأعم

والبحث في هذا الكتاب لا يقتصر على هذا البعد، وإنما السلم والسلام الذي ندعو إليه هو معنى واسع متشعب الأطراف، من مصاديقه (اللاعنف) وفي مختلف الميادين السياسية والإعلامية والاقتصادية والاجتماعية والعائلية والعسكرية وغيرها.

لا السلم بمعناه الضيق في مقابل الحرب أو العنف فقط، وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَأَقْفَةٍ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾^(١) ظاهر في ما ذكرناه أيضاً، وذلك لأنه كما يقول البلاغيون: حذف المتعلق يفيد العموم، فلم يقل سلماً في الدعوة أو سلماً في المصادمة أو سلماً في التطبيق أو سلماً في التنفيذ أو غير ذلك من الوجوه المقيدة. مضافاً إلى مكانة آل وما ذكر في علم الأصول من دلالتها.

الفصل الأول

دعوة الإسلام للسلام

(١) سورة البقرة: ٢٠٨.

والمقارنة بين الديانات والحضارات

هل استطاعت الحضارات والأديان من تهذيب الإنسان؟

□ العنف والإرهاب في المبادئ المنحرفة

دور الإسلام في نشر السلام وتهذيب الإنسان

□ صور من تسامح الإسلام للديانات الأخرى

□ آراء علماء الغرب عن سلم الإسلام والمسلمين

□ بين المادية والإسلام

حرية العقيدة والأديان في ظل الإسلام

□ مع ثمامة وقومه

□ مع مشركي مكة

□ مع نصارى نجران

□ مع المنافقين

□ مع الخوارج

حقوق الأقليات الدينية في البلاد الإسلامية

□ موارد لاختيار الإسلام

الفتوحات الإسلامية ونشر الدعوة عبر السلم والسلام

□ الأصل في الإسلام هو السلام

□ انتشار الإسلام بقوته الذاتية

□ ترحيب الكفار بالفاتحين المسلمين

□ المعاملة الحسنة ومنح الحريات

□ سيرة المسلمين وتواضعهم

□ وفاؤهم ورفقتهم بالبلاد المفتوحة

العلاقة بين المسلمين وغيرهم

□ مبدأ التعارف فيما بينهم

□ مبدأ الأمن والسلام

□ مبدأ الحب والإحسان

أسس تعامل المسلمين مع غيرهم

- أولاً: المساواة
- ثانياً: الحرية
- ثالثاً: الرعاية
- رابعاً: حسن المعاملة
- خامساً: الحماية والدفاع
- نهى الإسلام من موالاة الأعداء
- من مصاديق قانون الإلزام
- الخلاصة

هل استطاعت الحضارات والأديان من تهذيب الإنسان؟

مسألة: الهدف الذي يتوخاه الإسلام ويسعى إليه هو تهذيب الإنسان وتمكينه من العيش في هذه الحياة الأولى والحياة الآخرة بأمن وسلام، وقد تحقق ذلك فترة حكومة القوانين الإسلامية التي طبقها رسول الله ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وهذا ما تدعيه أيضا سائر الحضارات والأديان وتسعى إليه، ولكن لم تصقل سلوك الإنسان وتروض حاجاته ولم تهذب طبيعته تهذيباً كاملاً حتى في عصرنا الحاضر، فكان التهذيب - على فرضه - بنحو المقتضي لا العلة التامة، ولم تستطع تحقيق أسباب السلام له على هذه الأرض.

وذلك لأن الإنسان كلما تقدم في الحضارات المادية وزادت معارفه، تعددت أهدافه واستولى على الطبيعة وأفسدها أكثر فأكثر، وزاد حرصه وتشعبت مسالك هذا الطموح، ولذا يطلب الإنسان أكثر من القدر المحتاج إليه، حيث قال سبحانه: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾^(١) فالإنسان بالإضافة إلى احتياجاته للشؤون الحيوية وجماله العادي، يريد أن يزداد في كل شيء، بما لا يحتاج إليه إطلاقاً، حتى يصل إلى مرحلة الطغيان، كما يشاهد ذلك في غالب الحكام، وقد عدّ لأحد الحكام العباسيين بعد موته أربعة ملايين من الثياب!.

وفي سنة (٣٨٣هـ) عقد القادر على ابنة بهاء الدولة بصدّاق مائة ألف دينار^(٢). وكانت حفلات زفاف العباسيين من أشهر أعياد قصور الخلافة إلى جانب حفلات الختان وغيرها، وأن نفقات زفاف هارون العباسي والتي دفعت من بيت مال المسلمين بلغت خمسين مليون درهم^(٣).

وأن نفقات زفاف المأمون بلغت (٣٨) مليون درهم من غير ما أعطاه لوالدها

(١) سورة الهمزة: ٢.

(٢) حياة السيد المرتضى رحمه الله: ص ٣٠٣.

(٣) رياض المسائل: ج ٢ ص ١٦.

الحسن، وقد أعطاه عشرة ملايين درهم من خراج فارس^(١).
كما كان للمتوكل العباسي - وفي تاريخ آخر لهارون العباسي أيضاً - أكثر من أربعة
آلاف جارية^(٢).

وكان لأحد ملوك القاجار ألف امرأة^(٣).
وذكر أن المتوكل أنفق على الأبنية التي بناها مائتي ألف وأربعة وسبعين ألف
ألف درهم، ومن العين مائة ألف ألف دينار^(٤).

كما أن أحد الذين كانوا يريدون النيابة في مجلس الأمة في العراق هياً لضيافة نوري
السعيد^(٥) رئيس الوزراء آنذاك طعاماً لما يقارب من نصف مليون إنسان بينما الذين
حضرُوا الضيافة لم يكونوا أكثر من ألف إنسان والزائد من الطعام فسد وألقي في
الصحراء وفي القمامة.

العنف والإرهاب في المبادئ المنحرفة

يتسم تاريخ الكثير من المبادئ وتعاليمها بالعنف والإرهاب.
ولم تستطع تلك المبادئ بل ولا الأديان السابقة من إنجاز هدف الإنسان وتهذيبه
وتحقيق الأمن والسلام له، وذلك بسبب التحريف المقصود الذي طرأ على الكتب
المقدسة كالتوراة والإنجيل، فنجد على سبيل المثال لا الحصر في (العهد القديم) للديانة
اليهودية، يقول في الكتاب المقدس: (وإذا اقتربت من مدينة لتحاربوها، فاعرضوا
عليها السلم أولاً فإذا استسلمت وفتحت لكم أبوابها فجميع سكانها يكونون لكم
تحت الجزية ويخدمونكم، وإن لم تسالمكم بل حاربتكم فحاصرتوها، فأسلمها الرب

(١) حياة الإمام الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ١٩٢.

(٢) راجع البداية والنهاية: ج ١٠ ص ٢٣٨.

(٣) وفي البداية والنهاية: ج ١٠ ص ٣١٩: عمر بن مرزوق شيخ البخاري وقد تزوج هذا الرجل ألف امرأة.

(٤) للمزيد راجع رياض المسائل: ج ٢ ص ١٧.

(٥) نوري سعيد صالح من مواليد بغداد عام (١٣٠٦هـ = ١٨٨٨م) أصبح رئيساً للوزراء
بين عامي (١٣٤٩-١٣٧٧هـ = ١٩٣٠ - ١٩٥٨م) لأربع عشرة دورة، ووزيراً للدفاع
في خمس عشرة دورة، ووزيراً للخارجية في إحدى عشرة دورة ووزيراً للداخلية في
دورتين. أحد عملاء بريطانيا في العالم العربي، انتحر بإطلاق النار على نفسه عام
(١٣٧٧هـ = ١٩٥٨م)، من مؤلفاته: استقلال العرب ووحدتهم.

إلهمكم إلى أيديكم فاضربوا كل ذكر فيها بحدّ السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وجميع ما في المدينة من غنيمة، فاغنموها لأنفسكم وتمتعوا بغنيمة أعدائكم التي أعطاكم الرب إلهمكم، هكذا تفعلون بجميع المدن البعيدة منكم جداً، التي لا تخص هؤلاء الأمم هنا، وأما مدن هؤلاء الأمم التي يعطيها لكم الرب إلهمكم ملكاً فلا تبقوا أحداً منها حياً بل تحللون إبادتهم...^(١).

وفيه: (كلم الرب موسى فقال: انتقم لربي إسرائيل من المديانيين وبعد ذلك تموت وتنضم إلى آبائك، فقال موسى للشعب: جندوا منكم رجالاً يغزون مديان لينتقم للرب منهم من كل سبط من أسباط بني إسرائيل ترسلون ألفاً للحرب فاختر من بني إسرائيل ألف من كل سبط فبلغ عدد المحاربين اثني عشر ألفاً فأرسلهم موسى للحرب ومعهم فحاس بن العازار الكاهن وفي يده أمتعة القدس وأبواق الهتاف، فقاتلوا مديان كما أمر الرب موسى وقتلوا كل ذكر ومنهم: ملوك مديان الخمسة، أوي وراقم وصور وهور وربع وكذلك قتلوا بلعم بن باعور بالسيف وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم وجميع بهائمهم ومواشيهم وغنموا ممتلكاتهم وأحرقوا بالنار جميع مدنهم بمساكنها وقصورها وأخذوا جميع الأسلاب والغنائم من الناس والبهائم)^(٢).

وفيه: (كان داود يغزو البلاد فلا يبقى على رجل ولا امرأة، ويأخذ الغنم والبقر والحمير والجمال والثياب)^(٣).

وفيه: (هاجم يواب مدينة ربة عاصمة بني عمون واستولى عليها وأرسل إلى داود من يقول: هاجمت ربة واستوليت على مياه المدينة فاجمع الآن بقية الجيش واهجم على المدينة وخذها أنت حتى لا آخذها أنا فتدعى باسمي، فجمع داود الجيش كله وسار إلى ربة فهاجمها واستولى عليها وأخذ التاج عن رأس الإله ملكام وكان وزنه ثلاثة عشر رطلاً من الذهب وفيه حجر كريم فوضعه على رأسه وغنم داود من المدينة غنائم وافرة جداً وأخرج سكانها منها وأجبرهم على العمل بالمناشير والنوارج وفؤوس

(١) الكتاب المقدس: ص ٢٣٩ فصل الحرب المقدسة.

(٢) الكتاب المقدس: ص ٢٠٤ فصل محاربة مديان.

(٣) الكتاب المقدس: ص ٣٦٧ فصل داود عند الفلسطينيين.

الحديد وعلى الاشتغال بالصناعة اللين، هكذا فعل بجميع مدن بني عمون^(١).
وكذلك بالنسبة للديانة النصرانية، فإنها لم تستطع تحقيق الأمن والسلام للإنسان
ولم تتمكن من تهذيبه، وقد ورد في: (بشارة متى) المتداول بأيدي المسيحيين بعد أن
طرأت عليه التحريفات المقصودة:

(لا تظنوا إني جئت لأحمل السلام إلى العالم، ما جئت لأحمل سلاماً، بل
سيفاً، جئت لأفرق بين الابن وأبيه والبنت وأمها، والكنة وحمايتها، ويكون أعداء
الإنسان أهل بيته، من أحب أباه أو أمه أكثر مما يحبني فلا يستحقني، ومن أحب ابنه أو
ابنته أكثر مما يحبني فلا يستحقني، ومن لا يحمل صليبه ويتبعني فلا يستحقني، ومن
حفظ حياته يخسرها، ومن خسر حياته من أجلي يحفظها)^(٢).

ولا يخفى أن عقيدتنا في النبي موسى والنبي عيسى عليهما السلام، أنهما من أولي العزم
من الرسل، وأنهما مبعوثان من عند إله حكيم رؤوف رحيم، وجاء للعالم بما
يقتضي السلم والسلام ويمهدا لدين الإسلام، قال عزوجل: ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ
وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ﴾^(٣) فلا نعتقد بمزاعم هذين الكتابين المحرفين، فلا شك أن تلك النصوص
محرفة حتماً عن التعاليم السمحاء التي وردت في تلك الكتب المقدسة قبل تحريفها.
ومن خلال مقارنة بين ما ورد في العهد القديم و(بشارة متى) نجد الأول أشد
خطراً على الإنسانية من كتب النصارى، فإنه يتحدث عن القتل والإبادة والإرهاب
خلافاً لمفهوم الرحمة والشفقة والأمن والسلام.

ومن الواضح أن النصرانية تؤيد كل ما كان في الدين اليهودي، وما ورد في
كتابهم، ولذا يتبع النصارى الكتابين معاً، ويسمونهما (الكتاب المقدس)، وفي القرآن
الحكيم تصديق لهذا الأمر، بالنسبة إلى عمل المسيح عليه السلام قبل تحريفهم للكتابين،
حيث يقول عن لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ
مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ

(١) الكتاب المقدس: ص ٣٨٦ فصل الاستيلاء على ربة.

(٢) الكتاب المقدس: بشارة متى ص ١٨ فصل يسوع والعالم.

(٣) سورة آل عمران: ٨٤.

وَأُبْرِيءُ الْأَكْمَةِ وَالْأُبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا»^(١).

دور الإسلام في نشر السلام وتهذيب الإنسان

مسألة: عمل الإسلام على تهذيب الإنسانية بأكملها، وسموها ورفعتها، ولأجل وصول الإنسان إلى شاطئ الأمان والسلام، لأن الناس في نظر القرآن الكريم والسنة المطهرة أسرة واحدة متعاونة متكاملة، وكلهم أخوة كما قال سبحانه في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٢)، ومن هذا المنطلق قرر الإسلام مبادئ العدالة والمساواة والإخاء والحرية والأمن والرفاه للجميع. وأكد على ذلك كثيراً، لأن الإسلام يحب الحياة ويحرص على الأمن، ويؤكد على السلم والسلام. وقد قال الله سبحانه: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(٤).

وحسب ما جاء في النصوص الدينية سيأتي يوم يهذب الدين الإسلامي البشرية كلها بل والحيوانات أيضاً، ولذا يعبر الله سبحانه وتعالى عنه بـ: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾^(٥)، وهو زمان ظهور الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) حيث يضع يده على رؤوس الناس فتكمل عقولهم كما قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت بها أحلامهم»^(٦)، ويعيش الذئب مع الشاة في سلام^(٧)، على تفصيل ذكرناه في كتاب (الإمام المهدي

(١) سورة آل عمران: ٤٩ - ٥٠.

(٢) سورة الحجرات: ١٠.

(٣) سورة الأنعام: ٨٢.

(٤) سورة قريش: ٤.

(٥) سورة إبراهيم: ٤٨.

(٦) بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ٣٢٨ ح ٤٧، والكافي: ج ١ ص ٢٥ ح ٢١.

(٧) راجع بحار الأنوار: ج ٥١ ص ٦٠ ح ٥٩، وفيه: عن ابن عباس في قوله تعالى:

﴿ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ (سورة التوبة: ٣٣، سورة الصف: ٩) قال: لا

عليه السلام^(١) وكتاب (فقه المستقبل)^(٢).

صور من تسامح الإسلام للديانات الأخرى

ومن هنا أصبح الفرق الشاسع واضحاً بين تهذيب الأديان والحضارات للإنسان من جهة، وبين تهذيب الدين الإسلامي وحضارته له من جهة أخرى. فكانت حضارة الإسلام وتهذيبه للإنسان مبنية على السلم والسلام، على عكس غيره.

ويتضح ذلك بتصفح التاريخ وبملاحظة الكتب والقوانين المدونة، فالدين الإسلامي على ما في القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ وسيرة الخلفاء الواقعيين بعده من الأئمة الطاهرين عليه السلام تدل على شمولية السلم والسلام في الإسلام حتى لسائر الأديان، ويظهر جزء من ذلك في الاحتجاجات بين الرسول الأعظم ﷺ وأهل

يكون ذلك حتى لا يبقى يهودي ولا نصراني ولا صاحب ملة إلا دخل في الإسلام، حتى يأمن النشأة والذئب والبقرة والأسد والإنسان والحية، وحتى لا تقرض فارة جراباً وحتى توضع الجزية ويكسر الصليب ويقتل الخنزير وذلك قوله: «ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» وذلك يكون عند قيام القائم (عجل الله فرجه).

(١) من تأليفات سماحة الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) في مدينة قم المقدسة. يقع الكتاب في ١٤٤ صفحة قياس ١٤×٢٠. وقد تناول فيه الموضوعات التالية: ولادة الإمام عليه السلام واسمه المبارك، قصة الولادة، هل تحرم تسميته عليه السلام، من شمائله، فضل الإمام المهدي عليه السلام، من خصائصه، من أخبار ظهوره، من بركات الظهور، أخلاق الرسول ﷺ وسيرته، كثرة الروايات فيه، النص الوارد عن الله عز وجل، النص الوارد عن رسول الله ﷺ، النص الوارد عن فاطمة الزهراء عليها السلام، النص الوارد عن الأئمة المعصومين عليهم السلام، روايات عن طريق أهل السنة، قصة ابن مهزيار، طول عمره الشريف، قصة رشيق، غانم الهندي، من واجباتنا أيام الغيبة، الدعاء للفرج، الثبات على الولاية، انتظار الفرج، الحزن على غيبته عليه السلام، الإمام الصادق عليه السلام يبكي لغيبته، الصدقة للإمام عليه السلام، القيام عند ذكر اسمه المبارك، التضرع إلى الله سبحانه، رقعة الحاجة، من علائم الظهور. قامت بطبعه ونشره مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر بيروت لبنان، عام ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ومؤسسة الإمامة للطباعة والنشر والتحقيق. كما أعادت طبعه هيئة محمد الأمين عليه السلام الكويت، عام ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

(٢) مخطوط، ضمن موسوعة الفقه الاستدلالية. تناول سماحته في الكتاب موضوع: المستقبل من البعد الفقهي وما يترتب عليه من أحكام شرعية. وقد تم تأليفه في مدينة قم المقدسة. والنسخة موجودة عند مؤسسة الوعي الإسلامي للتحقيق والنشر.

بيته الطاهرين عليهما السلام وبين المشركين والملحدين ومن أشبهه^(١).

كما ترى في التاريخ الإسلامي كثيراً من حكام المسلمين - الذين لم يكونوا قساة على أنفسهم وعلى غيرهم - كانوا يعاملون اليهود والنصارى وأتباع سائر الأديان والمذاهب بالتسامح وإعطاء الحريات.

مثلاً: (كان اليهود قبل الفتح الإسلامي بالأندلس يرزحون تحت تعسف القوط، وظلّوا على ذلك زمناً طويلاً إلى أن دخل المسلمون الأندلس فخلّصوهم من هذا الاضطهاد وسمحوا لهم بحرية طقوسهم وحرية العلم وحرية التجارة التي كانت محظورة عليهم من قبل، وأباحوا لهم أن يمتلكوا بعد أن كانت الملكية محرّمة عليهم، ولهذا نهضوا واشتهر بعضهم في العلم والأدب، بعد أن استنشقوا نسيم الحرية)^(٢).

يقول أحد الغربيين: (وكان في الأندلس طبقة العبيد ورقيق الأرض فقد رحبوا بالمسلمين الفاتحين، ليخلصوهم من قيود سادتهم القوط، ثم اعتنق الكثير منهم الإسلام واستمتعوا في ظلال الحكم الإسلامي بحقوق مدنية كانت محظورة عليهم، فصاروا يزرعون الأرض وينتفعون بثمراتها ويؤدّون عنها خراجها للدولة، ولم يحدث أن أجبرت الدولة أحداً على أن يسلم، ولقد استطاع النصارى أن ينهضوا بدينهم وينشروا مذهبهم، وهم في رعاية المسلمين وفي حكمهم، وفي العصر نفسه رسخت أقدامهم في مصر، فإذا كانت الطوائف النصرانية الأخرى قد أخفقت في إظهار مثل هذا النشاط القوي، فإن المسلمين ليسوا هم المسؤولون عن هذا الإخفاق، إذ كانت الحكومة الإسلامية تعامل الطوائف المسيحية كلها على حد سواء، وكانت تحمي بعضهم من اضطهاد بعض).

ويقول أحدهم^(٣): (شهد البطريق عيشوايان الذي تولى منصبه سنة كذا بأن العرب الذين مكّتهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون، إنهم ليسوا أعداء النصرانية بل يمتدحون ملتنا، ويوقرون قدسيتنا وقسيسينا، ويمدّون يد المعونة إلى

(١) انظر كتاب (الاحتجاج) للعلامة الطبرسي رحمته الله.

(٢) للتفصيل راجع كتاب (الكونت هنري كاست ري).

(٣) وهو (تريون) في كتابه: (أهل النمة في الإسلام).

كنائسنا وديننا).

ويقول آخر منهم^(١): (وإذا انتقلنا من الفتح الأول للإسلام إلى استقرار حكومته استقراراً منظماً رأيناه أكثر محاسنَ وأنعم ملمساً بين مسيحيي الشرق على الإطلاق، فما عارض العرب قط شعائر الدين المسيحي، بل بقيت روما نفسها حرة في المراسلات مع الأساقفة الذين كانوا يرعون الأمة الخالية).

وفي سنة ألف وثلاث وخمسين كتب عالمهم إلى مسيحيي أفريقيا يوصيهم باعتبار أسقف قرطاجنة مطراناً عاماً بينهم، وكان الوثام مستحكماً بين المسلمين والنصارى حتى أن غريغور السابع كتب إلى النصارى يلومهم على المحاكمة مع أسقفهم أمام المسلمين إلى أن يقول: لقد أبقي المسلمون سكان الأندلس على دينهم وشرعهم وقضائهم وتوليهم بعض الوظائف حتى كان منهم موظفون بخدمة الخلفاء وكثير منهم تولّى قيادة الجيوش وتولّد عن هذه السياسة الرحيمة انحياز عقلاء الأمة الأندلسية إلى المسلمين وحصل بينهم زواج كثير، وكانت حرية الأديان بالغة متتهاها، لذلك لما اضطهدت أوروبا اليهود لجؤوا إلى خلفاء الأندلس في قرطلة، لكن لما دخل الملك (كارلوس) سر قسطة أمر جنوده بهدم جميع معابد اليهود ومساجد المسلمين.

وقالوا: (لما فتح العثمانيون القسطنطينية كان أكثر الشعب النصراني في عشية الكارثة ينفرون من أي اتفاق مع كنيسة روم الكاثوليكية، أشد من نفورهم من الإتفاق مع المسلمين).

إلى غير ذلك من العبارات الكثيرة الموجودة في كتبهم والمنقولة في كتبنا أيضاً، ولو أراد أحد أن يجمعها لبلغت مجلداً ضخماً.

آراء علماء الغرب عن سلم الإسلام والمسلمين

وإضافة لما ورد في البحث المتقدم من آراء لا بد من تسجيل بعض الشهادات الصادرة من أبرز علماء الغرب التي تشيد بحقيقة الدين الإسلامي والمسلمين، فإنها شهادة من علماء غير مسلمين بمدى سلم الإسلام وسلامه.

(١) وهو الكنت بندرى دي كاستري.

ونبدأها برأي الكونت هندريك حيث قال: (إن المسلمين امتازوا بالمسألة وحرية الأفكار في المعاملات ومحاستهم المخالفين، وهذا يحملنا على تصديق ما قاله روبنسن: أن شيعة محمد ﷺ هم وحدهم الذين جمعوا بين المحاسنة ومحبة انتشار دينهم، وهذه المحبة هي التي دفعت العرب إلى طريق الفتح، فلم يتركوا أثراً للإفك في طريقهم إلا ما كان لا بد منه في كل حرب وقتال ولم يقتلوا أمة رفضت الإسلام).

وقال غوستاف لوبون: (إن القوة لم تصمد أمام قوة القرآن، وأن العرب تركوا الماديين أحراراً في أديانهم، فإذا كان بعض النصارى قد أسلموا واتخذوا العربية لغة لهم، فذلك لما كان يتّصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذي لم يكن للناس عهد بمثله، ولما كان عليه الإسلام من السبل التي لم تعرفها الأديان الأخرى، فقد عاملوا أهل سوريا ومصر وإسبانيا وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم، تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم، غير فاضين عليهم سوى جزية زهيدة في مقابل حمايتهم لهم وحفظ الأمن بينهم، والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب)^(١).

وهنا لا بد من جواب حول ما ذكره غوستاف لوبون في رأيه المتقدم عما صدر من العرب تجاه الماديين أو النصارى وهو: أن تلك المعاملة الرفيعة لم تتوقف على العرب المسلمين فقط، بل كل الأمة الإسلامية من عربٍ أو عجمٍ أو غيرهم كانوا يحملون الإسلام إلى غير المسلمين بهذه الروحية الرفيعة والمعنوية المفعمة باللطف والحنان والسلام والواقعية، وكان ذلك بفضل الإسلام كما لا يخفى، وإلا فتاريخ عرب الجاهلية مليء بالعنف والإرهاب.

وعزو هذه الفتوحات للعرب فقط من قبل غوستاف لوبون ربما لم تصدر عن حسن نية وسلامة صدر، فأريد منها إبعاد دور الآخرين من القوميات المختلفة في هذه الفتوحات، وقد ذكر التاريخ لنا شاهداً مهماً على التلاعب بهذه النسبة، يقول أمير المؤمنين علي بن طالب عليه السلام في إحدى خطبه:

(١) حضارة العرب، لغوستاف لوبون.

(ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها، وحسن تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكد عند الناس نباهة قوم وخمول آخرين، فكنا نحن ممن خمل ذكره، وخبث ناره، وانقطع صوته وصيته، وأكل الدهر علينا وشرب، ومضت السنون والأحقاب بما فيها، ومات كثير ممن يعرف، ونشأ كثير ممن لا يعرف...) (١).

وليس الحديث هو التعرض لتفصيل هذه النسبة وما ذكر عنها بل هذه إشارة لا بد من ذكرها.

فهذه النسبة التي ذكرها غوستاف لوبون ليست صحيحة وهناك شواهد تاريخية تؤكد أن بعض العرب كان ضد الرحمة في الفتوحات وله موقف من الداخلين في الإسلام ...

عن أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الشيعي قال: لما ورد سبي الفرس أراد عمر بن الخطاب بيع النساء وأن يجعل الرجال عبيد العرب، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «إن رسول الله ﷺ قال: «أكرموا كريم كل قوم».

قال عمر: قد سمعته يقول: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه، فإن خالفكم فخالفوه».

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «هؤلاء قوم قد ألقوا إليكم السلم ورجبوا في الإسلام ولا بد من أن يكون لي فيهم ذرية وأنا أشهد الله وأشهدكم أنني أعتقت نصيبي منهم لوجه الله تعالى».

فقال جميع بني هاشم: قد وهبنا حقنا أيضا لك.

فقال عليه السلام: «اللهم اشهد إنني قد أعتقت ما وهبوني لوجه الله».

فقال المهاجرون والأنصار: قد وهبنا حقنا لك يا أبا رسول الله.

فقال عليه السلام: «اللهم إنني أشهد أنهم قد وهبوا لي حقهم وقبلته وأشهدك أنني قد أعتقتهم لوجهك».

فقال عمر: لم نقضت علي عزمي في الأعاجم وما الذي رغبتك عن رأيي فيهم.

(١) شرح نهج البلاغة: ج ٢٠ ص ٢٩٩ الحكم المنسوبة ٤٤١.

فأعاد ﷺ عليه ما قال رسول الله ﷺ في إكرام الكرماء.

فقال عمر: قد وهبت لله ولك يا أبا الحسن ما يخصني وسائر ما لم يوهب لك.
فقال أمير المؤمنين ﷺ: «اللهم اشهد على ما قالوه وعلى عتقي إياهم»^(١).

بين المادية والإسلام

ولتأكيد التباين والاختلاف أيضاً بين تهذيب الحضارات المادية للإنسان وبين تهذيب الشريعة الإسلامية له نقول: إن تهذيب الإنسان وسلامته هو أحد المبادئ التي عمق الإسلام جذورها في نفوس المسلمين كما قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾^(٢) فأصبحت جزءاً من كيانهم، وعقيدة من عقائدهم.

ولكن الإنسان يختلف عما هو عليه في الحضارة المادية حينما تزداد معارفه فتتعدد أهدافه فيسيطر على الحياة فيفسدها بعد أن يزداد حرصه وتتشعب طموحاته، بل هو في الإسلام يعمل من أجل التطور والاستقرار والازدهار والسلام والتقدم في كافة مجالات الحياة ونواحيها، وقد أمر الإسلام المسلمين بذلك، في الآية الكريمة: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾^(٣).

وفي الحديث الشريف قال الإمام الصادق ﷺ: «من استوى يومه فهو مغبون ومن كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون»^(٤).

فالإسلام هو رسالة السلم والسلام الذي يريد للإنسانية الرقي والتقدم والحضارة والسكينة والاطمئنان فإن الإنسان غير الآمن في سربه ومسكنه وحياته لا يتمكن من أن يحقق الازدهار والنمو، بل كثيراً ما يسبب فقدان الأمن - الناشئ من الخوف ونحوه - تحطيم الإنسان في أبعاده المختلفة واستنفاد معنوياته السامية التي تحافظ على كرامته وإنسانيته.

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ٤٨٣ ح ١٨٩٣٨.

(٢) سورة يونس: ٢٥.

(٣) سورة آل عمران: ١٣٩، سورة محمد ﷺ: ٣٥.

(٤) الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٦٦٨ المجلس ٩٥ ح ٤٤.

حرية العقيدة والأديان في ظل الإسلام

مسألة: من مبادئ الإسلام المهمة الواجبة التطبيق هو مبدأ تنعم الإنسان بالسلام والسلام، والأمن والحرية، وأن لا يكره إنسان على رأي خاص ونظرية خاصة، سواء ترتبط بالكون أو الطبيعة أو الإنسان، وحتى في قضايا الدين فالمقرر عدم الإكراه في الدين.

ومن أدل الآيات القرآنية على مبدأ عدم الإكراه في الدين قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(١).

وقوله عز وجل: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾^(٣).

وفي آية أخرى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾^(٤)، إشارة إلى الأديان الأربعة التوحيدية، وحتى المجوس كان أصل دينهم الدعوة إلى التوحيد وإنما خالطته الأهواء فصاروا ثنوية^(٥)، كما أن الأهواء قد دخلت دين المسيح عليه السلام فصاروا مثلثين، حيث قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا﴾^(٦).

وقوله تعالى: ﴿فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ۖ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾^(٧).

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٨).

إلى غيرها من الآيات والروايات.

-
- (١) سورة البقرة: ٢٥٦.
 - (٢) سورة (الكافرون): ٦.
 - (٣) سورة البقرة: ٢٥١.
 - (٤) سورة الحج: ٤٠.
 - (٥) الثنوية: المانوية، وهو مذهب يقول بالهين اثنين، إله للخير وإله للشر، ويرمز لهما بالنور والظلمة.
 - (٦) سورة النساء: ١٧١.
 - (٧) سورة الغاشية: ٢١-٢٢.
 - (٨) سورة القصص: ٥٦.

وعلى هذا فالإسلام لا يرغم أحداً على اعتناق عقيدة معينة، ولا يكره غير المسلمين على اعتناق عقيدته ليكونوا مسلمين، وإنما كان يدعو الناس إلى دين الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة^(١)، ويدعو إلى استعمال العقل والنظر فيما خلق الله من أشياء، ويقول لكل إنسان: إن شئت السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة فعليك أن تعتنق الإسلام عن رغبة واختيار، كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢)، لكن الإكراه شيء والترغيب شيء آخر، ثم فرق قصي بين الاثنين لا يمكن التغاضي عنه.

فقد ترك الإسلام للإنسان الحرية الكاملة لاختيار آرائه وأفكاره وعقائده التي يرتضيها لنفسه حيث خلقه مختاراً وخلق له العقل، ولذا يقول سبحانه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرِّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٤) فإن الله لا يكره بنفسه، فهل للرسول ﷺ أن يُكره؟ وهل لمن يقتدي بالرسول ﷺ الحق بالقسر والإكراه؟.

ويقول: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٥).

ويقول: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْجِبُ الْآيَاتِ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٦).

ولذا لم يعهد عن رسول الله ﷺ ولا عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنهما أجبرا الناس على الإسلام، وسنذكر جملة من الشواهد على ما ذكر، فمنها:

(١) إشارة إلى قوله سبحانه: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾، سورة النحل: ١٢٥.

(٢) سورة آل عمران: ٨٥.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٤) سورة يونس: ٩٩.

(٥) سورة يونس: ١٠٠.

(٦) سورة يونس: ١٠١.

أن النبي الأعظم ﷺ لم يكره أحداً من أسرائه على الإسلام. وكذلك كان أصحاب النبي ﷺ يفعلون، مهتدين بنوره ومقتدين بمعلمهم الأول حذو القذة بالقذة.

مع ثمامة وقومه

جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ أرسل قبل نجد سرية فأسروا واحداً اسمه ثمامة بن أثال الحنفي سيد يمامة، فأتوا به وشدوه إلى سارية من سواري المسجد فمر به النبي ﷺ فقال: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: خير، إن قتلت قتلت وارماً، وإن مننت مننت شاكرًا، وإن أردت مالاً تُعط ما شئت، فتركه ولم يقل شيئاً، فمر به اليوم الثاني فقال مثل ذلك، ثم مرَّ به اليوم الثالث فقال مثل ذلك، ولم يقل النبي ﷺ شيئاً، ثم قال ﷺ: «أطلقوا ثمامة فأطلقوه»، فمرَّ واغتسل وجاء وأسلم وكتب إلى قومه فجاؤوا مسلمين^(١) وبذلك كانت هداية شخص واحد مقدمة لعشيرته بدخول الإسلام، وقد وردت روايات كثيرة في فضل هداية الآخرين اختياراً ومن دون إكراه، منها قول نبي الأكرم ﷺ للإمام علي عليه السلام: «لئن يهدي الله بك أحداً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس»^(٢).

مع مشركي مكة

ولما دخل النبي ﷺ مكة المكرمة ترك أهلها المشركين وشأنهم، ولم يكونوا أهل كتاب، ولم يدل دليل على أنه أجبرهم على الإسلام، ولم يقتلهم بل عفا عنهم جميعاً حتى عن المجرمين منهم.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «لما كان فتح مكة قال رسول الله ﷺ: عند من المفتاح؟ قالوا: عند أم شيبه، فدعا شيبه فقال ﷺ: اذهب إلى أمك فقل لها ترسل بالمفتاح، فقالت: قل له: قتلت مقاتلنا وتريد أن تأخذ منا مكرمتنا، فقال ﷺ: لترسلن به أو لأقتلنك - وكان هذا مجرد تهديد - فوضعت في يد الغلام، فأخذه وقال

(١) مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ٥١٤ ح ٢٥٩٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤٤٧ ح ٣٩٤.

له: هذا تأويل رؤياي من قبل. ثم قام ﷺ ففتحته وستره، فمن يومئذ يستر، ثم دعا الغلام فبسط رداءه فجعل فيه المفتاح وقال: رده إلى أمك، ودخل صناديد قريش الكعبة وهم يظنون أن السيف لا يرفع عنهم فأتى رسول الله ﷺ البيت وأخذ بعضادتي الباب ثم قال: (لا إله إلا الله أنجز وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده)، ثم قال: ما تظنون وما أنتم قائلون؟ فقال سهيل بن عمرو: نقول خيرا ونظن خيراً أخ كريم وابن عم، قال: فإني أقول لكم كما قال أخي يوسف: ﴿لَا تَتْرَبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١) «(٢).

مع نصارى نجران

وأما بالنسبة لأهل الكتاب من النصارى فقصة نصارى نجران مشهورة في عصر رسول الله ﷺ كما عن أبي عبد الله عيسى قال:

«إن نصارى نجران لما وفدوا على رسول الله ﷺ وكان سيدهم الأهمم والعاقب والسيد، وحضرت صلواتهم فأقبلوا يضربون بالناقوس وصلوا، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله هذا في مسجدك؟ فقال ﷺ: دعوهم.

فلما فرغوا دنوا من رسول الله ﷺ فقالوا: إلى ما تدعو؟ فقال ﷺ: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأن عيسى عبد مخلوق يأكل ويشرب ويحدث.

قالوا: فمن أبوه؟ فنزل الوحي على رسول الله ﷺ فقال: قل لهم: ما يقولون في آدم أكان عبداً مخلوقاً يأكل ويشرب ويحدث وينكح؟

فسألهم النبي ﷺ. فقالوا: نعم.

(١) سورة يوسف: ٩٢.
(٢) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٣٢.

فقال: فمن أبوه؟

فبقوا ساكتين، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ (١) الآية إلى قوله: ﴿فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (٢).

فقال رسول الله ﷺ: فباهلوني إن كنت صادقاً أنزلت اللعنة عليكم وإن كنت كاذباً أنزلت علي.

فقالوا: أنصفت.

فتواعدوا للمباهلة، فلماً رجعوا إلى منازلهم قال رؤسائهم السيد والعاقب والأهتم: إن باهلنا بقومه باهلناه فإنه ليس بنبي وإن باهلنا بأهل بيته خاصة فلا نباهله فإنه لا يقدم على أهل بيته إلا وهو صادق.

فلما أصبحوا جاؤوا إلى رسول الله ﷺ ومعه أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال النصارى: من هؤلاء؟

فقال لهم: هذا ابن عمه ووصيه وختنه علي بن أبي طالب، وهذه ابنته فاطمة، وهذان ابناه الحسن والحسين.

ففرقوا وقالوا لرسول الله ﷺ: نعطيك الرضا فاعفنا عن المباهلة، فصالحهم رسول الله ﷺ على الجزية وانصرفوا» (٣).

مع المنافقين

وقد كان المنافقون وهم من أشد أعداء الله ورسوله ﷺ، يعيشون في المدينة المنورة مع المؤمنين بدون أن يزاحموا في شيء أو يجبروا على ما لا يريدونه.

مع الخوارج

وكما كان الخوارج وهم من ألد أعداء الله ورسوله ﷺ وأعداء علي أمير المؤمنين عليه السلام يعيشون في الكوفة في حرية كاملة.

(١) سورة آل عمران: ٥٩.

(٢) سورة آل عمران: ٦١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٤٠.

ولم يجاربه الإمام عليه السلام حتى بدؤوا هم بالحرب ضد المسلمين، ومع ذلك وصى بهم الإمام عليه السلام حيث قال: «لا تقتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه»^(١) يعني معاوية وأصحابه.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه خطب بالكوفة فقام رجل من الخوارج فقال: لا حكم إلا لله، فسكت أمير المؤمنين عليه السلام ثم قام آخر وآخر، فلما أكثروا قال عليه السلام: «كلمة حق يراد بها باطل لكم عندنا ثلاث خصال: لا نمنعكم مساجد الله أن تصلوا فيها، ولا نمنعكم الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نبدؤكم بحرب حتى تبدءونا به، وأشهد لقد أخبرني النبي الصادق عليه السلام عن الروح الأمين عن رب العالمين أنه لا يخرج علينا منكم من فئة قلت أو كثرت إلى يوم القيامة إلا جعل الله حتفها على أيدينا وإن أفضل الجهاد جهادكم وأفضل المجاهدين من قتلكم وأفضل الشهداء من قتلتموه فاعملوا ما أتمت عاملون فيوم القيامة يخسر المبطلون ولكل نبأ مستقر فسوف تعلمون»^(٢).

وقد أقام بعض أهل الكوفة المنحرفون مظاهرات وإضرابات في زمان الإمام علي عليه السلام حول بعض الأمور مثل عزله عليه السلام لشريح وصلاة التراويح^(٣)، فلم يجبرهم الإمام عليه السلام على تغيير موقفهم، بل أرجع عليه السلام شريح إلى منصبه، وتركهم يصلون صلاة التراويح.

(١) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٨٣ ح ٢٠٠٣٥.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٦٥ ح ١٢٤٣٥.

(٣) راجع وسائل الشيعة: ج ١ ص ٢٣، وفيه: المعروف عن سيرة رسول الله عليه السلام أن صلاة نافلة شهر رمضان لم تشرع لها الجماعة، وإنما الجماعة في الفريضة وما شرعت له، وكان الناس يصلون نافلة رمضان فرادى، واستمروا على ذلك مدة خلافة أبي بكر، ولما جاء الخليفة الثاني استحسن أن يوحدهم بصلاة إمام واحد، ففعل وعمم أمره إلى سائر البلدان الإسلامية، متحدياً السنة بالاستحسان، وكان يقول: نعمت البدعة هذه!!، وحين استلم أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام الخلافة جدد لأن يمحوا تلك البدعة، لكن الجند صاحوا: وا سنة عمراه.. وا سنة عمراه..، فقال عليه السلام: «قد عملت الولاية قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله عليه السلام متعمدين لخلافه، ناقضين لعهد، مغيرين لسنته، ولو حملت الناس على تركها، وحولتها إلى مواضعها وإلى ما كانت عليه في عهد رسول الله عليه السلام لتفرق عني جندي حتى أبقي وحدي، أو قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله عزوجل وسنة رسول الله عليه السلام». «

ولم تتعرض الدول الإسلامية في مختلف العصور لغير المسلمين من أهل الكتاب وغيرهم، في عقائدهم وعبادتهم، ولا تزال الكنائس وسائر دور العبادة موجودة في الدول الإسلامية إلى عصرنا الحاضر.

والخلاصة إن الحرية التي قررها الإسلام ليست خاصة بالمسلمين بل تشمل الكافرين أيضاً، فالأهل الكتاب وغيرهم أن يمارسوا شعائهم بكل حرية وهم آمنون على عقائدهم، دون أن يجبرهم أحد على تبديل عقائدهم إلى عقيدة أخرى، أو تبديل أعمالهم إلى أعمال أخرى.

حقوق الأقليات الدينية في البلاد الإسلامية

لقد شرع الإسلام جملة من الحقوق للذميين من أهل الكتاب وغيرهم، ومن أهم هذه الحقوق:

أولاً: عدم إكراه أحد منهم على التخلي عن دينه أو إجباره على عقيدة معينة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرِّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(١)، وفي هذه الآية الكريمة دليل ساطع وبيّنة جلية على عدم جواز الإكراه في الأديان.

ثانياً: من حق أهل الكتاب أن يمارسوا شعائر دينهم: فلا تهدم لهم كنيسة، ولا يكسر لهم صليب، بل إن مراكز عباداتهم تحميها الدولة الإسلامية وتمكن أصحابها من القيام بعبادتهم وطقوسهم الدينية كيف ما شاءوا، ما لم يكن اعتداء وإضرار، وهذا ليس شرطاً عليهم فقط بل على كل فرد يعيش في رعاية الدولة الإسلامية، فإنه يلزم أن لا يكون الفرد المعتنق لدين آخر معتدياً على الآخرين أو ضاراً بهم. بل من حق زوجة المسلم اليهودية أو النصرانية أن تذهب إلى الكنيسة أو إلى المعبد كما تذهب الزوجة المسلمة إلى المسجد.

ثالثاً: ومن حقوقهم تطبيق أحكام دينهم على الموارد التي تتعلق بها، وقد ورد عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام: «من كان يدين بدين قوم لزمته أحكامهم»^(٢).

(١) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٤٠٧ ح ٤٤٢١.

وقال عليه السلام: «ألزموهم بما ألزموا أنفسهم»^(١).

وعن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي طالب عبد الله بن الصلت قال: كتب الخليل بن هاشم إلى ذي الرئاستين وهو والي نيسابور أن رجلاً من المجوس مات وأوصى للفقراء بشيء من ماله فأخذه قاضي نيسابور فجعله في فقراء المسلمين، فكتب الخليل إلى ذي الرئاستين بذلك، فسأل المأمون عن ذلك، فقال: ليس عندي في ذلك شيء، فسأل أبا الحسن عليه السلام فقال عليه السلام: «إن المجوسي لم يوص لفقراء المسلمين ولكن ينبغي أن يؤخذ مقدار ذلك المال من مال الصدقة فيرد على فقراء المجوس»^(٢).

وعن علي بن إبراهيم عن أبيه عن الريان بن شبيب قال: أوصت ماردة لقوم نصارى فراشين بوصية، فقال أصحابنا: اقسم هذا في فقراء المسلمين من أصحابك، فسألت الرضا عليه السلام فقلت: إن أختي أوصت بوصية لقوم نصارى وأردت أن أصرف ذلك إلى قوم من أصحابنا مسلمين؟ فقال عليه السلام: «أمض الوصية على ما أوصت به، قال الله: ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾»^(٣) (٤).

وهناك جملة من الروايات في هذا الشأن ذكرناها في كتاب (القواعد الفقهية)، كما يطبق قانون الإلزام أيضاً في باب الإرث، فيقسم إرث المجوسي عند قاضي المسلمين حسب عقائدهم، إلى غير ذلك من فروع قانون الإلزام في باب النكاح والطلاق...

موارد لاختيار الإسلام

ليس للإنسان حرية التعدي على الآخرين أو إضرار نفسه ضرراً بالغاً، فإذا رأينا إنساناً يريد الانتحار وجب علينا منعه، أو رأينا إنساناً يريد سرقة مال إنسان، أو اغتصاب فتاة، أو ما إلى ذلك، وجب علينا الحيلولة دون عمله هذا وإحباط ما ينوي تنفيذه من خطأ وخطيئة بحق الغير. والعقيدة المنحرفة أو العمل المنحرف يقلل من حظ الإنسان في الدنيا، ويرسله إلى العذاب في الآخرة، فاللازم عقلاً الحيلولة دون تلك

(١) تهذيب الأحكام: ج ٩ ص ٣٢٢ ح ١٢.

(٢) الكافي: ج ٧ ص ١٦ ح ١.

(٣) سورة البقرة: ١٨١.

(٤) الاستبصار: ج ٤ ص ١٢٩ ب ٧٧ ح ٣.

العقيدة أو ذلك العمل، بالترغيب تارة على العقيدة الصحيحة والعمل الصحيح، وربما يقتضي الأمر - وفي بعض الموارد فقط - أن يكون العمل معه كعامله الطفل الذي يجبر على شرب الدواء. وذلك لما ذكرناه من أن الأصل في الإسلام هو عدم الإكراه على الدين، وقد تقدم عدة شواهد قرآنية وروائية وقصص من سيرة رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علي عليه السلام التي تؤكد ذلك المبدأ، ولكن هناك استثناء في هذه القاعدة لبعض الحالات، فيرغب الشخص إلى الإسلام لكي يتخلص من القتل، وهذا أمر يعود عليه بالنفع والفائدة، ويتمثل في نوعين:

الأول: من يكون إسلامه عاصماً له من القتل.

هناك أفراد قلائل كانوا يستحقون القتل لجرائم ارتكبوها، فشرط رسول الله ﷺ عليهم الإسلام للكف عن قتلهم، وليس هذا إكراهاً بل ترغيباً يعود عليهم وعلى الأمة بالخير والنفع.

عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «خرج رسول الله ﷺ ذات يوم وصلى الفجر ثم قال: معاشر الناس أيكم ينهض إلى ثلاثة نفر قد ألوا باللات والعزى ليقتلوني وقد كذبوا ورب الكعبة، قال عليه السلام: فأحجم الناس وما تكلم أحد.

فقال عليه السلام: ما أحسب علي بن أبي طالب عليه السلام فيكم.

فقام إليه عامر بن قتادة فقال: إنه وعك في هذه الليلة ولم يخرج يصلي معك أفتأذن لي أن أخبره؟

فقال النبي ﷺ: شأنك.

فمضى إليه فأخبره، فخرج أمير المؤمنين عليه السلام كأنه نشط من عقال وعليه إزار قد عقد طرفيه على رقبته فقال عليه السلام: يا رسول الله ما هذا الخبر؟

قال عليه السلام: هذا رسول ربي يخبرني عن ثلاثة نفر قد نهضوا إلي لقتلي وقد كذبوا ورب الكعبة.

فقال علي عليه السلام: يا رسول الله أنا لهم سرية وحدي هو ذا ألبس علي ثيابي.

فقال رسول الله ﷺ: بل هذه ثيابي وهذا درعي وهذا سيفي، فدرعه وعممه

وقلده وأركبه فرسه ، وخرج أمير المؤمنين عليه السلام فمكث ثلاثة أيام لا يأتيه جبرئيل بخبره ولا خبر من الأرض وأقبلت فاطمة عليها السلام بالحسن والحسين عليهما السلام على وركيها تقول: أوشك أن يؤتم هذين الغلامين!

فأسبل النبي ﷺ عينه يبكي ثم قال ﷺ: معاشر الناس من يأتيني بخبر علي أبشره بالجنة، وافترق الناس في الطلب لعظيم ما رأوا بالنبي ﷺ وخرج العواتق فأقبل عامر بن قتادة يبشر بعلي عليه السلام وهبط جبرئيل عليه السلام على النبي ﷺ وأخبره بما كان فيه ، وأقبل علي أمير المؤمنين عليه السلام ومعه أسيران ورأس وثلاثة أبعرة وثلاثة أفراس .

فقال النبي ﷺ: تحب أن أخبرك بما كنت فيه يا أبا الحسن؟

فقال المنافقون: هو منذ ساعة قد أخذه المخاض وهو الساعة يريد أن يحدثه.

فقال النبي ﷺ: بل تحدث أنت يا أبا الحسن لتكون شهيداً على القوم.

قال عليه السلام: نعم يا رسول الله لما صرت في الوادي رأيت هؤلاء ركبانا على الأباعر فنادوني من أنت؟

فقلت: أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ.

فقالوا: ما نعرف لله من رسول، سواء علينا وقعنا عليك أو على محمد، وشد علي هذا المقتول ودار بيني وبينه ضربات وهبت ريح حمراء سمعت صوتك فيها يا رسول الله وأنت تقول: قد قطعت لك جربان درعه فاضرب حبل عاتقه، فضربته فلم أخفه أخفه، ثم هبت ريح صفراء سمعت صوتك فيها يا رسول الله وأنت تقول: قد قلبت لك الدرع عن فخذ فاضرب فخذ فضربته ووكزته وقطعت رأسه ورميت به، وقال لي هذان الرجلان: بلغنا أن محمداً رفيق شفيق رحيم فاحملنا إليه ولا تعجل علينا وصاحبنا كان يعد بألف فارس.

فقال النبي ﷺ: يا علي أما الصوت الأول الذي صك مسامعك فصوت جبرئيل عليه السلام وأما الآخر فصوت ميكائيل عليه السلام، قدم إلي أحد الرجلين فقدمه.

فقال ﷺ: قل لا إله إلا الله واشهد أنني رسول الله.

فقال: لنقل جبل أبي قبيس أحب إلي من أن أقول هذه الكلمة.

قال ﷺ: يا علي أخره واضرب عنقه.

ثم قال ﷺ: قدم الآخر.

فقال: قل لا إله إلا الله واشهد أني رسول الله، قال: ألحقتني بصاحبي.

قال ﷺ: يا علي أخره واضرب عنقه، فأخره وقام أمير المؤمنين ﷺ ليضرب

عنقه، فهبط جبرئيل ﷺ على النبي ﷺ فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام

ويقول: لا تقتله فإنه حسن الخلق، سخي في قومه، فقال النبي ﷺ: يا علي أمسك

فإن هذا رسول ربي عزوجل يجبرني أنه حسن الخلق، سخي في قومه.

فقال المشرك تحت السيف: هذا رسول ربك يخبرك؟

قال ﷺ: نعم.

قال: والله ما ملكت درهماً مع أخ لي قط ولا قطبت وجهي في الحرب وأنا أشهد

أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: هذا ممن جره حسن خلقه وسخاؤه إلى جنات

النعيم»^(١).

وهؤلاء إنما خيروا بين الإسلام وبين القتل لأجل الحفاظ على حياتهم من خطر

الموت، علماً بأنهم كانوا يستحقون القتل لما كانوا قد ارتكبوه ربما من قتل أو غير ذلك.

الثاني: أصحاب المذاهب من غير أهل الكتاب.

وقد تطرقنا في بعض كتبنا، إلى الأمر المشهور بأن غير الكتابي إذا أخذ بمحاربة

المسلمين فإنه يخيّر بين قبول الإسلام أو القتل، فإنه يمكنه الإسلام ليقبى نفسه من

الهلاك، ولكن قلنا بأن غير الكتابي في حكم الكتابي أيضاً، حيث يقبل منه الجزية أو

ما أشبهه، وربما تركوا حسب المعاهدات التي تنعقد بين الطرفين.

كما هو حال في معظم المسلمين الذين استولوا على الهند وغير الهند، حيث

يعيش فيها المسلمون وغير المسلمين، الكتابيون وغير الكتابيين، من عبدة الأصنام

وعبدة النار، وعبدة الماء وعبدة البقرة، وغير ذلك من الأديان المتعددة، التي لا تمت

(١) الأمالي للصدوق: ص ١٠٥ ح ٤.

إلى اليهود والنصارى والمجوس بشيء.

فمن حق غير المسلمين أن يمارسوا شعائرهم ويحتفظوا بعقائدهم ودينهم، ولا تهدم لهم كنائس ولا بيع ولا صلوات، ولا سائر المعابد، ولا يكسر لهم صليب أو ما يدل على شعاراتهم، ولا يهضم لهم حق، ولا ينتقص من حقوقهم ماداموا ملتزمين بقوانين الدولة محترمين لعقيدها غير متعاونين مع أعداء الدولة بصفة جواسيس وما أشبه، ضد الدولة الإسلامية.

وتفصيل الكلام في كتاب الجهاد^(١).

(١) انظر موسوعة الفقه: ج٤٧-٤٨ كتاب الجهاد.

الفتوحات الإسلامية ونشر الدعوة عبر السلم والسلام

وفي البحث المتقدم (حرية العقيدة والأديان في الإسلام) قد يرد إشكال وهو: كيف تصح نظرية حرية العقيدة والأديان في الإسلام وقد كانت في عصور الإسلام الأولى الفتوحات الإسلامية وما هي إلا اسم آخر لحرب فرض من خلالها الإسلام بالقوة على شعوب تلك البلدان المفتوحة؟

والجواب على هذا الإشكال هو: أن الفاتحين لم يفرضوا الإسلام بالإكراه على أحد، ولم يكن دخول الناس في الإسلام بقوة السيف والسلاح، ويتضح ذلك عبر الإجابة على هذه الأسئلة الثلاثة:

١: ما هو الأصل في الإسلام؟ الحرب أم السلام؟.

٢: كيف تم انتشار الدين الإسلامي في البلدان النائية وغيرها؟

٣: ما هي آراء شعوب البلدان المفتوحة في هذه الفتوحات؟

الأصل في الإسلام هو السلام

جواب السؤال الأول: إن الأصل في الإسلام هو السلام، فقد كادت الإمبراطوريات المختلفة أن تقضي على الحرث والنسل، قبل بعثة النبي الأكرم ﷺ، فاختر الله سبحانه وتعالى الإسلام حدياً عليها^(١) ورحمة بها وشريعة سمحاء لها، بعد أن اصطفى الرسول محمداً ﷺ لأداء هذه المهمة المقدسة ونشر الرسالة الطاهرة المطهرة المتمثلة بنشر الرحمة والسلام للبشرية، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢)، وهكذا كانت سيرة عترته الطاهرة ﷺ، فلم يعرف عن الإسلام أنه أعلن الحرب في العالم وهو في ذروة دعوته وانتشاره في أزهى عصور سيادته، إلا ما شرعه دفاعاً^(٣) لدرء الخطر والذود عن النفس والعرض والمال والوطن

(١) حذب فلان على فلان حدياً: أي عطف عليه وحنا، وإنه كالوالد. انظر كتاب العين: ج ٣ ص ١٨٦ مادة (حذب).

(٢) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٣) راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم): ج ١-٢، للإمام المؤلف (أعلى الله مقامه الشريف).

عند الاعتداء على أحدها، من قبل المولعين بالعدوان، من أعداء الإسلام، أو حروب الدفاع عن المستضعفين الذين يرضخون تحت الظلم والعدوان، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا لَكُمْ لَأْتَقَاتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾^(١)، وهي حروب عقلانية إلى أبعد حدّ، ولم ير العالم قبل الإسلام ولا في هذا اليوم ولا في مختلف الحضارات حروباً أظهر وأرفع من الحروب الإسلامية، وذلك ما صرح به وبنزاهتها حتى بعض علماء الغرب الذين يتحرّون الحقيقة ويقولونها، فإن الحرب قد لا يكون منها مناص عقلاً للدفاع عن الدعوة في مواجهة المعتدي والتصدي له، أو الدفاع عن النفس وما أشبه من أسباب مبررة ومسوّغة للحرب، ولذا فإن القاعدة في الإسلام هو السلام، والحرب استثناء ولا يكون إلا في أقصى حالات الضرورة، بينما نشاهد منذ أن أخذت الحضارة الغربية بزمام المبادرة، وتسمنت مقاليد الأمور اشتعل العالم بحروب دموية ضارية لا مثيل لها في التاريخ المكتوب، تجاوزت كل المعايير والقيم والمبادئ، وحسبنا شاهداً في هذا القرن الحربان العالميتان الأخيرتان ونتائجهما الوخيمة السيئة على البشرية إلى هذا اليوم^(٢)، فمن الصحيح أن الحضارة الغربية أمدت البشرية بشيء من الرفاه والتقدم الصناعي وما أشبه ذلك، إلا أنه من الصحيح أيضاً والذي لا يقبل الريبة واللبس أنها دمرت البشرية بالحروب الكبيرة والثورات الفوضوية والفقر وأمثال ذلك.

وحقيقة الفتوحات الإسلامية هي القضاء على الظلم والطغيان من قبل تلك الحكومات التي كانت تعمل كلما هو خلاف الإنسانية، وهي أيضاً وفي نفس الوقت دعوة للشعوب لاعتناق الدين الإسلامي باختيارهم ومن دون إكراه، وذلك لمبادئه السامية السمحاء، وأسلوب هذه الدعوة لم يكن القوة والقسر والضغط، ولم يكن

(١) سورة النساء: ٧٥.

(٢) لقد قتل في حروب القرن العشرين طبقاً لتقرير بريجنسكي (٣٣) مليون شاب، تتراوح أعمارهم (١٨ - ٣٠) عاماً، وهؤلاء قضوا نحبتهم باسم القومية والأيدلوجية، وأهلكت الحربان العالميتان الأولى والثانية من العسكريين حوالي (٨,٥) و(١٩) مليوناً على الترتيب، ويقدر عدد المدنيين من ضحايا الأعمال العدائية الذين سقطوا أثناء الحرب العالمية الأولى بـ(١٣) مليوناً من النساء والأطفال وكبار السن، بينما سقط (٢٠) مليوناً منهم أثناء الحرب العالمية الثانية.

الإكراه فيه وسيلة من وسائل الدخول في الدين كما قال سبحانه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرِّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(١)، وإنما كان السبيل هو النظر المتريث والبحث المتأنى واستعمال العقل وإعمال الفكر الرصين، والنظر في ملكوت السماوات والأرض كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

أما النصراني وغيرهم من الأديان وحتى المشركين، فلم يبدأ الرسول ﷺ بقتل أحد منهم، وقد أرسل ﷺ رسله بعد صلح الحديبية إلى جميع الملوك يدعوهم إلى الإسلام، فأرسل إلى قيصر، وإلى كسرى، وإلى المقوقس، وإلى النجاشي، وإلى ملوك العرب باليمن والشام، فدخل في الإسلام من دخل من النصراني وغيرهم.

ومن هنا لا تعتبر الفتوحات الإسلامية حروباً توسعية، ولا استعمارية، ولا استثمارية، ولا تنازعية، بل هي الدعوة الديمة اللينة إلى دين متكامل من ألفه إلى يائه، فإذا وقف أحد في سبيل هذه الدعوة بتعذيب من آمن بها، أو وضع العقبات في سبيل تقدمها، أو صد من أراد الدخول فيه، أو حجب الداعي عن تبليغه، أو أخذ يخطط لضعضعته وإيهاته، فإن الإسلام يأمر بصد ذلك، وإذا اقتضى الأمر وجب إشهار السيف بالقدر الذي يزيل العثرة والضرر والاعتداء فقط.

وقد ذكر في التاريخ أن أول قتال بدء بين المسلمين والنصارى في الشام، وذلك لما عمدوا إلى قتل بعض من أسلم، فلما شرعوا بقتل المسلمين ظالمين أرسل رسول الله ﷺ عسكرياً إلى مؤتة ولَّى عليهم زيد بن حارثة ودفع الراية إليه وقال إن قتل زيد فالوالي عليكم جعفر بن أبي طالب ﷺ وإن قتل جعفر فالوالي عليكم عبد الله بن رواحة الأنصاري وسكت^(٣)، وهو أول قتال بين المسلمين والنصارى.

ومما تقدم يتبين بوضوح، أن الإسلام لم يأذن بالحرب إلا درءاً للعدوان، وحماية

(١) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٢) سورة الأعراف: ١٨٥.

(٣) للتفصيل راجع الاحتجاج: ج ١ ص ١٦٦.

للدعوة، وتصدياً للاضطهاد، والتماساً لحرية الدين، فإنها حينئذ تكون فريضة من فرائض الدين، وواجباً من واجباته المقدسة ويطلق عليها اسم (الجهاد)^(١). ويستدل مما ذكر ومن الشواهد الكثيرة المذكورة في محلها على دور الإسلام العظيم في نشر الأمن والرخاء في أرجاء المعمورة وذلك من خلال الفتوحات الإسلامية وما كان لها من عظيم الأثر ورفع العقبي في نشر السلام ونشر العلم والتقدم بين شعوب العالم.

انتشار الإسلام بقوته الذاتية

جواب السؤال الثاني: إذا تتبعنا خطوات المسلمين وتأملنا بامعان في الفتوحات الإسلامية نجد أن الإسلام لم ينتشر بقوة السيف وإنما انتشر بقوته الذاتية وحقيقته المنسجمة مع الفطرة الإنسانية وتلبيته لسائر ما يحتاجه البشر من قوانين حيوية، وذلك بأفكاره الغراء الميمونة ومبادئه الحميمة الرفيعة، ونرى من جهة أخرى أن الذين دخلوا في الإسلام، لم يدخلوه عنوة بالسيف والإكراه، وإنما كان السيف لأجل تغيير الحاكم الظالم فقط، فكان إسلام الشعوب لعدة عوامل مهمة منها: أنهم رأوا فيه الحسن والواقعية والمنطق والبرهان، ومساييرته للفطرة الإنسانية وملائمته للطبيعة البشرية، ومن هنا نجد المسلمين إذا اندحروا في جبهات القتال كانوا آخذين بناصية الأمل وزمام المبادرة في جبهات الروح والمعنى.

قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾:

ما زائدة - أي للتأكيد - ﴿مَنْ اللَّهُ لِنْتَ لَهُمْ﴾ أي إن لينك لهم مما يوجب دخولهم في الدين ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾ أي جافياً سيئ الخلق ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ أي قاسي الفؤاد غير ذي رحمة ﴿لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ لتفرق أصحابك عنك ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ ما بينك وبينهم ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾^(٢)، ما بينهم وبينني^(٣).

وقال الزمخشري في كتاب الكشاف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ

(١) للتفصيل راجع موسوعة (الفقه): ج ٤٧-٤٨ كتاب الجهاد.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٣) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٢٨ سورة آل عمران.

الْقَلْبِ لِأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ قال: لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد منهم (١).

يقول السير توماس أرنولد: فتصدت أركان الإمبراطورية العظمى وتبعت قوة الإسلام السياسية وظلت غزواته الروحية مستمرة دون انقطاع، وعندما خربت جماعة المغول بغداد وأغرقوها بالدماء والخراب، وطرد ملك ليون وقتالة المسلمين من قرطبة، ودفعت غرناطة - آخر معقل للإسلام في إسبانيا - الجزية للملك المسيحي، في هذا الوقت بالذات كان الإسلام قد استقرت دعائمه وتوطدت أركانه في جزيرة سومطرة بإندونيسيا وكان على عهده أن يحرز تقدماً ناجحاً في الجزر الواقعة في بلاد الملايو، وفي هذه الفترة التي قوي فيها الإسلام نرى أنه قد حقق بعض غزواته الروحية الرائعة، حتى أن الفاتحين الجبابرة القساة تمسكوا بالإسلام واعتنقوا ديانته، أمثال اعتناق الصليبيين ديانة المسلمين في سوريا وحواليها، واعتناق الأتراك السلاجقة والمغول للإسلام، فحيث كانوا هم يحاربون المسلمين وإذا بهم ينقلبون إلى مسلمين يدافعون عن الإسلام والمسلمين، يقرر السير توماس أرنولد: وقد حمل دعاة الإسلام الذين فقدوا مذهب السلطان والقوه عقيدتهم إلى أفريقية الوسطى والصين والجزائر والهند الشرقية وروسيا وغيرها، ثم صار للإسلام في السنوات الأخيرة أتباع في إنجلترا وأمريكا وأستراليا واليابان، وذلك بفضل معنوية الإسلام وفطريته كما قال سبحانه: ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (٢).

ترحيب الكفار بالفاتحين المسلمين

جواب السؤال الثالث: إن الشعوب المختلفة في البلاد المفتوحة رحبوا بالفاتحين المسلمين أشدّ ترحيب، مضافاً إلى ما يستفاد من الشواهد في موضوعات الاحتجاج بين الإسلام وديانة اليهود والنصارى وغيرهم، وفي صورة من أقوال بعض علماء الغرب عن حقيقة الإسلام، وذلك لعدة عوامل كانت سبباً في استقرارهم وأمنهم، منها:

١. المعاملة الحسنة ومنح الحريات

(١) الطرائف: ج ٢ ص ٣٨٩.

(٢) سورة الروم: ٣٠.

لقد كان المسلمون على امتداد تاريخ الإسلام يعاملون غير المسلمين أحسن من معاملة أمثالهم لهم، وقد ذكر (نورمان لينزانه) لما فتح العثمانيون القسطنطينية، كان أكثر أفراد الشعب المسيحي في عشية الفتح ينفرون من أي اتفاق مع كنيسة روما الكاثوليكية، أشد من نفورهم من الاتفاق مع المسلمين، فما زال الناس يرددون الكلمة المشهورة التي نطق بها رئيس ديني في بيزنطة، في ذلك الحين قال: (لخير لنا أن نرى العمامة في مدينتنا من أن نرى فيها تاج البابوية)، وذلك لأن تاج البابوية كان يضطرهم إلى قيود كثيرة تحد من حرياتهم وتحملهم ما لا طاقة لهم به، وتثقلهم بما تضيق به النفس البشرية ذرعاً، بينما العمامة الإسلامية لم تكن كذلك، وإنما تعطي لهم الحرية في مختلف مشاريعهم وشعائهم ولا تحملهم ما لا طاقة لهم به وما يضيقون به ذرعاً.

٢. سيرة المسلمين وتواضعهم

لقد تحدث مندوبو الموقس عظيم القبط في مصر، بعد أن قابلوا الفاتح الإسلامي، فقالوا: رأينا قوماً الموت أحب إليهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة، ليس لأحد منهم في الدنيا رغبة كجلوسهم على التراب وأميرهم كواحد منهم، لا يعرف كبيرهم من صغيرهم، ولا السيد فيهم من العبد، فإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها أحد، يغسلون أطرافهم بالماء، ويخضعون في صلاتهم.

٣. وفاؤهم ورأفتهم بالبلاد المفتوحة

كتب النصراني في الشام إلى رئيس المسلمين كتاباً يقولون فيه: يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا، كما في (فتوح الشام) للأزدي البصري، وفي (فتوح البلدان) للبلاذري، إن أهل حمص أغلقوا أبواب مدينتهم حتى لا يدخلها جيش هرقل وأعلنوا للمسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الرومان وتعسفهم، وكانت في الشمال قبائل عربية دانت

بالنصرانية زمنًا طويلاً، فلما بدأ الإسلام يصطرع مع الروم سارع بعضهم إلى اعتناق الإسلام والانضمام إلى المسلمين، مثل بني غسان وغيرهم، وكذلك صنعت بعض القبائل العربية التي كانت موالية للفرس في العراق، فقد وفد على قائد المسلمين بعد موقعة القادسية، كثير من العرب النصارى المقيمين على نهر الفرات وأسلموا، كما أسلم إخوان لهم من قبل، وكذلك رحّب القبط في مصر بالفتح الإسلامي وبالقائد الذي قاد إلى الفتح وشكروه لأنه أنقذهم من الاضطهاد الديني ومن عنف الروم وتنكيلهم بمخالفهم في المذهب، وإن كان ديناً واحداً. ولما فتح المسلمون بلاد الفرس لم يلقوا من الشعب مقاومة تذكر لأن حكامه كانوا قد استبدوا بهم غاية الاستبداد وأعتتوهم غاية العنت ولأنهم كانوا يناصرون ديانة زرادشت، التي صارت الدين الرسمي للدولة بعدما كانت مبغوضة بالنسبة إلى كثير من الأهالي، فمنذ صارت الديانة الزرادشتية دين الدولة الرسمي علا مكان كهنتها واستغلوا نفوذهم في اضطهاد الفرق وكانت كثيرة، كما أنهم كانوا يضطهدون النصارى واليهود والصابئة أيضاً، هذا بالإضافة إلى فرض الضرائب الباهضة على مختلف الطبقات، وكان الأغلبية يكرهون تزويجهم من بناتهم وأخواتهم وأمهاتهم، ولما انتصر المسلمون عليهم تنفسوا الصعداء من جهة الدين والضرائب والنكاح، ورحبوا بهم حباً للخلاص من ظلم الحكام ورغبة في إعفائهم من الخدمة العسكرية الجبرية المستغنى عنها، ولأن الحكام الجدد أعطوهم الحريات الدينية والعملية، ولما حارب المسلمون مع أهل الشام النصارى، ائتمر قادة أهل الحرب النصارى لعلاج الأمر وسألوا واحداً واحداً عن سبب تقدم المسلمين عليهم، فأجاب كل بجواب حتى وصل الأمر إلى خادم كان يخدمهم في ذلك المجلس، ولما سألوا منه عن سبب انتصار المسلمين عليهم مع أن أهل البلاد نصارى والجيش نصراني فكيف تمكّن المسلمون من الانتصار عليهم، فأجاب الخادم بعد أن أخذ الأمان منهم قال: لأنهم أفضل منكم وإن كنت على دينكم لكني أدعو الله سبحانه وتعالى

في قلبي كل يوم أن ينتصر المسلمون، ثم بين السبب قائلاً: قد كانت لي مزرعة نعيش فيها أنا وزوجتي وأولادي البنين والبنات ولما جئتم أنتم اغتصب هذا الضابط، (وأشار إلى أحدهم) ابنتي، وهذا الضابط (وأشار إلى ضابط آخر) زوجتي، وهذا الضابط (وأشار إلى ضابط ثالث أولادي) للاستخدام في الجيش، وهذا الضابط (وأشار إلى شخص رابع) اغتصب مزرعتي، فهل تريدون مني أن أنتظر انتصاركم أو أخدمكم بكل قلبي، وإن شعب الشام كلهم على شاكليتي أنتم تحاربونهم في أرزاقهم ومعاشهم وأولادهم وأراضيهم ومزارعهم وزوجاتهم، ولذا يرحب أهل الشام بالمسلمين ويكون ذلك سبب انتصارهم عليكم.

فانتصر المسلمون على النصارى وطردهوا الحكام السابقين الظلمة ورحب بهم أهل البلاد أعظم ترحيب.

ولهذا أحب الكفار المسلمين ودخلوا في دينهم أفواجا، فالآية الكريمة وإن كانت في زمن رسول الله ﷺ: «وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا»^(١)، إلا أن ذلك استمر إلى يومنا هذا حيث الكافرين يدخلون في دين الله أفواجا، وقد أطلعنا على تقرير صدر من لندن، أن جماعات من نساء اليهود يدخلن الإسلام في إسرائيل وغيرها، لما يرين من سماح الإسلام، وإن معاشره رجال مسلمين أفضل لهن من معاشره رجال يهود، ومن الواضح أن الكيان الصهيوني يدعي غاية الديمقراطية والحضارة، والقصص من هذا القبيل كثيرة وسردها يحتاج إلى مجلد ضخم.

وقد وصل الإسلام إلى الجزر النائية في إندونيسيا والمحيط الهندي بالإقناع والبحث والمناظرة وبواسطة التجار المسلمين وذلك عند ما وجد الناس فيهم الوفاء وأداء الأمانة، كما قال الإمام علي عليه السلام: «أصل الدين أداء الأمانة والوفاء بالعهود»^(٢).

وهكذا كان المسلمون ينجحون نجاحاً باهراً ويتقدمون في مختلف بلاد العالم لما

(١) سورة النصر: ٢.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٦ ح ١٤٠٧.

أخذوا بتلك الأسباب المذكورة وبالتسامح والسلم والسلام وعرف ذلك منهم ، وحيث تركوا ذلك التسامح ورجعوا إلى التفرقة والتشدد والتعصب مما نشاهده الآن عند البعض انفضَّ الناس من حولهم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(١) ، والتف الناس إلى موضع آخر فيه شيء من التسامح وهم بعض المتحضرين الغربيين ، مع الفرق الشاسع بين المتحضرين الغربيين في الحال الحاضر وبين المسلمين المتسامحين الأوائل ، حيث إن التسامح كان عند المسلمين^(٢) أكثر من التسامح عند هؤلاء الماديين ، بالإضافة إلى أن المسلمين كانوا يبشرون بالدنيا والآخرة بينما المتحضرين الغربيين لا يبشرون إلا بالدنيا ، والدنيا لا تملأ إلا جزءاً واحداً من جزئي الإنسان ، والإنسان يطالب بالجزء الآخر المربوط بروحه ولا يملأه إلا الآخرة ، ثم إن كلاً من الآخرة والدنيا عند المسلمين مؤيدتان بالعقل القطعي والبراهين الجلية ، والمنطق الإنساني الرفيع .

والتسامح الذي أشرنا إليه ليس فيما ذكر فحسب ، بل شمولي في كل جوانب الإسلام ، فالتسامح أصل بالنسبة إلى شخص المسلم ، وبالنسبة إلى سائر المسلمين ، وبالنسبة إلى غير المسلمين ، وحتى بالنسبة إلى الحيوانات ، كما ستأتي الإشارة إليه في الفصول القادمة بإذن الله تعالى .

العلاقة بين المسلمين وغيرهم

مسألة: يبين الإسلام قانون العلاقة بين المسلمين وغيرهم على أساس السلم والسلام .

فتميل الآيات القرآنية في العديد من خطاباتنا إلى مخاطبة كل طوائف البشر ، مثلاً قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ

(١) سورة آل عمران: ١٥٩ .

(٢) راجع مجموعة ورام: ج ١ ص ١٧٠ ، وفيه: عن جابر: قيل يا رسول الله أي الإيمان أفضل؟ قال ﷺ: «الصبر والسماحة»، وراجع أيضاً مستدرك الوسائل: ج ١٥ ص ٢٥٨ ح ١٨١٧٢ ، وفيه: عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خير خصال المسلمين السماحة والسخاء» .

وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ
قَدِيرًا﴾ ﴿٢﴾.

وقال عزوجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا
خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا﴾ ﴿٣﴾.

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا
مُبِينًا﴾ ﴿٤﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ﴿٥﴾.

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَيْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ
إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَتَنْبُتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٦﴾.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي
الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٧﴾.

وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّأَكُمْ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا
يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ ﴿٩﴾.

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ

- (١) سورة النساء: ١.
- (٢) سورة النساء: ١٣٣.
- (٣) سورة النساء: ١٧٠.
- (٤) سورة النساء: ١٧٤.
- (٥) سورة الأعراف: ١٥٨.
- (٦) سورة يونس: ٢٣.
- (٧) سورة يونس: ٥٧.
- (٨) سورة يونس: ١٠٤.
- (٩) سورة يونس: ١٠٨.

عَظِيمٌ ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مَّضْغَةٍ مَّخَلَقَةٍ وَغَيْرِ مَخَلَقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرَّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ ﴿٢﴾.

وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٣﴾.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسئَلُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٤﴾.

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَآخِشُوا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُم بِاللَّهِ الْعُرُورُ ﴿٥﴾.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِن خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦﴾.

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٧﴾.

إلى غيرها من الآيات.

وهكذا في أحاديث النبي ﷺ وآله الطاهرين عليهم السلام مما هو كثير.

قال رسول الله ﷺ في خطبة الوداع: «أيها الناس إن ربكم لواحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله اتقاكم ليس لعربي على عجمي

(١) سورة الحج: ١.

(٢) سورة الحج: ٥.

(٣) سورة الحج: ٤٩.

(٤) سورة الحج: ٧٣.

(٥) سورة لقمان: ٣٣.

(٦) سورة فاطر: ٣.

(٧) سورة فاطر: ١٥.

ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت اللهم اشهد ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب»^(١).

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: في بيان قانون العلاقة بين المسلمين وغيرهم: « وإما نظير لك في الخلق»^(٢).

ومن خلال ما تقدم تتضح مبادئ طبيعة العلاقة بين المسلمين وغيرهم من المذاهب والملل ومنها:

مبدأ التعارف فيما بينهم

أولاً: إن العلاقة بين المسلمين وغيرهم هي علاقة تعارف، وتعاون، وبر، وعدل، يقول الله سبحانه وتعالى في التعارف المفضي إلى التعاون: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٣).

فكذلك يجب أن تكون العلاقة الإنسانية الشاملة، وكما قال الإمام علي عليه السلام لمالك الأشر: «فإنهم - الناس - صنفان، إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق»^(٤).

والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يتعاملون مع الناس على هذين المبدأين، فإما أن يكون أحاً له في الإيمان، وإما أن يكون له نظيراً في الخلق ومثيلاً له في الإنسانية.

ويقول عزوجل في الالتزام بالبر والعدل: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٥).

وفي الحديث: «أسرع الخير ثواباً البر»^(٦) كما يرشدنا الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) معدن الجواهر: ص ٢١، وراجع أيضاً تحف العقول: ص ٣٠.

(٢) نهج البلاغة: الرسائل ٥٣.

(٣) سورة الحجرات: ١٣.

(٤) نهج البلاغة: الرسائل ٥٣.

(٥) سورة الممتحنة: ٨.

(٦) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٧٩ ح ٥٨٠٣.

مبدأ الأمن والسلام

ثانياً: الإسلام لا يقف عند حد الإشادة بمبدأ التعارف فحسب بل يذهب بفكره ومبادئه إلى مدى أعمق ومسافة أقصى، لقد جعل العلاقة بين الأفراد، وبين الجماعات، وبين الدول، علاقة سلم وسلام وأمان، يستوي في ذلك علاقة المسلمين بعضهم ببعض كما قال رسول الله ﷺ: «المؤمن مرآة لأخيه المؤمن ينصحه إذا غاب عنه، ويميط عنه ما يكره إذا شهد، ويوسع له في المجلس»^(١)،

إلى غير ذلك من سائر روايات الحقوق بين المسلمين والمؤمنين.

أما علاقة المسلمين ببعضهم وبغيرهم فأيضاً يبتني على السلم والسلام، وفيما يلي إشارة إلى ذلك:

مبدأ الحب والإحسان

لقد حث الإسلام المسلمين وحفزهم في الغدو والرواح على حب الخير لجميع البشرية والإحسان لها بما هي عليه، وبما فيها من الكفار، ومن الواضح أن حب الخير للكفار على قسمين:

١: محبة الخير في هدايتهم ومثابرة السعي في ذلك، وهذا عمل الأنبياء والأولياء

(١) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٣٠ ح ٩٥٤٦.

نفسا كافرة إلى الإسلام؟ قال: يا موسى أذن له في الشفاعة يوم القيامة لمن يريد»^(١).
وعلي بن إبراهيم في تفسيره، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾^(٢) قال: «قل للذين مننا عليهم بمعرفتنا أن يعرفوا الذين لا يعلمون فإذا عرفوهم فقد غفر لهم»^(٣).

وعن جابر قال: سمعته يقول: قال أبي عليه السلام: «كونوا من السابقين بالخيرات وكونوا ورقا لا شوك فيه، فإن من كان قبلكم كانوا ورقا لا شوك فيه، وقد خفت أن تكونوا شوكا لا ورق فيه، وكونوا دعاة إلى ربكم وأدخلوا الناس في الإسلام ولا تخرجوهم منه، وكذلك من كان قبلكم يدخلون الناس في الإسلام ولا يخرجونهم منه»^(٤).

إلى غيرها من الروايات الدالة على لزوم السعي لهداية الآخرين بالحكمة والموعظة الحسنة.

٢: محبة الخير لغير المسلمين بقضاء حوائجهم مثلاً، وذلك بصفتهم من البشر أو لجهة خاصة كالرحم الكافر، وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»^(٥).

وفي حديث آخر عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: «ارحم من دونك يرحمك من فوقك»^(٦).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لكل كبد حرى أجر»^(٧).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي أكرم الجار ولو كان كافراً، وأكرم الضيف ولو كان كافراً، وأطع الوالدين ولو كانا كافرين، ولا ترد السائل وإن كان كافراً»^(٨).

(١) بحار الأنوار: ج ٢ ص ١٥ ب ٨ ح ٢٧.

(٢) سورة الجاثية: ١٤.

(٣) تفسير القمي: ج ٢ ص ٢٩٤ سورة الجاثية.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٢٤١ ب ١٨ ح ١٣٩٩٧.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٥٥ ح ١٠١٨٧.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٥ ح ٩٩٧٤.

(٧) جامع الأخبار: ص ١٣٩ ف ٩٩.

(٨) جامع الأخبار: ص ٨٤ ف ٤٠.

وعلى هذا كانت سيرة الرسول ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام ، حيث سقوا أعداءهم الماء وقضوا حوائجهم وأكرمهم على ما ذكرناه في بعض كتبنا^(١).
 وخلاصة القول في هذه العلاقة هو قول القرآن الحكيم إذ يصرح بأن الشعوب والقبائل إنما جعلوا للتعارف لا للتناكر ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾^(٢) ، والخطاب موجه لكل الناس.
 لذا ينبغي أن يتوخى المسلم هداية غير المسلم دون إكراه ، كذلك ينبغي أداء الخير والرحمة بغير المسلم حتى لو أصرَّ على كفره فإنه نظير في الخلق.

أسس تعامل المسلمين مع غيرهم

أراد الإسلام حسن تعامل المسلمين مع غيرهم من الكفار والمشركين ومن أشبه ليطلع الآخرون على عقائد المسلمين وأعمالهم وشعائهم وأخلاقهم ، حتى يرغبوا في الإسلام عقيدة وعملاً ، حيث إن الإسلام جميل في كل شؤونه ، فإذا رآه غير المسلم حرصه على المقارنة والمفاضلة بين الإسلام وما هو عليه وانجذب إليه ضمن مقتضيات حسن العلاقة بينهما.

ومن خصائص السلم والسلام في هذا التعامل أنه يؤدي إلى تبادل المصالح والأفكار والسلوك والمنافع وتقوية الصلات سواء كان الطرف الآخر - غير المسلم - من الكفار الذميين ، أو المحايدين ، أو المعاهدين ، بل وحتى المحاربين في بعض الصور ، وقد اقتبس البعض هذا الأسلوب الرائع فسماه بالوحدة الوطنية أو ما أشبهه ، وقد كان الأمر على هذا الحال منذ فجر الإسلام بين المسلمين ومختلف الكفار. ومن هنا نرى أن الكفار كانوا يدخلون في دين الله أفواجاً.

عن أبي عبد الله عليه السلام أن النبي ﷺ قال : «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه وعلي أولى به من بعدي» فقليل له : ما معنى ذلك؟ فقال : قول النبي ﷺ : «من ترك ديناً أو

(١) انظر كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم) ج ٢ و١ (والسبيل إلى إنهاض المسلمين) و(الصياغة الجديدة) والعديد من مؤلفات الإمام الشيرازي رحمته الله في سيرة رسول الله

ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

(٢) سورة الحجرات: ١٣.

ضياعا فعلي، ومن ترك مالا فلورثته» فالرجل ليست له على نفسه ولاية إذا لم يكن له مال وليس له على عياله أمر ولا نهي إذا لم يجز عليهم النفقة، والنبى ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ ومن بعدهما ألزمهم هذا فمن هناك صاروا أولى بهم من أنفسهم، وما كان سبب إسلام عامة اليهود إلا من بعد هذا القول من رسول الله ﷺ وإنهم آمنوا على أنفسهم وعلى عيالاتهم»^(١).

نعم قد جعل الإسلام علاقة المسلمين بغيرهم قائمة على أسس عقلية أخلاقية وعلى أكمل وجه، مبتنية على السلم والسلام وبعيدة كل البعد عن العنف والإرهاب، وهذا مما يؤدي بالنتيجة إلى إحلال السلام وتأصيله ومن جملة تلك الأسس:

أولاً: المساواة

فقد قال سبحانه بالنسبة إلى عموم العلاقة بين المسلمين وغيرهم ما سبق من قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٢)، فلم يخص الله سبحانه وتعالى هذا الحكم بالمسلمين فحسب، بل يشمل المسلمين والكفار، فكلهم متساوون في الإنسانية وما يرتبط بها من القوانين.

كما أن المسلمين متساوون في حقوقهم وواجباتهم العامة إلا إذا كان هناك استثناء لجهة، مثلاً الوظائف العامة في الدولة الإسلامية كلها للجميع فلا يحق أن يقول الحاكم، أعطي هذه الوظيفة لعربي دون عجمي، أو لأبيض دون أحمر، أو للعنصر الفلاني دون العنصر الفلاني أو للمدينة الفلانية دون المدينة الفلانية، إلا إذا كان شخص أكفاً من شخص آخر حيث تعطى الوظيفة للأكفاً، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٣)، وإن كان الكلام في التقوى، لكن قد يفهم منه المعيار

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٠٦ باب ما يجب من حق الإمام على الرعية ح ٦.

(٢) سورة الحجرات: ١٣.

(٣) سورة الحجرات: ١٣.

كما أشير إليه في القرآن الحكيم: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ﴾^(١)، فهو قوي في العمل وأمين في المعاملة، وفي كلام يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ﴾^(٢)، فإن العمل يحتاج إلى العلم والأمانة في الحفظ، فإذا كان أحد شخصين له الكفاءة دون الآخر قدم الأول، وهذا ليس ضد التساوي وإنما من جهة خارجية انضمت إلى أحدهما دون الآخر، فإن الإنسان لا يسلم الأمور الصغيرة إلى من ليس له حفظ أو إذا كان له حفظ لكنه ليست له أمانة فكيف بالكبيرة؟!، وكيف بوظائف الدولة العامة، وغيرها من سائر المعاملات؟!.

ويعرف مما سبق أنه إذا لم يكن محذور يكون المسلم والكافر متساويين أيضاً فإن علياً عليه السلام صار أجيراً عند يهودي^(٣)، والرسول ﷺ استقرض من يهودي^(٤)، كذلك أمير المؤمنين علي عليه السلام استقرض شعيراً من يهودي فاسترهنه شيئاً فدفع إليه ملاءة فاطمة عليها السلام رهنًا وكانت من الصوف فأدخلها اليهودي إلى داره ووضعها في بيت، فلما كانت الليلة دخلت زوجته البيت الذي فيه الملاءة لشغل فرأت نورا ساطعا أضاء البيت، الحديث^(٥).

ثم لم يقتصر الإسلام في تشريعاته بأصل المساواة بين الإنسان والإنسان، بل ذهب إلى أبعد من هذا فقد أحلّ طعام أهل الكتاب في غير اللحوم فإنها مشروطة بالتذكية، كما أحلّ النكاح منهم حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ مَحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٦).

(١) سورة القصص: ٢٦.

(٢) سورة يوسف: ٥٥.

(٣) راجع مستدرك الوسائل: ج ١٤ ص ٢٨ ح ١٦٠١٤، وفيه: «إن علياً عليه السلام أجر نفسه من يهودي ليستقي الماء كل دلو بتمرّة وجمع التمرات وحمله إلى النبي ﷺ فأكل منه».(٤) راجع فقه القرآن: ج ٢ ص ٥٨، وفيه: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن النبي ﷺ رهن درعه عند أبي الشحم اليهودي على شعير أخذه لأهله».

(٥) للتفصيل راجع الخرائج والجرائح: ج ٢ ص ٥٣٧.

(٦) سورة المائدة: ٥.

وجاء عن أبي مريم الأنصاري عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن طعام أهل الكتاب ونكاحهم حلال هو؟ قال عليه السلام: «نعم كانت تحت طلحة يهودية»^(١).
 وفي موضوع حلية طعام أهل الكتاب ورد أن الرسول صلى الله عليه وآله ذهب إلى ضيافة اليهود، كما أنه أكل من الشاة التي أهدتها إليه يهودية، وقد يرد سؤال هنا وهو: كيف أكل رسول الله صلى الله عليه وآله من ذبيحة اليهود وهي محرمة على المسلمين؟
 والجواب: إنه من المحتمل أن يكون ذلك قبل هذا التشريع، أو تكون اليهودية اشترت الشاة من سوق المسلمين، أو غير ذلك من الاحتمالات المذكورة في الكتب المعنية بهذه الشؤون.

ثانياً: الحرية

إن الحرية الإسلامية للجميع، مسلمين وغير مسلمين، ومن الواضح أن تكون الحرية في إطار الأخلاق والفضيلة والتقوى وعدم الإضرار بالغير وما أشبه مما هو مذكور في بابه، وكما هو شأن المسلم، بعيداً عن الهوى والرياء والتفاخر وحب الذات والأنانية والجاه والسلطان والمال ونحو ذلك، ولا يكون ذلك إلا بالتعددية في الظاهر، وبالخوف من الله سبحانه وتعالى في الباطن، فإن الإيمان رقيب غريب في باطن الإنسان لا يتركه يجيد عن جادة الحق والصواب والخير العام.
 والحرية التي قررها الإسلام ليست خاصة بالمسلمين بل تشمل أهل الكتاب والكافرين أيضاً، ونقتصر على ذكر جملة منها:

١- الحرية الدينية

وقد تكلمنا عن هذه الحرية قبل صفحات في بداية موضوع حرية العقيدة والأديان في الإسلام، وخلصتها أن أهل الكتاب وغيرهم لهما الحق في ممارسة شعائرهم بكل حرية وهم آمنون على عقائدهم، دون أن يجبرهم أحد على تبديل عقيدتهم إلى عقيدة أخرى، أو تبديل أعمالهم إلى أعمال أخرى كل في إطاره وموازينه على تفصيل ذكره في التاريخ والتفسير والفقه الإسلامي.

(١) تهذيب الأحكام: ج ٧ ص ٢٩٨ ح ٤.

٢- الحرية الفكرية والثقافية

جعل الإسلام لغير المسلمين الحرية الفكرية، كما في الحديث والحوار والمجادلة والمناقشة في حدود العقل والمنطق، مع حث المسلمين وغيرهم على التزام الأدب والأخلاق والبعد عن الممارسات التي يابها المنطق السليم من الخشونة والعنف، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١).

وفي آية أخرى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢).

حيث تدل هذه الآيات على غاية الحنان واللفظ والعطف مما لا يتوفر إلا في دين إلهي سماوي.

إن الإسلام يعترف بشكل صريح واضح بحق الحوار والمناقشة بين المسلم وغير المسلم، ولا يقر واقعة إلغاء الحرية الفكرية والثقافية ومصادرة حق النقاش والجدال.

٣ - الحرية العلمية والعملية

الإسلام دين العلم والمعرفة، والتطور والتقدم، وما من شيء فيه إلا ويتحدث عن العلم والمعرفة، والآيات القرآنية والروايات النبوية، وأحاديث العترة الطاهرة عليهم السلام في هذا المجال كثيرة جداً، وهناك شواهد عديدة على حرية أهل الكتاب وغيرهم في مجال العلم والتعلم في عصر النبوة وبعدها، وكذلك في التطور والتقدم العملي، فكانوا يتعلمون الإنجيل والتوراة وما أشبهه، ويقرؤونها ويؤلفون في ذلك ويعملون بها. مضافاً إلى الحريات الأخرى التي منحت لهم كالحريات الاجتماعية والتجارية والاقتصادية وغيرها، على ما سيأتي.

ثالثاً: الرعاية

ولم يقف الإسلام عند حدّ رعاية الكفار فيما لهم من الحقوق، بل كان يرعاهم حتى لو أساءوا أو لم يكن لهم من الحقوق شيء، كما نشاهد ذلك في قصة زيد بن

(١) سورة العنكبوت: ٤٦.

(٢) سورة سبأ: ٢٤.

سعنة الذي كان من أحبار اليهود، فإنه أقرض النبي ﷺ قرصاً كان النبي ﷺ في حاجة إليه، ثم رأى زيد أن يذهب قبل ميعاد الوفاء المحدد ليطالب بدينه، قال زيد: «أتيت الرسول ﷺ فأخذت بمجامع قميصه وردائه، ونظرت إليه بوجه غليظ وقلت له: يا محمد ألا تقضي ديني، فوالله ما علمتكم يا بني عبد المطلب إلا بماطلين، فنظر إليّ عمر وعيناه تدوران في وجهه ثم رماني ببصره، فقال: يا عدو الله أتقول لرسول الله ما أسمع وتصنع به ما أرى، فوالذي نفسي بيده لولا ما أحاذر لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ينظر في هدوء، فقال: يا عمر أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا، أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن الاقتضاء، اذهب يا عمر فأعطه حقه وزده عشرين صاعاً من تمر مكان ما روعته.

قال زيد فذهب عمر فأعطاني حقي وزادني عشرين صاعاً من تمر، فقلت ما هذه الزيادة يا عمر؟

قال: أمرني رسول الله أن أزيدك مكان ما روعتك»^(١).

وهكذا نرى أن اليهودي كان معتدياً على رسول الله ﷺ، ومع ذلك لم يقابله الرسول ﷺ بالمثل بل قابله بالفضل.

وفي حديث صفوان الذي كان للكفار كوزير الدفاع، أن الرسول ﷺ لما أراد أن يذهب إلى غزوة حنين، طلب منه أن يعيره مائة من الدروع، فقال صفوان: أغصباً يا محمد؟

فقال ﷺ: «بل عارية مضمونة».

قال: لا بأس^(٢).

مع العلم أن النبي ﷺ كان هو المسيطر والفتاح، وكان يتمكن أن يأخذ الدروع بالقوة أو يصادرها كما يفعل غيره من الفاتحين.

(١) راجع مجمع الزوائد: ج ٨ ص ٢٣٩، والسيرة النبوية لابن كثير: ج ٢٩٦.

(٢) راجع الكافي: ج ٥ ص ٢٤٠ ح ١٠، وفيه: عن أبي عبد الله ﷺ قال: «بعث رسول

الله ﷺ إلى صفوان بن أمية فاستعار منه سبعين درعاً بأطراقها، فقال صفوان: أغصباً يا محمد؟ فقال النبي ﷺ: بل عارية مضمونة».

رابعاً: حسن المعاملة

شواهد المعاملة الحسنة مع الملل المتواجدة في بلاد المسلمين كثيرة، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «السلام تحيةً لملتنا وأمان لدمتنا»^(١).

وتحية المسلمين التي تؤلف بين القلوب وتقوي الصلات، وتربط الإنسان بأخيه هي السلام، قال رسول الله ﷺ: «أولى الناس بالله وبرسوله من بدأ بالسلام»^(٢).

وبذل السلام، وإفشاؤه جزء من الإيمان، كما عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «ثلاثة من حقائق الإيمان... وبذل السلام لجميع العالم»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بخير أخلاق الدنيا والآخرة؟» قالوا: بلى يا رسول الله، فقال ﷺ: «إفشاء السلام في العالم»^(٤).

وقد جعل الله تحية المسلمين بهذا اللفظ، للإشعار بأن دينهم دين السلام والأمان كما عن رسول الله ﷺ قال: «ما فشا السلام في قوم إلا آمنوا من العذاب، فإن فعلتموه دخلتم الجنة»^(٥)، وهم أهل السلم ومحبو السلام إذا ما التزموا بمنهج الإسلام الحنيف.

وكثرة تكرار لفظ السلام على هذا النحو، مع إحاطته بالجو الديني النفسي، من شأنه أن يوقظ الحواس جميعها، ويوجه الأفكار والأنظار إلى المبدأ السامي العظيم المبني على السلم والسلام.

وهذا ما يشمل خيره غير المسلمين أيضاً، فيشكل أسس المعاملة الحسنة معهم.

ومن شواهد المعاملة الحسنة: الصحيفة التي وادع فيها النبي ﷺ اليهود وذلك لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وأقام أول مجتمع إسلامي هناك، كتب صحيفة معروفة في السير والتواريخ بصحيفة المدينة، تحدثت هذه الصحيفة عن علاقة المسلمين فيما

(١) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٦٠ ح ٩٦٧٠.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٤ ح ٣.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٦١ ح ٩٦٧١.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٦٢ ح ٩٦٧٦.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٦٣ ح ٩٦٨٢.

بينهم، ثم علاقتهم مع بطون اليهود المقيمين آنذاك في المدينة المنورة، مما يعطي درساً في كيفية التعايش السلمي بين المواطنين.

فقد روى ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادّع فيه اليهود وعاهدهم وأقر لهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم، وهذا نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس، وأنه من تبعا من اليهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناحرين عليهم، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، ألا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ^(١) إلا نفسه وأهل بيته، وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم، وأنه لم يَأثم امرؤٌ بحليفه، وأن النصر للمظلوم، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم» إلى آخر الصحيفة^(٢).

والظاهر منها أن اليهود أصبحوا مع المسلمين في المدينة المنورة كأمة واحدة فأراد الرسول ﷺ أن يجعل العيش المشترك على أرض المدينة المنورة محمياً من أي تصدع واختلاف، فألزم الجميع بتلك الوثيقة الواحدة وبالعيش المشترك على أرض المدينة التي كان يسكنها المسلمون وغير المسلمين..

(١) يوتغ: صار ملوماً.

(٢) الصحيفة طويلة تجدها كاملة في بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١٦٨.

والحديث وإن كان يخص اليهود لكن من الواضح أنه لا خصوصية لليهود، فإن أهل الكتاب كلهم بمنزلة واحدة كما قال الفقهاء: الكفر كله ملة واحدة، بل وكذلك حال المشركين من غير أهل الكتاب كما أشرنا إلى ذلك في بعض كتبنا، فإن أغلب البلاد التي فتحت كان فيها المشركون إلى أيام أمير المؤمنين علي عليه السلام مما نجده في التواريخ، وفي نهج البلاغة كلام للإمام عليه السلام إلى عامل من عماله يدل على أنه كان هناك مشركون تحت حكم الإمام وأنهم كانوا يعيشون بسلام.

وفي التاريخ أن ابن عباس كان مجاوراً لليهودي وكان يهتم بالإحسان إليه كما كان يهتم بسواه مراعاة لحرمة الجوار، فالقريب له حرمة، والجار له حرمة، والزوجان لهما حرمتهما، والصديق له حرمة، وإن كان أحدهما مسلماً والآخر غير مسلم، فإن الإسلام يحث على مكارم الأخلاق وإعطاء الحقوق ورعاية الآخرين سواء كان مسلماً أو غير مسلم، فهم كلهم في نظره سواء.

في التاريخ: إن غلاماً لابن عباس ذبح شاة فقال له ابن عباس: إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي، ثم كررها حتى قال له الغلام: كم تقول هذا؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما زال جبرئيل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»^(١).

وقد حرص الإسلام على زيارتهم وعبادة مرضاهم وتقديم الهدايا لهم ومبادرتهم البيع والشراء وسائر المعاملات، وهكذا عمل المسلمون طوال التاريخ الإسلامي، مع غير المسلمين سواء كانوا من أهل الكتاب أو غير أهل الكتاب، وقد ثبت أن النبي ﷺ مات ودرعه مرهونة عند يهودي في دين على الرسول ﷺ لليهودي كما في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام^(٢).

وروي عن ابن عباس قال: إن رسول الله ﷺ توفي ودرعه مرهونه عند رجل

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٥٢ ح ١٠٨.

(٢) راجع وسائل الشيعة: ج ١٨ ص ٣٢٢ ح ٢٣٧٦٦، وفيه: عن جعفر بن محمد عن آبائه

عليهم السلام قال: «لقد قبض رسول الله ﷺ وإن درعه لمرهونة عند يهودي من يهود المدينة بعشرين صاعاً من شعير استلفها نفقة لأهله».

من اليهود على ثلاثين صاعاً من شعير أخذها عليه السلام رزقاً لعياله^(١).

كما ثبت أن الرسول عليه السلام زار ذلك اليهودي الذي كان يصب على رأس الرسول الرماد، وعاده في مرضه، حيث أسلم ببركة أخلاق رسول الله عليه السلام.

وقد ذكر بعض الفقهاء: أن المجوسي لو أراد أن يتزوج بأمه وأخته وبنته ودعا مسلماً للحضور في داره جاز له الذهاب.

كما أن الرسول عليه السلام قبل من يهودية شاة مشوية في قصة مشهورة^(٢).

وأن فاطمة الزهراء عليها السلام وبإجازة من رسول الله عليه السلام ذهبت إلى عرس أقامه اليهود لبعض بناتهم^(٣).

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٣٨٨ ح ١٥٦٨٦.

(٢) عن علي عليه السلام قال: «إن اليهود أتت امرأة منهم يقال لها عبدة فقالت: يا عبدة قد علمت أن محمداً قد هدر ركن بني إسرائيل وهدم اليهودية وقد غالى الملائمة من بني إسرائيل بهذا السم لهم وهم جاعلون لك جعلاً على أن تسميه في هذه الشاة، فعمدت عبدة إلى الشاة فشتوها ثم جمعت الرؤساء في بيتها وأتت رسول الله عليه السلام فقالت: يا محمد قد علمت ما توجب لي وقد حضرني رؤساء اليهود فزيني بأصحابك، فقام رسول الله عليه السلام ومعه علي عليه السلام وأبو دجانة وأبو أيوب وسهل بن حنيف وجماعة من المهاجرين، فلما دخلوا وأخرجت الشاة سدت اليهود أنفها بالصوف وقاموا على أرجلهم وتوكلوا على عصيهم، فقال لهم رسول الله عليه السلام: اقعدي، فقالوا: إنا إذا زارنا نبي لم يقعد منا أحد وكرهنا أن يصل إليه من أنفاسنا ما يتأذى به، وكذبت اليهود عليها لعنة الله إنما فعلت ذلك مخافة سورة السم ودخانها، فلما وضعت الشاة بين يديه تكلم كتفها فقالت: مه يا محمد لا تأكلني فإني مسمومة، فدعا رسول الله عليه السلام عبدة فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟ فقالت: قلت إن كان نبياً لم يضره وإن كان كاذباً أو ساحراً أرحت قومي منه، فهبط جبرئيل عليه السلام فقال: الله السلام يقرئك السلام ويقول: قل بسم الله الذي يسميه به كل مؤمن وبه عز كل مؤمن وبنوره الذي أضاءت به السماوات والأرض ويقدرته التي خضع لها كل جبار عنيد وانتكس كل شيطان مرید من شر السم والسحر واللمم بسم الله العلي (بسم العلي) الملك الفرد الذي لا إله إلا هو «ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً» - سورة الإسراء: ٨٢ - فقال النبي عليه السلام ذلك وأمر أصحابه فتكلموا به، ثم قال: كلوا، ثم أمرهم أن يحتجموا». الأمايلي للشيخ الصدوق ص ٢٢٤ ح ٢.

(٣) إن اليهود كان لهم عرس، فجاؤوا إلى رسول الله عليه السلام وقالوا: لنا حق الجوار فنسألك أن تبعث فاطمة بنتك إلى دارنا حتى يزدان عرسنا بها، وألحوا عليه، فقال عليه السلام: إنها زوجة علي بن أبي طالب وهي بحكمه، وسألوه أن يشفع إلى علي في ذلك وقد جمع اليهود الطم والرم من الحلي والحلل، وظن اليهود أن فاطمة عليها السلام تدخل عليهم في بذلتها وأرادوا استهانة بها فجاء جبرئيل بثياب من الجنة وحلي وحلل لم ير الراؤون مثلاً فلبستها فاطمة عليها السلام وتحلت بها، فتعجب الناس من زينتها وألوانها وطبيعتها فلما دخلت فاطمة عليها السلام دار هؤلاء اليهود، سجد لها نساؤهم يقبلن الأرض بين يديها، وأسلم بسبب ما رأوا خلق كثير من اليهود. الخرائج والجرائح: ج ٢ ص ٥٣٧.

وفي الحديث أن علياً عليه السلام آجر نفسه من يهودي ليستقي الماء كل دلو بتمرة وجمع التمرات وحملها إلى النبي صلى الله عليه وآله فأكلا منه»^(١).

وكان من أخلاق المسلمين أنهم إذا ذبح أحدهم شاة بدأ بجاره اليهودي فبعث إليه شيئاً منها.

وأن علياً عليه السلام في الكوفة شايع يهودياً.

وفي مجال السؤال وقضاء الحاجة بين الناس لا ينبغي مجابهة السائل بالجفاء والنفور أو رده بحجة أنه ليس مؤمناً لقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْنَا مُؤْمِنًا ﴾^(٢).

وعن مصادف قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام بين مكة والمدينة فمررنا على رجل في أصل شجرة وقد ألقى بنفسه فقال عليه السلام: «مل بنا إلى هذا الرجل فإني أخاف أن يكون قد أصابه عطش فملنا فإذا رجل من الفراسين طويل الشعر، فسأله: أعطشان أنت؟

فقال: نعم.

فقال عليه السلام لي: انزل يا مصادف فاسقه.

فنزلت وسقيته ثم ركبت وسرنا فقلت: هذا نصراني فتصدق على نصراني؟ فقال عليه السلام: نعم إذا كانوا في مثل هذا الحال»^(٣).

خامساً: الحماية والدفاع عنهم

كفل الإسلام لأهل الكتاب وغيرهم حريتهم الدينية وحمايتهم ومساواتهم مع المسلمين بشرط أن يدفعا الجزية لدولة الإسلام، كما يدفع المسلمون حقوقهم الشرعية من الخمس والزكاة وما أشبهه.

ومعنى الجزية ليس قبيحاً - كما تصوره البعض - وإنما هي مشتقة من الجزء، بمعنى أن جزءاً من أموال الكفار يؤخذ منهم، مقابل حماية الدولة لهم، ومقابل ما تهيؤه

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ٢٨ ح ١٦٠١٤.

(٢) سورة النساء: ٩٤.

(٣) الكافي: ج ٤ ص ٥٧ ح ٤.

الدولة لهم من الخدمات ، كالمدارس والمعاهد والطرق والمطارات والقطارات وما أشبه ذلك من المنافع العامة .

فأخذ الجزية من غير المسلمين ، هو بدل أخذ الزكاة وما أشبهه من المسلمين ، وإنما الفرق في اللفظ فإن الجزية أخذ جزء من مال الكفار في مقابل الزكاة التي هي عبارة عن التزكية والتطهير .

بل أحياناً جعل التزامات غير المسلمين أقل من التزامات المسلمين ، كما يدل على ذلك نظام الضريبة في الإسلام ، حيث إن الخمس والزكاة ضرائب مرتفعة بالنسبة إلى الجزية ، أما الجزية فهي ضريبة منخفضة جداً ، وفي نظرنا الفقهي - كما ذكرناه في الفقه - يجوز أخذ الجزية من غير أهل الكتاب أيضاً من سائر المشركين ، فإذا سيطر المسلمون مثلاً على الهند ، ونفوس الكفار فيها بمختلف مذاهبهم وأديانهم وطرائقهم وعقائدهم أربعة أضعاف نفوس المسلمين كما هو معلوم ، فإن الحاكم الإسلامي يجوز له أن يأخذ من أولئك أيضاً الجزية وإن لم يكونوا من أهل الكتاب .

وأما بالنسبة لحمايتهم فقد وردت جملة من الروايات في ذلك ومنها ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من أخذ شيئاً من أموال أهل الذمة ظلماً فقد خان الله ورسوله وجميع المؤمنين » (١) .

وعنه ﷺ أيضاً : « من ظلم معاهداً كنت خصمه » (٢) .

وفي الآية : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣﴾ .

نهى الإسلام من مولاة الأعداء الظلمة

(١) الجعفریات: ص ٨١ .

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ١٦٨ .

(٣) سورة الممتحنة: ٨-٩ .

ما ذكر في هذه الصفحات المتقدمة هو الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم، سواء أكانوا في البلاد الإسلامية أو خارجها، ولا تتبدل هذه العلاقة إلا إذا عمل غير المسلمين من جانبهم على تقويض هذه العلاقة وتمزيقها بعداوتهم للمسلمين وظلمهم، وإعلانهم الحرب عليهم، فتكون المقاطعة أمراً دينياً إسلامياً، فضلاً عن أنها عمل سياسي عادل، فهي معاملة بالمثل، والقرآن يوجه أنظار أتباعه إلى هذه الحقيقة، ويحكم فيها الحكم الفصل، فيقول: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^(١)، وقد تضمنت الآية المعاني الآتية:

١. التحذير من الموالاتة والمناصرة للأعداء والظلمة، وذلك لما فيها من التعرض للخطر، وقد ورد عن عبد الله بن سنان أنه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من أعان ظالماً على مظلوم لم يزل الله عزوجل عليه ساخطاً حتى ينزع عن معونته»^(٢).

٢. أن من يفعل ذلك فهو مقطوع عن الله، إلا من باب التقية.

فيقصد بالنهى عن موالاتة الكافرين هو النهي عن محالفتهم ومناصرتهم ضد المسلمين، إذ أن مناصرة الكافرين على المسلمين فيه ضرر بالغ بالكيان الإسلامي، وإضعاف لقوة الجماعة المؤمنة، كما أن الرضا بالكفر، يحظره الإسلام ويمنعه، وطبيعة الإيمان تأبى على المؤمن أن يوالي الكفر الذي يترتب به الدوائر.

وإذا منع الإسلام موالاتة من يحد الله ورسوله، فلأنه منطقي مائة بالمائة حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣).

(١) سورة آل عمران: ٢٨.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٥٧ ح ٢٠٩٦٩.

(٣) سورة المجادلة: ٢٢.

أما الموالاة بمعنى المسالمة، والمعاشرة الجميلة، والمعاملة بالحسنى، وتبادل المصالح، والتعاون على البر والتقوى، فهذا مما دعا إليه الإسلام، فكان المسلمون على مر العصور يتعايشون بوثام مع أهل الديانات الأخرى قبل أن يغزوهم الاستعمار.

يقول القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾^(١).

فالأية تبين أنه لا يصح أن يوجد بين المؤمنين من يصادق أعداءهم مصادقة تضر المؤمنين، ولو كان هؤلاء الأعداء آباء المؤمنين، أو أبناءهم، أو إخوانهم الأقربين.

وقد كان في بدء الدعوة الإسلامية رجال من المسلمين يوالون رجالاً من الكفار لما كان بينهم من قرابة أو جوار أو محالفة، وكانت هذه الموالاة خطراً على سلامة المسلمين، فأنزل الله عزوجل محذراً من هذه الولاية الضارة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَيْنَتْمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

ففي هذه الآية نهى سبحانه وتعالى عن اتخاذ غير المؤمنين بطانة وأصدقاء، أي خاصة تطلعونهم على أسراركم، لأنها السبب في إفساد أمركم، وإنهم يحبون ويتمنون إيقاع الضرر بكم، وقد ظهرت علامات بغضهم لكم من كلامهم، ولشدتها عندهم يصعب عليهم إخفاؤها، وما تخفيه صدورهم من البغض لكم أقوى وأشد مما يفلت من ألسنتهم، فهذه الآيات تجعل المسلمين حذرين من مخططات الأعداء.

وفي موضع آخر من القرآن الكريم يقول الله جل وعلا: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلْيَنُّونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا * وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا * الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فِتْنَةٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ

(١) سورة التوبة: ٦٣.

(٢) سورة آل عمران: ١١٨.

الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١﴾.

وقد تضمنت هذه الآيات:

١. إن المنافقين هم الذين يتخذون الكافرين أولياء، يوالونهم بالمودة، وينصرونهم في السر، متجاوزين ولاية المؤمنين ومعرضين عنها.

٢. إنهم بعملهم هذا يطلبون عند الكافرين العزة والقوة، وهم بذلك مخطئون، لأن العزة والقوة كلها لله وللمؤمنين: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن المؤمن أعز من الجبل، يستقل منه بالمعاول والمؤمن لا يستقل من دينه» (٣).

٣. إن هؤلاء المنافقين ينتظرون ما يحل بالمؤمنين، فإن كان لهم فتح من الله ونصر قالوا: نحن معكم في الدين والجهاد، وإن كان للكافرين نصيب من النصر قالوا: ألم نحافظ عليكم ونمنعكم من إيذاء المؤمنين لكم بخذلانهم وإطلاعكم على أسرارهم حتى انتصرتهم، فأعطونا مما كسبتم.

٤. إن الله سبحانه وتعالى لن يجعل للكافرين على المؤمنين المخلصين في إيمانهم القائم على حدود الله، طريقاً إلى النصر عليهم: أي لا يمكنهم من أن يغلّبهم ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (٤).

وهنا قد يرد سؤال عن قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (٥).

الجواب: إن ظاهر الآية القضية الخارجية لا القضية الحقيقية، كما أن قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ

(١) سورة النساء: ١٣٨-١٤١.

(٢) سورة المنافقون: ٨.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٢١٠ ح ١٣٩٠٦.

(٤) سورة النساء: ١٤١.

(٥) سورة المائدة: ٨٢.

بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيْبِيْنَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ»^(١) كذلك، وهذا يعرف من الجمع بين الآيات القرآنية وكلمات النبي ﷺ وأهل البيت  وأعمالهم.

من مصاديق قانون الإلزام

وهنا لا بد من الإشارة إلى الحكم الإسلامي بالنسبة إلى الكفار وما يرتكبونه من المحرمات، فالحكم هو تركهم وشأنهم لقانون الإلزام^(٢)، نعم لا يجوز لهم إظهار المنكرات لأن ذلك خلاف المعاشية السلمية، فإن اللازم على من يعيشون في دولة أن يحترموا قوانينها.

وأما إذا عرف عنهم - على سبيل المثال - أنهم يتعاونون مع أعداء المسلمين ويتجسسون لهم ويتربصون الدوائر بالمسلمين كما هو حال البعض منهم في عصرنا الحاضر فهم في حكم الأعداء، فإن هذا العمل خيانة لله عزوجل ولكتابه، ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين  وعامتهم، وأنهم لم يراعوا حق الإسلام، ولا حق التاريخ، ولا حق الجوار، ولا حق المظلومين، ولا حق حاضر هذه المنطقة، ولا حق مستقبلها.

الخلاصة:

ونختم هذا الفصل بذكر خلاصة لهذه العلاقة التي تربط بين المسلمين وغيرهم من المذاهب والملل في البلاد الإسلامية بجملة من النقاط بعد أن رأينا كيف حقق الإسلام المساواة بين الذميين والمسلمين، فكان لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم: أولاً: عدم إكراه أحد منهم على ترك دينه أو إكراهه على عقيدة معينة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرِّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(٣).

(١) سورة المائدة: ٨٢.

(٢) قوله ﷺ: «ألزموهم من ذلك ما ألزموه أنفسهم» تهذيب الأحكام: ج ٨ ص ٥٨ ح ١٠٩،

وقوله ﷺ: «ألزموهم بما ألزموا أنفسهم» نفس المصدر: ج ٩ ص ٣٢٢ ح ١٢.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٦.

ثانياً: من حق أهل الكتاب أن يمارسوا شعائر دينهم: فلا تهدم لهم كنيسة، ولا يكسر لهم صليب، وقد ورد عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام: «من كان يدين بدين قوم لزمته أحكامهم»^(١)، بل من حق زوجة المسلم (اليهودية أو النصرانية) أن تذهب إلى الكنيسة أو إلى المعبد حالها حال الزوجة المسلمة في ذهابها إلى المسجد.

ثالثاً: ترك لهم الإسلام ما أباحه لهم دينهم من الطعام وغيره، ما دام ذلك جائزاً عندهم ولم يتظاهروا به في المجتمع الإسلامي.

رابعاً: لهم الحرية في قضايا الزواج والطلاق والنفقة حسب دينهم، ولهم أن يتصرفوا كما يشاؤون فيها، دون أن توضع لهم قيود أو حدود إلا ما حدده الشرع الإسلامي مثلاً: إذا حصل تزواج بين المسلمين وأهل الكتاب.

خامساً: حمى الإسلام كرامتهم، وصان حقوقهم، وجعل لهم الحرية في الجدل والمناقشة في حدود العقل والمنطق، مع التزام الأدب والبعد عن الخشونة والعنف.

سادساً: ساوى بينهم وبين المسلمين في القوانين العامة للبلاد.

سابعاً: حكم الإسلام بطهارة أهل الكتاب وأحل طعامهم^(٢) والتزوج بنسائهم، وجواز التعامل معهم.

ثامناً: يجبذ الإسلام زيارتهم وعبادة مرضاهم، وتقديم الهدايا لهم، وقضاء حوائجهم، ويسمح بمبادلتهم البيع والشراء ونحو ذلك من المعاملات.

تاسعاً: يجرى الإسلام على السعي لهديتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ومن دون إي إكراه.

عاشراً: منحهم الإسلام حرية الحوار والنقاش والمحاجة مع علماء المسلمين، كما هو المشاهد في كتاب الاحتجاج للعلامة الطبرسي ثُمَّرْتُهُ.

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٤٠٧ ح ٤٤٢١.

(٢) في غير اللحوم فإنها مشروطة بالتذكية الشرعية.

الفصل الثاني

السلم والسلم

في السياسة والحكم

أصالة الحرية السياسية

- مساحة الحرية في النظرية الإسلامية
- معنى الحرية
- الفرق بين الحريات الإسلامية والغربية
- حرية الروح
- مفهوم الحرية السياسية
- حق الانتخاب

مبدأ الاستشارة وخصائصه وبعض تطبيقاته

- خصائص مبدأ الاستشارة
- نماذج من سيرة الرسول ﷺ في الاستشارة
- دلالات مبدأ الاستشارة

الحركات والتيارات الإسلامية المعاصرة

- أسباب عدم تمكن الحركات الإسلامية من الوصول إلى الحكم
- مؤتمرات لنجاح الحركات الإسلامية
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

نظرة الإسلام لظاهرة العنف والإرهاب

- أوجه الصراع البشرية
- دلالات مصطلح الإرهاب

□ خصائص الإرهاب

أنواع الإرهاب

□ إرهاب الدولة والأفراد

□ الإرهاب السياسي

□ الإرهاب الاستعماري

الدور الإسلامي في إزالة الإرهاب

□ زوال الإرهاب المدني

□ الحكمة في تشريع الحدود والقصاص

□ زوال الإرهاب الدولي والإرهاب السياسي

□ زوال الإرهاب الاستعماري

مسائل في السلم والسلام السياسي

أصالة الحرية السياسية

مسألة: جاء الإسلام بمجموعة من المبادئ والمفاهيم الخالدة التي حظيت بعظيم الاهتمام والعناية، ووفير الانتباه والتوقير من قبل شعوب العالم، وخاصة في باب السلم والسلام، فكانت محط أنظار الإنسانية ومحور تفكيرها على مر القرون والأزمان، وأصبحت - بالإضافة إلى كثير من الأحكام المشرفة الأخرى - سببا لاستقطاب سائر أممها وشعوبها إلى الإسلام، ومن هذه المفاهيم على سبيل المثال مفهوم (الأمة الواحدة) و(الأخوة الإسلامية) ومن أدل الآيات القرآنية على مفهوم (الأمة الواحدة) قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(١).
وأما بالنسبة إلى الأخوة الإسلامية فقالت الآية: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾^(٢).

وهناك مبدأ آخر أولاه الإسلام عناية بالغة ورعاية مهمة وهو مبدأ الحرية، ومن الأدلة القرآنية عليه قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾^(٣).

وقد يستفاد هذا المعنى من الآية الكريمة أيضا: ﴿النَّبِيِّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾^(٤). حيث لهم الولاية وهي تعني الحرية.

ومن الأحاديث النبوية التي دلت على هذا المبدأ قوله ﷺ: «الناس مسلطون على أموالهم»^(٥)، وقد ألحق الفقهاء بالحديث، قولهم: (وأنفسهم) مستنبطين ذلك من الآية الشريفة.

ومن أحاديث العترة الطاهرة قول أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تكن عبد غيرك وقد

(١) سورة الأنبياء: ٩٢.
(٢) سورة الحجرات: ١٠.
(٣) سورة الأعراف: ١٥٧.
(٤) سورة الأحزاب: ٦.
(٥) غوالي اللآلي: ج ١ ص ٢٢٢ ح ٩٩.

جعلك الله حراً»^(١). إلى غيرها من الروايات.

فالأصل في الإسلام الحرية، وهي تستلزم السلم والسلام، فإنهما ضمان للحرية الشخصية والاجتماعية كما لا يخفى.

مساحة الحرية في النظرية الإسلامية

مسألة: إن الله سبحانه وتعالى هو الخالق، البارئ، المصور، المحيي، المميت، النافع، الضار، الرزاق، ذو القوة المتين، والجبروت والسلطان، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

ومع ذلك كله خلق الإنسان مختاراً ونسب إليه المشيئة، حيث قال تعالى:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٣).

﴿إِنْ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾^(٤).

﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكَرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾^(٥).

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكَرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾^(٦).

﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾^(٧).

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٨).

ومن خلال مجموع هذه الآيات يعرف أصل حرية الإنسان، وأن لها أكبر المساحات في الإسلام وأنه ليس لغير الله على البشر من سلطان، وحينما يتحرر الضمير من شعور العبادة والخضوع والانقياد لغير الله سبحانه وتعالى، يأتي دور سائر الحريات

(١) مستدرک الوسائل: ج ٧ ص ٢٣١ ح ٨١١٦.

(٢) سورة الحشر: ٢٤.

(٣) سورة الكهف: ٢٩.

(٤) سورة المزمل: ١٩، سورة الإنسان: ٢٩.

(٥) سورة المدثر: ٥٤-٥٥.

(٦) سورة عبس: ١١-١٢.

(٧) سورة النبأ: ٣٩.

(٨) سورة آل عمران: ٦٤.

المنوحة للإنسان في مختلف معاملاته وسائر شؤونه الفردية والاجتماعية وغير ذلك. وبمعنى آخر إن الحرية في النظرية الإسلامية ليست بمعنى الانطلاق غير المحدود بفعل المحرمات وترك الواجبات حتى لا يقف عند حد ولا يعبأ بالقيم ويتمرد على المجتمع، وإنما تعني الانطلاق البناء الذي يتطلع إلى فضائل الخير في أرجاء النفس والفكر والعقل والمجتمع فيبني ولا يهدم ويقوم المعوج فيذهب إلى المزيد من التقدم ويطلب الحق والعدل دائماً، كما يطلب المساواة في موضعها.

فليست هناك مساواة مطلقة، كما أنه لا تصح الحرية المطلقة حتى وإن كانت على حساب الآخرين، وإنما لكل واحد منهما منطقة خاصة به، فإذا تحولت الحرية أو المساواة في غير منطقة العدل، فإن ذلك يسبب خبالاً وفساداً.

فالحرية تعني أن كل إنسان حرّ في كل شيء، ما عدا المحرمات والواجبات، حيث إن المحرمات يلزم تركها، والواجبات يلزم فعلها، وذلك رعاية لمصلحة الإنسان نفسه أو بني نوعه، ومن المعلوم أن الواجبات والمحرمات بإزاء سائر الحريات شيء قليل.

معنى الحرية

والحرية في الإسلام ليس معناها الانغمار في الشهوات الطائشة أو الهوى المتبع أو تهدف غرضاً غير نبيل توجب سلب حقوق الآخرين، فالوجدان محرر من العبودية والخضوع والانقياد لغير الله سبحانه وتعالى سواء كان أصناماً بشرية أو أصناماً حجرية، وقد قال الإمام الحسين عليه السلام للحر بن يزيد الرياحي في يوم عاشوراء: «ما أخطأت أمك إذ سمتك حرّاً فأنت حرّ في الدنيا وسعيد في الآخرة»^(١).

وقد قال الإمام علي عليه السلام في يوم الخندق وهو يصرع عمرو بن عبد ود أحد

صناديد قريش:

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرت رب محمد بصواب
فغدوت حين تركته متجدلاً كالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو أنني كنت المجدل بزني أثوابي

(١) راجع اللهوف: ص ١٠٤.

لا تحسبن الله خاذل دينه ونبيه يا معشر الأحزاب (١)

وفي هذه الآيات بيان لمصير الإنسان الذي حباه الله بالعقل وقدرة التمييز، فيصبح أسير هواه حتى يعود صريعاً في سبيل الحجارة التي لا تكون عاقلة ولا مبصرة ولا سمیعة ولا علیمة ولا فاعلة، وإنما يعبد ما لا يضر ولا ينفع، وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام دعاه إلى الإسلام قبل أن يصرعه لكنه أصر على السفاهة والتزم بما لا يؤيده عقل ولا منطق ولا ضمير ولا حتى عاطفة، مما سبب له ذلك المصير الأسود والعاقبة الوبيلة.

والحرية شيء طبيعي وفطري، إذ يتشوق إليها كل إنسان حتى وإن وقع في أزمة أو مأزق أو ما أشبه ذلك، فقد قال مسلم بن عقيل عليه السلام وهو سفير الحسين عليه السلام إلى الكوفة:

أقسمت لا أقتل إلا حراً وإن رأيت الموت شيئاً نكراً (٢)

الفرق بين الحريات الإسلامية والغربية

لم تعط أرقى الحضارات مبدأ الحرية حقها، وإنما طبقت منها ما يتلاءم مع مصالحها الضيقة، ومع ذلك نجد المسلمين في واقعنا المعاصر تركوا الحريات الإسلامية - التي فيها كل خير وسيادة وسعادة - إلى القيود التي ﴿مَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ (٣)، وسبب ذلك لهم التأخر، الشأن الذي لم يكن مسبوقاً في تاريخ الإسلام الطويل إطلاقاً، وإنما جاءت هذه التبعية للغرب والشرق منذ أقل من قرن فذاقوا وبال أمرهم حيث سقطت سيادتهم وسعادتهم واستقلالهم، وحرموا من الحرية الممنوحة من قبل الإسلام.

حرية الروح

(١) كشف الغمة: ج ١ ص ١٩٩.

(٢) الإرشاد: ج ٢ ص ٥٨.

(٣) سورة يوسف: ٤٠، وسورة النجم: ٢٣.

من اللازم على الإنسان أن يتمتع بجزية الروح وقوة النفس، فلا يقع ضحية المال أو الجاه أو الشهوة الجنسية أو السلطان أو الحسب أو النسب، فإن كل ذلك خلاف الحرية، فإذا وجد الإنسان نفسه خاضعاً بتأثير أي أمر من تلك الأمور وأشباهاها فإنه لا يتمتع بجزية كاملة حيالها، كما قال عيسى بن مريم عليه السلام لأصحابه: إنكم لن تنالوا ما تريدون إلا بترك ما تشتهون وبصبركم على ما تكرهون^(١).

وهذه الحرية من ميزات الدين الإسلامي، حيث يجعل الروح حراً أمام كل الشهوات.

قال علي عليه السلام: «إياكم وغلبة الشهوات على قلوبكم فإن بدايتها ملكة ونهايتها هلكة»^(٢).

وقال عليه السلام: «عبد الشهوة أسير لا ينفك أسره»^(٣).

وقال عليه السلام: «مملوك الشهوة أذل من مملوك الرق»^(٤).

وقد قال أحد الفلاسفة لأحد الملوك: أنت عبد عبدي، ولما استفسره عن السر،

قال: إن شهوتي عبدي وخاضعة لي وأنت عبد للشهوة فأنت عبد عبدي.

وقد تعرض القرآن الحكيم إلى بعض أمثال هذه القيم الزائفة حيث قال سبحانه: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآلَتِي تُفْرَبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ * وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(٥).

وفي آية أخرى من آيات القرآن الكريم، وكلها آيات جامعة وصميمية الأثر،

يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾^(٦).

(١) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٣٤١ ح ١٣٢١٢.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٠٥ ح ٦٩٧٤.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٠٥ ح ٦٩٦٧.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٣٤٧.

(٥) سورة سبأ: ٣٥ - ٣٩.

(٦) سورة الحجرات: ١٣.

فالكرامة ليست للمال، ولا للسلطان، ولا للعشيرة، ولا للمكانة الاجتماعية وإنما الكرامة للتقوى، كما عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: «ما نقل الله عزوجل عبدا من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلا أغناه من غير مال، وأعزه من غير عشيرة، وآنسه من غير بشر»^(١).

فكلما زادت تقوى الإنسان زادت كرامته وكذلك يصح العكس، هذا بالنسبة إلى العقل والمنطق في الدنيا، وأما بالنسبة إلى الآخرة فلا تبقى قيمة إطلاقاً إلا قيمة الحق والعدل وسائر الواقعيات.

مفهوم الحرية السياسية

وقد ذكرنا في كتاب (الفقه: الحريات) وغيرها ألف قسم من الحريات الإسلامية، وما نشير له في مطاوي هذا الكتاب هو الذي يتعلق في بعض موضوعات بحث السلم والسلام، وسيكون الحديث في هذا الموضوع عن الحرية السياسية.

قد تحدثنا في الفصل الأول عن الحرية الدينية وأثرها على السلم والسلام في العقيدة والأديان والمذاهب، وهنا سنتحدث عن الحرية السياسية وهي لا تقل أهمية في نشر السلم والسلام في المجتمع عن الحرية الدينية. وإليكم بعض مصاديقها:

حق الانتخاب

حق الانتخاب لكل فرد فرد، رجلاً كان أو امرأة، صغيراً أو كبيراً، فإن الطفل يمكنه المشاركة بالانتخابات عبر وليه على تفصيل ذكرناه في بعض كتبنا، إنه من الحقوق السياسية التي شرعها الإسلام للإنسان.

فقد جعل الإسلام لكل فرد من المسلمين حق أن يعطي رأيه وأن ينتخب من يريده في رئاسة الجمهورية وما أشبه.

نعم الإمامة تعين من قبل الله تعالى، لأن الإمامة كالنبوة هي خلافة الله في الأرض ومشروطة بالعصمة والعلم اللدني، يقول تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾^(٢)

(١) الكافي: ج ٢ ص ٧٦ ح ٨.

(٢) سورة البقرة: ١٢٤.

ومن هنا تتميز الإمامة والنبوة بالمعجز التي لا يقدر البشر عليها. ولكن في غير منصب النبوة والإمامة، الإنسان مختار في انتخاب من يراه صالحاً في إدارة أموره، وله الحق أيضاً في أن يساهم بنفسه في إدارة شؤون الدولة والأمة، وقد يكون ذلك واجبا عقلاً إذا توقف الواجب عليه من باب المقدمة، فحقّ انتخاب رئيس الدولة وما أشبهه حق مكفول لكل فرد من أفراد المجتمع، وقد ذكرنا في كتبنا السياسية أن اللازم أن يكون حتى للصغار حق الرأي والانتخاب لكن حيث لا يتمكنون من مزاوله ذلك بأنفسهم فيشاركون عبر وليهم الشرعي.

فالحرّيات السياسية بمختلف مصاديقها هي حق مشروع لكل إنسان، من المشاركة في الدولة، والترشيح، وإبداء الرأي، وحقوق المعارضة، وتشكيل الأحزاب والتجمعات، وإصدار الصحف والمجلات، والبت عبر الإذاعات والتلفزيونات وما أشبهه. وكل هذه مما يضمن السلم والسلام السياسي، أما العنف والإرهاب والقمع والظلم والاستبداد فإنها تنافي السلم والسلام.

فالمفردات التي يلزم أن تبحث تحت هذا العنوان (الحرّيات السياسية) كثيرة وليس من هدف هذا الكتاب الإحاطة بتلكم التفاصيل، فهو يميل في الأغلب إلى ذكر العناوين والخطوط العامة، وقد تطرقنا إلى الكثير مما يرتبط بهذه المباحث في بعض كتبنا بصورة مفصلة. وسنقتصر هنا بالإشارة إلى ثلاثة من المفردات التي تنطوي تحت هذا العنوان (الحرية السياسية) وهي:

مبدأ الاستشارة وخصائصه وتطبيقاته

خصائص مبدأ الاستشارة

هنالك عدة أمور هي من جملة المفاهيم التي يقوم بها السلام السياسي، فإذا طبقت وفق تعاليم النظرية الإسلامية سيعم السلم والسلام والأمن المجتمع، وتزول عنه مظاهر العنف والإرهاب والجور والظلم، من أهمها: استشارية الحكم وعدم

الاستبداد به. والمجالات التي يمكن أن تتدخل فيها الشورى والاستشارة كثيرة جدا، فلها دور في المجال التربوي والاقتصادي، ولها مساحة واسعة في البعد الاجتماعي، ولها ميدان واسع في العديد من مجالات الحياة، والحديث هنا عما يتناول بعدها السياسي، أي استشارة الحاكم لرعيته في مجال السياسة والحكم وعدم استبداده به، ومن جملة خصائص الشورى:

١: إنها مجال خصب وميدان واسع لحرية التعبير والانتخاب في الميدان السياسي. وبما أن حرية الرأي في الانتخاب من الأمور الضرورية في المجتمع الإسلامي فقد أولاهما التشريع الإسلامي عناية بالغة، حيث ورد الحديث عنها في القرآن الكريم فقال سبحانه: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٢)، وفي صغرى من صغريات المسألة قال سبحانه: ﴿وَتَشَاوِرِ﴾^(٣).

٢: الشورى والاستشارة هي عملية تكامل للإنسان على المستوى الفكري والسياسي، ولها دور إيجابي في إرساء دعائم كيان المجتمع السليم، والحكومة الرشيدة، إذ فيها تتم عملية التنظيم السياسي بأنجح صورته.

٣: الشورى والاستشارة هي الإطار الصحيح للآراء المتعددة، وهي الضابط الذي يجعل الآراء المتخالفة في توجيه سليم. وقد قلنا في بعض كتبنا إن الله سبحانه وتعالى حل كل الاختلافات في كلمتين: كلمة الشورى للأكثرية حيث تكون حاکمة على الرأي الفردي، وكلمة القرعة حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿فَسَاهَمَ﴾^(٤) فإذا لم تكن أكثرية بأن تساوت الآراء، أو أن البعض كان حيادا والرأيان الآخران متساويين كانت القرعة محكمة، وقد قال الشاعر:

شاوِر صديقك في الخفي المشكل واقبل نصيحة ناصح متفضل

فالله قد أوصى بذاك نبيه في قوله شاوِرهم وتوكل

(١) سورة الشورى: ٣٨.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٣) سورة البقرة: ٢٣٣.

(٤) سورة الصافات: ١٤١.

وإذا فقدت الأكثرية مرة بالاقتراع يكون حل المعضل (١)

نماذج من سيرة الرسول ﷺ في الاستشارة

قد ذكرنا في بعض كتبنا السياسية أن مبدأ الشورى والاستشارة يلزم تطبيقها من المعمل الصغير إلى رئاسة الدولة الكبيرة، فإن من الواضح أن الآراء خير من رأي واحد، وأكثرية الآراء خير من أقليتها بالنسبة إلى الإطار العام، حتى إن خلافه إذا اتفق يكون خلافا ضئيلا، وقد كان رسول الله ﷺ يقول مكرراً: «أيها الناس أشيروا علي» (٢)، يقصد بذلك تدريبهم على المشورة والرأي.

كما أن قوله ﷺ: «أنا في الحزب الذي فيه ابن الأدرع» (٣) «(٤) يدل على أنه كانت في زمانه أحزاب أيضا، ولا ينافي ذلك أن يكون المجموع هم من (حزب الله) كما أن أصحاب الأحزاب الباطلة هم بأجمعهم في (حزب الشيطان).

وقد كان النبي ﷺ على رفعة نفسه وكثرة علمه واتصاله بالوحي وأنه ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٥) يستشير أصحابه ويأخذ برأيهم في العديد من القضايا وربما فيما خالف رأيه المبارك، وذلك لتمرينهم على مبدأ الاستشارة، حتى فيما يرتبط بالسياسة وفي أمور الدولة والأمة، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه محمد بن الحنفية: «يا بني إياك والاتكال على الأمانى..» إلى أن قال: «قد خاطر بنفسه من استغنى برأيه، ومن استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ» (٦).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «ما يمنع أحدكم إذا ورد عليه ما لا قبل له به أن يستشير رجلا عاقلا له دين وورع» ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: «أما إنه إذا فعل ذلك لم يخذله

(١) راجع نهج السعادة: ج ٧ ص ٢٨٢.

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ٢٥٨.

(٣) هو محجن بن الأدرع الأسلمي، له صحبة، مات في زمن معاوية، وهو الذي اختط مسجد البصرة.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ٧٩ ح ١٦١٤٢.

(٥) سورة النجم: ٣-٤.

(٦) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٨٨ ح ٥٨٣٤.

الله بل يرفعه الله ورماه بخير الأمور وأقربها إلى الله»^(١).

وهذه جملة من مشاورة الرسول ﷺ لأصحابه والتي نرى فيها السلم والسلام بينا في نتائجهما:

في غزوة بدر

جاء الحباب بن المنذر إلى رسول الله ﷺ في غزوة بدر، حيث نزل رسول الله ﷺ في مكان فقال: يا رسول الله أ رأيت هذا المنزل أ منزل أنزلك الله سبحانه ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال الرسول ﷺ: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة».

فقال الحباب: يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل فامض بالناس حتى تأتي أدنى مياه القوم فنشرب ولا يشربون. فقال الرسول ﷺ: «لقد أشرت بالرأي»^(٢) وأخذ برأيه، لكن كلام حباب (ولا يشربون) لم يفعل به الرسول ﷺ إنما جعل أحواضا من الماء ملأ المسلمون مياه الآبار فيها، ولما جاء الكفار وأرادوا أن يأخذوا الماء أذن لهم الرسول ﷺ فأخذوا الماء كما شاءوا.

في غزوة الأحزاب

وفي غزوة الأحزاب أخذ النبي ﷺ برأي جماعة من أصحابه حيث اختلفوا هل يخرجون من المدينة إلى الخارج ويحاربون الأحزاب، أم يبقون في داخل المدينة فإذا جاءهم الكفار حاربوهم؟، وكان رسول الله ﷺ يظهر أولا برجحان المقام في المدينة ليرتك الأحزاب حتى يقدموا عليهم فيحاربهم في طرقها ولكن تقدم سلمان الفارسي (رضوان الله عليه) فأشار بالخذق وأخذ الرسول ﷺ برأيه وخرجوا من المدينة وكان رأيه الصواب^(٣).

في حصار الطائف

وفي مورد آخر حيث طال حصار الرسول ﷺ لأهل الطائف، رأى بعض

(١) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٤٢ ح ١٥٥٩٦.

(٢) للتفصيل راجع شرح نهج البلاغة: ج ١٤ ص ١١٥.

(٣) راجع الإرشاد: ج ١ ص ٩٤.

الصحابة أن يفاوض الرسول ﷺ أهل الطائف وقبل الرسول ﷺ رأيهم، فدخل في مفاوضات مع أهل الطائف^(١).

ثمار المدينة

وفي قصة أخرى أراد أن يعطي الرسول ﷺ للكفار ثلث ثمار المدينة، بشرط أن لا يجاربوا المسلمين، فسأل سعد بن معاذ الرسول ﷺ عما إذا كان للوحي دخل في ذلك؟ فقال الرسول ﷺ: «إنما هو أمر صنعته لكم رجوت من ورائه الخير»^(٢)، فقال سعد: اتركها يا رسول الله، إنهم لم ينالوا من ثمره حين كنا قبل الإسلام أذلاء، أفبعد أن أعزنا الله بك يأخذون ثمار المدينة عنوة لا والله، فقبل الرسول ﷺ رأيه وردّ الكفار خائبين^(٣).

صلح الحديبية

ومن القصص الغريبة عن الرسول ﷺ في مسألة المشورة ما قام به في شروط صلح الحديبية حيث إن النبي ﷺ أخبر أصحابه وهم مجتمعون في المسجد أنه ﷺ رأى في منامه أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين، محلّقين رؤوسهم ومقصرين كما ذكرتها الآية الكريمة: «لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ»^(٤)، فخرج رسول الله ﷺ بأصحابه إلى الحج وبذل قصارى جهده في إقناع قريش أنه خرج حاجا وزائرا لا غازيا ولا محاربا، لكن أهل مكة رأوا أن ذلك إهانة لهم وهم أصحاب العدة والمنعة والقوة، فوقفوا أمام الرسول ﷺ وصدّوه وأتباعه عن مكة المكرمة وعن المسجد الحرام وتآزم الموقف حتى انتهى بمعاهدة أمضيت بين المسلمين والمشركين على شروط لمدة معينة، منها من هاجر من المكيين إلى المسلمين يرده المسلمون إليهم ولا يرد المشركون من هاجر إليهم من المسلمين، وأن يرجع المسلمون عن مكة هذا العام على أن يدخلوها في العام المقبل، لكن أصحاب الرسول ﷺ قد رأوا في تلك المعاهدة

(١) لمزيد من الاطلاع راجع بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٥٤، وج ٢١ ص ١٧٩.

(٢) للتفصيل راجع الإرشاد: ج ١ ص ٩٤، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٢٥٠.

(٣) راجع الإرشاد: ج ١ ص ٩٤، بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٥٠.

(٤) سورة الفتح: ٢٧.

إجحافاً لحقوق المسلمين، ولونا من الإهانة والذلة والاستصغار لا يتفق مع عزة الإسلام وكرامته، ولذا استبد ببعضهم الغضب وظهر على وجوههم غيظهم، وكان البعض منهم يعبر عن ثورته بكلمات ما كان يظن أن يجري مثلها من آمن بالله واليوم الآخر، فقال مكذِّباً للرسول ﷺ ورؤياه حيث قال: والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا دخلنا المسجد الحرام ألتست رسول الله وألسنا نحن المسلمين وأليس الله أخبرك بأنك تدخل فتحلق وتقصّر فعلام نعطي هذه الدنية في ديننا، لكن الرسول ﷺ حلم حلما كبيرا لأنه عرف أن هذا الرجل لا يعرف عاقبة الأمر وإنما العاقبة هي المعيار، وأخيرا أصدر الرسول ﷺ أوامره إلى أصحابه لكي يستعدوا للرجوع إلى المدينة، وطلب منهم أن يتحللوا من إحرامهم فعظم الأمر عليهم ولم ينقادوا إلى تنفيذ أمر الرسول ﷺ، وبدت علامات العصيان والتمرد على وجوههم، واشتد غضب الرسول ﷺ إذ كيف يمضي صلحا مع أعداء له ثم يغضبه جيشه ويثور عليه في تنفيذ أمره والوفاء بعهده، فدخل الرسول ﷺ على زوجته (أم سلمة) في هذا الموقف الحرج قائلا لها: «هلك المسلمون يا أم سلمة أمرتهم فلم يطيعوا» وهنا يظهر مقدار السمو ومبلغ التوفيق في الرأي والمشورة حتى عند امرأة كأم سلمة، فقالت أم سلمة: اعذرهم يا رسول الله، فقد حملتهم أمرا عظيما في الصلح فهم بذلك مكرهون، والرأي أن تخرج ولا تثور على أحد، فتبدأ بما تريد من الحلق، فإذا رأوك فعلت تبعوك وعلموا أن الأمر حتم لا هوادة وهم مؤمنون بك، محبوك ومضحون لك، فاستقر قلب النبي ﷺ على رأي أم سلمة وفكرها الثاقب فقام من فوره، وحلق أمامهم وصدق رأي أم سلمة فلم يخالفه المسلمون حين رأوا النبي ﷺ حتى فعلوا مثله من الحلق، ثم رجعوا إلى المدينة موافقين بعهدهم مؤمنين بحكمة نبيهم^(١)، وبذلك اجتمع شملهم وتوحدت صفوفهم واتحدت كلمتهم ولم يخذلوا رسول الله ﷺ، بل كانوا معه وإن كان في نفس بعضهم شيء، وقد ذكر بعض المفسرين إن هذا كان فتحا مبينا لأنه انتهى إلى الفتح، مثل: ﴿اقتربت الساعة وأنشأ القمر﴾^(٢) حيث أنزل الله سبحانه وتعالى حينئذ: ﴿إنا

(١) راجع مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٣١٣.

(٢) سورة القمر: ١.

فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۗ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۗ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ۗ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا^(١)، لكن بعضهم ذكر أن السورة نزلت بعد فتح مكة، وعلى أي حال فالرسول ﷺ استشار امرأة في هذه القصة الخطيرة ونفذ رأيها.

ومن المعلوم أن الرسول الأعظم ﷺ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢) لكن ضعاف النفوس من المسلمين لم يتمكنوا أن يحتملوا مثل هذا الأمر الذي كان ظاهره مشينا، وبعد رأي حصيف أخذه الرسول ﷺ من امرأة ظهرت به حكمة الرسول ﷺ، وصدق الواقع الذي أشار إليه وأن عمله كان وفق الحكمة والصواب.

دلالات مبدأ الاستشارة

١. في هذه المشاورات^(٣) دلالة على لزوم أن لا يستبد الحاكم برأيه دون مشورة ذوي الرأي. فإذا استبد برأيه كان للأمة حق إلغاء ذلك الرأي - في غير المعصوم عليه السلام ..
٢. كان بعض هذه الصور المتقدمة في سيرة النبي ﷺ في مجال الشورى أن البادئ في الرأي هم أصحاب النبي ﷺ، أي أحد أفراد المجتمع، ويستدل من هذا على أن الإسلام أعطى حق المشورة للأفراد بأن يبدوا رأيهم في المجال الذي هم فيه حتى وإن لم يبدأهم القائد بالاستشارة.
٣. ويلاحظ أيضا أن أصحاب المشورة في هذه الصور هم من أصحاب الخبرة أو من أهل الحل والعقد، كما أن إبداء الرأي من الأعم منهم، ومن هذا يستدل على أن أهل الرأي والحل والعقد عليهم أن يبدوا آراءهم حتى يكون القائد على بصيرة من أمره قبل أن يقدم على أي موقف سياسي.
٤. ويتضح من هذه الصور المجالات التي يتطلب تطبيق مبدأ الاستشارة فيها، ففي

(١) سورة الفتح: ١-٤.

(٢) سورة النجم: ٣-٤.

(٣) التي مر ذكرها وغيرها أيضا، وقد جمعنا بعضها في كتاب فكانت زهاء عشرين.

بعضها كانت الشورى في المجال العسكري ، وبعضها كان في المجال السياسي .

٥ . وفي الصورة الأخيرة يعرف دور النساء في مجال الشورى ، وقد منحها الإسلام كامل الحرية لإبداء رأيها فيما تعرفه ، وهذا الأمر لا يتناقض مع ما ورد من : «شاوروهن وخالفوهن»^(١) . فإن الخلاف فيما إذا كان رأيهن غير صحيح ، أما لو كان رأيهن صحيحا وصائبا فإنه يؤخذ به ، ثم ليس كل النساء في مستوى واحد من المعرفة والثقافة والإيمان .

٦ . ويستدل من هذه الصور على لزوم التدريب وممارسة الاستشارة في كل الميادين وفي مختلف المجالات لكي تكون أمرا طبيعيا ليس فيها غرابة على من يراد أخذ الرأي من غيره حتى وإن اختلفت وجهات نظرهم حول رأي معين لأنه حينئذ يصقل وينضج وقد قال أمير المؤمنين علي عليه السلام : «من استبد برأيه هلك ، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها»^(٢) .

والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الصور كان عالما بكل تلك الأمور وإنما كان يريد تدريبهم على المشورة وأخذ الآراء التي يجمع عليها القوم .

٧ . ويتضح من بعض الصور أنه لا فرق في الإسلام بين مشورة عربي أو أعجمي ، لأنه لا تفاوت وتمييز بينهما إلا بالتقوى ، وأن المهم في ممارسة الشورى هو الرأي الأصيل والقول الصائب والفكرة الثابتة فيقبل وإن كان صادرا من رجل ليس عربيا كما حدث في غزوة الأحزاب حينما تقدم سلمان الفارسي (رضوان الله عليه) فأشار بالخذق وأخذ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم برأيه .

٨ . ومن فوائد الاستشارة والشورى ضمان عدم الاستبداد والطغيان ، فإن صاحب المنصب والجاه ومن كان له موقع في الدولة - صغيرا أو كبيرا - قد يستبد برأيه ويطغى ، وذلك لأن البشر بطبيعته يتجبر ويتغير بسبب القدرة وامتلاك المنصب الوظيفي أو الاجتماعي العالي إلا من عصمهم الله تعالى وهم المعصومون عليهم السلام فقط ، كما يمكن للصحافة الحرة والإعلام الحر والأحزاب المتنافسة وما أشبه من أن

(١) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٣٤٨ ح ٩٦٢٧ .

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٤٠ ح ١٥٥٨٧ .

تقف أمام الحاكم من أن يتغير ويطنى.

وقد كان أحد العلماء يقول: إذا انقلب شخص من كونه مأموماً إلى كونه إمام جماعة، أو من عدم كونه قاضياً إلى كونه قاضياً، أو من كونه مقلداً إلى كونه مرجع تقليد، أو من كونه محكوماً إلى كونه حاكماً، في أية رتبة من الحكم، لاستصحاب حالته السابقة، مع وجود احتمال تغيره وطغيانه لأن هذه الأمور متغيرات وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَىٰ ۖ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَىٰ﴾^(١)، وكل تغيير من هذا القبيل نوع من الاستغناء، وعلى هذا يلزم مراقبة سيرته فإن كان على حالته السابقة من النزاهة والعدالة يبقى الاعتماد عليه وتقوم مسيرته، وإذا كان العكس فالحل هو ما يتخذ من رأي في الشورى التي تعقد لأجل إصلاح هذا الأمر.

ولذا يلزم على الحاكم المنتخب من قبل الأمة أن لا يتغير عما كان عليه قبل الحكم، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «يد الله فوق رأس الحاكم ترفرف بالرحمة، فإذا حاف في الحكم وكله الله إلى نفسه»^(٢)، وإذا تغير نحو الأسوأ ينبغي أن يقال ويخلع من قبل الشعب.

٩. وأخيراً يعرف أن السلم والسلام والأمن والنجاح في المجال السياسي يكون عبر حرية الرأي في ممارسة الشورى وتطبيق الاستشارة وعدم الاستبداد بالرأي، ومن هنا يعرف بعض أسباب سيطرة الغرب على مقدرات المسلمين فحينما أخذ الغرب بهذا المبدأ الإسلامي نجحوا وسيطروا على العالم، بينما نحن تركناه فخرنا، وليس آخرتنا فحسب، بل ودياننا أيضاً حيث صار غيرنا سادة علينا، ولذا قال سبحانه وتعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾^(٣)، فإن من السلام أن يكون الإنسان سيذا لا مسوداً، وقائداً لا مقوداً، وفي قبض الزمام لا في مؤخرة القافلة، وحينما ترك المسلمون طريق الإسلام والقرآن وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يهتدوا بنور

(١) سورة العلق: ٦-٧.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٦ ح ٣٢٢٨.

(٣) سورة المائدة: ١٦.

أهل البيت عليهم السلام تداعت عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها وتهافت عليهم تهافت الذئب على الشاة القاصية.

الحركات والتيارات الإسلامية المعاصرة

مسألة: من الواجب على الأمة وقياداتها أن تهَيِّئ أسباب الحريّات المكفولة في الإسلام ليسود السلم والسلام المجتمع الإسلامي، وهذا لا يكون إلا بالوعي العام وبالتعددية الحزبية وجعل الحكم بالانتخابات الحرة وإحياء قانون الشورى والاستشارة وتطبيقه بصورة عملية صحيحة كما ذكرنا ذلك في جملة من كتبنا تفصيلا تارة وإجمالا أخرى. وكان الأمل معقوداً على طليعة هذه الأمة والنخبة الواعية المتمثلة بالحركات الإسلامية في أن تهَيِّئ الأسباب لإحياء هذا القانون، ولكن اتضح فيما بعد أن الكثير من الحركات الإسلامية، تدّعي المشاورة وعدم الاستبداد وما أشبه ذلك، فلماً قوي أمرها وصارت ذات نفوذ فعلت مثل أفعال من سبقوها من المستبدين، وهذا في تصورنا من أسباب عدم تمكن الحركات من الوصول إلى الحكم، مع أنه انقضى منذ سقوط القاجاريين والعثمانيين ما يقارب القرن.

أسباب عدم تمكن الحركات الإسلامية من الوصول إلى الحكم

إن الحركات الإسلامية لم تنجح في الوصول إلى الحكم الإسلامي مع أن البلاد بلاد الإسلام والأمة مسلمة، ومع أن الكل - باستثناء النادر - يحبون الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً، فذلك لأمر:

الأول: رغم أن الحركات والتيارات الإسلامية كافة حدّدت مواقفها من الصراعات الفكرية والمذهبية المعاصرة، أمثال: الشيوعية والبعثية والقومية والديمقراطية الغربية والاشتراكية والرأسمالية إلا أنها لم تهتد لاتخاذ الموقف الصائب من الهجوم الغربي الفكري والذي تم بمختلف أساليبه على بلاد الإسلام.

وقد انقسم المسلمون أمام هذا الهجوم الفكري إلى ثلاث جماعات:

الجماعة الأولى: فرقة اتجهت بكليتها إلى حضارة الغرب ومناهج حياته وأساليبه،

فقد انحازوا إلى الغرب كلياً في المناهج والأنظمة والتطبيقات وسائر الخصوصيات، وبذلك خسروا دنياهم وآخرتهم، ودنيا غيرهم وآخرتهم، والعديد من المثقفين عندنا هكذا صنعوا، ولهذا تفتت الحركات العلمانية في المسلمين، وأباحوا المحرمات وتركوا الواجبات، إلى غير ذلك، وهؤلاء هم الذين جعل الغرب الحكم بأيديهم فمنهم الحكام ولهم الأحكام.

والجماعة الثانية: هم الذين أخذوا شيئاً من هذا وشيئاً من ذلك، فصاروا: ﴿مَدْبُوبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾^(١) فهؤلاء يتذبذبون ويتأرجحون بين نهجين مفضلين مسك الهراوة من الوسط والمثابرة على التذبذب والتأرجح.

والجماعة الثالثة: هي الجماعة التي أدارت ظهرها للغرب وعكفت على الاتجاه التقليدي السابق، فدعوا إلى العودة للقديم قلباً وقالبا ومظهرها ومخبرها، وغالب الحوزات العلمية، السنية والشيعية اتجهت هذا الاتجاه، ومنها أيضاً بعض الحركات الإسلامية.

لكن من الواضح لزوم معرفة أن الصغريات المتغيرة تدخل في أي الكبريات؟ فهل يلزم إدخالها في كبريات جدد أو الكبريات السابقة، فمثلاً إذا كان استيراد البضائع الأجنبية يوجب الضرر والمكوس، وذلك حرام شرعاً، ومن جانب آخر قانون حرية التجارة الإسلامي يبيح الاستيراد والتصدير، فهل المعيار هو (لا ضرر)^(٢) أو قانون الحرية، علماً بأن بين (لا ضرر) وبين الجمر كعموم من وجه، إلى غير ذلك من مئات الأمثلة والفروق.

فالغزو الفكري الغربي كان أحد الأسباب التي أدت إلى عدم نجاح الحركات في الوصول إلى الحكم.

الثاني: الرؤية الضبابية لقضايا معلقة لم يعرفها البعض، مثل الموقع الاجتماعي

(١) سورة النساء: ١٤٣.

(٢) راجع من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٣٤ ح ٥٧١٧، وفيه: عن رسول الله ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام».

للمرأة في الإسلام، وما يتعلّق بقضايا الزّي والعمل والإسهام في الأمور العامة من شؤون الحكومة وغيرها، وحقوقها السياسية، وحقوقها الاجتماعية، وحقوقها الاقتصادية، وحقوقها البيئية، وحقوقها العملية، وما أشبه ذلك.

الثالث: قضية الوحدة الوطنية، فهل الاعتبار في الإسلام بالوطن القومي، أو بالوطن الجغرافي، أو بالوطن اللغوي، أو بالوطن الإسلامي، بما أنهم يعيشون مسلمين تحت ظل الإسلام، مثلاً الهند كانت قبل الاستقلال حكومات وأديان ولغات ومناخات وجغرافيات وما أشبه ذلك، لكن حزب المؤتمر تمكن أن يوحد الجميع تحت لواء الهند، وإن اختلفوا في اللغات والأديان والمذاهب والقوميات والمناخات وغيرها.. أما المسلمون فلم يتمكنوا بعد من نشر مفاهيم الإسلام القائلة بوحدة الوطن الإسلامي بلا حدود جغرافية، وأن الجميع يعيشون تحت ظل الأخوة الإسلامية، وإزالة ما لحق بالمسلمين من الأهواء والجهل والتردد كما ورد عن جعفر بن محمد عليه السلام عن آبائه عليهم السلام في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام قال: «يا علي آفة الحسب الافتخار»، ثم قال: «يا علي إن الله قد أذهب بالإسلام نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها، ألا إن الناس من آدم وادم من تراب وأكرمهم عند الله أتقاهم»^(١).

الرابع: عدم تطبيق المفهوم الإسلامي الذي هو مبني على الشورى والعدل والمساواة وكفالة الحقوق والحريات للمسلمين وغير المسلمين الذين يعيشون تحت لواء الإسلام مما يرتبط بالقيم الدستورية التي هي الدعائم الأساسية في حكومة الرسول صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام، فقد اختلقت الأوراق في أذهان جماعة من المسلمين المنضوين تحت الحركات الإسلامية والتيارات الإسلامية فصاروا بين مفرطين ومفرّطين، وقد ورد في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه: «لا يرى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرّطاً»^(٢)، ومن الواضح أن النجاح لا ينضوي تحت ألوية أمثال هؤلاء الذين لا يرون المبادئ والأصول والأوليات والثانويات على حقيقتها.

(١) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٤٣ ح ٢٠٩٢٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ١ ص ١٥٩ ح ٣٤٤.

الخامس: كيفية تطبيق كليات الشريعة على الصغريات الخارجية، فإن الكليات يجب أن تكون مستفادة من الكتاب والسنة، والمراد بالسنة الأحاديث والسيرة، فإن إحداها تكمل الأخرى، مع مراعاة كون التطبيق حسب الزمان والمكان والشرائط، فإنه لا إشكال في أن تطبيق الشريعة هو مطلب جماهيري لكل المسلمين إلا من شذ منهم من تلاميذ الغرب والشرق، وليس مطلبا قاصرا على الجماعات الإسلامية فقط.

لكن عنجهية وتعصب بعض الجماعات الإسلامية على خلاف ما ورد في القرآن الحكيم حيث قال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(١) وقفت أمام تنفيذ هذا المطلب، فالاحتمالات والسباب والتهجمات والمهاترات ورؤية النفس أرفع من الغير واحتساب الغير جهلة، كفر، منافقين، فاسقين، عملاء للغرب، إلى غير ذلك، سبب الحؤول دون جماهيرية الأفكار التي تحملها التيارات والحركات الإسلامية، ولذا نشاهد منذ ما يقارب القرن أنه لم تظهر حركة تتمكن من النهضة والقيام.

السادس: أمية كثير من أعضاء الحركات - خصوصا الشباب منهم - بالنسبة إلى الرؤية الإسلامية الصحيحة، وسر الأمية أولا عدم تمكنهم من استيعاب الإسلام، فهم صاروا كما قال سبحانه وتعالى بالنسبة إلى اليهود: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾^(٢)، بالإضافة إلى أن جماعات منهم تولدت فيهم عقدة الشدة والغلظة والعنف، حيث لم نجد بلدا إسلاميا واحدا لم يحارب نهضة المسلمين وخصوصا الحركات الإسلامية، ولم يودعهم في السجون ولم يمارس معهم سياسة التعذيب.

وقد سبب ذلك تكفيرهم للحكام والمجتمع على حد سواء وهم يرددون دائما: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٣) وكذلك: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٤) وأيضا: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٢) سورة البقرة: ٧٨.

(٣) سورة المائدة: ٤٤.

(٤) سورة المائدة: ٤٥.

فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ»^(١) من دون أن يفهموا معنى ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ وكيفية الوصول إليه، وبذلك صاروا عنيفين، والعنيف لا ينضوي تحت لوائه أحد كما هو واضح، فكان اتخاذ أسلوب العنف سبباً رئيسياً لفشل هذه الحركات، بينما اللازم اتخاذ أسلوب السلم والسلام للوصول إلى الأهداف.

السابع: افتقار كثير من الحركات الإسلامية والتيارات في العالم الإسلامي ككل إلى الرؤية الموضوعية الشاملة للواقع الإسلامي القابل للتطبيق في هذا القطر الواسع من البلاد التي تحتوي على أكثرية مسلمة، فإن الافتقار إلى هذه الرؤية الموضوعية يجعل من تحركات الجماعات الإسلامية أقرب ما يكون إلى ردود الفعل أو إلى الأفعال المغلقة اللإرادية، ولذلك حرم العمل الإسلامي من فرصة إحراز أي تقدم ملحوظ نحو هدفه النهائي، وإنما صارت الحركات الإسلامية تدور في حلقة مفرغة من الفعل ورد الفعل ثم الفعل ورد الفعل وهكذا.

ومن الواضح أن تحويل هذا الشيء إلى الواقع يحتاج أولاً إلى رؤية شاملة بالإعلام الواسع والثقافة الفكرية، وثانياً هو بحاجة إلى قيادات قوية ضابطة للنفس وبعيدة عن العنف إلى أبعد الحدود حتى تتمكن من توجيه القاعدة، لا ما اعتاده بعض قادة المسلمين من أنهم يخنفون وراء ستار من اللاواقعية ثم يعمدون إلى انحراف هذا الشاب أو تلك الجماعة الفرعية أو غيرها بالعنف والسباب والتهريج وأمثال ذلك، ولهذا السبب نجد كثيراً منهم لا يبالون إلا بالمظاهر كتطويل اللحي وتقشير الثياب، وعدم احترام مبدأ التخصص ومبدأ الشورى في اتخاذ القرارات سواء في داخل الحركات أو في خارجها، وعدم دعوتهم إلى التعددية، بل أكثر الحركات الإسلامية تتصف بالدكتاتورية والاستبداد.

الثامن: عدم وضع خطة للعمل الإسلامي تتضمن الأهداف والوسائل المشروعة فكل يدعي الرجوع إلى عهد الرسول ﷺ وسيرته، لكن هذه الفكرة تحتاج إلى تخطيط

(١) سورة المائدة: ٤٧.

كما قال سبحانه: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾^(١) فما هي خطة العمل المدروسة المحددة الأهداف والمراحل؟ وما هي الوسائل المشروعة لبلوغ هذه الأهداف مرحلة فمرحلة حتى تصل إلى النهاية؟ ومن الواضح أنه من غير هذه الخطة يضطرب العمل ويتعرض لمخاطر قد تؤدي بحياة هذه الحركات أو تنال من فعاليتها ونمائها أو توجب تشوُّهها في أذهان أصحابها فكيف أذهان الآخرين؟!.

التاسع: عدم الالتزام الواقعي العملي بالمبادئ التي تدعو إليها كثير من الحركات، مثل مبدأ الشورى، ومبدأ العدل، ومبدأ المساواة، ومبدأ السلم واللاعنف، ومبدأ حرية الرأي والنقد، وفرض وصايتهم وهيمتهم على الآخرين بلا أي مبرر لذلك، وكأنهم الرسول الذي نصبته السماء مع أن الرسول ﷺ المنصوب من السماء أيضا كان يأخذ بهذه المبادئ ولو مجازاة، فإنه كان يرجع إلى رأي الناس مع أنه ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢)، ويعلم الغيب بتعليم الله تعالى كما قال سبحانه، ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۗ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾^(٣) لكنه ﷺ لعله كان يظهر شيئا ثم يعمل بالمشورة بخلاف رأيه لتعليم المسلمين ذلك لأنه أسوة. وكذلك كان أمير المؤمنين علي عليه السلام يلاحظ رأي أصحابه، وفي قصة صلاة التراويح وقصة عزل شريح القاضي عن تولية القضاء^(٤) يعرف أن الإمام عليه السلام كيف ترك القوم على ما أرادوه لما أخذوا يطالبون به.

وتتبع الدكتاتورية في الكثير من القيادات الإسلامية نزعة تقديس الأشخاص وتصنيف المسلمين حسب درجات ولائهم للتنظيم أو درجات ولائهم للقيادة، ومن الواضح أن ذلك يفسد الحركة والسمعة ويؤهد الآخرين في الانضواء تحت هذا اللواء أو ذاك.

العاشر: محاربة الحركات الإسلامية بعضها لبعض وتكفير بعضها لبعض، وحتى

(١) سورة الرعد: ١٧.

(٢) سورة النجم: ٣-٤.

(٣) سورة الجن: ٢٦-٢٧.

(٤) ذكرنا تفصيل القصتين فيما سبق.

إذا دخلوا السجون كَفَر هذا ذاك وذاك هذا، وانطبق عليهم قوله سبحانه: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾^(١).

لكن الآية الكريمة في الطولي وهؤلاء نشاهدهم يعملون ذلك في العرضي، ناسين قوله سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٢) وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾^(٣).

وقد قامت في عصرنا الحديث حكومات باسم الإسلام لكن نشاهد أن كل حكومة تكفر الحكومة الأخرى بينما كل حكومة من هذه الحكومات تصاحب حكومة علمانية ولو كانت بعيدة كل البعد عن الإسلام.

مؤتمرات لنجاح الحركات الإسلامية

وينبغي هنا بيان كيفية وضع الحلول العلمية والموضوعية والواقعية لنجاح الحركات الإسلامية، فإن من الواضح أن هذه المشكلات وأمثالها وهي كثيرة ومتعددة ومتلونة حسب ألوان الحركات لا يمكن أن توجد لها الحلول العلمية والموضوعية والواقعية إلا إذا أعيدت تلك الأفكار الإسلامية المستفادة من القرآن والسنة وتم إعادة بناء الجسور بين الأقطار الإسلامية وبين التيارات الإسلامية وسائر الجماهير الإسلامية من حكومات وشعوب على أساس الأخوة والأمة الواحدة والحرية، وذلك لا يكون إلا بالمؤتمرات المشتملة على من لا يريدون جاهها ولا مالا ولا زواجا من ملكات الجمال كما شاهدنا ذلك في بعض الحركات، حتى يطمئن البعض إلى البعض ويطمئن الجميع إلى الجميع، ولعل الله بذلك يحدث أمرا.

وينبغي أن تكون هذه المؤتمرات قائمة على أسس السلم والسلام، لتكون الحركات الإسلامية بعيدة كل البعد عن العنف والإرهاب.

قال سبحانه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٤).

(١) سورة الأعراف: ٣٨.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٣) سورة النحل: ٩٢.

(٤) سورة الفرقان: ٦٣.

وقال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾^(١).
 وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا
 الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

وقد رأينا كيف أن المسلمين لم يحاربوا أحداً إلا ليصدوا الاعتداء عنهم وعن دولتهم وعقيدتهم، ووجدناهم لم يستلوا سيوفهم إلا عند اليأس من مسالمة الأعداء وفي أقصى حالات الضرورة، فلم يكن عفو رسول الله ﷺ خاصاً بأهل مكة فحسب، بل كان يعفو عن كل من استولى عليهم.

فالمسلمون لم يحاربوا في حروبهم إلا المحاربين فقط، ولم يتجاوزوا في حربهم حد الدفاع، فلم ينتقلوا إلى الانتقام الحاقدا المبيد، وكان المسلمون ينجحون إلى السلم إذا ما جنح لها الأعداء حيث قال سبحانه: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾^(٣)، ثم رأيناهم رحماء بالبشر لا يمثلون بالقتلى ولا يخربون العمران، ولا يجبرون أحدا على نقض دينه واعتناق الإسلام، ولم يقطعوا شجرا ولم يلقوا سماً في الماء، كما لم يحولوا بين الماء وبين شرب الكفار، حتى أنهم إذا تمكنوا من الحيلولة لم يفعلوا ذلك وإن كانت الحيلولة تؤمن النصر السريع.

روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن النبي ﷺ كان إذا بعث أميراً له على سرية أمره بتقوى الله عزوجل في خاصة نفسه، ثم في أصحابه عامة، ثم يقول: اغز بسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، ولا تغدروا، ولا تغلوا، وتمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، ولا متبلاً في شاهق، ولا تحرقوا النخل، ولا تغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تحرقوا زرعاً، لأنكم لا تدرن لعلكم تحتاجون إليه، ولا تعقروا من البهائم مما يؤكل لحمه إلا ما لا بد لكم من أكله»^(٤).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

(١) سورة الأحزاب: ٤٤.

(٢) سورة النحل: ٣٢.

(٣) سورة الأنفال: ٦١.

(٤) الكافي: ج ٥ ص ٢٩ ح ٨.

مسألة: من الأمور المهمة التي لها علاقة مباشرة بالحرية السياسية وحرية الرأي والشورى وترسيخ السلم والسلام: فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ تعتبر هذه الفريضة إحدى قواعد السلام وركائزه ومقوماته، وهناك جملة من الأدلة على ضرورتها، نشير إلى بعضها:

١: إن الله يصف المؤمنين الذين يمكنهم في الأرض ويجعل لهم السلطة بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وهذا شرط للتمكين في الأرض وإدارة الحكم وبهما يتم إحلال السلام والأمن، تقول الآية: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(١).

٢: الدعوة إلى الخير - بما فيه السلم والسلام - والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متلازمان، وإذا فقد الإنسان حرته العامة لا يتمكن من مزاولة أعماله ونشاطاته خير تمكّن، منها على سبيل المثال شعائره الدينية التي يعتقد بها فلا يستطيع ممارستها على الوجه المطلوب، فلم تكن هناك دعوة إلى الخير ولا إلى الأمر بالمعروف ولا إلى النهي عن المنكر، بينما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢). وإذا فقدت هذه الفريضة تقوضت إحدى ركائز السلام ومقوماته.

٣: عدم القيام بهذه الفريضة سبب لهيمنة الأشرار على البلاد وسيطرتهم على العباد، وفي حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهينَّ عن المنكر أو ليستعملنَّ عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم»^(٣).

ومن الواضح أن الأخير إذا لم يأمروا ولم ينهوا تقدم الأشرار حتى يكونوا هم الأمراء الذين يسومون الناس خسفاً ويعملون بالمنكر فيكون هناك كما في الحديث: «باك يبكي على دينه وباك يبكي على دنياه»^(٤). وهذه الحالة هي التي يعبر عنها بالفتنة

(١) سورة الحج: ٤١.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٥٦ ح ٣.

(٤) الغيبة للطوسي: ص ٤٤١.

ومن خصائصها أنها تعم الجميع، ولذا ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما أقر قوم بالمنكر بين أظهرهم لا يغيرونه إلا أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده»^(١).
وفي القرآن الكريم: «كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مَّنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ»^(٢).

وفي آية أخرى: «وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً»^(٣).

ففي الدنيا الفتنة وفي الآخرة العقاب، لكن من الواضح أن العقاب في الآخرة إنما هو للذين تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما فتنة الدنيا فهي عامة وذلك لقانون الأسباب والمسببات، أما بالنسبة إلى الآخرة فتختلف الموازين، فهناك عدل مطلق ليس فيه ظلم إطلاقاً، فإن الله لا يظلم الناس مثقال ذرة، وقد ذكرنا ذلك في كتاب (تفسير القرآن الموضوعي) بتفصيل كما هو مذكور في علم الكلام أيضاً.
ومن هنا ورد الدم في كثير من الروايات لتاركي هذه الفريضة، قال رسول الله ﷺ: «بئس القوم قوم لا يقومون لله تعالى بالقسط، وبئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر»^(٤).

وتفصيل أحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مذكورة في الفقه.

قال ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه ليس وراء ذلك شيء من الإيمان»، وفي رواية: «إن ذلك أضعف الإيمان»^(٥).

وإنما وجب النهي عن المنكر بالقلب حتى لا ينحرف الإنسان فيرى المنكر معروفاً والمعروف منكراً، كما نشاهد ذلك في كثير من المنحرفين الذين لا يأبهون بالمنكر إطلاقاً ويمرّون عليه كأنه معروف.

وليس المراد بلزوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مورد التأثير الكامل فقط،

(١) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ١٣٧ ح ٢١١٧٦.

(٢) سورة المائدة: ٧٩.

(٣) سورة الأنفال: ٢٥.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٣٧٠ ح ١٣٢٩٠.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ١٩٢ ح ١٣٨٥٣.

كما ذكرناه في الفقه، بل احتمال التأثير كاف في الوجوب في مقابل القطع بعدم التأثير، ولذلك فإذا احتملنا الفائدة في النهي إذا اجتمع بغيره ونهاه ثان وثالث ورابع حتى المائة، وجب على كل واحد منهم، لأن كل واحد يكون جزء فإذا اجتمعت الأجزاء تكون النتيجة، كقطر المطر حيث إن قطرة وقطرة وقطرة إذا اجتمعت يكون السيل الجارف للأبنية والأشجار والقطيع من الأغنام وغيرها.. وهكذا يجب النهي عند احتمال الفائدة فيه ولو بعد عدة سنوات، وقد قرّر علماء الاجتماع تقبل الإنسان عادة ولو بعد حين، فإذا قال كلاماً لشخص وهو قاطع بعدم جدواه الآن، لا بدّ وأن يكون لهذا الكلام تأثير فيه بعد مدة - ولو كان تأثيراً جزئياً - فإن الله خلق الذهنية بحيث تتقبل النصيحة.

وفي الإنجيل: (في البدء كان الكلمة)^(١).

وفي القرآن الحكيم قال سبحانه: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(٢).

فالبدء كانت القراءة، وبداية ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لا تنافي ذلك، فقد قال النبي ﷺ: «كل أمر ذي بال لا يذكر فيه بسم الله فهو أبت»^(٣) فالبسملة مقدمة. ثم أردف الله سبحانه بالقراءة الكتابة حيث قال سبحانه: ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾^(٤) دلالة على أن القراءة والكتابة هما محورا كل تقدم وفضيلة ودين وتقوى.

مضافاً إلى تصريح الفقهاء بعدم اشتراط التأثير الفعلي إذا كانت أسس الدين في خطر فاللازم الأمر والنهي، وإن انتهى الأمر إلى أن يقتل الأمر الناهي كما فعل الإمام الحسين عليه السلام، أما إذا لم يكن أصل الدين في خطر وخاف القتل أو ما أشبه سقط عنه الأمر والنهي.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أفضل شهداء أمتي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك، فذلك الشهيد منزلته في الجنة بين

(١) الكتاب المقدس: العهد الجديد، بشارة يوحنا: ص ١٤٠، فصل كلمة الله.

(٢) سورة العلق: ١.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٧ ص ١٧٠ ح ٩٠٣٢.

(٤) سورة العلق: ٤.

حمزة وجعفر».

وقال عليه السلام: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»^(١).

وقد يظن بعدم شمولية هذه الفريضة لكل مكلف، لقوله تعالى: ﴿وَلَنْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢)، ولكن «منكم» نشوية^(٣) لا تبعية لظهور قوله: ﴿أولئك هم المفلحون﴾ وأن غيرهم ليسوا بمفلحين.

أما قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾^(٤)، معناه مع عدم تمكّنهم فإن القدرة شرط التكليف، فإذا لم يتمكن من

هداية الضالين أو لم يقبلوا منه فقد برأ عن مغبة ذلك وتقع التبعة على من ضل.

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ

عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾^(٥)، فالمراد أمرهم بالطاعة ففسقوا، ولم يقتصر في

نزول العذاب على مخالفة أمر العقل فحسب، لأن الله سبحانه لا يهلك القرى ولا

يعذب أحدا إلا بعد مخالفته أوامر الشرع وبعث الرسل، وهو عز وجل يقول: ﴿وَمَا

كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٦)، ولهذا فإن معنى قوله: ﴿أمرنا مترفيها ففسقوا

فيها﴾^(٧) أي: أمرناهم بالطاعة فخالفوا، كما يقول الطيب: (أمرته ففسق وخالف)

أي أمره بشرب الدواء وأخذ العلاج وما أشبه، وحينذاك يحق عليها التعذيب

والإهلاك، وعندها دمر الله سبحانه وتعالى تلك القرية تدميرا.

وفي نهاية هذا البحث عن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنها إحدى

قواعد السلم والسلام وركائزه ومقوماته في المجتمع الإسلامي ينبغي بيان أن هذه

الفريضة ليس لها دور في إحلال السلام إلا إذا كان هناك واقع ملائم لحركة هذه

(١) غوالي اللآلي: ج ١ ص ٤٣٢ ح ١٣١.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٣) أي فلتنشأ منكم أمة يدعون إلى الخير.

(٤) سورة المائدة: ١٠٥.

(٥) سورة الإسراء: ١٦.

(٦) سورة الإسراء: ١٥.

(٧) سورة الإسراء: ١٦.

الفريضة وممارستها.

وينبغي التدرج في تطبيق قانون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي بعض مراتبه لا بد من الرجوع إلى الجهات المعنية كي يؤدي دوره بصورة أكمل في إحلال السلام، وهذا ما يتطرق له الفقهاء في الفقه في باب الحدود والتعزيرات، وقوله عليه السلام: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه ليس وراء ذلك شيء من الإيمان»^(١)، ظاهره أن التغير باليد يستطيع أن يؤديه غير الحاكم الشرعي، ما لم يصل إلى مرتبة الحدود أو التعزيرات، وإلا فلا يمكن أن يأمر بها ويتم تنفيذها إلا بإذن من الحاكم الشرعي.

وربما يقال بأن هذا التعبير: (فليغيره بيده) كناية عن إقامة الحد والتعزير، وذلك إذا قلنا بأن المخاطب فيه هم الفقهاء، ولكنه بعيد لأن شهرة الحديث واردة في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس في باب الحدود والتعزيرات.

نظرة الإسلام لظاهرة العنف والإرهاب

أوجه الصراع البشرية

مسألة: ظاهرة العنف والإرهاب محرمة شرعاً، ومن مصاديقه القتل والغدر والاختطاف والتفجير والتخريب وما أشبه.

إن مسيرة الصراع بين البشرية في مختلف الميادين ابتدأت منذ أن هبط آدم عليه السلام إلى الأرض ووجد الإنسان عليها، قال سبحانه: ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾^(٢).

وقد كان لهذا الصراع وجهان سلبي وإيجابي، فأما الأول: فله مظاهر كثيرة منها صراع من أجل السيطرة الفردية على الحياة ومميزاتها وسحق الآخرين وحقوقهم، فالبعض يريد لنفسه جلب أكثر قدر من النفع ودفع أكثر قدر من الضرر، وآخر سعى للتحكم على ما ينفعه وما ينفع غيره، وثالث أخذ يلحق الأضرار بالآخرين.

وليس هذا الوجه من الصراع في هذه المسيرة مما جبل عليه الإنسان لأن الله سبحانه

(١) غوالي اللآلي: ج ١ ص ٤٣١ ح ١٢٨.

(٢) سورة البقرة: ٣٦.

وتعالى لم يخلق فطرة الإنسان مجبولة على الشر وإنما الشر في استعماله المنحرف، كالإنسان المجرم يستعمل السكين في قتل الأبرياء. وليس من طبع السكاكين القتل وإنما جعلت للفائدة.

وأما الوجه الإيجابي لهذا الصراع في هذه المسيرة فهو التنافس الذي يوجب تقدم الحياة، فعلى سبيل المثال الصراع في الجانب المعنوي، فلو لم يوجد بين الإنسان والشيطان، لم يتمكن الإنسان من التقدم إلى الدرجات الرفيعة في الدنيا ولا في الآخرة، ولم يمكنه الاختبار ليخرج فائزاً، وينال درجة تسمو درجات الملائكة.

وكذلك لولا الصراع والتنافس بين دول العالم في الجانب المادي لما حصل هذا التطور الذي تنعم فيه البشرية في المجالات المختلفة. إذ به تمكن الإنسان من الاكتشافات الغربية، ولم يقتصر في طموحه على اكتشاف أسرار الأرض من بحارها وجبالها وأنهارها وأعماقها، بل شجعه البحث إلى اكتشافات جديدة في الكواكب الأخرى، حتى وصل إلى المريخ بل يريد اليوم الوصول إلى سائر المجرات.

ولا يقتصر هذا الوجه الإيجابي من هذا الصراع على الإنسان فقط، بل يشترك معه حتى الحيوانات، فالصراع بينها - كما في الأسد مثلاً حينما يأكل الغزال، والثعلب في أكله للدجاج - هو نوع من الجمال والتطور والبقاء في الحياة.

ولا يكون هذا ظلماً في الأطر المقررة، نعم إذا تجاوز الحدود فإنه ظلم ويقتص منه، تقول الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾^(١).

وقال الإمام علي عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾^(٢) «فهو ميزان العدل يؤخذ به الخلائق يوم القيامة، يدين الله تبارك وتعالى الخلائق بعضهم من بعض ويجزيهم بأعمالهم ويقتص للمظلوم من الظالم»^(٣).

(١) سورة التكويد: ٥.

(٢) سورة الأنبياء: ٤٧.

(٣) الاحتجاج: ج ١ ص ٢٤٤.

وقد ورد في الأحاديث أن الله يقتص للعجماء من القرناء^(١).

وأما ما كان لأجل الأكل وليس بظلم فيثيب المظلوم إن صح التعبير.

وقد أكدت بعض الدراسات الحديثة على أن هذا الصراع هو الذي يوجب نمو هذه الحيوانات وكمالها، وقد قام فريق من العلماء ببعض التجارب في هذا المجال وذلك حينما أخلوا جزيرة من الحيوانات المفترسة المؤذية وملأوها بالوعول والغزلان وما أشبه ذلك، وبعد مدة رأوا ظهور الترهل على هذه الحيوانات وسقوطها عن الكمال والجمال.

ومنشأ هذا الصراع والتنافس بين البشرية في الوجه الأخير هو الطموح وهو حسن في نفسه إذا استعمل في موضعه، وربما يعبر عنه بالطمع، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾^(٢).

وطموح الإنسان عادة يغلب إرادته كما هو طبيعة التنازع بين النفس المطمئنة، والنفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة.

ومن هنا نرى طبيعة الإنسان تنزع إلى الطموح المشروع وغير المشروع، وهذا يؤدي إلى الخلاف مع الغير، والخلاف يقود إلى النزاع والصراع، وكثيرا ما يوجب ذلك العنف والإرهاب.

وقد اصطلح في العصر الحديث على أحد طرفي الصراع السلبي بالإرهاب، ومن خلال استعمال هذا المصطلح في وسائل الإعلام العالمية كان مفهومه أقرب إلى مجال السياسة منه إلى المجالات المختلفة، ولهذا أدرج هذا الموضوع (نظرة الإسلام إلى العنف والإرهاب) في هذا الفصل. وقد تحدثنا عن بعض جوانب هذا الموضوع في بعض كتبنا^(٣) وهنا سنذكر ما يتعلق منه بمفهوم السلم والسلام.

دلالات مصطلح الإرهاب

(١) بحار الأنوار: ج ٦١ ص ٤.

(٢) سورة الشعراء: ٨٢.

(٣) انظر كتاب (السبيل إلى إنهاء المسلمين) و(اللاعنف في الإسلام) و(اللاعنف منهج وسلوك) و(الصياغة الجديدة) و(الفقه السياسية) و(الفقه طريق النجاة) وغيرها من مؤلفات الإمام الشيرازي رحمته الله في هذا الباب.

وردت مادة (رهب) في القرآن الكريم وأريد به المعنى اللغوي لا ما هو المصطلح في يومنا هذا، فالمقصود به ما يكون سبباً للردع عن العنف والإرهاب لا مشجعاً له.

وذلك لأن الطغاة عادة يقومون بالسيطرة على البلاد والعباد متخذين سياسة العنف والإرهاب والقتل والقمع، كما هو المشاهد في طول التاريخ، من هنا أراد الإسلام للمسلمين أن يكونوا أقوياء حتى لا يطمع فيهم طامع، فقالت الآية الكريمة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رَّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(١)، ومعنى «ترهبون» هنا هو ردع العدو بتلك القوة التي هيأت كي يمتنع من اتخاذ أي قرار في المهاجمة، وهذه وقاية لكي لا تقع الحروب ولا تنجر البشرية إلى العنف والإرهاب كما لا يخفى، ومما يدل على ذلك سيرة رسول الله ﷺ حيث كانت بعيدة كل البعد عن العنف والإرهاب، وإنما أراد ﷺ للمسلمين القوة حيث كان المشركون يخططون ضدهم كل يوم ويشنون الحروب الدامية للقضاء عليهم.

ثم إن وسائل استخدام الردع كثيرة، ومن أهمها القوة السياسية والإعلامية والدولية والدبلوماسية.

وهذا لا يعني التسابق في امتلاك الأسلحة الخطرة كما هو دأب الغرب والشرق، بل ذكرنا في بعض كتبنا لزوم التخلي عن جميع الأسلحة المتطورة حالياً، من النووية والجرثومية وحتى القنابل والطائرات الحربية والدبابات وما أشبه من مختلف الأسلحة النارية، فإنها سلاح غير عادل.

وقد رأيت كتاباً اسمه (الردع النووي) قصد فيه المؤلف أن طرفي العالم من الشرق والغرب يردع كل منهما الآخر بما يملك من الأسلحة النووية بحيث أن أحدهما لو عرف أن سلاحه أكثر من سلاح الآخر لهاجمه بلا تفويت للفرصة، أي عند ما يكون هناك توازن فهذا يوجب الردع، وحينئذ تكون الحرب في منتهى العسر إن لم تكن مستبعدة بشكل نهائي ما دامت إمكانية الضفر غير متوفرة.

ولكن الردع الأكبر هو نزع مختلف الأسلحة المتطورة عن جميع البشر وجميع

(١) سورة الأنفال: ٦٠.

الدول، ويمكن ذلك عبر اجتماع عقلاء الأمم، كما اجتمعوا لنزع أسلحة الدمار الشامل المحظورة.

وكان على المسلمين أن يتمسكوا بالقوة التي أمر الله بها بعيدة عن العنف ووقاية له، ولكن مما يؤسف له أنهم لم يوقفوا لذلك، بل ترك كثير منهم سيرة الرسول الأعظم ﷺ في تثبيت قواعد السلم والسلام.

وقد حرف مصطلح الإرهاب الذي وضع للصد عن التعدي وهدر الحقوق إلى ما يعني العنف، فكثرة استخدام هذا المصطلح في وسائل الإعلام الغربية جعله وكأنه من وضع الغرب ومصطلحاته التي وضعها في قاموسه السياسي والعسكري.

علماً بأن مادة رهب في القرآن مصطلح أقرب إلى السلم منه إلى الحرب على ما بيناه، بينما جعله الغرب ينطبق على مختلف حالات العنف فسميت به، وقد اتهم الإسلام به من قبل بعض المغرضين، مع أن الإسلام هو الدين الذي يدعو العالم كله إلى السلم والسلام ونبذ العنف والإرهاب.

وهناك بعض الغموض في مصطلح الإرهاب اليوم، فكل يتهم الطرف الآخر بكونه إرهابياً، فهل حركات التحرر من الأجنبي سواء كانت إسلامية أو وطنية أو غيرها تعتبر إرهابية، وهل جهاد الشعوب ضد الحكام الطغاة المستبدين أيضاً إرهاب، وهل يصح نسبة رجالات الفكر والعلم والمعرفة إلى الإرهابيين.

نعم قد تكون بعض الحركات والرجالات تسير في طريق العنف والإرهاب بالمعنى المصطلح وهؤلاء لا يمثلون الإسلام وهو بريء منهم، لأنهم خارجون عن سيرة الرسول الأعظم ﷺ وسيرة أهل بيته الطاهرين ﷺ وما نزل به القرآن الحكيم حيث يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

ثم إن مادة رهب لها استخدام محدد في الإسلام فهي تدل على تلازم منطلق القوة وقوة المنطق في الإطار السلمي الصحيح، وفي هذا التلازم دلالة على السلم والسلام، كما هو واضح في قوة المنطق، وحتى الجانب الثاني لا يراد منه إلا الحفاظ على السلم

(١) سورة الأنبياء: ١٠٧.

عبر التهديد بهذه القوة من أجل الحفاظ على حقوق الإنسانية.

خصائص الإرهاب

مسألة: للعنف والإرهاب خصائص يرفضها الشرع المقدس، نشير إلى بعضها:

أولاً: الإرهاب قد يكون فردياً، وقد يكون جماعياً سياسياً، وهو من أشكال

الصراع السياسي، ومن عناصره ما يلي:

١: زرع الرعب والخوف في نفوس الناس، بالقيام بأعمال العنف من القتل

والخطف والتفجير وما أشبهه.

٢: زعزعة الحكم والقائمين به عبر أعمال العنف.

٣: نشر عقيدة خاصة يراد تطبيقها بالعنف، ويكون منه القمع الطائفي وما أشبهه.

وهذه كلها مرفوضة شرعاً.

ثانياً: ومن خصائص الإرهاب أنه وسيلة من الوسائل العنيفة الفعالة التي يلجأ

إليها من لهم أهداف معينة، سواء كانوا رأس القضية أو فروعها، وأنه ظاهرة سياسية

تندرج في لائحة الظواهر المماثلة لها، كالحروب والثورات وحروب العصابات

والحروب الأهلية وما إليها، والغالب أن هذه الوسيلة لم تلق اهتماماً كافياً كإهتمام

بالحروب والثورات وحروب العصابات وأمثالها، بسبب اعتبار الإرهاب جريمة عادية

تعود مسؤولية الحكم فيها ومعالجتها إلى المحاكم الجنائية العادية أسوة بالأعمال كالقتل

والتخريب التي يقوم بها المجرمون العاديون واللصوص المحترفون والقتلة لأجل

الأغراض الشخصية بهدف السرقة والنهب والابتزاز واختطاف الفتيات وما أشبهه

ذلك، ومن الواضح أن الإرهاب السياسي لا يندرج تحت هذه اللائحة لأنه صاحب

قضية تتعدى مصلحته الفردية وإنما يصنف الإرهاب الجماعي في قائمة الإجرام لأن

السلطات السياسية في البلاد غالباً تريد التقليل من شأن ذلك عن قصد وتحقيق، وذلك

تهرباً من مساواة إرهاب الحكام وإرهاب المحكومين ولتبرير ضرب المحكومين باعتبارهم

خارجين عن العرف والقانون، وهذا ما يزيد الإرهاب حقداً وشراسة فإن الإرهابيين

غالباً إذا كانوا سياسيين يريدون واقعا سياسياً وهدفاً مقصوداً، بينما السلطات تجعل

ذلك من الأعمال الفردية للقتلة واللصوص والمجرمين، هذا من ناحية.

ومن ناحية ثانية لأن تميز الإرهاب السياسي عن الجريمة العادية يؤدي بالنتيجة النهائية إلى وضع تلك السلطات السياسية القائمة موضع الاتهام، والسلطات السياسية القائمة لا تريد أن تكون في قفص الاتهام بإزاء هؤلاء الإرهابيين المنظمين، كما يؤدي أيضاً إلى اتهام المنظمات الدولية والقواعد والقوانين التي تسيّر سياسات الدول تجاه بعضها وتجاه مواطنيها، وهذا يعني التوصل إلى إعادة النظر في مستويات القيم الأخلاقية والسياسية المعتمدة والمعمول بها. وخلاصة هذه الصورة في الإرهاب هو فعل يستعمل العنف أو يهدد باستعماله، وفي كلا الحالين يبدو العنف محورا رئيسيا بفعل الإرهاب.

ثالثاً: ومن خصائص الإرهاب أنه لم يتخذ صورة معينة وإنما يتخذ أشكالاً أخرى كالقتل الاعتباطي والتفجير وبتتر الأعضاء والجرح وهتك الأعراض وسلب الحريات وإذهاب القوى وتلف الأموال وغير ذلك، من المجرم وغير المجرم، والذي يحدث أن المجرم قلماً يعاقب بمقدار جرمه بل أكثر من مقدار الجرم غالباً وبما لم تأمر به الشريعة، على سبيل المثال قطع رجل بدل من قطع اليد ومثل جدد الأذن وقطع الرأس وفقء العين وقطع اللسان وغيرها، وحرمة هذه الأمور مقطوع به في الكتاب والسنة والإجماع والعقل.

وقد ذكر بعضهم أن الإرهاب أخذ يزداد، ففي عام (١٩٦٨م) بلغ عدد الأعمال الإرهابية (١٥٢) عملاً، وفي عام (١٩٧٠م) بلغ عددها (٢١٥) وفي عام (١٩٧٢م) بلغ العدد (٤٠٩) عملاً إرهابياً، وهكذا ازدادت الأعمال الإرهابية على مرّ السنوات.

وعلى هذا فالغالب أن إرهاب الضعفاء يكون رد فعل الأقوياء، وكثير من الإرهاب هو نتيجة الظلم والطغيان، ومن هنا ينبغي حل مشكلة الإرهاب والعنف حلاً جذرياً، وذلك بتطبيق قوانين الإسلام من الحرية والتعددية والشورى والأخوة وما أشبهه.

أنواع الإرهاب

مسألة: إن أنواع الإرهاب كثيرة، منها الإرهاب الاستعماري، وإرهاب الدولة والأفراد، والإرهاب السياسي والمدني والاجتماعي، وغيرها. وستتطرق إلى هذه الأنواع، مع ذكر النظرية الإسلامية في زوال هذا الإرهاب.

١: إرهاب الدولة والأفراد

٢: الإرهاب السياسي

٣: الإرهاب الاستعماري

أولاً: إرهاب الدولة والأفراد

الحركة الإرهابية ليست خاصة بالمستعمرين فقط، بل إن الأنظمة السياسية الحاكمة في بلادنا والقائمة على الدكتاتورية والاستبداد بجميع وجوهها خصوصاً الدكتاتورية العسكرية أو التي تبدلت إلى العسكرية الاستخباراتية، هي الشكل الحديث والمتطور للاستبداد والطغيان السياسيين.

ففي هذا النوع من الأنظمة تكون الحياة السياسية الطبيعية والدستورية معلقة، إذ يقرر الحكام أن القوانين الدستورية وأجهزة القضاء والتشريع التي تشمل الميادين السياسية والاقتصادية والحقوقية وغيرها، عاجزة عن فرض النظام الذي يريدونه وعن توجيه حياة الدولة والمواطنين بالاتجاه الذي يرسمونه لها، فتمنح الأقلية الحاكمة السلطة المطلقة لنفسها بقرار كفي استثنائي مستند إلى رئيس الدولة ومجلس الوزراء الذي هو الزعيم الأوحد، أو مجلس الأمة الذي يعين باختيار الزعيم الأوحد أيضاً، كما أن الحكام يقررون أن القوانين الدستورية الصحيحة عاجزة عن فرض النظام الذي يريدونه في توجيه حياة الدولة والمواطنين في الاتجاه الذي يرسمونه لها، وتتخذ الإجراءات التعسفية لفرض النظام سواء كانت الإجراءات التعسفية منفردة أو ضمن المؤسسات الدستورية، لكن روح المؤسسات الدستورية تكون مفقودة والعمل كله للمؤسسات التعسفية المفروضة من قبل الحاكم الدكتاتور، وذلك دون الرجوع إلى أي سلطة تأسيسية أو تشريعية غير المراسيم الخاصة التي تصدرها هي.

وهذا يعني أن العلاقة الطبيعية بين الحاكم والمحكوم تبطل قيمتها السياسية

والأخلاقية والاجتماعية والحقوقية، وتصبح علاقة أحادية الاتجاه، تحدد نمط الحياة القائم بين السيد والمسود، والحاكم والمحكوم، والدكتاتور والشعب.

وكما ذكرنا أن هذا الواقع لا يقتصر فقط على تحديد النظام الدكتاتوري بشكله المعلن والواضح، وإنما يشمل أيضا الأنظمة التي تدعي الديمقراطية وتحافظ على بقاء المؤسسات التمثيلية والتشريعية والقضائية بصورة شكلية فقط، أما في الواقع فلا تكون تلك الأنظمة إلا الأنظمة الدكتاتورية التي تتلبس بلباس الديمقراطية بتدريب وجودها على ذلك النحو، وفي كلتا الحالتين تبقى النتيجة نفسها، نسق قمعي وحكومة استخبارية وإعلام مبالغ فيه يجمل صورة الحكم ويسوغ ممارسة السلطة، وبذلك تكبت الحريات العامة وتضرب المعارضة السياسية بعنف حتى تمنع كل محاولة مشابهة عن الظهور والتعبير عن نفسها، وآلة ذلك الاتهام والسجن والتعذيب والإعدام ومصادرة الأموال، ونتيجة لهذا الوضع لا يبقى أمام الشعب أية إمكانية حرة للاختيار والتقرير، فهو لا يستطيع أن يقبل بسلطة مفروضة عليه خارج سيادته وإرادته، كما أنه لا يستطيع من جهة أخرى أن يرفض هذا الوضع طالما أن الوسائل القمعية تحول دون أي إجراء شرعي وديمقراطي وإرادي، ويجد الشعب نفسه سجيناً عاجزاً تجاه السلطة البوليسية الغاشمة، وضحية الإجراءات التعسفية التي تواجهه بها أجهزة القمع، غير أنه يحمل بالمقابل سلطة منافية يستطيع بفضلها أن ينفي عن المجموعة الحاكمة شرعيتها المستمدة من قوة السلاح.

ومن هنا يحصل الاختلال في توازن الهيئة الاجتماعية السياسية، اختلال يعرض الوحدة السياسية وحكومتها للخطر، لذلك لا يبقى أمام الحاكم الدكتاتوري إلا أن يفرض نفسه بقوة السلاح، وأن يدعم بقاءه في السلطة بقوة العنف والإرهاب، وعندما تتهدد الحريات في كيانها ومسيرها بوسائل فعالة لا يسعها إلا أن تلجأ إلى نفس الوسائل في ممارستها لحق الدفاع عن النفس، وذلك طبقاً للقاعدة المعروفة من أن العنف يدعو إلى العنف المضاد، والإرهاب يدعو إلى الإرهاب المضاد، وهكذا تعود الحكومة والشعب إلى الدائرة المفرغة حتى إسقاط الدكتاتور وهكذا دواليك، ما دام لم

يكن للشعب وعي، وما دام لم يكن هناك تعددية.

كما رأينا نوري السعيد^(١) عطل الدستور وحل الأحزاب ومارس الإرهاب، فقابله إرهاب مضاد من عبد الكريم قاسم^(٢) الذي فعل الشيء نفسه، حتى قابله إرهاب مضاد من عبد السلام عارف^(٣) الذي فعل بدوره الشيء نفسه، حتى قابله إرهاب مضاد من البعثيين، والبعثيون أيضا قابلهم إرهاب مضاد باق إلى اليوم مما سبب تجزئة العراق في الجملة وضعف السلطة وقتل الأبرياء والفقر والمرض والجهل والمشكلات والفوضى كما هو معروف.

إرهاب الأفراد والمنظمات

قد ذكرنا أن إرهاب الدولة في معاملتها مع مواطنيها أو مع المعارضة، هو عبارة عن الاستبداد والدكتاتورية وكأن الشعب فيها قطيع من الأغنام أو اتباع سياسة تنضيب منابع الدين ومنع الحريات الدينية والسياسية وغيرهما، ومثاله الواضح في تعيين الغرب صدام حاكما على العراق، فهذا عمل إرهابي كبير، يجعل من المواطنين العراقيين أن يضطروا إلى أعمال إرهابية صغيرة مبعثرة ومتفرقة هنا وهناك ضد السلطة الغاشمة التي هي عميلة للغرب.

وأمثال هذه الصغار تزداد عنفا وشراسة وتفرعنا كلما بقي الإرهاب الكبير، فالضعفاء في إرهابهم يبحثون عن إمكانية أخرى للاختيار، حتى لا يجرموا منها في

(١) مرت ترجمته.

(٢) هو عبد الكريم قاسم محمد بكر الزبيدي، من مواليد ١٩١٤م قام بانقلاب عسكري عام ١٩٥٨م وأطاح بالحكم الملكي بعد أن قتل أغلب أفراد العائلة المالكة، وأعلن قيام الجمهورية العراقية، وبعد أربع سنوات من حكمه تعرض لانقلاب عسكري صبيحة يوم الجمعة ٨ شباط (١٩٦٣م) بقيادة

عبد السلام عارف مع مجموعة من الضباط البعثيين وقد أسفرت المحاولة عن تسليم عبد الكريم قاسم لنفسه ومعه رفاقه وأعدموا رميا بالرصاص.

(٣) هو عبد السلام محمد عارف، من مواليد مدينة الرمادي/لواء الدليم عام (١٣٣٩هـ=١٩٢١م)، اشترك مع عبد الكريم قاسم عام (١٣٧٧هـ=١٩٥٨م) في الإطاحة بالنظام الملكي، أصبح رئيسا للجمهورية بعد الإطاحة بنظام قاسم بمعونة رفاقه البعثيين في (١٤ رمضان ١٣٨٢هـ = ٨ شباط ١٩٦٣م)، قتل مع أحد عشر شخصا من وزرائه ومرافقيه في (٣٢ ذي الحجة ١٣٨٥هـ = ١٣ نيسان ١٩٦٦م) إثر سقوط طائرته في عملية مدبرة من خلال وضع قنبلة في الطائرة.

منطق عقلا نيتهم.

ومن الواضح أن الدولة الإرهابية التي تتخذ سياسة القمع والطغيان ضد شعبها، هي السبب في تأسيس إرهاب الأفراد والمجموعات والمنظمات، فإذا نظرنا إلى المجتمع من زاوية شكل بنيتة الترتيبية الهرمية، وهيئة تنظيم عناصره المكوّن منها، بدا أن إرهاب الأقوياء أو إرهاب الدولة يكون من فوق إلى تحت، حيث يبدأ هذا الإرهاب من رأس الهرم باتجاه القاعدة، لكن ذلك إرهاب منظم ومعترف به قانونيا ودوليا، بينما إرهاب الضعفاء أو إرهاب الأفراد والمجموعات والمنظمات وأمثالها يكون من تحت إلى فوق، من القاعدة إلى رأس الهرم، حيث لا يعترف بهذا الإرهاب.

وبينما الإرهاب من القمة يتزود بكل المقومات من الصلاحيات والسجون والقانون والنظم والمال وما أشبه ذلك، نجد أن الإرهاب من تحت لا يتمكن إلا بأشياء قليلة ومبعثرة من الإمكانيات.

ففي الحالة الأولى تأخذ الدولة على عاتقها مهمة ممارسة الإرهاب فتستنفر إمكانياتها من أجهزة وقوة عسكرية وقضائية وما أشبه ذلك من أجل هذه الغاية، أما في الحالة الثانية وهي إرهاب الأفراد والقاعدة والقمة، فإن الأفراد والجماعات ليسوا في السلطة ومجرّدين من القوة الدستورية والمال والقضاء وغير ذلك من الامتيازات، وهم الذين يتولون ممارسة الإرهاب بأنفسهم، ولذا يكون بعض الإرهابيين ضعفاء وضحايا لإرهاب الدولة.

ولكن إرهاب الأفراد قد يصل إلى شيء منظم ودقيق وأعمال ثورية، فينشئ أجهزة خاصة بالعمليات، تتلقى عناصرها تدريبات منظمة ومدروسة، كما يتلقون الأوامر بالتنفيذ من قياداتهم العليا، ويتميّز هذا النوع المنظم لممارسة الإرهاب السياسي من قبل المجموعات عن إرهاب الدولة بمستوى التنظيم وعدد العناصر البشرية المكلفة بهذه الأعمال وتعقيدات الإجراءات الإدارية ولزوم عملهم في الظلام.

ثم إن الأمم المتحدة تعترف بإرهاب الدول ضد شعوبها بحجة أنها مسائل داخلية، في حين أنها لا تعترف بإرهاب المنظمات الصغيرة والأفراد، وقد ذكرنا في بعض كتبنا

أن على الأمم المتحدة وما أشبه من منظمات دولية محاسبة الدول التي تقوم بالإرهاب ضد شعبيها.

من جهة أخرى يكون إرهاب الأقوياء - عادة - مدعوماً بالمركز الاجتماعي والسياسي الذي يتمتع به رجال السلطة على عكس إرهاب الضعفاء. علماً بأن جميع أنواع العنف والإرهاب سواء من الدولة أم الشعب مرفوضة شرعاً.

ثانياً: الإرهاب السياسي

أخذ الإرهاب السياسي مساحة واسعة من أفكار المفكرين وعلماء الاجتماع وعلماء السياسة وعلماء الاقتصاد، والاهتمام بها جاء بقصد إيجاد الحلول الجزئية للذين يقومون بالإرهاب.

ثم إن الإرهاب السياسي قد يكون واقعياً، كما هو المعروف، وقد يكون صورياً كالإرهاب من دولة عميلة لدولة كبيرة ضد دولة كبيرة أخرى، ومثل هذا الإرهاب قد يسمى إرهاباً ابتزازياً.

ثم إن بعض المظلومين الذين هم يريدون تغيير خريطة دولهم أو ما أشبه ذلك من الفساد إلى الصلاح أو من الظلم إلى العدل أو ما أشبه ذلك، يخطئون الطريق فيستخدمون العنف والإرهاب، وهذا يضر هدفهم قبل أن يخدمه، على تفصيل ذكرناه في كتاب (السبيل إلى إنهاء المسلمين).

ومن المشاهد أن أعمال الإرهاب التي يقوم بها الأفراد والجماعات والشعوب المهضومة حقوقها في العالم يتضاعف عددها كل سنة، وتشمل هذه الأعمال الإرهابية أعمال القتل والجرح والخطف والتهديد بالقتل أو التدمير واختطاف الأولاد من بنين وبنات، وتحصل هذه الأقسام من عمليات الإرهاب ضد الأشخاص والممتلكات وما يشبه ذلك، وهي تتضاعف مضاعفة كبيرة من جراء السياسة المغلوطة للدول الكبرى، حيث يحرصون أنفسهم بغالب الخيرات ويتركون البقية الباقية ذليلة فقيرة مستضعفة.

ومن هنا يعرف إن إرهاب الضعفاء يحفزهم للوصول إلى مراكز السلطة

العامّة السّياسية التي تكون غلافا للدولة، وينتج عن هذا أن الأقوياء يمارسون الإرهاب ليدعموا نظامهم السّياسي وليحافظوا عليه ويدعموا مركزهم فيه دون أن يخاطروا بحياتهم الشخصية بصورة مباشرة، أما الضعفاء فإنهم يخاطرون بحياتهم الشخصية وبصورة مباشرة في عملية الإرهاب التي يقومون بها وذلك بهدف إزالة أو هدم أو زعزعة النظام السّياسي القائم وما يمثله من الأجهزة والآلات الأخرى.

ويلعب عنصر الإعلام الدّعائي دورا رئيسيا في ممارسة الإرهاب لدى الفريقين على السواء، لكن مع اختلاف أساسي بينهما يقوم على أن الإعلام الدّعائي عند الأقوياء هو عنصر دخیل على العمل الإرهابي، أي أنه يتدخل من الخارج من أجل الدعم والتأييد والتبرير، بينما هو أساسي وملازم للعمل الإرهابي عند الضعفاء، وهذا يعني أن العمل الإرهابي الذي يقوم به الأفراد أو الجماعات والمنظمات يحتوي في أساسه على عنصر دّعائي يستغله هؤلاء ويستفيدون من فعاليته ليسمعوا أصواتهم ويعرفوا بأنفسهم وبقضيتهم تجاه الرأي العام. ومن هنا يلزم نبد جميع مصاديق العنف والإرهاب سواء من الأمم والشعوب أم من الدول والحكومات.

ثالثا: الإرهاب الاستعماري

وهو حينما يتحكم بالبلد يستعمل العنف مع أهله، ومنه إذا كان إحلالياً أي يريد أن يبید السكان الأصليين ويحل محلهم، كما في قصة فرعون في ممارسة التطهير العرقي، وكما في الإرهاب الأمريكي حينما أراد استئصال الهنود الحمر من أمريكا وخطفه للناس الأحرار من إفريقيا وجعلهم عبيدا، وكذلك ما جرى في استراليا، وأشهر من عرف بالإرهاب الاستعماري والإحلالی هو الكيان الصهيوني، فالصهاينة قبل احتلالهم لفلسطين كانوا مجموعة من العصابات الإرهابية، وبقوا إرهابيين حين احتلالهم وبعد الاحتلال وإلى يومنا هذا.

ومن السياسات التي يمارسها الاستعمار الإرهابي هي اختلاق الفتن بين الدول الإسلامية، وكم من الخسائر التي تحملتها الأمة الإسلامية بسبب الحروب التي وقعت بينها، وبتخطيط إرهابي من المستعمرين.

ولقد ترك الإرهاب الاستعماري عبر عملائه - ومعظم الحكّام في هذا العصر عملاء له عملاً أو فكرياً - آثاراً سيئة في البلدان الإسلامية، منها إثارته للمشاكل والنزاعات بين الدول الإسلامية كي تقع الحرب بينها، وقد رأينا قبل سنين كيف حارب العراق إيران، فقد سمعنا من رئيس الجمهورية في إيران أن خسائر إيران في هذه الحرب كانت ألف مليار من الدولارات^(١).

ونقلت الصحف^(٢): أن جملة خسائر البلاد العربية جراء غزو العراق للكويت في سنة واحد وتسعين ميلادية كانت ستمائة وستا وسبعين مليار دولار، مشيرة إلى أن خسائر العراق الاقتصادية جرّاء هذا الغزو قد بلغت مائتين وأربعين مليار دولار، وخسائر الكويت مائتين وسبعة وثلاثين مليار دولار. بالإضافة إلى ما نشاهده من مشاكل الحدود التي ليس لها أول ولا آخر بين البلاد الإسلامية.

ومنها: إثارته الفتن والنعرات الطائفية في أوساط المسلمين كما في باكستان إذ يقتل الوهابيون من الشيعة كل يوم.

ولبيان نوع هذا العمل الإرهابي المتمثل بإثارة الفتن أذكر مثالا على ذلك، وهو قصة قتل ابن السيد أبي الحسن الأصفهاني رحمته الله في النجف الأشرف قبل ستين سنة تقريباً.

وكان قاتله رجل مجنون يسمى بالشيخ علي القمي، ومع أن القاتل كان مشهوراً عند الجميع وهو القمي، فقد أشاع عملاء بريطانيا في كل العراق من أقصاه إلى أقصاه أن الذي قتل ابن السيد هو الشيخ علي الأفغاني، وبذلك أوجدوا هوة سحيقة بين العراقيين والأفغانين، حتى أن الأفغانين بقوا في دورهم شهراً كاملاً لأنه حتى في البصرة والعمارة والناصرية والنجف وكربلاء المقدستين وغيرها إذا رأى عراقي أفغانياً ضربه انتقاماً لهذه الفعلة الشنيعة من الشيخ علي الأفغاني حتى أن السيد أبا الحسن

(١) ذكر ذلك الرئيس الإيراني الأسبق هاشمي رفسنجاني.
(٢) نقلته صحيفة السفير اللبنانية عن وكالة أنباء رويتر.

ﷺ تدخل بنفسه في الأمر، وعمم إلى وكلائه في كل البلاد وصرف أموالا طائلة حتى يرفع هذا الحيف عن الأفغانين في قصة طويلة ذكرنا منها هذا المقطع.

ولنفترض أن الذي قتل ابن السيد الأصفهاني كان أفغانيا فما هو ذنب سائر الأفغانين عقلا أو شرعا، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(١) والعقل يدل على أن المذنب هو المأخوذ بذنبه لا غير المذنب وإن كان من لغته أو قومه أو عشيرته أو منطقتة أو ما شبه ذلك^(٢).

ولكن كما ذكرنا إن إثارة الفتن سياسة المستعمرين الأجانب الذين يريدون تفرقة المسلمين بأي ثمن كان وتحطيم الأخوة الإسلامية ولكي لا يتقارب الشعبان بينما كانوا قبل مائة سنة شعبا واحدا، وإنما انفصلت أفغانستان عن إيران في زمن ناصر الدين شاه^(٣) قبل ما يقارب من قرن.

(١) سورة الزمر: ٧، سورة فاطر: ١٨، سورة الإسراء: ١٥، سورة الأنعام: ١٦٤.

(٢) سيأتي الحديث مفصلا في الفصل القادم عن أسس سلام المجتمع في الإسلام ومنها أنه أبعاد عن الناس العصبية للجنس أو القوم أو اللغة أو الجغرافية الخاصة، التي تسمى بالوطنية والملية، أو اللون أو غير ذلك.

(٣) ناصر الدين شاه بن محمد شاه بن عباس ميرزا بن فتح علي شاه القاجاري. ولد سنة ١٢٤٧هـ، وهو أحد أفراد السلالة القاجارية التي حكمت إيران فترة مائة وثلاثين عاماً. جلس على سرير الملك سنة ١٢٦٤هـ. كتب المؤرخون عن حياته وأثاره كتباً مستقلة مثل: (ناسخ التواريخ - مجلد القاجار) و(سفرنامه ناصري) و(تاريخ ناصري). له قصائد في رثاء الإمام الحسين الشهيد ﷺ باللغة الفارسية، وشعره معروف ومتداول بين الوعاظ وأهل الذكر والرثاء. زار العراق في سنة ١٢٨٧هـ بدعوة رسمية من الحكومة العثمانية، فوصل إلى كربلاء المقدسة في ٧ رمضان، وورد النجف الأشرف في ١٣ رمضان، ثم ذهب إلى زيارة سلمان الفارسي في ٢٩ رمضان. وفي ٢ شوال خرج إلى زيارة سامراء، فوصلها في ٦ شوال وتشرف بالزيارة. عندما زار كربلاء المقدسة، أمر بتجديد الأبنية في المشهد الحسيني، وتبديل صفائح الذهب، وتذهيب القبة الطاهرة، واشترى دوراً فأضافها إلى الصحن الشريف من الجهة الغربية. وفي عهده حدثت قضية التتباك (التبغ) الشهيرة، حيث منح ناصر الدين شاه حق امتياز التبغ إلى إحدى الشركات البريطانية لبيعه في داخل إيران وخارجه، مما كان يسبب سيطرة الكفار على بلاد المسلمين، وقد أصدر الميرزا الشيرازي الكبير ﷺ فتوى بتحريم استعمال التتباك، ونتيجة لهذه الفتوى اضطر الشاه ناصر الدين أن يذعن للفتوى ويلغي الاتفاقية بعد أن امتنع الناس عن التدخين وساروا في تظاهرات صاخبة عمت كل المدن الإيرانية للتبديد بالشاه وبالاتفاقية. وقد أدى ذلك إلى خروج الإنجليز من البلاد خائبين خاسرين. تعرض في ١٣ ذي القعدة سنة ١٣١٣ هـ إلى محاولة اغتيال على يد الميرزا رضا الكرمانى، في حرم السيد عبد العظيم الحسنى ﷺ في مدينة الري جنوب طهران توفي على أثرها ودفن إلى جواره. ثم جلس على أريكة السلطنة من بعده ابنه مظفر

وعلى أي حال فقد قتل الغربيون بسبب عملائهم في بلاد الإسلام: الدولة الواحدة والأمة الواحدة والأخوة الإسلامية، كما قتلوا الحريات الإسلامية والشورى والاستشارة، والتعددية الإسلامية - كما ذكرنا تفصيل ذلك هنا وفي بعض كتبنا الأخرى - وذلك للحيلولة دون وحدة الأمة وتكاملها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والتربوي والفكري والعقدي والعملي، وأصبحت هذه الأمور بأيدي الغربيين وعملائهم ألغاماً متفجرة بين حين وآخر فضلاً عن الألغام التي زرعوها بين السنة والشيعة والعرب والعجم.

ونذكر عملاً مشابهاً لهذا العمل وقع في أيامنا هذه حيث قتل شاب إيراني مهووس في طهران إحدى عشرة بنتاً بعد الفعل الشنيع بهن وهو معروف ويحمل جنسية إيرانية، وإذا بمقام كبير جداً في الدولة يخطب وينشر في الجرائد إن مرتكب هذه الفعلة الشيعة أفغانيا! مما أثار الإيرانيين على الأفغانيين، فقتل جملة منهم وضرب الآخرون أينما وجدوا، وكان البعض يمتنع عن نقلهم في سيارات الأجرة مما اضطر الكثير منهم إلى الاختباء في دورهم وعدم ذهابهم للعمل خوفاً من أن يشملهم الانتقام، لكن الحكومة بعدئذ تداركت الموقف ورفعت الحيف عنهم وبينت أن القاتل لم يكن أفغانيا وإنما إيرانيا وله سوابق أخرى غير هذا الأمر المفجع.

الدور الإسلامي في إزالة الإرهاب

مسألة: لقد وضع الإسلام الحلول الجذرية لحل مشكلة العنف والإرهاب. وكان من الممكن للمسلمين العمل على زوال الإرهاب وإحلال السلام محله وذلك بتطبيق القوانين الإسلامية.

فإن هناك إرهاب الإنسان ضد نفسه وحياته، فالإنسان الحر في الشريعة الإسلامية لا يحق له أن يقتل نفسه، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُذْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(١)، وفي حديث عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «من قتل نفسه

الدين شاه.

(١) سورة النساء: ٢٩-٣٠.

متعمدا فهو في نار جهنم خالدا فيها»^(١).

ولا يجوز للإنسان أن يبتتر عضوا من أعضائه كقطع يده أو أذنه أو جدع أنفه أو فقه عينه أو ما شابه ذلك، أو أن يذهب قوة من قواه كقوة عينه فلا يبصر أو أذنه فلا يسمع، أو المرأة تذهب قوة رحمها فلا تنجب، ولذا قال الفقهاء: بأنه يجوز للمرأة أن تعطل رحمها عن الإنجاب بشكل موقت كسنة أو ما أشبه ذلك، أما أن تعطل رحمها عن الإنجاب مطلقا فذلك غير جائز.

وسنذكر هنا باختصار رأي النظرية الإسلامية في زوال بعض أنواع الإرهاب وإحلال السلام محلها.

زوال الإرهاب المدني

الإرهاب المدني وهو الذي يهدد الناس في مختلف مجالات حياتهم المدنية، كالظلم والقتل والسرقة والانتقام والفساد والتخريب وغيرها من هذه الجرائم، وقد نهى الإسلام عن كل ذلك، يقول تعالى في الانتقام والعدوان: «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ»^(٢).

وكذلك منع الإفساد والتخريب، فقال: «وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا»^(٣).

ومن حكم الإسلام تشريعاته المختلفة وفق طبيعة الجريمة فنراه حرم الأمور التي تؤدي إلى القيام بالأعمال الإرهابية ومنها على سبيل المثال شرب الخمر والزنا، قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «حرم الله الزنا لما فيه من الفساد من قتل النفس وذهاب الأنساب وترك التربية للأطفال وفساد الموارث وما أشبه ذلك من وجوه الفساد»^(٤).

(١) الكافي: ج ٧ ص ٤٥ ح ١.

(٢) سورة المائدة: ٢.

(٣) سورة الأعراف: ٥٦.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٢٠ ص ٣٣١ ح ٢٥٦٩٩.

وقال ﷺ: «وإن الله تعالى حرم الخمر لما فيها من الفساد وبطلان العقول في الحقائق، وذهاب الحياء من الوجه، وإن الرجل إذا سكر فرمما وقع على أمه أو قتل النفس التي حرم الله، ويفسد أمواله، ويذهب بالدين، ويسيء المعاشرة، ويوقع العريضة، وهو يورث مع ذلك الداء الدفين، فمن شرب الخمر في دار الدنيا سقاه الله من طينة خبال وهو صديد أهل النار»^(١).

ومن حكمه أنه شرع الوعيد لمن يسرق، وأقل منه لمن يغصب، لأن السارق يهدد أمن الناس وحياتهم.

وكذلك موقفه من العصابات الإجرامية الذين صورتهم الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾^(٢) فجاء لهم الإسلام بأشد العقوبات لأنه حرص على الأمن والسلام المدني والاجتماعي.

وكل جريمة من هذه الجرائم وضع لها الإسلام عقاباً أو إرشاداً لردعها، كإدانتها لجريمة الخطف مثلاً، تقول الآية: ﴿كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينًا﴾^(٣).
وأيضاً الآية: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٤).

والآيات التي تحدثت عن مقاومة الإسلام للإرهاب المدني والاجتماعي كثيرة جداً، وكذلك التي أشارت إلى أهمية الأمن والسلام، ومنها الآية: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾^(٥).

ومنها الآية: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾^(٦).

والآية: ﴿أَنَا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾^(٧).

ومن هذه الآيات يستدل على أن من جملة السنن الاجتماعية المدنية هي أن المجتمع إذا أنعم الله عليه يعم الأمن والسلام، وإذا عذبه يعمه الخوف والعذاب.

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٧ ص ٤٥ ب ٥ ح ٢٠٦٩٣.

(٢) سورة المائدة: ٣٣.

(٣) سورة المدثر: ٣٨.

(٤) سورة الأنعام: ١٦٤، سورة الإسراء: ١٥، سورة فاطر: ١٨، سورة الزمر: ٧.

(٥) سورة قريش: ٤.

(٦) سورة يوسف: ٩٩.

(٧) سورة العنكبوت: ٦٧.

وهناك جملة من الأمور يجب الالتزام بها لزوال الإرهاب المدني المتمثل في الظلم والقتل والسرقة وما أشبه من سائر مصاديق العنف، منها:

أولاً: وصايا إرشادية وأخلاقية

وهي كثيرة، نشير إلى بعضها:

١: تقوية الورع والتقوى والخير والفضيلة والواقعية وأمثال هذه المفاهيم. وتطهير النفوس والقلوب وإصلاحها وترقيتها وتقويمها.

يقول رسول الله ﷺ: «إن في جسد ابن آدم لمضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «كيف يصلح غيره من لا يصلح نفسه»^(٢).

٢: الإيمان بالله واليوم الآخر، وتقوية الروح في مقابل شهوات الجسد، لأن الإنسان مركب من الروح والجسد ولا يمكن الانتفاع الصحيح بأحدهما إلا في عرض الانتفاع الصحيح بالآخر، ولهذا نشاهد كثرة الجرائم في عالم اليوم حتى في العالم المتحضر، لا لنقص في المال ولا لنقص في المعرفة أو في الشهوات الجنسية أو ما أشبه ذلك، بل لأن الإنسان لا يقف عند حد إذا لم يكن خائفاً من الله راجياً لثوابه وهاربا من عقابه ومرتقبا لـ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ^(٣).

إن الإيمان بالله واليوم الآخر وتوقع الثواب العظيم والعقاب الصارم هو الشيء الوحيد الناجع لكبح جماح الشخص المنفلت الشاذ.

٣: بيان ونشر الآيات والروايات التي ورد فيها وعيد للظالمين كي يرتدعوا عن ظلمهم وإرهابهم وهي كثيرة ستأتي الإشارة إلى بعضها.

ثم إن التشريع لم يقم حداً من الحدود إلا بعد الوعيد والإنذار الشديد كي يكون فيه قوة رادعة عن الظلم والإقدام على الفعل المحرم الذي يسبب إقامة الحد.

(١) غوالي اللآلي: ج ٤ ص ٧ ح ٨.
 (٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٣٤ ح ٤٦٩٤.
 (٣) سورة الشعراء: ٨٨-٩٠.

هذا ومن الواضح أن ظلم الحاكم إنما يكون بمعونة ظلم أعوانه من الأمة فإن الحاكم لا يتمكن بقوة غيبية قهرية من السيطرة وإنما تكون السيطرة والجبروت والغشم بالتخاذل والتواكل والإستئثار والوهم وعدم الدعوة إلى الخير وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولذا ورد في الحديث: «كيفما تكونوا يولّ عليكم»^(١)، ومثل هذه الأمة المتواكلة تكون من أشدّ أمثلة الظالمين فقد قال الله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٢).

وسنقتصر على ذكر بعض الروايات العامة التي توعدت الظالمين بالعقاب أو نهت عن الظلم والطغيان بمختلف مصاديقه:

قال رسول الله ﷺ: «الظلم ظلمات يوم القيامة»^(٣).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً»^(٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «من أعان على مؤمن بشطر كلمة لقي الله عزوجل وبين عينيه مكتوب آيس من رحمة الله»^(٥).

وقال رسول الله ﷺ: «من أكرم أخاه المؤمن بكلمة يلففه بها أو قضى له حاجة أو فرج عنه كربة لم تزل الرحمة ظلا عليه مجدولا ما كان في ذلك من النظر في حاجته، ثم قال: ألا أنبئكم لم سمي المؤمن مؤمنا لإيمانه الناس على أنفسهم وأموالهم، ألا أنبئكم من المسلم من سلم الناس من يده ولسانه، ألا أنبئكم بالمهاجر من هجر السيئات وما حرم الله عليه، ومن دفع مؤمنا دفعة ليذله بها أو لطمه لطمه أو أتى إليه أمرا يكرهه لعنته الملائكة حتى يرضيه من حقه ويتوب ويستغفر، فإياكم والعجلة إلى أحد فلعله مؤمن وأنتم لا تعلمون وعليكم بالأناة واللين، والتسرع من سلاح الشياطين، وما من شيء أحب إلى الله من الأناة واللين»^(٦).

(١) شرح القصيدة الرائية: تنمة التنزية، ص ٤٥٣.

(٢) سورة الشعراء: ٢٢٧.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٩٩ ح ١٣٦٢٢٨.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٧٠-٧١ ب ٣١ ح ٣٢٧.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٣٠٤ ب ١٦٣ ح ١٦٣٦٦.

(٦) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٤٨ ب ٥٧ ح ٣.

وفي مناهي النبي ﷺ: «ألا ومن لطم خد امرئ مسلم أو وجهه بدد الله عظامه يوم القيامة وحشر مغلولاً حتى يدخل جهنم إلا أن يتوب»^(١).

وعن أبي بصير عن أبي جعفر ﷺ قال:

قال رسول الله ﷺ: «سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه من معصية الله»^(٢).

وعن بعض الكوفيين عن أبي عبد الله ﷺ قال: «من روع مؤمناً بسطان ليصبيه منه مكروه فلم يصبه فهو في النار، ومن روع مؤمناً بسطان ليصبيه منه مكروه فأصابه فهو مع فرعون وآل فرعون في النار»^(٣).

وقال أبو عبد الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الصدود لأوليائي؟ قال: فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم، قال: فيقول هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم وعاندوهم وعنفوهم في دينهم، قال: ثم يؤمر بهم إلى جهنم»..
قال أبو عبد الله ﷺ: «كانوا والله الذين يقولون بقولهم ولكنهم حسبوا حقوقهم وأذاعوا عليهم سرهم»^(٤).

وفي حديث آخر: «من خان جاره بشبر من الأرض طوّقه الله من سبع أرضين يوم القيامة إلى الأرض السابعة حتى يدخل النار»^(٥).

وورد أنه مكتوب في التوراة: «ينادي مناد من وراء الجسر (يعني الصراط): يا معشر الجبابرة الطغاة ويا معشر المترفين الأشقياء إن الله يحلف بعزته أن لا يجاوز هذا الجسر اليوم ظلم ظالم».

وعن أمير المؤمنين ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى إذا برز خلقه أقسم قسماً على نفسه فقال: وعزتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم ولو كف بكف ولو مسحة بكف ولو نطحة ما بين القرناء إلى الجماء فيقتص للعباد بعضهم من بعض حتى

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ١٥ باب ذكر جمل من مناهي النبي ﷺ ح ٤٩٦٨.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ١٣٨ ب ١٣٨ ح ١٠٤٨٢.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣٦٨ باب من أخاف مؤمناً ح ٢.

(٤) ثواب الأعمال: ص ٢٥٧ عقاب من آذى المؤمنين ونصب لهم وعاندوهم.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٤٢٢ ح ٩٨٧٢.

لا تبقى لأحد على أحد مظلمة ثم يعثهم للحساب...»^(١).

وروي أنه لما رجع المهاجرون من الحبشة إلى رسول الله ﷺ قال: «ألا تخبروني بأعجب ما رأيتم في أرض الحبشة؟ فقال قتبية - وكان منهم - : نعم يا رسول الله بينما نحن جلوس إذ مرّت بنا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قلّة من ماء فمر شاب منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرّت المرأة على ركبتيها وانكسرت قلّتها، فلما قامت التفتت إليه ثم قالت: سوف تعلم يا غادر إذا وضع الله الكرسيّ وجمع الأولين والآخرين وتكلّمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، تعلم ما أمري وأمرك عنده غدا، قال: فقال رسول الله ﷺ: كيف يقدر الله قوما لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم»^(٢).

وفي الحديث: «يجيء الظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم وعرف ما في ظلمه، فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات فإن لم يجدوا لهم حسنات حملوا عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموهم حتى يردوا الدرك الأسفل من النار»^(٣).

وفي حديث عن رسول الله ﷺ: «أول ما ينظر الله بين الناس في الدماء»^(٤).

ثانياً: إقامة القصاص والحدود من أجل إحلال السلام

الحدود والقصاص والديات والحقوق كلها ناشئة من الأمر الوجداني لترسيخ قواعد السلم والسلام في المجتمع، فإن جعل العقوبات ونحوها وبالكيفية المقررة شرعاً، مرتبطة أوثق ارتباط بسياسة الإسلام في التربية والتنظيم والتعليم والمال ونحو ذلك، لكننا ذكرنا في بعض كتبنا الفقهية أن العقوبة في الإسلام ليست على ما يذكره بعض الكتاب من التضخيم، وإنما هي شيء قليل جداً ولها شرائط كثيرة جداً قلماً تجتمع هذه الشروط، كما هو المشاهد في زمان الرسول ﷺ وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤٤٣ ح ١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٣٥٣.

(٣) للتفصيل راجع الكافي: ج ٨ ص ١٠٤ ح ٧٩.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٨ ص ٢٧٣ ح ٢٢٧٣١.

أما في الحال الحاضر وحيث أخذ المسلمون بقوانين الغرب والشرق فقد زاد الكبت والعنف والإرهاب، فجعلوا الجو موبوءاً والمكان وخيماً والزمان وبيلاً، لذا كثرت الجرائم، بينما الإسلام يهيئ المكان المعافى والزمان الرخي الوديع والجو السليم جداً والذي يلبي جميع حاجات البشر من مال أو زوجة أو زوج أو صحة أو نحوها، فإذا كانت بعد ذلك جريمة فقد برهن هذا الفرد الذي اقترف تلك الجريمة بالبرهان الساطع والبينة الجلية على أنه في حاجة إلى العلاج، والعلاج قد لا يكون بالعقوبة فقط، بل قد يكون بغير العقوبة كمنع بعض الحقوق أو غير ذلك على ما ذكرنا تفصيله في كتاب العقوبات وغيره.

وقد ذكر القرآن الكريم جملة من الآيات التي تتحدث عن هذه الحدود والقصاص وما أشبه، وهي التي يعبر عنه بالفقه الجنائي، أي ما شرع من العقوبات للجرائم والجنايات المختلفة، ومن أشهر أحكام هذا التشريع وأسبابه:

١: صيانة المجتمع من الانحراف والفساد.

ومن الواضح أن جميع الأمم وحتى البدائية منها لها عقوبات توجب صيانة المجتمع من الانحراف والفساد. لأن كثرة الجرائم والجنايات سبب للفوضى وتخلق الانحراف وتكثر الفساد، فالالتزام بالحدود والعقوبات يوجب صيانة المجتمع ويمنعه من الانحراف ويجعل منه مجتمعاً سوياً معافى.

٢: إحلال الأمن والسلام في المجتمع.

للحدود والقصاص (العقوبة) الأثر الكبير في إحلال السلم والسلام في المجتمع، لأنها تكون رادعة للظلم ومانعة لارتكاب الجرائم العنيفة والإرهابية. وقد قال الله سبحانه وتعالى: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»^(١).

فالقصد من القصاص هو حقن الدماء وكف العدوان عن الأرواح، وقد جاء في وصية الإمام أبي جعفر عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي أنه عليه السلام قال: «القصاص والحدود حقن الدماء»^(٢)، وهذا هو أحد أسباب عيش الناس بأمن وسلام وحفظ

(١) سورة البقرة: ١٧٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٨٢ ح ٨.

الدماء من الهدر، والعرض من الهتك، والحياة من السفك، والمال من السطوة والاجتياح.

٣: إرجاع الحقوق وأخذها لأصحابها.

تقع الجرائم وتهدر الحقوق، وقانون العقوبات تضمن للضحايا إرجاع حقوقهم، فإذا ثبت لدى الحاكم الشرعي المعتدي والمعتدى عليه يؤخذ حق المجني عليه وهو صاحب الحق عن طريق الحدود والقصاص والعقوبات من الجاني حسب التشريع والقانون الإسلامي لتلك القضية، وهذا من جملة الحقوق التي جعلها الله للإنسان، وإذا لم يستطع أن يأخذ حقه في الدنيا أخذ حقه في الآخرة، ومن تلك الحقوق المعتدى عليها من قبل المجرمين والإرهابيين: حق الحياة، حيث إن كل إنسان له حق الحياة لا بالنسبة إلى الإنسان العاقل ذي الشعور، بل حتى بالنسبة إلى النطفة في الرحم فإنها إذا استقرت فيه لا يحق لشخص أن يسقطها وإذا أسقطها كان محرماً عليه من ناحية وموجباً للتأديب من ناحية ثانية وسبباً للدية من ناحية ثالثة، حتى لو كانت النطفة من زنا، إذ الولد لم يجرم شيئاً وإنما المجرم هو الزاني سواء كان كلاهما فعل محرماً عمداً أو أحدهما كان زانياً.

عن النبي ﷺ أنه قال: «يؤتى بوال نقص من الحد سوطاً، فيقول: رب رحمة لعبادك، فيقال له: أنت أرحم بهم مني فيؤمر به إلى النار، ويؤتى بمن زاد سوطاً، فيقول: ليتتهوا عن معاصيك فيؤمر به إلى النار»^(١).

وهذه الجريمة التي تلغي هذا الحق غير القابل للإلغاء وتغيبه عن الوجود في الدنيا - طبعاً مع اجتماع شرائطه - هي من أعظم الجرائم والجنايات، وقد وقف منها الإسلام موقفاً حاسماً ومتشدداً.

تقول الآية الشريفة: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾^(٢).

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٨ ص ٣٧ ح ٢١٩٤٨.

(٢) سورة النساء: ٩٣.

وفي آية أخرى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(١)، وذلك لأن الشر يبيد الحياة والخير يثمر الحياة^(٢).

وفي حديث عن رسول الله ﷺ في قصة قتيل وجد في المدينة في عهده ولم يعرف قاتله، قال ﷺ:

«لو أن أهل السماوات السبع وأهل الأرضين السبع اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله جميعاً في النار»^(٣).

وكما أن الله سبحانه وتعالى قد جعل القتل في إزاء القتل، كذلك جعل قطع العضو في إزاء قطع العضو على ما هو مذكور في أحكام القصاص، قال سبحانه: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ

(١) سورة المائدة: ٣٢.

(٢) وفي تفسير مجمع البيان: قيل في تأويله أقوال:

أحدها: إن معناه هو أن الناس كلهم خصماؤه في قتل ذلك الإنسان، وقد وترهم وتر من قصد لقتلهم جميعاً، فأوصل إليهم من المكر وما يشبه القتل الذي أوصله إلى المقتول فكأنه قتلهم كلهم، ومن استنقذها من غرق، أو حرق، أو هدم، أو ما يميث لا محالة، أو استنقذها من ضلال، فكأنما أحيا الناس جميعاً، أي: أجره على الله أجر من أحياهم جميعاً؛ لأنه في إسدائه المعروف إليهم بإحيائه أخاهم المؤمن، بمنزلة من أحيا كل واحد منهم، عن مجاهد والزجاج واختاره ابن الأنباري، وهذا المعنى مروى عن أبي عبد الله عليه السلام. ثم قال: «وأفضل من ذلك أن يخرجها من ضلال إلى هدى».

وثانيها: إن معناه من قتل نبيا أو إمام عدل، فكأنما قتل الناس جميعاً أي: يعذب عليه كما لو قتل الناس كلهم، ومن شد على عضد نبي أو إمام عدل، فكأنما أحيا الناس جميعاً في استحقاق الثواب، عن ابن عباس.

وثالثها: إن معناه من قتل نفساً بغير حق فعليه مآثم كل قاتل من الناس؛ لأنه سن القتل وسهله لغيره، فكان بمنزلة المشارك فيه، ومن زجر عن قتلها بما فيه حياتها، على وجه يقتدى به فيه بأن يعظم تحريم قتلها كما حرمه الله، فلم يقدم على قتلها لذلك فقد أحيا الناس بسلامتهم منه فذلك إحياءه إياها، عن أبي علي الجبائي وهو اختيار الطبري. ويؤيده قوله ﷺ: «من سن سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة. ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».

ورابعها: إن المراد فكأنما قتل الناس جميعاً عند المقتول، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً عند المستنقذ، عن ابن مسعود وغيره من الصحابة.

وخامسها: إن معناه يجب عليه من القصاص بقتلها، مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعاً، ومن عفا عن دمها وقد وجب القود عليها، كان كما لو عفا عن الناس جميعاً، عن الحسن وابن زيد.

راجع تفسير مجمع البيان للعلامة الشيخ الطبرسي: ج ٣ ص ٣٢١ - ٣٢٢.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٨ ص ٢١٢ ح ٢٥٣١.

بِالْأُذُنِ وَالسِّنِّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحِ قِصَاصٌ»^(١).

ويذكر أن هذا الحكم شرع عندما قتل أحد ابني آدم أخاه، فقالت الآية: «مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأْتَمَّا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأْتَمَّا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا»^(٢) قالوا: ومعنى «من أجل ذلك» من ابتداء ذلك، أي أن ابتداء هذه الكتابة منذ تلك الواقعة.

نعم حكم القتل لا يكون إلا إذا كان عن عمد، وأما إذا كان قد قتل خطأ أو شبه عمد فالشارع لم يجز قتل القاتل وإنما جعل فيه الدية.

وفي قتل العمد جعل حق العفو للولي، كما يحق له أخذ الدية أو الأقل من الدية أو الأكثر حسب التراضي^(٣).

ومن هنا يعرف الرد على الشبهة القائلة: لو حكم الإسلام لأجرى العقوبات ولكان عنيفا مع الناس. فإن الإسلام برحمته الواسعة وقوانينه السمحة يقلع جذور الفساد والظلم، ورعاية لحقوق الآخرين شرع قانون العقوبات بشروطه الكثيرة، ومع ذلك يحث الولي على العفو.

فإن هنا ملاحظة مهمة حول سماحة التشريع الإسلامي وهو أنه ينظر قبل إجراء الحدود في كل النواحي التي يترتب عليها حفظ الأرواح، فمع أن العقوبة تزجر فاسد الأخلاق الذي تجري في دمه شهوة إراقة الدماء أو ما أشبه ذلك، إلا أنه يجب النظر إلى ما يرفع الأحقاد والضغائن من النفوس حقنا للدماء وحفاظا على الأرواح ولسلامة المجتمع عن الأخذ بالثأر الذي كان عادة جاهلية ليعيش الناس في أمن وسلام، وعلى سبيل المثال حينما يشرع حكم القتل للولي فالتشريع الإسلامي ينهيه عن السرف في هذا الحق وهو الحكم الذي كان إلى جانبه وهذا ما أشارت له الآية: «وَلَا تَتَّقُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا

(١) سورة المائدة: ٤٥.

(٢) سورة المائدة: ٣٢.

(٣) حكم القتل في أقسامه الثلاثة: العمد، وشبه العمد، والخطأ، ذكر في كتاب القصاص والديات في فقه الإسلام.

يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا»^(١).

وهذه جملة من الروايات التي وردت في هذا الموضوع منها: ما ورد في حديث رواه أنس أن النبي ﷺ كان ما رفع إليه قصاص قط إلا أمر فيه بالعتفو. وقال الرسول الأكرم ﷺ: «عليكم بالعتفو فإن العفو لا يزيد العبد إلا عزا فتعافوا يعزكم الله»^(٢).

وكان رسول الله ﷺ: «يأمر في كل مجالسه بالعتفو وينهى عن المثلة»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من لم يحسن العفو أساء الانتقام»^(٤).

إن جعل العفو إلى جانب العقوبة على الجاني، حيث يختار المجني عليه ذلك، تدل دلالة ساطعة على التطبيق المرن للتشريع الإسلامي وانتفاء التزمّت عنه، وهذا رد على بعض الكتاب الذين يقولون: (لو حكم الإسلام لأجرى العقوبات).

و كأنه ليس في الإسلام إلا الحدود والعقوبات، مع أنها جزء صغير جداً من خريطة الإسلام الواسعة من باب العبادات والمعاملات والقضاء والموارث والحريات والأمة الواحدة والأخوة الإسلامية وما أشبه ذلك، ويدل على ذلك تطبيق العقوبات في زمن رسول الله ﷺ فكانت أقل من القليل، حيث إن الرسول ﷺ لم يبن سجناً على مملكته الواسعة، وكذلك في زمان الإمام علي عليه السلام، وإنما كان هناك سجن واحد في الكوفة، كما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «أنه كان يعرض السجون كل جمعة فمن كان عليه حد أقامه من لم يكن عليه حد خلى سبيله»^(٥)، أما هذا الذي نشاهده اليوم في بلاد الإسلام من كثرة السجون، وكثرة قانون العقوبات فهو تابع للغرب فكراً أو عمالة، فليس من الإسلام في قليل أو كثير، بل إنها من المنقّرات عن الإسلام كما هو واضح.

زوال الإرهاب الدولي والإرهاب السياسي

(١) سورة الإسراء: ٣٣.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٠٨ ح ٥.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٧ ح ١٠٠٤٢.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٥ ح ٥٠١٩.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١٨ ص ٣٦ ح ٢١٩٤٣.

اقترحت اللجنة التي تشكّلت في الأمم المتحدة عام (١٩٧٢م) على دول العالم بعض الإجراءات المؤدية إلى تلافى الإرهاب الدولي، وأهمها التقييد بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان القائل بحقوق الشعوب في تقرير مصيرها، وبالحفاظ على الحريات الفردية، والعمل من أجل مساعدة الشعوب الضعيفة على تحقيق حريتها، واقترحت أيضا عدم تدخل الدول الكبرى في شؤون الدول الصغيرة، وإلغاء التمييز العنصري، والاستعمار بجميع أشكاله ووجوهه، وإعطاء الشعوب حقوقها القانونية المشروعة، وحقوقها الأساسية، وهي حقوق لا يمكن التنازل عنها ولا يعفى عليها الزمن، وهي الحرية الكاملة التي تؤمن لتلك الشعوب المساواة بين هذه الدول القائمة والمعترف بها، ولكن هذه اللجنة الخاصة التي شكلت في الأمم المتحدة عام اثنين وسبعين لا يمكن الرهان عليها، لأن شرعة حقوق الإنسان التي تبنتها جميع دول العالم، غير معمول بها في دول العالم إطلاقا وخاصة من قبل الدول الاستعمارية الكبرى، وإن القرارات الصادرة عن الأمم المتحدة لا تنقيد بها الدول المعنية، ولذلك يجد الإنسان هيئة الأمم المتحدة عاجزة عن فرض هيبتها وتطبيق قراراتها بشكل مطلوب.

وقبل عقود من الزمن حيث عمّت موجة الشيوعية عالج عقلاء العالم الرأسمالي ذلك بإصلاح وضع العمّال والفقراء والمستضعفين والعاطلين مما سبّب انحسار مد الشيوعية عن تلك البلاد.

ومما يؤدي إلى زوال الإرهاب السياسي الأمور التالية:

الأول: الوعي العام والتعددية السياسية والانتخابات الحرة والمؤسسات الدستورية.

الثاني: تطبيق العدل والمساواة وإعطاء كل ذي حق حقه حتى يعمّ السلم والسلام من أقصى الشعب إلى أقصاه، وحتى لا يكون لذوي الحقوق المهذورة سبب للقيام بالإرهاب والمخاطرة بأنفسهم وما يملكون، ورفع الحيف عن المظلومين ورد الحقوق المسلوّبة إلى أصحابها وربط الشرعية بالقوة والقوة بالشرعية، فإنه وكما قال أمير

المؤمنين عليهم السلام: «ظلامه المظلومين يمهلهما الله تعالى ولا يهملها»^(١).

الثالث: إرضاء الإرهابيين الصغار وإقناعهم بأن الإرهاب ليس وسيلة محققة للغرض، بل اللازم أن يحققوا أغراضهم بالموازن الدستورية والقوانين العادية والعرفية والمعايير السلوكية والضغوط الإعلامية والدبلوماسية، وهذا هو سبيل اللاعنف الذي ندعو إليه ودلت عليه الآيات والروايات، وقد ألحنا إليه في السابق، فاللاعنف هو الذي يتغلب على القوى المادية، كما استعمله رسول الله ﷺ في أول البعثة النبوية المباركة ولهذا تغلب على الماديات، وهكذا كان حال جملة من الأنبياء عليهم السلام الذين وصل إلينا تاريخهم كعيسى المسيح وموسى الكليم وإبراهيم الخليل ونوح شيخ المرسلين عليهم السلام مما هو مذكور في التواريخ.

وربما يستشكل على هذه النقطة الأخيرة، فيقال: بأن ما ذكر فيها من النقاط التي تنسجم مع مفهوم اللاعنف فجميعها طرق سلمية تواجه إرهاباً منظماً، محاولة تغيير منهجه ومن أجل تحقيق أهدافه وفق الموازن الدستورية والقوانين العادية والعرفية، وهذا يتعارض مع المفهوم الإسلامي في الرد بالمثل على المعتدي، لزوال ظاهرة الاعتداء، والجواب:

١: إن المفهوم الإسلامي بجواز الاعتداء بالمثل، إذا كان يتحدث عن الجانب الفردي في العقاب وإجراء الحدود كالعين بالعين والسن بالسن وهو بأن تقتص من الآخر إذا حصل لك ضرر، فهذا ليس من الإرهاب، فالنقطة الثالثة ليس لها علاقة بهذا المفهوم.

٢: وإذا كان الكلام في مواجهة الإرهاب المنظم فلا يمكن تحقيق هذه النظرية (الرد بالمثل) لأن العمل الإرهابي - على سبيل المثال - لو صدر من مجموعة كبيرة وبشكل معين ضد أفراد الشعب الأبرياء فقتلوا عدداً منهم، لا يمكن الرد بالمثل عليها وبذلك الصورة التي صدرت منها.

٣: إن الإرهاب المنظم لا يوجد فيه وازع ديني يردعه عن ارتكاب المحرمات

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٣ ح ٧٨٦٧.

والجرائم والقتل والخطف وسائر الأعمال الإرهابية، بل حساباته تجري وفق المنهج المادي، بينما في المفهوم الإسلامي بالرد بالمثل هناك رادع ديني عن ارتكاب الخطأ وهو حقن الدماء لأنه من قتل نفسا متعمدا فهو في النار، ولهذا اتخذ منحج الرد الإسلامي ما يتعلق بإرهاب الصغار لزوال الإرهاب.

زوال الإرهاب الاستعماري

لقد ترك الاستعمار آثارا سيئة في مختلف المجالات، ففي المجال المعنوي من ضعف التدين، وانحطاط الخلق، وتخلف العلم، وفي غيرها من الآفات الاجتماعية والدينية الخطيرة، فلا يمكن القضاء عليها إلا إذا عادت الأمة إلى القرآن الكريم وسنة النبي العظيم ﷺ وسيرة الأئمة المعصومين عليهم السلام موحدة الهدف، مترابطة البنين، مجتمعة الكلمة، كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضا، عند ذلك يصعب على الأعداء مجابهة الأمة المتماسكة، كما قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن بمنزلة البنيان يشد بعضه بعضا»^(١). وقال ﷺ: «مثل المؤمنين فيما بينهم كمثل البنيان يمسك بعضه بعضا ويشد بعضه بعضا»^(٢).

وقال ﷺ: «المؤمنون متحدون متآزرون متضافرون كأنهم نفس واحدة»^(٣). وعندما يتحد الضعيف بالضعيف يصبح قوة وعندما تبتعد القوة عن القوة تصبح ضعفا.

وأما ما تركه الإرهاب الاستعماري في المجال السياسي في تجزأته للدولة الإسلامية إلى أكثر من خمسين دولة لها حدود جغرافية مصطنعة بألوف القوانين التي وضعها الغربيون وعملاؤهم لبقاء هذه التجزئة، بالإضافة إلى رصدهم المبالغ الكثيرة لبقاء هذه التفرقة، فمواجهة الإسلام لهذا الإرهاب هو سعيه الدؤوب لتحقيق الروابط الإسلامية الأصيلة بين المسلمين حتى يخلق مجتمعا متماسكا، وكيانا قويا، يستطيع مواجهة الأحداث، ورد عدوان المعتدين، وما أحوج المسلمين في هذه الآونة إلى هذا التجمع

(١) بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ١٥٠ ح ٣٠.

(٢) غوالي اللآلي: ج ١ ص ٣٧٧ ح ١٠٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ١٥٠ ح ٣٠.

السلمي، لتطبيق هذه المعاني السامية في حياتنا اليومية، لإقامة دولة إسلامية، وإحراز كسب سياسي واجتماعي وديني وتحقيق القوة المرجوة، التي تكون كفيلة بحماية وجود المسلمين وحقوقهم.

وأما مواجهة الإرهاب الاستعماري الإحتلالي من أجل إحلال السلام والأمن تكون في إحدى حالتين:

الأولى: هي أن يزول بالطرق السلمية، ومن أمثله الحاضرة استعمال حزب المؤتمر الهندي طرق السلم والسلام في مقابل المستعمرين الذين كانوا يملكون مشارق الأرض ومغاربها.

الثانية: مواجهة الإرهاب الاستعماري بالقوة، علما بأن هذه المواجهة إنما تكون مشروعة إذا كانت ضمن الشروط الخاصة والكيفية المقررة شرعاً وبإجازة من شورى الفقهاء المراجع، ولا تكون إلا في أقصى حالات الضرورة، على ما هو مذكور في كتاب الجهاد.

أما المواجهة الإرهابية بالاغتيال والغدر والخطف وسائر مصاديق العنف فهذا مما لا يجوز، ويوجب تشويه سمعة الإسلام والمسلمين والبعد عن الهدف. ومن هنا لا يصح دعم الجماعات الإرهابية بحجة التخلص من إرهاب الدولة أو إرهاب المستعمرين، بل يلزم اتخاذ الطرق السلمية على ما هو مقرر شرعاً. وربما ترى المستعمر (بالكسر) الظالم، والمستعمر (بفتح) المظلوم ولكنه لم يكن واعياً، يمارسان الإرهاب، مع فارق أن الأول يهدف إلى تحقيق مصالحه على حساب الآخرين، والثاني إلى استعادة حقوقه ولكن عن طريق خاطئ.

مسائل في السلم والسلام السياسي

ونشير هنا إلى بعض المسائل الشرعية في باب السلم والسلام السياسي باختصار، وتفصيل كل في محله.
سلم مع الشعب

مسألة: يلزم على الحكومة تطبيق السلم ومراعاة السلام مع الشعب، فلا يجوز استخدام العنف مع الشعب أو غيره، إلا فيما قرره الشارع وبالمقدار المقرر فقط.
سلم مع المعارضة

مسألة: يلزم على الحكومة مراعاة السلم مع المعارضة، سواء كانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية أم دينية، فلا يجوز مصادرة حرياتهما من الإعلام والصحف والتجمعات وما أشبهه.

السياسة الخارجية

مسألة: يلزم على الحكومة أن تجعل سياستها الخارجية مبنية على السلم والسلام.
بناء أسس السلام
مسألة: يلزم على الحكومة أن تسعى لشمول السلم والسلام عموم المجتمع وأفراد الشعب وأن تكون هي المشجعة لذلك والبانة لأسس السلام.
مع الأقليات

مسألة: يلزم على الحكومة الإسلامية مراعاة قانون السلم والسلام مع الأقليات الدينية الموجودة في البلد.
مع الدول المجاورة

مسألة: يلزم على الحكومة الإسلامية مراعاة قانون السلم والسلام مع الدول المجاورة.

مع سائر الدول الإسلامية

مسألة: يلزم على الحكومة الإسلامية مراعاة قانون السلم والسلام مع سائر الدول الإسلامية.

مع الدول الأجنبية

مسألة: يلزم على الدولة الإسلامية مراعاة قانون السلم والسلام مع الدول الأجنبية.

جماعات إرهابية

مسألة: يحرم على الدولة الإسلامية تشجيع جماعات العنف والإرهاب ودعمها.
حرمة العنف

مسألة: لا يجوز ارتكاب أي نوع من أعمال العنف التي توجب ضرر الآخرين

كالتفجيرات والاغتيالات واختطاف الطائرات وما أشبهه.

اللاعنف في الشعار والعمل

مسألة: على الحكومة الإسلامية أن تجعل شعارها القولي والعملية السلم واللاعنف حتى تعرف بذلك، قال سبحانه: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾^(١) وقد جعل نبينا ﷺ من أخلاق المؤمن (اللاعنف).

حكومة الرسول ﷺ

مسألة: يلزم نشر وبيان الأسلوب السلمي لحكومة الرسول ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

شبهة العنف

مسألة: يلزم دفع الشبه التي ترد على الإسلام وتتهمه بأنه دين العنف.

حرمة التعذيب

مسألة: لا يجوز تعذيب أحد حتى يقر بالجرم، لأن ذلك من أظهر مصاديق العنف وقد حرّمه الإسلام أشدّ تحريم.

ومع المجرمين

مسألة: ينبغي مراعاة قانون السلم والسلام حتى مع المجرمين - المجرم في قانون الإسلام، لا في القانون الموضوع فإن بينهما عموم من وجه - وذلك بأخذ الأخف عليهم وما أشبهه.

إخراج المسلمين

مسألة: لا يجوز إخراج مسلم من بلد إسلامي بحجة أنه لا ينتمي إلى ذلك البلد، فإنه من أعمال العنف المحرم شرعاً.

قوانين تخالف الحرية

مسألة: لا يجوز وضع القوانين التي تمنع أو تحد من حريات الناس كقانون الضرائب على الأعمال وعلى البناء وعلى السفر وعلى حيازة المباحات وما أشبهه، فإنها من العنف المحرم شرعاً.

(١) سورة البقرة: ٢٠٨.

فضح الظالمين

مسألة: يلزم فضح الظالمين الذين يرتكبون أعمال العنف وينسبون ذلك إلى الإسلام سواء كانوا على شكل دول أو جماعات، ولكن الفضح يلزم أن يكون بطريق سلمي، فإنه من النهي عن المنكر بشرائطه.

ومع الأعداء

مسألة: ينبغي مراعاة قانون السلم والسلام حتى مع الأعداء كما هو ظاهر من تاريخ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين عليهم السلام، وربما كان واجباً على تفصيل مذكور في الفقه.

من حقوق المتظاهرين

مسألة: لا يجوز ارتكاب العنف بوجه المتظاهرين ضد الدولة.

أحزاب معارضة

مسألة: لا يجوز ارتكاب العنف ضد الأحزاب المعارضة للدولة.

تعدد الأحزاب

مسألة: من مصاديق السلم واللاعنف، فتح المجال أمام الأحزاب الأخرى أي

تعدد الأحزاب، وكذلك الجمعيات والمنظمات.

الاستبداد في الحكم

مسألة: لا يجوز الاستبداد في الحكم، فإنه من أظهر مصاديق العنف، بالإضافة

إلى أنه محرم في نفسه.

مبدأ الاستشارة

مسألة: يجب الاستشارة في أمور البلاد، فإنه من مصاديق السلم بالمعنى الأعم.

السلم مع الإعلام

مسألة: يلزم على الحكومة مراعاة قانون السلم والسلام مع الإعلام الداخلي

والخارجي، العالمي وغيره، أما سياسة التحريم والمنع فغير مجد.

مظاهر العنف

مسألة: يلزم على الحكومة ترك مظاهر العنف حتى في الشعار، كالموت للدولة

الكذائية، وما أشبه.

في وضع القانون

مسألة: ينبغي مراعاة السلم والسلام في تطبيق القوانين ووضع الجزئيات من القوانين والمصاديق الخارجية.

السلم اللساني

مسألة: يلزم على الدولة مراعاة قانون السلم والسلام حتى في اللسان والتصريحات، أما السب والتهمة فهي محرمة.

السلم في وسائل الإعلام

مسألة: يلزم مراعاة السلم والسلام في الإذاعة والتلفاز.

مسألة: يلزم مراعاة السلم والسلام في الصحف والإعلام.

في باب القضاء

مسألة: ينبغي مراعاة السلم والسلام في باب القضاء.

في القانون الجزائي

مسألة: ينبغي مراعاة السلم والسلام في الحدود والتعزيزات.

مسألة: ينبغي مراعاة السلم والسلام في القصاص والديات.

في الحوار والمناظرات

مسألة: ينبغي مراعاة السلم والسلام في الحوار العلمي والمناظرات.

مع مختلف المذاهب

مسألة: ينبغي مراعاة السلم والسلام مع سائر الفرق الإسلامية وغيرها.

مع المرتد الفطري والملي

مسألة: ينبغي مراعاة السلم والسلام مع المرتد الفطري والملي.

مع الفساق

مسألة: ينبغي مراعاة السلم والسلام مع الفساق، ومنه جاءت درجات الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر.

مع أهل الكتاب

مسألة: ينبغي مراعاة السلم والسلام مع أهل الكتاب.

مع غير أهل الكتاب

مسألة: ينبغي مراعاة السلم والسلام مع الكفار من غير أهل الكتاب.

استحباب العفو

مسألة: يستحب العفو، وهو من مصاديق السلم واللاعنف.

استحباب الإحسان

مسألة: يستحب الإحسان، وذلك من مصاديق السلم والسلام.

حرمة الحسد

مسألة: يكره الحسد القلبي، ويحرم العملي وهو من مصاديق العنف.

حرمة السب

مسألة: يحرم السب، فإنه من مصاديق العنف.

حرمة الغيبة

مسألة: تحرم الغيبة، فإنها من مصاديق العنف.

حرمة التهمة

مسألة: تحرم التهمة، فإنها من مصاديق العنف.

حرمة الفواحش

مسألة: تحرم الفواحش، فإنها من مصاديق العنف.

حرمة الغصب

مسألة: يحرم الغصب، فإنه من مصاديق العنف.

حرمة القتل

مسألة: يحرم القتل، فإنه من مصاديق العنف.

حرمة الكذب

مسألة: يحرم الكذب، فإنه من مصاديق العنف.

حرمة أكل المال بالباطل

مسألة: يحرم أكل أموال الناس بالباطل، فإنه من مصاديق العنف.

للقضاء على الإرهاب

مسألة: يجب تشكيل لجان للقضاء على الإرهاب العالمي بالطرق السلمية لا

بالإرهاب المماثل.

مع قانون الأهم والمهم

مسألة: لو تعارض قانون السلم والسلام مع قانون (الأهم والمهم)، فاللازم في

المسائل العامة العمل بنظر شورى الفقهاء المراجع.

مع قانون لا ضرر

مسألة: لو تعارض قانون السلم والسلام مع قانون (لا ضرر) كما في قصة سمرة

بن جندب تُقدّم قانون لا ضرر^(١).

حرمة العنف

مسألة: لا يجوز العنف إلاّ في أقصى حالات الضرورة وبقدرها وحسب تشخيص

شورى الفقهاء المراجع.

حرمة التجسس

مسألة: لا يجوز ما تعارف اليوم من التجسس ضد الشعب فإنه من أظهر مصاديق

العنف كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾^(٢).

السلم والتعليم المدرسي

مسألة: ينبغي جعل برامج خاصة للمدارس حتى يتعلم الطلاب السلم

واللاعنف.

حرمة اعتقال الأبرياء

مسألة: لا يجوز اعتقال وسجن الأبرياء فكيف بتعذيبهم لمجرد مخالفتهم

للحكومة، فإنها من أعمال العنف المحرمة أشد التحريم.

ثقافة السلام

مسألة: ينبغي للحكومة نشر وعي السلم وثقافة السلام واللاعنف بين الناس عبر

الإذاعات والصحف وأمثال ذلك.

منظمات حقوق الإنسان

مسألة: يلزم على المنظمات العالمية لحقوق الإنسان الاهتمام الأكثر لرفع العنف

والإرهاب عن العالم أجمع، وذلك بإنكار ما يقع من أعمال العنف في داخل الدول

بالنسبة إلى شعوبها فتطالب الدول بذلك وتتابع الأمور للحد عنه وقد ذكرنا في بعض

الكتب لزوم تهيئة الأمم المتحدة (محامين) لأجل رفع الظلم عن الشعوب الذين

يرزحون تحت أحكام الدكتاتوريين ولا يكون ذلك من التدخل في الشؤون الداخلية

وإن كان تدخلاً فيها لكنه يلزم الدفاع عن المظلوم مطلقاً على ما ذكر في الفقه.

صدا للعنف

(١) راجع الكافي: ج ٥ ص ٢٩٢ ح ٢.

(٢) سورة الحجرات: ١٢.

مسألة: يلزم على الأمم المتحدة جعل أطروحات لرفع أعمال العنف حتى بالنسبة إلى ما تعمله الدول ضد شعوبها، وليس من الصحيح عدم الاهتمام بذلك بحجة أنها من التدخل في الشؤون الداخلية للدول على ما سبق.
محاسن السلم والسلام

مسألة: ينبغي جمع ونشر محاسن السلام والسلم واللاعنف وكذا مساوئ وأضرار العنف وبيان ذلك للناس.

نشر آيات السلم ورواياته

مسألة: ينبغي نشر آيات السلم والسلام وكذا الروايات الواردة في هذا المجال بين الناس لتركيـز ثقافة السلم والسلام في المجتمع.

فإن هناك آيات وروايات وقواعد فقهية كثيرة تدلّ على رجحان السلم والسلام، ولا يخفى أن الرجحان هنا بالمعنى الأعمّ.

فمن الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١).

وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾^(٣).

ومن الروايات: قوله عليه السلام: «ما وضع الرفق على شيء إلا زانه»^(٤).

ومن القواعد الفقهية: قاعدة لا ضرر، قاعدة لا حرج، قاعدة الجب، قاعدة اليسر، قاعدة الصحة، قاعدة سوق المسلمين، قاعدة اليد، قاعدة الفراغ، قاعدة التجاوز، قاعدة عفا الله عما سلف، قاعدة أرض المسلمين، وغيرها.

(١) سورة النحل: ١٢٥.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٣) سورة فاطر: ١٨، سورة الأنعام: ١٦٤، سورة الإسراء: ١٥، سورة الزمر: ٧.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢٩٢ ح ١٣٠٦٤.

الفصل الثالث

السلم والسلام في الاقتصاد

التطرف والإرهاب الاقتصادي

- شمولية الاقتصاد الإسلامي
- تطور الشريعة الإسلامية
- التطرف الاقتصادي
- الإرهاب الاقتصادي

دور التكافل الاجتماعي في تكامل السلم الاقتصادي

- التعريف النظري والإجرائي لمفهوم الضمان والتكافل الاجتماعي
- أصل قوانين الغرب في الضمان والتكافل الاجتماعي
- أبعاد التكافل الاجتماعي في الشريعة
- فوائد التكافل الاجتماعي على المجتمع
- مفهوم التكافل الاجتماعي في روايات أهل البيت عليهم السلام
- موارد التكافل الاجتماعي ومستحقه

صور من التكافل الاجتماعي الإسلامي

- التكافل بين الفرد ونفسه
- التكافل الأسري
- التكافل في المجتمع

ذم التطرف في جمع الأموال والثروة

- ظلمات أبي ذر الغفاري رضي الله عنه
- أسباب دعوة أبي ذر رضي الله عنه إلى مبدأ الإنفاق في سبيل الله

السلم والعدالة في حقوق الملكية الفردية

- الملكية الفردية في الشريعة الإسلامية
- الشروط التي وضعها الإسلام حول الملكية الفردية
- نظرة الإسلام الاقتصادية في القضاء على الفقر
- تعريف الفقر
- مفهوم الفقر في روايات أهل البيت عليهم السلام
- عوامل نشوء مشكلة الفقر وأسبابها
- الحلول الإسلامية للقضاء على الفقر
- مسائل في السلم والسلام الاقتصادي

التطرف والإرهاب الاقتصادي

مسألة: يحث الإسلام على السلم والسلام الاقتصادي، ويمنع من التطرف والإرهاب في هذا الباب.

ربما يقال: إن المواضيع التي تبحث في مجال الاقتصاد واضحة، فمنها على سبيل المثال الأمور المتعلقة بالعمل والإنتاج والتوزيع وغيرها من هذه المسائل المعروفة، وإذا كانت كذلك فما المراد بهذا المصطلح (السلم والسلام الاقتصادي) وهل يعني هذا أن هناك تطرفاً وإرهاباً اقتصادياً؟.

شمولية الاقتصاد الإسلامي

وقبل الجواب نشير إلى ملاحظة مهمة وهي أن الدين الإسلامي كامل بتمام معنى الكلمة، وفي كل مجالات الحياة ومنها الاقتصاد، فمن يزعم بأن الإسلام ليس فيه قانون اقتصادي متكامل فهو غير صائب.

إن الشريعة الإسلامية فيها نظرية متكاملة وأجوبة تامة لجميع المسائل الاقتصادية، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام عن الشريعة: «فيها كل ما يحتاج الناس إليه وليس من قضية إلا وهي فيها حتى أرش الخدش»^(١).

وقد ذكر الفقهاء في الفقه الإسلامي ما يقارب خمسين نوعاً من الموضوعات المرتبطة بشؤون الاقتصاد، بيعاً وشراءً ومضاربة وتجارة وإجارة وشراكة ومزارعة وغير ذلك، كما إنهم ذكروا المحرمات الاقتصادية التي ذكرها الإسلام، وقد ذكرنا شيئاً من ذلك في كتاب (الفقه: المكاسب المحرمة)^(٢) و(الفقه: آداب المال)^(١).

(١) الكافي: ج ١ ص ٢٤١ ح ٥. المراد بأرش الخدش: الغرامة التي يدفعها الإنسان إذا جرح جسم غيره ولو بقدر خدشة طفيفة.

(٢) يقع الكتاب في مجلدين، وهو من تأليفات الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) في مدينة قم المقدسة ١٤١٤ هـ، الجزء الأول ٢٩٦ صفحة قياس ١٧×٢٤. وفيه الموضوعات التالية: العقد المحرم، بيع الأيوال والفضلات، بيع الدم والخمر وسائر المسكرات، المنافع المحللة للخمر، بيع الخنزير، بيع الكلاب، المستنثبات، بيع الميتة، المذكى المشتبّه، بيع المنى، استئجار الرحم، حق الاختصاص، بيع المتنجسات ▶ ◀ بيع غير مأكول اللحم، العصير العنبي، العصير الزبببي، بيع الدهن المتنجس، بيع الأصنام، بيع آلات القمار، بيع آلات اللهو، أواني الذهب والفضة، النقد المعشوش، اختلاف القوة

تطور الشريعة الإسلامية

ثم إن الشريعة الإسلامية قابلة للتجديد والتطوير، وصالحة لكل زمان ومكان، وهذا لا يعني أن الدين الإسلامي يتطور أو يتغير عبر مرور التاريخ في قواعده العامة الأساسية، وإنما التطور والتغيير والتجديد يكون في جزئيات هذه القواعد ومصاديق أصولها، أي إن الإسلام له قواعد عامة تنطبق على الجزئيات سواء كانت تلك الجزئيات في زمان النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام أم حدثت بعد ذلك، أو ستحدث في المستقبل.

وعلى سبيل المثال: ما شرعه الإسلام من قواعد في مجال التجارة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(٢).

وقوله سبحانه: ﴿تِجَارَةٌ عَنِ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾^(١).

الشرائية، بيع العنب والتمر ممن يعمله خمرًا، الإعانة على الإثم، بيع السلاح، بيع آلات التعذيب، بيع ما لا نفع فيه، تدليس الماشطة، المستنثبات، تشبه الرجل بالمرأة وبالعكس، التشبيب، الاستهزاء، الأفلام السينمائية والصور الخلاعية، البخس والتطفيف، علم النجوم، كتب الضلال، الرشوة، السب، السحر، التسخير، التنويم المغناطيسي، الكهانة، النفث والعزائم، العين، الرمل والجفر، النيرنج والفال، القيافة، تنزيه أولاد الأئمة (عليهم السلام)، العرافة، الطلسمات، قراءة الكف، الغش، الغناء، مستنثبات الغناء، زف العرائس، الرقص والتصفيق، الموسيقى، الغيبة، مستنثبات الغيبة، رواية الحقوق.

الجزء الثاني ٢٨٧ صفحة وفيه الموضوعات التالية: القمار، أقسام اللعب، المباريات، اليانصيب، القيادة، الكذب، مستنثبات الكذب: الهزل، خلف الوعد، المبالغة، التورية، الضرورة والإصلاح، القصص المخترعة، اللهو واللعب، مدح من لا يستحق المدح، التعاون مع الظالمين، النجش، النوح بالباطل، لسان الحال، الولاية من قبل الجائر، بين العرض والولاية، هجو المؤمن، الهجر، الأجرة على الصناعات، الأجرة على الأذان والإمامة والقضاء والشهادة والتعليم الواجب، ما يكره من المعاملات، بيع المصحف للكافر، جوائز السلطان، مجهول المالك، الضرائب غير الشرعية، الأراضي الخراجية، الأرض الخرية، الأقوال في الحريم، تحجير الأرض، الأرض التي أسلم عليها أهلها، السبق في الأحياء، المعادن، ملكية المباحات، المياه، فروع، و... قام مركز الرسول الأعظم ﷺ للتحقيق والنشر، بيروت لبنان بطبعه ونشره عام ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.

(١) مخطوط، وهو من موسوعة (الفقه) الإستدلالية للإمام الشيرازي الراحل رحمته الله، وقد تناول سماحته في

الكتاب موضوع: المال وآدابه من البعد الفقهي وما يترتب عليه من أحكام شرعية. وقد تم تأليفه في

مدينة قم المقدسة. والنسخة موجودة عند مؤسسة الوعي الإسلامي للتحقيق والنشر.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٥.

(٣) سورة النساء: ٢٩.

وقوله سبحانه: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(٢).

وهذه عبارة عن أصول وقواعد كلية عامة، وهي لا يمكن أن تتغير، فلا يمكن أن يأتي زمان (يحرم فيه البيع ويحل الربا)، أو (تحرم التجارة مع الرضا وتحل التجارة بدون الرضا) أو (يجوز أكل المال بالباطل) أو (لا يجب الوفاء بالعقود اللازمة).

وأما الجزئيات والفروع - المصاديق - فيمكن أن تكون موضوعاً جديداً للحكم الشرعي ومصداقاً للقاعدة الكلية، وقد يتغير الحكم باختلاف الموضوع وتغيره، على سبيل المثال في مجال بيع الطائفة فهي لم تكن في زمن النبي ﷺ فإذا وجدت حل بيعها، وأما اختلاف هذا الحكم كما لو بيعت من دولة محاربة للإسلام وكان من بيع السلاح للأعداء فيتغير حينئذ الحكم ويتحول إلى الحرمة.

أو مثلاً البنك فلم يكن في زمان النبي ﷺ بنك كما هو اليوم في زماننا، فإذا اعتمد النظرية الإسلامية في معاملاته فيجوز التعامل معه، وأما إذا كان ربوياً فالحكم هو تحريم التعامل معه لما تعاطاه من الربا المحرم.

ومن هنا نعرف أن الشريعة الإسلامية قابلة للتطبيق في كل تجديد وتطوير، وصالحة لكل زمان ومكان، عبر التطور والتغيير والتجديد في جزئيات القواعد الكلية العامة. وفي الجواب على السؤال المتقدم نقول: نعم هناك تطرف وإرهاب اقتصادي،

على التفصيل التالي:

التطرف الاقتصادي

التطرف الاقتصادي له أنواع كثيرة ونذكر منها نوعين:

الأول: تطرف بعض المسلمين - كما في التاريخ الإسلامي - في الجانب الاقتصادي ممن حسبوا على الإسلام وليس هم منه ولا يمثلونه.

الثاني: تطرف غير المسلمين، ويتمثل في النظريات الاقتصادية غير الإسلامية، كالاشتراكية والرأسمالية والشيوعية وما أشبه.

فهناك تطرفات للمذهب الرأسمالي والماركسي في المسائل الاقتصادية ومن أبرزها

(١) سورة البقرة: ١٨٨.

(٢) سورة المائدة: ١.

ما يرتبط بالملكية الفردية، وهي من أهم المسائل الاقتصادية التي لازالت رحي الصراع تدور عليها بين أتباع المذهب الرأسمالي والاشتراكي.

وسياتي الحديث عن ذلك خلال هذه الصفحات بإذن الله تعالى.
الإرهاب الاقتصادي

وأما الإرهاب الاقتصادي فيمثلته الغرب والدول الاستعمارية ضد دول العالم وخصوصاً الإسلامية منها وهو حقيقة لا يمكن إنكارها.

ومصاديق هذا الإرهاب كثيرة ومنها: التجسس الذي تقوم به الدول الاستعمارية على ثروات الشعوب المسلمة من أجل نهبها واستغلالها واحتكارها والسيطرة عليها، وعلى معاملاتها التجارية، وذلك من خلال وسائل الاتصال الحديثة كالإنترنت وغيره من الوسائل المتطورة، كما يتم التجسس عبر عملائهم في الحكم.

ومنها: القيام بالأعمال السياسية التي يراد بها الإرهاب الاقتصادي، كحصار الشعوب المستضعفة والتحكم في ثرواتها ومنعها من استثمار خيراتها بلادها، وكالقضاء على الشركات الكبيرة والمنع من تأسيسها أو استمرارها، وتخريب البنية التحتية للبلاد، والبرمجة الدقيقة لهجرة رأس المال إلى الغرب، وما أشبه هذه الأمور.

وكل ذلك كي يصل الاستعمار إلى النتيجة التي يسعى إليها وهي القضاء على منابع المالية للشعوب الإسلامية وتجفيفها، وهذا ما لاحظناه في إيران والعراق، وفي الحقيقة إنها مؤامرة أريد منها تدمير الشعب وليس الحكومة.

ومنها: ما نراه من الفوائد التي تفرضها الدول الكبرى لقاء إعطاء قرض طويل الأجل أو لمدة معينة مما يثقل كاهل الدولة والشعب بزيادة الفائدة المرتفعة عبر مرور الوقت.

ومنها: عدم إعطاء بعض الدول الغنية القروض والمساعدة إلا بعد إعلان الدولة المقترضة بأنها تابعة لها في سياستها أو في غيرها من المجالات المختلفة.

ومنها: ما عرف الآن عالمياً بمنظمة التجارة العالمية وهي مؤسسة وضعت من أجل خدمة الاستعمار الغربي والأمريكي وذلك لأجل السيطرة على الاقتصاد العالمي

وجعله مسيراً من قبل دول محدودة^(١).

وهذه الأعمال وغيرها من النهب والسلب واحتكار الثروة وما أشبه، هي التي كانت سبباً في إيجاد أكثر من ألف مليون جائع في عالم اليوم^(٢)، وموت مليون طفل جوعاً بسبب عدم العناية الصحية في كل عام، وكذلك هي السبب في بث الرعب والقلق والخوف في النفوس.

وقد عقدوا المؤتمرات الدولية واستغلوا الإعلام العالمي لمسائل اختلقت لهذا الشأن ومنها مثلاً المشكلة السكانية في العالم وأنها تهدد مستقبل العالم وتندثر بانفجار سكاني لا يعرف مصيره ولا تعلم عواقبه، فتعقد لأجلها المؤتمرات وتبحث فيها مسائل كثيرة ومنها تحديد النسل وعلاج المشكلة الاقتصادية التي تعاني منها!.

والحقيقة أن المال متوفّر بقدر ما يخلق الله سبحانه وتعالى من البشر، وما من نفس تخلق إلا وحدد لها من الرزق مدة وجودها في الدنيا كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾^(٣). وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾^(٤).

إضافة إلى ذلك إن العلماء ذكروا أن الكرة الأرضية قابلة لأن يسكنها مائتا مليار من البشر أي أربعون مرة ضعف هذا البشر المتواجد عليها فإن فيها ما يكفيهم للعيش والرزق والسعادة.

إلا أن الشيء الذي سبب فقر خمس البشر في الحال الحاضر هو القوانين الوضعية التي كلها مخالفة لصريح الإسلام والعقل، أما إذا رجع الإنسان إلى قوانين الإسلام فإنه يتمكن من أن يعيش على الأرض بكل رفاه وسلام.

وكانت هذه بعض العناوين المتعلقة بالأعمال الإرهابية التي تتعلق بالجانب

(١) الموسوعة الدولية: ص ١٠٢٠.

(٢) ذكرت المنظمة الدولية للعمل في تقريرها السنوي أن ربع البشرية يعيش في البؤس إذ أن (١٥) مليار إنسان لا يملكون دولاراً واحداً في اليوم للعيش، وقالت: إن ٧٥% من ١٥٠ مليون عاطل عن العمل في العالم لا يتقاضون أي معونات ضد البطالة ولا يتمتعون بأي حماية اجتماعية. (الشرق الأوسط: العدد ٧٨٧٧، في (٢٢/٦/٢٠٠٠م).

(٣) سورة الإسراء: ٣١.

(٤) سورة الأنعام: ١٥١.

الاقتصادي، كما أن منها الجمارك والمكوس والضرائب الباهضة والاحتكار وتجارة الجنس والدعارة، وتجارة المخدرات، ووضع القوانين التي تمنع الإنسان من حيازة المباحات، ومن التجارة الحرة والاستيراد والتصدير، وسرقة أموال الشعوب وإفقار الأمة، و...

وهنا لابد من مقابلة هذا الإرهاب والوقوف بوجهه ولكن ليس بإرهاب اقتصادي مضاد وإنما عبر مواجهته بالطرق السلمية، وعبر الرجوع إلى القوانين الفطرية التي وضعها الإسلام في المجال الاقتصادي.

ولهذا اصطلح على موضوعات هذا الفصل بهذا العنوان: (السلم والسلام الاقتصادي) ولعله لم يستخدم هذا المصطلح كثيراً، وهو يتحدث عن بعض جوانب النظرية الاقتصادية بالمعنى الأعم في الإسلام التي تؤدي إلى السلام الاقتصادي.

وكما هو واضح فإن هذا الكتاب لم يخصص للحديث بصورة مفصلة عن هذا العنوان أو الخطوط العامة لهذا الموضوع - إذ لم نتعرض للمسائل الاقتصادية العلمية الهامة كالحديث عن البنك الإسلامي أو الإنتاج والتوزيع أو المقارنة بين المذهب الاقتصادي الإسلامي والمذاهب الأخرى إلا بقدر الإشارة - لأن الحديث عن السلام الاقتصادي واسع جداً ولا يمكن أن يحيط كتاب بتفاصيله، وسيكون الحديث عن جملة من الموضوعات المتفرقة من خلال النظرية الاقتصادية الإسلامية التي تدخل ضمن هذا العنوان بقدر ما تسمح به صفحات هذا الكتاب، ومن أراد الإطلاع على هذه المسائل بصورة مفصلة فعليه الرجوع إلى:

(الفقه: الاقتصاد) و(الفقه: التجارة) و(الفقه: المكاسب المحرمة) و(الفقه: البيع) وغيرها من الكتب^(١) التي فصلنا الحديث فيها عن المسألة الاقتصادية وما وضعه الإسلام من حلول لمشاكلها.

(١) من مؤلفات الإمام الشيرازي الراحل رحمته الله أيضاً في الاقتصاد الكتب التالية:

الاقتصاد الإسلامي المقارن، الاقتصاد عصب الحياة، الاكتفاء الذاتي والبساطة في العيش، حل المشكلة الاقتصادية على ضوء القوانين الإسلامية، الكسب النزيه، من أسباب الفقر والحرمات في العالم، من القانون الإسلامي في المال والعمل، ماذا بعد النفط؟، كيف يمكن علاج الغلاء؟.

وأما المواضيع التي اختيرت للبحث في هذا الفصل فهي أربعة :

١ : دور التكافل الاجتماعي في تكامل السلام الاقتصادي

٢ : ذم التطرف في جمع الأموال والثروة

٣ : السلام والعدالة في حقوق الملكية الفردية

٤ : نظرة الإسلام الاقتصادية في القضاء على الفقر

هذا مضافاً إلى قانون الحريات الاقتصادية في الإسلام، والتي تشمل كل جوانب الحياة إلا المحرم منها، وهي بدورها تضمن سلامة الاقتصاد في المجتمع، على تفصيل ذكرناه في محله.

وهذه الموضوعات الأربعة هي من أهم المواضيع الاقتصادية التي لها علاقة وطيدة وأكيدة في عملية السلام الاقتصادي والاجتماعي، لأن عدم العمل بها وفق النظرية الإسلامية يؤدي إلى وقوع الاقتصاد والمجتمع في اضطرابات كثيرة وبالتالي ارتكاب الجرائم وإيجاد الطبقة، إذ كل واحد من هذه الموضوعات يخلق مشاكل معينة في الاقتصاد وكذلك في الجانب الاجتماعي، لأن الأمور المالية لها علاقة وثيقة بالاجتماع ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾^(١).

وفي هذه الآية الكريمة يعبر تعالى عن المال بالقيام، فإن قيام المجتمع بالمال. ومن هنا أراد الإسلام باقتصاده الصحيح القيام للمجتمع.

١

دور التكافل الاجتماعي في تكامل السلام الاقتصادي

التعريف النظري والإجرائي لمفهوم الضمان والتكافل الاجتماعي

من المصطلحات التي لها علاقة وثيقة بعلم الاقتصاد: الضمان والتكافل الاجتماعي، والأول: هو يعني أن الدولة تقوم بمعونة المحتاجين وهو ما يعبر عنه

(١)سورة النساء: ٥.

بالضمان الاجتماعي وهو من المصطلحات الحديثة.
وأما التكافل الاجتماعي فهو الذي يقوم به أفراد المجتمع وهو عبارة عن إعطاء القادر والمتمكن إلى من هو بحاجة للعطاء والمساعدة.
وهناك فرق آخر بين المصطلحين، فالأول خاص إذ يشمل الأمور المادية فقط ويصدر عن جهة واحدة، وأما الثاني عام ويشمل الحاجات المادية والمعنوية وهو لا يصدر من جهة واحدة فحسب وإنما يشترك فيه جميع أفراد المجتمع، وسمي التكافل تكافلاً لأنه بين اثنين من باب التفاعل، سواء كان بين مجموعة كما يقال: تكافل القوم أي كفل بعضهم بعضاً، أو بين طرفين حيث يكفل كل طرفه، أو كان الطرفان في شخص واحد كالطبيب الذي يعالج نفسه فهو معالج (بصيغة الفاعل) ومعالج (بصيغة المفعول).

وقد يصطلح على التكافل بالتضامن وهو التزام القوي أو الغني معاونة الضعيف. ويمكن أن يكون مصطلح التكافل عاماً وشاملاً، أي يكون جنساً وله مصاديق متعددة، ومنها أنه يشمل كما ذكرنا المادية والمعنوية، ومن المادية الضرائب المالية الإسلامية كالخمس والزكاة لأنها تتكفل بمعيشة المحتاج وتقوم حياته، ويشمل أيضاً الإنفاق الذاتي الذي يقوم به الإنسان في إحسانه للغير كالأموال التي تبذل لتقوية أو اصر صلة الرحم وقرى الضيف وإغاثة الملهوف وإشباع الجائع وهو المقصود في هذا الفصل، وهذا العطاء هو من الحقوق المالية التي أولته الشريعة الإسلامية اهتماماً عظيماً.

أصل قوانين الغرب في الضمان والتكافل والاجتماعي

وهنا ملاحظة مهمة حول التكافل الاجتماعي في الإسلام وهو أنه ينبع من ضمير الإنسان وأعماقه ولا يفرض عليه من الخارج عبر قوانين وضعية كما هو في الغرب، وذلك لأنه يتربى على هذا النمط من المسؤولية، فهناك المئات وربما الآلاف من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وروايات العترة الطاهرة عليهم السلام التي ترشد الإنسان إلى البذل والإنفاق وتحثه على الكرم والعطاء، سواء في الحقوق الشرعية الواجبة أو التي

ندب إليها الإسلام.

هذا أولاً، وثانياً: هناك التشريع الحكيم الذي يتلاءم مع فطرة الإنسان فيما فرض عليه من الضرائب كالحمس والزكاة وغيرها من أجل سعادة أخيه الإنسان في الجانب المعيشي.

وقد شرعت بعض دول العالم المتحضر بعض القوانين التي تتعلق بالضمان الاجتماعي، وواقع تلك القوانين وأصلها يرجع إلى الإسلام ومأخوذ منه، وقد نادى بها الإسلام وطبقها قبل أكثر من أربعة عشر قرناً، هذا بالإضافة إلى أن تطبيق الغرب لها لا يرقى إلى مستوى تطبيق الإسلام.

ومن ذلك على سبيل المثال: ما فرضه الإسلام على الدولة من حقوق للفقير والمريض والأرملة والعاجز وإن لم يكونوا مسلمين، وقد ورد في (وسائل الشيعة) في كتاب الجهاد أن أمير المؤمنين عليه السلام جعل في بيت مال المسلمين حقاً للنصراني العاجز المكفوف قائلاً: «ما أنصفتموه، استعملتموه حتى إذا كبر وعجز تركتموه، أجروا له من بيت المال راتباً» في قصة مشهورة^(١).

وهنا قد يرد سؤال: هل أن هناك تقصير حدث في تأمين هذا الضمان أو غيره من قوانين التكافل الإسلامي في البلاد الإسلامية، حيث عم الفقر والحرمان؟
الجواب: إن التقصير ليس في القوانين والأنظمة الإسلامية التي تتعلق في هذا الموضوع، وإنما في الدولة التي خالفتها، ولهذا أوجب الإسلام العصمة في الإمام عليه السلام كي لا تقع أخطاء ولا يحدث تقصير يكون الضحية فيه المجتمع.

أبعاد التكافل الاجتماعي في الشريعة

ربما لم يجد الإنسان لفظ (التكافل) بالمعنى الذي ذكرناه صريحاً في الآيات الكريمة، أو في حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم والعترة الطاهرة عليهم السلام، وإنما ورد ما يؤدي معناه، فهناك

(١) راجع وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٦٦ ح ١٩٩٦٦، وفيه: عن محمد بن أبي حمزة عن رجل بلغ به أمير المؤمنين عليه السلام قال: مر شيخ مكفوف كبير يسأل: فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما هذا؟» فقالوا: يا أمير المؤمنين نصراني، قال: فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه!! أنفقوا عليه من بيت المال.»

العديد من الآيات والروايات التي تتحدث عن البذل والإنفاق في سبيل الله وتحث على إعانة المحتاجين والفقراء وقضاء حوائج المؤمنين بل كل إنسان.

وقد أكد أهل البيت عليهم السلام على هذا الجانب في سيرتهم العملية العطرة وفي أحاديثهم حيث ورد فيها مفهوم (التكافل) بألفاظ التعاون والتواصل والمواساة وما أشبه، كما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاون على التعاطف والمواساة لأهل الحاجة وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما أمركم الله عزوجل رحماء بينكم متراحمين مغتمين لما غاب عنكم من أمرهم، على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله»^(١).

وقد ورد أيضاً معنى التكافل بمعنى إعطاء الحق والوفاء به، كما عن معلى بن خنيس عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قلت له ما حق المسلم على المسلم؟ قال عليه السلام: «له سبع حقوق وواجبات ما منهن حق إلا وهو عليه واجب، إن ضيع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته، ولم يكن لله فيه من نصيب، من حق المؤمن على أخيه المؤمن: أن يشبع جوعته، ويواري عورته، ويفرج عنه كربته، ويقضي دينه، فإذا مات خلفه في أهله وولده...»^(٢).

وتفصيل دلالة هذا الحديث وتقريبه من موضوع التكافل كما يلي:

١: إن الاستفادة من كلمة الحقوق في الحديث هو التكافل بالمعنى الذي ذكرناه ففيه وجوب أن يبذل الرجل مساعدته من أجل إشباع الجائع أو إعطائه المال من أجل قضاء دينه.

٢: ذكرنا أن التكافل أشمل من الضمان، فهو يشمل الحاجات المادية والمعنوية، والمادية في الحديث تتمثل في: «أن يشبع جوعته، ويواري عورته، ويقضي دينه» والمعنوية: «يفرج عنه كربته، فإذا مات خلفه في أهله وولده»^(٣).

فوائد التكافل الاجتماعي على المجتمع

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٧٤ ح ١٥.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٦٩ ح ٢.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ١٦٩ ح ١.

١. التكافل يمثل نوعاً من الترابط بين أفراد المجتمع، فيكون كالأسرة الواحدة فحينما يقوم الإنسان بعمل ما في المجتمع الإسلامي فهو يقدم خدمة لذلك المجتمع فله حق عليه إن احتاجه في أمر ما، فإذا استجاب له المجتمع وأدى متطلباته وما يستحقه من مساعدة فيشعر حينئذٍ أنه عضو فاعل في المجتمع وله موقع فيه، ولا يخاف إن نزلت فيه نائبة لأن هناك من يهتم بأمره ومن هو ملتزم ببذل المال والإنفاق عليه. أما إذا لم يتحسس المجتمع مشاعر ذلك الإنسان ولم يسع في سد حاجاته فيشعر بأنه غريب عنه.
٢. هناك بعض الأعمال إذا تحملتها الجماعة الكثيرة يسهل القيام بها ولا يكون فيها عبء اقتصادي على أحد وتصبح يسيرة، لأن الأموال التي بذلت لهذا العمل توزعت على الجميع، وهذا من فوائد التكافل الاجتماعي الإسلامي.
٣. القضاء على ظاهرة الانحراف والجريمة التي تنشأ من الحرمان والجوع والفقر، لأن عدم القيام بهذا التكافل والإعانة يؤدي إلى هذه الأعمال، فالجائع لا يبقى عنده استقرار نفسي فإذا لم يجد الخبز سوف يتهاون في صلاته - إن أداها وأقامها على أحسن الأحوال - التي تجعله يأمر بالمعروف ويبتعد عن الفحشاء وينهى عن المنكر، وحينئذٍ سيحقد على المجتمع ويرتكب الجرائم.
- ولذلك قال النبي ﷺ: «اللهم بارك لنا في الخبز ولا تفرق بيننا وبينه فلولوا الخبز ما صلينا ولا صمنا ولا أدينا فرائض ربنا»^(١).
- وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إنما بني الجسد على الخبز»^(٢).
- ومن هنا يعرف أن الإنسان لا يمكن أن يعيش حياة طبيعية إلا بعد أن يؤمن حاجاته الأساسية مثل الغذاء والطعام.
- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن يعقوب عليه السلام كان له مناد ينادي كل غداة من منزله على فرسخ: ألا من أراد الغذاء فليأت إلى منزل يعقوب، وإذا أمسى ينادي: ألا من أراد العشاء فليأت إلى منزل يعقوب»^(٣).

(١) الكافي: ج ٦ ص ٢٨٧ ح ٦.

(٢) الكافي: ج ٦ ص ٢٨٧ باب إن ابن آدم أجوف لا بد له من الطعام ح ٧.

(٣) الكافي: ج ٦ ص ٢٨٧ باب الغذاء والعشاء ح ١.

وقد ورد تشديد في روايات كثيرة على من يتهاون في مسألة التعاون والتواصل والتكافل فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أيا رجل من شيعتنا أتى رجلاً من إخوانه فاستعان به في حاجته فلم يعنه وهو يقدر إلا ابتلاه الله بأن يقضي حوائج غيره من أعدائنا يعذبه الله عليها يوم القيامة»^(١).

وهناك لون من الشدة في بعض الروايات إذ يعتبر أي تفويت أو تنقيص للمورد المستحق من هذه الحقوق جريمة وخروجاً عن طاعة الله تعالى. ومنها ما ورد عن محمد بن عجلان قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل رجل فسلم فسأله: «كيف من خلفت من إخوانك؟»

قال: فأحسن الشاء وزكى وأطرى.

فقال عليه السلام له: «كيف عيادة أغنيائهم على فقرائهم؟»

فقال: قليلة.

قال عليه السلام: «وكيف مشاهدة أغنيائهم لفقرائهم؟» قال: قليلة.

قال عليه السلام: «فكيف صلة أغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم؟» فقال: إنك لتذكر

أخلاقاً قل ما هي فيمن عندنا، قال: فقال عليه السلام: «فكيف تزعم هؤلاء أنهم شيعة!»^(٢).

مفهوم التكافل الاجتماعي في روايات أهل البيت عليهم السلام

ورد في سنة النبي صلى الله عليه وآله وأحاديث أهل البيت عليهم السلام الحث والتأكيد على التكافل والتعاون والتواصل والمواساة، فإن النفس الإنسانية أمانة بالسوء فتمنع الإنسان من القيام بهذا العمل المقدس وهو التعاون والتواصل والتكافل مع أفراد مجتمعه.

وفي الأحاديث أنه لا يستطيع القيام بهذا العمل إلا القليل، ولا تطيق الأمة ذلك ولا تستجيب له عادة. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي ثلاث لا تطيقها هذه الأمة: المواساة للأخ في ماله، وإنصاف الناس من نفسه، وذكر الله على كل حال...»^(٣).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٦٦ ح ٢.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٧٣ ح ١٠.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٥٨ ح ٥٧٦٢.

ولهذا ورد الحث على تحدي النفس ومقاومتها عند تقديم العطاء، ويلزم عليه أن يصبرها على إعطاء هذه الحقوق وحتى بالنسبة إلى ما لا تصل حد الوجوب منها كالمال الذي يصل به الإنسان رحمه أو يصرفه في الضيافة أو يعطيه الفقير أو غيرها من الموارد المشابهة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فمن أتاه الله مالاً فليصل به القرابة وليحسن منه الضيافة وليفك به الأسير وليعط منه الفقير والغارم وليصبر نفسه على الحقوق والنوائب ابتغاء الثواب، فإن فوزاً بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الآخرة إن شاء الله»^(١).

ومن خلال النظرية الإسلامية في حقيقة التكافل ودرجاتها ومراتبها يعرف أن الأنفس البشرية التي ليست فقط تكفل وتعطي وتعاون وتواسي بل تلك التي تفتح أبواب قلوبها وأموالها للآخرين أيضاً، هي نادرة في التاريخ! كندرة تطبيق هذا المورد الذي ورد في رواية سعيد بن الحسن قال:

قال أبو جعفر عليه السلام «أبجيء أحدكم إلى أخيه فيدخل يده في كيسه فيأخذ حاجته فلا يدفعه؟» فقلت: ما أعرف ذلك فينا، فقال أبو جعفر عليه السلام: «فلا شيء إذاً» قلت: فالهلاك إذاً؟ فقال عليه السلام: «إن القوم لم يعطوا أحلامهم بعد»^(٢).

إن هذا التكافل يعتبر من جملة الأمور التي بها قوام الدين والدنيا فقال الإمام علي عليه السلام: «قوام الدين والدنيا بأربعة: عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم، وجواد لا يبخل بمعرفه، وفقير لا يبيع آخرته بدينه»^(٣).

وقد وردت روايات وأحاديث كثيرة تدم من يتهاون عن تكافل أخيه ويقصر في تعاونه معه ويتخلف عن القيام في قضاء حاجته، ومنها ما ورد عن أبي جعفر عليه السلام قال: «من بخل بمعونة أخيه والقيام له في حاجته إلا ابتلي بمعونة من يآثم عليه ولا يؤجر»^(٤).

(١) نهج البلاغة: الخطب ١٤٢.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٧٣ ح ١٣.

(٣) نهج البلاغة: قصار الحكم ٣٧٢.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٣٦٥ ح ١.

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أما رجل من أصحابنا استعان به رجل من إخوانه في حاجة فلم يبالغ فيها بكل جهد فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» قال أبو بصير: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تعني بقولك والمؤمنين؟ قال عليه السلام: «من لدن أمير المؤمنين إلى آخرهم»^(١).

وعن أبي جميلة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من مشى في حاجة أخيه ثم لم ينصحه فيها كان كمن خان الله ورسوله وكان الله خصمه»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من استشار أخاه فلم يحضه محض الرأي سلبه الله عز وجل رأيه»^(٣).

موارد التكافل الاجتماعي ومستحققيه

هناك من يعمل وأجره يكفي معيشته الطبيعية فهذا لا يشمل التكافل وهو ليس بحاجة له لأن ما يحصل عليه يسد احتياجاته، وهناك من يعمل ولكن لا يكفي ما يحصل عليه في سد حاجاته وهنا يأتي دور صندوق الضمان الاجتماعي كما في عصرنا الحاضر وكان سابقاً يصطلح عليه بـ (بيت المال) فيكمل له كي تكون معيشته كالأخرين، وإذا لم يؤد دوره هذا الصندوق يأتي دور التكافل الاجتماعي الذي يمارس من قبل المؤسسات الخيرية أو غيرها، أو مباشرة بين أفراد المجتمع.

ومن جملة الموارد التي لا تعطى عن طريق التكافل: الغني والقوي وصحيح البدن ولا صاحب المهنة المحترف بها، وقد ذكر هذه الموارد الإمام أبو جعفر عليه السلام فقال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي ولا لمحترف ولا لقوي» قلنا: ما معنى هذا؟ قال عليه السلام: «لا يحل له أن يأخذها وهو يقدر على أن يكف نفسه عنها»^(٤).

وأما العاطل عن العمل فيكفل حتى يوفر له عمل، وهنا الكثير من الروايات التي

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٦٢ ح ٣، ووسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٣٨٣ ح ٢١٨٢٦.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٣٨٤ ح ٢١٨٢٧، والكافي: ج ٢ ص ٣٦٣ ح ٤.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣٦٣ ح ٥، ووسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٤٤ ح ١٥٥٩٩.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٩ ص ٢٣٣ ح ١١٩١٢.

تحت على العمل ومنها ما ورد عن زرارة قال: إن رجلاً أتى أبا عبد الله عليه السلام فقال: «إني لا أحسن أن أعمل عملاً بيدي ولا أحسن أن أتجر وأنا محارف محتاج فقال عليه السلام: «اعمل فاحمل على رأسك واستغن عن الناس، فإن رسول الله صلوات الله عليه وآله قد حمل حجراً على عاتقه فوضعه في حائط له من حيطانه وإن الحجر لفي مكانه ولا يدرى كم عمقه إلا أنه ثم بمعجزته»^(١).

وقد بين الإسلام أن العمل هو شرف الإنسان وكرامته وهو طاعة من طاعات الله عزوجل يكفل الإنسان بها نفسه وعياله.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن محمد بن المنكدر كان يقول: ما كنت أرى أن مثل علي بن الحسين عليه السلام يدع خلفاً لفضل علي بن الحسين عليه السلام حتى رأيت ابنه محمد بن علي عليه السلام فأردت أن أعظه فوعظني فقال له أصحابه: بأي شيء وعظك؟ قال: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيت محمد بن علي عليه السلام وكان رجلاً بديناً وهو متكئ على غلامين له أسودين أو موليين له فقلت في نفسي: شيخ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا والله لأعظنه، فدنوت منه فسلمت عليه، فسلم علي بنهر وقد تصبب عرقاً، فقلت: أصلحك الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة في طلب الدنيا! لو جاءك الموت وأنت في هذه الحال؟

قال: فخلى على الغلامين من يده ثم تساند عليه السلام وقال: لو جاءني والله الموت وأنا في هذه الحال لجاءني وأنا في طاعة من طاعات الله أكف بها نفسي عنك وعن الناس، وإنما كنت أخاف الموت لو جاءني وأنا على معصية من معاصي الله.

فقلت: يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني»^(٢).

وإما إذا كان عاطلاً عن العمل ولا يريد أن يعمل فهذا له توجيه وتربية بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى لا يصبح عالة على المجتمع. وقد وردت روايات كثيرة في ذم العاطلين، فعن ابن عباس أنه قال: كان رسول الله صلوات الله عليه وآله إذا نظر إلى الرجل فأعجبه قال: «له حرفة؟» فإن قالوا: لا، قال صلوات الله عليه وآله: «سقط من عيني» قيل وكيف ذلك يا

(١) الكافي: ج ٥ ص ٧٦ ح ١٤.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ١٢ ح ١٤٥٨٢.

رسول الله؟ قال عليه السلام: «لأن المؤمن إذا لم يكن له حرفة يعيش بدينه»^(١).
 وعن حذيفة بن منصور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من كف يده عن
 الناس فإنما يكف عنهم يداً واحدة ويكفون عنه أيدي كثيرة»^(٢).
 وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن
 الناس»^(٣).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه شيئاً إلا أعطاه فليأس
 من الناس كلهم ولا يكون له رجاء إلا عند الله، فإذا علم الله عزوجل ذلك من قلبه
 لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه»^(٤).

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: «رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عما
 في أيدي الناس ومن لم يرجع الناس في شيء ورد أمره إلى الله عزوجل في جميع أموره
 استجاب الله عزوجل له في كل شيء»^(٥).

وعن عبد الأعلى بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «طلب الحوائج
 إلى الناس استلاب للرزق ومذهبة للحياء، واليأس مما في أيدي الناس عز للمؤمن في دينه
 والطمع هو الفقر الحاضر»^(٦).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «اليأس مما في أيدي الناس عز المؤمن في دينه أو ما
 سمعت قول حاتم:

إذا ما عزمت اليأس ألفيته الغنى إذا عرفته النفس والطمع الفقر»^(٧)

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «من طلب الرزق في الدنيا استعفافاً عن الناس
 وتوسيعاً على أهله وتعطفاً على جاره لقي الله عزوجل يوم القيامة ووجهه مثل القمر

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ١١ ح ١٤٥٨١.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١١٧ ح ٦.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ١٤٨ ح ١.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٧ ص ١٤٢ ح ٨٩٥٣.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ١٤٨ ح ٣.

(٦) وسائل الشيعة: ج ٩ ص ٤٤٤ ح ١٢٤٥٤.

(٧) الكافي: ج ٢ ص ١٤٩ ح ٦.

ليلة البدر»^(١).

وعن داود الرقي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: «يا داود تدخل يدك في فم التّنين إلى المرفق خير لك من طلب الحوائج إلى من لم يكن فكان»^(٢).
وفي الحديث أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٣) انقطع رجال من الصحابة في بيوتهم واشتغلوا بالعبادة وثوقاً بما ضمن لهم، فعلم النبي صلى الله عليه وآله ذلك فعاب ما فعلوه وقال صلى الله عليه وآله: «إني لأبغض الرجل فاغراً فاه إلى ربه يقول: اللهم ارزقني ويترك الطلب»^(٤).

صور من التكافل الاجتماعي الإسلامي

١: التكافل بين الفرد ونفسه

التكافل الفردي هو عبارة عن أن يكفل الإنسان نفسه، وتكفل نفسه الإنسان، ولا تقصد بالنفس هنا الأمانة بالسوء بل العاقلة الرشيدة، وإذا تم هذا التكافل على ما قرره الإسلام فحينئذ يحصل السلام بين الإنسان ونفسه في هذا الجانب^(٥) ويكون قد حاز ثواب الدنيا والآخرة وعاش عيشة سعيدة ومات ميتة حميدة، وذلك يتم عن طريق تحقيق حقوق كل من الطرفين وهما الإنسان ونفسه:

فأما حق النفس على الإنسان في هذا الجانب كفايتها عن المسألة واستغنائها عن الناس، وذلك يكون في اكتساب المال عبر كدحه وعمله في هذه الدنيا. وإذا لبي هذا الحق يكون قد أعطى من إنسانيته لنفسه حقها وقدم ما فرض عليه لها.

وموقف الشرع من هذا الحق واضح، فالإسلام يرى لزوم أداء الإنسان لحقوق النفس في هذا المجال وقد قال النبي صلى الله عليه وآله عن رجل كما سيأتي: «كان يسعى على نفسه ليكفيها عن المسألة ويغنيها عن الناس»^(٦).

(١) الكافي: ج ٥ ص ٧٨ ح ٥.

(٢) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٣٢٩ ح ٣٣.

(٣) سورة الطلاق: ٢-٣.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ١٥ ح ١٤٥٩٧.

(٥) ويبقى السلام العام بين الإنسان ونفسه ناقصاً إلا في هذا الجانب وهو الاقتصادي إلا أن يتم ويكمل في جميع النواحي والمجالات.

(٦) راجع بحار الأنوار: ج ٩٣ ص ١٥٣، وثواب الأعمال: ص ١٨٣، وجامع الأخبار: ص ١٣٩.

وهذا يتطلب من الإنسان أن لا يترك الدنيا ويهملها فقالت الآية الكريمة: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾^(١)، ولكن من الضروري أن يصلح الإنسان دنياه بقدر أيضاً، ولذا جعل الله ما آتاه لأجل الدار الآخرة ثم قال: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ حيث للإنسان نصيب من الدنيا. وفي آية أخرى قال عزوجل: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٢).

وعن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»^(٣).

وقد جاء في حديث: «ليس منا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه»^(٤).
والروايات في تكريم معطي حق النفس من إنسانيته في هذا المجال عديدة، ومنها في قول النبي ﷺ حيث كان جالساً ذات يوم مع أصحابه فنظروا إلى شاب في جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا: ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله، فقال النبي ﷺ: «لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفيها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله»^(٥).

وقال أبو الحسن موسى عليه السلام: «من طلب هذا الرزق من حله ليعود به على نفسه وعياله كان كالمجاهد في سبيل الله»^(٦).

وأما حق الجسد على النفس في التكافل أن تهيأ له الراحة والاطمئنان والسكينة وهذا ما حث عليه الإسلام ضمن ضوابط شرعية، فلا يكون هناك إفراط في الكدح والعمل في اكتساب المال من أجل إرضاء النفس في كل الأحوال لأن الأصل فيها (أمانة بالسوء) كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ

(١) سورة القصص: ٧٧.

(٢) سورة البقرة: ٢٠١.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١ ص ١٤٦ ح ٢٢٠.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ١٥٦ ح ٣٥٦٨.

(٥) الكافي: ج ٥ ص ٩٣ ح ٣.

(٦) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٢٠ ح ٢١٨٧٥.

رَبِّي»^(١)، وإيجاد متطلبات شهوة هذه النفس سيكون حينئذ على حساب البدن، لأنها ترهقه بنزواتها وشهواتها في الأعمال الكثيرة التي قد تضعف قوته الجسدية والبدنية، وحينئذ لا يقوى على العمل والعبادة وغيرها من الأمور الحياتية التي يجب أن يؤديها، أو تؤدي إلى إضعاف هذه القوة بسبب الأمراض التي تأتي من الإفراط في شهوة الأكل والرغبات، فيجب على النفس أن تكون غنية بالقناعة والورع ومكارم الأخلاق كالزهد والصبر، وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «ليس الغنى كثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس»^(٢).

وقال علي عليه السلام: «خير الغناء غناء النفس»^(٣).

وقد لخص عليه السلام هذا في قوله: «إن لبدنك عليك حقاً»^(٤).

وإذا تم هذا التكافل بين الجسد والنفس وأدى كل منهما حق الآخر سيعمهما السلام، حيث إذا كفل الجسد حقوق النفس وأغناها عن المسألة والناس فستعيش في سلم وأمان، وكذلك لو أدت النفس حق الجسد فسيكون سليماً ومعافى.

وأما إذا حصل إفراط في الأعمال والشهوات أو تفريط وتقصير في الحقوق كما في إفراط عمل الإنسان في الدنيا لأجل النفس فلا يكون هذا العمل أداء لحقها وإنما تلبية لرغبات الجشع وتحقيق لأهواء الطمع. وهذا يوجب عدم سلامة الإنسان، وليس هذا في الزهد أو الاقتصاد أو التكافل فقط بل حتى في العبادات والطاعات، لأن الإسلام يمنع الإنسان من أن يفرط فيها وقد وردت الإشارة إلى هذا المعنى عن رسول الله ﷺ حيث رأى شخصاً كان مفرطاً في العبادة بحيث ضيع سائر الحقوق فنهاه عن ذلك وقال له كلمته المشهورة: «إن المنبت - يعني المفرط - لا ظهراً أبقى ولا أرضاً قطع»^(٥).

(١) سورة يوسف: ٥٣.

(٢) مجموعة ورام: ج ١ ص ١٦٣.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٧١ ح ٨٣٦٥.

(٤) راجع مستدرك الوسائل: ج ١١ ص ١٥٤ ح ١٢٦٦٤، وفيه: عن الإمام السجاد عليه السلام قال في رسالته المعروفة برسالة الحقوق: «اعلم رحمك الله أن الله عليك حقاً محيطة بك - إلى أن قال - فاجعل
► لبصرك عليك حقاً ولسمعك عليك حقاً وللسانك عليك حقاً ولبيدك عليك حقاً ولرجلك عليك حقاً ولبطنك عليك حقاً ولفركك عليك حقاً...» الخبر.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١ ص ١١٠ ح ٢٧.

٢: التكافل الأسري

التكافل بين الفرد وأسرته من أسس السلم والسلام في نواة المجتمع، فإن المجتمع يتكوّن من عشرات الأسر ومئاتها وآلافها، وكل أسرة نواة في هذا المجتمع، فإذا صلح حال التكافل الاجتماعي في الأسرة صلح المجتمع، وإذا تدهورت الأسرة اقتصادياً وغيره ولم يصلح حال التكافل بينها تسقط قيمة تلك الأسرة، وبسقوطها تسقط قيمة المجتمع، فإن المجتمع المتكوّن من الأسر حاله حال البناء المتكوّن من الأحجار فإذا لم توضع الأحجار بالشكل الصحيح لا يعقل أن يكون البناء صحيحاً.

وأما روايات المدح والذم في هذا المجال وعكسه كثيرة، منها ما روي في مدح المعطي حق أهله في التكافل وذلك بالإنفاق عليهم قوله عليه السلام: «وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفهم فهو في سبيل الله...»^(١).

وفي رواية أخرى لما رجع النبي عليه السلام من غزوة تبوك استقبله أحد الصحابة وقد كان في يده آثار العمل، فقال له عليه السلام: «ما هذا الذي أرى بيدك؟»، قال: من أثر المرّ والمسحاة أضرب وأنفق على عيالي، فقال الرسول عليه السلام له: «هذه يد لا تمسها النار».

وفي رواية أخرى: «هذه يد يجبها الله سبحانه وتعالى».

وقال عليه السلام: «الكاد على عياله من حلال كالمجاهد في سبيل الله»^(٢).

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «الذي يطلب من فضل الله عزوجل ما يكف به عياله أعظم أجراً من المجاهد في سبيل الله»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا كان الرجل معسراً فيعمل بقدر ما يقوت به نفسه وأهله ولا يطلب حراماً فهو كالمجاهد في سبيل الله»^(٤).

وعنه عليه السلام قال: «من سعادة الرجل أن يكون القيم على عياله»^(٥).

(١) مقارنة الأديان: ج ٣ ص ١٣٨.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ١٦٨ ح ٣٦٣١.

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٨٨ ح ٢.

(٤) الكافي: ج ٥ ص ٨٨ ح ٣.

(٥) الكافي: ج ٤ ص ١٣ ح ١٣.

وأما الروايات التي ورد فيها ذم للمفرط في حق أهله وأسرته وأولاده من بدنه وجسده في العمل والكدح ، فمنها قول علي عليه السلام لعاصم بن زياد في البصرة كما ذكره الشريف الرضي ثبتت في النهج ، فقال : ومن كلام له عليه السلام بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه يعوده ، فلما رأى سعة داره قال عليه السلام : « ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا وأنت إليها في الآخرة كنت أحوج وبلى إن شئت بلغت بها الآخرة تقري فيها الضيف وتصل فيها الرحم وتطلع منها الحقوق مطالعها فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة» ، فقال له العلاء : يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد ، قال عليه السلام : « وما له » ؟ قال : لبس العباءة وتخلّى عن الدنيا ، قال عليه السلام : « عليّ به » .

فلما جاء قال عليه السلام : « يا عديّ نفسه لقد استهام بك الخبيث أما رحمت أهلك وولدتك؟ أتري الله أحل لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله من ذلك » .

قال : يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك !
قال عليه السلام : « ويحك إني لست كأنت إن الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كي لا يتبيغ بالفقير فقره » ^(١) .

٣: التكافل في المجتمع

ومن الواضح أن التكافل بين الفرد والجماعة يؤدي إلى السلم والسلام ، فكل يجنو على الآخر ويريد رضاه ويسعى لأجله .

وإذا كان هناك تكافل متبع بين أفراد المجتمع وفق النظرية الإسلامية سيعم أبناء الأمن المعيشي والسلام الاقتصادي ، وأما إذا صار المجتمع طبقات ، طبقة فقيرة وأخرى غنية ولم يكن بينهما تكافل ، فهناك انعدام السلام ، وكثيراً ما يوصل ذلك إلى الاضطرابات والمظاهرات وإلى الثورة أو الحرب .

وهكذا تكافل الصحابة في الصدر الإسلامي الأول فأدوا ما عليهم مما فرضه

(١) نهج البلاغة: الخطب ٢٠٩ ، وراجع أيضاً الكافي: ج ١ ص ٤١٠ ح ٣ .

التشريع الإسلامي في أموالهم أو نذبهم إليه في الزائد عن حاجاتهم الأساسية فكان كل واحد منهم يعتقد أنه عضو في ذلك المجتمع يتعاون مع أفراده ويساهم معهم في استقراره ويسعى في صلاحه من الزبغ والانحراف والفقر والمرض والجهل والعداء ونحو ذلك ...

وكان كل واحد منهم يشد أزر إخوانه من الصحابة، يعالج مرضاهم ويسعف فقراءهم ويقضي حاجاتهم، وقد تجسد هذا التكافل بأروع صورها فيما جرى بين المهاجرين والأنصار في بداية الهجرة المباركة، وكان لمجتمع الأنصار الفضل في ذلك فأصبحوا مضرب المثل في الإحسان والتكافل والتواصل والتعاون مع المهاجرين على عهد رسول الله ﷺ.

وقد وردت في مدحهم روايات كثيرة عن النبي ﷺ وأهل البيت عليه السلام كما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاون على التعاطف والمواساة لأهل الحاجة وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما أمركم الله عزوجل ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(١) متراحمين مغتمين لما غاب عنكم من أمرهم على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله ﷺ»^(٢).

ولا شك أن أمثال هذه الأعمال والحقوق التي يؤديها الإنسان لأخيه الإنسان تعتبر من أفضل العبادات وتمنحه الانطلاق إلى الآفاق الواسعة ليلبغ كماله، ويحصل على ارتقائه المقدر له، سواء كان مادياً أم اجتماعياً.

٢: ذم التطرف في جمع الأموال والثروة

ذكرنا فيما سبق ما جرى بين المهاجرين والأنصار من تكافل وإيثار وتعاون وتواصل في عهد النبوة حتى أصبحوا كالأسرة الواحدة، ولكن لما مات الرسول ﷺ وحدثت من بعده الاختلافات، تغيرت سيرة بعض الصحابة فأقبلوا على حطام الدنيا وملذاتها وتنافسوا في جمع الأموال والثروة وادخارها، ومال كثير منهم إلى حياة

(١) سورة الفتح: ٢٩.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٢٠٠ ح ٤.

الترف والنعيم وخاصة في عهد عثمان وقد أخبر النبي ﷺ عن ذلك فقد روي أنه بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاءه بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ فلما صلى ﷺ انصرفوا فتعرضوا له ، فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : «أظنكم أنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء» ، قالوا: أجل يا رسول الله ، قال ﷺ : «فأبشروا وأملوا ما يسركم فو الله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط لكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»^(١).

وقد أشار الإمام علي عليه السلام في إحدى خطبه إلى بعض أحداث بني أمية وتصرفاتهم في عهد عثمان فقال مشيراً إلى ذلك : «فقام بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع»^(٢).

وقد ذكر صاحب كتاب الذخائر والتحف عدداً من ثروات جملة من الصحابة الذي ابتنوا القصور وجمعوا الأموال وقبلوا قطائع عثمان.

وكذلك أشار المسعودي في تاريخه فقال: وأحد الأسباب التي أدت بهم إلى نهج هذا السبيل هو تأثرهم باليهود بعد أن فسح لهم المجال في عهد الخلفاء.

وهناك شواهد كثيرة في هذا المجال وسنقتصر هنا في الحديث عن هذا الموضوع على بعض المقاطع من الرواية الطويلة المشهورة ومحورها الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري (رضوان الله عليه) جاء فيها:

إن عثمان بن عفان نظر إلى كعب الأحبار فقال له: يا أبا إسحاق ما تقول في رجل أدى زكاة ماله المفروضة هل يجب عليه فيما بعد ذلك فيها شيء؟

قال: لا ولو اتخذ لبننة من ذهب ولبننة من فضة ما وجب عليه شيء، فرفع أبو ذر عصاه فضرب به رأس كعب ثم قال له: يا ابن اليهودية الكافرة ما أنت والنظر في أحكام المسلمين، قول الله أصدق من قولك حيث قال: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ١ ص ١٣٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطب ٣، الخطبة الشقشقية.

نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ»^(١).

وفي تكملة الرواية قال عثمان للإمام علي عليه السلام الذي كان حاضراً: يا أبا الحسن انظر ما يقول هذا الشيخ الكذاب، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «مه يا عثمان لا تقل كذاب فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما أظلت الخضراء وما أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر». فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: صدق علي عليه السلام فقد سمعنا هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله^(٢).

فهذه إحدى الروايات الكثيرة التي تتحدث عن تأثر بعض الصحابة باليهود في جمع المال والثروة وعدم الإنفاق في سبيل الله، وبما أن هذه الرواية من الروايات المهمة في تاريخ المسلمين ولا بد من الوقوف عندها فيمكن استخلاص جملة من الموعظة والعبر منها:

أولاً: هناك فرق شاسع بين منهج الحكام وسيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام فالحاكم يؤيد كلام كعب الأخبار وهو اكتناز الذهب والفضة بعد إخراج الزكاة وأن لا ضير في عدم الإنفاق في سبيل الله، بينما علي أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «لا ادخرت من غنائمها وفراً...»^(٣).

وحتى لو قيل إن بعض الحكام كان يحث على الإنفاق في خطبه وكلماته، لكن الكلام يختلف عن الفعل، فإن العمل شيء صعب والقول شيء سهل، فإذا نظر الإنسان إلى خطابات بعض من عاش في ذلك العهد ورأى خطابات أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي كان يتورع أشد التورع ولم يختلف اثنان في عدله وزهده وورعه وإعراضه عن الدنيا، ربما رأى الكلام من كليهما متساوياً في بعض الجهات لكن فرق العمل بينهما بعد المشرقين.

فروي أن علياً عليه السلام اجتاز بقصاب وعنده لحم سمين فقال: يا أمير المؤمنين هذا

(١) سورة التوبة: ٣٤ و ٣٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٤٢٦ ح ٣٦.

(٣) نهج البلاغة: الرسائل ٤٥.

اللحم سمين اشتري منه ، فقال عليه السلام له : «ليس الثمن حاضراً»، فقال : أنا أصبر يا أمير المؤمنين ، فقال عليه السلام له : «أنا أصبر عن اللحم»^(١).

بينما كانت تأتي إليه البيضاء والصفراء من مختلف بلاد الإسلام كافة والتي كانت تعدّ ذلك اليوم بحوالي خمسين دولة حسب خريطة اليوم ، لكنه كان يتورّع حتى عن أكل اللحم.

وفي حديث آخر: كان يأكل اللحم في العام مرة واحدة يوم عيد الأضحى^(٢) حيث يقول عليه السلام : «إني أعلم أن في هذا اليوم يأكل الجميع اللحم». وعلى هذا بقي زهاء خمس سنوات من أيام خلافته لم يأكل اللحم الرخيص جداً في ذلك اليوم إلا خمس مرات.

ويقول عليه السلام في نهج البلاغة : «ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع»^(٣).

وقبله كان رسول الله صلى الله عليه وآله من أشد الزاهدين كما قال علي عليه السلام : «محمد صلى الله عليه وآله أزهد الأنبياء»^(٤) ، مع أنه كان يملك زمام تسع دول من دول عالمنا الحاضر حتى أن الراوي يقول : ذهبت إليه ببعض الرطب فقال صلى الله عليه وآله : «ضعه على الأرض»^(٥) ، حيث لم يجد في داره حتى ظرفاً واحداً من الخبز ليضع الرطب فيه.

ثانياً: يتضح من الرواية أن هناك سيرة ابتدعت وهي الاحتفاظ بالأموال واكتنازها في بيت المال وذلك على حساب المسلمين واستثمارها في مصالح شخصية معينة كصرفها على الأقرباء وللقيام بأعمال خاصة لا تعم الشعب. وهذا خلاف سيرة الرسول صلى الله عليه وآله فإنه كان يقسم الأموال ولم يدخرها، إذ من جملة هذه الرواية أن عثمان لما أمر بنفي أبي ذر رضي الله عنه إلى الريدة دخل عليه أبوذر وكان عليلاً متوكئاً على

(١) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١١٩.

(٢) راجع مستدرك الوسائل: ج ١٦ ص ٣٠٠ ح ١٩٩٥٠، وفيه: في أعلام أمير المؤمنين عليه السلام: «واعلم أن إمامكم قد اكتفى بطمريه، يسد فورة جوعه بقرصيه، لا يطعم الفلذة في حوله إلا في سنة أضحية، ولن تقدرُوا على ذلك فأعينوني بورع واجتهاد».

(٣) نهج البلاغة: الرسائل ٤٥.

(٤) مستدرك الوسائل: ج ١٦ ص ٢١٥ ح ١٩٦٣٦.

(٥) راجع بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٤٤.

عصاه وبين يدي عثمان مائة ألف درهم قد حملت إليه من بعض النواحي وأصحابه حوله ينظرون إليه ويطمعون أن يقسمها فيهم ، فقال أبوذر لعثمان : ما هذا المال ؟ فقال عثمان : مائة ألف درهم حملت إلي من بعض النواحي أريد أن أضم إليها مثلها ثم أرى فيها رأيي .

فقال أبوذر : يا عثمان أيما أكثر مائة ألف درهم أو أربعة دنانير ؟

فقال عثمان : بل مائة ألف درهم .

فقال : أما تذكر أنا وأنت دخلنا على رسول الله ﷺ عشاء فرأيناه كثيراً حزينا فسلمنا عليه فلم يرد علينا السلام ، فلما أصبحنا أتينا فرأيناه ضاحكاً مستبشراً فقلنا له : بأبائنا وأمهاتنا دخلنا عليك البارحة فرأيناك كثيراً حزينا وعدنا إليك اليوم فرأيناك فرحاً مستبشراً ؟ فقال ﷺ : « نعم كان قد بقي عندي من فيء المسلمين أربعة دنانير لم أكن قسمتها وخفت أن يدركني الموت وهي عندي وقد قسمتها اليوم فاسترحت »^(١) .

وسيرة علي أمير المؤمنين عليه السلام هي ذاتها سيرة الرسول الأعظم ﷺ في بيت المال ، فقد روى هارون بن مسلم البجلي عن أبيه قال : أعطى علي عليه السلام الناس في عام واحد ثلاثة أعطيات ثم قدم عليه خراج أصفهان فقال عليه السلام : « يا أيها الناس اغدوا فخذوا فوالله ما أنا لكم بخازن » ثم أمر ببيت المال فكنس ونضح وصلى فيه ركعتين ثم قال عليه السلام : « يا دنيا غري غيري » ، ثم خرج فإذا هو بجبال على باب المسجد فقال عليه السلام : « ما هذه الجبال » ؟ فقيل : جيء به من أرض كسرى ، فقال عليه السلام : « اقسموها بين المسلمين »^(٢) .

ثالثاً: من هذه الرواية وغيرها تتضح صورة المجتمع الإسلامي بعد وفاة النبي ﷺ وقد أصبح طبقات مختلفة ومتفاوتة ، أي أن الطبقة بدأت تنتشر منذ أن استولى البعض على الخلافة واختلفت سيرته عن النبي ﷺ في توزيع العطاء ، وبدى أثر هذا التفاوت بين الناس واضحاً في تلك العهود ، فترك إلى حد كبير قانون التكافل بين أفراد المجتمع بعضهم لبعض .

(١) مستدرك الوسائل: ج ١١ ص ٩٤ ح ١٢٥٠٣ .

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ١٠٩ ح ٢٠٠٨٧ .

أما في عهد أمير المؤمنين علي عليه السلام فلم تختلف سيرته عن نهج رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا هو واقع نظرية المساواة والعدالة في الإسلام، فقد قرّر المساواة بين أفراد البشر أمام القانون، ولولاها لانهار السلم والسلام، لأن الإنسان يطلب المساواة مع غيره أمام القانون، فإذا لم يعط ذلك اتخذ أسلوب العنف لتحصيله، فالمساواة هي القاعدة العامة إلا إذا كان العدل حاكماً.

ومن هنا يقال: إن هناك اختلافاً في بعض الأحكام بحسب موضوعاتها، أو هي استثناء على قانون المساواة، سواء كان الاختلاف من جهة الدين أو من جهة بعض المزايا الأخر، فمثلاً العدالة تقتضي أن يعطى لكلّ ذي حقّ حقّه ولو لم يكن متساوياً مع غيره، كما لو فرضنا أن هناك فردين، أحدهما عمل بمقدار دينار والآخر بمقدار أكثر، فحسب الموازين الاقتصادية العادلة يستحق الثاني أجراً يزيد على أجر الأول، ومقتضى العدالة أن يعطى دينار لهذا وديناران للآخر مثلاً، أما إذا أعطي ذو الدينار دينارين كان معنى ذلك الزيادة من غير الاستحقاق، وإذا أعطي ذو الدينارين ديناراً كان ذلك أقلّ من حقه وظلماً له، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾^(١).

والنظرية الإسلامية العامة التي يمثلها أمير المؤمنين علي عليه السلام هي المساواة كأصل إلا ما خرج بالدليل، وتكون المساواة حتى في العطاء الذي يصرف من بيت المال لآحاد الأمة كمسلمين، وإن اختلفت منزلتهم، فلا فرق في العطاء العام بين مختلف المستويات فإنهم متساوون في إنسانيتهم، فالطبيب والمهندس والعامل وغيرهم كلهم في درجة واحدة من البشرية.

وأما إذا قيل بأن أحدهم لا يكفيه العطاء المتساوي، فهذا يتكفل بيت المال بسد حاجاته ويزيد له في عطائه من باب فقره مثلاً، ولكن هذه الزيادة لا تحسب من أصل العطاء.

رابعاً: هناك مخالفة ابتدأت في عصر هؤلاء الحكام لرسول الله صلى الله عليه وآله ورفض

(١) سورة الأعراف: ٨٥.

لتقييمه وأوسمته التي أسبغها على بعض الصحابة الأجلاء، فرسول الله ﷺ يقول في حق أبي ذر وإجماع المؤرخين: «ما أظلت الخضراء وما أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر»^(١)، بينما هم يرفضون هذا الوسام الرفيع ويقولون فيه: (الشيخ الكذاب)، وفي هذه القصة يتضح أن النيل من الصحابة الأجلاء أبتدأ منذ عصر الخلفاء ومنه قول عثمان في أبي ذر المتقدم^(٢).

خامساً: هناك مؤامرة واضحة ضد الطليعة الرشيدة من الصحابة وتتمثل في أمور

منها:

١: إبعادهم ونفيهم عن الحواضر الإسلامية المعروفة كي لا ينال المنكر أمر معروف، كما نفي أبو ذر إلى الشام والريذة.

٢: حرمانهم من عطائهم الذي هو من حقوقهم المشروعة والواجبة، وهذا ما حصل مع أبي ذر، وذلك لما أخرجه عثمان إلى الشام أخذ ينكر على معاوية أشياء يفعلها، فبعث إليه معاوية ثلاثمائة دينار، فقال أبو ذر: إن كانت من عطائي الذي حرمتونه عامي هذا قبلتها، وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها، وردها عليه^(٣).

سادساً: في أحد مقاطع هذه الرواية يتضح أمران لهما علاقة بالقرآن وهما غاية في الأهمية.

الأمر الأول: يتمثل في غياب بعض المفاهيم القرآنية عن أذهان الناس التي تتعارض مع مصالح القوم، فهناك أمر بمنع قراءة الآيات التي تدعو إلى الإنفاق وبذل المال في سبيل الله تعالى، ومنها هذه الآية: «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»^(٤)، لأنها لا تتفق مع ما يذهبون إليه من جمع المال وادخاره وعدم إنفاقه في سبيل الله تعالى، فلما أعطى عثمان مروان بن الحكم ما أعطاه، وأعطى الحارث بن الحكم بن أبي العاص ثلاثمائة ألف درهم، وأعطى زيد بن ثابت مائة ألف درهم، جعل أبو ذر يقول: بشر الكافرين بعذاب أليم،

(١) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٤٢٦ ح ٣٦.

(٢) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج ٣ ص ٥٦ و ج ٨ ص ٢٥٩.

(٣) بحار الأنوار: ج ٣١ ص ١٧٤.

(٤) سورة التوبة: ٣٤.

ويتلو قول الله عزوجل: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾، فرجع ذلك مروان إلى عثمان، فأرسل إلى أبي ذر نائلاً مولاه أن انتبه عما يبلغني عنك، فقال: أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله، وعيب من ترك أمر الله، فو الله لأن أرضي الله بسخط عثمان أحب إلي وخير لي من أن أرضي عثمان بسخط الله^(١).

والأمر الثاني: هو محاولة تحريف القرآن عبر حذف حرف الواو من هذه الآية وهو ما قام به معاوية، فلما نفى عثمان أبازر إلى الشام ورأى من أحداث معاوية أخذ يقرأ هذه الآية: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾ فقيل له: هذه الآية ليست في المسلمين وإنما في الأحرار واليهود وهي صفة لهم وقرأت له بحذف الواو ﴿الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾ أي يكون محل إعرابها صفة للأحرار والرهبان بينما حقيقة المراد في الآية عام فتشمل الأحرار واليهود والمسلمين وغيرهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٢).

ولكن محاولة معاوية في هذا التحريف لم تنجح وبأت بالفشل وبقي أبو ذر يرددتها دائماً، ولما بنى معاوية الخضراء بدمشق، قال له أبو ذر: يا معاوية إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهو الإسراف، وكان أبو ذر (رحمه الله تعالى) يقول: (والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا في سنة نبيه ﷺ، والله إنني لأرى حقاً يظفأ، وباطلاً يحيا، وصادقاً مكذباً، وأثرة بغير تقى، وصالحاً مستأثراً عليه)^(٣).

وقد كان لهذه الدعوة الصادقة التي واصل العمل فيها أبو ذر ﷺ الأثر الكبير على الناس في الشام حتى وصل الأمر إلى أن حبيب بن مسلمة الفهري قال لمعاوية: إن أبازر لمفسد عليكم الشام فتدارك أهله إن كانت لكم فيه حاجة، فكتب معاوية إلى

(١) انظر بحار الأنوار: ج ٣١ ص ١٧٤.

(٢) سورة التوبة: ٣٤.

(٣) راجع بحار الأنوار: ج ٣١ ص ١٧٤.

عثمان فيه، فكتب عثمان إلى معاوية: (أما بعد، فاحمل جنيداً إليّ على أغلظ مركب وأوعره). فوجه به مع من سار به الليل والنهار، وحمله على شارف ليس عليها إلا قتب، حتى قدم به المدينة، وقد سقط لحم فخذه من الجهد، فلما قدم أبوذر رضي الله عنه المدينة، بعث إليه عثمان: أن الحق بأي أرض شئت، فقال: بمكة. قال لا، قال: فبيت المقدس، قال: لا، قال: فبأحد المصرين، قال: لا، ولكنني مسيرك إلى الربذة، فسيره إليها، فلم يزل بها حتى مات^(١).

سابعاً: ومن العبر التي يمكن استخلاصها من هذه الرواية ما يتعلق بأبي ذر ومنها أن موقفه هذا يدل على شجاعته في مواجهة الانحراف والمنكر، الاقتصادي وغيره، فلا يرهبه التهديد بالقتل ولا يهاب الإبعاد والتغريب، ولا يهتم لقطع عطائه وحرمانه منه، لأن ما قام به هو من أجل الحفاظ على سلامة مسيرة الرسالة الإسلامية، ومن أجل إرساء أحد المفاهيم الإسلامية الاقتصادية المهمة التي بها يستتب الأمن والاستقرار والسلام.

ولو عمل المسلمون في هذا اليوم بهذا المبدأ السامي الإسلامي الذي يمثله أبو ذر المترجم الصادق الأمين لمبادئ الإسلام ومفاهيمه قولاً وعملاً لما بقي فقير بينهم، ولعم السلم والسلام الاقتصادي المجتمع بأسره، ولكن أنى لهم الأخذ بهذا المبدأ بعد ما بدا تقصيرهم الواضح في إعطاء الواجب عليهم كالخمس والزكاة، أو في توزيعها بشكل صحيح.

ظلمات أبي ذر الغفاري

وظلمات أبي ذر رضي الله عنه التي بدأت على يد الحاكم الأموي بوصفه (الشيخ الكذاب)^(٢)، ونفيه وغيرها، ومروراً بما حصل له من معاوية، لن تنتهي بموته فهي لازالت حتى في عصرنا، فقد وجه له البعض من المغرضين التهم وزعم أنه كان يدعو إلى الشيوعية، وينفي المبدأ الإسلامي القائل بالملكية الفردية.

والجواب على هذه الشبهة:

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٣١ ص ١٧٤.

(٢) راجع تفسير القمي: ج ١ ص ٥٢، وشرح نهج البلاغة: ج ٣ ص ٥٦.

١ : إن أبا ذر لم ينف في دعوته الملكية الفردية فهي مبدأ إسلامي يقبل به كل مسلم، فكيف بصحابي جليل مثل أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، ولكن الملكية الفردية هي مشروطة بشروطها المقررة شرعاً.

وإنما كان حديث أبي ذر رضي الله عنه عن الإنفاق في سبيل الله من الأموال المكدسة في بيت المال والتي كانت تعطى اعتباراً لبعض أقرباء الحاكم.

٢ : حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تكريم أبي ذر رضي الله عنه هو رد على هذه التهمة وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر »^(١)، فهو يؤكد أنه صادق في عقيدته وسلوكه وتوجهاته وصادق فيما يلهج به لسانه، وهو ترجمة أمينة لمبادئ الإسلام.

أسباب دعوة أبي ذر إلى مبدأ الإنفاق في سبيل الله

هناك جملة من الأسباب التي دعت أبا ذر الغفاري (رضوان الله عليه) للتمسك بهذا المبدأ القرآني (الإنفاق في سبيل الله) ومنها:

١ : إن جمع المال وادخاره ينسي الإنسان الآخرة ويجعله يخلد إلى الدنيا، وعمل الإنسان يجب أن لا يقتصر على الدنيا فعليه أيضاً أن يعمل لآخرته وكأنه يموت غداً.

٢ : إن هذه الأموال لن تجمع بهذه الكثرة عادة إلا من بخل أو حرام، فالجامع يجب أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

٣ : إن جمع المال والثروة من قبل بعض الصحابة والحكام أصبح ظاهرة واضحة فخشي أبو ذر رضي الله عنه من هذه الظاهرة أن تصبح سنة متبعة، ولذا كان عليه أن يقف منها موقفاً حازماً.

٤ : عمل أبي ذر رضي الله عنه هو دفاع عن حقوق الطبقة الفقيرة المسحوقة وهم الفقراء والمساكين، فلو بذلت الأغنياء المال من الحقوق التي افترضها الله تعالى عليهم لما وجد هؤلاء ولما جاعوا، قال أمير المؤمنين عليه السلام : « فما جاع فقير إلا بما منع به

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٣٤٣.

غني»^(١).

٥: إن هذا العمل يخلق الطبقة والصراع في وسط المجتمع، فيكون هناك تفاوت غير عادل بين أفرادها، وهذا يؤدي إلى عدم استقراره. فيجب أن لا تكون هناك مثل هذه الطبقة في المجتمع إذ لا صراع في الإسلام بين الطبقات، ولا عدوان من الإنسان على الإنسان.

٦: إنه يطلب السلم والسلام حينما يأمرهم بالإنفاق كما أمرهم الله عزوجل، لأن أحد أسباب الحرب والقتال ومختلف النزاعات هو جمع المال عن طريق الحرام وعدم رعاية حقوق الآخرين.

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في قصة يوم الجمل: «كأنهم لم يسمعوا قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢) بلى والله سمعوها ووعوها ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها...»^(٣).

والخلاصة: إن المبدأ الذي عمل أبوذر رضي الله عنه لأجله وتحمل معاناة التهجير والإبعاد من مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وضحي بحياته في سبيله هو مبدأ إسلامي قرآني حثت عليه الشريعة المقدسة وأيده النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وعمل به، فهو يجرم على الحكام كنز أموال الشعب والتصرف بها كيف ما شاؤوا، ويوجد تعاوناً تاماً وتكافلاً كاملاً وعدالة اجتماعية بين جميع أفراد البشر، ويخلق السلم والأمن والاستقرار في المجتمع وخاصة في المجال الاقتصادي.

٣: السلام والعدالة في حقوق الملكية الفردية

مسألة: إن من أهم خصائص الاقتصاد الإسلامي الاعتدال والوسطية وعدم التطرف، فهو يحقق العدالة لجميع الأفراد ويحفظ حقوق كل إنسان، ويصلح للتطبيق في جميع الأزمان.

(١) وسائل الشيعة: ج ٩ ص ٢٩ ح ١١٤٤٤.

(٢) سورة القصص: ٨٣.

(٣) معاني الأخبار: ص ٣٦٠ ح ١.

ومن أبرز مواضيع الاقتصاد الإسلامي: الملكية الفردية، والحديث عنها أثار انتباه الفقهاء والمجتهدين في العصر الحاضر فكتبوا فيها المؤلفات التي بينت النظرية الإسلامية في الملكية الفردية وهي الاعتدال وليس التطرف، فهي ليست ملكية جماعية كما يذهب إليه الاشتراكيون، وليست مطلقة وبلا حدود كما ذهب إليه الرأسماليون، فقانون الملكية الفردية يختلف عن المذهبين الجماعي والفردى فهو لا يكون مع الجماعة على حساب الفرد، ولا يكون مع الفرد في ملكية مطلقة على حساب الجماعة.

وسنذكر هنا أمرين حول الملكية الفردية، ومن خلالهما نعرف أن الأمن والسلام الاقتصادي في هذا الجانب يتحقق باتباع الموقف الإسلامي، وهي إضافة لذلك تدلل على الاعتدال والواقعية. بينما قوانين المذاهب الأخرى التي وضعت حول الملكية الفردية لا تتلاءم مع فطرة الإنسان ولا تحقق له العدالة وهي السبب في إيجاد الكثير من المشاكل في المجتمع.

والأمران هما: الملكية الفردية في الشريعة الإسلامية، والشروط الذي وضعها الإسلام حولها.

الملكية الفردية في الشريعة الإسلامية

من الأمور المهمة التي يقوم الإنسان في حياته: الثروة المالية، ونعني بها المال بمختلف مصاديقه، فهو مما يكون الحياة المعيشية، وقد أولى الإسلام هذا الجانب عناية مهمة، فاعتبر حق اكتساب المال وحفظه من الحقوق التي تجب مراعاتها لأجل السلم والسلام: فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾^(١).

وقد وردت أحاديث كثيرة تحث على تحصيل المال، فعن عمرو بن جميع قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لا خير في من لا يجب جمع المال من حلال، يكف به وجهه ويقضي به دينه ويصل به رحمه»^(٢).

(١) سورة الكهف: ٤٦.
(٢) الكافي: ج ٥ ص ٧٢ ح ٥.

وقد ورد هذا التأكيد على هذا الجانب لأسباب ومنها:

١: إن الإنسان الذي سعى في تحصيل المال الحلال يعني أنه يقوم نفسه وحينئذ يحصل لديه استقرار نفسي فيستطيع أن يعيش بسلام وأمان ولا تحصل لديه مشاكل الفقر والمسكنة إذا كان التقويم من هذا المال باعتدال.

٢: السعي من أجل تحصيل المال لا بد له من عمل، وهذا هو الذي يريده الإسلام فلا مكان فيه للعاطل عن العمل بدون سبب، فالإسلام يحارب البطالة بشدة لأنها من الأسباب الرئيسية للكثير من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية.

٣: تحصيل المال من مقومات نشر السلم والسلام بين أفراد المجتمع لأنه سيبدل على الآخرين في المجتمع لحث الإسلام على ذلك، فتارة من أجل قضاء الدين، وأخرى للضعفاء والعجزة، ومرة للفقراء والمساكين، أو يبذل على الأقرباء والأرحام. فالحديث الشريف يقول: «خير المال ما وقى به العرض»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «خير المال ما أورثك ذخراً وذكراً، وأكسبك حمداً وأجراً»^(٢).

وقال عليه السلام: «أفضل المال ما قضيت به الحقوق»^(٣).

وقال عليه السلام: «إن خير المال ما كسب ثناء وشكراً، وأوجب ثواباً وأجراً»^(٤).

وقال عليه السلام: «خير الأموال ما أعان على المكارم»^(٥).

٤: تحصيل المال وصرفه في الموارد الصحيحة من شأنه أن يعمر الحياة، فالإنسان يلزم أن يكون لديه أمل معقول في بقاءه في هذه الدنيا، فالحديث يقول: «اعمل لدينك كأنك تعيش أبداً»^(٦)، لأن الإنسان إذا انقطع أمله في البقاء على هذه الأرض فسوف لن يفكر في إعمارها وبنائها، وهذا خلاف المنطق القرآني في الاستخلاف فאלله سبحانه

(١) وسائل الشيعة: ج ٢١ ص ٥٥٧ ب ٢٨ ح ٢٧٨٦٥.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٦٧ الفصل الرابع في المال، خير الأموال، ح ٨٢٨٤.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٦٧ الفصل الرابع في المال، خير الأموال، ح ٨٢٨٣.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٦٧ الفصل الرابع في المال، خير الأموال، ح ٨٢٨٥.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٦٧ الفصل الرابع في المال، خير الأموال، ح ٨٢٩٢.

(٦) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ١٥٦ ح ٣٥٦٩.

يقول: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»^(١) وعبادة الله تعالى لا يمكن أن تكون في أرض خراب ودنيا خالية من الإعمار والبناء، ثم إن «الدنيا مزرعة الآخرة»^(٢) كما قال رسول الله ﷺ، وهذه المزرعة لا يمكن أن تزرع فيها وتتركها خراباً وتنتظر قطف الثمر، بل على الإنسان أن يجمع بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(٣).

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حينما سمع رجلاً يذم الدنيا: «إن الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، ودار موعظة لمن اتعظ بها، مسجد أحباء الله، ومصلى ملائكة الله، ومهبط وحي الله، ومتجر أولياء الله، اكتسبوا فيها الرحمة، ورجحوا فيها الجنة، فمن ذا يذمها»؟^(٤).

والشرط في هذه النقطة هو أن لا يتغلب هذا الأمل فتشغله دنياه عن آخرته، فإذا التزم بهذا الشرط يكون كما قال علي عليه السلام: «عمل في الدنيا لما بعدها فجاءه الذي له من الدنيا بغير عمل فأحرز الحظين معاً وملك الدارين جميعاً فأصبح وجيهاً عند الله لا يسأل الله حاجته فيمنعه»^(٥).

إذن الإسلام يقر الملكية والفردية ويحترم قانونها، ولكن بشروطها.

الشروط الذي وضعها الإسلام حول الملكية الفردية

مسألة: هناك جملة من الشروط التي وضعها الشرع الإسلامي حول الملكية الفردية، وهي ترتبط بكسب المال وإنفاقه والتي يعرف قسم منها بالواجبات والحقوق الشرعية:

١: الكسب الحلال المشروع

يجب أن يكون أصل هذه الملكية وما يضاف لها مكتسباً من الحلال، ولا فرق بين

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

(٢) غوالي اللآلي: ج ١ ص ٢٦٧ ح ٦٦.

(٣) سورة القصص: ٧٧.

(٤) نهج البلاغة: قصار الحكم ١٣١.

(٥) نهج البلاغة: قصار الحكم ٢٦٩.

أن تكون هذه الملكية أرضاً أو ماءً أو شجراً أو نقوداً أو غير ذلك، فإنه لا بأس بتحصيل المال من الوجوه المشروعة التي رسمها الإسلام، بأن لا يكون رباً ولا غشاً ولا اختلاساً ولا ظلماً ولا اغتصاباً ولا رشوة ولا سرقة، ولا شبه ذلك من المحرمات. فإن الملكية الفردية في حلالها حساب وفي حرامها عقاب، قال رسول الله ﷺ: «لا يزول قدم العبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع... عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه...»^(١).

وفي حديث عن رسول الله ﷺ قال: «ما من رجل أقطع مال امرئ مسلم بيمينه إلا حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار» فقيل: يا رسول الله وإن كان شيئاً يسيراً؟ قال ﷺ: «وإن كان سواكاً من أراك»^(٢)، أي عوداً من الشجرة المشهورة التي يؤخذ منها السواك، وذلك لأن حساب الإسلام حساب مثقال ذرة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٣)، ومن الواضح أن عود الأراك أكبر من مثقال الذرة ألوف المرات، ومن الواضح أن النار بقدره وحرمان الجنة بقدره.

قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(٤).

و(الأكل) الوارد في الآية المتقدمة هو بمعناه المجازي وليس المراد خصوص الأكل بمعناه الحقيقي وهو عن طريق الفم، فقد أباح الإسلام أن يأكل الإنسان من بيوت مرتبطة بالإنسان بشرط أن لا يظهر أصحابها الكره له فقد قال سبحانه: ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ أَيْمَانُهُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ

(١) تأويل الآيات الظاهرة: ص ٤٨٣.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٦ ص ٣٨ ح ١٩٠٥٢.

(٣) سورة الزلزلة: ٧-٨.

(٤) سورة النساء: ٢٩-٣٠.

أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ»^(١).

ويشترط أن لا يأكل الإنسان غير الطيبات سواء كان الأكل بمعناه الحقيقي أو المجازي كما قال سبحانه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ»^(٢)، وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الرَّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا»^(٣).

والمال الحرام إذا أكله الإنسان له سلبات كثيرة ومنه أنه: يوجب عدم استجابة دعائه كما في حديث عن رسول الله ﷺ قال: «من أكل لقمة حرام لم تقبل له صلاة أربعين ليلة، ولم تستجب له دعوة أربعين صباحاً، وكل لحم ينبته الحرام فالنار أولى به، وإن اللقمة الواحدة تنبت للحم»^(٤).

وقد قال الإمام الحسين عليه السلام للذين جاءوا لمحاربتة: «ملئت بطونكم من الحرام وطبع على قلوبكم، ويلكم ألا تنصتون ألا تسمعون...»^(٥).

وقال عليه السلام: «ثم إنكم زحفتم إلى ذريته وعتوته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم فتباً لكم ولما تريدون»^(٦).

وكان من أسباب ذلك ملئ بطونهم بالحرام، فإن من ملئ بطنه بالحرام لا يرفع له دعاء تسمعه الملائكة، كالحمل القدر الذي لا تصدر منه رائحة طيبة يستفيد منها المستفيدون.

ويجب أيضاً أن لا تجمع هذه الملكية عبر الوسائل غير الشرعية مثل الربا، فقد أصبح الربا في حضارة اليوم كعصب للاقتصاد العالمي، يسير بسوء المعرفة من صناع السياسة الاقتصادية من الغربيين والشرقيين، وذلك سبب جوع ألف مليون إنسان^(٧).

(١) سورة النور: ٦١.

(٢) سورة البقرة: ١٧٢.

(٣) سورة المؤمنون: ٥١.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦٣ ص ٣١٤ ح ٧.

(٥) راجع بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٥.

(٦) راجع بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٥، والمناقب: ج ٤ ص ١٠٠، وكلام الإمام عليه السلام إشارة

إلى قول الله العظيم: «استحوذ عليهم الشيطان فأنساكم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا

إن حزب الشيطان هم الخاسرون»، سورة المجادلة: ١٩.

(٧) ذكرنا تفصيل ذلك فيما سبق من هذا الكتاب.

مع جملة أسباب أخرى، فإن الربا يأخذ أموال الضعفاء ويعطيها إلى الأغنياء بمختلف التسميات والعناوين والسبل وتحت ستار مختلف القوانين بينما هذا يعتبر حراماً في الإسلام حرمة أكيدة.

لا يقال: إن حذف الربا يهدم الاقتصاد.

لأنه يقال: إن الحضارة الإسلامية باقتصادها القوي دامت ما يقارب ثلاثة عشر قرناً ولم تكن تستعمل فيه الربا إلا من قبل بعض الجماعات النادرة والمعروفة في المجتمع بالفسق، وكان الناس يتجنبونهم حيث إن الله سبحانه وتعالى شدد النكير على أكل الربا، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتبنا الاقتصادية، قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾^(١).

ولم نجد في القرآن الحكيم شدة في التحريم كشدة الربا حيث جعله الله سبحانه وتعالى إيذانا بحرب من الله ورسوله، وهناك روايات شديدة جداً حول الربا والتأكيد على حرمتها.

فقد روي عن النبي ﷺ أنه رأى ليلة أسري به رجلاً بطونهم كالبيت الطحيم وهم على سابلة آل فرعون فإذا أحسوا بهم قاموا ليعتزلوا عن طريقهم فمال بكل واحد منهم بطنه فيسقط حتى يطأهم آل فرعون مقبلين ومدبرين، فقلت لجبرئيل: من هؤلاء؟ قال: أكلة الربا^(٢)، أي يطأهم آل فرعون الذين يعرضون على النار كل غداة وعشي، كما ورد في القرآن الحكيم من أن آل فرعون يذهب بهم إلى النار فيعرضون عليها ثم يرجع بهم كل يوم هكذا، قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ

(١) سورة البقرة: ٢٧٥ - ٢٧٩.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٣٣٢ ح ١٥٥٠٨.

سَوْءُ الْعَذَابِ ۖ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿١﴾.

وفي حديث آخر عن الرسول ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي لما انتهينا السماء السابعة فنظرت فوقي فإذا أنا برعد وبرق وعواصف فأتيت على قوم بطونهم كالحيات ترى من خارج بطونهم، قلت: يا جبرائيل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء أكلة الربا»^(١).

والظاهر أن هذا الأمر مثل لرسول الله ﷺ بما يؤول إليه أمر أمته في المستقبل وكون بعضهم في السماء الدنيا وبعضهم في السماء السابعة أو فوقها لعل المراد به اختلاف مراتب الأكلة فإن النار دركات كما أن الجنة درجات.

وهناك طرق شرعية عديدة لتحصيل الأرباح ولزيادة رأس المال من دون سحق الضعفاء، ومن أفضلها المضاربة المعقولة وقد فصلنا الحديث عنها في كتبنا الاقتصادية وقد رأينا في بعض بلاد الخليج بيت التمويل الإسلامي الذي يتعامل مع التجار معاملة لا ربوية وإنما مضاربة، وكان الإقبال عليه من الناس كبيراً لا لمجرد أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر فيتجنبون الربا، بل من جهة أن الأرباح أيضاً تكون كثيرة كما أن جملة من الأرباح تصرف في الأمور الخيرية، فإن الإسلام لا يبيح للمسلمين أن يكتسبوا المال كيف ما شاءوا وأن يصرفوها في أي طريق أرادوا بل جعل للاكتساب والصرف طرائق مشروعة، كما حذر عن طرائق غير مشروعة تضر الدين والدنيا أضراراً فردية واجتماعية.

وهناك أمور أخلاقية ذكرتها الشريعة المقدسة في طلب المال وجمعه وهي كثيرة، ذكرنا تفصيلها في كتاب (فقه المال)، ومنها أن لا يكون هذا الطلب والجمع لأجل التفاخر والمباهاة فقد قال النبي ﷺ: «من طلب الدنيا حالاً مكاثراً مفاخرًا لقي الله وهو عليه غضبان، ومن طلبها استعفافاً عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر»^(٢).

(١) سورة غافر: ٤٥-٤٦

(٢) الغدير للعلامة الأميني رحمه الله: ج ١٠ ص ١٨٨ ح ١٧.

(٣) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ١ ص ١٥٣.

٢: إخراج الحقوق والواجبات من الملكية الفردية

يشترط في الملكية الفردية إخراج الحقوق والواجبات ، وتشمل الخمس والزكاة وما أشبه مما هو مقرر شرعاً ، وهي أقل من الضرائب الباهضة المفروضة من الدول على ما يملكه الفرد.

فالخمس في سبعة أشياء :

١ : أرباح الكسب والتجارة.

٢ : المعادن.

٣ : الكنوز.

٤ : المال المختلط بالحرام.

٥ : المجوهرات التي يحصل عليها بالغوص في البحر.

٦ : غنائم الحرب.

٧ : الأرض التي يشتريها الكافر الذمي من المسلم.

والزكاة في تسعة أشياء :

١ - ٤ : الغلات الأربعة وهي : الحنطة والشعير والتمر والزبيب

٥ - ٦ : في (النقدين) وهما الذهب والفضة

٧ - ٩ : الأنعام الثلاثة وهي : الإبل والبقر والغنم.

وهناك شروط معينة في تحقق وجوب الخمس والزكاة في هذه الموارد المتقدمة

وكذلك في موارد صرفها ومستحقيها وتفصيل كل ذلك مذكور في الفقه^(١).

٣: إخراج الحقوق الثانوية من الملكية الفردية

لم يقتصر الإسلام في تشريعه للملكية الفردية على الواجبات والحقوق المالية الأساسية وإنما حث - من دون إكراه - على إعطاء حقوق مالية أخرى غير الخمس والزكاة وهو ما يعبر عنه بـ (الإنفاق في سبيل الله) وهي لا تقل أهمية عن تلك الحقوق. ورد عن معلى بن خنيس عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : قلت له ما

(١) انظر موسوعة الفقه: ج ٢٩-٣٣.

حق المسلم على المسلم؟ قال عليه السلام: «له سبع حقوق وواجبات ما منهن حق إلا وهو عليه واجب إن ضيع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته ولم يكن لله فيه من نصيب...»^(١). وقد مر نص الحديث في موضوع التكافل الاجتماعي، وهذه الحقوق الثانوية هي التي يستطيع المسلمون من خلالها أن يجتهدوا في التواصل والتعاون والتعاطف والمواساة فيما بينهم.

٤: مراقبة إنفاق الملكية والموارد التي تصرف عليها

وضعت الشريعة الإسلامية جملة من القيود لسلامة تصرف صاحب الملكية حرصاً عليه وحفظاً لأمواله، وكفي تضمن سلامة المجتمع الذي يتعامل معه ومنها:

١: حرمة صرفها في الموارد المحرمة شرعاً، فلا تصرف في الزنا والقمار وشرب الخمر وما شابه ذلك، لأنها تضر صاحبها وتضر المجتمع، وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع... عن ماله.. وفيما أنفقه»^(٢).

٢: تختلف نظرة الإسلام للملكية الفردية عن المذهب الرأسمالي بأن على صاحب المال أن لا يضر الآخرين ولا يجحف بهم، فلا يحتكره، ولا يسيء التصرف فيه فيحصل به الضرر، وذلك كما لو كانت هذه الملكية - على سبيل المثال - بيد السفهاء فالموقف الإسلامي حينئذ يحجر عليه ويمنعه من التصرف وقد قال سبحانه: «وَلَا تُؤْتُوا السَّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا»^(٣).

والخلاصة إن النظرة الإسلامية للملكية الفردية هي التي تحقق السلام والعدل في الجانب الاقتصادي، فالإسلام لا يتعصب للفرد على حساب الجماعة، ولا يميل بها للجماعة على حساب الفرد، بل يحاول أن يوفق بين الطرفين من أجل استمرار الجدول العام الذي يخدم الإنسانية ويحقق مطالب مجتمعاتها.

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٦٩ ح ٢.

(٢) الأمالي للصدوق: ص ٣٩ ح ٩.

(٣) سورة النساء: ٥.

٤: نظرة الإسلام الاقتصادية في القضاء على الفقر

مسألة: الإسلام يقضي على الفقر وذلك بسلمه وسلامه الاقتصادي.

تعريف الفقر

يختلف تعريف الفقر ومعناه بحسب الموضوع الذي يبحث فيه، ففي الاقتصاد: هو الجوع والعوز والحرمان، وهذا المعنى هو المشهور في اللغة، ومنه الفقير وهو الذي لا يملك إلا قوت يومه وهو الذي يستحق العطاء والصدقة وإليه أشارت الآية: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾^(١).

وهناك معان أخرى تأتي بالعرض وهي أعم مما هو شائع عنه، وتنقسم إلى معنوية ومادية.

ومثال المعنوية: فقر الإنسان إلى الله تعالى فمهما كانت صفته فإنه فقير إلى الله تعالى، أي محتاج إلى رحمته وعفوه، وهو الذي أشارت له الآية: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾^(٢)، وقوله في الدعاء: «اللهم أغني بالافتقار إليك ولا تفقرني بالاستغناء عنك»^(٣) وله عن الشاعر في قوله:
ويعجبني فقري إليك ولم يكن ليحجبني لو لا محبتك الفقر^(٤)

وأيضاً^(٥) ما ورد ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: «الفقر الموت الأحمر» قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الفقر من الدينار والدرهم؟ قال عليه السلام: «لا، ولكن من الدين»^(٦).

ومن ذلك أيضاً الفقر في العلم: وهو الجهل والتخلف، ولذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «لا فقر كالجهل»^(٧).

(١) سورة التوبة: ٦٠.

(٢) سورة القصص: ٢٤.

(٣) راجع بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٣١، وشرح نهج البلاغة: ج ١٨ ص ١١٧.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٣١.

(٥) أي من الفقر المعنوي.

(٦) الكافي: ج ٢ ص ٢٦٦ ح ٢.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٧٣ ح ١١٠٩.

وأما المادة: فيقال: افتقر الرجل أي صار فقيراً إلى الأمر واحتاج إليه، وهذا الأمر ليس متعلقاً بالحالة الاقتصادية فحسب وإنما الحاجة العامة للإنسان. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(١).

وكذلك يأتي الفقر بمعنى الطمع أو شدة القنوط، فالغني الذي جبل على الطمع يصطلح عليه بالفقير، لأنه لازال محتاجاً لما يريده، فعن عبد الأعلى بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «... والطمع هو الفقر الحاضر»^(٢).

والبخيل أيضاً فهو يملك مالا ولكن ينكر وجوده عملاً فيطلبه، ورغم امتلاكه للمال قد لا يقال عنه: غني، بل هو والفقير الواقعي يعيشان في الدنيا سواء، يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب، ويفوته الغنى الذي إياه طلب فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء»^(٣).

قال الشاعر في هذا المعنى:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر^(٤)

وأما في الاصطلاح: فلا يختلف عن المعنى اللغوي الأول وهو المعنى التقليدي السائد أي العوز والجوع والحرمان.

وفي العصر الحديث أعطيت معان للفقر ربما تختلف عما ذكر بعض الشيء، فلا يقال: إن الفقر هو العوز والحرمان، بل هو عبارة عن كثرة الحاجات وقلة الدخل، أو هو مشكلة سوء تنظيم الإنسان في توزيع الثروة والدخل، أو هو عبارة عن تأخر الأفراد أو المجتمعات والشعوب عن ركب الدول المتقدمة في الموارد الاقتصادية كما يصطلح على العالم الإسلامي وغيره بدول العالم الثالث أي الدول المتأخرة عن

(١) سورة فاطر: ١٥.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٤٨ ح ٤.

(٣) نهج البلاغة: قصار الحكم ١٢٦.

(٤) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ١ ص ١٦٨.

اللاحق بالعالم الأول والثاني: (الدول الصناعية في العالم)، وهذه الدول وإن كان بعضها منتجة للنفط إلا أنها فقيرة في جوانب أخرى إلى الدول الصناعية فاصطلح عليها بالعالم الثالث.

وما يعيننا في الفقر هنا هو ما يمثله من مشكلة اقتصادية واجتماعية وقد أشرنا إلى معناه وما يتعلق به في (الفقه: الاقتصاد)، بأنه العدم، وأردنا من ذلك: معناه في الجانب الاقتصادي وهو ينطبق على الجوع والعوز والحرمان، بعكس الغنى الذي هو وجود وهو ضد ما سبق من المعاني التي ذكرت في الفقر.

مفهوم الفقر في روايات أهل البيت عليهم السلام

يجد المتبع للروايات الشريفة التي تتحدث عن الفقر قسمين منها، فقسم يمدح الفقر والآخر يذمه.

فمجموعة منها تتحدث عن مدحه والثناء عليه وأنه نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى وأنه شعار الأنبياء عليهم السلام وزينة الأولياء وزي الصلحاء وهو أحد الأسباب التي تقرب الإنسان من الله تعالى، ومن هذه الروايات التي تعرضت لمدح الفقر على سبيل المثال قوله عليه السلام: «الفقر فخري وبه أفتخر»^(١).

وقوله عليه السلام: «اللهم أحييني مسكيناً وأمّتي مسكيناً واحشرنني في زمرة المساكين» فقالت له إحدى زوجاته: لِمَ تقول هكذا؟

قال عليه السلام: «لأنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء بأربعين عاماً» ثم قال عليه السلام: «انظري ألاّ تزجري المسكين وإن سألت شيئاً فلا ترديه ولو بشقّ تمر، وأحبّيه وقربيه إلى نفسك حتى يقربك الله تعالى إلى رحمته»^(٢).

ومنها: ما يدل على أنه شعار الأنبياء عليهم السلام، كما ورد في نهج البلاغة عنه عليه السلام قال: «ولقد دخل موسى بن عمران عليه السلام ومعه أخوه هارون عليه السلام على فرعون وعليهما مدارع صوف وبأيديهما العصي فشرط له إن أسلم بقاء ملكه ودوام عزه،

(١) عدة الداعي: ص ١٢٣.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٧ ص ٢٠٣ ح ٨٠٣٧.

فقال: ألا تعجبون من هذين يشرطان لي دوام العز وبقاء الملك وهما بما ترون من حال الفقر والذل، فهلا ألقى عليهما أساورة من ذهب إعظاماً للذهب وجمعه واحتقاراً للصوف ولبسه»^(١).

وما روي عن الإمام الصادق أنه عليه السلام قال: «أربعة لم تخل منها الأنبياء والأوصياء ولا أتباعهم: الفقر في المال...»^(٢).

وقد تميز أهل البيت عليهم السلام عن سواهم بعلاقتهم مع الفقراء وتواضعهم ومواساتهم لهم، وقد نقل التاريخ شواهد رائعة من سيرتهم هذه، ومن ذلك ما رواه أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: «كان علي عليه السلام إذا صلى الفجر لم يزل معقباً إلى أن تطلع الشمس، فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس فيعلمهم الفقه والقرآن»^(٣).

ومن أروع صور علاقتهم مع هذه الشريحة من المجتمع الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام حيث يقول في دعائه من الصحيفة السجادية: «اللهم حبب إلي صحبة الفقراء، وأعني على صحبتهم بحسن الصبر، وما زويت عني من متاع الدنيا الفانية فاخره لي في خزائنك الباقية، واجعل ما خولتني من حطامها وعجلت لي من متاعها بلغة إلى جوارك، ووصلة إلى قربك، وذريعة إلى جنتك، إنك ذو الفضل العظيم، وأنت الجواد الكريم»^(٤).

وهذه الشواهد من سيرتهم تدل على عدم وجود حالة الترف في حياتهم، ولذلك ورد عنهم عليهم السلام: «من أحبنا أهل البيت فليستعد للفقير جلباباً»^(٥).

ولكن هناك الكثير من الروايات الواردة في ذم الفقر، فمنها ما ورد عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «كاد الفقر أن يكون كفراً»^(٦).

(١) نهج البلاغة: الخطب ١٩٢.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ١٤٧ ح ١٦٦٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ٣٤ ص ٣٣٥.

(٤) صحيفة السجادية: ص ١٣٦، من دعائه عليه السلام في المعونة على قضاء الدين، الرقم ٣٠.

(٥) نهج البلاغة: قصار الحكم ١١٢.

(٦) الكافي: ج ٢ ص ٣٠٧ ح ٤.

وقال علي عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية: «يا بني إني أخاف عليك الفقر فاستعد بالله منه، فإن الفقر منقصة للدين، مدهشة للعقل، داعية للمقت»^(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا أخبركم بأشقى الأتقياء؟». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة نعوذ بالله من ذلك»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «القبر خير من الفقر..

الحرمان خذلان..

ألا وإن من البلاء الفاقة، وأشد من الفاقة مرض البدن، وأشد من مرض البدن مرض القلب..

الفقر ينسي..

العسر يفسد الأخلاق، العسر يشين الأخلاق ويوحش الرفاق..

إن الفقر مذلة للنفس، مدهشة للعقل، جالب للهموم..

ثلاث هن المحرقات الموبقات: فقر بعد غنى، وذلل بعد عز، وفقد الأحبة.

ضرورة الفقر تبعث على فطيع (قطع) الأمر..

الفقير في الوطن ممتهن..

ليس في الغربة عار إنما العار في الوطن الافتقار»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الفقر يخرس الفطن عن حجته، والمقل غريب في

بلدته، طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف، الغنى في الغربة وطن،

والفقر في الوطن غربة، القناعة مال لا ينفد، الفقر الموت الأكبر، إن الله سبحانه

وتعالى فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاء فقير إلا بما منع غني، ما

أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلبا لما عند الله عزوجل، وأحسن منه تيه الفقراء على

(١) نهج البلاغة: قصار الحكم ٣١٩.

(٢) أعلام الدين: ص ١٥٩ فصل في ذكر الغنى والفقر.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٦٥ الفصل الأول ذم الفقر وآثاره الفردية والاجتماعية، الحديث ٨٢١٧ إلى ٨٢٣١.

الأغنياء اتكالا على الله»^(١).

ولأول وهلة قد يبدو للناظر في هذه الروايات أن هناك تعارضاً بينها، فمنها ما ورد في مدح الفقر والثناء عليه، ومنها ما ورد في ذمه والتعوذ منه!

وعند الرجوع إلى حقيقة كل من هذه الروايات نجد أن لا تعارض بين الأمرين، فالروايات المادحة له حينما كان على صفة إيجابية فاستحق المدح والثناء وهو أن يكون الفقير صبوراً قانعاً منقطع الطمع عن الخلق، صارفاً نفسه عما في أيدي الناس، ولم يكن حريصاً على اكتساب المال وجمع الثروة كيف كان، ويعز نفسه عن ذل السؤال، وهذا هو الذي يقال عنه: الفقر المحمود، وقد قال الشاعر فيه:

أعزَّ الناس نفساً من تراه يعزُّ النفس عن ذل السؤال
ويقنع بالكفاف ولا يبالي بفضلٍ ناب عن جاهٍ ومال

وقال الآخر:

لنقل الصخر من قلل الجبال أحب إلي من منن الرجال
وقالوا لي بأن الكسب عار فقلت العار في ذل السؤال

وقد أشارت بعض الروايات إلى حقيقة هذا الفقر وأنه الابتلاء والاختبار، حيث إن الله سبحانه وتعالى يختبر به عباده ويتلهم به ليعلم الصابر منهم لثيبه ويجزيه. وفي الحديث القدسي: «إن من عبادي المؤمنين عبداً لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالفاقة والمسكنة والسقم فأبلوهم بالفاقة والمسكنة والسقم فيصلح عليهم أمر دينهم...»^(٢).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «ما أعطي عبد من الدنيا إلا اعتباراً وما زوي عنه إلا اختباراً»^(٣).

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إليه بأنه ابتلاء واختبار للعباد وذلك حينما مرض فعاده قوم، فقالوا له: كيف أصبحت يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: «أصبحت بشر»

(١) بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٤٦ ب ٩٤ ح ٥٧.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٦٠ ح ٤.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٦١ ح ٦.

فقالوا: سبحانه الله هذا كلام مثلك؟ فقال عليه السلام: «يقول الله تعالى: ﴿وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^(١)، فالخير الصحة والغنى، والشر المرض والفقر ابتلاء واختباراً»^(٢).

وأما الروايات الواردة في ذم الفقر فما كان منه على صفة سلبية وما كانت عاقبته سيئة فاستحق الذم لأنه ينتهي بصاحبه إلى كفران نعم الله ونسيان ذكره.

هذا ومن المستحب للفقير الصبر وعدم الشكوى إلى الناس.

عن كميل بن زياد قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «يا كميل لا تري الناس افتقارك واضطرارك واصبر عليه احتساباً تعرف بستر»^(٣).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «من أبدى إلى الناس ضره فقد فضح نفسه»^(٤).

وعن مفضل بن قيس بن رمانة قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فشكوت إليه بعض حالي وسألته الدعاء. فقال: «يا جارية هاتي الكيس الذي وصلنا به أبو جعفر». فجاءت بكيس فقال: «هذا كيس فيه أربعمئة دينار فاستعن به». قال: قلت: لا والله جعلت فداك ما أردت هذا ولكن أردت الدعاء لي. فقال لي: «ولا أدع الدعاء ولكن لا تخبر الناس بكل ما أنت فيه فتهون عليهم»^(٥).

وعن قبيصة بن مخارق الهلالي أنه قال: تحملت حمالة فأتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسأله فيها. فقال: «أقم عندنا حتى نعاونك عليها واعلم أنه لا تحل لأحد المسألة إلا لإحدى ثلاث رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له الصدقة حتى يصيب كفافاً من عيش ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجي من قومه لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من العيش

(١) سورة الأنبياء: ٣٥.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ١٤٩ ح ١٦٦٩.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٧ ص ٢٢٥ ب ٣١ ح ٨٠٩٧.

(٤) كنز الفوائد: ج ٢ ص ١٩٤ فصل في ذكر الغنى والفقر.

(٥) رجال الكشي: ص ١٨٣ في مفضل بن قيس بن رمانة ح ٣٢٠.

وما سواهن من المسألة يا قبيصة فسحت»^(١).

وعن شعيب عن أبي عبد الله عليه السلام أنه دخل عليه واحد فقال: أصلحك الله إني رجل منقطع إليكم بمودتي وقد أصابني حاجة شديدة وقد تقربت بذلك إلى أهل بيتي وقومي فلم يزدني بذلك منهم إلا بعدا. قال: «فما آتاك الله خير مما أخذ منك». قال: جعلت فداك ادع الله لي أن يغنيني عن خلقه. قال: «إن الله قسم رزق من شاء على يدي من شاء ولكن سل الله أن يغنيك عن الحاجة التي تضطرك إلى لئام خلقه»^(٢).
وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: «أظهر اليأس من الناس فإن ذلك هو الغنى، وأقل طلب الحوائج إليهم فإن ذلك فقر حاضر»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ليجتمع في قلبك الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم فيكون افتقارك في لين كلامك وحسن بشرك ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك إليهم وبقاء عزك»^(٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من فتح على نفسه بابا من المسألة فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر لا يسد أداها شيء»^(٥).

وكانت هذه إشارة مختصرة إلى موضوع الفقر في الروايات وسيأتي أيضا ذكر علاجه من الجهة الروائية والأخلاقية، والتفصيل في (الفقه: الاقتصاد) وغيره من الكتب، وقد ذكرنا هناك تفصيلا للجمع بين الروايات، وفي أفضلية الفقر أو الغنى أو الحالة الوسطية بينهما وهي الكفاف.

وسنذكر هنا جملة من النقاط التي تتعلق بالفقر والسبل التي اتبعتها الإسلام للقضاء على مشاكله كي يعيش الإنسان في حياته برخاء وسعة وبأمن وسلام.

عوامل نشوء مشكلة الفقر وأسبابها

(١) مستدرک الوسائل: ج ٧ ص ٢٢٧ ب ٣١ ح ٨١٠٤.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٢٦٦ ح ١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ١٨٥ ب ٦٤ ضمن ح ٤٦.

(٤) مشكاة الأنوار: ص ١٢٦.

(٥) وسائل الشيعة: ج ٩ ص ٤٣٨ ب ٣١ ح ١٢٤٣١.

لقد ذكرت عدة عوامل لنشوء مشكلة الفقر، فهي على رأي الرأسماليين نابعة من قلة الموارد الطبيعية، وعلى رأي الماركسيين سببها بقاء المظالم الاجتماعية عبر التاريخ، وهو ناتج من عدم بلوغ التطور مراحلها المتقدمة.

وهناك أمور أخرى كانت سبباً في إيجاد هذه المشكلة، منها كثرة الحاجات وقلة دخل الفرد، وينشأ أيضاً بسبب سوء تنظيم الإنسان في توزيع الثروة والدخل.

والبعض الآخر قال: هو تخلف الشعوب وتأخرها عن الركب الحضاري في العالم المتمثل بالدول الغربية هو الذي يخلق مشكلة الفقر.

والحقيقة أن مشكلة الفقر لا يمكن أن يحددها سبب معين وإنما هي نتيجة عوامل متعددة، ترجع إلى ثلاثة عناصر أساسية وهي: الدولة والمجتمع والإنسان، وهذه العناصر الثلاثة إن اشتركت بأجمعها في أداء ما عليها من حقوق اجتماعية واقتصادية لا يبقى لمشكلة الفقر أي أثر، وإن حدث تقصير من أحد هذه العناصر الثلاثة تبقى مشكلة الفقر حاضرة لا يمكن القضاء عليها.

إن المحيط الذي يتعامل معه الإنسان في وجوده على هذه الأرض يتكون من خمسة عناصر:

الأول: الحياة أو ما يعبر عنها بالكون.

الثاني: المذهب الذي يعتقد به الإنسان، أو المنهج الذي يتبعه أو الوسيلة التي يلتزمها في هذه الحياة.

الثالث: النظام الذي يعيش في ظله وهو دائرة الدولة.

الرابع: دائرة المجتمع.

الخامس: شخصية الإنسان.

أما العنصر الأول: وهو الكون، لا يمكن أن نعتبره من العناصر التي اشتركت في إيجاد مشكلة الفقر، لأن الكون بما فيه من مفردات وثروات خلقها البارئ عزوجل بحيث يكفي لكل البشر، نعم ربما الإنسان بنفسه أو ببني نوعه يسيء التصرف في الكون فلا يمكنه الاستفادة الصحيحة من ثرواته.

وقد ذكرنا في أول هذا الفصل أن العلماء أثبتوا أن الكرة الأرضية قابلة لأن يسكنها مائتا مليار من البشر أي أكثر من ثلاثين مرة ضعف هذا البشر المتواجد عليها اليوم، فإن فيها من السعة ما يكفيهم للعيش عليها، وهذا يدل على أن ما من نفس تخلق إلا وقد هياً الله لها ما تحتاجها من المكان الذي تعيش فيه وبقعة الأرض التي تقضي فيها حياتها والرزق المحدد لها.

أضف إلى ذلك أن هناك قوانين السنة الكونية والإرادة الإلهية في بقاء نسبة التعادل بين الأحياء على هذه الأرض ومساحتها، وذلك من خلال المدة المحدودة التي يعيشها الإنسان، فهناك أجيال تغادر الحياة بموتها ويقابلها مجيء أجيال جديدة من البشر بولادتها، فهناك نسبة من التعادل بين الأرض ومن يعيش عليها.

ثم إن الإنسان ينعم في هذا الكون الفسيح بما يحتوي على هذه المفردات التي لا تعد ولا تحصى، وبما فيه من هذا النظام البديع ومنها الأرض التي يعيش الإنسان في ظل خيراتها وينعم بمواردها الطبيعية، والآيات والروايات التي تحدثت عن هذه الموضوعات كثيرة جداً.

فإذاً عنصر الكون وما يحتوي على هذه العناصر لا يمكن اعتباره سبباً في إيجاد مشكلة الفقر.

وأما العنصر الثاني: وهو العقيدة أو المذهب، فينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: المبادئ الوضعية ومنها: المذهب الرأسمالي والشيوعي.

والقسم الثاني: المبادئ السماوية، ويمثلها الإسلام، فإنه نسخ الأديان السابقة.

المبادئ الوضعية

إن هذه المبادئ الوضعية من الرأسمالية والشيوعية والاشتراكية وما أشبه، لا يمكن بحال من الأحوال أن تلبى حاجات الإنسان ومتطلباته بشكل صحيح، إذ لا يصدر منها قانون إلا وفيه ظلم للإنسان نفسه أو بني نوعه، من الموجودين أو الأجيال القادمة، وهذه القوانين الوضعية من أهم أسباب إيجاد مشكلة الفقر.

فأما المذهب الرأسمالي الغربي: فتجد ظاهرة الفقر وتضييع حقوق الضعفاء

بارزة فيه، والبطالة منتشرة في أرجائه، وذلك لأنه لم يحسب للفقير أدنى حساب ولم توضع المناهج والخطط التي ترفع من مستوى الفقير والأخذ بحقه، فتبقى منافذ حاجياته مفتوحة لم يستطع إغلاقها، ثم إنه يفسح المجال أمام الغني فلم يضع حداً له أو شرطاً حتى وإن كان سبباً في خلق مشاكل اقتصادية واجتماعية للمجتمع من خلال عمل أمواله في الربا والاحتكار والاستغلال.

ثم هناك أمر آخر لا يقل أهمية عما سبق، وهو أن المذهب الرأسمالي والتي سبقتها من المذاهب الوضعية لم تعترف بحق من لا تتوفر له فرصة العمل وهو في حالة فقر، يقال: إن أول قانون وضع في الدول الغربية يحدد الفقير وما له من حقوق كان في عام (١٦٠١م) في إنكلترا وسمي بقانون الفقراء، وهذا لا يحل مشكلة الفقر ولا يضمن جميع حقوق الفقراء والمساكين.

وأما المذهب الشيوعي: فالفقراء في ظله أشد بؤساً والأغنياء أشد قهراً وظلماً من أي مذهب آخر، فإن الأغنياء يحكمون وييدهم الدولة والقوة، ولذا لم يستطع أن يضع الحلول الناجحة للقضاء على مشكلة الفقر.

المبادئ السماوية

القسم الثاني وهي المبادئ السماوية ويمثلها الإسلام، فهي الكفيلة بحل مشكلة الفقر، وذلك بقوانين وضعها البارئ عزوجل للعالم بجميع متطلبات الإنسان، المخلوق منهم والذي سوف يخلق من الأجيال القادمة، كما هو عالم بالثروات التي خلقها وسخرها للإنسان، وهو غني مطلق لا يظلم أحداً، ولا يريد الخير إلا لعباده. ولنرى في لمحة موجزة ما هو دور الإسلام في حل مشكلة الفقر.

لقد كان الإنسان موضع تكريم السماء، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(١)، وشواهد هذا التكريم لا تعد ولا تحصى ومنها:

١: إن الله سبحانه وتعالى أنزل الإسلام شريعة سمحاء تتلاءم مع الفطرة

(١) سورة الإسراء: ٧٠.

الإنسانية بكل أبعادها، وتساير الإنسان في حياته وفق متطلبات الزمن، وبلغ هذه الرسالة وصدع بها نبي الرحمة المصطفى محمد ﷺ الذي وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

٢: ما من شيء على هذه الأرض وفوقها إلا وهو مسخر للإنسان، قال عزوجل: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلُوكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدَّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٤).

وقال عزوجل: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُوكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٦).

٣: ومن شواهد هذا التكريم أن الإسلام تابع كل تفاصيل الإنسان وجزئياته فشرع له السنن ونظم القوانين من أجل أن يعيش في هذه الحياة حراً كريماً، وبما أن الشريعة الإسلامية فيها تبيان لكل شيء يتعلق بالإنسان فلا بد أنها وضعت لكل ما

(١) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٢) سورة البقرة: ٢٩.

(٣) سورة إبراهيم: ٣٢-٣٤.

(٤) سورة الحج: ٦٥.

(٥) سورة لقمان: ٢٠.

(٦) سورة الجاثية: ١٢-١٣.

يواجهه الإنسان من مشاكل ومصاعب، الحلول الناجعة التي من خلالها يتغلب على كل مشكلة تمر به بيسر وسهولة.

ومن تلك المشاكل التي واجهت الإنسان ووضع لها الإسلام الحلول الجذرية مشكلة الفقر.

فإنه لم يخل مجتمع في زمن من الأزمنة عبر التاريخ إلا وكانت مشكلة الفقر حاضرة فيه، فكانت منذ القَدَم تقض مضاجع الرسل والأنبياء ﷺ، والأوصياء والعلماء، فهذا علي أمير المؤمنين ﷺ تراه يذكر فيها في أكثر من خطبة من على منبر الكوفة، فمن كلام له ﷺ في ذكر المكايل والموازين: «وقد أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلا إداراً، ولا الشر فيه إلا إقبالاً، ولا الشيطان في هلاك الناس إلا طمعاً... اضرب بطرفك حيث شئت من الناس، هل تبصر إلا فقيراً يكابد فقراً؟ أو غنياً بدل نعمة الله كفراً؟ أو بخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفراً؟ أو متمرداً كأن بأذنه عن سمع المواعظ وقرأ، أين خياركم وصلحائكم، وأين أحراركم وسمحاؤكم؟ وأين المتورعون في مكاسبهم، والمتزهون في مذاهبهم»^(١).

والإمام ﷺ في كلامه هذا يبين أربعة أسباب للمجتمع الذي لا يزداد إلا إداراً وتخلفاً وبؤساً وشقاءً وهي: (الفقر والغنى والبخل والتمرد)، والطابع الذي يغلب على هذه الأسباب هو الطابع الاقتصادي المالي فالثلاثة: الغنى والفقر والبخل ترجع للمال. فإذا مشكلة الفقر هي من أهم المشاكل الاقتصادية والاجتماعية سواء كانت على صعيد الفرد أو الجماعة.

ومن المعلوم إن خلافة الإنسان في هذه الأرض لا بد لها من أمرين:

الأول: عقيدة توجهها، والثاني: سلوك ينظمها. وكل منهما مكمل للآخر، إذ لا يمكن أن يستقيم أمر الإنسان في هذه الأرض بدون عقيدة وشريعة، وكذلك سلوك وعمل، وقد أدركت الشرائع السماوية ولا سيما الإسلام باعتباره خاتم الأديان أن العقيدة الصحيحة لها دورها الأساسي في حل مشاكل مادية كبيرة كمشكلة الفقر

(١) نهج البلاغة: الخطب ١٢٩.

والجوع والحرمان ، وذلك لأن الإنسان لديه غرائز أولية وذاتية ولا بد من إشباعها أولاً إذ بدونها لا يمكن أن يحيا الإنسان ويعيش حياة طيبة ، كغريزة الأكل فإذا عدم الخبز انتهى وجود الإنسان ، وهكذا الغرائز الأخرى من الجنس وما أشبهه .

وبما أن الشريعة الإسلامية أرسلت إلى البشرية كافة والله سبحانه وتعالى يقول لنبيه ﷺ: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ»^(١) والعالم يشمل الجائع والشبعان والفقير والغني وغيرهم من طبقات المجتمع وشرائحه . كان لا بد وأن يكون الإسلام مشتملاً على أفضل الحلول لمشاكل مختلف الناس .

وبما أن الإنسان هو خليفة الله في الأرض كان هذا الاهتمام العظيم من قبل الإسلام في حل هذه المشكلة واضحة ، ويتمثل في تأمين مستلزمات المجتمع المعيشية ، وذلك لأن هذه المشكلة تعتبر عائقاً في طريق عبادة الله سبحانه وتعالى ومن هنا نرى سيرة الأنبياء ﷺ والآيات الكريمة في القرآن تبين نعم الله عزوجل في قضاء الحاجات الأولية الأساسية للإنسان ثم يأتي التذكير بعبادة الله سبحانه وتعالى .

فحينما دعا موسى ﷺ ربه «قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي»^(٢) ثم جاء بعد هذا الشرح والتيسير دور الذكر والتسبيح والعبادة فقال: «كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً * وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً»^(٣) .

وفي موضع آخر من القرآن نرى أن الله سبحانه وتعالى طالب الناس بالعبادة بعد أن هياً لهم الأمان والاستقرار والغذاء والطعام كي لا يستشعروا بالخوف ومن أجل أن لا يلهمهم الجوع فقال: «فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ»^(٤) .

ولما كان إيجاد هذه الحاجات الأساسية التي يحتاجها الإنسان هو أساس العبادة في الإسلام نرى شدة اهتمام الشرع المبين بهذه الأنظمة والقوانين والحلول من أجل حل هذه المشكلة . وتفصيلها يحتاج إلى مجلدات ، ولكن سنذكر بعض جوانب نظرة الإسلام

(١) سورة الأنبياء: ١٠٧

(٢) سورة طه: ٢٥-٢٦ .

(٣) سورة طه: ٣٣-٣٤

(٤) سورة قريش: ٣ - ٤

لبعض الجوانب التي يمر بها الإنسان في مشكلة الفقر، ثم نذكر بعض ملامح الأنظمة والحلول والتشريعات التي وضعها لحل هذه المشكلة لتكون شاهداً على أن الإسلام هو الدين الوحيد من بين تلك الأديان والمذاهب الذي أدرك ما تخلقه هذه المشكلة من سلبيات على الإنسان فوضع لها كل ما تحتاجه من إرشاد وتوجيه وأنظمة وقوانين. ثم إن المشاكل الناتجة عن الفقر لها علاقة بكل المجالات التي يتحرك فيها الإنسان، ونذكر منها اثنين على سبيل المثال:

١: الجانب الإنساني

لقد أدرك الإسلام أهمية المشاكل التي يخلقها الفقر للإنسان وقد تحدث في مختلف جوانبه ومنها في المجال الإنساني، فالذي يعاني من هذه المشكلة لا يمكنه عادة أن يتمتع بكل مقومات الإنسان الكامل، ومن ذلك على سبيل المثال سلبيات هذه المشكلة على ذهنية الإنسان وقدرته لإبداء الرأي الصحيح واتخاذ المواقف الناجحة، فالجائع مشغول بنفسه قد لا يمكنه أن يشترك في أمر ما، لأن الفقر جعله موّله العقل، مشتتاً في كيفية تدبير شؤون معيشته، وعدم وجود الخبز أخذ مدى تفكيره فجعل حجته غائبة عنه، لايهتدي إلى سبيله، مدهوش اللب، فلا يتأمل منه - عادة - إبداء الرأي الصحيح والصائب والناضح، ولذلك قال الإمام علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: «يا بني من ابتلي بالفقر ابتلي بأربع خصال... بالضعف في يقينه والنقصان في عقله والرقعة في دينه وقلة الحياء في وجهه»^(١).

وقال عليه السلام لابنه محمد ابن الحنفية: «... فإن الفقر منقصة للدين، مدهشة للعقل، داعية للمقت»^(٢).

وقال عليه السلام: «الفقر يخرس الفطن عن حجته»^(٣).

وعلى هذا تكون هذه الشريحة - عادة - غير فاعلة في المجتمع وليس لها دور يذكر في المجالات السياسية والاقتصادية والتعليمية وغيرها، فيعتبر الإسلام هذا الأمر خسارة

(١) راجع جامع الأخبار: ص ١١٠، وبحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٤٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٤٨ ص ٣٤٨، وشرح نهج البلاغة: ج ١٩ ص ٢٢٧.

(٣) أعلام الدين: ص ١٥٩، وتحف العقول: ٢٠١، وروضة الواعظين: ج ٢ ص ٤٥٤.

للمجتمع البشري لأنه جاء يحمل للناس مجموعة من المفاهيم والمبادئ من أجل سعادتهم، ومنها قول النبي ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»^(١). ومن يتصف عقله بـ (النقصان) أو بـ (الدهشة) كيف يكون راع ومسؤول عن رعيته؟.

٢: الجانب النفسي

وقد أدرك الإسلام أيضاً المشاكل النفسية التي تخلقها مشكلة الفقر للإنسان وخاصة إذا كان يعيش في وسط مجتمع قاس لا توجد فيه رحمة وهي تلك المجتمعات التي يغلب عليها طابع التفكير الجمعي السوقي والرأسمالي الغربي، التي تنعدم فيها روابط الإنسانية كالرحمة والشفقة والحنان والعطف، فهذا المجتمع ينظر للفقير بازدراء وعدم احترام، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للحسن عليه السلام: «... يا بني الفقير حقير لا يسمع كلامه، ولا يعرف مقامه، لو كان الفقير صادقاً يسمونه كاذباً، ولو كان زاهداً يسمونه جاهلاً...»^(٢).

وقد قال الشاعر في وصف نظرة ذلك المجتمع لمن يعاني من هذه المشكلة مترجماً حديث الإمام عليه السلام:

فإن كنت ذا مالٍ فقولك صادق وفعلك محمود وأنت محمد
فإن صرت محتاجاً ففي كل حادثٍ مقيم لك الهم المبرح معقد

وقد قال شاعر آخر في الرد على ذلك:

يا عائب الفقر ألا تزدرج عيب الغنى أكبر لو تعتبر
من شرف الفقر ومن فضله على الغنى إن صح منك النظر
إنك تعصي لتنال الغنى ولست تعصي الله إن تفقر

ولا يخفى أن المقصود بيان ما يترتب على الفقر والفقير من المساوئ في المجتمع. وربما يكون البيت الأخير إشارة إلى مثل هذا الحديث الشريف: «ما جمع مال

(١) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٣٨.

(٢) جامع الأخبار: ص ١١٠، وبحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٤٧.

إلا من بخل أو حرام» وسيأتي ذكر معنى هذه الروايات في العناوين القادمة إن شاء الله تعالى.

العناصر الأخرى

وقد ذكرنا فيما تقدم أن العناصر التي تحيط بالإنسان خمسة وذكرنا العنصر الأول وهو الكون وقلنا بأنه لا علاقة للكون بإيجاد مشكلة الفقر، والعنصر الثاني هو المذهب واتضح أن المبدأ الصحيح - وهو الإسلام - ليس له أية علاقة بإيجاد هذه المشكلة، بل هو من وراء القضاء عليها وحلها بأحسن ما يمكن، فبقت العناصر الثلاثة: الدولة والمجتمع والإنسان وهي المسؤولة عن إيجاد مشكلة الفقر.

الحلول الإسلامية للقضاء على الفقر

وقبل أن نوضح تقصير كل من الدولة والمجتمع والإنسان في هذا الباب، نذكر ما شخسه الإسلام من المشاكل التي تواجه الفقير وما وضعه من حلول لها:

١: توفير الحاجات الأولية للإنسان

من جملة ما تعرف به ملائمة الشريعة الإسلامية للفطرة الإنسانية ما وضعته من حلول للمشاكل التي تواجه الإنسان في حياته، ومما شرعه الإسلام في سبيل القضاء على مشكلة الفقر هو أن يحس الأغنياء بما يلاقه الفقراء، فمن فلسفة فريضة الصوم وحكمتها هي أن يتحسس الغني ألم الفقر ومعاناة الفقراء، فيسعى في قضاء حوائجهم، وهذا له تأثير نفسي كبير كما هو مذكور في علم النفس.

إن الإسلام يعتبر أهم شيء لديه هو وجود الإنسان فهو يسعى لأن يجعله سعيداً سواء في هذه الفترة الزمنية القصيرة التي يقضيها في هذه الحياة الدنيا، أو في الآخرة.

فمن مميزات هذه الفريضة أنها تطبق شيئاً من المساواة العملية بين طبقات المجتمع المختلفة على صعيد الجوع، فيعرف الغني ألم الفقير ويعرف الفقير مساواته للغني.

وقد حرص الإسلام على المواسة وبعض مصاديق المساواة التي لا تنافي العدالة فإن بينهما عموماً من وجه كما في المنطق، وقد مر بنا سابقاً كيف ساوى الإمام علي

بن أبي طالب عليه السلام بين الناس في العطاء، ومن هنا يعرف أن الإسلام يرفض الفقر والمسكنة للناس.

وهنا يأتي سؤالان:

السؤال الأول: قد يقال إن الإسلام يدعم ما ورد في المذهب الاشتراكي من دعوته للمساواة!.

والجواب الإسلام يدعو للعدالة وقد تكون المساواة مصداقاً لها، ثم إن الصوم - مثلاً - الذي فرض ليراد ضمن ما أريد منه أن يخلق في نفوس أفراد المجتمع الشعور بالمساواة يوجب الاندفاع إلى رفع مستوى الفقير بإرادتهم. بينما الاشتراكية الجائرة وضعت القوانين لهدم الأسس الفطرية للاقتصاد فتخلق المساواة بالإكراه والجبر وبالنار والحديد بين الناس وتحتكر الثروة للطبقة الحاكمة، وفي هذا ظلم أكبر من ظلم الرأسمالية.

ثم في النظرية الإسلامية إن العطاء الذي يجبر عليه الإنسان عبر أساليب معينة من قبل الحكومات مثلاً لا تعد فضيلة للإنسان، وحتى في الجانب الأخلاقي يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «السخاء ما كان ابتداءً، فأما ما كان عن مسألة فحياء وتذمم»^(١).

والمسلم الحقيقي هو الذي يعطي تطوعاً وبيدلاً حراً ويعمل من أجل إشباع الجائع ومساعدة المحتاج وإغاثة الملهوف بإرادته واختياره. وهكذا يربي الإسلام نفوس المسلمين بحب المواساة والمساواة والأخذ بأيدي الفقراء وما أشبه ويعد بالشواب الجزيل على ذلك.

وهذه سيرة أهل البيت عليهم السلام تشع بالشواهد العظيمة على ذلك العطاء والعمل، ومنها الروايات التالية:

قدم أعرابي المدينة فسأل عن أكرم الناس بها، فدل على الإمام الحسين عليه السلام فدخل المسجد فوجده مصلياً فوقف بإزائه وأنشأ:

(١) وسائل الشيعة: ج ٩ ص ٤٥٧ ح ١٢٤٩١.

لم يخب الآن من رجاك ومن حرك من دون بابك الحلقة
أنت جواد وأنت معتمد أبوك قد كان قاتل الفسقة
لو لا الذي كان من أوائلكم كانت علينا الجحيم منطبقة

قال: فسلم الحسين عليه السلام، وقال: «يا قنبر هل بقي شيء من مال الحجاز؟».

قال: نعم أربعة آلاف دينار. فقال: «هاتها قد جاء من هو أحق بها منا». ثم نزع برديه

ولف الدنانير فيهما وأخرج يده من شق الباب حياء من الأعرابي وأنشأ:

خذها فإني إليك معتذر واعلم بأني عليك ذو شفقة
لو كان في سيرنا الغداة عصا أمسست سمانا عليك مندفقة
لكن ريب الزمان ذو غير والكف مني قليلة النفقة

قال: فأخذها الأعرابي وبكى. فقال: «له لعلك استقلت ما أعطيناك؟». قال:

لا ولكن كيف يأكل التراب جودك! ^(١).

وعن عمرو بن دينار قال: دخل الإمام الحسين عليه السلام على أسامة بن زيد وهو

مريض، وهو يقول: وا غماه! فقال له الحسين عليه السلام: «وما غمك يا أخي؟». قال:

ديني وهو ستون ألف درهم. فقال الحسين: «هو علي». قال: إني أخشى أن أموت.

فقال الحسين: «لن تموت حتى أقضيها عنك». قال: فقضاها قبل موته. وكان عليه السلام

يقول: «شر خصال الملوك: الجبن من الأعداء والقسوة على الضعفاء والبخل عند

الإعطاء» ^(٢).

وقال شعيب بن عبد الرحمن الخزاعي: وجد على ظهر الحسين بن علي عليه السلام

يوم الطف أثر، فسألوا زين العابدين عليه السلام عن ذلك فقال: «هذا مما كان ينقل الجراب

على ظهره إلى منازل الأرامل واليتامى والمساكين» ^(٣).

وعن إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده

المعلی بن خنيس إذ دخل عليه رجل من أهل خراسان، فقال: يا ابن رسول الله أنا من

(١) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ١٩٠ ب ٢٦ ح ٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ١٨٩ ب ٢٦ ح ٢.

(٣) المناقب: ج ٤ ص ٦٦ فصل في مكارم أخلاقه عليه السلام.

مواليكم أهل البيت ، وبينى وبينكم شقة بعيدة ، وقد قل ذات يدي ولا أقدر أن أتوجه إلى أهلي إلا أن تعينني؟ قال: فنظر أبو عبد الله عليه السلام يمينا وشمالا وقال: «ألا تسمعون ما يقول أخوكم ، إنما المعروف ابتداء فأما ما أعطيت بعد ما سألت فإنما هو مكافأة لما بذل لك من ماء وجهه . ثم قال :- فبييت ليلته متأرقا متملما بين اليأس والرجاء لا يدري أين يتوجه بحاجته فيعزم على القصد إليك فأتاك وقلبه يجب وفرائضه ترتعد وقد نزل دمه في وجهه وبعد هذا فلا يدري أينصرف من عندك بكآبة الرد أم بسرور النجاح فإن أعطيته رأيت أنك قد وصلته ، وقد قال رسول الله ﷺ : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة وبعثني بالحق نبيا لما يتجشم من مسألته إياك أعظم مما ناله من معروفك». قال: فجمعوا للخراساني خمسة آلاف درهم ودفعوها إليه ^(١).

وروي: أن أمير المؤمنين عليه السلام إذا أتاه طالب في حاجته فقال له: «اكتبها على الأرض فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجه السائل» ^(٢).

وجاء رجل إلى الرضا عليه السلام فقال: يا ابن رسول الله لقد فقدت نفقتي ، ولم يبق معي ما يوصلني إلى أهلي ، فاقرضني وأنا أتصدق به عنك. فدخل داره وأخرج يده من الباب وقال: «خذ هذه الصرة». وكان فيها مائتي دينار وقال له: «لا حاجة لنا إلى صدقتك». فقال له: يا ابن رسول الله لم لا تخرج وجهك؟ فقال: «نحن أهل بيت لانرى ذل السؤال في وجه السائل» ^(٣).

وسأل رجل الحسن بن علي عليه السلام شيئا ، فأعطاه خمسين ألف درهم وأعطى الجمال طيلسانه كراه وقال: «تمام المروءة إعطاء الأجرة لحمل الصدقة» ^(٤).

وقال علي بن الحسين عليه السلام: «إني لأبادر إلى قضاء حاجة عدوي خوفا أن يقضيها له غيري أو أن يستغني» ^(٥).

نية المواساة

- (١) مستدرک الوسائل: ج ٧ ص ٢٣٦ ب ٣٦ ح ٨١٢٦.
- (٢) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٣٦ الباب ٤٣ في السخاء والجود.
- (٣) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٣٦ الباب ٤٣ في السخاء والجود.
- (٤) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٣٦ الباب ٤٣ في السخاء والجود.
- (٥) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٣٦ الباب ٤٣ في السخاء والجود.

ومن عظمة الإسلام أنه كرم الإنسان الذي يتمتع بصفة المواساة وأجزل له الثواب والجزاء حتى وإن لم يصدر منه عمل وبقي على نية الخير لعدم إمكانيته، فقد ورد أن الله يعطي الثواب العظيم لنية الخير وللقلب العطوف الذي يمتلك الرحمة وإن لم يوفق للعمل، ففي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن العبد المؤمن الفقير ليقول يا رب ارزقني حتى أفعل كذا وكذا من البر ووجوه الخير، فإذا علم الله عزوجل ذلك منه بصدق نية، كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله، إن الله واسع عليم»^(١).

وروي: «إن عابداً من عباد بني إسرائيل مرّ على كتيب من رمل وقد أصابت بني إسرائيل مجاعة عظيمة فتمنى في نفسه أن هذا لو كان دقيقاً لأشبع به بني إسرائيل، فأوحى الله إلى نبيّ من أنبيائه عليه السلام أن قل لفلان: إن الله تعالى قد أوجب لك من الأجر ما لو كان دقيقاً وأشبع به الناس».

ومن هنا فإن الإسلام يجلب ويكبر للإنسان أن توجد فيه هذه الصفات والخصائص حتى لو اختلف عن منهجه وسلوكه فكان كافراً، كما ورد من مدح النبي صلى الله عليه وآله لحاتم الطائي الجواد المشهور، وذلك لما جاء بسبايا طي إلى المدينة وادخل السبي على النبي صلى الله عليه وآله دخلت (سفانة) بنت حاتم الطائي، فعجب الحاضرون من حسنها وجمالها فلما تكلمت نسوا حسنها وجمالها لعذوبة منظرها قالت: أي محمد، مات الوالد، وغاب الوافد، فإن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي الأعداء، أو (أحياء العرب)، فإني ابنة سيد قوم، وإن أبي كان يحب مكارم الأخلاق وكان يطعم الجائع ويفك العاني ويكسو العاري، وما أتاه طالب حاجة إلا ورده بها.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا جارية هذه صفات المؤمنين حقاً لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه، ثم قال النبي صلى الله عليه وآله: أطلقوها كرامةً لأبيها. فقالت: أنا ومن معي.

قال النبي صلى الله عليه وآله: أطلقوها من معها كرامةً لها.

ثم قال صلى الله عليه وآله: «ارحموا ثلاثاً، وحق لهم أن يرحموا: عزيزاً ذل من بعد عزه، وغنياً افتقر من بعد غناه، وعالماً ضاع ما بين جهال».

(١) الكافي: ج ٢ ص ٨٥ ح ٣.

ثم قالت سفانة: يا رسول الله أتأذن لي بالدعاء لك.

قال النبي ﷺ: نعم.

فقالت: أصاب الله بريك موقعه، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، ولا سلب نعمة قوم إلا جعلك سبباً لردها.

قال النبي ﷺ: آمين، ثم أمر النبي ﷺ لها بإبل وغنم سدت ما بين الجبلين فعجبت من ذلك!، وقالت: يا رسول الله هذا عطاء من لا يخاف الفقر، قال ﷺ: هكذا أدبني ربي^(١).

وكذلك كان ابنه عدي بن حاتم الطائي وهو من أصحاب أمير المؤمنين ﷺ فقد كان سخياً جواداً حتى قيل إنه كان يفت الخبز للنمل ويقول: إنهن جارات ولهن علينا حق الجوار، ومن غريب الحوادث التي مرت به وهو في عمله هذا قيل: كان يفت الخبز للوحوش في كل يوم فإذا كان يوم عاشوراء لم تأكله^(٢).

وقد ورد أيضاً إن الله عزوجل أوحى إلى موسى ﷺ: «أن لا تقتل السامري فإنه سخي»^(٣).

وفي حادثة أخرى أمر النبي ﷺ علياً ﷺ بقتل أحد هؤلاء الثلاثة الذين أرادوا اغتياله ﷺ وقد قام أمير المؤمنين ﷺ ليضرب عنقه فهبط جبرئيل على النبي ﷺ فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول: لا تقتله فإنه حسن الخلق سخي في قومه، فقال النبي ﷺ: يا علي أمسك فإن هذا رسول ربي عزوجل يخبرني أنه حسن الخلق سخي في قومه، فقال المشرك تحت السيف: هذا رسول ربك يخبرك؟ قال ﷺ: نعم، قال: والله ما ملكت درهماً مع أخ لي قط ولا قطبت وجهي في الحرب، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: هذا ممن جره حسن خلقه وسخاؤه إلى جنات النعيم^(٤).

(١) شجرة طوبى: ج ٢ ص ٤٠٠.

(٢) كانت هذه الصورة من حزن الوحوش على مأساة كربلاء كما بكت على سيد الشهداء الحسين بن علي ﷺ في قصص مذكورة في كتب التاريخ والحديث من الفريقين.

(٣) الكافي: ج ٤ ص ٤١، ومن لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٦١.

(٤) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٧٣ ح ٤.

السؤال الثاني: قد يقول قائل: إن فريضة الصوم تبدأ وتنتهي وتتجدد في كل عام ولا نرى أثراً لهذه المساواة، بل على عكس ذلك فالفقير لا يزداد إلا فقراً وبؤساً وشقاءً، والغني لا يزداد إلا جشعاً وحرصاً وبخلاً؟

والجواب: إن الإسلام يحل مشكلة الفقر جذرياً، ويهيئ مقومات الحل نفسياً، ومن حكمة الصوم التهيؤ النفسي للمساواة مع الفقراء ومساعدتهم وليس هذا الأمر هو الحل بكامله كما هو واضح، ثم إن قسماً من الأغنياء رغم أدائهم لهذه الفريضة ربما يشعرون بأن هذه الأموال هي المقياس الذي يميزهم عن غيرهم من طبقات المجتمع الأخرى فيظنون بأن وجودهم لا يساوي شيئاً بدونها.

ورؤية الأموال بهذه النظرة يعني الطبقة الخاطئة في المجتمع فأصحاب الأموال يشعرون بالاستعلاء والفقراء يشعرون بالضعف وأنهم الطبقة السفلى من المجتمع وهذه النظرة لا واقع لها في الإسلام ولا تستمد من مثله العليا وقيمه السامية.

بل إن القرآن الكريم يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١).

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا تحقروا مؤمناً فقيراً، فإنه من حقر مؤمناً فقيراً واستخف به حقره الله ولم يزل الله ماقتاً له حتى يرجع عن محقرته أو يتوب»^(٢).

وقال عليه السلام: «من استذل مؤمناً أو احتقره لقلته ذات يده ولفقره شهره الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ليأذن بحرب مني من أذل عبيدي وليأمن غضبي من أكرم عبيدي المؤمن»^(٤).

والطبقة توجد في كل زمان ومكان مادام فيه أهل للخير وأعدوان للشر، فهناك فئات من المجتمع تغذي بقاءها ووجودها على حساب الآخرين وتضييع حقوق الناس،

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) المحاسن: ج ١ ص ٩٧ ب ٢٥ ح ٦٠.

(٣) المحاسن: ج ١ ص ٩٧ ب ٢٥ ح ٦٠.

(٤) المحاسن: ج ١ ص ٩٧ ب ٢٥ ح ٦١.

وهذا الواقع المر هو الإرث الذي تركه بعض الحكام بعد رسول الله ﷺ وقبل خلافة الإمام علي عليه السلام وحكومته العادلة، وقد أوجدت السياسة المالية التي تقدمت على عهده طبقات مختلفة من ذلك المجتمع فمنها: طبقة يصطلح عليها بالأشراف، ومنها طبقة المرتزقة وهم بطانة الحاكم وأعوانهم، وطبقة راضية قانعة بتلك السياسة المالية الجديدة التي ابتدعوها، وطبقة الفقراء.

ولما ولى الإمام عليه السلام الحكم أخذت هذه المشكلة الاقتصادية بعداً واسعاً في سيرته الإصلاحية التي اتبعها، وذلك لما رأى ذلك المجتمع غرابة هذه السيرة العلوية التي لم يألفها سابقاً إلا من رسول الله ﷺ لأن سلوك الحكام السابقين كان يقوم على جملة من الأسس التي ليس لها مدرك في الشريعة ومنها: الملك والاستبداد كسيرة معاوية. ومنها: التفضيل في العطاء. وقد وجدت حالات لا يتأمل الإنسان المسلم حدوثها كتفضيل من لا سابقة له في الإسلام ومن ليس له معرفة بالدين كمروان بن الحكم وعبد الله بن أبي سرح والوليد بن عقبة ونظائرهم.

ولهذا تجد الإمام عليه السلام بين آونة وأخرى يئن من حمل أعباء هذه التركة ويتألم من هذا الإرث المشتت ويصرخ من وطأة هذا الجرح الغائر في جسم الكيان الإسلامي وقد عرف من خلال فلسفته لحل هذه المشكلة أن لها دوراً عظيماً في تقويم الدنيا وصلاحتها إن أحسن الغني والفقير التعامل معها فيقول عليه السلام لجابر بن عبد الله الأنصاري: «يا جابر قوام الدين والدنيا بأربعة: عالم يستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم، وجواد لا ييخل بمعروفه، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه، فإذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم، وإذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه»^(١).

وقد عالج الإمام عليه السلام هذا الواقع الصعب واضحاً القرآن نصب عينيه، فما عارضه من تلك التركة وذلك الإرث وضعه جانباً، وما وافق القرآن أخذ به، فلما رأى التفاضل سائداً بين الناس بالأموال وهو يخالف منهج القرآن وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ

(١) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٣٦.

لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»^(١) دعا الناس حينئذ إلى التفاضل فيما بينهم بالتقوى والفضيلة ومكارم الأخلاق وفي العطاء والكرم، وأن يتباهوا فيما بينهم بعبادة الله تعالى، فساوى بين الناس في العطاء فأصبح العربي والعجمي والكبير والصغير والشريف والوضيع كلهم سواء، وقد خلقت له هذه السياسة المالية التي اتبعها مشاكل كثيرة ونشبت بسببها حروب ومعارك، وذلك لأن الطغاة أبوا قبول المنطق القرآني في نظرية المساواة والتفاضل فقال عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لهم: «تأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه؟ والله ما أطور به ما سمر سمير، وما أم نجم في السماء نجما، لو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله، ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف»^(٢).

ثم كانت هناك طبقة من ذلك المجتمع أبت أن ترجع ما أخذته ظلماً واغتصاباً عبر تلك السياسات المالية الخاطئة، فقال عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لهم: «ألا وكل قطعة أقطعها عثمان أو مال أعطاه من مال الله فهو رد على المسلمين في بيت مالهم فإن الحق لا يذهب الباطل والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو وجدته قد تزوج به النساء وتفرق في البلدان لرددته على أهله فإن في الحق والعدل لكم سعة ومن ضاق به العدل فاجور به أضيق»^(٣).

٢: رفع المستوى الاجتماعي

حرص الإسلام على إزالة مشكلة الفقر حرصاً على سلامة المجتمع، فاهتم بتوجيه كل إنسان حتى يكون عنصراً صالحاً فيه، فسعى للقضاء على الفقر ورفع مستوى الفقراء، لأن المشاكل التي تخلقها حالة الفقر كثيرة، ومنها البطالة وفيها ضرر كبير على المجتمع، ومن أضرارها تفشي ظاهرة السرقة وعدم الأمان، وخطرها عظيم كما هو واضح، فالمجتمع الذي يفتقر الأمان لا يمكن أن يكتب له الاستمرار في الحياة، والإسلام لا يريد أن يفرض بهذه الشريحة من المجتمع وهي قد تكون ذات نسبة عالية فيه فسعى عبر ما أوجده من حلول وتشريعات لرفع مستوى هذه الفئة من الناس كي

(١) سورة الحجرات: ١٣

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ٨، ص ١٠٩.

(٣) دعائم الإسلام: ج ١، ص ٣٩٦.

تكون صالحة ومستقرة قال سبحانه: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(١).

٣: الاهتمام بالجانب المالي

موقف الإسلام من المال والثروة موقف إيجابي، ومن هنا فقد أولى الإسلام العامل المادي عناية مهمة فقال عز وجل: ﴿يَابْنَی آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٦٠﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

واعتبر الإسلام المال زينة الحياة الدنيا: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٣) وبه قوام المجتمع: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾^(٤) حيث عبر عن المال بقيام الإنسان، وإنه (نعم العون على تقوى الله)^(٥) وإن (طلب المال الحلال فريضة وجهد في سبيل الله)^(٦) وإن الله تعالى «يجب أن يرى أثر نعمته على عبده»^(٧).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لا خير في من لا يجب جمع المال من حلال يكف به وجهه ويقضي به دينه ويصل به رحمه»^(٨).

ولكن إلى جانب هذا الانفتاح على كسب المال وضع الإسلام شروطاً لهذا المال ومنها:

١: على الإنسان أن يبذل مما رزقه الله سبحانه وتعالى مالاً وجاهاً وقدرةً، وأن يضع قسماً من إمكانياته في رفع مستوى الفقر والفقراء، من أجل نشر السلم والسلام

(١) سورة البقرة: ٣.

(٢) سورة الأعراف: ٣١-٣٢.

(٣) سورة الكهف: ٤٦.

(٤) سورة النساء: ٥.

(٥) إشارة إلى قول رسول الله ﷺ: «نعم العون على تقوى الله الغنى». الكافي: ج ٥ ص ٧١ ح ١.

(٦) إشارة إلى قول أبي عبد الله عليه السلام: «الكاد على عياله من حلال كالمجاهد في سبيل الله» من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ١٦٨ ح ٣٦٣١.

(٧) مستدرک الوسائل: ج ٣ ص ٢٣٦.

(٨) الكافي: ج ٥ ص ٧٢ باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة ح ٥.

في المجتمع الإسلامي^(١)، وذلك من خلال توزيع الحقوق الشرعية في مواردها المقررة، فيعطي من الفاضل على ما زاد من حد الكفاية ويوزعها على أفراد المجتمع الفقراء والمحتاجين، من إعطاء القروض أو المساعدة أو تشغيل هذه الأموال مع من يستحقه عبر المضاربة أو غيرها.

٢: يسمح الإسلام بتجميع الثروة واكتناز المال بعد ما يتم تحصيله من الحلال ودفع ما يجب عليه من الحقوق.

كما يحث الإسلام الغني بمواساته ومشاركته الفقراء والأخذ بأيديهم إلى حد الكفاية، وليس معناه الكفاف بل هو تلبية متطلبات الإنسان الضرورية في هذه الحياة والتي قد تتغير باختلاف حالته وعمله.

فالإسلام لا يحارب الغني والغنى، بل يسعى في القضاء على الفقر ورفع مستوى الفقراء. كما يدعو الغني إلى عدم الترف والمغالاة وعدم الحرص.

يقول الإمام أبو عبد الله عليه السلام حينما شكأ إليه رجل وقال: إنه يطلب ويصيب ولا يقنع، وتنازعه نفسه إلى ما هو أكبر منه وقال: علمني شيئاً أنتفع به، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «إن كان ما يكفيك يغنيك فأدنى ما فيها يغنيك وإن كان ما يكفيك لا يغنيك فكل ما فيها لا يغنيك»^(٢). وهذه آداب يسعى الإسلام بأن يتحلى الغني بها، فتكون نفسه غنية قبل كل شيء.

ومن هذا يعرف أن الشريعة الإسلامية تعتبر حد الكفاية لكل إنسان هو الغنى في النفس والمال، وتعتبر الدنيا نعم العون على الآخرة.

عن أبي عبد الله عليه السلام: «نعم العون على الآخرة الدنيا»^(٣).

وقال عليه السلام: «غنى يججزك عن الظلم خير من فقر يملكك على الإثم»^(٤).

(١) اصطلاح المجتمع المسلم أو أفراد المجتمع أو غيرها من هذه المفردات لا يراد منه من يقيم ضمن هذه الحدود المصطنعة من قبل الاستعمار وإنما يشمل جميع المسلمين على هذه الكرة الأرضية.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ٢٢٤ ح ١٨٠٦٦.

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٧٢ باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة ح ٩.

(٤) الكافي: ج ٥ ص ٧٢ باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة ح ١١.

ومن هنا لا يسمح الإسلام للدولة والحاكمين بكنز الأموال وفي المجتمع من لا تتوفر له حد الكفاية.

تشريع قانون الضرائب المالية (الخمسة والزكاة)

لم يكن هناك تشريع قبل الإسلام يأمر الغني بمساعدة الفقير وإنما يتم هذا الأمر من خلال بعض الطرق الأخلاقية كما في الحث على الكرم والعطاء والإحسان وهذا لم يكن فرضاً وإنما كان يتم عبر الإحسان الاختياري الذاتي، ولما جاء الإسلام فرض الخمس والزكاة والجزية والحراج ضرائب مالية فأصبح واجبا عليهم الوفاء به فكان للفقير حقان في أموال الغني:

حقوق مستحبة

الحق الأول: وهو الذي يعطى وينفق من دون وجوب على المنفق، ولكن بحث من الإسلام عليه ووعده بالثواب الجزيل، فيقدم اختياراً كالذي يعطى للأرحام أو إكرام الضيف أو الوالدين أو مختلف الناس من المحتاجين أو المشاركة في المشاريع الخيرية وما أشبهه.

أما ما يبذل لما يكفي الدولة الإسلامية الصحيحة والجامعة لشرائطها في أحوال خاصة استثنائية طارئة كما لو عجزت مصادر الدولة ومنابعها المالية من تمويل النفقات العامة أو ما يلزمها في مواجهة العدو مثلاً، فإنها مؤقتة وخلاف الأصل، وقد يصطلح عليه بحق الحاكم في وضع اليد على ما تقضي به المصلحة العامة. وهذا الأمر يجب أن يكون حسب تعيين وتشخيص شورى الفقهاء المراجع كما ذكرنا ذلك في بعض كتبنا.

والإنسان في إعطاء الحق الأول الذي يكون بالعنوان المستحب إنما يعبر بمشاركته لمن واساه بالعطاء عن الإنسانية، ويعلن أن حياته معه في مجتمع واحد على سواء، وأنهم إخوة متحابين، وهذا هو هدف الشريعة الإسلامية، فالإسلام لا يريد من الإنسان أن يتفاعل مع قواعده وقوانينه بالإكراه والجبر لأنه حينما أعلن إسلامه كان ذلك عن رغبة وطواعية واختيار، وإذا كان كذلك فيلزم عليه الالتزام بكل تفاصيل هذه الشريعة وجزئياتها، وأن يفى الله بما عاهد عليه، ويكون حينئذ قد اهتم بشؤون

المسلمين ومن لا يهتم بهم فليس منهم، ومن جملة هذه الاهتمامات الإحسان والإنفاق على المحتاجين.

وإذا كان من اللازم بذل الأموال والأنفس في سبيل إعلاء كلمة الله وحرية الناس وأمن الوطن الإسلامي الواسع بدون حدود جغرافية أو لغوية أو ما أشبه ذلك، فلاشك أن هذا يشمل الإنفاق في سبيل رفع حالة فقر إخوانه من المسلمين وقضاء حوائجهم لأنهم جزء من الأمة الإسلامية وقد لزم بذل الأموال والأنفس في سبيل تلك الموارد.

حقوق واجبة

والحق الثاني: وهو الإنفاق الواجب، ويتمثل في الخمس والزكاة والجزية والخراج فقط، وهي الواجبات من الضرائب التي شرعتها الشريعة وفرضتها من أجل رفع مستوى حالة الفقير وتقديم البلاد والعباد.

وقد أشرنا إلى مواردها في موضوع التكافل، ونضيف هنا رواية تتعلق بالخمس لأهميته وهي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام يقول: «...إن الخمس عوننا على ديننا وعلى عيالنا وموالينا وما نفك وما نشترى من أعراضنا ممن نخاف سطوته فلا تزووه عنا، فإن إخراجهم مفتاح رزقكم وتمحيص ذنوبكم وما تمهدون لأنفسكم يوم فاقتمكم، والمسلم من يفي لله بما عاهد وليس المسلم من أجاب باللسان وخالف بالقلب»^(١).

والفرق بين هذا وبين ما قد يجب في ظروف خاصة استثنائية، أن الحق الاستثنائي يكون فيه العطاء بالعنوان الثانوي وليس بثابت إلا في الاستثناء، ولا يكون قانوناً دائماً وإنما مؤقت، وأما الحق الثاني الذي يكون فيه العطاء بالعنوان الأولي ثابت إلا في الاستثناء.

مضافاً إلى ما مر من الحقوق المستحبة.

وبذلك أصبح في أموال الغني حقوق معلومة للفقراء، كما قال تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾^(٢).

(١) تهذيب الأحكام: ج ٤ ص ١٣٩.

(٢) سورة الذاريات: ١٩.

وحالة الفقر اليوم منتشرة في أرجاء العالم الإسلامي ولا يمكن أن ينكرها أحد فيلزم على الدول السعي للقضاء على ظاهرة الفقر عبر العمل بالقوانين الإسلامية التي تقلع الفقر من جذوره وذلك بالحرثيات الاقتصادية وقانون بيت المال والتكافل الإسلامي وما أشبهه.

وبالنسبة إلى الحق الثاني وهو الخمس والزكاة فوجوبهما معلوم فيجب على الإنسان المسلم الغني إعطاؤهما ولا يستطيع أن يتخلف عنهما إلا أن يكون ظالماً ومغتصباً لحقوق الآخرين وخارجاً عن ولاية الله تعالى كما نصت الرواية على ذلك. ومن حكم هذا التشريع وفرض هذه الضرائب أنه يكون مانعاً من تراكم الأموال والثروة بشكل غير شرعي وغير سليم، علماً بأن رفع مستوى الفقراء يكون بصالح الأغنياء أيضاً فإنه يوجب الحركة الاقتصادية الصحيحة وهذا يدر أرباحاً أكثر للأغنياء على ما هو مذكور في محله.

ثم إن الإسلام يمنع من الاحتكار المحرم ولا يجوز استغلال الآخرين وفرض الضرائب غير المشروعة على الأغنياء، إلى غيرها مما ذكرناه في فقه الاقتصاد.

دلالات عدم الإنفاق

لقد تحدثنا في الموضوع المتقدم عن واجبات المسلمين تجاه السلام الاقتصادي عبر الإنفاق في سبيل الله، وهنا نشير لأهميته في الإسلام مرة أخرى باختصار وهو الذي يمثل الحقل الأول الذي يُعطى اختياراً.

لقد أمر الإسلام بالإنفاق في السراء والضراء، كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١) فمن لم ينفق لا يكون من المتقين حسب الآية المباركة والدليل على هذا إن الغني الذي يكتنز الأموال والثروة يتصف عادة بجملة من الصفات التي تتعارض مع التقوى ومنها:

(١) سورة آل عمران: ١٣٣-١٣٤.

١- الكذب: وذلك لأنه يقول: آمنت بهذا الدين وبما فرض علي عن رغبة وطواعية، ولكن يكذب فعله قوله وذلك حينما يأمره الله سبحانه وتعالى بالإفناق في قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^(١)، و﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾^(٢) وغيرها من الآيات الكريمة فيمتنع عن الإفناق ثم تأتي آيات أخرى لتتوعده بالعذاب، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾^(٣)، ومع ذلك فلم يزيده هذا الأمر والوعيد إلا حرصاً وجشعاً وطمعاً بالمال واكتنازه، فما هذا إلا الكذب على الله سبحانه وتعالى.

٢- النفاق: وذلك لأنه يدعي أمراً وهو الإيمان والعمل بمبادئ هذه الرسالة الإسلامية وفي قلبه شيء آخر، فيعمل على خلاف ما يدعيه وبالعكس ما أمر به. وهذا هو الذي قيل عنه: «يرجو الآخرة بغير العمل، ويرجئ التوبة بطول الأمل، يقول في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين، إن أعطي منها لم يشبع وإن منع منها لم يقنع، ويتغنى الزيادة فيما بقي، ينهى ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي، يحب الصالحين ولا يعمل عملهم، ويبغض المذنبين وهو أحدهم...»^(٤).

٣- البخل: وهو من صفات الذين يكتزون الأموال والثروة، فإن العطاء والإفناق يحتاج إلى إرادة قوية وإلى شجاعة في بذل المال، وهذه الصفات معدومة لديهم.

٤- ارتكاب المحرم: وذلك لأن في أموال الأغنياء حقوق يجب عليهم دفعها وإن لم تدفع لتصرف في مواردها تبقى عالقة بدمتهم ويعتبر تصرفهم بها كالتصرف بمال الغير ولا يجوز إلا مع إذنه ولهذا قيل: «ما جمع مال إلا من بخل أو حرام» فقد يكون أساس هذه المالية الكبيرة هو مال مغصوب وهو حق الفقراء والمحتاجين والمساكين.

(١) سورة البقرة: ٣.

(٢) سورة آل عمران: ١٣٤.

(٣) سورة التوبة: ٣٤-٣٥.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ١٩٩.

٥- عدم البر والإحسان: إن هؤلاء الأغنياء أحبوا المال حباً جماً وارتبطوا به ارتباطاً وثيقاً، وكلما ازداد المال لديهم اشتد تعلقهم بالحياة وغرتهم الدنيا الغرور وخدعهم الأمل الكاذب فأسهى عقولهم وأنساهم آخرتهم، فتركوا البر والإحسان، وذلك لشدة ارتباطهم بالمال الذي أصبح أعز شيء عندهم بحيث خالفوا أمر الله عزوجل فيه، وإذا كان كذلك فكيف يبذلونه في سبيل الله تعالى؟ والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾^(١).

وهم أيضاً في هذا يخالفون سيرة رسول الله ﷺ وأهل البيت عليهم السلام يقول الإمام الصادق عليه السلام: «أنا أحب أن أتصدق بأحب الأشياء إلي»^(٢).
وقد عرفوا بسيرتهم الكريمة وأنهم كانوا: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(٣).

وإذا كانت هذه النقاط المتقدمة وغيرها من صفات هؤلاء الأغنياء إذن كيف: «تريدون أن يجاوروا الله في دار قدسه، ويكونوا أعز أوليائه عنده؟ هيهات! لا يخدع الله عن جنته، ولا تنال مرضاته إلا بطاعته»^(٤). فإذا صح أن ينفي مكتنز المال وجامعه من صفوف المتقين حسب الآية المباركة^(٥).

٤: التأكيد على أهمية الوعظ والإرشاد

ومن الجوانب المهمة التي أولتها الشريعة الإسلامية أهمية بالغة فيما يتعلق بحل مشكلة الفقر: مجال الوعظ والإرشاد، وهو السبيل السلمي الذي اتبعه الإسلام في حث الأغنياء على الإنفاق لصالح الفقراء والمساكين.

وقد يقول قائل: إن هناك تهديداً ووعيداً في أخذ هذا المال من الأغنياء أو أمرهم بالاستجابة لهذا الطلب، وما هذه الصورة إلا كما يذهب إليه المذهب الاشتراكي.

والجواب: إن الحقوق الشرعية الواجبة في الدين الإسلامي ليس فيها مواراة أو

(١) سورة آل عمران: ٩٢.

(٢) تهذيب الأحكام: ج ٤ ص ٣٣١.

(٣) سورة الحشر: ٩.

(٤) نهج البلاغة: الخطب ١٢٩.

(٥) سورة التوبة: ٣٤-٣٥.

مخادعة، وإنما أهدافه صريحة وواضحة، والإسلام يسعى في تطبيقها حرصاً على سلامة المجتمع، ثم ليس فيها إكراه وجبر ولا حديد ونار، بل مجرد وعيد بالعقوبة في الآخرة والحرمان من الجنة، فهذا السبيل هو عكس ما يذهب إليه المذهب الاشتراكي في نظريته لحل المشكلة الاقتصادية المتعلقة بالفقير وذلك عبر استخدام وسيلة الإكراه والجبر تارة، وأخرى بالحديد والنار لأخذ أموال الأغنياء.

عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(١) فقال: «يا محمد ما من أحد يمنع من زكاة ماله شيئاً إلا جعل الله عزوجل ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوقاً في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب»

ثم قال: «هو قول الله عزوجل: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يعني: ما بخلوا به من الزكاة»^(٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «بينما رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد إذ قال: قم يا فلان، قم يا فلان، قم يا فلان، حتى أخرج خمسة نفر، فقال: اخرجوا من مسجدنا لا تصلوا فيه وأنتم لا تركون»^(٣).

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من منع قيراطاً من الزكاة فليس بمؤمن ولا مسلم وهو قوله عزوجل: [رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ]»^(٤) وفي رواية أخرى: «ولا تقبل له صلاة»^(٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما من ذي زكاة مال نخل ولا زرع ولا كرم يمنع زكاة ماله إلا قلدت أرضه في سبع أرضين يطوق بها إلى يوم القيامة»^(٦).

(١) سورة آل عمران: ١٨٠.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٥٠٢ باب منع الزكاة ح ١.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ١٢ باب ما جاء في مانع الزكاة ح ١٥٩٢.

(٤) سورة (المؤمنون): ٩٩-١٠٠.

(٥) الكافي: ج ٣ ص ٥٠٣ باب منع الزكاة ح ٣.

(٦) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٧ سورة آل عمران ح ١٥٩.

وعن عبيد بن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ما من عبد يمنع درهما في حقه إلا أنفق اثنين في غير حقه، وما رجل يمنع حقا من ماله إلا طوقه الله عزوجل به حية من نار يوم القيامة»^(١).

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ملعون ملعون مال لا يزكى»^(٢).

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من منع قيراطا من الزكاة فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا»^(٣).

وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «من حبس حق امرئ مسلم وهو يقدر على أن يعطيه إياه مخافة من أنه إن خرج ذلك الحق من يده أن يفترق، كان الله عزوجل أقدر على أن يفقره منه على أن يغني نفسه بحبس ذلك الحق»^(٤).

ثم إن هذا لا يعني أن العلاج الوحيد في الإسلام لمشكلة الفقر يقتصر على المواعظ والخطب، لأن بعض الناس لا تزيدهم كثرة المواعظ والتذكير إلا بعداً عن منهج الحق فيغتر بمحاسن الدنيا وزبرجها فيزداد طمعاً وحرصاً وجشعاً، وكأن المحتاج الذي يعيش إلى جواره ليس من عالمه فيتغاضى عن الروابط الإنسانية التي يجتمعان في ظلها فيعيش في الدنيا وكأنه مخلد فيها حتى إذا فاجأه الموت ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِي * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾^(٥). بل هناك طرق عملية تقلع الفقر من جذوره بسن الحريات الاقتصادية والقضاء على البطالة وتثبيت قانون بيت المال وغيرها...، كما يقوم الإسلام بحماية أموال الدولة والمجتمع من اللصوص والمستغلين، ثم المراقبة لما تصرفه الدولة في موارده، وسيأتي شيء من ذلك في ما يجب على الدولة من عمل لحل مشكلة الفقر.

ثم إنه اتخذ جانب الوعظ والإرشاد في الاقتصاد الإسلامي اتجاهين: الأول خطاب

(١) وسائل الشريعة: ج ٩ ص ٤٣ ب ١ ح ١١٤٧٩.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٥٠٤ باب منع الزكاة ح ٨.

(٣) وسائل الشريعة: ج ٩ ص ٣٣ ب ٤ ح ١١٤٥٣.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ١٨٤ باب الدين والقرض ح ٣٦٩١.

(٥) سورة (المؤمنون): ٩٩ - ١٠٠.

الأغنياء، والثاني موجه للفقراء.

وعظ الأغنياء

فأما الأول: فالمواعظ والحكم والإرشادات التي وردت فيه^(١) كثيرة جداً، تكاد

لا تعد ولا تحصى، وقد اشتملت على تعريف الأغنياء بعدة أمور، منها:

١- تذكيرهم بيوم الآخرة وأن حسابهم يترتب وفق ما بذلوه من أموالهم، فإن أحسنوا في البذل والإنفاق والعطاء فالله سبحانه وتعالى سيعاملهم بالحسنى وسيحفظ لهم الأجر و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢)، وتارة أخرى يكون حسابهم بالعدل والدقة، فقد لا يعامل باللطف والإحسان من قصر في هذا الجانب في الدنيا.

وقد ورد الوعظ على صورة الوعد والوعيد في هذه الحالة، قال رسول الله ﷺ:

«ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة، يقولون: ربنا ظلمونا حقوقنا التي فرضت عليهم في أموالهم»^(٣).

وعن مبارك غلام شعيب قال: سمعت أبا الحسن موسى ﷺ يقول: «إن الله عزوجل يقول: إني لم أغن الغني لكرامة به علي، ولم أفقر الفقير لهوان به علي، وهو مما ابتليت به الأغنياء بالفقراء، ولولا الفقراء لم يستوجب الأغنياء الجنة»^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «أكرموا ضعفاءكم فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم»^(٥).

وعن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: «إن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما منع غني والله تعالى سائلهم عن ذلك»^(٦).

وعن أبي إبراهيم ﷺ قال: «نهى رسول الله ﷺ عن طعام وليمة يخص بها الأغنياء ويترك الفقراء»^(٧).

وعن إسحاق بن عمار والمفضل بن عمر قالوا: قال أبو عبد الله ﷺ: «مياسير

(١) أي في الإسلام.

(٢) سورة التوبة: ١٢٠، وسورة هود: ١١٥، وسورة يوسف: ٩٠.

(٣) إرشاد القلوب: ج ١ ص ٣٦.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٢٦٥ باب فضل فقراء المسلمين ح ٢٠.

(٥) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ٢٢١.

(٦) وسائل الشيعة: ج ٩ ص ٢٩ ب ٣ ح ١١٤٤٤.

(٧) الكافي: ج ٦ ص ٢٨٢ باب الولائم ح ٤.

شيعتنا أماناً على محابيتهم فاحفظونا فيهم يحفظكم الله»^(١).

وعن أبي المغراء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى أشرك بين الأغنياء والفقراء في الأموال فليس لهم أن يصرفوا إلى غير شركائهم»^(٢).
وفي الدنيا، فلا يعد مؤمناً الغني الذي ينسى الفقراء، وهذا يتمثل في قول رسول الله ﷺ: «ما آمن بي من أمسى شعباناً وأمسى جاره جائعاً»^(٣).

وفي قول أبي ذر رضي الله عنه: (عجبت للفقراء كيف لا يخرجون على الأغنياء بسيوفهم). وهذا لا يعني أن أباذر رضي الله عنه يطلب من الفقراء قتل الأغنياء، بل أولاً: هو في مقام بيان ما يترتب على مشكلة الفقر عادة حيث تولد حالة العداء بين الفقراء والأغنياء، وثانياً: يريد في كلامه تصوير خطر هذه المشكلة على المجتمع، وثالثاً: يريد تذكير الأغنياء بأن في أموالهم حقوق معتصبة وتعريفهم بأن ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾^(٤) وعليهم إعطاؤها، ورابعاً: أنه يتكلم لصالح الطرفين، فبدفع هذه الحقوق بالنسبة للأغنياء تبرئ ذمتهم منها ومن الواجبات المالية التي فرضت عليهم، وبالنسبة للفقراء تحل مشكلتهم اقتصادياً.

٢- ومن بعد آخر في مجال الوعظ والإرشاد هو تعريف الأغنياء بما ورد عن أئمة الهدى عليهم السلام في هذا الشأن وأسبابه وما يتعلق به، ومنه قول أمير المؤمنين عليه السلام: «ما جمع مال إلا من شح أو حرام».

وقال عليه السلام: «إن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما متع به غني»^(٥).

وقال عليه السلام: «ما رأيت نعمة موفورة إلا وإلى جانبها حق مضيع».

وقال عليه السلام: «لعله من باطل جمعه ومن حق منعه»^(٦).

(١) التمهيص: ص ٤٩ ح ٨٢.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٥٤٥ باب الرجل يعطي من زكاة من يظن أنه معسر ثم يجده موسراً ح ٣.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٢٤ ص ٣٢٧ ح ٦٧٥٣٠.

(٤) سورة الذاريات: ١٩.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ٧ ص ٩٨٤٧٤.

(٦) كفاية الأثر: ص ٢٣٩.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من واسى الفقير من ماله وأنصف الناس من نفسه فذلك المؤمن حقاً»^(١).

٣- إن منعهم الحقوق فيه آثار سلبية على أبنائهم في مستقبلهم، لأنهم أطمعهم من مال حرام، ومن هنا يتخذ الابن إذا كبر نهج والده في الحرام لأن جسده تربى على أكل الحرام، وحينئذ يتحمل الأب مسؤوليتين، مسؤولية ما ارتكبه من محرم وثانياً ارتكابه جريمة في تدمير أسرته بإطعامهم من الحرام، وهذا له آثار على أجيال من أسرته وهو بدوره ينعكس سلباً على المجتمع.

٤- تعريفهم أيضاً بأن على الغني أن لا يثق بغناه ولا يطمئن له، لأن الدنيا لا تفي لأحد، مع أن الغنى والثروة هي ملك لله واقعاً وأمانة بيد الإنسان، حيث ملكه الله تعالى وشرط عليه شروطاً منها أداء حق الفقراء، فالله هو المالك الحقيقي، يقول الحديث الشريف: «لا ينبغي للعبد أن يثق بخصلتين العافية والغنى بينا تراه معافى إذ سقم وبيننا تراه غنياً إذ افتقر»^(٢). وقد قال الشاعر في هذا المعنى:

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها على الناس طراً إنها تنقلت
فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت ولا البخل يبقيها إذا هي ولت^(٣)

وكذلك تعريفهم بأن كثرة هذا المال - وهو مادة الشهوات - ليس فيه دلالة على الخير إن لم ينفق حسب ما ورد في القرآن الكريم وسيرة النبي صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى عليهم السلام، وقد سئل الإمام علي عليه السلام عن الخير؟ فقال عليه السلام: «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك وأن يعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادتك ربك...»^(٤).

٥- وكما توزعت المواعظ الموجهة للغني لتشمل الدنيا والآخرة، فكذلك تنوعت في الموضوعات التي تحدثت عنها، فكما بينت طرق جمع المال ومسؤولية الغني عنها،

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٤٧ ح ١٧.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ٢٠ ص ٧١، وبحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٦٨.

(٣) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٣٨، والمناقب: ج ٤ ص ٦٦.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ١٢١ ح ١٣٦٨٤.

كذلك وضحت للغني والبخيل الموارد التي يجب أن يبذل فيها أمواله كي لا يبقى له عذر، وكذلك ذكرت له عظيم الثواب الذي يحصل عليه فهو (شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الآخرة) ومن هذه الروايات:

قوله عليه السلام: «فمن آتاه الله مالا فليصل به القرابة، وليحسن منه الضيافة، وليفك به الأسير، وليعط منه الفقير والغارم، وليصبر نفسه على الحقوق والنوائب، ابتغاء الثواب فإن فوزاً بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الآخرة إن شاء الله»^(١).

وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يا جابر من كثرت نعمة الله عليه كثرت حوائج الناس إليه، فمن قام بما يجب لله فيها عرض نعمة الله لدوامها، ومن ضيع ما يجب لله فيها عرض نعمته لزوالها»^(٢).

وعظ الفقراء

وأما الثاني: فالمواعظ الموجهة للفقير وهي لا تقل كثرة عما ذكرت للغني، وهي كذلك متنوعة في موضوعاتها ومنها الروحية والعملية، ومنها ما يرتبط بالأسباب ومنها بالحلول، ومنها بالآداب، وغيرها.

ومن الأسباب الروحية التي ورد الحث على الابتعاد عنها لأنها تورث الفقر: ترك غسل اليدين عند الأكل، إهانة الكسرة من الخبز، استخفاف الصلاة، تعجيل الخروج من المسجد، اللعن على الأولاد، الكذب، النوم قبل طلوع الشمس، رد السائل، ترك تقدير المعيشة، اليمين الفاجرة، وقطيعة الرحم.

وهناك بعض الأعمال الروحية التي ينبغي الالتزام بها كي يزول الفقر، وهي كثيرة، ومنها: قراءة الأدعية المأثورة، مثل: «اللهم إني أعوذ بك أن أفقر في غناك»^(٣). و«اللهم أني أعوذ بك من الفقر»^(٤)، وما ورد في الصحيفة السجادية من

(١) نهج البلاغة: الخطب ١٤٢.
 (٢) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٣٢٥ ح ٢١٦٦٨.
 (٣) مصباح الكفعمي: ٣٠١.
 (٤) الكافي: ج ٤ ص ٤٦٤.

دعاء الإمام السجاد عليه السلام: «اللهم صل على محمد وآله واحببني عن السرف والازدياد، وقومني بالبذل والاقتصاد، وعلمني حسن التقدير، واقبضني بلطفك عن التبذير، وأجر من أسباب الحلال أرزاقني، ووجه في أبواب البر إنفاقي، وازو عني من المال ما يحدث لي مخيلة أو تأدياً إلى بغي أو ما أتعقب منه طغيانا»^(١).

ومن الأعمال: «حج البيت واعتماره فإنهما ينفيان الفقر»^(٢).

وصلة الأرحام، فعن أبي حمزة قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «صلة الأرحام تزكي الأعمال، وتدفع البلوى، وتنمي الأموال، وتنسى له في عمره، وتوسع في رزقه، وتحبب في أهل بيته، فليتق الله وليصل رحمه»^(٣).

وحسن الجوار: «حسن الجوار يزيد في الرزق»^(٤).

والتزويج: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فشكا إليه الحاجة فقال تزوج، فتزوج فوسع عليه»^(٥).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «الرزق مع النساء والعيال»^(٦).

وأما ما يتعلق بالجانب العملي فمنها: حثه على الصبر والتعفف، فالعفاف زينة الفقر، وأن لا يقنط ويحزن إن افتقر، وأن لا يذل نفسه في تعامله مع الآخرين، فعن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يخرج الرجل مع قوم مياسير وهو أقلهم شيئاً فيخرج القوم النفقة ولا يقدر هو أن يخرج مثل ما أخرجوا، فقال عليه السلام: «ما أحب أن يذل نفسه، ليخرج مع من هو مثله»^(٧).

ومنها: الحث على العمل والنهي عن البطالة، قال الإمام الصادق عليه السلام: «الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله»^(٨).

(١) الصحيفة السجادية: ومن دعاء له عليه السلام في المعونة على قضاء الدين، الدعاء رقم ٣٠.

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٢٥٥، تهذيب الأحكام: ج ٥ ص ٢٢.

(٣) وسائل الشريعة: ج ٢١ ص ٥٣٥ ب ١٧ ح ٢٧٧٩٤.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٦٦٦ باب حق الجوار ح ٣.

(٥) الكافي: ج ٥ ص ٣٣٠ باب أن التزويج يزيد في الرزق ح ٢.

(٦) الكافي: ج ٥ ص ٨٨ باب من كد على عياله ح ١.

(٧) الكافي: ج ٤ ص ٢٨٧ باب الوصية ح ٨.

(٨) الكافي: ج ٥ ص ٨٨ باب من كد على عياله ح ١.

وقال رسول الله ﷺ: «إن النفس إذا أحرزت قوتها استقرت»^(١).
ومنها: أن يكون الإنسان على معرفة تامة بأن الغنى والفقر لا يبقيان، فإن الدنيا
وما فيها في طريق الزوال والفناء، وقد مر نص الحديث: «وبينا تراه غنياً إذ افتقر».
وهناك الكثير من المواعظ الأخلاقية والوصايا النافعة التي تخص الفقر والفقير،
وتوجب القضاء على الفقر بأسباب مادية أو معنوية، وأغلبها مذكورة في الكتب
الأخلاقية وكتب الحديث.

عناصر لها مدخلية في الفقر

وقد تبين - بعدما ذكرنا شيئاً عن نظرة الإسلام لبعض الجوانب التي يمر بها الإنسان
في مشكلة الفقر، وبعض ما تراه الأنظمة، وبعض الحلول والتشريعات التي وضعها
الإسلام لحل هذه المشكلة - أن العنصر الثاني الذي يحيط بالإنسان وهو المذهب والرؤية
قد يكون سبباً من أسباب الفقر كما في النظرية الماركسية، أما الدين الإسلامي فلم يكن
السبب في إيجاد هذه المشكلة بل هو يكفل بالحل الصحيح للقضاء على ظاهرة الفقر.
وتبقى العناصر الثلاثة وهي الدولة والمجتمع ونفس الإنسان وهي من أسباب إيجاد
هذه المشكلة.

فأما الإنسان فيمكن أن يكون هو السبب في فقره وليس من سوء التوزيع أو تقصير
من الدولة أو المذهب وليس من أفراد المجتمع الأغنياء، كما لو كان غنياً وافتقر بعدم
حكيمته في الأمور الاقتصادية، فالإنسان في هذه الحالة هو السبب في فقره، وقد مرت
شواهد عن الأسباب الروحية والعملية التي توجد الفقر...

وأما المجتمع فقد يكون السبب في إيجاد هذه المشكلة لأن التكافل الاجتماعي فيه
معدوم، وقد فصلنا الحديث عن موضوع التكافل في هذا الفصل، وأما السلبات
الناجمة عن هذا التقصير فتعود سلباً عليه لأنه حينما يوجد تنازع وتضارب بين الفروق
الاقتصادية، تنعدم مصادر الخير من المجتمع وتسيطر عليه نوازع الشر والرذيلة، وذلك
لأن الجائع حينما يفقد الخبز لا يمكن - عادة - أن يكون مستقيماً في سلوكه، لأن أغلب

(١) الكافي: ج ٥ ص ٨٩ باب إحراز القوت ح ٢.

حالات الحرمان والجوع تدفع إلى الإجرام والفساد، فينقلب العديد من ضحايا هذه المشكلة إلى قتلة ومجرمين لأنهم لم يجدوا طعاماً عبر الطرق المشروعة.

وقد لا ينفع الوعظ والإرشاد والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، مع بعض من يعاني من هذه المشكلة، فقد ينقلب بسبب الحرمان الذي يعانيه كافراً بكل المثل والقيم والمفاهيم الإنسانية، فكبد حرى وبطن غرثى ولا عهد بالشبع عناصر مجتمعة أو متفرقة تجعل من ضعيف الإيمان عدواً للمجتمع فينتقم منه عبر الاستغلال والسرقة وارتكاب أنواع الجرائم وهو في ذلك يعبر عن انتقامه لمجتمع لم يعترف له بإنسانيته ولم يهتم لوجوده ولم يمنحه الحق في حياة حرة كريمة.

ويحمل الإسلام المجتمع مسؤولية هذا العمل بالإضافة إلى صاحب الجرم نفسه، فالقرآن الكريم اعتبر عدم اهتمام المجتمع بأحد أفراده الجائعين أو الضائعين أو اليتامى هو تكذيب للدين فالله تعالى يقول: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾^(١).

ويقول تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقْبَةُ * فَكَّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾^(٢).

وليس أدل على مسؤولية المجتمع في إيجاد هذه المشكلة من الحديث المشهور: «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم»^(٣). فالمجتمع الذي يكون فيه هذا الواقع ليس من الإسلام في شيء.

ولو طبق المسلمون في عالم اليوم نظام الضريبة المالية في الإسلام تطبيقاً صحيحاً لقضي على مشاكل الفقر بأجمعها، ولكانوا مجتمعاً صالحاً مقوماته التكافل الاجتماعي والعدالة والمساواة والكفاية والحب والتعاون والأخوة والسلام.

وأما الدولة فاعتبرها الإسلام الظل الذي يحمي أفراد المجتمع وهي المسؤولة عن

(١) سورة الماعون: ١-٣.

(٢) سورة البلد: ١٢-١٧.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ١٦٤ ح ٥.

مشاكل المجتمع ومتطلباته.

ولن تقوم الدولة بواجبها الصحيح إلا إذا كانت على منهج حكومة رسول الله ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وهناك منهج كامل وسيرة تامة للإمام علي عليه السلام في كيفية تعامله مع مشكلة الفقر باعتباره قد تسلم في فترة قصيرة زمام الحكومة الإسلامية واستطاع أن يترك أثراً ناجحاً عن منهجه الإصلاحية في تلك الفترة التي زخرت بالمشاكل والاضطرابات والفتن التي أوجدتها الفئات الثلاثة: الناكثة في الجمل، والقاسطة في صفين، والمارقة في النهروان. وقد تقدمت الإشارة في ذكر شيء عن منهجه الإصلاحية.

فالدولة الإسلامية يديرها الرسول الأعظم ﷺ ومن ثم الإمام المعصوم عليّ عليه السلام وفي غيبة الإمام المهدي عليه السلام كما في عصرنا هذا، فيلزم أن تكون تحت رعاية شورى الفقهاء المراجع لأنهم نواب الإمام عليه السلام.

وهناك أمور كثيرة يجب على الدولة الاهتمام بها كي تزول مشكلة الفقر ومنها:

١: حث الإنسان على إعمار الأرض باعتبارها السكن له في هذه الحياة لينعم بخيراتها بعد تهيئة كل الوسائل والأسباب له، وتذكير الإنسان بأهمية العمل في الإسلام فاعتبر العمل والسعي على الرزق وخدمة المجتمع من أسمى مراتب العبادة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا﴾^(٣).

وقال الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: «إن الله تعالى ليغض العبد

النوام، إن الله تعالى ليغض العبد الفارغ»^(٤).

(١) سورة الملك: ١٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٩.

(٣) سورة التوبة: ١٠٥.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ١٦٩ ح ٣٦٣٥.

٢: الاهتمام بصندوق الضمان الاجتماعي (بيت المال) واستثمار موارده بصورة صحيحة وحث أفراد المجتمع وأغنيائه على التكافل فيما بينهم، وقد فصلنا الحديث عن هذا في الموضوع السابق.

٣: وهناك بعض العناوين التي تقع على عاتق الدولة والتي تكفل الاستقرار الاقتصادي ولها دور كبير في زوال مشكلة الفقر، ومنها إنتاج الحاجات الرئيسية التي يحتاجها أفراد المجتمع وتوفير متطلبات المجتمع من المواد الاستهلاكية والسعي لنيل الاكتفاء الذاتي في هذا الجانب، وتشجيع الأغنياء على مشاركة الآخرين في تشغيل أموالهم بشكل مضاربة أو سائر المعاملات الإسلامية، وعلى عدم اكتنازها، ومراقبة الأسواق لمنع ظاهرة الغش والاحتكار والتلاعب بالأسعار.

وقد كانت سيرة الإمام علي عليه السلام مع ولاته أن يذكرهم بالحفاظ على أموال هذه الأمة وصونها وحذرهم من الخيانة فكتب لهم: «إن أعظم الخيانة خيانة الأمة»^(١) وكان يصفهم ب: «خزان الرعية، ووكلاء الأمة، وسفراء الأئمة»^(٢).

وقبل أن يكتب لهم طبق كل ذلك بنفسه، فلما جاءه عقيل عليه السلام يطلب زيادة على حقه رده الإمام عليه السلام قائلاً: «إن هذا المال ليس لي وإنما هو مال الأمة»، وجاءه آخر يطلب منه مالاً، فردّه قائلاً: «إن هذا المال ليس لي ولا لك وإنما هو فيء للمسلمين»^(٣).

ثم إن الإمام عليه السلام لم يكتف بما كان يكتب لولاته ويرشدهم وينبههم، بل وضع عليهم العيون، فإن وضع العيون على المسلمين لا يجوز إلا على الولاة ومن أشبه رعاية لحقوق الناس. فإنه عليه السلام أول من وضع العيون والرقباء على ولاته، حرصاً على أموال الدولة وأمنها.

وكان للإمام عليه السلام جملة من الأوليات التي نفذها في الكوفة، وقد وردت الإشارة

(١) مستدرك الوسائل: ج ٧ ص ٧٢.

(٢) نهج البلاغة: الرسائل ٥١.

(٣) هذا قول أمير المؤمنين عليه السلام مع عبد الله بن زمعة وذلك انه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالا ، نهج البلاغة: الخطب ٢٣٢.

إلى بعضها في كتابه القيم إلى مالك الأشتر رضي الله عنه حينما ولاه مصر^(١).
وفي (وسائل الشيعة): مر شيخ مكفوف كبير يسأل، فقال أمير المؤمنين عليه السلام:
«ما هذا؟!». قالوا: يا أمير المؤمنين، نصراني.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه، أنفقوا عليه
من بيت المال»^(٢).

وهذا يدل على أن الإمام عليه السلام قضى على ظاهرة الفقر، ولم يكن في حكومته
الواسعة حتى فقير واحد، ولذا سأل متعجبا (ما هذا) ولم يقل (من هذا)؟ ثم أمر
عليه السلام للنصراني براتب من بيت مال المسلمين حتى لا يبقى فقير وإن كان غير مسلم في
حكومته المباركة!.

مسائل في السلم والسلام الاقتصادي

هناك مسائل عديدة وواجبات ومستحبات وشواهد وأمور أخرى حول السلم
والسلام بالمعنى الأعم في الاقتصاد الإسلامي، نشير إلى بعضها:

مسألة: يلزم مراعاة قانون السلم في البرنامج الاقتصادي للدولة.

مسألة: يلزم على الحكومة الإسلامية مراعاة قانون السلم الاقتصادي مع سائر
الدول الإسلامية فتكون التجارة حرة فيما بينها من دون جمارك.

مسألة: يلزم على الدولة الإسلامية مراعاة قانون السلم الاقتصادي مع سائر
الدول الأجنبية.

مسألة: يلزم نشر وبيان الأسلوب السلمي الاقتصادي في حكومة الرسول صلوات الله عليه وآله
والإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

مسألة: لا يجوز مصادرة أموال أحد فإنه من مصاديق العنف.

مسألة: لا يجوز وضع القوانين التي تمنع أو تحد من حريات الناس كقانون

(١) انظر نهج البلاغة، الرسائل: ٥٣ ومن كتاب له عليه السلام للأشتر النخعي لما ولاه على مصر
وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر، وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٦٦ ب ١٩ ح ١٩٩٦.

الضرائب على الأعمال وعلى البناء وعلى السفر وعلى حيازة المباحات وما أشبه فإنه من العنف المحرم شرعاً.

مسألة: يلزم فضح الظالمين الذين لا يلتزمون بقانون السلم والسلام الاقتصادي الإسلامي وينسبون عملهم إلى الإسلام سواء كانوا على شكل دول أو جماعات، ولكن الفضح يلزم أن يكون بطريق سلمي، فإنه من النهي عن المنكر بشرائطه.

مسألة: ينبغي مراعاة قانون السلم في المعاملات.

مسألة: يلزم مراعاة قانون السلم في النكاح والطلاق، قال تعالى: ﴿فَأَمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ﴾^(١).

مسألة: ينبغي مراعاة السلم في باب القرض.

مسألة: يحرم أكل أموال الناس بالباطل، فإنه من مصاديق العنف.

مسألة: لو تعارض قانون السلم الاقتصادي مع قانون (الأهم والمهم)، فاللازم في المسائل العامة العمل بنظر شورى الفقهاء والمراجع.

مسألة: لو تعارض قانون السلم مع قانون (لا ضرر) كما في قصة سمرة بن جندب تُقدّم قانون لا ضرر^(٢).

مسألة: لا تجوز الجمارك في الإسلام فإنها نوع من العنف الاقتصادي، بل اللازم تحكيم ميزان (لا ضرر) كما ذكرناه في (الفقه).

مسألة: الإنسان حر في التكسب وأخذ الأجرة والجعل على كل ما هو جائز بالمعنى الأعم، على تفصيل مذكور في الفقه.

مسألة: الإنسان حر في البيع، سواء كان يبيعاً للعين أو الحق أو المنفعة، كما أنه حر في شراء أي من ذلك.

مسألة: الإنسان حر في المصالحة والمضاربة والمزارعة والمغارسة والمشاركة مع مراعاة الموازين الشرعية.

(١) سورة البقرة: ٢٢٩.

(٢) راجع الكافي: ج ٥ ص ٢٩٢ ح ٢.

- مسألة: الإنسان حر في الاستقراض والإقراض بشرط عدم الربا.
- مسألة: الإنسان حر في الرهن والضمان والحوالة والكفالة والإيداع والاستعارة والإجارة والوكالة على ما هو مذكور في الفقه.
- مسألة: الإنسان حر في جعل شيء وقفا، أو صدقة، أو سكنى، أو عمري، أو رقبى، أو حبس، على ما هو مذكور في الفقه.
- مسألة: الإنسان حر في الهبة والسبق والرماية، على ما هو مذكور في الفقه.
- مسألة: الإنسان حر في الإقرار والجعالة والأخذ بالشفعة وإحياء الموات والصيد والذباحة على ما هو مذكور في الفقه، إلى آخر ما ذكرناه في كتاب (الحريات).

الفصل الرابع

السلم والسلام في باب الجهاد

- هل يمكن تحقق السلم بدون ثمن
- تأثير القوة في تحقيق السلم واستقراره
- السلم طريق السلام
- إعداد القوة وتهيئتها
- أسلوب استخدام التهديد لتحقيق السلم
- رؤى الشريعة الإسلامية في السلم والدعوة إلى الحكمة والموعظة
- دلالة الآيات التي شرعت الحرب وأذنت بالقتال المشروع
- ضرورة الإيمان بالسلم في مراحل الاستعداد للمواجهات الحربية
- أسس السلم في ميادين الحرب
- أسباب النزاعات والمعارك بين المذاهب الإسلامية

□ مسائل في السلم والسلام الجهادي

هل يمكن تحقق السلام بدون ثمن

ذكرنا في الموضوع السابق شيئاً عن الإرهاب الاستعماري وأن هناك عدة طرق في مواجهته من أجل إحلال السلام والأمن، وذكرنا مثالين على ذلك وهما الثورة الجزائرية وحزب المؤتمر الهندي وكان أسلوب الأخير في مواجهة الإرهاب الاستعماري هو الطرق السلمية وقد نجح تماماً، وهذا السبيل في زماننا هذا هو الأفضل وربما المتعين لمواجهة المستعمرين، فعلى المسلمين وحركاتهم اتخاذ سياسة اللين والسلم بعيداً عن القوة والعنف مطلقاً، وبرفع راية السلام أمامهم بعيداً عن الاستعداد للحرب مطلقاً.

وهنا يأتي سؤال: هل يمكن أن يتحقق السلام بدون ثمن؟ ثم كيف يمكن للسلام وسبيل اللاعنف أن يفرض نفسه على من لا يؤمن بالسلام، ويستعمل كل القوى التي توجب السيطرة والدمار؟

والجواب: إن لكل شيء ثمناً ومنه السلم والسلام، وعلينا أن نتعلم من رسول الله ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام في كيفية تطبيق السلم والسلام، فإنه كان الأصل عندهم وفي جميع مجالات الحياة، نعم لو هجم عليهم الأعداء وشهروا السيف بوجودهم فعندئذ يشرع القتال مع مراعاة الآداب الإسلامية التي جعلت من حروب النبي ﷺ - وكلها كانت دفاعية - مدرسة أخلاق للبشرية. وهكذا كانت سيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام في حروبه.

فإن الشهوات والأطماع تتجاوز لدى البعض منطق العقل والحقوق المشروعة، ولا يقف أمامها شيء إلا ما كان رادعاً، وهذا لا ينافي أن الأصل هو اللاعنف، لكن إذا لم يستطع استرداد الحقوق المشروعة والحفاظ عليها، تتحول الحالة إلى تهئية مقدمات الجهاد لإحلال السلام والأمن، بعد استشارة الأخصائيين والأخذ برأي شورى الفقهاء المراجع، وهذا هو ما شرعه الإسلام من الدفاع عن النفس والعرض والمال والوطن عند الاعتداء على أحدها.

ولكن اليوم نرى اختلاف آراء البعض حول الطرق المؤدية للسلام، فهناك من لايسير بسيرة رسول الله ﷺ وسنته الشريفة وهدى عترته الطاهرة عليهم السلام فنرى

يسفك الدماء ويقتل الأبرياء ويبيد الشعوب وهو يرفع شعارات السلم والسلام وربما يعقد المؤتمرات لأجله وهو بذلك يخدع العالم والشعوب، ثم إنه يعتقد أن السلم والسلام يكون وراء امتلاك الأسلحة وخاصة المدمرة والفتاكة كالقنابل الذرية والهيدروجينية والجرثومية وغيرها ويعتبر السلاح المتطور كماً وكيفاً هو الضمان لتطبيق السلام، وهذا كله يخالف الإنسانية والمبادئ القيمة في الإسلام، ومن هنا ندعو عقلاء العالم لتطبيق قانون يقتضي بنزع مختلف هذه الأسلحة عن جميع الدول وحتى الأسلحة الخفيفة.

وهذا السبيل - أي تطبيق السلام بالعنف - لا يمكن أن يحقق السلام كما هو واضح، وقد شاهدنا الحضارة الغربية والشرقية التي تدعي السلام منذ أن أمسكت بزمام الأمور أحدثت في العالم حروباً لا مثيل لها في التاريخ، ولو حدث انفجار بين المعسكرين المتصارعين شرقاً وغرباً لأدّى إلى فئائهما وفناء العالم كله، وقد قرأت في تقرير أن الاتحاد السوفيتي السابق كان يملك ثلاثين ألف قنبلة نووية وإنها كانت تستطيع إفناء العالم سبع مرات، وأنه لو وقعت حرب ذرية بين القوتين لهلك في الساعات الأولى من الجانبين أربعمئة مليون من البشر. وحسبنا شاهداً على ذلك الحرب العالمية الأولى والثانية في القرن الماضي ونتائجهما السيئة على البشرية إلى هذا اليوم^(١)، والحضارة الغربية وإن أمدت البشرية بشيء من الرفاه والتقدم الصناعي وما أشبه ذلك، إلا أنه من الصحيح أيضاً أنها دمرت البشرية بالحروب الكبيرة والثورات الفوضوية والفقر وأمثال ذلك.

بينما الوصول إلى السلام في النظرية الإسلامية وتحقيقه يأتي في سلوك السلام نفسه، أي أن الدخول في السلام عن طريقه لا عن الطريق المعاكس. وذلك لأن قوانين

(١) لقد قُتل في حروب القرن العشرين طبقاً لتقرير بريجنسكي (٣٣) مليون شاب، تتراوح أعمارهم (١٨ - ٣٠) عاماً، وهؤلاء قضوا نحبتهم باسم القومية والأيدلوجية، واستهلكت الحربان العالميتان الأولى والثانية من العسكريين حوالي (٨,٥) و(١٩) مليوناً على الترتيب، ويقدر عدد المدنيين من ضحايا الأعمال العدائية الذين سقطوا أثناء الحرب العالمية الأولى بـ (١٣) مليوناً من النساء والأطفال وكبار السن، بينما سقط (٢٠) مليوناً منهم أثناء الحرب العالمية الثانية.

السماء تجعل السلام ينبع من ضمير الإنسان وذاته فحينما يقرأ الإنسان هذه الآية: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(١)، فيتكون لديه اعتقاد بأن القتل وسفك الدماء من الأعمال الإجرامية البشعة، وأن للدم منزلة عظيمة عند الله تعالى، فحينئذ يتقيد في داخل مشاعره وأحاسيسه بسلوك السلام لأهميته، فهو ينبع من ضمير الإنسان ولا يفرض عليه عبر الشعارات الفارغة أو المؤتمرات الخادعة، والآيات التي تتحدث عن هذا المعنى كثيرة جداً، والروايات أكثر. ومن الأحاديث قول رسول الله ﷺ: «لزوال الدنيا جميعاً أهون على الله من دم يسفك بغير حق»^(٢).

ومن الأحاديث النبوية التي تدل على أهمية السلام قول النبي ﷺ: «ما عجت الأرض إلى ربها كعجتها من دم حرام يسفك عليها»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «زوال الدنيا أهون على الله من إراقة دم مسلم»^(٤). وقال أمير المؤمنين ع: «إياك والدماء وسفكها بغير حلها فإنه ليس شيء أدمى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها، والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله، ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمدة، لأن فيه قود البدن، وإن ابتليت بخطأ وأفراط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبة فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم»^(٥).

ومن هنا يتجلى الفرق واضحاً بين النظرية الغربية لإحلال السلام وبين موقف

(١) سورة المائدة: ٣٢.

(٢) راجع مستدرک الوسائل: ج ١٨ ص ٢٠٩ ح ٢٢٥٢٠، وفيه: عن النبي ﷺ قال: «لزوال الدنيا أيسر على الله من قتل المؤمن». وفي الغدير للأميني: ج ١١ ص ٥٩، من قتل مؤمن بغير حق.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٨ ص ٢٠٧ ح ٢٢٥٠٩.

(٤) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ١ ص ٨٥.

(٥) نهج البلاغة: الرسائل ٥٣.

الدين الإسلامي فإن القاعدة في الإسلام هي السلام، والحرب استثناء وتكون في أقصى حالات الضرورة والاضطرار، كماً وكيفاً.

تأثير القوة في إحلال السلام واستقراره

يختلف تفسير الاتجاه الإسلامي لامتلاك القوة عما يراه الغرب وغيره ممن يدور في فلكه. فالإسلام كما أنه يؤكد على ضرورة السلم والسلام يرى ضرورة أن يكون المسلم قوياً غير ضعيف حتى لا يطمع فيه الأعداء، فتحقيق السلام لا بد له من وجود قوة كافية للحفاظ عليه، لأنه لو لم يكن الحق مدعماً بالقوة، لما انتصر على القوى التي تدعم الباطل، فإن الحق وإن كان يتمكن من أن يفتح الطريق أمام نفسه، إلا أن هناك من لا يرضى بالحق ويتجاوز على حقوق الآخرين .

ولذا فإن الله سبحانه وتعالى أمر المسلمين بأن يكونوا مستعدين حتى لا يؤخذوا على حين غرة، حيث قال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(١).

علماً بأن القوة ليست في الجانب العسكري فحسب، بل في جميع الجوانب الاقتصادية والإعلامية والاجتماعية والدبلوماسية وغيرها، وربما كانت القوة العسكرية سبباً لهجمة الأعداء على الدولة، فيلزم التوازن في امتلاك القوى، فإنه شرع لردع العدوان أما إذا كان سبباً للعدوان فيكون ناقضاً للغرض.

ومع الأسف نرى بعض الدول تسعى بجد لصنع مختلف أنواع السلاح وشراء الطائرات والدبابات والغواصات والصواريخ وما أشبه، وهي في نفس الوقت لا تمتلك القوة الإعلامية والقوة الدبلوماسية الكافية، ولا تتصف بالحكمة والحنكة السياسية، فإن شراءها للأسلحة وسعيها لصنعها يعجل في القضاء عليها.

ولذلك قالوا: إن الطريق إلى السلم والسلام القائم على الحق والعدل والإنسانية هو امتلاك القوة في مقابل الضعف، لا القوة بمعنى العنف، فيلزم أن يكون الإنسان - منفرداً كان أو جماعة - قوياً بحيث يتراجع أعداؤه عن مقابله للخوف من مكانته.

(١) سورة الأنفال: ٦٠.

ثم إن هناك فرقاً واضحاً بين السلام والاستسلام. فربما أصبحت أمة مستسلمة وهذا دليل على ضعفها، كما رأينا ذلك في قصة فلسطين واليهود. وقد تتلاعب بمنطق السلام القوي الاستعمارية وذلك وفق معايير مصالحها، ولكي لا يكون هناك تشويه أو تلاعب ينبغي أن يكون التفوق في جانب الحق، أو ينبغي أن يكون هناك توازن بين القوى على أقل تقدير. وقد ذكرنا أن المقصود من القوة هو الأعم من العسكرية وغيرها كل في موردها، وفي إطار الردع لا الهجوم غير المشروع.

ومن هنا يتجلى الفرق بين النظرية الغربية في تفسير امتلاك القوة والنظرية الإسلامية، فالأثنان يتفقان على وجوب امتلاك القوة ولكن يختلفان في استخدام هذه القوة واستعمالها وكيفية وحدودها، فالغرب يرى استعمال القوة من أجل حفظ مصالحه واستغلال الآخرين من خلال الدخول في حروب توسعية، أو استعمارية، أو استثمارية، أو تنازعية، أو غيرها.

ويرى وجوب استعمال هذه القوة من أجل نشر أفكاره ومبادئه، كما رأيناه في الاتحاد السوفيتي السابق حيث كان يرى السلام في الشيوعية، وهكذا الدول الاشتراكية فإنها ترى السلام في الاشتراكية، والدول الرأسمالية ترى السلام في الرأسمالية، وكلها استخدمت العنف لتطبيق نظريتها.

وأما استعمال القوة في الإسلام فلم يكن في حروب توسعية أو استعمارية أو غيرها، إنما كان في مجالات محددة كالردع عن البلدان الإسلامية، أو الوقوف ضد من يريد فرض سيطرته بالقوة، مضافاً إلى أن الإسلام يدعو إلى عدم الضعف وامتلاك القوة لا في المنطق العسكري فحسب، بل في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإعلامية وغيرها، كما سبق.

ولابدّ للأمة أن تكون لديها القوة الكافية حتى لا يتمكن العدو من فرض ما يراه عليها، ويستولي على حقوقها وثرواتها، فيتقوى بكثير من إمكاناتها المادية والمعنوية ويقف ضدها في صف طويل مع القوى الأخرى التي تدعمه وتعززه بمختلف الإمكانيات والمميزات.

السلم طريق السلام

وطريق السلام لا يتحقق إلا بالسلام وبوجود قوة كافية للحفاظ عليه: أما العنف والعنف المضاد فهي حلقات متسلسلة لا تنتهي، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من عامل بالعنف ندم»^(١).

ثم هناك دول أو فئات وجماعات تكون من ذوي المراوغة واللؤم والدجل والخداع، فمن السذاجة حينئذ الوقوع في شرك ما يسمونه بالسلام، فإن الكثير يتخذون من السلام وسيلة لمقاصدهم وأغراضهم، فإنهم يريدون هدفاً آخر غير واقع السلام. ومن هنا تعرف أهمية امتلاك القوة في إحقاق الحق وإحلال السلام وثباته واستقراره، وتندحر أمامه القوة التي يدعمها الباطل والظلام والانحراف، لأن قوة الباطل صغيرة وقوة الحق كبيرة، قال سبحانه: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾^(٢)، والمراد هو أن منطق الحق دائماً فوق منطق الباطل.

إعداد القوة وتهيئتها

في الحديث: «الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه»^(٣) وهو يدلّ على وجوب أن يكون المسلمون أعلى من غيرهم في جميع الميادين فإن حذف المتعلق يفيد العموم. ومن أبرز تلك الميادين قوة العلم والمعرفة وقوة الإعلام وقوة المنطق وغيرها، ومنها أيضاً القوة العسكرية.

والأسباب التي تدعو المسلمين لأن يكونوا أعلى من غيرهم في المجالات المختلفة كثيرة، ومن أهمها رفع المظالم ودحض العدوان، في سبيل القضاء على الفتن حتى لا تكون بلاد الإسلام مسرحاً لها، قال سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾^(٤) فالقتال هنا دفاعي وواجب بشرائطه لأن: ﴿الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٥٨ ح ١٠٤٧٣.

(٢) سورة الأنبياء: ١٨.

(٣) غوالي اللآلي: ص ٢٢٦ ح ١١٨ الفصل التاسع.

(٤) سورة البقرة: ١٩٣.

الْقَتْلِ»^(١) كما يقول الله عزوجل. وهذا يتطلب تهيئة القوة بالمقدار الذي له فاعلية في إحلال السلام لأن عالم اليوم جعل للقوة موضوعية غير قابلة للريبة واللبس والنقاش. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾^(٢).

فإذا استفرغ المنطق جهده من غير الحصول على قناعة العدو بالتراجع عن عدوانه، يصبح استخدام القوة شرعياً لرد ومحق العدوان، وقد ذكرنا في أكثر من كتاب أن مثل الحرب بحاجة إلى تأييد من شورى الفقهاء المراجع، وإلا لم يكن مشروعاً.

أسلوب استخدام التهديد لتحقيق السلام

وهناك درجات في استعمال القوة من أجل إحلال السلام، فتارة تكون بالتهديد بها من دون استعمالها كما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(٣).

والقرآن اصطلاح على هذه العدة ولوازمها بـ «ترهبون»^(٤)، وهو معنى الترهيب الذي يختلف تماماً عن معنى (الإرهاب) المصطلح في هذا اليوم، فإن الإرهاب صار ينطبق على جرائم التعذيب والقتل والإبادة وغيرها، وهذا كله حرام شرعاً.

وأما القتال فهو يختلف عن الإرهاب، والقتال أيضاً محرم إلا دفاعاً وبشروط كثيرة مذكورة في باب الجهاد، قال سبحانه وتعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلُمُوا وَإِن لَّا ظَلَمُوا لَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ﴾^(٥).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾^(٥).

وفي آية أخرى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا

(١) سورة البقرة: ١٩١.

(٢) سورة الحديد: ٢٥.

(٣) سورة الأنفال: ٦٠.

(٤) سورة الحج: ٣٩-٤٠.

(٥) سورة البقرة: ١٩٤.

يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ»^(١) إلى غيرها من الآيات الكثيرة والتي نحن لسنا بصدد سردها الآن.

وبالنسبة إلى مجرد التهديد، فله صور مختلفة ومنها الشدة كما في قوله تعالى: ﴿مَحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَثِدَاءٌ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾^(٢).

وهذا نوع تهديد، وإلا فقد كان رسول الله ﷺ في سيرته العطرة بعيداً عن العنف بتمام مصاديقه حتى مع الكفار.

قال بعض المفسرين: إن شدة المسلمين على الكفار كان بتحريضهم عن ثياب المشركين وعن أبدانهم حتى لا تمس أبدانهم، وذلك رعاية لمسألة الطهارة والنجاسة. ثم إن الكافر على أقسام كما ذكرنا تفصيله في كتاب الجهاد^(٣)، فإنه قد يكون محارباً وقد لا يكون كذلك، فغير المحارب يترك وشأنه ويُعامل حسب الموازين المذكورة في الفقه الإسلامي، أما المحارب فإنما يحارب في ميدان الحرب فقط بعد توفر الشروط المذكورة في كتاب الجهاد.

ومن هنا يعلم أن استعمال القوة ميدانياً لا يكون إلا إذا اقتضى الأمر بقدره ومن باب الاضطرار، والضرورات تقدر بقدرها، فالحرب تكون عند الضرورة القصوى فقط، وذلك مثل العملية الجراحية التي يضطر إليها الإنسان. ولا تكون إلا عند الضرورة الملحة، فإن مثله حينئذٍ كمثّل غدة سرطانية تحتاج إلى القطع والاستئصال دفاعاً عن النفس، فإن الطبيب الحاذق يقتنع بالقدر الضروري من القطع أو الاستئصال في أقصى حالات الضرورة.

وهذه القوة تعتبر من لوازم الجهاد ومقوماته في الشريعة الإسلامية لأن الإسلام أولى الجهاد المشروع عناية مهمة لأن صلاح الدين والدنيا لا يكتمل إلا به وقد قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله عزَّوجلَّ فرض الجهاد وعظمه وجعله نصره وناصره والله ما صلحت دنيا ولا دين إلا به»^(٤) وهو عنوان لعز الإسلام ورفعته

(١) سورة البقرة: ١٩٠.

(٢) سورة الفتح: ٢٩.

(٣) راجع موسوعة الفقه: ج ٤٧ و ٤٨ كتاب الجهاد.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ١٥ ح ١٩٩١٥.

وعظمته، كما قالت الصديقة فاطمة عليها السلام في خطبتها: «والجهاد عزاً للإسلام»^(١). وعن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «الجهاد أفضل الأشياء بعد الفرائض»^(٢). والجهاد مأخوذ من الجهد وهو الطاقة والمشقة، يقال: جاهد يجاهد جهاداً ومجاهدة، إذا استفرغ وسعه، وبذل طاقته، وتحمل المشاق في مقاتلة العدو ومدافعته، وهو ما يعبر عنه بالحرب في العرف.

والحرب هي القتال المسلح بين فئتين أو أكثر، والحروب والثورات والمصادمات مستمرة من قديم الزمان، وقد دوّن التاريخ كثيراً منها، ولا تكاد تخلو منه أمة ولا جيل، لأنها تنشأ من اختلاف مصالح المجتمع البشري وذلك لوجود مسألة الصراع بين الخير والشر، فالخير في موقف الدفاع من أجل هداية من يمكن هدايته وإنقاذ المظلوم، وموقف الشر هو سعيه لتدمير خط الخير وإبادته، وكذلك تنتج من تعارض المصالح بين بني البشر، وقد قيل: إن الحرب لم تقتصر على الإنسان بل وجدت عند الحيوانات أيضاً. وهناك فرق كبير بين الحرب في القوانين الوضعية وبين قوانين السماء، فالأولى غالباً ما تكون تدميراً للبشرية وإفساداً للطبيعة لأنها لأجل المصالح الأتانية، وبجانب كونها اعتداء على الحياة فهي تدمير لما تصلح به الحياة، وهي حرب لأجل دار الدنيا الفانية فتكون حرباً خاسرة.

أما في الثانية، فيعبر عنها بالجهاد، وهو لا يكون إلا في سبيل الله تعالى ولأجل إعلاء كلمته وللدفاع عن دينه، ولذا منع الإسلام حرب التوسع، وبسط النفوذ، وسيادة القوى، فقال عز من قائل: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣)، وهي إذا كانت كذلك فستكون من نتائجها حسن العاقبة.

وهناك فرق بينهما فالأولى تكون لأجل الإبادة أو لارتكاب الجرائم المروعة أو غيرها من هذه المسائل، أما في الثانية فلم يحدث فيها من ذلك شيء، وذلك ما صرح

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٥٦٧ ح ٤٩٤٠.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٣ ح ٥.

(٣) سورة القصص: ٨٣.

به علماء الغرب الذين يتحرّون الحقيقة ويقولونها، ولذا لم ير العالم قبل الإسلام ولا في هذا اليوم ولا في مختلف الحضارات حرباً مثل الحروب الإسلامية في النزاهة وقلة القتلى واحترام حقوق الإنسان.

رؤى الإسلام في السلم والدعوة إلى الحكمة والموعظة

لقد سبق الإسلام القانون الدولي في تشريعه للظروف والأحوال التي تشرع فيها الحرب، ووضع القواعد، والمبادئ، والنظم لها، التي تخفف من ضرورها وويلاتها، ولكن لا يعرف عن الغرب أنه التزم بشيء من ذلك عند التطبيق، وذلك بسبب مصالح قوى الاستعمار العالمي والصهيونية العالمية لإذلال الشعوب المستضعفة واستعمار أرضها وخيراتها، وكما نرى اليوم من ازدواجية القيم والمعايير الدولية.

بينما لم يذكر في التاريخ الإسلامي لا سيما في عصر النبوة وما بعده في عهد أمير المؤمنين علي عليه السلام انتهاكات لهذه القواعد والنظم التي وضعها الإسلام وإن حدث شيء من ذلك في التاريخ الإسلامي فهذا مخالف لمبادئ الشريعة الإسلامية السمحاء يحتمل مسؤوليتها الحكام المنحرفون الذين استولوا على رقاب الناس.

ولمعرفة مدى التزام المسلمين الأوائل بتلك القواعد والنظم التي وضعها المشرع الإسلامي، وللدلالة على أن السلام في الإسلام يأتي في سلوك السلام نفسه، وليس عن الطريق المعاكس. وإن القاعدة فيه هي السلم والسلام، والحرب استثناء، لا بد من الرجوع إلى الصدر الأول لمعرفة أمرين:

الأول: من أجل إلقاء نظرة على واقع مسيرة الرسالة الإسلامية وهل أنها فرضت على الناس بالقوة والإكراه أو كانت عبر الطرق السلمية كما قال النبي صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام: «لئن يهدي الله بك أحداً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس»^(١). ثم ما هو موقف المسلمين من الذين لم يقبلوا هذه الدعوة في أول الأمر؟

الثاني: ذكر لقطات من تاريخ عصر النبوة وما بعده لنرى فيها ما هو الأصل في الإسلام، هل هو الحرب أم السلام؟ وعن بعض المواضيع التي تتعلق بالحرب كبده

(١) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤٤٧ ح ٣٩٤.

القتال وآدابه، وعن موقف أهل البيت عليهم السلام من أعدائهم في ساحة القتال وعن سيرتهم في أثناء المعركة.

الأمر الأول: خطوات مسيرة الرسالة الإسلامية

عند الرجوع إلى خطوات مسيرة الرسالة الإسلامية نجد عدة أمور اتبعتها هذه الرسالة المباركة:

١: الدعوة بالحكمة والموعظة ومقابلة الإساءة بالإحسان

لما أرسل الله عزوجل رسوله ﷺ إلى الناس جميعاً، وأمره أن يدعو إلى الهدى ودين الحق، لبث في مكة يدعو إلى الله سبحانه وتعالى بالحكمة والموعظة الحسنة وكان يقابل الإساءة بالإحسان، حيث قال الله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١)، وكان لا بد أن يلقى مناوأة من قومه الذين رأوا أن الدعوة الجديدة خطر على كياناتهم المادي وشهواتهم المادية، فكان المشركون يؤذونه ويطاردون أصحابه ويعذبون المؤمنين به، حتى أن أحدهم ضرب رأس رسول الله ﷺ بقوس فأدماه، ورضخه ثان بالحجارة^(٢)، وألقى ثالث سلى البعير على رأسه الشريف^(٣)، فكان توجيه الله له ﷺ: أن يلقى هذه المناوأة بالصبر والعفو والصفح

(١) سورة النحل: ١٢٥.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٤١ و ٢٤٢ ح ٨٩، وفيه: روي أنه لما أنزل الله تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ - سورة الحجر: ٩٤ - قام رسول الله ﷺ على الصفا ونادى في أيام الموسم: «يا أيها الناس إني رسول الله رب العالمين، فرمقه الناس بأبصارهم، قالها ثلاثاً، ثم انطلق حتى أتى المروة ثم وضع يده في أذنه ثم نادى ثلاثاً بأعلى صوته: يا أيها الناس إني رسول الله ثلاثاً، فرمقه الناس بأبصارهم ورماه أبو جهل قبحه الله بحجر فشج بين عينيه وتبعه المشركون بالحجارة فهرب حتى أتى الجبل فاستند إلى موضع يقال له المتكا»، الخبر.

(٣) راجع بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٢٢٩ ح ٥١٦، وفيه: روى أهل الحديث: «أن النضر بن الحارث وعقبة» ► بن أبي معيط وعمرو بن العاص عمدوا إلى سلي جمل فرفعوه بينهم ووضعوه على رأس رسول الله ﷺ وهو ساجد بفناء الكعبة فسأل عليه فصبر ولم يرفع رأسه وبكى في سجوده ودعا عليهم، فجاءت ابنته فاطمة عليها السلام وهي باكية فرفعته عنه فألقته وقامت على رأسه وهي باكية فرفع رأسه وقال: اللهم عليك بقريش، قالها ثلاثاً، ثم قال: رافعاً صوته إني مظلوم فانتصر، قالها ثلاثاً، ثم قام فدخل منزله وذلك بعد وفاة عمه أبي طالب بشهرين».

الجميل ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾^(١).

وقال عزوجل أيضاً : ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

وقال : ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾^(٣).

وقال : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾^(٤).

ولم يأذن الله بأن يقابل السيئة بالسيئة ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ

السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَّوْا﴾^(٥) ، أو يواجه الأذى بالأذى ، أو يجارب الذين حاربوا

الدعوة ، أو يقاتل الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات . كما قال سبحانه : ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾^(٦).

وكل ما أمر به جهاداً في هذه الفترة أن يجاهد بالمنطق ، والقرآن ، والحجة ،

والبرهان ، قال سبحانه وتعالى : ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾^(٧).

٢: الانتقال إلى مواقع أخرى من أجل منع وقوع الحرب

ومن جملة الأساليب التي اتبعتها الرسالة الإسلامية الانتقال والتحول إلى منطقة

أخرى ، وهو ما عرف بالهجرة ، من أجل ممارسة الحرية الدينية وحرية الإنسان المؤمن

وعدم وقوع مظاهر العنف بين المسلمين وغيرهم ، فكانت الهجرة الأولى إلى الحبشة

على تفصيل مذكور في التاريخ^(٨).

ولكي يتمكن الرسول ﷺ من نشر دعوته ويستمر في عملية التبليغ وبصورة آمنة

ومستقرة ، اضطر النبي ﷺ أن يهاجر من مكة إلى المدينة ، ويأمر أصحابه بالهجرة

إليها بعد ثلاث عشرة سنة من البعثة. وذلك لاستمرار اضطهاد المسلمين من قبل

المشركين واشتداد الأذى على المؤمنين حتى وصل قمته ، وذلك حينما قاموا بتدبير

(١) سورة الطور: ٤٨.

(٢) سورة الزخرف: ٨٩.

(٣) سورة الحجر: ٨٥.

(٤) سورة الجاثية: ١٤.

(٥) سورة الأعراف: ٩٥.

(٦) سورة المؤمنون: ٩٦.

(٧) سورة الفرقان: ٥٢.

(٨) انظر كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم) ج ١ للإمام الشيرازي رحمه الله.

مؤامرة لاغتيال الرسول الكريم ﷺ وقتله، فخرج رسول الله ﷺ مهاجراً في نفس الليلة التي هجم المشركون على داره. قال الله عزوجل: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْنُوكَ أَوْ يُفْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(١).
وقال الله سبحانه: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾^(٢).

وقد أشرفت أنوار هذا النصر العظيم في المدينة المنورة بعد أن هاجر النبي ﷺ إليها، فتهيأت له الإمكانيات لنشر الدعوة الإسلامية وتحصيل القوة المادية، فأخذ يسعى لتبليغ الرسالة حتى أصبح لا يجد وقتاً للوفود التي كانت تجيء لتسلم عليه مظهرة إسلامها وانقيادها وطاعتها له ﷺ، كما قال الله سبحانه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾^(٣).

دلالة الآيات التي شرعت الحرب وأذنت بالقتال المشروع

وفي المدينة المنورة - عاصمة الإسلام الجديدة - تقرر الإذن بالقتال دفاعاً، وذلك لجملة من الأسباب المشروعة، ومنها:

أولاً: تأمين مسيرة الرسالة الإسلامية وحرية العقيدة

كانت تلك الحروب الدفاعية من أجل تأمين السلم والسلام في مسيرة الرسالة الإسلامية وتمكينها في الأرض لمن يرغب الدخول في الإسلام بكامل اختياره، ولأجل الدفاع عن حرية المسلمين في ممارسة معتقداتهم وشعائرتهم، من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. وكانت أيضاً لانتشال المظلومين من اضطهادهم والظلم الذي يصب عليهم من قبل الطغاة والمستبدين، فهو قتال مشروع، ولولا أذن الله للناس بمثل هذا الدفاع، لهدمت جميع المعابد التي يذكر فيها اسم الله كثيراً، بسبب ظلم الكافرين الذي لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يعترفون بحرية الإنسان في العقيدة والرأي.

(١) سورة الأنفال: ٣٠.

(٢) سورة الحج: ٤٠.

(٣) سورة النصر: ١-٣.

إن الإسلام يدعو إلى حفظ الدين، لأن المجتمع لا يستقر ولا يستقيم إلا به، فالدين هو الذي يوجه سلوك الإنسان نحو الاستقامة والنهج المستقيم، وهو الذي يوقف المجرم عن ارتكاب الجرائم، ومن خلاله يستطيع كل إنسان أن يقيم شعائره ومعتقداته بكل حرية، وهذا حق لكل إنسان فإذا وقف أحد في سبيل هذه الدعوة بتعذيب من آمن بها، أو وضع العقبات في سبيل تقدمها، أو صد من أراد الدخول فيها، أو منع الداعي عن تبليغها، أو أخذ يخطط لضعفها، فإن الإسلام يأمر بصد ذلك، وإذا أخذ الكفار بإشهار السيف ضد المسلمين فحينئذ يجوز إشهار السيف بالقدر الذي يزيل العثرة فقط.

قال رسول الله ﷺ: «ومن قتل دون دينه فهو شهيد»^(١).

ومن الآيات القرآنية التي أشارت إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۖ وَأَقْتُلُواهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۖ فَإِن انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۖ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

وهذه الآيات تضمنت:

١: الأمر بقتال الذين يبدؤون بالعدوان، وذلك لردع المعتدين ولكف عدوانهم، ومن الواضح أن القتال دفاعاً عن النفس أمر مشروع في كل الشرائع، وفي جميع المذاهب وعند جميع العقلاء، وهذا ما يظهر من قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٣)، فأما الذين لا يبدؤون بالعدوان، فإنه لا يجوز قتالهم ابتداءً، لأن الله نهى عن الاعتداء كما في الآية السابقة.

٢: النهي عن قتال غير المعتدي نهى محكم غير قابل للنسخ، فإن تعليل النهي في الآية الشريفة بأن الله لا يحب المعتدين، دليل استمرارية الحكم، لأنه لا يمكن أن يجب

(١) الكافي: ج ٥ ص ٥٢ ح ١.

(٢) سورة البقرة: ١٩٠ - ١٩٣.

(٣) سورة البقرة: ١٩٠.

الله الاعتداء في وقت ما، قال الله تعالى: «وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ»^(١)، وهذا لا يدخله النسخ لأن الاعتداء ظلم، والله لا يحب الظلم أبداً، كما قال سبحانه وتعالى: «وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ»^(٢).

مضافاً إلى كثير من الروايات التي نهت عن الظلم والبدء بقتال غير المعتدي فإنه من مصاديق الظلم على ما مر.

قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة»^(٣).

وقال الإمام علي عليه السلام: «من خاف القصاص كف عن ظلم الناس»^(٤).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم»^(٥).

وقال عليه السلام أيضاً: «من عذر ظالماً بظلمه سلط الله عليه من يظلمه، فإن دعا لم يستجب له ولم يأجره الله على ظلامته»^(٦).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «ما انتصر الله من ظالم إلا بظالم، وذلك قوله عز وجل: «وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»^(٧)»^(٨).

لأن الظلم يؤدي إلى تدمير البشرية ويتعارض مع نوااميس العدل التي أقام الله بها الكون.

٣: إن لهذه الحرب المشروعة غاية تنتهي إليها، وهي منع الفتنة والدفاع عن حقوق المؤمنين والمؤمنات بترك إيدائهم، وتأكيداً لحرياتهم ليمارسوا عبادة الله وقيموا دينه، وهم آمنون على أنفسهم من كل عدوان. فإذا تحقق ذلك فتنتهي الحرب فوراً، وليس في الإسلام حب إراقة الدماء والتشفي والانتقام وما أشبهه.

(١) سورة المائدة: ١٠٧.

(٢) سورة آل عمران: ٥٧ و ١٧٠.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣٣٢ ح ١٠.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٣٣١ ح ٦.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٣٣٣ ح ١٦.

(٦) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٥٦ ح ٢٠٩٦٦.

(٧) سورة الأنعام: ١٢٩.

(٨) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٩٨ ح ١٣٦٢٦.

٤ : ومن هذه النقاط يستدل على ما فصلنا الحديث عنه في الفصل الأول من أن الإسلام لم يجعل الإكراه وسيلة من وسائل الدخول في الدين كما قال سبحانه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرِّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(١)، بل جعل وسيلة ذلك استعمال العقل وإعمال الفكر، والنظر في ملكوت السماوات والأرض كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

ويقول الله عزوجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿فَلِإِنْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣).

ثانياً: الدفاع عن النفس

ومن دلالة الآيات التي شرعت الحرب وأذنت بالقتال المشروع أن الظلمات التي عانى منها المسلمون كثيرة، فمنها ظلماتهم بالاعتداء عليهم ثم إخراجهم من ديارهم بغير حق إلا لأنهم يدينون بدين الله، ويقولون: ربنا الله، فلما أطبق عليهم الأعداء وأخذوا يحاربونهم بالسيوف، اضطروا إلى امتشاق الحسام، دفاعاً عن النفس، وحفظ الأنفس والدفاع عنها واجب شرعاً، وكانت أول آية نزلت في هذا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَذِّنْ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(٤).

ويستدل من هذه الآيات التي عللت الإذن بالقتال على أن الإسلام وهو في أزهى

(١) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٢) سورة الأعراف: ١٨٥.

(٣) سورة يونس: ٩٩ - ١٠١.

(٤) سورة الحج: ٣٩ - ٤١.

عصر سيادته لم يشنّ المعارك في العالم إلا لأسباب مشروعة على ما ورد في قوانينه الفطرية، ومنها حرب الدفاع عن النفس^(١) من العدوان الذي يوجه إليه من قبل المعتدين من أعداء الإسلام.

ومن مصاديق الدفاع عن الأنفس وحفظ الدماء الدفاع عن المستضعفين الذين وقعوا تحت ظلم الطغاة، فهو أمر مشروع وعقلائي من أجل إنقاذ حياتهم لأنهم يتعرضون إلى ظلم وعدوان من أعدائهم فتجب مناصرتهم ومؤازرتهم والدفاع عنهم، وقد قال سبحانه: ﴿وَمَا لَكُمْ لَأْتَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾^(٢)، فهذه أيضا من المعاني في دفع الظلم المجوزة للقتال من باب الدفاع عن النفس ضد المعتدين.

وقد بينت الآية سببين من أسباب القتال:

١: القتال الدفاعي في سبيل الله، وهو الغاية التي يسعى إليها الدين، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله.

٢: القتال الدفاعي في سبيل إنقاذ المستضعفين، وكان منهم الذين أسلموا بمكة ولم يستطيعوا الهجرة، فعذبتهم قريش وفتنتهم حتى طلبوا من الله الخلاص، فهؤلاء لا غنى لهم عن الحماية التي تدفع عنهم أذى الظالمين.

ولم يقتصر الدفاع عن هؤلاء المظلومين في محيط قريش بل تجاوز هذه القبائل وتعدى تلك المساحة الجغرافية إلى بلاد الشام فقد أرسل رسول الله ﷺ عسكرياً إلى مؤتة ولى عليهم زيد بن حارثة^(٣) وذلك لأن بعض النصارى بالشام عمدوا إلى قتل بعض المسلمين هناك وهو أول قتال وقع بين المسلمين والنصارى.

علماً بأن الرسول ﷺ لم يقاتل أحداً منهم، حتى أرسل ﷺ رسله بعد صلح الحديبية إلى جميع الملوك يدعوهم إلى الإسلام، فأرسل إلى قيصر، وإلى كسرى، وإلى

(١) راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم): ج ١-٢، للإمام المؤلف (أعلى الله درجاته).

(٢) سورة النساء: ٧٥.

(٣) لمزيد من الاطلاع راجع بحار الانوار: ج ٢١ ص ٥٠، والأمالى للطوسي: ص ١٤٠

المقوقس، وإلى النجاشي، وإلى ملوك العرب باليمن وغيرها، فدخل في الإسلام من دخل من النصارى وهم كثيرون.

وفي حالنا الحاضر يجب على المسلمين حماية إخوانهم المستضعفين من ظلم الطواغيت في كافة أنحاء العالم. وكذلك يلزم على النصارى أن يتعاملوا مع المسلمين كأخوان لهم في الإنسانية ويحسنوا لهم فقد كان من إحسانه ﷺ إلى أهل الكتاب أنه كان يقترض منهم مكرراً مع أن بعض الصحابة كانوا أثرياء وكلهم يتلهفون على أن يقترض رسول الله ﷺ منهم، وإنما فعل ذلك تعليماً للأمة وتثبيتاً عملياً لما يدعو إليه من السلام والإسلام والوئام، وتدليلاً على أن الإسلام لا يقطع علاقات المسلمين مع من ينتحل غير دينهم.

ثالثاً: الدفاع لأجل حفظ الأعراض

ومن دلالة الآيات التي شرعت الحرب وأذنت بالقتال المشروع، الدفاع عن الأعراض، وذلك حينما تتعرض إلى الانتهاك فيجب حفظها والدفاع عنها، لأنها عنوان للأسرة وشرفها وكرامتها، وإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع، وإذا فسدت الأسرة فسد المجتمع، وقد وردت أحاديث عن أئمة العترة الطاهرة عليهم السلام تشيد بالذي قاتل من أجل حفظ عياله ورحله، فعن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل دون عياله فهو شهيد»^(١).

وعن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: «من قاتل فقتل دون رحله ونفسه فهو شهيد»^(٢).

رابعاً: الدفاع لأجل حفظ الأموال

ومن دلالة الآيات التي شرعت الحرب وأذنت بالقتال المشروع، القتال من أجل حفظ الأموال حينما تتعرض إلى النهب والسلب، وهذا الدفاع أمر مشروع، فالأموال قوام الأسرة والمجتمع والدولة، وبدونها لا يستقيم أمر المجتمع، وحق الملكية من ضمن

(١) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٥٧ ح ٥.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٤٩ ح ١٩٩٦٣.

حقوق الفرد المشروعة، قال الإمام جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: «من قتل دون ماله فهو شهيد»^(١).

وقد سجل التاريخ لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأهل البيت عليهم السلام صفحات مشرقة عن الدفاع في سبيل حفظ أموال المسلمين العامة والخاصة، كما في غزوة بدر. ومن ذلك سياسة الإمام علي عليه السلام العادلة في الأموال، حيث كان شديد الحفظ لأموال الشعب.

وقد كانت سياسة من سبقه على أكل المال بالباطل، كما قال علي عليه السلام: «يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع»^(٢)، بينما لما جاء علي عليه السلام أخذ يسترجع أموال المسلمين التي وزعت على أرحام الحكام بالباطل، ومنها ما رده عليهم من قطائع عثمان فقال: «والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإماء لرددته، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيّق»^(٣).

وأما بالنسبة لمتابعته لأموال الناس الخاصة فقلوه عليه السلام لبعض عماله: «فلما أمكنتك الشدة في خيانة الأمة أسرعت الكرة وعاجلت الوثبة، واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وأيتامهم، اختطاف الذئب الأزلّ دامية المعزى الكسيرة، فحملته إلى الحجاز رحيب الصدر بحمله غير متأثم من أخذه كأنك لا أبا لغيرك، حدرت إلى أهلك تراثك من أبيك وأمك، فسبحان الله، أما تؤمن بالمعاد؟ أو ما تخاف نقاش الحساب، أيها المعدود كان عندنا من أولي الألباب، كيف تسيغ شراباً وطعاماً وأنت تعلم أنك تأكل حراماً، وتشرب حراماً وتبتاع الإماء وتنكح النساء من أموال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال وأحرز بهم هذه البلاد، فاتق الله واردد إلى هؤلاء القوم أموالهم، فإنك إن لم تفعل ثم أمكنني الله منك لأعذرني إلى الله فيك ولأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلا

(١) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٤٩ ح ١٩٩٦٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطب ٣.

(٣) نهج البلاغة: الخطب ١٥.

دخل النار...»^(١).

خامساً: الدفاع لأجل حفظ الأوطان

ومن دلالة الآيات التي شرعت الحرب وأذنت بالقتال المشروع، حفظ الوطن الإسلامي، وذلك حينما يتعرض بلد المسلمين إلى الاعتداء والغزو من قبل الأعداء، فيجب هنا الدفاع عن حرمة هذا البلد، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾^(٢).

وهذا القتال من أجل هذه الأمور المتقدمة لا يعتبر عدواناً على الآخرين بل هو دفاع مشروع مع رعاية سائر الشروط والتي منها إذن المعصوم عليه السلام أو الفقهاء المراجع.

إذن المعصوم عليه السلام أو شورى المراجع

ولا يخفى أن الحرب بمختلف أقسامها التي سبقت، بحاجة إلى إذن خاص من المعصوم عليه السلام وفي زمن غيبته إلى إذن شورى الفقهاء المراجع، ولا يكفي إذن فقيه واحد بالقتال، لأن الأمور العامة كالقتال والحرب بحاجة إلى استشارة سائر الفقهاء فإنها من الأمور الخطيرة المشتملة على الدماء والأعراض والأموال، والخطأ فيها لا يغتفر، ومن ثم يلزم الأخذ برأي الأكثرية من المراجع دون رأي واحد منهم.

كما أن مثل هذه المواضيع بحاجة إلى استشارة الأخصائيين الزميين لمعرفة نتائج الحرب وهل هي في صالح المسلمين أم في ضررهم ودراسة الأمور دراسة دقيقة شاملة مع مراعاة سائر الجوانب وعدم الاستعجال فيها، فلا يكفي مجرد رأي شورى الفقهاء المراجع. وكثيراً ما تكون الضغوط الإعلامية والدبلوماسية وما أشبه هي الأنفع من الحرب والخوض في المعارك. هذا كله مع رعاية الشروط الشرعية والآداب الإسلامية في الحروب وهي كثيرة جداً وقد أظهرت نزاهة الإسلام حتى في ميادين الحرب، على تفصيل سيأتي بإذن الله تعالى.

أما مجرد حث الناس على القتال من قبل بعض الأحزاب أو الفئات أو حتى بعض

(١) نهج البلاغة: الرسائل ٤١.

(٢) سورة البقرة: ٢٤٦.

الشخصيات الدينية أو الاجتماعية أو السياسية فإنه غير صحيح بل غير جائز شرعاً، وقد يوجب الضمان على ما هو مقرر في الفقه.

الحقوق والاتفاقيات

وهناك أمور أخرى قد يقع الدفاع والقتال عنها كحفظ الحقوق وحماية الاتفاقيات والمعاهدات، ولكن مشروطة بعدم جدوى الطرق السلمية وأن الطرف هو الذي بدأ القتال فحينئذ يجوز الدفاع.

أما مجرد نقض العهود والاتفاقات وما أشبهه، فربما أمكن الوصول فيه إلى الحل عبر المفاوضات السلمية ورفع الشكوى إلى المحاكم الدولية المستقلة وما أشبهه.

قال تعالى: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا تَكْفُرُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١) فإذا نكث

المعتدون عهد الصلح مع المسلمين وأخذوا بمحاربتهم وجب القتال، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَاقْتَالِهِمْ كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَاقْتَالِهِمْ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢).

وأما قتال الرسول ﷺ لليهود الذين كانوا في المدينة وحواليها، فإنهم كانوا قد عاهدوا رسول الله ﷺ بعد هجرته، ووفى رسول الله ﷺ بعهده ولم يتعرض لهم أبداً بل كان ﷺ حامياً عن أموالهم وأعراضهم وأنفسهم وحرمتهم الدينية، ولكن اليهود لم يلبثوا أن نقضوا العهد وانضموا إلى المشركين والمنافقين ضد المسلمين، ووقفوا محاربين لهم في غزوة الأحزاب، فأنزل الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (٣).

(١) سورة التوبة: ١٣-١٥.

(٢) سورة التوبة: ٣٦.

(٣) سورة التوبة: ٢٩.

وقال أيضاً: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غُلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ»^(١).

وهذا يدل على أن حروب رسول الله ﷺ كانت كلها دفاعية، ليس فيها شيء من العدوان، وقاتل المشركين من العرب ونبذ عهودهم بعد فتح مكة كان جارياً على هذه القاعدة.

ضرورة الإيمان بالسلام في الاستعداد للمواجهات الحربية

ذكرنا قبل صفحات أن الإسلام سبق القانون الدولي في وضع القواعد والمبادئ والنظم الإنسانية للحروب التي تخفف من شرورها وويلاتها، وتأكيداً لذلك سنذكر نوعين من الشواهد على ذلك.

- الأول: من سيرة النبي المصطفى ﷺ السلمية في المجال الجهادي والتبليغي.
الثاني: من سيرة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في حروبه التي أجزؤه إليها. فإنهما عدل القرآن كما في حديث الثقلين.

الأول: السلم والسلام في سيرة المصطفى الجهادية ﷺ

الشواهد على حرص الإسلام في حقن الدماء في هذا المجال كثيرة جداً في التاريخ الإسلامي، نذكر منها هذه المشاهد المختلفة من سيرة النبي المصطفى ﷺ في غزواته وحروبه:

- ١: إذا أراد الرسول ﷺ أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه ثم يوصيهم فيقول ﷺ: «سيروا بسم الله، وبالله، وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله، لاتغلو، ولا تثلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا صبياً، ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً، إلا أن تضطروا إليها، وأما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى أحد من المشركين فهو جار حتى يسمع كلام الله، فإن تبعكم فأخوكم في الدين، وإن أبى فأبلغوه مأمناً واستعينوا بالله»^(٢).

(١) سورة التوبة: ١٢٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٥٩ ح ١٩٩٨٥.

وهنا تتجلى مراعاة الإسلام لأساليب القتال الإنسانية بحيث لا تؤثر على معتزلي القتال من الشيوخ والنساء والأطفال والجرحى. مضافاً إلى التوصية بعدم الغدر وعدم التمثيل وعدم التعرض للبيئة من قلع الأشجار وما أشبهه.

٢: وهناك حوادث وقعت في هذا المجال تدل على أن النبي الأعظم ﷺ لم يكره أحداً من أسراه على الإسلام، فكان من سماحة الرسول الأعظم ﷺ أنه عامل أسرى بدر معاملة حسنة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الأمم، فقد كانت الأمم تعامل أسراها معاملة العدو البغيض، فتقتلهم أو تبيعهم أو تسترقهم أو تسخرهم في أشق الأعمال أو تعذبهم أشد العذاب، واستشار الرسول ﷺ أصحابه في شأن أسرى بدر فأشار بعضهم عليه بقتلهم وأشار بعضهم بفدائهم فوافق الرسول ﷺ على الفداء، وجعل فداء الذين يكتبون أن يعلم كل واحد منهم عشرة من صبيان المدينة الكتابة. كما أنه أشار بعض الصحابة أن يمثل بسهيل بن عمرو أحد المحرضين على محاربة المسلمين بأن ينتزع ثنيتيه السفليتين كي لا يستطيع الخطابة، فرفض النبي ﷺ وقال: «لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً»^(١).

٣: في الحديث أن رسول الله ﷺ أرسل قبلاً نجد سرية فأسروا واحداً اسمه ثمامة بن أثال الحنفي سيد يمامة، فأتوا به وشدوه إلى سارية من سوارى المسجد فمر به النبي ﷺ فقال: «ما عندك يا ثمامة» فقال: خير، إن قتلت قتلت وارماً، وإن مننت مننت شاكراً، وإن أردت مالاً قل تعط ما شئت، فتركه ولم يقل شيئاً، فمر به اليوم الثاني فقال مثل ذلك، ثم مر به اليوم الثالث فقال مثل ذلك، ولم يقل النبي ﷺ شيئاً، ثم قال ﷺ: «أطلقوا ثمامة» فأطلقوه، فمرر واغتسل وجاء وأسلم وكتب إلى قومه فجاؤوا مسلمين^(٢) وبذلك كانت هداية شخص واحد مقدمة لدخول عشيرته الإسلام.

٤: وكان (ابن أبي) رأساً في المنافقين وأعظمهم نفاقاً وأشدهم، وكان المنافقون بكثرة حتى بلغوا ثلاثمائة رجل ومائة وسبعين امرأة، وقد انتهت إليه رئاسة الخزرج

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ١٧٣.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ١٤ ح ٢٥٩٨.

فلما ظفر النبي ﷺ وانصرف الخزرج إليه حسد رسول الله ﷺ وبالغ في العداوة له. وكان ولده عبد الله من خيار الصحابة وأصدقهم إسلاماً وأكثرهم عبادة وأشرحهم صدرًا، باراً بأبيه مع كفره ونفاقه، قال للنبي ﷺ: إنك لتعلم إني أبر الناس بأبي وإن أمرتني لأتيك برأسه فعلت وأخشى أن تأمر أحداً بقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل أبي فأقتله فأكون قد قتلت مؤمناً بكافر؟ فقال النبي ﷺ: لا يتحدث الناس إن محمداً يقتل أصحابه بل أحسن صحبته وبر به وترفق به ما صحبنا.

وفي رواية أخرى: أخبر ابنه عبد الله الخبر وعنده عمر بن الخطاب، فقال عمر: مر به عباد بن بشر فليقتله، فقال له رسول الله ﷺ: فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه^(١).

٥: منذ اليوم الأول نجد أن قريشاً اشترطت على النبي ﷺ في صلح الحديبية شروطاً قاسية، منها: أن من جاء من محمد ﷺ إلى قريش لا ترده إلى محمد ﷺ ومن جاء من قريش إلى محمد ﷺ بغير إذن وليه رده محمد ﷺ، وقبل صلحهم هذا لحكمة رأها من توسيع الإسلام كما شاهدناه بعد ذلك وتبرم بعضهم وما كانوا يفقهون من توقيع المعاهدة حتى جاء أول امتحان للوفاء فما إن وصل مسلم من مكة اسمه أبو جندل بن سهيل يرسف في الحديد فأراً من أذى قومه وألح على الرسول ﷺ في أن يضمه إليه حتى سلّمه ﷺ لقريش وفاءً بعهده، وقال أبو جندل: إنهم سيعذبونني.

فقال ﷺ: «اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً إنا عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله إنا لا نغدر بهم»، ثم وفد على النبي ﷺ بالمدينة أبو بصير عتبة ابن أسيد فرده وقال له: مثل ما قال لأبي جندل، ثم اجتمع جماعة منهم في الطريق بين مكة وبين المدينة وكانوا يقطعون على وفود مكة مما اضطر أهل مكة أن يقبلوا ويلتحقوا بالرسول ﷺ.

(١) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٢٨٣.

ويتنازلوا عن عهدهم^(١).

وقال عليه السلام لقريش في فتح مكة: «ماذا تظنون وماذا تقولون؟»

قالوا: نظن خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت.

فقال عليه السلام: «إني أقول كما قال أخي يوسف لأخوته: ﴿قَالَ لَا تَنْزَيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٢)»^(٣).

وهذه نماذج من عفوه وصفحه عليه السلام في غزواته وحروبه.

٦: روي عنه عليه السلام أنه قال: «من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو

أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فأنا حجيزه يوم القيامة»^(٤).

وقال عليه السلام: «لا إيمان لمن يقتل مسلماً أو معاهداً»^(٥).

وقد عقد الرسول عليه السلام معاهدة مع قبيلة تغلب في السنة التاسعة من الهجرة، وكان الإسلام قد قوي أشد القوة ودانت به العرب والجزيرة ومع ذلك أباح لهم فيها البقاء على نصرانيتهم، وصالح نصارى نجران وتركهم أحراراً في دينهم^(٦)، ووجه عماله إلى اليمن لأخذ الجزية عن أقالم على نصرانيتها.

كما إنه عليه السلام لم يقبل أن يقطع الماء على أهل خيبر مع أن في قطعه تسليماً منهم

للسلطان عليه السلام.

وكذلك فعل مع النصارى واليهود جميعاً في بلاد العرب.

وهذا كانت سيرته عليه السلام العطرة مع المجوس فإنهم كانوا في بقاع شتى من جزيرة

العرب، منهم مجوس نجران وهجر وعمان والبحرين، وهؤلاء جميعاً بقوا على دينهم

ودفعوا الجزية في قبال حماية الحكومة الإسلامية عنهم، ولم ينقل التاريخ أن رسول

الله عليه السلام اضطهد مجوسياً واحداً بترك دينه أو بترك حريته، وقد فتح المسلمون بلاداً

(١) راجع أعلام الوري: ص ٩٦.

(٢) سورة يوسف: ٩٢.

(٣) الكافي: ج ٤ ص ٢٢٥ ح ٣.

(٤) راجع مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ١٦٨، وفيه: قال رسول الله عليه السلام: «من ظلم معاهداً

كنت خصمه...».

(٥) غوالي اللآلي: ج ٢ ص ٢٤١ ح ٨.

(٦) راجع تفسير القمي: ج ١ ص ١٠٤.

أخرى وسلكوا مع أهلها مسلک السماحة ذاته.

نماذج أخرى من سيرته ﷺ السلمية في الحروب

نزل رسول الله ﷺ ذا أمر وعسكر به وأصابهم مطر كثير فذهب رسول الله ﷺ لحاجة فأصابه ذلك المطر فبل ثوبه وقد جعل رسول الله ﷺ وادي أمر بينه وبين أصحابه ثم نزع ثيابه فشرها لتجف وألقاها على شجرة ثم اضطجع تحتها والأعراب ينظرون إلى كل ما يفعل رسول الله ﷺ فقالت الأعراب لدعثور وكان سيدهم وأشجعهم: قد أمكنك محمد وقد انفرد من بين أصحابه حيث إن غوث بأصحابه لم يغث حتى تقتله، فاختر سيفا من سيوفهم صارما ثم أقبل مشتملا على السيف حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف مشهورا فقال: يا محمد من يمنعك مني اليوم؟ قال: «الله».

ودفع جبرئيل في صدره فوقع السيف من يده فأخذ رسول الله ﷺ وقام على رأسه. فقال: «من يمنعك مني؟»

قال: لا أحد وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، والله لا أكثر عليك جمعا أبدا، فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه ثم أدبر ثم أقبل بوجهه ثم قال: والله لأنت خير مني.

قال رسول الله ﷺ: «أنا أحق بذلك»^(١).

وفي غزوة بدر أقبل نفر من قريش حتى وردوا الحوض منهم حكيم بن حزام فأراد المسلمون تنحيتهم عنه فقال النبي ﷺ: «دعوهم». فوردوا الماء فشربوا^(٢).

وروى عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: رميت سهيل بن عمرو يوم بدر فقطعت نساءه فاتبعت أثر الدم حتى وجدته قد أخذه مالك بن الدخشم وهو ممسك بناصيته. فقلت: أسيري رميته. فقال: أسيري أخذته. فأتينا رسول الله ﷺ فأخذه منا جميعا وأفلت سهل الروحاء، فصاح ﷺ بالناس فخرجوا في طلبه. فقال ﷺ: «من

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٤٠٣-٤٠٤ ب ١١ ح ١ عن المناقب لابن شهر آشوب.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ١٤ ص ١٢١ الفصل الثالث قصة غزوة بدر.

وجده فليقتله». فوجده هو ﷺ فلم يقتله^(١).

ولما افتتح القموص حصن ابن أبي الحقيق أتى رسول الله ﷺ بصفية بنت حي بن أخطب وبأخرى معها فمر بهما بلال وهو الذي جاء بهما على قتلى من قتلى اليهود فلما رأتهما التي معها صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها... وقال رسول الله ﷺ لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى: «أنزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بمرأتين على قتلى رجالهما»^(٢).

وأرسل ابن أبي الحقيق إلى رسول الله ﷺ أنزل لأكلمك. قال: «نعم». فنزل وصالح رسول الله ﷺ على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وأرضها بذرايرهم ويخلون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من مال وأرض وعلى الصفراء والبيضاء والكرع وعلى الحلقة وعلى البز إلا ثوب على ظهر إنسان. وقال رسول الله ﷺ: «وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كنتموني شيئا». فصالحوه على ذلك. فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم ويحقن دماءهم، ويخلون بينه وبين الأموال ففعل وكان ممن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك محيصة بن مسعود أحد بني حارثة فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم الأموال على النصف وقالوا: نحن أعلم بها منكم وأعمر لها. فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم وصالحه أهل فدك على مثل ذلك^(٣).

ولما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث بن سلام بن مشكم وهي ابنة أخي مرحب شاة مصلية وقد سألت أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ فقيل لها الذراع، فأكثرتها فيها السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعها بين يديه تناول الذراع فأخذها فلاك منها مضغة وانتهش منها ومعه بشر بن البراء بن معرور فتناول عظما فانتهش منه فقال رسول الله ﷺ: «ارفعوا أيديكم فإن كتف هذه

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١٤ ص ١٦٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٥ ب ٢٢.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٥-٦ ب ٢٢.

الشاة تخبرني أنها مسمومة». فدعاها فاعترفت فقال: «ما حملك على ذلك؟». فقالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت إن كان نيبا فسيخبر وإن كان ملكا استرحت منه، فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ومات بشر بن البراء من أكلته التي أكل^(١).

ولما فتح علي عليه السلام حصن خيبر الأعلى بقيت لهم قلعة فيها جميع أموالهم ومأكولهم ولم يكن عليها حرب بوجه من الوجوه، نزل رسول الله ﷺ محاصرا لمن فيها فصار إليه يهودي منهم فقال: يا محمد تؤمنني على نفسي وأهلي ومالي وولدي حتى أدلك على فتح القلعة؟ فقال له النبي ﷺ: «أنت آمن فما دلالتك؟». قال: تأمر أن يحضر هذا الموضع فإنهم يصيرون إلى ماء أهل القلعة فيخرج وييقون بلا ماء ويسلمون إليك القلعة طوعا. فقال رسول الله ﷺ: «أو يحدث الله غير هذا وقد أمناك» فلما كان من الغد ركب رسول الله ﷺ بغلته وقال للمسلمين: اتبعوني، وسار نحو القلعة فأقبلت السهام والحجارة نحوه وهي تمر عن يمينته ويسرته فلا تصيبه ولا أحدا من المسلمين شيء منها حتى وصل رسول الله ﷺ إلى باب القلعة فأشار بيده إلى حائطها فانخفض الحائط حتى صار من الأرض وقال للناس: «ادخلوا القلعة من رأس الحائط بغير كلفة»^(٢). إلى غيرها من سلمه وصفحته وعفوه ﷺ في الحروب.

الثاني: السلم والأمان في سيرة الإمام علي عليه السلام الجهادية

وهذه بعض المقتطفات من سيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام الجهادية وهي تصلح لأن يستخرج منها منهاج للسلم في المجال العسكري، ومن خلال ما سيأتي من هذه السيرة العطرة يعرف أن قواعد الإسلام السلمية في الحرب لا تبدأ في مرحلة القتال وإنما تبدأ في التريبة الجهادية العسكرية ثم يكون للسلم موقع في كل جزئيات الحرب وتفصيلاتها كما سنرى.

مشروعية الهدف والإيمان به والاعتقاد بسلامته

وبداية السلم في هذا المجال تكون قبل البدء في العمل العسكري وذلك في بداية

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٦-٧ ب ٢٢.

(٢) انظر الخرائج والجرائح: ج ١ ص ١٦٤-١٦٥.

التربية العسكرية والجهادية، وهو ما يعبر عنه بمشروعية الهدف والإيمان به والاعتقاد بسلامته، أي أن الدافع لهذا القتال الدفاعي هو لأجل إعلاء كلمة الله تعالى، وأهمية هذا الأمر تكمن في مشاركة المقاتل في ساحة المعركة وثباته فيها، لأنه لا يمكن أن تجبر قلب أحد وفكره على ما لا يعتقد بصحته، فإذا اعتقد بمشروعية الهدف كانت مشاركته فاعلة في هذه المعركة، بل لن يتوقف إذا اقتضى من قتال أهله وإخوانه، يقول عليه السلام في وصف أصحاب النبي ﷺ وذلك يوم صفين حين أمر الناس بالصلح: «ولقد كنا مع رسول ﷺ نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيد ذلك إلا إيماناً وتسليماً...»^(١).

ومن هنا لا بد وأن يكون هناك إعداد متكامل لهذا الجيش حتى يصبح جيشاً عقائدياً مؤمناً بكل قضية تتعلق بمسائل الحرب والقتال، وهذا الأمر يرجع إلى طبيعة المجتمع الذي يتشكل منه ذلك الجيش، فإن وجدت فيه تلك الصفات والخصال فهي لاشك تنتقل إلى ذلك الجيش، لأنه من أبنائه وجنسه.

أمير المؤمنين عليه السلام والفتوحات

وهناك شبهة تذكر دائماً وهي أن الفتوحات الإسلامية لم تتوسع رقعتها في عهد أمير المؤمنين علي عليه السلام فلماذا؟
والجواب: لأنه عليه السلام حينما وصل إلى الكوفة وابتدأ عهده بخلافته أخذ يربي ذلك المجتمع وفق النظرية الإسلامية الصحيحة ومبادئه القيمة حتى ينبج ذلك الجيش العقائدي، فأخذ يغير الكثير من الأمور والمفاهيم السائدة، والتربية تحتاج إلى جهد كبير ووقت طويل، ومن أصعب مجالات التربية هو تغير عقيدة المجتمع الناشئ على مفاهيم معينة لاسيما الذين اعتبروها من واقع الشريعة لأنها وجدت منذ أيام الخلافة المغتصبة بينما هي التي لا تمت إلى الإسلام بأي صلة، ولهذا فر العديد من مجتمع الكوفة وغيره من الأمصار إلى معاوية.

وقد ذكرت بعض ملامح هذه السياسة التي انتهجها علي عليه السلام في ذلك المجتمع في

(١) لمزيد من الاطلاع راجع الإرشاد: ج ١ ص ٢٦٧، وكتاب سليم بن قيس: ص ٦٩٧.

محاورة له مع مالك الأشر رضي الله عنه ذكرها مولى الأشر فقال :

شكا علي عليه السلام إلى الأشر فرار الناس إلى معاوية ، فقال الأشر: يا أمير المؤمنين إنا قاتلنا أهل البصرة بأهل البصرة وأهل الكوفة والرأي واحد وقد اختلفوا بعد وتعادوا وضعفت النية وقل العدد، وأنت تأخذهم بالعدل وتعمل فيهم بالحق وتنصف الوضيع من الشريف، وليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع، فضجت طائفة ممن معك من الحق إذ عموا به، واغتموا من العدل إذ صاروا فيه، وصارت صنائع معاوية عند أهل الغنى والشرف فتاقت أنفس الناس إلى الدنيا، وقل من الناس من ليس للدنيا بصاحب، وأكثرهم من يجتوي الحق ويستمرئ الباطل ويؤثر الدنيا، فإن تبذل المال يا أمير المؤمنين تمل إليك أعناق الناس وتصف نصيحتهم وتستخلص ودهم، صنع الله لك يا أمير المؤمنين وكبت عدوك وفض جمعهم وأوهن كيدهم وشتت أمورهم إنه بما يعملون خبير. فأجابه علي عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وقال: «أما ما ذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل فإن الله يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبَّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾»^(١) وأنا من أن أكون مقصراً فيما ذكرت أخوف، وأما ما ذكرت من أن الحق ثقل عليهم ففارقونا لذلك، فقد علم الله أنهم لم يفارقونا من جور، ولم يدعوا إذ فارقونا إلى عدل ولم يلتمسوا إلا دنيا زائلة عنهم كان قد فارقوها وليسألن يوم القيامة أ للدنيا أرادوا أم لله عملوا، وأما ما ذكرت من بذل الأموال واصطناع الرجال فإننا لا يسعنا أن نؤتي امرأة من الفيء أكثر من حقه، وقد قال الله وقوله الحق: «كَمْ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ»^(٢)، وبعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وحده فكثره بعد القلة، وأعز فتته بعد الذلة، وإن يرد الله أن يوليننا هذا الأمر يذل لنا صعبه، ويسهل لنا حزنه، وأنا قابل من رأيك ما كان لله رضى، وأنت من آمن أصحابي وأوثقهم في نفسي وأنصحهم وأرأهم عندي»^(٣).

وقد مر في قول علي عليه السلام المتقدم أحد المفاهيم المعنوية المهمة في التربية العسكرية

(١) سورة فصلت: ٤٦.

(٢) سورة البقرة: ٢٤٩.

(٣) الغارات: ج ١ ص ٤٦.

والجهادية التي يتربى عليها المقاتل المسلم وهو الإمداد الغيبي والعون الإلهي في قتاله ، وذلك في قوله تعالى: «كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ» ، فيجعل المقاتل المسلم عظيماً في الجانب المعنوي ، فلا يفكر بأي شيء إلا باثنين: إما النصر وإما الشهادة. وأما في الجانب المادي فيجعل منه طاقة هائلة تحسب له الأعداء ألف حساب ، فلا يتردد ولا يخاف ، يقاتل بروحية عالية ، لأنه يعلم أن قتاله في سبيل الله ومن أجله ، وقد سعى الإمام علي عليه السلام لترسيخ هذا المفهوم في مواطن كثيرة ، ومنها في نصيحته لعمر حينما استشاره بشأن الشخوص لقتال الفرس فقال له : «وأما ما ذكرت من عددهم (الفرس) فإننا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة»^(١).

وقال عليه السلام أيضاً لمحمد بن أبي بكر عندما هاجم عمرو بن العاص مصر ، في كتابه إليه : «فإن الله يعز القليل ويخذل الكثير»^(٢).

ثم إنه عليه السلام استخدم وسيلة الحوار والمناقشة من أجل أن يقتنع المقاتل بمشروعية الهدف والإيمان به والاعتقاد بسلامته ، ومن ذلك قوله في كتابه عند مسيره إلى أهل الكوفة: «أما بعد ، فإني خرجت من حبي هذا إما ظالماً وإما مظلوماً ، وإما باغياً وإما مبنياً عليه ، وإني أذكر الله من بلغه كتابي هذا لما نفر إلي فإن كنت محسناً أعانني وإن كنت مسيئاً استعبني»^(٣).

وهو عليه السلام يعلم أنه على الحق في مسيره لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال فيه : «علي مع الحق والحق مع علي»^(٤) ولكنه أراد أن يدفع الشبهة عن الناس في قتال أهل الجمل ، ولا يمكن أن يتأخر عن هذا النداء أحد ، فإن كان محسناً وجب عليه إعانته ، وإن كان مسيئاً فهناك استعتاب وحوار ومناظرة ، وقد حدثت بعض المناظرات في واقعة الجمل كان الحق فيها واضحاً في جانب علي عليه السلام.

وإذا حصل الحوار كان القتال عن وعي ومعرفة وإيمان بهذه القضية التي يقاتل من

(١) نهج البلاغة: الخطب ١٤٦.

(٢) الغارات: ج ١ ص ١٨٢.

(٣) نهج البلاغة: الرسائل ٥٧.

(٤) إعلام الوري: ١٥٩.

أجلها، لأنه يصعب أن تجبر أحداً في سبيل قضية لا يعتقد بها فيحق لكل إنسان أن يسأل عن أي شيء يتعلق بهذا الأمر من أجل أن يقتنع بمشروعية الهدف والإيمان به والاعتقاد بسلامته كي يكون على بينة من أمره.

ثم هناك أمر هو من جملة المسائل التي تذكر في التربية الجهادية، بأن يعلم المقاتل أن قتاله الدفاعي لا بد وأن يكون في سبيل الله عزوجل ومن أجل إعلاء كلمته ولتثبيت دعائم دينه وأركانه، وفي هذا يكمن سائر الأسباب المشروعة.

لأن هناك قتالاً يأباه الإسلام وهو القتال الذي يكون سببه المشاعر القومية والعرقية وما أشبه، أي يقاتل من أجل قوميته أو عشيرته أو أمته كما قال قائلهم: وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وأن ترشد غزية أرشد

فهذا القتال يتنافى مع مبادئ السماء المتمثلة في هذه الآية القرآنية: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١).

وخلاصة تعاليم الإسلام في القتال هو لزوم أن يكون دفاعاً عن عقيدة يعتدى عليها، أو عن حقوق مسلوقة، أو ما أشبه مما يجعله مشروعاً، فهو للدفاع عن قضية إنسانية معرضة للظلم والانتهاك أو غيرها من القضايا الإنسانية النبيلة، وليس للحقد والتشفي والغدر والمكر والظلم والعدوان وحب السيطرة وما أشبه من أسباب الكثير من المعارك والحروب في العالم.

أسس السلم في ميادين الحرب

ثم بعد هذا تأتي مرحلة السلم في كل مسائل الحرب وتفصيلاتها، فمنها:

١: في المسير للمواجهة العسكرية

قال الإمام علي عليه السلام في كتاب له إلى العمال الذين يطأ الجيش عملهم: «أما بعد فإني قد سيرت جنودا هي مارة بكم إن شاء الله وقد أوصيتهم بما يجب لله عليهم من كف الأذى وصرف الشدا وأنا أبرأ إليكم وإلى ذمتكم من معرة الجيش إلا من جوعة

(١) سورة الحجرات: ١٣

المضطر لا يجد عنها مذهباً إلى شعبه، فنكلوا من تناول منهم شيئاً ظلماً عن ظلمهم وكفوا أيدي سفهائكم عن مضارتهم والتعرض لهم فيما استثيناه منهم، وأنا بين أظهر الجيش فارفعوا إلي مظالمكم وما عراكم مما يغلبكم من أمرهم، وما لا تطيقون دفعه إلا بالله وببي فأنا أغیره بمعونة الله إن شاء الله»^(١)

وفي هذا الكتاب وردت عدة نقاط منها: إن الإمام عليه السلام أخبر عماله وولاته في تلك المناطق وأهلها بأن الجيش الذي سيره سيكون مسيره في طريقهم حتى يكونوا على بينة من هذا الأمر ويستعدوا له.

ومنها: وصيته للجيش في كف الأذى، أي أن لا يعتدوا على أهل تلك المناطق ويجب أن تسلم ممتلكاتهم ولا يتعرض لها.

ومنها: أن هذا الجيش من المحتمل أن يحصل من بعض أفراده أذى أو ظلم، فقال عليه السلام: «أنا أبرأ إليكم وإلى ذمتكم من معرة الجيش»^(٢).

ومنها: هناك استثناء وهو (جوع المضطر) فيحق له أخذ ما يسد به جوعته بشروط مذكورة في الفقه.

ومنها: أمره لعماله وولاته بالتنكيل لمن خالف هذا الوصية وألحق الأذى ظلماً وعدواناً بممتلكات الناس.

ومنها: إن لم يسع الولاة معالجة ذلك الأمر فعليهم أن يرفعوا مظالمهم وشكواهم وما أصابهم من ذلك الجيش له عليه السلام فهو يتولى معالجة ما حل بهم.

وفي هذه الوصية يرى بوضوح وجوب أن يتبع الجيش السلام في مسيره للمواجهة.

٢: موقع الوقوف في ساحة ميدان المعركة

وعند الوصول إلى ساحة المعركة والوقوف أمام الخصم لا بد وأن يقف الجيش في موقف يدل على الأمن والسلام، فلا يقوم بأي حركة استفزازية تحرك الخصم في إشعال نار الحرب، فقال عليه السلام لأحد قادة جيشه: «فسر على بركة الله فإذا لقيت العدو

(١) نهج البلاغة: الرسائل ٦٠.

(٢) نهج البلاغة: الرسائل ٦٠، وبحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٤٨٦.

فقف من أصحابك وسطا ولا تدنُ من القوم دنو من يريد أن ينشب الحرب ولا تباعد عنهم تباعد من يهاب البأس»^(١).

٣: النهي عن مقاتلة غير الخصم

وهناك أمر حينما يبدأ القتال أو قبله في أثناء المسير وهو وجوب معرفة الخصم الذي ساروا من أجل قتاله، فرمما يمر الجيش في بلد تابع للخصم ولكنه لم يشهر السيف في وجه الجيش، فهذا يجب أن لا يقاتل، قال عليه السلام لأحد قادته: «اتق الله الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه ولا تقاتلن إلا من قاتلك»^(٢).

ومن وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم قال عليه السلام: «يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوفاً تقولون قُتل أمير المؤمنين ألا لا تقتلن إلا قاتلي»^(٣).

وقال عليه السلام في كتاب له إلى أهل البصرة: «وقد كان من انتشار حبلكم وشقاقكم ما لم تغبوا عنه فعفوت عن مجرمكم، ورفعت السيف عن مدبركم، وقبلت من مقبلكم، فإن خطت بكم الأمور المردية وسفه الآراء الجائرة، إلا منابدتي وخلافي، فها أنا ذا قد قربت جيادي ورحلت ركابي، ولئن أجتأوني إلى المسير إليكم لأوقعن بكم وقعة لا يكون يوم الجمل إليها إلا كلعقة لاعق، مع أنني عارف لذي الطاعة منك فضله ولذي النصيحة حقه غير متجاوز متهما إلى برئ، ولا ناكثاً إلى وفي»^(٤).

٤: تقديم الحجج والأدلة ومناظرة الخصم من أجل إرجاعه

وهناك مقومات السلم حين الوصول إلى ميدان الحرب لمواجهة الخصم، ويتمثل في إلقاء الحججة عليه ومناظرته من أجل إرجاعه، ويجب أن يدعى إلى الحق والإعذار إليه، ففي ذلك معذرة الجيش وقيادته وبرئ الذمة في عملهم. كتب عليه السلام إلى بعض أمراء جيشه: «ولا يحملنكم شأنهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم»^(٥).

(١) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٣٩٥.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ١٥ ص ٩٢.

(٣) نهج البلاغة: الرسائل ٤٧.

(٤) بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٤٩٥.

(٥) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٣٩٥.

وقال عليه السلام في موضوع آخر: «فإن عادوا إلى ظل الطاعة فذاك الذي نحب»^(١).
وقد أشار عليه أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام بعد إرساله جرير بن عبد الله
الجلبي إلى معاوية، ولم ينزل معاوية على بيعته، فقال عليه السلام: «إن استعدادي لحرب
أهل الشام وجرير عندهم إغلاق للشام وصرف لأهله عن خير إن أرادوه»^(٢).
وقال عليه السلام وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال: «.. والله ما دفعت الحرب
يوماً إلا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي، وتعشو إلى ضوئي، وذلك أحب
إلي من أن أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء بأثامها»^(٣).

٥: إنذار الخصم بعد إقامة الحجة عليه وتخويفه

وهنا تأتي مرحلة التخويف إذا لم يستجب الخصم إلى الحجة ولم يدعن إلى
الدليل والبرهان، وهي خطوة أخرى من أجل أن يعود الخصم إلى خط الطاعة ويرجع
عن رأيه في القتال، وقد ورد في نهج البلاغة تخويف الإمام علي عليه السلام لأهل النهروان
فقال: «فأنا نذير لكم أن تصبحوا صرعى بأثناء هذا النهر وباهضام هذا الغائط على
غير بينة من ربكم، ولا سلطان مبين معكم، قد طوحت بكم الدار، واحتلبكم المقدار
وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة فأبيتم علي إباء المنابذين، حتى صرفت رأبي إلى
هواكم...»^(٤).

٦: النهي عن بدأ قتال الخصم

ومن وصية له عليه السلام لعسكره قبل لقاء العدو بصفين قال عليه السلام: «لا تقاتلوهم
حتى يبدؤوكم فإنكم بحمد الله على حجة وترككم إياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى
لكم عليهم»^(٥).

وهناك صور كثيرة ذكرت في سيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام الجهادية التي سعى فيها
لتجنيب الجيش ويلات الحرب، كي يسلم من القتال ولا تسفك منه الدماء.

(١) نهج البلاغة: الرسائل ٤.

(٢) نهج البلاغة: الخطب ٤٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٥٥٦.

(٤) نهج البلاغة: الخطب ٣٦.

(٥) نهج البلاغة: الرسائل: ١٤.

ومنها قوله ﷺ لمعاوية في صفين: «وقد دعوت إلى الحرب، فدع الناس جانباً واخرج إلي وأعف الفريقين من القتال»^(١).

وفي بحار الأنوار: (لما وافقهم علي ﷺ بالنهروان قال: لا تبدءوهم بقتال حتى يبدءوكم، فحمل منهم رجل على صف علي ﷺ فقتل منهم ثلاثة، فخرج إليه ﷺ فضربه فقتله، فلما خالطه سيفه قال: يا حبذا الروحة إلى الجنة)^(٢).

٧: القتال بدافع الإيمان ولأجل الحق

ودافع القتال يجب أن يكون الإيمان والحق، وأن لا يكون سبب قتالهم الشنآن والبغض والحق، قال ﷺ لبعض قاداته: «ولا يحملنكم شأنهم على قتالهم»^(٣).

٨: استجابة دعوة السلم من قبل الأعداء

إن الله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤). ففي هذه الآية أمر بالجنوح إلى السلم إذا جنح العدو إليها، حتى ولو كان جنوحه خداعاً ومكراً.

ويقول الله سبحانه: ﴿فَإِنْ اعْتَرَفُواكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَامُ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾^(٥).

فحينما اعتزل اليهود القتال عفا عنهم النبي محمد ﷺ في صلح الحديبية فأصبحوا بحماية الإسلام، فالقوم الذين لم يقاتلوا قومهم ولم يقاتلوا المسلمين واعتزلوا محاربة الفريقين يريدون به السلام، فهؤلاء لا سبيل للمؤمنين عليهم ويجوز عقد معاهدة الصلح معهم.

٨: في نهاية الحرب والقتال

(١) نهج البلاغة: الرسائل: ١٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٣٤٨ ب ٢٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٣٩٥.

(٤) سورة الأنفال: ٦١ و٦٢.

(٥) سورة النساء: ٩٠.

وفي وصية للإمام أمير المؤمنين عليه السلام لعسكره قبل لقاء العدو بصفين يقول:

«فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً، ولا تصيبوا معوراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساء بأذى، وإن شتمن أعراضكم وسبين أمراءكم، فإنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول، إن كنا لنؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر أو الهراوة فيغير بها وعقبه من بعده»^(١).

وفي هذه الوصية عدة نقاط تدل دلالة واضحة على اتباع السلم والأمان في نهاية المعركة في حالة النصر وهزيمة العدو، منها: حرمة قتل المدبر أو متابعة المعور^(٢)، والإجهاز على جريح، ومنع من التعرض للمرأة حتى وإن صدر منها السب والشتيم.

وقد جسد النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وأصحابهم هذه المعاني في الحروب التي اشتركوا فيها، فقال أمير المؤمنين عليه السلام لما هزم الناس يوم الجمل: «لا تتبعوا مولياً ولا تجهزوا على جريح ومن أغلق بابه فهو آمن»^(٣).

٩: عدم الشماتة بالقتلى وأخذ العظة والعبرة من أخطائهم

ومثاله أنه لما مر أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام بطلحة وعبد الرحمن بن عتاب وهما قتيلان يوم الجمل فقال: «لقد أصبح أبو محمد بهذا المكان غريباً أما والله لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب»^(٤).

وهذا الموقف يذكر بموقف الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء حينما بكى ذلك الجيش الذي قدم لقتاله لأنهم سيدخلون النار بسبب الإقدام على قتله.

هذه نظرة موجزة عن موقع السلم في الحركة الجهادية الإسلامية، ويمكن أن تستخرج نظرية متكاملة عن السلم في هذا المجال من كتاب (نهج البلاغة) فقد ذكر فيه الإمام عليه السلام الكثير من تجربته الجهادية التي استمرت من بداية عصر الرسالة وحتى استشهاده.

(١) نهج البلاغة: الرسائل: ١٤.

(٢) المعور: الذي لا حافظ له، راجع لسان العرب: المجلد الرابع ص ٦١٦ باب (عور).

(٣) الكافي: ج ٥ ص ١٠.

(٤) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٢١٢.

أسباب النزاعات والمعارك بين المذاهب الإسلامية

قد يرد سؤال يقول: لقد حدثت معارك دامية في الدولة الإسلامية وقتلت أعداد كبيرة فيها من المسلمين والمؤمنين، وإذا كان كذلك فكيف يقال عن الإسلام إنه دين المحبة والرحمة والإخاء والعدل وأنه قد أولى السلام عناية مهمة فسعى لإرساء قواعده وتثبيت أركانه بين الأمم والشعوب؟.

والجواب على هذا السؤال يكون في ثلاثة أمور:

الأول: وقعت حروب ومعارك في التاريخ الإسلامي وحدث فيها بين المسلمين قهر وسلب ونهب واعتداءات وسفكت بها الدماء وخاصة في العهدين الأموي والعباسي، ولكن هذه الحروب لا يمكن أن تحسب على الإسلام لأنها حدثت من أجل مصالح أنانية معينة لبعض الحكام ليس لها ولهم علاقة بالإسلام، لأنها لم تكن جهاداً من أجل الله عزوجل، ولم تكن من أجل قضايا إنسانية نبيلة يسوغ القتال فيها، وإنما كانت من أجل الملك والزعامة والرئاسة، وإذا كانت كذلك فلا يمكن أن تكون مقياساً للإسلام.

الثاني: لا فرق في ترتب بعض الأحكام الوضعية بين من يرتكب الموضوع خطأ أو ظلماً، سواء في البلاد الإسلامية أم في غيرها، فالأثر الوضعي يطبق على الجميع، فإذا ارتكب رجل ظلماً لزم عقابه حتى وإن لم تكن عاقبة هذا الظلم أو الخطأ قتالاً أو حرباً.

قال الرسول ﷺ: «من أخذ أرضاً بغير حق كلف أن يحمل ترابها إلى المحشر»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أعظم الخطايا اقتطاع مال امرئ مسلم بغير حق»^(٢).

وكذلك لو انقطعت العلاقات بين مجموعة من المذاهب الإسلامية، وانفصلت عرى الإخاء منهم، وبغى بعضهم على بعض، وجب السعي لإرجاع الباغي إلى العدل، وإلى التسليم لأمر الله، والانتظام في سلك القانون الإسلامي، وإذا لم يفد معهم الحكمة والموعظة الحسنة، بل شهروا السيف بوجه الناس، فيقول الله عزوجل:

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٥ ص ٣٨٨ ح ٣٢١٩٥.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٥٠ ح ٢٠٩٥٣.

﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾^(١).

ومع ذلك تؤكد الآية على أن المؤمنين إذا تقاتلوا وجب على جماعة من ذوي الرأي والحكم والحل والعقد أن تتدخل فوراً، وتصلح بين المتقاتلين، فقالت: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢). وفي هذه الآية وما ورد عن أئمة أهل البيت

عليهم السلام إشارات مهمة تدل على أهمية السلام والأمان في الإسلام ومنها:

١: تقديم الصلح على القتال، أي أن الأولوية في حل هذا النزاع هو السعي للصلح بينهما، وإذا لم تنجح هذه المهمة تأتي لاحقاً مرحلة القتال كي تفيء الفئة الباغية لأمر الله سبحانه وتعالى.

٢: لقد كرم الإسلام هذه الطائفة المصلحة للعمل المقدس الذي تقوم به، فهي تريد إنهاء هذه الحرب ومنع وقوع القتال وإحلال السلم بين الناس، ومن جملة تكريمه أنه من قتل من الطائفة المصلحة، فإنه يكون شهيداً، وله ثواب الشهيد في معركة الكفار.

٣: كان للأئمة المعصومين عليهم السلام دور كبير في حل كثير من المسائل التي تحدث بين شيعتهم عن طريق الصلح، حتى أنهم بذلوا الأموال وأجازوا صرفها من أجل ذلك، فعن ابن سنان عن مفضل قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة فافتدها من مالي»^(٣).

الثالث: إن أسباب هذه المعارك لم تختلف عن أسباب الحروب المختلفة عبر التاريخ التي تفرها أنظمة الأمم والشعوب في العالم، ومن جملة أسباب المعارك التي حدثت بين المسلمين عبر التاريخ:

١: مخالفة المواثيق والاتفاقيات ونكث العهود.

وهذه الأمور أحد أسباب حرب الجمل وصفين والنهروان، وقد أشار لها الإمام

(١) سورة الحجرات: ٩.

(٢) سورة الحجرات: ٩.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٠٩ ح ٣.

علي عليه السلام في الخطبة الشقشقية في قوله :

«فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسط آخرون»^(١).

والفئة التي نكثت بيعة الإمام عليه السلام هم طلحة والزبير وعائشة، والأخرى هي طائفة الخوارج التي مرقت عن الدين، والآخرون هم أصحاب معاوية وهي الفئة الظالمة والجائرة الباغية.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «يا معشر المسلمين قاتلوا أئمة الكفر، إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون، ثم قال عليه السلام: هؤلاء القوم هم ورب الكعبة، يعني أهل صفين والبصرة والخوارج»^(٢).

٢: ارتكاب الجرائم كالقتل والنهب وشن الغارات والعمليات الإجرامية.

وهذا أيضاً أحد أسباب قيام تلك المعارك، قال الإمام علي عليه السلام عن طلحة والزبير: «فخرجوا... في جيش ما منهم رجل إلا وقد أعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة، طائفاً غير مكره، فقدموا على عاملي بها وخزان بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها فقتلوا طائفة صبراً وطائفة غدراً»^(٣).

وقال عليه السلام في نهج البلاغة: «فقدموا على عمالي وخزان بيت المسلمين الذي في يدي، وعلى أهل مصر، كلهم في طاعتي وعلى بيعتي، فشتوا كلمتهم، وأفسدوا علي جماعتهم، ووثبوا على شيعتي، فقتلوا طائفة منهم غدراً»^(٤).

وهذا أحد أسباب قيام حرب صفين أيضاً.

فهذه الحروب والمعارك التي حدثت في البلاد الإسلامية دفاعاً عن الحق وفي وجه الذين لا يرون للناس حقوقاً، لها أسبابها القانونية والشرعية فتارة قامت لأجل قتال الباغي حتى يرجع إلى العدل، وإلى التسليم لأمر الله والانتظام في سلك القانون الإسلامي، وأخرى: من أجل الدفاع عن المستضعفين المظلومين، وتارة ثالثة: من أجل الحفاظ على صورة الإسلام الأصيل الذي يمثله القرآن الكريم والعترة الطاهرة

(١) الاحتجاج: ج ١ ص ١٩٢.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ١١ ص ٦٣ ح ١٢٤٢٩.

(٣) نهج البلاغة: الخطب ١٧٢.

(٤) نهج البلاغة: الخطب ٢١٨.

عندما تهاجم هذه الصورة بالسيف، ورابعة: من أجل الحفاظ على البلد الإسلامي وحدوده، فليس فيها ما يسيء لفكرة السلام في الإسلام، بل هي صورة ناصعة للشريعة الإسلامية وعدم شنها للحروب بل السعي لإخماد نائرة الحرب بما يمكن، وذلك لأصالة الحكم الإسلامي وواقعيته.

ويختلف حكم هؤلاء الخارجين على الحاكم العادل المعين من الله عزوجل أو المنتخب من قبل الشعب في انتخابات حرة نزيهة، ولا بد من صفات خاصة يتميز بها الخارجون حتى ينطبق عليهم وصف (البغاة) وسنذكر جملة منه والتفصيل في الفقه:

١: إذا كان الخروج بالسيف والقتال لطلب الرئاسة ومنازعة أولي الأمر المعصوم عليه السلام أو المنتخب من قبل الأمة وبكامل اختيارها، فهذا الخروج يعتبر محاربة ويكون للمحاربين حكم آخر يخالف حكم الباغين على ما هو مذكور في الفقه.

فمن قتل منهم فهو في النار، ومن قتل من جيش الحق ممن طبق حكم الله فهو شهيد، والقتال يجب أن يكون آخر المطاف بحيث تسبقه محاولة الصلح والهداية وبعد إتمام الحججة لأن حرمة النفس كبيرة عند الله كما في الآية: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(١).

وسئل أبو عبد الله عليه السلام عن قتل نفساً متعمداً؟ قال عليه السلام: «جزاؤه جهنم»^(٢).

٢: إذا بغت فئة على الأخرى بالسيف والقتال، ولم ترضخ للصلح، ولم تستجب له، وجب على المسلمين أن يجتمعوا لقتال هذه الفئة الباغية، وقد قاتل الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام الفئة الباغية، وقد اتفق الفقهاء أن الفئة الباغية لا تخرج عن الإسلام ببيعها.

٣: إذا كان للخارجين على الحاكم العادل رئيس مطاع يكون مصدراً لقوتهم، لأنه لا قوة لجماعة بدون قيادة، فإذا ما تم القضاء على رأس الفتنة فستندحر الفئة الضالة وتترك فئته وشأنهم.

(١) سورة المائدة: ٣٢.

(٢) ثواب الأعمال: ص ٢٧٨.

٤ : إذا كان الخروج على إمام المسلمين الذي عينه الله تعالى أو اجتمعت عليه الناس بصورة شرعية ، وكان الخروج مصحوباً بامتناع أداء الحقوق المقررة ، بأن يكون القصد منه عزل الإمام المعصوم عليه السلام أو المنتخب بانتخاب شرعي ، ومن ثم قام الخارجون بمحاربة المسلمين ، فتم حينئذ محاربة تلك الفئة الخارجة كما حصل في معركة النهروان.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال : «لما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من أهل النهروان فقال : لا يقاتلهم بعدي إلا من هم أولى بالحق منه»^(١).

٥ : إذا كان الخروج على الحاكم العادل التي أوجب الله طاعته على المسلمين ، فقاتلهم مشروع بشرائطه ، وإما إذا كان الخروج على إمام جائر فلهم حكم آخر ، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال : «ذكرت الحروية عند علي عليه السلام فقال : إن خرجوا على إمام عادل أو جماعة فقاتلوهم وإن خرجوا على إمام جائر فلا تقاتلوهم فإن لهم في ذلك مقالاً»^(٢).

والحديث عن قصة الخوارج وكيفية تعامل أمير المؤمنين عليه السلام معهم ، هو حديث السلم والسلام بأجلى صورته ، فرغم خلافهم مع علي عليه السلام في صفتين لم يقاتلهم في الكوفة ، بل قال لهم : لكم ما للمسلمين من الفيء ، فأخذ يعطيهم حقوقهم ويقسم لهم من بيت المال كسائر المسلمين ، وفسح لهم المجال في ممارسة شعائرهم الدينية والعقائدية والسياسية بكل حرية ، ولكنهم لما ارتكبوا جرائم القتل وشهروا السيف بوجه الناس ، قاتلهم في النهروان.

٦ : أن يكون الخارجون جماعة قوية لها شوكة وقوة ، بحيث يحتاج الحاكم لردهم إلى الطاعة ، إلى إعداد رجال ومال وسلاح ، فإن لم تكن لهم قوة وكانوا أفراداً ، أو لم يكن لهم من العتاد ما يدفعون به عن أنفسهم ، فليسوا ببغاة ، لأنه يسهل ضبطهم وإعادةهم إلى الطاعة.

(١) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٨١ ح ٢٦٠٠٢٦.

(٢) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٤٥ ح ٧.

وفي ختام هذا الفصل (السلم والسلام في باب الجهاد) تبين أن القاعدة الأولية في الإسلام هي السلم والسلام، والأصل هو اللاعنف، أما القتال والحرب فهي الاستثناء، ولا مسوغ للحرب في نظر الإسلام مهما كانت الظروف، وهو لم يأذن بالحرب إلا دفعاً للعدوان، وحماية للدعوة والمستضعفين، ومنعاً لاضطهادهم، وكفالة لحرية الدين وهي من الحريات المشروعة لكل إنسان، فإنها حينئذ تكون فريضة من فرائض الدين، وواجباً من واجباته المقدسة ويطلق عليها اسم (الجهاد) مشروطة بشروط كثيرة والتي منها فتوى شورى المراجع بذلك على ما مر تفصيلاً. قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾^(١).

مسائل في السلم والسلام الجهادي

هناك مسائل عديدة وواجبات ومستحبات وشواهد وأمور أخرى حول السلم والسلام بالمعنى الأعم في باب الجهاد الإسلامي، نشير إلى بعضها.

مسألة: يلزم على الحكومة تطبيق قانون السلم والسلام مع الشعب، فلا يجوز أن تدخل معهم في القتال والحرب، ولا يجوز لها استخدام العنف مع الناس، إلا فيما قرره الشارع وبالمقدار المقرر فقط.

مسألة: يلزم على الحكومة مراعاة قانون السلم والسلام مع المعارضة السياسية وما أشبه ولا يجوز اعتقال المعارضة ولا سجنهم ولا محاربتهم. كما لا يجوز مصادرة حرياتهم من الإعلام والصحف والتجمعات وما أشبه.

مسألة: يلزم على الحكومة أن تجعل سياستها الخارجية مبنية على السلم والسلام مع جميع الدول، فلا يجوز أن تبدأ الحرب مع أي دولة، كافرة كانت أو مسلمة.

مسألة: يلزم على الحكومة أن تسعى لشمول السلم والسلام عموم المجتمع وأفراد الشعب وأن تقضي - بالطرق المشروعة - على العصابات التي تقتات الناس.

مسألة: يلزم مراعاة قانون السلم والسلام في باب العقوبات والسجون وقد ذكرنا

(١) سورة النحل: ١٢٦.

في بعض الكتب قسماً من حقوق السجين^(١).

مسألة: يلزم مراعاة قانون السلم في الحرب، قدر الإمكان، ويجب الحيلولة دون ارتكاب العنف، فلا يجوز الحرب والقتال إلا مع الضرورة القصوى، كما يشاهد ذلك في حروب النبي ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

مسألة: يلزم على الحكومة الإسلامية مراعاة قانون السلم والسلام مع الأقليات الدينية الموجودة في البلد الإسلامي فلا يجوز لها محاربتهم.

مسألة: يلزم على الحكومة الإسلامية مراعاة قانون السلم والسلام مع الدول المجاورة فلا يجوز لها أن تحاربها.

مسألة: يلزم على الحكومة الإسلامية مراعاة قانون السلم مع سائر الدول الإسلامية.

مسألة: يلزم على الدولة الإسلامية مراعاة قانون السلم مع سائر الدول الأجنبية وعدم خوض المعارك معها.

مسألة: يحرم على الدولة الإسلامية تشجيع جماعات العنف والإرهاب.

مسألة: على الحكومة الإسلامية أن تجعل شعارها القولي والعملي السلم واللاعنف حتى تعرف بذلك، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً﴾^(٢).

مسألة: يلزم نشر وبيان الأسلوب السلمي في غزوات النبي ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

مسألة: يلزم دفع الشبه التي ترد على الإسلام وتتهمه بأنه دين العنف.

مسألة: لا يجوز تعذيب أحد من الأسرى حتى يقر بشيء أو يدلي بمعلومات، لأن ذلك من أظهر مصاديق العنف وقد حرّمه الإسلام أشدّ تحريم.

مسألة: ينبغي مراعاة قانون السلم حتى مع المجرمين الذين شاركوا في الحرب،

(١) راجع كتاب (كيف ينظر الإسلام إلى السجين) للإمام المؤلف (أعلى الله مقامه).

(٢) سورة البقرة: ٢٠٨.

وذلك بأخذ الأخف عليهم وما أشبهه.

مسألة: يلزم فضح الظالمين الذين يرتكبون أعمال العنف وينسبون ذلك إلى الإسلام سواء كانوا على شكل دول أو جماعات، ولكن الفضح يلزم أن يكون بطريق سلمي، فإنه من النهي عن المنكر بشرائطه.

مسألة: ينبغي مراعاة السلم مع الأعداء كما هو ظاهر من تاريخ الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام، وربما كان واجباً على تفصيل مذكور في الفقه.

مسألة: لا يجوز ارتكاب العنف بوجه المتظاهرين ضد الدولة.

مسألة: لا يجوز ارتكاب العنف ضد الأحزاب المعارضة للدولة.

مسألة: يلزم على الحكومة ترك مظاهر العنف حتى في الشعار، كالموت للدولة الكذائية، وما أشبهه.

مسألة: ينبغي مراعاة السلم في الفتوى فلا يُكفّر هذا ولا يفسق ذاك، ولا يجرىض الناس على قتال الآخرين حتى الكفار إلا في موارد الشرعية المقررة.

مسألة: ينبغي مراعاة السلم مع الكفار من أهل الكتاب.

مسألة: ينبغي مراعاة السلم مع الكفار من غير أهل الكتاب.

مسألة: يستحب العفو حتى عن الكفار، وهو من مصاديق السلم واللاعنف.

مسألة: يستحب الإحسان حتى إلى الكفار، وذلك من مصاديق السلم.

مسألة: يحرم قتل الناس حتى الكفار منهم، فإنه من أعظم مصاديق العنف.

مسألة: يجب تشكيل لجان للقضاء على الإرهاب العالمي بالطريقة السلمية لا بالإرهاب المماثل.

مسألة: لا يجوز العنف إلا في أقصى حالات الضرورة وبقدرها وحسب تشخيص شورى الفقهاء والمراجع.

مسألة: لا يجوز اعتقال وسجن الأبرياء فكيف بتعذيبهم لمجرد مخالفتهم للحكومة، فإنها من أعمال العنف المحرمة أشد التحريم.

مسألة: يلزم على المنظمات العالمية لحقوق الإنسان الاهتمام الأكثر لوقف الحرب

والنزاعات عن العالم أجمع.

مسألة: يلزم على الأمم المتحدة جعل برامج للصد عن وقوع الحرب بين الناس،
وبين دولة وأخرى، وأمة وأختها.

مسألة: في حالة وقوع قتال أو حرب يلزم على الجميع السعي الجاد لإنهاء الحرب
عبر المفاوضات والوساطات وما أشبهه، لإرجاع الحق إلى أهله.

الفصل الخامس

السلم والسلام في العلاقات الإنسانية والروحية

(السلم الاجتماعي)

البعد الإنساني لمفهوم المساواة في السلم

- المساواة بين الجنس البشري
- المساواة بين الرجل والمرأة في الشرع الإسلامي
- نماذج من قانون المساواة في المجتمع الإسلامي
- موارد الاستثناء في قانون المساواة
- شبهات وردود

جملة من مصاديق السلم الاجتماعي

- التحية في الإسلام
- الأخوة الإسلامية
- صلة الأرحام
- حسن الصحبة والمعاشرة

خصائص العلاقات الإنسانية في المجتمع الإسلامي

- صفات العلاقات الإنسانية في الإسلام
- أثر الأخلاق الإسلامية في دعم الروابط الاجتماعية
- مبادئ حقوق الإنسان في الإسلام

السلم والعلاقات الروحية

- علاقة الإنسان مع الله تعالى
- الإيمان بالله والفترة التي فطر الناس عليها
- الإيمان بالآخرة وأثره في إيجاد السلم والسلام

-
-
- الأنبياء ﷺ والعلاقات الروحية بين الإنسان وخالقه
 - الأمن والسلام في الآخرة

البعد الإنساني لمفهوم المساواة في السلام

مسألة: من أهم مقومات السلم والسلام في المجتمع هو قانون المساواة. وقد مرت الإشارة إلى بعض جوانب مفهوم المساواة كما في العطاء وغيره، وأما الجانب الآخر لهذا المفهوم فالمراد منه ما يتعلق بالمجتمع من الجانب الإنساني، وسيتم بحثه في هذا الفصل ضمن أربعة مواضيع تتضمن نقاطاً فرعية.

والمواضيع الأربعة هي:

١: المساواة بين الجنس البشري

٢: المساواة بين الرجل والمرأة في نظر الشارع الإسلامي

٣: نماذج من قانون المساواة في المجتمع الإسلامي

٤: موارد الاستثناء في قانون المساواة

الأول: المساواة بين الجنس البشري

حقيقة التفضيل بين الناس

من المعلوم أن مفهوم التمايز والتفاضل لم ينطلق من عصر معين، وإنما ابتدأ المفهوم الخاطئ منه منذ أن أمر الله سبحانه وتعالى الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام فخالف إبليس، فالإنسان كان هو الموجود المفضل والمكرم، ولكن إبليس رأى نفسه أفضل من الإنسان فلم يسجد له.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٦٠﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٦١﴾^(١).

وفي الآية إشارة إلى مفهوم التفاضل والخيرية وإن كان جنسهما يختلف، فإبليس من الجن وآدم من الجنس البشري، وكان الفضل لآدم، ولكن إبليس رآه لنفسه، وقد ذكر هذا المعنى في العديد من الروايات التي وردت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومنها: عن ابن أبي ليلى قال: دخلت أنا والنعمان على جعفر بن محمد عليه السلام - إلى أن

(١) سورة الأعراف: ١١ و١٢.

قال: - ثم قال عليه السلام: «يا نعمان! إياك والقياس فإن أبي حدثني عن آبائه عليهم السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من قاس شيئاً من الدين برأيه قرنه الله مع إبليس في النار، فإن أول من قاس إبليس حين قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ فدع الرأي والقياس، وما قال قوم ليس له في دين الله برهان فإن دين الله لم يوضع بالآراء والمقاييس»^(١).

التمييز العنصري للأمم المتعدنة

الإسلام ميز الإنسان على سائر الخلق، ولكن بالنسبة إلى بني آدم فقد جعلهم سواسية وأنه لا تمييز عند الله إلا بالتقوى، أما التمييز العنصري فهو مرفوض في الإسلام على عكس ما نراه اليوم وما كان في الجاهلية الأولى.

فقد كان الرومان واليونان والفرس والصين وعرب الجاهلية يعتقدون بأفضلية الإنسان الأبيض على الإنسان الأسود، ويستدلون على ذلك بأمور منها: أن أصلهما مختلف، فهما من أصلين متباينين وأن أصل الإنسان الأبيض أفضل من أصل الأسود، ولذا فهم يعتبرون الأسود كسائر الحيوانات والنباتات وأنه ما خلق إلا لأجل أن يكون خادماً وعبداً للإنسان الأبيض، ومن هنا صدرت عدة تشريعات وقوانين لصالح الإنسان الأبيض ومنها: يحق للإنسان الأبيض أن يمتلك الإنسان الأسود ويستعبده ويستغله أينما وجده ويحق له بيعه وشراؤه. ومنها: إباحة قتل العبيد السود وتعذيبهم لزعمهم أنهم من الحيوانات أو لأنهم مصدر للشر.

وكان إرث هذه النظرة السيئة للإنسان الأسود باقياً إلى القرن الماضي على الرغم من محاربة الإسلام لهذه النظرية الخاطئة واللا إنسانية.

وبسبب هذه النظرة الظالمة بدأ تجار العبيد يغزون البلدان التي يعيش فيها السود كبلاد الهند والقارة السوداء (إفريقيا) فيسرقون الشباب وكل من وجدت فيه الصفات المطلوبة، ومن كان لديه القدرة على القيام بالعمل، ثم يأتون بهم عبر البحار والمحيطات إلى أوروبا وإفريقيا لاستعبادهم وبيعهم إلى الإنسان الأبيض.

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ٤٧ ح ٣٣١٧٦.

ولم تقتصر هذه النظرة التاريخية السيئة على الإنسان الأبيض العادي تجاه الإنسان الأسود، بل كان الفلاسفة أيضا يبحثون حول المرأة هل لها روح إنسانية أم لا؟ وكان الغالبية منهم يقولون بأنه لا روح إنسانية للمرأة!.

فكما أن القوانين الوضعية الحالية تفرّق بين الإيراني والعراقي والمصري والسوري والإندونيسي والباكستاني وما أشبهه، رغم أنهم جميعا مسلمون، فمثلا في بعض البلاد المعاصرة التي تدعي الإسلام لا يجوز دخول المدارس لغير المتجنّسين بجنسية ذلك البلد أو المولودين فيها، وهكذا بالنسبة إلى العمل، فترى أنه يمنع عمل المسلم الذي من بلد آخر في هذا البلد لأنهم يعتبرونه أجنبيا!.

وهكذا كانت الأمم الجاهلية حيث كانت تحكمهم العنصرية والطبقية والطائفية والعرقية واللونية وما أشبهه.

أسباب التمايز العنصري بين الأمم والشعوب

لقد كانت هناك جملة من الأسباب التي أدت إلى نشوء هذه النظرة العنصرية

ومنها:

١: إدعاء أفضلية العنصر والأصل

وهذا الرأي تابع لما يزعمه البعض من الاختلاف في عنصر الخلق، كما تقدم من مفهوم الآية التي ادعى فيها إبليس تفضيل عنصر النار على العنصر الطيني، ولازال بعض الناس يعتقدون أنهم من نسل الآلهة أو أن بعضهم خلقوا من رأس الإله، والبعض الآخر خلقوا من صدر الإله، والبعض من يده والبعض من رجله وهكذا اختلف الناس فحصلت العنصرية على ما هو المشاهد عند بعض الأقوام والملل، ومنهم اليهود والنصارى، كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم في محكم كتابه المجيد فقالت الآية: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾^(١).

أما الإسلام فيرى كما قال رسول الله ﷺ: «إن الله أذهب نخوة العرب وتكبرها

(١) سورة المائدة: ١٨.

بآبائها ، وكلكم من آدم ، وآدم من تراب ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمُ﴾ (١) «(٢)» .

٢: الحقد والكره والبغض

وهو الذي يحدث بين الشعوب أحيانا فيؤدي إلى احتقار الآخرين وتصغير شأنهم كما ادعى هتلر (٣) تفوق الشعب الألماني على سائر الشعوب لأنه من (العنصر الآري) مما سبب حربا عالمية يعاني الناس من ويلاتها إلى هذا اليوم .

روى الشيخ المفيد رحمته الله قال: بلغني أن سلمان الفارسي دخل مسجد رسول الله ﷺ ذات يوم ، فعظموه وقدموه وصدروه إجلالا لحقه وإعظاما لشيئته واختصاصه بالمصطفى وآله عليهم السلام ، فدخل عمر فنظر إليه فقال: من هذا العجمي المتصدر فيما بين العرب ، فصعد رسول الله ﷺ المنبر فخطب فقال: إن الناس من عهد آدم عليه السلام إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط لا فضل للعربي على العجمي ، ولا للأحمر على الأسود إلا بالتقوى (٤) .

ومن هنا ورد في الروايات الشريفة النهي عن الحقد والكره والبغض للناس .

قال رسول الله ﷺ: «إياكم ومشجرة الناس ، فإنها تظهر الغرة وتدفن العزة» (٥) .

وقال عليه السلام: «ألا أنبؤكم بشر الناس ، قالوا: بلى يا رسول الله ، قال: من أبغض

الناس وأبغضه الناس» (٦) .

(١) سورة الحجرات: ١٣ .

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٢٨٧ ب ٥٦ ح ١٠ .

(٣) هو أدولف هتلر (١٨٨٩ - ١٩٤٥م) سياسي ألماني، ولد في النمسا، دخل الحزب العمالي الألماني في عام (١٩١٩م)، وأصبح زعيمة وسماه: (الحزب الوطني الاشتراكي) أي النازي عام (١٩٢١م)، حاول القيام بعصيان مسلح في ميونخ في سنة (١٩٢٣م) ففشل وسجن، وفي السجن وضع كتابه (كفاحي) عرض فيه مذهبه العرقي العنصري الذي أصبح شعار النازية، كثر مؤيدوه وقوي حزبه بفضل دعاية غوغائية مبنية على التعصب القومي، عين مستشارا في عام (١٩٣٣م) ثم رئيس الدولة المطلق في عام (١٩٣٤م) بعد وفاة هندبرغ، أقام نظاما دكتاتوريا بوليسيا، أدت به سياسته التوسعية إلى احتلال رينانيا عام (١٩٣٦م)، والنمسا وتشيكوسلوفاكيا عام (١٩٣٨م)، وبولونيا عام (١٩٣٩م)، هزم وانتحر في برلين ٣٠ نيسان عام (١٩٤٥م) .

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٨٩ ب ٧٥ ح ١٣٥٩٨ .

(٥) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٢١٠ ب ١٤ ح ٣ .

(٦) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٤٠٠ ومن ألقاظ رسول الله ﷺ الموجزة ح ٥٨٥٨ .

وفي مواضع الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «ولا تحقد عليه وإن أساء»^(١).

٣: حالة الفقر والغنى

ومن أسباب التفضيل بين الأمم والشعوب الفقر والغنى، حيث يرى البعض أن الغني أفضل من الفقير، ومن هنا يصبح الفقراء مظلومين مقهورين، ففي الهند أكثر من ثلاثمائة مليون إنسان منبوذون ويعدّون من طبقة الأنجاس، وذلك لأنهم من الطبقة الفقيرة المسحوقة.

ولكن الإسلام نفى هذه العنصرية بين الفقير والغني، قال عليه السلام: «من أكرم فقيرا مسلما لقي الله عزوجل يوم القيامة وهو عنه راض، ألا ومن أكرم أخاه المسلم فإنما يكرم الله عزوجل»^(٢).

وقال: «من أكرم مؤمنا فبكرامة الله بدأ، ومن استخف بمؤمن ذي شئبة أرسل الله إليه من يستخف به قبل موته»^(٣).

وقد نزلت الآية في ذم عثمان: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾^(٤).

وفي الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام: «من حقر مؤمنا لقلته ماله حقره الله، فلم يزل عند الله محقورا حتى يتوب مما صنع»^(٥).

وقال عليه السلام: «لا فخر في المال إلا مع الجود»^(٦). وهذا يدل على أن المال لا يكون معياراً للفخر بل الجود وهو صفة إنسانية يكرم الآخرين كما هو واضح.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قال الله تعالى: ليأذن بحرب مني من آذاني في عبدي المؤمن، وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن»^(٧).

وفي الكافي الشريف عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «جاء رجل موسر إلى رسول الله

(١) الكافي: ج ٨، ص ١٢٦ حديث أبي الحسن موسى عليه السلام ح ٩٥.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٢٦٦ ب ١٤٦ ح ١٦٢٧٠.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٦٥٨ باب وجوب إجلال ذي الشئب المسلم ح ٥.

(٤) سورة عبس: ١-٢.

(٥) مشكاة الأنوار: ص ٥٩.

(٦) مستدرک الوسائل: ج ١٥، ص ٢٦١ ب ١٦ ضمن ح ١٨١٨٣.

(٧) غوالي اللآلي: ج ١، ص ٣٦١ ح ٤٣.

ﷺ نقي الثوب فجلس إلى رسول الله ﷺ فجاء رجل معسر درن الثوب فجلس إلى جنب الموسر، فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه، فقال رسول الله ﷺ: أخفت أن يمسك من فقره شيء؟

قال: لا.

قال: فخفت أن يصيبه من غناك شيء؟

قال: لا.

قال: فخفت أن يوسخ ثيابك؟

قال: لا.

قال: فما حملك على ما صنعت؟

فقال: يا رسول الله إن لي قرينا يزين لي كل قبيح، ويقبح لي كل حسن وقد جعلت له نصف مالي.

فقال رسول الله ﷺ للمعسر: أتقبل؟

قال: لا.

فقال له الرجل: ولم؟

قال: أخاف أن يدخلني ما دخلك»^(١).

٤: المرأة والرجل

وهذا أحد الأسباب التي أدت إلى تفضيل الإنسان الجاهلي والنظرة العنصرية تجاه المرأة، فادعى جهلا أنها مصدر الشر وهي التي كانت سببا في عدم رزقه فاشتهر في مجتمعاتهم وأد البنات لذلك ولغيره من الأسباب. والإسلام يرفض كل ذلك: قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٦٢-٢٦٣ باب فضل فقراء المسلمين ح ١١.

(٢) سورة البقرة: ٢٢٨.

فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا»^(١).

قال رسول الله ﷺ: «من اتخذ زوجة فليكرمها»^(٢).

وقال ﷺ: «فأي رجل لطم امرأته لطمه أمر الله عزوجل مالكاً خازن النيران فيلطمه على حر وجهه سبعين لطمه في نار جهنم»^(٣).

وقال ﷺ: «ما زال جبرئيل يوصيني في أمر النساء حتى ظننت أنه سيحرم طلاقهن»^(٤).

وقال ﷺ: «أخبرني أخي جبرئيل ولم يزل يوصيني بالنساء حتى ظننت أن لا يحل لزوجها أن يقول لها أف، يا محمد اتقوا الله عزوجل في النساء فإنهن عوان بين أيديكم»^(٥).

٥: الغلو في الإنسان الآخر

وهذا ينظر للآخرين بأنهم الأفضل لمعايير غير شرعية، فيرى الأغنياء أو الأقوياء أو الملوك أو من أشبه أفضل من الناس العاديين، وهذا خلاف ما بينه الشرع المبين، وربما رأى نفسه حقيراً أمام هؤلاء، ولكنه ورد النهي عن الغلو، فعلى الإنسان أن لا يفضل بني نوعه على الآخرين إلا بالتقوى.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لا تتجاوزوا بنا العبودية، ثم قولوا ما شئتم ولن تبلغوا، وإياكم والغلو كغلو النصارى، فإني بريء من الغالين»^(٦).

المساواة في الفكر الإسلامي

وفي ذلك الجو الموبوء الممزق الممتد إلى هذا اليوم نزلت الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ

(١) سورة الأحزاب: ٣٥.

(٢) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ١٥٨ ف ١ ح ٥٦٠.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ٢٥٠ ب ٦٦ ح ١٦٦١٩.

(٤) غوالي اللآلي: ج ١ ص ٢٥٤ ف ١٠ ح ١٢.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ٢٥٢ ب ٦٨ ح ١٦٦٢٧.

(٦) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ص ٥٠ ح ٢٤.

رَقِيبًا»^(١)، فالأب واحد، والأم واحدة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَنَّاكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾^(٢). والمراد بالخلق الآخر كما يقول المفسرون أنه: نفخ الروح فيه^(٣).

واستطرادا نقول: هذه الآيات الكريمة تشير إلى إبطال وتفنيد نظرية دارون اليهودية التي يزعم فيها إن أصل الإنسان قرد، هذه النظرية تنافي نظرية أصل الإنسان في القرآن الكريم، وهناك أدلة شرعية تثبت العكس، هو أن أصل القرد إنسان بعد ما مسخهم الله تعالى بذنوبهم كما قال الله عزوجل في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾^(٤).

وكما عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن جده عليه السلام قال: «المسوخ من بني آدم ثلاثة عشر صنفاً منهم: القردة والخنزير والحفاش والضب والفيل والدب والدعموص والجريث والعقرب وسهيل والقنفذ والزهرة والعنكبوت»^(٥).
وفي آية أخرى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾^(٦).

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٧).
وقال عزوجل: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِّن بَعْضٍ﴾^(٨).

ومن خلال هذه الآيات الكريمة يتضح أن الأصل في الإسلام هو المساواة بين أفراد

(١) سورة النساء: ١.

(٢) سورة المؤمنون: ١٢ - ١٤.

(٣) راجع موسوعة الفقه: كتاب العقائد ص ٥٨، للإمام المؤلف رحمته الله.

(٤) سورة البقرة: ٦٥.

(٥) وسائل الشيعة: ج ٢٤ ص ١٠٩ ح ٣٠١٠٠.

(٦) سورة الطارق: ٥ - ٨.

(٧) سورة الحجرات: ١٣.

(٨) سورة آل عمران: ١٩٥.

البشر في الإنسانية والبشرية، والإسلام يرى أن الناس جميعاً خلقوا من نفس واحدة وهو آدم عليه السلام، وزوجته وهي حواء عليها السلام، ويرى عدم التفاضل في الفطرة وإنما الكل على الفطرة، كما قال سبحانه: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(١)، ويرى أن الناس متساوون في الواجبات والحقوق في غير ما استثني لحكمة عقلية، ومقتضى كل ذلك هو السلم والسلام العام، فالجميع أمام شريعة الله تعالى سواء، فشريعته سبحانه تسري على الغني والفقير، والكبير والصغير، والحاكم والمحكوم، والفاضل والمفضول.

أما المفاضلة الطبقية وما أشبه فهي توجب النزاعات والحروب وتكون سبباً لكثير من مصاديق العنف، كما في الحروب النازية والصليبية وغيرها.

وقد ذكر القرآن الحكيم والأحاديث الشريفة طبيعة الإسلام التي تنظر بالتساوي للإنسان حيث قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾^(٢)، فالجميع من رب واحد ومن أب واحد وأم واحدة وكلهم إلى معاد واحد ولهم نبي واحد في آخر الزمان، كما أن هناك مصلحاً لجميعهم يأتي ليصلح البشرية جمعاء^(٣). ولاشك أن إشادة الإسلام بهذا المبدأ وترسيخه في أذهان الأمم والشعوب فيه دلالة على تكريم الإسلام للإنسانية، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾^(٤).

ثم إن الله سبحانه وتعالى كرم هذا الإنسان الذي ينتمي إلى هذه الأسرة البشرية التي تعيش على الأرض بغض النظر عن جنسه، ولونه، ودينه، ولغته، ووطنه، وقوميته، ومركزه الاجتماعي، ومن مظاهر هذا التكريم أيضاً خلق الله سبحانه وتعالى

(١) سورة الروم: ٣٠.

(٢) سورة الأعراف: ١٨٩.

(٣) عن العباس بن عبد المطلب قال: إن النبي ﷺ قال: «يا عم يملك من ولدي اثنا عشر خليفة ثم تكون أمور كربيهة وشدائد عظيمة ثم يخرج المهدي عليه السلام من ولدي يصلح الله أمره في ليلة فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ويمكث في الأرض ما شاء الله ثم يخرج الدجال». كشف الغمة: ج ٢ ص ٥٠٥.

(٤) سورة الإسراء: ٧٠.

الإنسان بقدرته، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً، وجعله سيداً على هذا الكوكب الأرضي واستخلفه فيه ليقوم بعمارتها وإصلاحه، ومن أجل أن يكون هذا التكريم حقيقة واقعة، وأسلوباً في الحياة، كفل الإسلام جميع حقوق الإنسان، وأوجب حمايتها وصيانتها، سواء أكانت حقوقاً دينية، أو مدنية، أو سياسية، وسيأتي ذكر بعضها في موضوع الحقوق.

ومن الأدلة على تكريم الله سبحانه وتعالى للإنسان قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾^(١).

ومن مظاهر تكريم الله سبحانه وتعالى للإنسان ما ذكره عزوجل بقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾^(٢).

وفي آية أخرى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣).

وقال سبحانه: ﴿يُنَبِّئُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالرَّيْثُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً ثَلْبُسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلِيَتَّبِعُوهُ مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٤).

إلى غيرها من الآيات التي هي مظهر تكريم الله سبحانه وتعالى للإنسان.

وكما أن الله تعالى كرم الإنسان فقد أراد من عبده أن يكرم بعضهم بعضاً، بل ويكرموا أنفسهم كما في الحديث: «إن لبدنك عليك حقاً»^(٥).

(١) سورة البقرة: ٣٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٢.

(٣) سورة الأنعام: ١٦٥.

(٤) سورة النحل: ١١ - ١٥.

(٥) راجع شرح رسالة الحقوق: ص ٩٤، وفيه: (إن لنفسك عليك حقاً).

وفي حديث آخر عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى فوض إلى المؤمن كل شيء إلا إذلال نفسه»^(١).

فإنه كرم الإنسان على كثير من خلقه، وهنا يرد سؤال بأن التكريم إذا كان على كثير، فهل هنالك غير هذا الكثير بحيث يتساوى مع بني آدم في الفضل أو أنه أفضل من بني آدم؟.

والجواب: لا، وإنما الأكرم هو الإنسان فقط، وهذا تعبير قرآني بليغ حيث تقضي البلاغة في بعض الأحيان عدم ذكر الكلية وعدم الجزم بالأمر، ولذا نشاهد كثيراً ما استعملت كلمة (لعل) في القرآن الحكيم مع أنه سبحانه وتعالى يعلم الواقع، قال سبحانه: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٢)، إن عقلاء العالم وبلغاءهم كثيراً ما يستخدمون (ليت) و(لعل) في محاوراتهم، لا بالقطع واليقين وإن كانوا قاطعين متيقنين.

فالتنتيجة أن الله عزوجل جعل الإنسان مكرماً وأراد منه أن يكرم نفسه ويكرم بني نوعه، وهذا من أسس السلم والسلام الاجتماعي، فإن العنف مذلة للإنسان ولبني نوعه كما لا يخفى.

سيرة الأنبياء عليهم السلام في تعاملهم الإنساني

وقد قامت سيرة الأنبياء عليهم السلام على ترسيخ هذا المبدأ السماوي الذي يدعو للمساواة بين الإنسانية، فهم كغيرهم من بني البشر عبيد لله سبحانه، ونجد هذا المعنى واضحاً في سيرة النبي عيسى بن مريم عليه السلام وقد أعلن الله سبحانه وتعالى ذلك في القرآن الحكيم رداً على قول النصارى الذين كانوا يقولون إنه إله أو ابن إله، فقال سبحانه: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٣).

وقد ترجم هذه السيرة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أقواله وسيرته وتصرفاته فمن أقواله صلى الله عليه وآله وسلم: «أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من

(١) الكافي: ج ٥ ص ٦٣ ح ٣.

(٢) سورة سبأ: ٢٤.

(٣) سورة النساء: ١٧٢.

تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود فضل إلا بالتقوى»^(١).

وهو ﷺ على عظمته كان يقول: (أنا بشر)، حيث قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾^(٢)، ولكن الفارق الوحيد هو أنه (يوحى إليه) دون غيره، وذلك مثل ما يقال: أن الشخص الذي في القرية الفلانية مثل سائر أفرادها إلا أنه تعلم العلم فصار عالماً.

وقد قال رسول الله ﷺ أيضاً: «الناس من آدم وآدم من تراب» الخبر^(٣).

وفي الشعر المنسوب إلى علي أمير المؤمنين ﷺ في هذا المعنى:

الناس من جهة التمثال أكفاء أبوهم آدم والأم حواء^(٤)

وأما في سيرته ﷺ فقد ورد في رواية أن بعض الصحابة كانوا يميلون إلى ترفيع النبي ﷺ كترفيع النصراني لعيسى ﷺ، فقال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصراني عيسى بن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»^(٥)، وربما من هنا صار التأكيد في كل صلاة على عبوديته حيث في التشهد نقول: «أشهد أن محمداً عبده ورسوله»^(٦).

وهذه جملة من الشواهد على سيرته العظيمة التي دلت فيها على إنسانيته ومساواته مع بني البشر في هذا الجانب:

عن ابن مسعود قال: أتى النبي ﷺ رجل يكلمه فأرعد، فقال ﷺ: «هون

عليك فلمست بملك إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القد»^(٧).

وعن الرضا ﷺ عن آبائه ﷺ قال: قال علي ﷺ: «أنا عبد الله وأخو

(١) راجع جامع الأخبار: ص ١٨٣، ومعدن الجواهر: ص ٢١.

(٢) سورة الكهف: ١١٠.

(٣) مكارم الأخلاق: ص ٤٣٨.

(٤) ديوان الإمام علي ﷺ: ص ٢٤.

(٥) خلاصة عبقات الأنوار: ج ٣ ص ٣١١.

(٦) راجع مستدرک الوسائل: ج ٥ ص ١٠ ح ٥٢٤٥.

(٧) مكارم الأخلاق: ص ١٦، وبحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٢٩.

رسوله لا يقولها بعدي إلا كذاب»^(١).

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما أنا عبد آكل أكل العبيد وأجلس جلسة العبيد»^(٢).

وعمن سمع رسول الله ﷺ يقول: «أنا عبد الله اسمي أحمد»^(٣).

وعن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام: «إن أمير المؤمنين عليهما السلام لما فرغ من أهل البصرة أتاه سبعون رجلاً من الزط فسلموا عليه وكلموه بلسانهم، فرد عليهم بلسانهم ثم قال عليهما السلام لهم: إني لست كما قلتكم! أنا عبد الله مخلوق، فأبوا عليه وقالوا: أنت هو.

فقال عليهما السلام لهم: لئن لم تنتهوا وترجعوا عما قلتكم في وتوبوا إلى الله عزوجل لأقتلنكم.

فأبوا أن يرجعوا ويتوبوا، فأمر أن تحفر لهم آبار فحفرت ثم خرق بعضها إلى بعض ثم قذفهم فيها ثم خمر رؤوسها ثم ألهمت النار في بئر منها ليس فيها أحد منهم فدخل الدخان عليهم فيها فماتوا»^(٤).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهرائي أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى النبي ﷺ أن يجعل مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه فبنينا له دكاناً من طين فكان يجلس عليها ويجلس بجانبه»^(٥).

وعن أبي عبد الله عليهما السلام يقول: «مرت برسول الله ﷺ امرأة بذيئة وهو جالس على الحضيض يأكل، فقالت: يا محمد إنك لتأكل أكل العبد وتجلس جلوسه؟

فقال لها رسول الله ﷺ: ويحك وأي عبد أعبد مني؟

قالت: فناولني لقمة من طعامك، فناولها.

فقالت: لا والله إلا التي في فيك.

(١) بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ٣٣٤ ح ٨.
 (٢) مستدرک الوسائل: ج ١٦ ص ٢٢٨ ح ١٩٦٧٤.
 (٣) بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ٣٩٧ ح ١١٩.
 (٤) الكافي: ج ٧ ص ٢٥٩ ح ٢٣.
 (٥) مكارم الأخلاق: ١٦.

قال عليه السلام: فأخرج رسول الله صلوات الله وسلاماته عليه لقمة من فيه فناولها.

قال عليه السلام: فأكلتها.

قال أبو عبد الله عليه السلام: فما أصيبت بداء حتى فارقت الدنيا»^(١).

وعن أنس بن مالك قال: إن النبي صلوات الله وسلاماته عليه أدركه أعرابي فأخذ بردائه فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله صلوات الله وسلاماته عليه وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جذبته ثم قال له: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله صلوات الله وسلاماته عليه فضحك وأمر له بعتاء^(٢).

وهذه تدل على نظرة الإسلام في المساواة بين الناس وهي من أسس السلم والسلام في المجتمع.

الثاني: المساواة بين الرجل والمرأة في الشرع الإسلامي تشريعات الإسلام وفق العدالة الواقعية

سن الإسلام بالنسبة إلى المرأة ما سنه للرجل والأصل بالنسبة إليهما المساواة، نعم قد تقتضي العدالة بعض الفروق فعندئذ شرع بعض القوانين الخاصة وهي في مصلحة المرأة نفسها.

فإن الإسلام في كل تشريعاته يلاحظ العدالة الواقعية، والله سبحانه هو العالم بالمصالح والمفاسد الواقعية حتى قال سبحانه في القرآن الحكيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٣).

وقد أشار الإسلام بكل وضوح عبر الآيات الكريمة والأحاديث النبوية إلى التساوي بين الرجل والمرأة كأصل أساسي إلا فيما خرج بالدليل مما لا يكون من قاعدة التساوي بل العدالة وقد سبق أن دليل العدالة حاكم على دليل التساوي.

فالتساوي حاكم كأصل أولي بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات ومختلف

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٦ ص ٢٢٧ ح ١٩٦٧٠.

(٢) مكارم الأخلاق: ص ١٧.

(٣) سورة النساء: ١٣٥.

مصاديق الإنسانية، عبادة ومعاملة وقضاء وغيرها، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١). وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾^(٢).

وقال أيضا: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٣).

وقال عزوجل: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٤).

وقال أيضا: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾^(٥).

وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلْحَرِيقٍ﴾^(٦).

وهناك بعض التفاوت النادر بينهما بحسب الاستعدادات المختلفة والقابليات المتفاوتة، حيث إن المرأة في خلقها تميل إلى العاطفة أكثر، والرجل في خلقه يميل إلى العقل أكثر، وذلك حسب الحكمة في خلقه تعالى والمذكورة في محلها، بلا صلة في ذلك بالوضع الإنساني بين الجنسين فلا ميزة لأحدهما على الآخر حسب الخلق، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾^(٧).

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ

(١) سورة التوبة: ٧١.

(٢) سورة الأحزاب: ٥٨.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٣.

(٤) سورة الفتح: ٥.

(٥) سورة نوح: ٢٨.

(٦) سورة البروج: ١٠.

(٧) سورة النساء: ١.

مَنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ»^(١).

وفي التفسير: أن أم سلمة سألت رسول الله ﷺ عن وجه عدم تعرض بعض الآيات للمرأة في مختلف مراحلها العبادية والمعاملية، فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية المباركة نفيًا لما توهمته أم سلمة: «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا * وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا»^(٢)، وفي هذه الآية الكريمة التساوي الكامل بينهما.

وفي بعض الآيات التساوي إلا بدرجة، كما قال سبحانه: «وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ»^(٣)..

ومعنى الدرجة المذكورة في التفسير^(٤) وهو لا يرتبط بالإنسانية وعدم التمييز فيها، حيث إن المرأة تغلب عليها العاطفة لمحلها التكويني في إدارة الأسرة وتربية الأجيال القادمة، والرجل يغلب عليه الجانب العقلي بالنسبة، على الجانب العاطفي، وهذه الحلقة المتفاوتة التي جعلت لحكمة رفيعة هي التي سببت أن يكون للرجال عليهن درجة.

وقال سبحانه: «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا»^(٥).

وفي آية أخرى: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ

(١) سورة آل عمران: ١٩٥.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٥-٣٦.

(٣) سورة البقرة: ٢٢٨.

(٤) راجع تفسير تقريب القرآن للمؤلف ﷺ: ج ٢ ص ٨٠، وفيه: (فإن بيده الطلاق وله عليها الطلاق).

(٥) سورة النور: ٣٠-٣١.

وَرَسُولُهُ أَوْلَاكَ سَيَرَحْمَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾.

وقد ذكرنا في بعض الكتب المعنية بهذه الشؤون أن المرأة كانت تستشار حتى من شخص رسول الله ﷺ، وقد ورد في القرآن الحكيم سورة حول قصة خولة التي كانت تحاور الرسول ﷺ في زوجها فتشتكي إلى الله، حيث قال سبحانه: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٢).

ولم يسبق الإسلام قانون من قوانين البشر ولم يأت بعده ولن يأتي دستور من دساتيرهم يساويه أو يفوقه في إكرام المرأة وإعطائها حقوقها الإنسانية والإسلامية بشكل يحافظ على مكانتها وشرفها، لوضوح كون الحق الإسلامي هو من خالق الإنسان العالم بجميع خصوصياته، فقد نادى القرآن الكريم بحقوقها كاملة وطبقه الرسول ﷺ والأئمة الطاهرون عليه السلام تطبيقاً كاملاً.

المرأة في الغرب

أما ما نراه اليوم في الغرب مما يزعمون أنهم أعطوا للمرأة حقها وكرامتها فأغلبه لا يكون إلا إهانة للمرأة وسحقاً لكرامتها، كما تشهد بذلك لغة الأرقام والإحصاءات المنشورة والحقائق المشهودة.

وإن فرضنا أنهم أعطوها بعض حقوقها - ظاهراً لا واقعاً - ولكن ظلموها وأهانوها وأباحوا عرضها وجعلوها سلعة معروضة في الأسواق، يأخذ منها التاجر حصته ويقضي منها المستهتر نهمه، ثم يتركونها بلا عائل ولا عاطف.

إن الغرب أعطى للمرأة بعض الحرية وفي المقابل أخذ منها الشيء الكثير.

بينما الإسلام أعطى المرأة الحرية والكرامة ولم يأخذ منها شيئاً.

دية المرأة

(١) سورة التوبة: ٧١.

(٢) سورة المجادلة: ١، وراجع تفسير تقريب القرآن: ج ٢٨ ص ١٤ وفيه: ﴿قد سمع الله قول المرأة التي ﴿ تجادلك ﴾ أي تراجعك وتتكلم معك يا رسول الله ﴿ في ﴾ أمر ﴿ زوجها ﴾ واسم المرأة خولة واسم زوجها أوس ﴿ وتشتكي إلى الله ﴾ حالها وما نزل بها من المكروه ﴿ والله يسمع تحاوركما ﴾ أي تخاطبكما أنتما يا رسول الله ويا أيتها المرأة ﴿ إن الله سميع ﴾ يسمع الكلام ﴿ بصير ﴾ يبصر الأحوال، فأنتما باطلاعه سبحانه استماعاً وإبصاراً.

قد يقال: إن هناك عدم تساوي في باب الدية بين الرجل والمرأة!.

والجواب: إن ما ورد من الاختلاف في الدية فهو من القيم الاقتصادية لا القيم الإنسانية فإن الديّات قيمة اقتصادية لا قيمة بشرية، كاختلاف أجره عامل عن عامل مع أنهما متساويان في الإنسانية. وقد ذكرنا تفصيلها في كتاب الديّات.

حصص الإرث

وأما ما أعطي للرجل من ضعف نصيب الأنثى في بعض موارد الإرث فهو نصيب للرجل المكبل بالتكاليف والأعباء الواجبة من لزوم النفقة على الأهل والعيال، بينما المرأة لا تحمل مثل ذلك التكليف والعبء.

وقد ذكرنا في بعض كتبنا أن النصف الذي تأخذه المرأة ميراثا ربما يكون أكثر بالنسبة إلى الواحد الصحيح الذي يأخذه الرجل.

لا يقال: إن ذلك يوجب الإجحاف بحق الرجل.

لأنه يقال: إن الرجل بسبب إمكانيّاته الجسميّة وأعماله الخارجيّة يتمكّن من القيام بهذا النقص.

شهادة المرأة

وكون شهادة المرأة نصف شهادة الرجل في بعض الموارد فليس ذلك مسا مجقها وخذشا لكرامتها، فإن المرأة بطبيعتها العاطفية ووظائفها الأمومية والعملية ينمو فيها جانب العطف والانفعال - وهو كمال لها - بقدر ما ينمو في الرجل جانب التأمل والتفكير، فإن العمل ينمي في الشخص موازين الأعمال التي يمارسها، فإذا نسيت المرأة أو وقعت تحت تأثير الانفعال كانت الثانية مذكرة لها.

فالمسألة هنا مسألة ملابسة عملية في الحياة ودقة في باب القضاء، لا مسألة تمييز جنس بذاته على جنس آخر وعدم المساواة بينهما.

ولهذا يقول الله سبحانه في هذا الصدد:

﴿فَتَذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾^(١).

ظلم الغرب للمرأة

(١) سورة البقرة: ٢٨٢.

وقد ذكر أحد الكتاب بأنه يحسن أن لا ننسى التاريخ، وأن لا نميل إلى القشور الخادعة التي تكتفنا اليوم، فإن المرأة أخرجها الغرب من البيت وأخذت تعمل في أشياء ليس من شأنها العمل فيها، حتى فقدت جزء من صفاتها وأنوشتها^(١)، لأن الرجل هناك تحلّى عن كفالتها وإعالتها إلا أن يقتطع الثمن من معيشتها وكرامتها وراحتها ورفاهها، ولذا فقد اضطرت المرأة أن تعمل.

ويحسن أن نذكر أنها حين خرجت للعمل انتهز الغرب المادي حاجتها، واستغل

(١) راجع مجلة (المجلة): العدد ١٠٠٢ ص ٥، وفيها: إن خروج المرأة للعمل قد أضر بأفراد أسرتها، وبالاقتصاد، وقبل كل شيء أضرّ بنفسيتها. ولهذا نحث على تعليم المرأة، وبقائها في البيت لتربية أولادها... ولا يخفى على أحد النتائج السلبية لوجود الخادמות على تربية ► ◀ الأولاد، ومدى الهدر الحاصل في المياه والكهرباء وحتى المواد الغذائية الذي يتم على أيدي الخادמות عن جهل وإهمال. هذا عدا الاعتماد الشديد على الخادمة من قبل الأولاد والزوج لدرجة التعلق بها، وقصص هذا التعلق موجودة حولنا ونراها في تصرفات الأبناء الذين يصابون بالاكنتاب لغياب الخادمة ولا يؤثر فيهم غياب أو سفر الأم، وبتصرفات قلة من الأزواج الذين تزوجوا بخادمتهم. أما على صعيد المرأة ذاتها التي خرجت للعمل فإن سلبات خروجها تتمثل بتحملها لضغوط نفسية في العمل وفي البيت مما يجعلها عصبية المزاج ومقصرة في المكانين (عملها والمنزل). وحتى حصولها على راتب يرفع من مستوى الأسرة اقتصاديا فإنه يؤدي إلى هدره أو هدر جزء كبير منه في رواتب وتذاكر سفر للخدم ومتطلبات العمل من سيارة وملابس واضطرار الأسرة إلى الاستعانة بالمطاعم. وبسبب حالة المرأة العصبية في كثير من الأحيان ارتفعت نسبة الطلاق في دول مجلس التعاون الخليجي بشكل مخيف، وعلى صعيد المرأة العاملة غير المتزوجة ارتفعت نسبة العنوسة وتأخر سن الزواج لدى المرأة. وبسبب اعتماد الأم العاملة على الخدم أصبحت الأم العصرية لا تحسن أداء أهم أعمال المرأة الضرورية كالطبخ والكي وبعض أعمال الخياطة البسيطة التي تتقنها أمهاتنا. أما على الصعيد الاقتصادي المتعلق بالدولة فإن خروج المرأة للعمل حرم الشباب من الحصول على وظيفة، وانتشرت البطالة في العديد من الدول الإسلامية والأجنبية على حد سواء. ففي الكويت فقط وصل عدد العاملات من الإناث الكويتيات في القطاع الحكومي فقط إلى أكثر من (٥٢) ألف موظفة مقابل (٥٨) ألف موظف من الذكور. ومئات العاطلين عن العمل من الرجال، تبعا لإحصائية عام (١٩٩٨م). ولا ننسى أن خروج المرأة للعمل واضطرارها إلى الاستعانة بالخدم أربك الدولة في جهودها لتعديل التركيبة السكانية، فحجم الخدم يكاد يصل إلى نصف حجم العمالة غير الكويتية في الكويت. وهذه العمالة تتطلب توسيع الخدمات التي تقدمها الدولة من مرافق صحية وغيرها لتتناسب مع زيادة تلك العمالة الهامشية..

فرصة زيادة العرض ليرخص من أجرها واستغنى أصحاب الأعمال بالمرأة الرخيصة الأجر عن العامل الذي بدأ يرفع رأسه ويطالب بأجر كريم، وحين طالبت المرأة هناك بالمساواة كانت تعني أولاً وبالذات المساواة في الأجور لتأكل وتعيش، فلما لم تنلها طالبت بحق الانتخاب ليكون لها صوت يحسب حسابه، ثم طالبت دخول البرلمان ليكون لها صوت إيجابي في تعزيز المساواة، لأن القوانين التي تحكم المجتمع يسنها الرجل وحده.

علماً بأن حق الانتخاب حق مشروع للمرأة ولا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة، بل ذكرنا في بعض الكتب بأنه حق مشروع حتى للأطفال، فلهم حق الانتخاب عبر أوليائهم.

وبما أن هذه الأمور التي سحقت كرامة المرأة ليست من شرع الله سبحانه وتعالى الذي يعدل بين عباده رجالاً ونساء فقد جاء الإسلام بأعدل القوانين للرجل والمرأة، وسأوى بينهما في الأمور كلها إلا ما خرج بالدليل، ومن هنا ذكرنا في بعض الكتب أن مقتضى القاعدة أن يكون لها حق أن تنتخب وتنتخب - في الإطار الإسلامي - إذ ليس في الإسلام شيء يمنع من أمثال هذه الأمور.

والحاصل أن المرأة وقعت بين الإفراط والتفريط قديماً وحديثاً، ولم تنل حقها من شرع الله سبحانه وتعالى حسب ما جاء به الإسلام وما أقره علماء المسلمين، مثلما فعل جملة من الحكام المنحرفين الذين سموا أنفسهم بالخلفاء كبنو أمية وبنو العباس وبنو عثمان، فقد أهانوا المرأة بملء بيوتهم بالراقصات والغانيات، ومئات الإماء وربما آلافها من دون رعايتهن، وذلك لمجرد البذخ والترف والمفاخرة وقضاء الأمور الجنسية، لهم ولخدمهم وعبيدهم حتى يطيعوهم أكثر، ويمثلوا لما يريدون من إظهار الأبهة والشخصية والقساوة والدكتاتورية.

الثالث: نماذج من قانون المساواة في المجتمع الإسلامي

الفرق بين نظرة الإسلام والغرب لمفهوم المساواة

وعندما يتأمل الإنسان طغیان الطبقات بعضها على بعض ، أو طغیان الحاکمین على المحکومین ، وعندما یولّی وجهه شطر الأمم التي تجعل لنفسها أجناسا في المرتبة الأولى وسائر الناس في المراتب المتأخرة ، يعرف فضل الإسلام الذي يدعو للسلام كي تسود العدالة والمساواة والأخوة في الأرض ، حتى أن القرآن الحکیم جعل الأخوة بين أشد الكفار عتوا وأفضل الأنبياء ﷺ في أزمتهن سمواً ورقياً ، حيث قال سبحانه : ﴿وَالِيَّ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾^(١).

وقال تعالى : ﴿وَإِخْوَانٌ لُّوطٍ﴾^(٢).

وقال عزوجل : ﴿وَالِيَّ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾^(٣).

فالإسلام يدعو إلى السلم والسلام حتى يكون هناك إخاء حقيقي بين الأبيض والأسود ، والقوي والضعيف ، والغني والفقير ، والشريف والوضيع ، وحتى لا يكون هناك عدوان على الأرض ، سواء من طائفة على طائفة ، أو جنس على جنس ، أو قطر على قطر ، أو لون على لون ، أو لغة على لغة ، أو منطقة على منطقة .

فلا تفرقة بين الناس والقبائل والأمم سواء تغايرت بالأوصاف العرقية كالأبيض والأسود ، أو بالأوصاف العرضية كالغنى والفقير ، والقوة والضعف ، واللغة وغيرها . المسلمون بمنزلة الجسد الواحد

كان الكلام المتقدم في النظرة الشمولية بين الإنسان وبني نوعه بصورة عامة وأما ما يتعلق بأسس السلام بين المسلمين أنفسهم في الإسلام ، فقد جعلهم بمنزلة الجسد الواحد يحس بإحساس واحد ، فإن الجسم الواحد إذا أصيب في يده أو رجله أو عينه أو قلبه أو أي مكان آخر منه ، أو مرض أو تعب أو ما أشبه ذلك .. كان كل الجسد يتعاطف معه ويتحنن إليه ، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام : «المؤمنون في تبارهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى تداعى له سائرته بالسهر والحمى»^(٤).

فإذا أصيبت اليد بالألم لا ينام الإنسان وتأخذه الحمى ، ولو كانت العين أو الأذن

(١) سورة الأعراف: ٦٥ ، وسورة هود: ٥٠ .

(٢) سورة ق: ١٣ .

(٣) سورة الأعراف: ٧٣ ، وسورة هود: ٦١ .

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٤٢٤ ح ١٤٥٠٦ .

أو سائر الأعضاء سالمة، وهكذا المسلمون إذا أصاب أحدهم شيء مكروه كأنه أصاب كل الجسد، فالكل يجتمعون حتى يدفعوا ذلك الشيء.

وقد مدح القرآن الحكيم الرسول الأعظم ﷺ خصوصاً وعموماً من هذه الجهة، أما مدحه الخاص، فقد قال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(١).

وأما مدحه العام فقوله سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٢).

وكلمة: ﴿لهم﴾ تشمل المسلمين وغير المسلمين، فإن رسول الله ﷺ كان لنا حتى مع الكفار كما كان لنا مع المسلمين.

وأما قوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ فإنه استثناء، وفي موارد تقتضي الشدة كميدان الحرب - مضافا إلى ما ورد في تفسير الآية من المقصود بالشدة -

فإن الشدة في الحرب تكون كالعملية الجراحية وفي حالات الضرورة القصوى وبقدر خاص لا يتجاوز عنه حتى بقدر شعرة، تقول الآية الكريمة: ﴿مَحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾^(٣) وسيرته ﷺ العطرة خير دليل على ذلك، فإنه ﷺ أعطى الماء لأهل بدر^(٤)، وأرسل بالذهب إلى أهل مكة بعد حرب خيبر، وأطلق كثيرا من أسرى الكفار مباشرة أو تسيباً، وعفا عن أهل مكة^(٥) إلى غيرها من القصص الكثيرة التي تدل على عدم معاملة الكفار معاملة عنيفة.

كما أنه يدل على ذلك عموماً قوله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(٦)، ولم يخص ذلك بالمسلمين فحسب بل سيرته الطاهرة وفي قصص كثيرة تدل على

(١) سورة التوبة: ١٢٨.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٣) سورة الفتح: ٢٩.

(٤) شرح نهج البلاغة: ج ١٤ ص ١٢٢ ف ٣ قصة غزوة بدر.

(٥) راجع قرب الإسناد: ص ١٧٠، وفيه: وأهل مكة كانوا أسرى فأعتقهم رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الطلقاء»، للتفصيل راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم) للإمام المؤلف (أعلى الله مقامه).

(٦) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٨٢ ح ١٧.

الشمولية وعدم الاختصاص.

المساواة في القضاء

يهدف الدين الإسلامي الحنيف إلى إقامة مجتمع العدل والمساواة، كما دلت على ذلك الآيات الكريمة والروايات الشريفة وهي كثيرة في هذا الباب:

قال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً]^(١).

وقال سبحانه: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعِرْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا]^(٢).

وقال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ]^(٣).

وقال سبحانه: [وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ]^(٤).

وقال تعالى: [وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ]^(٥).

وقال سبحانه: [إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ]^(٦).

(١) سورة النساء: ٥٨.

(٢) سورة النساء: ١٣٥.

(٣) سورة المائدة: ٨.

(٤) سورة الأنعام: ١١٥.

(٥) سورة الأنعام: ١٥٢.

(٦) سورة النحل: ٩٠.

وقال تعالى: [فَإِذْ لِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ]^(١).

وقال سبحانه: [وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ]^(٢).

وعن رسول الله ﷺ: «أنه نهى أن يجابي القاضي أحد الخصمين بكثرة النظر وحضور الذهن ونهى عن تلقين الشهود»^(٣).

وعنه ﷺ أنه قال: «العدل ميزان الله في الأرض فمن أخذه قاده إلى الجنة ومن تركه ساقه إلى النار»^(٤).

وقال علي عليه السلام: «العدل حياة»^(٥).

وقال عليه السلام أيضاً: «إن العدل ميزان الله سبحانه الذي وضعه في الخلق ونصبه لإقامة الحق، فلا تخالفه في ميزانه، ولا تعارضه في سلطانه»^(٦).

وعنه عليه السلام أنه قال: «في العدل إصلاح البرية، في العدل الاقتداء بسنة الله، في العدل الإحسان»^(٧). وعنه عليه السلام أنه قال: «غاية العدل أن يعدل المرء في نفسه»^(٨).

وعن الإمام الرضا عليه السلام قال: «اعلم أنه يجب عليك أن تساوي بين الخصمين حتى النظر إليهما حتى لا يكون نظرك إلى أحدهم أكثر من نظرك إلى الثاني»^(٩).

وكذلك لكل إنسان الحق في القضاء المتساوي مع الآخرين، فلا حق للقاضي أن يقول إن هذا عالم فهو مقدم على الجاهل في القضاء، فيعطي للعالم الحق دون

(١) سورة الشورى: ١٥.

(٢) سورة الحجرات: ٩.

(٣) مستدرك الوسائل: ج ١٧ ص ٣٥٠ ح ٢١٥٤٩.

(٤) مستدرك الوسائل: ج ١١ ص ٣١٧ ح ١٣١٤٥.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٩٩ ح ١٦٩٩.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٩٩ ح ١٦٩٦.

(٧) مستدرك الوسائل: ج ١١ ص ٣١٨ ح ١٣١٤٦.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٣٦ ح ٤٧٥٧.

(٩) بحار الأنوار: ج ١٠١ ص ٢٧٦.

الجاهل، أو يقول: هذا شريف، أو ثري، أو سلطان، أو ذو عشيرة، وذلك غيره، أو هذا من وطني وذلك أجنبي، إلى غير ذلك، وقد حضر رسول الله ﷺ مع أعرابي عند قاض في قصة الناقة المشهورة، كما عن ابن عباس قال:

خرج رسول الله ﷺ من منزل عائشة فاستقبله أعرابي ومعه ناقة فقال: يا محمد

تشتري هذه الناقة؟

فقال النبي ﷺ: «نعم بكم تبيعها يا أعرابي؟»

فقال: بمائتي درهم.

فقال النبي ﷺ: «بل ناقتك خير من هذا».

قال: فما زال النبي ﷺ يزيد حتى اشترى الناقة بأربعمائة درهم.

قال: فلما دفع النبي ﷺ إلى الأعرابي الدراهم ضرب الأعرابي يده إلى زمام

الناقة فقال: الناقة ناقتي والدراهم دراهمي فإن كان لمحمد شيء فليقم البينة؟

قال: فأقبل رجل فقال النبي ﷺ: «أترضى بالشيخ المقبل؟»

قال: نعم يا محمد.

فقال النبي ﷺ: «تقضي فيما بيني وبين هذا الأعرابي؟»

فقال: تكلم يا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: «الناقة ناقتي والدراهم دراهم الأعرابي».

فقال الأعرابي: بل الناقة ناقتي والدراهم دراهمي، إن كان لمحمد شيء فليقم

البينة؟ فحكم الرجل للأعرابي، الحديث^(١).

وحضر أمير المؤمنين علي عليه السلام - وكان خليفة المسلمين ويحكم على خمسين دولة

في خريطة اليوم - مع ذلك اليهودي عند شريح القاضي في قصة الدرع.

ففي الحديث أنه عليه السلام مضى في حكومة إلى شريح مع يهودي فقال: «يا يهودي

الدرع درعي ولم أبع ولم أهب».

فقال اليهودي: الدرع لي وفي يدي.

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ١٠٦ ح ٣٤٢٦.

فسأله شريح البينة، فقال عليه السلام: «هذا قنبر والحسين يشهدان لي بذلك». فقال شريح: شهادة الابن لا تجوز لأبيه، وشهادة العبد لا تجوز لسيده وإنهما يجبران إليك.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ويلك يا شريح أخطأت من وجوه» ثم ذكره له وجوه خطئه...

فلما سمع اليهودي ذلك قال: هذا أمير المؤمنين جاء إلى الحاكم والحاكم حكم عليه! فأسلم، ثم قال: الدرع درعك سقطت يوم صفين من جمل أورق فأخذتها^(١). هذا في باب القضاء حيث لا فرق بين إنسان وإنسان أمام القاضي.

وهكذا بالنسبة إلى الطب حيث لا يحق للطبيب أن يترك مريضاً لأنه دون المرضى الآخرين مالا أو جاهاً وما أشبه ذلك، إذا كان المريض بحاجة إلى العلاج، نعم للطبيب أن يأخذ مالا في إزاء طبابته، وإذا كان المريض فقيراً لا يمكنه دفع المال فعلى الطبيب أن يسعفه ويعالجه إذا كان المرض من الأمراض الواجب إزالتها عينا أو كفاية، على الموازين المذكورة في الفقه في العينية والكفائية.

وهكذا بالنسبة إلى خيرات الأرض حيث جعلها الله سبحانه وتعالى للبشر على حد التساوي كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالأَرْضِ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ﴾^(٢).

وقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٣).

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الأَرْضِ وَالْفُلُوكَ تَجْرِي فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٤).

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى

(١) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٥٦ ح ٦.

(٢) سورة الرحمن: ١٠.

(٣) سورة البقرة: ٢٩.

(٤) سورة الحج: ٦٥.

وَلَا كِتَابٍ مِّنْهُ ﴿١﴾.

وقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢).

إلى غيرها من الآيات والروايات.

حيث إن خيرات الأرض لم تخصص لشعب دون آخر بل هي لعموم البشر، ولكن الإنسان هو الذي وضع الحدود المصطنعة، بحيث أصبح الشعب الذي يمتلك الثروات الطبيعية (التي منحها الله لعموم البشر) شعباً غنياً مترفاً، ونرى شعباً مجاوراً له يئن من ألم الجوع، وهذا ناتج من ظلم الإنسان لأخيه الإنسان.

ويكون هذا الأمر وهو اشتراك الجميع في الأمور التي ذكرناها، من أسس السلم والسلام، وأما لو رأى الناس التفاوت من غير مبرر، قوضوا معالم السلام، وينتهي الأمر أحياناً إلى الثورات والاضطرابات والمظاهرات وإفساد النظام والفوضى.

أمثلة رائعة من قانون المساواة الإسلامي

ومن أمثلة قانون المساواة الإسلامي قصة الغساني جيلة بن الأيهم، فقد كانت الدولة الرومانية الشرقية تحرض من كان تحت سيطرتها من أمراء الغساسنة العرب على غزو الجزيرة العربية بغية القضاء على الدولة الإسلامية الفتية، وكان يتتاب الجزيرة ارتباك وقلق مستمر لتوقع هذه الغزوة، فقد كان يزعم بعض النصارى أن رسول الإسلام ﷺ ملك لا أكثر، ولم يعرفوا أن الإسلام قوة معنوية في نفوس المسلمين لاتماثلها قوة.

وقد بدا للأمير الغساني جيلة بن الأيهم أن يدخل في صفوف أبناء قومه العرب ويترك التبعية للدولة الرومانية جانبا بسبب الضغوط التي كان الرومان يمارسونها على أتباعهم مما أتاح للإسلام الفرصة للنفوذ فيهم بسرعة، وكان ذلك ببركة قانون المساواة العادلة في الإسلام..

(١) سورة لقمان: ٢٠.

(٢) سورة الجاثية: ١٣.

وهكذا كان حال الدولة الفارسية في قصص مشهورة.

فالأمم أخذت تدخل في الإسلام لما رأت من المساواة والعدالة في ظله.

نعم دخل جبلة بن الأيهم إلى الإسلام، وقد كتب الخليفة إلى جبلة أن أقدم ولك ما لنا وعليك ما علينا، فقدم جبلة إلى الحجاز في خمسمائة فارس عليهم ثياب الوشج المنسوج بالذهب والفضة، وكان هو لابساً تاجه الذي كان يلعب من بعيد، فلم يبق في المدينة رجل ولا امرأة ولا صبي إلا خرج ينظر إلى هذا الموكب الفخم الذي لا عهد لهم بنظيره، وحضر جبلة بجماعته موسم الحج، وخرج جبلة يطوف بالكعبة فوطأ على طرف إزاره رجل مسلم من بني فزارة فحلّه، فعظم الأمر على الأمير الغساني جبلة بن الأيهم فما كان منه إلا أن لطم الفزاري لطمة شديدة هشتت بعض أنفه.

فأسرع الفزاري إلى الخليفة يشكو جبلة حيث كان الخليفة أيضا من ضمن الحجاج في ذلك العام، فبعث الخليفة إلى جبلة فقال له: ما دعاك يا جبلة أن لطمت أخاك هذا فصنعت به ما ترى وأرى؟

فتعجب الأمير من السؤال ودهش وقال: إنه قد وطأ إزاري أثناء طوافي فحلّه، وإنني قد ترفقت به ولولا حرمة هذا البيت لأخذت الذي فيه عيناه (أي قتلته).

لكن الخليفة لم يقبل منه ذلك حيث إن الإسلام لم يعترف إلا بقانون العدالة ولا يعترف بمكانة جبلة ولا لغضبه ولا لما يستفيدة الإسلام من انخراطه وقومه تحت لوائه، فقال له الخليفة: إنك قد اعتديت عليه فإما أن ترضيه وإلا أقتدته منك.

فقال جبلة مندهشا: تقيده مني وأنا ملك وهو سوقة.

فقال الخليفة: إن الإسلام قد سوى بينكما.

فقال جبلة: إنني رجوت أن أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية، لكن إصرار الخليفة أوجب قيادة الرجل الفزاري من جبلة^(١)، وبذلك أفاد أن الإسلام يساوي بين الكبير والصغير ولا يعتني بالمكانة الاجتماعية ولا بالمال ولا بالجيش ولا شبه ذلك أمام القانون.

(١) النص والاجتهاد: ص ٣٥٩.

فإن جبلة وإن ارتدّ بعد ذلك لكن الملايين من الناس دخلوا الإسلام لأنهم رأوه دين الحقيقة والمساواة.

الرابع: موارد الاستثناء في المساواة

مسألة: الأصل في الإسلام هو المساواة بين الجميع، إلا في ما اقتضت العدالة عدم المساواة فيه، وهذا يعني أن هناك عدالة ومساواة وليس معنى ذلك إن أحدهما يخالف الآخر، بل بينهما عموم وخصوص من وجه، فقد يجتمعان وقد يفترقان.

قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١).

ومن أمثلة موارد العدالة في عدم المساواة، التفضيل في باب الكفاءات، فهناك تفضيل بين الأنبياء بعضهم البعض ﷺ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّا الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتِ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّا لَوْ لَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾^(٢).

وقال: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

وقال: ﴿وَرَبِّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾^(٤).

وقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ * وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾^(٥).

وقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أُوتِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلْنَا لَهُ

(١) سورة المائدة: ٨.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٣.

(٣) سورة الأنعام: ٨٦.

(٤) سورة الإسراء: ٥٥.

(٥) سورة النمل: ١٥-١٦.

الْحَدِيدِ ﴿١﴾.

إن الله سبحانه وتعالى فضل بعضهم على بعض درجات للكفاءات المختلفة عندهم، وهذا عين العدالة كما هو واضح، وربما كان بعض التفضيل امتحاناً واختباراً أو من جوانب أخرى.

ومن هنا يعرف بعض السر في خلق النبي ﷺ من طينة أفضل ^(٢) وذلك مقتضى العدالة أيضاً، كالذهب المخلوق من جنس أعلى من التراب، كما ذكرنا تفصيلاً ذلك في كتاب العقائد ^(٣) وأشرنا إليه في كتاب البيع مبحث الولاية ^(٤).

وهناك موارد أخرى للعدالة تقتضي عدم المساواة كتفضيل من له السابقة في الإسلام على غيره عند الله عزوجل، وكذلك التفضيل في الجانب الفكري والعلمي كالعالم والجاهل ولا شك أن العالم أفضل من الجاهل، ولكن مع ذلك تبقى مساواة الإنسانية بين بني آدم من غير فرق بين الفاضل وغيره وللكل حقوقهم الكاملة.

وكذلك في القضايا الاجتماعية كالزواج وهو شأن حساس ومهم، لكن الإسلام جعل الكفو هو الإيمان، لا الثروة والجاه وما أشبهه، فكان الرفيع لا يرغب في مصاهرة الوضيع وهو كذلك حتى وقتنا هذا، ومع ذلك فالإسلام وضع المناكح حتى أن رسول الله ﷺ زوج ابنة عمته زينب بنت جحش القرشية الهاشمية الرفيعة الشأن جداً قبل الإسلام وبعده من مولاه زيد بن حارثة وهو عبد فقير ^(٥).

وهكذا تزوج بلال بن رباح مؤذن الرسول ﷺ والذي كان مملوكاً فقيراً أسود

(١) سورة سبأ: ١٠.

(٢) راجع نهج البلاغة: الخطب ٩٤. وراجع أيضاً بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ٢٠٦ ح ٨٣.

(٣) انظر كتاب (الفقه: المقدمة / كتاب العقائد) للإمام المؤلف رحمته الله.

(٤) انظر كتاب (الفقه: البيع) المجلد الرابع والخامس.

(٥) راجع تفسير القمي: ج ٢ ص ١٩٤، وفيه: عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال في قوله: ﴿وما كان لمؤمن ► ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ «وذلك أن رسول الله ﷺ خطب على زيد بن حارثة زينب بنت جحش الأسدية من بني أسد بن خزيمة وهي بنت عمه النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله حتى أوامر نفسي فأنظر، فأنزل الله: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة﴾ سورة الأحزاب: ٣٦. فقالت: يا رسول الله أمرى بيدك فزوجها إياه فمكنت عند زيد ما شاء الله.»

لا يحسن العربية بشكل جيد، بأخت عبد الرحمان بن عوف بعد عتقه^(١).
وكذلك تزوج رسول الله ﷺ بعض النساء اللواتي لم يمتلكن منزلة اجتماعية
ولم تكن في درجة النبي ﷺ اجتماعيا.
وهكذا تزوج الإمام علي بن الحسين ﷺ بمولاة حتى عوتب في ذلك^(٢).
فالمسلم كفؤ المسلمة مهما كان أحدهما أكثر مالا أو جاها أو أعز سلطانا أو ما
أشبه ذلك.

وقد جاءت امرأة عربية وامرأة أعجمية إلى أمير المؤمنين علي ﷺ في الكوفة
وطلبتا منه مالا، فأعطاهما عطاء متساويا، فقالت العربية: كيف تعطي الأعجمية مثل
نصيبي؟!، فقال علي ﷺ: «والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلا على
بني إسحاق»^(٣)، من المعروف أن العرب من بني إسماعيل وإن بعض غير العرب من
بني إسحاق كناية عن التساوي.

كما أمر رسول الله ﷺ بتزويج جويبر في قصة مفصلة، حيث ورد عن أبي حمزة
الثمالي قال: كنت عند أبي جعفر الباقر ﷺ إذ استأذن عليه رجل فأذن له فدخل
عليه فسلم، فرحب به أبو جعفر ﷺ وأذناه وسأله.
فقال الرجل: جعلت فداك إني خطبت إلى مولاك فلان بن أبي رافع ابنته فلانة
فردني ورغب عني وازدرأني لدمامتي وحاجتي وغربتي، وقد دخلني من ذلك
غضاضة هجمة عض لها قلبي تمنيت عندها الموت.
فقال أبو جعفر ﷺ: اذهب فأنت رسولي إليه، وقل له: يقول لك محمد بن
علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ: زوج منحج ابن رياح مولاي ابنتك
فلانة ولا ترده.

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ١٦٠ ح ٣١.

(٢) راجع كتاب الزهد: ص ٦٠، وفيه: عن زرارة عن أحدهما (الإمام الباقر أو الإمام
الصادق ﷺ) قال: إن علي بن الحسين ﷺ تزوج أم ولد عمه الحسن وزوج أمه
مولاه فلما بلغ ذلك عبد الملك بن مروان كتب إليه يا علي بن الحسين كأنك لا تعرف
موضعك من قومك وقدرك عند الناس تزوجت مولاة وزوجت مولاك بأملك فكتب إليه
علي بن الحسين ﷺ: «فهمت كتابك ولنا أسوة برسول الله ﷺ فقد زوج زينب بنت
عمه زيدا مولاه وتزوج مولاته صفية بنت حي بن أخطب».

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ١٠٧ ح ٢٠٠٧٩.

قال أبو حمزة: فوثب الرجل فرحاً مسرعاً برسالة أبي جعفر عليه السلام، فلما أن توارى الرجل قال أبو جعفر عليه السلام: إن رجلاً كان من أهل اليمامة يقال له: جويبر أتى رسول الله ﷺ منتجعاً للإسلام فأسلم وحسن إسلامه، وكان رجلاً قصيراً دميماً محتاجاً عارياً، وكان من قباح السودان، فضمه رسول الله ﷺ لحال غربته وعراه، وكان يجري عليه طعامه صاعاً من تمر بالصاع الأول، وكساه شملتين، وأمره أن يلزم المسجد ويرقد فيه بالليل، فمكث بذلك ما شاء الله حتى كثر الغرباء ممن يدخل في الإسلام من أهل الحاجة بالمدينة وضاق بهم المسجد، فأوحى الله عزوجل إلى نبيه ﷺ: أن طهر مسجداً، وأخرج من المسجد من يرقد فيه بالليل، ومر بسد أبواب كل من كان له في مسجداً باب إلا باب علي عليه السلام ومسكن فاطمة عليها السلام، ولا يمرن فيه جنب، ولا يرقد فيه غريب.

قال: فأمر رسول الله ﷺ بسد أبوابهم إلا باب علي عليه السلام وأقر مسكن فاطمة (صلى الله عليها) على حاله. قال: ثم إن رسول الله ﷺ أمر أن يتخذ للمسلمين سقيفة، فعملت لهم وهي الصفة، ثم أمر الغرباء والمساكين أن يظلوا فيها نهارهم وليلهم، فنزلوها واجتمعوا فيها، فكان رسول الله ﷺ يتعاهدهم بالبر والتمر والشعير والزبيب إذا كان عنده، وكان المسلمون يتعاهدونهم ويرقونهم لرقه رسول الله ﷺ ويصرفون صدقاتهم إليهم.

فإن رسول الله ﷺ نظر إلى جويبر ذات يوم برحمة منه له ورقة عليه، فقال: يا جويبر لو تزوجت امرأة فعففت بها فرجك وأعانتك على دنياك وآخرتك.

فقال له جويبر: يا رسول الله بأبي أنت وأمي من يرغب في؟ فوالله ما من حسب ولا نسب ولا مال ولا جمال، فأية امرأة ترغب في؟

فقال له رسول الله ﷺ: يا جويبر إن الله قد وضع بالإسلام من كان في الجاهلية شريفاً، وشرف بالإسلام من كان في الجاهلية ضيعاً، وأعز بالإسلام من كان في الجاهلية ذليلاً، وأذهب بالإسلام ما كان من نخوة الجاهلية وتفاخرها بعشائرها وباسق أنسابها، فالتاس اليوم كلهم أبيضهم وأسودهم وقرشيمهم وعربيهم وعجميهم من

آدم، وإن آدم عليه السلام خلقه الله من طين، وإن أحب الناس إلى الله عزوجل يوم القيامة أطوعهم له وأتقاهم، وما أعلم يا جوير لأحد من المسلمين عليك اليوم فضلاً إلا لمن كان أتقى لله منك وأطوع، ثم قال له: انطلق يا جوير إلى زياد بن لبيد، فإنه من أشرف بني بياضة حسباً فيهم، فقل له: إني رسولُ رسولِ الله إليك وهو يقول لك: زوج جوير ابنتك الدلفاء.

قال: فانطلق جوير برسالة رسول الله ﷺ إلى زياد بن لبيد وهو في منزله وجماعة من قومه عنده، فاستأذن، فأعلم، فأذن له وسلّم عليه، ثم قال: يا زياد بن لبيد: إني رسولُ رسولِ الله ﷺ إليك في حاجة فأبوح بها أم أسرها إليك؟ فقال له زياد: بل بح فإن ذلك شرف لي وفخر.

فقال له جوير: إن رسول الله ﷺ يقول لك: زوج جويرا ابنتك الدلفاء.

فقال له زياد: أرسول الله أرسلك إليّ بهذا يا جوير؟

فقال له: نعم ما كنت لأكذب على رسول الله ﷺ؟

فقال له زياد: إنا لا نزوج فتياتنا إلا أكفاءنا من الأنصار، فانصرف يا جوير حتى ألقى رسول الله ﷺ فاخبره بعذري.

فانصرف جوير وهو يقول: والله ما بهذا أنزل القرآن ولا بهذا ظهرت نبوة محمد ﷺ. فسمعت مقالته الدلفاء بنت زياد وهي في خدرها، فأرسلت إلى أبيها: أدخل إلي، فدخل إليها، فقالت له: ما هذا الكلام الذي سمعته منك تحاور به جويراً؟

فقال لها: ذكر لي أن رسول الله ﷺ أرسله، وقال: يقول لك رسول الله ﷺ:

زوج جويراً ابنتك الدلفاء.

فقالت له: والله ما كان جوير ليكذب على رسول الله ﷺ بمحضته فابعث الآن

رسولا يرد عليك جويراً.

فبعث زياد رسولا فلحق جويراً، فقال له زياد: يا جوير مرحبا بك، اطمئن

حتى أعود إليك، ثم انطلق زياد إلى رسول الله ﷺ فقال له: بأبي أنت وأمي إن

جويراً أتاني برسالتك وقال: إن رسول الله ﷺ يقول: زوج جويراً ابنتك الدلفاء،

فلم أئن له في القول، ورأيت لقاءك، ونحن لا نزوج إلا أكفاءنا من الأنصار.

فقال له رسول الله ﷺ: يا زياد جوير مؤمن، والمؤمن كفو للمؤمنة، والمسلم كفو للمسلمة، فزوجه يا زياد ولا ترغب عنه. قال: فرجع زياد إلى منزله ودخل على ابنته، فقال لها ما سمعه من رسول الله ﷺ.

فقالت له: إنك إن عصيت رسول الله ﷺ كفرت، فزوج جويرة. فخرج زياد فأخذ بيد جويرة، ثم أخرجه إلى قومه، فزوجه على سنة الله وسنة رسوله ﷺ وضمن صداقها. قال: فجهزها زياد وهياها ثم أرسلوا إلى جويرة فقالوا له: ألك منزل فنسوقها إليك؟

فقال: والله مالي من منزل. قال: فهيؤوها وهيؤوا لها منزلاً وهيؤوا فيه فراشاً ومتاعاً وكسوا جويرة ثوبين، وأدخلت الدلفاء في بيتها وأدخل جويرة عليها معتماً، فلما رآها نظر إلى بيت ومتاع وريح طيبة قام إلى زاوية البيت فلم يزل تالياً للقرآن راکعاً وساجداً حتى طلع الفجر، فلما سمع النداء خرج وخرجت زوجته إلى الصلاة فتوضأت وصلت الصبح، فسئلت: هل مسك؟

فقالت: مازال تالياً للقرآن وراكعاً وساجداً حتى سمع النداء فخرج.

فلما كانت الليلة الثانية فعل مثل ذلك، وأخفوا ذلك من زياد، فلما كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك، فأخبر بذلك أبوها، فانطلق إلى رسول الله ﷺ فقال له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ﷺ أمرتني بتزويج جويرة، ولا والله ما كان من مناكحنا، ولكن طاعتك أوجبت عليّ تزويجه.

فقال له النبي ﷺ: فما الذي أنكرت منه؟

قال: إنا هيأنا له بيتاً ومتاعاً، وأدخلت ابنتي البيت وأدخل معها معتماً، فما كلمها ولا نظر إليها ولا دنا منها، بل قام إلى زاوية البيت فلم يزل تالياً للقرآن راکعاً وساجداً حتى سمع النداء فخرج، ثم فعل مثل ذلك في الليلة الثانية ومثل ذلك في الليلة الثالثة ولم يدن منها ولم يكلمها إلى أن جئتك، وما نراه يريد النساء، فانظر في أمرنا؟ فانصرف زياد وبعث رسول الله ﷺ إلى جويرة فقال له: أما تقرب النساء؟

فقال له جويرة: أو ما أنا بفحل؟ بلى يا رسول الله ﷺ إني لشبق نهم إلى النساء.

فقال له رسول الله ﷺ: قد خُبرت بخلاف ما وصفت به نفسك، قد ذكروا لي

أنهم هيؤوا لك بيتا وفراشا ومتاعا وأدخلت عليك فتاة حسناء عطرة، وأتيت معتما فلم تنظر إليها ولم تكلمها ولم تدن منها، فما دهاك إذن؟

فقال له جويبر: يا رسول الله دخلت بيتا واسعا، ورأيت فراشا ومتاعا وفتاة حسناء عطرة، وذكرت حالي التي كنت عليها، وغربتني وحاجتي وضيعتي وكينونتي مع الغرباء والمساكين، فأحببت إذ أولاني الله ذلك أن أشكره على ما أعطاني، وأتقرب إليه بحقيقة الشكر، فنهضت إلى جانب البيت فلم أزل في صلاتي تالياً للقرآن راکعاً وساجداً أشكر الله حتى سمعت النداء فخرجت، فلما أصبحت رأيت أن أصوم ذلك اليوم، ففعلت ذلك ثلاثة أيام وليالها، ورأيت ذلك في جنب ما أعطاني الله يسيراً، ولكني سأرضيها وأرضيهم الليلة إن شاء الله.

فأرسل رسول الله ﷺ إلى زياد فأتاه وأعلمه ما قال جويبر فطابت أنفسهم. قال: وفي لهم جويبر بما قال، ثم إن رسول الله ﷺ خرج في غزوة له ومعه جويبر فاستشهد رحمه الله، فما كان في الأنصار أيم أنفق منها بعد جويبر^(١).

شبهات وردود

وقد ترد بعض الشبهات في بعض الموارد ويظن خطأ أنها تمييز وعدم مساواة بين الناس وهي:

١: في الجانب المالي، حيث اختصت فئة من الناس بجانب من الحقوق المالية وهو الخمس.

٢: في الجانب العقائدي، حيث امتاز بعض الناس بالشفاعة فاعلاً وقابلاً. ثم ما هو وجه الجمع بين أدلة الشفاعة الصريحة والمتواترة وبين قوله ﷺ فيما روي عنه: «يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس ابن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفيّة عمّة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً»^(٢).

٣: في مسألة الرقية، فكيف تنسجم مع عدالة الدين الإسلامي، فإن العبودية

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ١١٧ ب ٣٧ ح ٨٩ وفيه: عن محمد بن يحيى، عن ابن

عيسى، عن ابن محبوب، عن مالك بن عطية.

(٢) راجع إرشاد القلوب: ج ١ ص ٣٢.

استعباد للإنسان الآخر، وهذا ينافي المساواة.

٤: في الجانب الاجتماعي حيث اتصاف البعض بالشعوبية.

والجواب على هذه الشبهات هو كما يلي:

الخمس

أما الجواب على الأمر الأول: فالخمس في قبال الزكاة فالاثنان من الحقوق المالية التي شرعتها الشريعة الإسلامية، فالزكاة تعطى لغير بني هاشم والخمس لذوي القربى، وهذا نوع احترام لرسول الله ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام فإنهم عدل القرآن بنص حديث الثقلين: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»^(١).

وهذا لا يعني عدم المساواة في الإنسانية، بل هو من باب وضع كل شيء في محله.

الشفاعة

وأما الجواب عن الشبهة الثانية:

إن حق الشفاعة لم يختص بالنبي ﷺ والأئمة عليهم السلام في يوم القيامة، بل كما يمنح الله سبحانه وتعالى هذا الحق للنبي ﷺ وللأئمة عليهم السلام كذلك يمنح الله تعالى لسائر الأنبياء وللصالحين والشهداء والمؤمنين لكن كل حسب مقامه وتقواه، فالشفاعة لكل مؤمن لكن مع مراعاة قانون العدالة التي يراها الله عز وجل.

وهنا لا بد من ذكر عدة أمور تتعلق بالشافع والمشفع وهي تدخل في ضمن الأجوبة

على الشبهات التي وردت في السؤال:

أولاً: لا شك أن لرسول الله ﷺ ولسائر الأنبياء عليهم السلام والأئمة المعصومين عليهم السلام وللصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام والشهداء والصالحين والمؤمنين والمؤمنات حق الشفاعة في الآخرة، وهي بإرادة الله سبحانه وتعالى، كما قال عز وجل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾^(٢).

عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «كان رسول الله ﷺ في جانب أرض بمكة هي

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ٣٣ ح ٣٣١٤٤.

(٢) سورة الأنبياء: ٢٨.

اليوم مقبرة ولم تكن يومئذ مقبرة فقال يبعث من هذه البقعة ومن هذا الحرم يوم القيامة سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفاً وجوههم كالقمر ليلة البدر»^(١).

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «من حج أربعين حجة قيل له اشفع فيمن أحببت، ويفتح له باب من أبواب الجنة يدخل منه هو ومن يشفع له»^(٢).

بل ولم يقتصر أمر الشفاعة على الإنسان، بل كذلك أعطي هذا الحق لغيره وعلى سبيل المثال الحجر الأسود في الكعبة المشرفة فهو شافع في يوم القيامة، وكذلك المسجد فهو يشفع للمصلين فيه، وهكذا المصحف الشريف فإنه شافع مشفع.

عن الأصعب بن نباتة أنه قال: بينا نحن ذات يوم حول أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة إذ قال: «يا أهل الكوفة لقد حباكم الله عزوجل بما لم يجب به أحداً من فضل، مصلاكم بيت آدم وبيت نوح وبيت إدريس ومصلى إبراهيم الخليل ومصلى أخي الخضر عليه السلام ومصلاي، وإن مسجداً هذا لأحد الأربعة المساجد التي اختارها الله عزوجل لأهلها، وكأني به قد أتني به يوم القيامة في ثوبين أبيضين يتشبه بالحرم ويشفع لأهله ولمن يصلي فيه فلا ترد شفاعته، ولا تذهب الأيام والليالي حتى ينصب الحجر الأسود فيه وليأتين عليه زمان يكون مصلى المهدي عليه السلام من ولدي، ومصلى كل مؤمن، ولا يبقى على الأرض مؤمن إلا كان به أو حن قلبه إليه فلا تهجره وتقربوا إلى الله عزوجل بالصلاة فيه وارغبوا إليه في قضاء حوائجكم، فلو يعلم الناس ما فيه من البركة لأتوه من أقطار الأرض ولو حبواً على الثلج»^(٣).

فإذن الشفاعة لم تقتصر على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام وإنما الصالحون الآخرون يحق لهم أن يشفعوا ولكن بالشروط التي يلزم أن يتصفوا بها^(٤).

وهذا لا يعني أن شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام كشفاعة الآخرين في الدرجة،

(١) مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ٣٠٩ ح ٢٠٥٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢١٧ ح ٢٢١١.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٢٣١ ح ٦٩٦.

(٤) راجع الكافي: ج ٨ ص ١٠١ ح ٧٢.

بل لهم ميزات وخصائص تختلف عن سواهم كاختلافهم عن البشر في هذه الدنيا من ناحية عصمتهم وكمالهم وعلمهم وورعهم.

الثاني: إن الذين يشفعون متساوون مع غيرهم أمام القانون الإسلامي من العبادات والمعاملات والقضاء والموارث وما أشبه ذلك من مختلف مسائل الفقه غير اختصاصاته عليه السلام القائل جداً كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾^(١).

وقال عليه السلام: «إنما أنا بشر مثلكم أتزوج فيكم وأزوجكم إلا فاطمة عليها السلام فإن تزويجها نزل من السماء»^(٢).

والتي ذكر الفقهاء هذه الاختصاصات في كتاب النكاح وغيره فإنها خارجة بالدليل القطعي، وإلا فالأصل الاشتراك والناس كلهم متساوون أمام القانون. ولكن التمييز في الآخرة بهذا الوسام العظيم - الشفاعة - لأنهم عباد مكرمون وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٣).

الثالث: إن الذي يشفع له يجب أن يكون قابلاً للشفاعة، فلو كان عليه حقوق للآخرين يجب أن تسلم إلى أصحابها وإلا فليس له شفاعة.

الرابع: الشفاعة في الآخرة لا تكون إلا بإذن الله سبحانه وتعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾^(٤)، فإن الأنبياء والصالحين والأئمة وفاطمة الزهراء عليها السلام ومن أشبههم لهم الشفاعة، لكنها تكون بإذن الله سبحانه وتعالى والأمر إليه قال عز وجل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(٥)، كما أن بدأها منه على تفصيل مذكور في علم الكلام.

الرقية

وأما الجواب عن الشبهة الثالثة: حيث استشكل بأن الرقية ظاهرة تتنافى مع

(١) سورة الكهف: ١١٠، وسورة فصلت: ٦.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٥٦٨ ح ٥٤.

(٣) سورة الحجرات: ١٣.

(٤) سورة الأنبياء: ٢٨.

(٥) سورة البقرة: ٢٥٥.

التشريع الإسلامي في عدالته ومساواته، فاستعباد الإنسان الأسود من شأنه أن ينفي المساواة التي تدعى في التشريع الإسلامي.

والجواب عن هذه الشبهة يكون في أمور:

أولاً: لا فرق في الإسلام - كما سبق - بين اللون الأسود والأبيض، وهذا واضح لكل من له بعض المعرفة بمبادئ الإسلام وقوانينه وأحكامه وتاريخه.

ثانياً: إن الرقبة التي كانت في الجاهلية الأولى قبل الإسلام، وفي الغرب قبل إغائه حيث كان يستعبدون السود وبتلك الطريقة اللا إنسانية، مرفوضة في الإسلام. والرق في الإسلام يختلف تماماً عما كان في الغرب على تفصيل ذكرناه في كتاب (العتق).

إن (قانون الرقبة) الذي كان يعترف به العالم سابقاً بل وإلى الآن ولكن يتخذ إشكالا وصوراً غير ما كانت عليه من استعباد علني، قد خالفه الإسلام، فلما جاء الإسلام بشريعته السمحاء وقواعده الملائمة للفطرة الإنسانية ألغى تلك العبودية الظالمة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (١).

وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (٢).

ولقد جسد الرسول ﷺ هذا المفهوم الإنساني فهناك العشرات من الأحاديث التي تؤيد هذا المفهوم القرآني وتدعو إلى الالتزام به وتطبيقه، فقال ﷺ: «أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود فضل إلا بالتقوى» (٣).

عبر هذه الآيات الكريمة وتلك الأحاديث الشريفة ومن خلال سيرة النبي المصطفى

ﷺ حارب الإسلام الظلم الذي كان يمارس ضد العبيد، حيث أعلن بصراحة أن

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) سورة الإسراء: ٧٠.

(٣) راجع جامع الأخبار: ص ١٨٣، ومعدن الجواهر: ص ٢١.

«الناس كلهم من ولد آدم أخوة سواء»^(١)، و«البشر كلهم سواسية»^(٢).

كما أن هناك روايات كثيرة تحث على عتق العبيد وفضله، كما قرر العتق كفارة لبعض الذنوب على تفصيل مذكور في الفقه.

ومن الناحية العملية والتطبيقية فالفتوحات الإسلامية لم تكن تسترق الناس، بل كان الناس يدخلون في دين الله أفواجاً أفواجا من غير إكراه، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرِّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(٣). وذلك بسبب إخلاص المسلمين ونظرتهم العادلة والرحيمة للشعوب الأخرى فكان هم المسلمين نشر الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والدعوة إلى الحرية والعدالة والعلم والسلام والمحبة فكانت الأمم والشعوب ترحب بالمسلمين، وتقبل على اعتناق الإسلام عن طواعية لأنه ينبذ العنصرية ويحاربها، والكثير منهم كان يبقى على دينه ضمن معاهدة عادلة مع المسلمين لحفظ حقوقهم.

لقد ذكرنا في فصل السلام في القتال والجهاد وصايا النبي ﷺ والأئمة الطاهرين ﷺ الأخلاقية للجيش قبل بدء المعركة، ومنها قول علي ﷺ في وصية له لعسكره، قبل لقاء العدو بصفين: «فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً ولا تصيبوا معوراً ولا تجهزوا على جريح...»^(٤).

وفي هذه الوصية يصدر الإمام ﷺ تعليماته الجهادية الأخلاقية لعسكره وجيشه بأن لا يجهبزوا على الجريح، أي منعهم من قتل الجريح الذي يقع أسيراً بيدهم. وهذه وصية عامة تنطبق على كل جريح يقع أسيراً، سواء كان من المسلمين الخارجين الباغين أو من جيوش الكفار، كما لا بد من علاج الجريح حتى يبرأ من الجراحات التي أصابته أثناء المعركة.

ثم إن التعامل مع الأسير الكافر يمكن أن يكون بعدة وجوه.

منها: القتل، وهذا ما يمنع الإسلام منه، لأن القتل لا يكون في الإسلام إلا في

(١) شرح اللمعة: ج ٦٤ ص ٢٢١.

(٢) شرح اللمعة: ج ٦٤ ص ٢٢١.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٤) نهج البلاغة: الرسائل ١٤.

أقصى حالات الضرورة.

ومنها: العمل حسب الاتفاقيات والمعاهدات التي تعقد أو عقدت من قبل بين الدولة الإسلامية والكافرة، كاتفاقية تبادلته مع أحد أسرى المسلمين.

ومنها: أن يطلق سراحه ويرجع لبلاده آمناً. وفي هذه الحالة - فيما لم تكن هناك مصلحة في إطلاق سراحه - لا يأمن من عودته لمحاربة الإسلام من جديد.

فتأتي هنا حالة أخرى وهو أن يبقى أسيراً عند المسلمين. فإما أن يبقى سجيناً ليعاشر المجتمع ويحرم الكثير من الحريات، وهذا خلاف القانون الإسلامي الذي يضمن حرية الإنسان وحقوقه ولا يجيز السجن إلا في الموارد الضرورية، وما نحن فيه ليس منها.

فيبقى الحل الأفضل حفاظاً على أمن البلاد ورعاية لحقوق الأسير، أن يعطى لأحد المسلمين ويعيش بكامل حقوقه تحت رعايته، فليس هو مسجوناً بين جدران أربعة، ولا مطلق العنان يعيش في المجتمع الفساد، بل يراعه أحد المؤمنين ويتكفل جميع حقوقه من الأكل والشرب والزواج وسائر احتياجاته المادية والمعنوية، ضمن ضوابط وآداب معينة أكد عليها الإسلام، بحيث لا يشعر العبد بكونه عبداً بل يرى نفسه جزء من العائلة.

وهذا المورد هو الذي استثناه الإسلام في موارد الاستعباد التي كانت سائدة آنذاك وهذا الأمر هو من مصلحة الأسير بلا شك، فإنه حينما رأى الاهتمام به وهو في حالة الأسر فلا شك أنه يعامل معاملة عادلة يحددها الإسلام وفق مبادئه السامية وقيمه العليا لعله يهتدي إلى معالم الإنسانية وينقلب فرداً صالحاً بعد ما كان محارباً للإسلام. ولا شك أنه حينما يرى حقيقة الإسلام وعدالته وإنسانيته فكثيراً ما يعتنق الإسلام طوعاً و رغبتاً.

وهكذا كان يعامل الإسلام الأسرى، بخلاف ما كانت تفعله الأمم مع أسراها بالإبادة الجماعية كما حصل ذلك في الحرب العالمية الثانية، وكما كان متعارفاً عند الجاهليين.

مساحة العتق والحرية في الشرع الإسلامي

ثم هؤلاء الأسرى لا يكونون طوال حياتهم على ما هم عليه من العبودية، بل شرع الإسلام طرقاً كثيرة لتحريرهم ومنها: قانون (عتق الصدقة) و(عتق الكفارة) بمختلف أنواعها و(عتق الخدمة) فإذا خدم العبد المؤمن مولاه سبع سنين ينبغي عتقه^(١). وقد ذكرنا ذلك مفصلاً في موسوعة الفقه.

الشعبوية

وأما جواب الشبهة الرابعة وهو اتصاف البعض بالشعبوية وهو مصطلح سياسي يظهر كلما دعت الحاجة إليه، قال في (كتاب العين) عن الشعبي: هو الذي يصغر شأن العرب، ولا يرى لهم فضلاً^(٢).

وفي مجمع البحرين: الشعبوية: فرقة لا تفضل العرب على العجم^(٣).
ومن المصاديق التي اصطلح عليها بالشعبوية:

١- كل من وقف إلى جانب المعارضة للحكومات التي سيطرت على البلاد الإسلامية منذ الصدر الأول. ومن ذلك ما ذكره المستشرق بروكلمان في كتابه^(٤) فقال: والحق أن ميتة الشهداء التي ماتها الحسين عليه السلام... قد عجلت للتطور الديني الشيعي حزب علي عليه السلام، الذي أصبح في ما بعد ملتقى جميع النزعات المناوئة للعرب (الشعبوية).

٢- الموالي والعبيد لأنهم رأوا المفاهيم القرآنية لا سيما الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٥)، وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنها: «كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى»^(٦)، لا يعمل بها حكام

(١) راجع وسائل الشيعة: ج ٢٣ ص ٥٩ ب ٣٣ باب تأكد استحباب عتق المملوك المؤمن بعد سبع سنين وكراهة استخدامه بعدها، وبعد العشرين أكد وأن من ضرب مملوكه استحباب له عتقه.

(٢) كتاب العين: ج ١ ص ٢٦٢ مادة (شعب).

(٣) مجمع البحرين: ج ٢ ص ٩١ مادة (شعب).

(٤) تاريخ الشعوب الإسلامية: ص ١٣٨.

(٥) سورة الحجرات: ١٣.

(٦) جامع الأخبار: ص ١٨٣.

البلاد الإسلامية وكثير من المسلمين.

والحقيقة أن مظاهر الشعوبية وهي التفرقة ابتدأت منذ الصدر الأول وذلك حينما فرق عمر في العطاء ولم يساو في نظرتة بين العرب والعجم خصوصاً.

وكذلك توسعت الشعوبية وانتشرت في العهد الأموي فقال أبو الفرج الأصفهاني: أصل المثالب (مثالب العرب) زياد بن أبيه فإنه لما ادعى انتسابه إلى أبي سفيان وعلم أن العرب لا تقر له بذلك مع علمها بنسبه، ومع سوء آثاره فيهم، عمل كتاب المثالب، ألصق فيه بالعرب كلها كل عيب وعار وحق وباطل.

وقال ابن قتيبة الدينوري: كان زياد حين كثر طعن الناس عليه في استلحاق معاوية له بأبي سفيان عمل كتابا في المثالب لولده، وقال: من غيركم فاقرعوه بمنقصته ومن ندد عليكم بادهوه بمثلته، فإن الشر بالشر ينفي والحديد بالحديد يفلج.

ويقول أبو عبيد البكري أيضا: وأما كتاب المثالب والمناقب الذي بأيدي الناس اليوم فإنما هو للنضر بن شميل الحميري وخالد بن سلمة المخزومي، أمرهما هشام بن عبد الملك أن يبينا مثالب العرب ومناقبها وقال لهما ولمن ضم إليهما: دعوا قريشا بما لها وما عليها، فليس لقريش ذكر في ذلك الكتاب.

والخلاصة إن الشعوبية تتناقض مع روح الإسلام وعدالته وأحكامه. وهي كما ذكرنا مصطلح سياسي ألصق بكل من عارض سياسية الأمويين وغيرهم بعد أن صرف من معناه الأصلي ولما وضع له.

الأصل التساوي

وهكذا يكون التساوي بين المسلمين في الحدود والديات والقصاص والقضاء والموارث والمعاملات بأنواعها الكثيرة من بيع وشراء ورهن وإجارة وشركة ومضاربة وهبة وغير ذلك.

وأما التساوي بين الرجل والمرأة، فالإسلام يعلنها كأصل أولي بالصراحة ويقول بالتساوي بينهما إلا فيما خرج بالدليل، قال الله عز وجل: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ

بِالْمَعْرُوفِ»^(١).

وقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً»^(٢).

وبصورة عامة يكون تطبيق قانون التساوي مع مراعاة قانون العدالة هو من أسس السلم والسلام في المجتمع.

(١) سورة البقرة: ٢٢٨.

(٢) سورة النساء: ١.

جملة من مصاديق السلم والسلام الاجتماعيين

١ : التحية في الإسلام

٢ : الأخوة الإسلامية

٣ : صلة الأرحام

٤ : حسن الصحبة والمعاشرة

١

التحية في الإسلام

معنى التحية

التحية في الإسلام هي (السلام)، يقال: حيا يحيي تحية إذا سلم، وهي كل قول يسرّ به الإنسان، ومن التحية يقال: حياك الله، أي جعل لك حياة، وذلك إخبار بقصد الإنشاء أي الدعاء. ويقال: حيا فلان فلاناً تحية إذا قال له ذلك، وأصل التحية من الحياة ثم جعل ذلك دعاء تحية لكون جميعه غير خارج عن حصول الحياة، أو سبب حياة إما في الدنيا وإما في الآخرة^(١).

وفي (لسان العرب): التحية في كلام العرب ما يحيي بعضهم بعضاً إذا تلاقوا، وتحية الله التي جعلها في الدنيا والآخرة لمؤمني عباده إذا تلاقوا ودعا بعضهم لبعض بأجمع الدعاء أن يقولوا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(٢).

ويقابل التحية التسليم، والأولى عادة تتعلق بالقادم ومستقبله، والثانية تتعلق بالمسافر ومودعه، فلكل منهما مصداق، فالمار حينما يسلم على المقيم في بلده يصطلح على هذا السلام بالتحية وهي تتم عادة بالمصافحة، وأما السلام على الذي يريد سفراً يصطلح عليه بالتسليم ويتم عادة بالمعانقة والتوديع.

مفهوم التحية ودلالاتها في الإسلام

(١) راجع مفردات غريب القرآن، للراغب الأصفهاني: ١٤٠.

(٢) لسان العرب: ج ١٤ ص ٢١٦ مادة (حيا).

لما خلق الله سبحانه وتعالى الخلق جعلهم أماً وشعوباً وقبائل، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأَكُمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١).

فالخلق مأمورون بالتعارف فيما بينهم، ومن حكمة تصنيف البشرية إلى هذا التقسيم هو حصول التعارف فيما بينهم وهو أمر غير عسير، فيبتدأ من الخلية الصغيرة وهي الأسرة، ثم ينتقل إلى دائرة أوسع وهي القبيلة، ثم إلى محيط جامع وهو المجتمع وهكذا، وبهذا تسهل عملية التعارف فيما بين الأسر والقبائل والشعوب فيما بينها، ويستدل بالآية على لزوم تعارف الأمم والشعوب والقبائل كي يحصل التعاون والتواصل فيما بينها.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن من فائدة التعارف سيادة السلم والأمان بعد اختفاء مظاهر العدوان والاعتداء. وقد ابتدأت عملية التعارف بين الإنسان وأخيه الإنسان بالتحية وهي أول كلام يحصل في اللقاء وقد أراد الإسلام أن تكون نقطة الابتداء عنواناً للسلم والسلام، فكانت التحية: (السلم عليكم).

فتحية السلم تعتبر أحد الدلائل الظاهرية والواقعية على السلم والسلام الاجتماعي الذي يدعو إليه الإسلام، وقد ورد الحث عليها في أحاديث كثيرة وقد ذكرنا تفصيل الموضوع في (الفقه: أحكام السلام)، وسنشير إلى بعضها لاقتضاء المقام. قال رسول الله ﷺ في دلالة التحية على السلم: «السلم تحية ملتنا وأمان لذمتنا»^(٢). وهذا يعني أن الإنسان المسلم حينما يحيي الذميين كأنه يقول: أنتم في أمان وسلام على حياتكم.

التحية في الديانات السابقة

عن وهب اليماني قال: لما أسجد الله عزوجل الملائكة لآدم ﷺ وأبى إبليس أن يسجد قال له ربه عزوجل: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۖ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَيَّ

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٨، ص ٦٠، ح ٩٦٧٠.

يَوْمِ الدِّينِ ﴿١﴾، ثم قال عزوجل لآدم ﷺ: يا آدم انطلق إلى هؤلاء الملائكة فقل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فلما رجع إلى ربه عزوجل قال له ربه تبارك وتعالى: هذه تحيتك وتحية ذريتك من بعدك فيما بينهم إلى يوم القيامة ﴿٢﴾.

ومما يؤكد قدم هذه التحية الواردة اتخذها من قبل الأنبياء والمرسلين ﷺ تحية لهم، ففي القرآن الحكيم تحية بعض الأنبياء السابقين هي السلام، مثل:

قوله سبحانه: ﴿قُلُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ ﴿٣﴾.

وقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيَّ إِنْ يَأْسِبِينَ﴾ ﴿٤﴾.

ومنها قول عيسى ﷺ في الآية المباركة: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ ﴿٥﴾.

التحية في القرآن

ورد لفظ التحية والتي يراد منه معنى السلام في بعض الآيات القرآنية، ومنها الآية المباركة: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ ﴿٦﴾.

والآية: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ ﴿٧﴾.

وقال سبحانه في قضية مشهورة: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ ﴿٨﴾، أي حياكم بتحية السلام.

(١) سورة الحجر: ٣٤-٣٥.

(٢) علل الشرائع: ج ١ ص ١٠٢ ح ١.

(٣) سورة هود: ٦٩.

(٤) سورة الصافات: ١٣٠.

(٥) سورة مريم: ٣٣.

(٦) سورة النساء: ٨٦.

(٧) سورة النور: ٦١.

(٨) سورة النساء: ٩٤، وراجع في سبب نزول الآية مستدرك الوسائل: ج ١٦ ص ٧٩

ح ١٩٢٠٧، وفيه: ◀ ▶ عن علي بن إبراهيم في تفسيره، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا

لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ الآية، إنها نزلت لما رجع رسول الله ﷺ من غزاة

خيبر وبعث أسامة بن زيد في خيل إلى بعض قرى اليهود في ناحية فدك ليدعوهم إلى

الإسلام، كان رجل من اليهود يقال له مرداس بن نهيك الفدكي في بعض القرى، فلما

أحس بخيل رسول الله ﷺ جمع أهله وماله في ناحية الجبل فأقبل يقول: أشهد أن لا إله

ومن أدل هذه الآيات المتقدمة على التحية: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾^(١)، ومعناها أن الله تعالى أمر المسلمين برد التحية - والتي هي السلام - بمثلها أو أحسن منها.

ذكر علي بن إبراهيم رحمته الله في تفسيره عن الصادقين عليهما السلام أن المراد بالتحية في الآية السلام وغيره من البر.

روي أن رجلاً دخل على النبي صلوات الله وسلامه عليه فقال: السلام عليك!

فقال النبي صلوات الله وسلامه عليه: «وعليك السلام ورحمة الله».

فجاء آخر وسلم عليه فقال: السلام عليك ورحمة الله، فقال النبي صلوات الله وسلامه عليه:

«وعليك السلام ورحمة الله وبركاته».

فجاء آخر فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال النبي صلوات الله وسلامه عليه: «وعليك

السلام ورحمة الله وبركاته».

فقيل: يا رسول الله زدت للأول والثاني في التحية ولم تزد للثالث؟

فقال صلوات الله وسلامه عليه: «إنه لم يبق لي من التحية شيئاً فرددت عليه مثله»^(٢).

ومن الآيات القرآنية التي تحدثت عن موضوع التحية والسلام قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَيَّ أَهْلِهَا﴾^(٣)، فالدخول في بيوت الناس بلا استئذان غير جائز وهذا تكريم كبير للإنسان واحترام لحقوقه الفردية.

وقال سبحانه: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ

إلا الله وأن محمداً رسول الله، فمر به أسامة بن زيد فطعنه فقتله، فلما رجع إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أخبره بذلك، فقال له رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «قتلت رجلاً شهد أن لا إله إلا الله وأناي رسول الله»، فقال: يا رسول الله إنما قالها تهوداً من القتل، فقال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «فلا كشفت الغطاء عن قلبه، ولا ما قال بلسانه قبلت، ولا ما كان في نفسه علمت»، فحلف أسامة بعد ذلك أن لا يقتل أحداً شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فأنزل في ذلك: ﴿ولا تقولوا...﴾ الآية، وكان ذلك سبب تخلفه عن حروب أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) سورة النساء: ٨٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨١ ص ٢٧٤.

(٣) سورة النور: ٢٧.

فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴿١﴾.

آداب التحية

ذكرت الآية المباركة: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (٢)

صورتين للرد:

الأولى: هي الرد بأحسن منها وذلك إن كان المحيي مسلماً، سواء كان مؤمناً أو غيره. ومثالها ما ورد عن ابن عباس قال: إذا قال المسلم: (السلام عليكم)، فقلت: (وعليكم السلام ورحمة الله)، وإذا قال: (السلام عليكم ورحمة الله)، فقلت: (وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته) فقد حييته بأحسن منها وهذا منتهى السلام.

وفي هذه الحالة يعرف أن الإنسان المسلم يمكن أن يعبر عما في مشاعره وأحاسيسه بمختلف كلمات التحية (السلام) وألفاظها كي يسرّ به الإنسان فهي قابلة لزيادة الإنشاء في كلماتها.

والصورة الثانية: ﴿أَوْ رُدُّوهَا﴾ وهي التحية التي يحي بها المسلم أو غيره بمثل ما حياه به. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم» (٣).

وعن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «دخل يهودي على رسول الله ﷺ وعائشة عنده فقال: السام عليكم، فقال رسول الله ﷺ: عليك، ثم دخل آخر فقال مثل ذلك، فرد عليه كما رد على صاحبه، ثم دخل آخر فقال مثل ذلك فرد رسول الله ﷺ كما رد على صاحبه، فغضبت عائشة فقالت: عليكم السام والغضب واللعنة يا معشر اليهود، يا إخوة القردة والخنازير!

فقال لها رسول ﷺ: «يا عائشة إن الفحش لو كان ممثلاً لكان مثال سوء، إن الرفق لم يوضع على شيء قط إلا زانه ولم يرفع عنه قط إلا شانه».

قال: قالت: يا رسول الله أما سمعت إلى قولهم السام عليكم؟

(١) سورة الذاريات: ٢٤-٢٥.

(٢) سورة النساء: ٨٦.

(٣) بحار الأنوار: ج ٨١ ص ٢٧٤.

فقال ﷺ: بلى أما سمعت ما رددت عليهم، قلت: عليكم، فإذا سلم عليكم مسلم فقولوا السلام عليكم وإذا سلم عليكم كافر فقولوا عليك»^(١).

دلالات التحية وغاياتها

كان العرب في الجاهلية إذا أقبلوا سلموا، فإذا لم يسلم الوارد كان معناه أنه يريد بالحاشرين سوء، وكذلك إذا سلم ولم يجب كان معنى ذلك إنهم يريدون غدرا بالآتي.

والتحية في الإسلام تعني السلم والسلام، وهي عنوان الأمان وهي التي تؤمن الإنسان من روعته في مواطن الخوف، وهناك مواطن ثلاثة شديدة يمر بها الإنسان في حياته يطلب السلام والأمان كي يتجاوزها بسلم وسلام.

الأول: عند مجيئه إلى عالم الدنيا ومفارقة ذلك العالم الصغير، فعندها يكون بكأوه لمفارقة ذلك المكان ولدخوله في هذا العالم الغريب.

والثاني: عند الممات وما يجده من سكرات الموت، وفراقه المسكن والوطن، والأهل والأحبة، ومجاورة الأموات.

والثالث: عند الحشر وما يكون من أهوال يوم القيامة.

فيطلب السلام الذي هو عنوان الأمان من الآلام والأهوال في هذه الأحوال الثلاثة. وقد سلم الله تعالى على النبي يحيى عليه السلام في هذه المواطن الثلاثة وكذلك أخبر النبي عيسى عليه السلام أن الله تعالى قد سلمه وآمنه فيها، فعن ياسر الخادم قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «إن أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد فيخرج من بطن أمه فيرى الدنيا، ويوم يموت فيعابن الآخرة وأهلها، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا، وقد سلم الله على يحيى في هذه المواطن الثلاثة وآمن روعته فقال: ﴿وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾^(٢) وقد سلم عيسى بن مريم عليه السلام على نفسه في هذه المواطن الثلاثة فقال: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ

(١) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٥٨.

(٢) سورة مريم: ١٥.

أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا»^(١)»^(٢).

ولما في التحية من الدلالات العظيمة على الأمن والسلام جاء التأكيد عليها في القرآن والسنة النبوية وفي روايات أهل البيت عليهم السلام، فبها يؤمن الداخل في سلامه الحاضرين عندما يقبل عليهم، وهي من علامة الأختيار ومن محاسن الأبرار ودالة على الخلق الكريم والصفات الحميدة، وهذه هي جملة من عناوين لأحاديث وردت في التحية والسلام:

قال رسول الله ﷺ: «إن أبخل الناس من بخل بالسلام»^(٣).

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لكل داخل دهشة فابدءوا بالسلام»^(٤).

وقال عليه السلام: «سنة الأختيار لين الكلام وإفشاء السلام»^(٥).

وقال عليه السلام: «أفشوا السلام في العالم وردوا التحية على أهلها بأحسن منها»^(٦).

وقال عليه السلام: «عود لسانك لين الكلام وبذل السلام يكتر محبوبك ويقل مبغضوك»^(٧).

وقال عليه السلام: «إن بذل التحية من محاسن الأخلاق، التحية من حسن الأخلاق والسجية»^(٨).

وقال عليه السلام: «طلاقة الوجه بالبشر والعطية وفعل البر وبذل التحية داع إلى محبة البرية»^(٩).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إن الله يحب إطعام الطعام وإفشاء السلام»^(١٠).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من التواضع أن تسلم على من لقيت»^(١).

(١) سورة مريم: ٣٣.

(٢) بحار الأنوار: ٦ ص ١٥٨ ح ١٨.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٥٨ ح ٩٦٦١.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٣٥ ح ٩٩٤٧.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٣٥ ح ٩٩٤٥.

(٦) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٧١ ح ٩٧٠٣.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٣٥ ح ٩٩٤٦.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٣٥ ح ٩٩٤٣.

(٩) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٤٥٤.

(١٠) وسائل الشيعة: ج ٢٤ ص ٢٨٧ ح ٣٠٥٦.

أصول التحية وآدابها وقواعدها

وهناك أصول وقواعد وآداب للتحية والسلام ينبغي مراعاتها، ومنها:

١: البدء بالسلم

ينبغي للإنسان حينما يلتقي بأحد - وقبل أن يكلم - أن يبدأه بتحية السلام، فعن الإمام الحسين بن علي عليه السلام أنه قال له رجل ابتداء: كيف أنت عافاك الله؟ فقال عليه السلام له: «السلم قبل الكلام عافاك الله».

ثم قال عليه السلام: «لا تأذنوا لأحد حتى يسلم»^(١).

وسبب ذلك: أن السلم أمان، ولا كلام إلا بعد الأمان، وقد ورد في الأحاديث الحث على لزوم السلم قبل الكلام بل وقبل الطعام أيضاً، فقال عليه السلام: «لا تدع إلى طعامك أحداً حتى يسلم»^(٢).

٢: المصافحة

ومن تمام التحية في آدابها أن يتبع السلم بالمصافحة، فإن المصافحة من السنة وفيها ثواب كثير وتوجب غفران الذنوب، فعن أبي عمارة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «تحياتكم بينكم بالمصافحة»^(٣).

وقال صلى الله عليه وآله: «إذا تلاقى الرجلان فتصافحا تحاتت ذنوبهما وكان أقربهما إلى الله سبحانه أكثرهما بشراً لصاحبه»^(٤).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن المؤمنين إذا التقيا وتصافحا أدخل الله يده بين أيديهما فصافح أشدهما حباً لصاحبه»^(٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إن المؤمن ليلقى أخاه فيصافحه فيقبل الله

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٦ ح ١٢.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٥٨ ح ٩٦٥٩.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٥٧ ح ١٥٦٣٦.

(٤) بحار الأنوار: ج ٣ ص ٤٢ ح ٤٤.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٦٣ ح ١٠٢١٠.

(٦) الكافي: ج ٢ ص ١٧٩.

عليهما بوجهه ويتحات الذنوب عنهما حتى يفترقا»^(١).

٣: المعانقة والتقبيل

ثم تأتي بعد المصافحة المعانقة والتقبيل وهما من موجبات المحبة ومصاديقها، فعن عبد الله بن محمد الجعفي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: «أما مؤمن خرج إلى أخيه يزوره عارفاً بحقه كتب الله له بكل خطوة حسنة، ومحيت عنه سيئة، ورفعت له درجة، فإذا طرق الباب فتحت له أبواب السماء، فإذا التقيا وتصافحا وتعانقا أقبل الله عليهما بوجهه ثم باهى بهما الملائكة...»^(٢).

وقد ذكرنا فيما تقدم أن الذي يريد سفراً لم يتم التسليم عليه عادة إلا بالمعانقة والتوديع.

وقد عاب بعض هذه المعانقة باعتبارها من فعل الأعاجم فرد ذلك الأئمة عليهم السلام بما صنعه رسول الله ﷺ مع جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) لما قدم من الحبشة، فعن ابن بسطام قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فأتى رجل فقال: جعلت فداك إني رجل من أهل الجبل وربما لقيت رجلاً من إخواني فالتزمته فيعيب علي بعض الناس ويقولون هذه من فعل الأعاجم وأهل الشرك، فقال عليه السلام: «ولم ذاك فقد التزم رسول الله ﷺ جعفرًا وقبل بين عينيه»^(٣).

وأما التقبيل فموضعه نور الجبهة أي في أثر السجود على الجبهة، فعن يونس بن ظبيان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن لكم لنورا تعرفون به في الدنيا حتى أن أحدكم إذا لقي أخاه قبله في موضع النور من جبهته»^(٤).

وأما مواضع تقبيل ذات المحرم فورد عن موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قبل أحدكم ذات محرم قد حاضت، أخته أو عمته أو خالته فليقبل بين عينيه ورأسها وليكف عن خدها وعن فيها»^(٥).

(١) كشف الغمة: ج ٢ ص ١٩٨.
 (٢) الكافي: ج ٢ ص ١٨٣ باب المعانقة ح ١.
 (٣) بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ٤٢.
 (٤) الكافي: ج ٢ ص ١٨٥.
 (٥) بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ٤٢ ح ٤٣.

٤: تقبيل اليد والقيام للقادم

من الأمور المتعلقة بالتحية بتقبيل اليد والقيام للقادم، وقد اختلف في تفسير الروايات الواردة فيها، فأما عن تقبيل اليد فقد ورد عن رفاعه بن موسى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا يقبل رأس أحد ولا يده إلا رسول الله صلى الله عليه وآله أو من أريد به رسول الله صلى الله عليه وآله» (١).

ولا شك أن قوله عليه السلام: «أو من أريد به رسول الله صلى الله عليه وآله»: يشمل الأئمة الطاهرين عليهم السلام إذ لا فرق بين الإمام علي عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله إلا من جهة الوحي قال تعالى في آية المباهلة: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (٢)، وقال عز وجل في آية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣).

وكذلك يشمل ذريتهم، وقد نقل العلامة المجلسي رحمته الله عن بعض المحققين قوله: (لعل المراد بمن أريد به رسول الله صلى الله عليه وآله الأئمة المعصومون عليهم السلام كما يستفاد من الحديث الآتي ويحتمل شمول الحكم العلماء بالله وبأمر الله مع العاملين بعلمهم والهادين للناس ممن وافق قوله فعلة لأن العلماء الحق ورثة الأنبياء عليهم السلام فلا يبعد دخولهم فيمن يراد به رسول الله صلى الله عليه وآله).

وهذا الرأي هو الصحيح وينطبق في عصرنا الحاضر على الفقهاء ومراجع التقليد لأنهم نواب الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) ولا شك أنهم العلماء بالله وبأمر الله والهادين للناس. فإذا جرت العادة في زمان معين على هذا الأمر وهو تقبيل يد العالم وأريد به احترامه وتقديره وتعظيمه فهي جائزة بل مستحبة وذلك لشمولها بعموم الآية ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (٤)، و﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٨٥.

(٢) سورة آل عمران: ٦١.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٤) سورة الحج: ٣٢.

حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ» (١).

وأما عن القيام فقد ورد عن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يتمثل له الناس أو الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار» (٢)، وهذا الحديث ليس فيه شاهد لما نحن فيه وذلك لأمر:

١: المقصود من هذا الحديث هو ما تصنعه الجبارة من إلزامهم الناس بالقيام في حال قعودهم إلى أن ينقضي مجلسهم، ولا ينطبق على هذا القيام المتعلق بالتحية المخصوص والقصير زمانه.

وإن قيل: إن الحديث يشمل هؤلاء الذين اضطروا للوقوف من قبل الجبارة وهو نهي لهم عن هذا العمل.

قلنا: إن دفع الضرر عن النفس واجب، فالمتجبر الذي يؤاخذ من لا يقوم له بالعقوبة يمكن للشخص القيام ولا حرج عليه في ذلك لأجل دفع الإهانة والأذى عنه.

٢: لقد صح أن النبي ﷺ كان يقوم إجلالاً لفاطمة عليها السلام، وقام أيضاً إلى جعفر بن أبي طالب عليه السلام لما قدم من الحبشة وقال للأنصار: قوموا إلى سيدكم، ونقل أنه ﷺ قام لعكرمة بن أبي جهل لما قدم من اليمن فرحاً بقدمه (٣).

فعلى هذا يجوز القيام والتعظيم بانحناء قليل وشبهه، وربما لزم ذلك إذا أدى تركه إلى التباغض والتقاطع أو إهانة المؤمن.

وقد نقل أنه ﷺ كان يكره أن يقام له.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «إن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم من بعض حجراته إذا قوم من أصحابه مجتمعون فلما بصروا برسول الله ﷺ قاموا، قال لهم رسول الله ﷺ: اقعديا ولا تفعلوا كما يفعل الأعاجم تعظيماً ولكن اجلسوا وتفسحوا في مجلسكم وتوقروا أجلس إليكم إن شاء الله» (٤).

(١) سورة الحج: ٣٠.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٦٥.

(٣) راجع مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ١٥٩ ح ١٠٥٥١.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٦٥ ح ١٠٢١٦.

وقال عليه السلام: «لا تقوموا كما يقوم الأعاجم بعضهم لبعض ولا بأس أن يتحللَ عن مكانه»^(١). وهذا محمول على تواضعه صلى الله عليه وآله وتخفيفه على أصحابه.

٥: المساواة في التحية

ومن آداب التحية، عدم التمييز في التحية في بعض الموارد كباب القضاء، قال علي عليه السلام في كتابه لمالك الأشر: «ألن لهم جانبك وآس بينهم في اللحظة والنظرة والإشارة والتحية حتى لا يطمع العظماء من حيفك ولا ييأس الضعفاء من عدلك»^(٢). وهذا لا يعني أن تكون المساواة في التحية مطلقاً هي الأصل، بل هناك موارد ربما يجذب أن يميز بها لمقام أو لمناسبة أو غيرها من هذه الأمور.

٦: عدم خص الظالمين بالتحية

ومن آداب التحية وقواعدها، أن لا يجيى بها الظالمين، لأن التحية دالة على الأمان والسلام، والظالم يلزم أن لا يؤمن، ولذا حينما أدخل مسلم بن عقيل عليه السلام وهو أسير على عبيد الله لم يسلم عليه، فقال له الحرسى: سلم على الأمير، فقال له: اسكت، ويحك والله ما هو لي بأمر^(٣).

أنواع التحية واختلاف صيغها

تختلف التحية من مورد لآخر حسب المحيا بها، وعلى سبيل المثال تحية الصحابة للإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام لم تقتصر على السلام وإنما كانت تلحق بإمرة المؤمنين، فعن عمران بن حصين الخزاعي:

إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر فلاناً وفلاناً أن يسلموا على علي عليه السلام بإمرة المؤمنين، فقالوا: من الله ومن رسوله؟ فقال: من الله ومن رسوله، ثم أمر حذيفة وسلمان فسلما ثم أمر المقداد فسلم، وأمر بريدة أخي - وكان أخاه لأمه - فقال: إنكم سألتموني من وليكم بعدي وقد أخبرتكم به وأخذت عليكم الميثاق، كما أخذ الله تعالى على بني

(١) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٢٧ ح ١٦١٥٨.

(٢) تحف العقول: ص ١٧٦.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٥٧.

آدم ﴿أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾^(١) وأيم الله لئن نقضتموها لتكفرون»^(٢).

ومن ذلك ما ورد في قصة يهودي أتى أبا بكر ثم عمر وسألهما عن أموال أبيه وقد مات ولم يعلمه بها، فأوجع ضرباً، فأتى علياً عليه السلام فسلم عليه بإمرة المؤمنين، فقيل لم لم تسلم عليهما مثله؟ فقال: والله ما سميته حتى وجدته في كتب آبائي في التوراة، ثم سأله عن كنوز أبيه فقال: خذ ألواحاً وصر بها إلى وادي برهوت بحضرموت فإذا وصلت وكان عند الغروب وجدت عند القبور غرابين فاهتف باسم أبيك وقل أنا رسول وصي محمد صلى الله عليه وآله فأسأله واكتب ما يخبرك، ففعل فوجد كما قال فأخبره بموضع المال فرجع فنبشه وأوقر منه غيراً وأتى به علياً عليه السلام وأسلم وأقر له بالوصية والإمرة والأخوة^(٣).

وهناك آداب وسنن لتحية المعصومين عليهم السلام والمساجد وهي مذكورة في كتب الأدعية والزيارات ومنها: ما ورد عن عبد الله بن سنان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف التسليم على أهل القبور؟ فقال عليه السلام: نعم تقول: «السلام على أهل الديار من المسلمين والمؤمنين أتمم لنا فرط ونحن إن شاء الله بكم لاحقون»^(٤).

ومنها: استحباب صلاة التحية وهي ركعتان عند الضرائح المقدسة والمساجد قبل الجلوس. والمسلم مكلف - وهو يناجي ربه في صلاته - أن لا ينسى التسليم على نبيه صلى الله عليه وآله وعلى نفسه وعلى عباد الله الصالحين.

أحكام التحية

وهناك بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بالتحية، يستدل عليها بهذه الآية: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾^(٥) كوجوب رد المصلي عليها. وهناك تفصيل مذكور في الفقه.

ويكره أيضاً استخدام المصطلحات المتعارفة في اللقاء إن لم تتضمن تحية السلام،

(١) سورة الأعراف: ١٧٢.

(٢) اليقين، السيد ابن طاووس الحسني: ص ٣٨٨.

(٣) الصراط المستقيم: ج ١ ص ١٠٦.

(٤) الكافي: ج ٣ ص ٢٢٩.

(٥) سورة النساء: ٨٦.

فقد ورد عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن جده علي بن الحسين عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن علي بن أبي طالب عليه السلام: «أنه كان يكره أن يقول الرجل للرجل حياك الله ثم يسكت حتى يتبعها بالسلام»^(١).

التحية في واقعنا المعاصر

كلما تقدم الزمان يزداد تعلق الإنسان بحياته المادية بسبب هذا التطور الهائل الإيجابي والسلبي في آن واحد، ولاشك أن استخدام المسلمين لكل ما أنتجته الدول الغربية من هذه التكنولوجيا والصناعات المتطورة يجعل حياتهم مادية في بعض الجوانب، بحيث لا تختلف عن مجتمعات الدول الغربية، ومن هنا يتطلب من الإنسان المسلم التفكير في سلبيات ما يستخدمه في حياته كي لا تغطي المادية على الجانب الروحي والمعنوي، ومن أمثلة ذلك ما يسمى بـ (الأنترفون) وهو الجهاز الحاكي الذي يوضع على الباب، ولا شك أن له محسنات وإيجابيات ولكن إلى جانب هذا فيه مساوئ على المعنويات، فكان في السابق حينما يأتي الضيف ويطرق الباب يخرج إليه صاحب المنزل فيراه ويحيه ويرحب به ويحدثه مشافهة، أما اليوم فتمت محادثته عبر الجهاز الحاكي فيخسر فيها اللقاء. وإذا لم يحصل بينهما لقاء فلم ينظر الأول في وجه صاحبه ثم لم تحصل بينهما مصافحة، وبهذا قد حرما الأجر والثواب المترتب على اللقاء والنظر والمصافحة والتقبيل والمعانقة، فقد جاء في الرواية عن عبد الله بن محمد الجعفي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام قالوا: «أما مؤمن خرج إلى أخيه يزوره عارفاً بحقه كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحيت عنه سيئة ورفعت له درجة فإذا طرق الباب فتحت له أبواب السماء فإذا التقيا وتصافحا وتعانقا أقبل الله عليهما بوجهه ثم باهى بهما الملائكة فيقول: انظروا إلى عبدي تزاورا وتحابا في، حق عليّ ألا أعذبهما بالنار بعد هذا الموقف فإذا انصرف شيعه ملائكة عدد نفسه وخطاه كلامه يحفظونه عن بلاء الدنيا وبوائق الآخرة إلى مثل تلك الليلة من قابل فإن مات فيما بينهما أعفي من الحساب، وإن كان المزور يعرف من حق الزائر ما عرفه الزائر من حق المزور كان له

(١) الجعفریات: ص ١٧٤.

مثل أجره»^(١).

والمقصود من (عارفاً بحقه) هو أن يعلم فضله ولزوم إعطاء حقه في الزيارة والرعاية والاحترام والإكرام، ومعنى (فتح أبواب السماء) إما كناية عن نزول الرحمة عليه أو استجابة دعائه، والمقصود من (إقباله تعالى عليهما بوجهه) كناية عن غاية رضاه عنهما أو توجيه رحمته البالغة إليهما.

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن المؤمن إذا لقي أخاه وتصافحا لم تزل الذنوب تتحات عنهما ما داما متصافحين كتحات الورق عن الشجر، فإذا افترقا، قال ملكاهما: جزاكما الله خيراً عن أنفسكما، فإن التزم كل واحد منهما صاحبه ناداهما مناد: طوبى لكما وحسن مأب، وطوبى شجرة في الجنة أصلها في دار أمير المؤمنين عليه السلام وفرعها في منازل أهل الجنة، فإذا افترقا ناداهما ملكان كريمان: أبشراً يا ولي الله بكرامة الله والجنة من ورائكما»^(٢).

وعن رفاعة قال: سمعته عليه السلام يقول: «مصافحة المؤمن أفضل من مصافحة الملائكة»^(٣).

ومعنى ذلك أن مصافحة المؤمنين أفضل من مصافحة الملكين، أو مصافحة المؤمن مع المؤمن أفضل من مصافحته مع الملائكة لو تيسرت له، وفي الحديث دلالة على أن المؤمن الكامل أفضل من الملك.

ولهذا تجد الظواهر المادية التي يمر بها الإنسان المسلم في حياته قد طغت على سلوكه وتفكيره ومن هنا أصبحت أغلب مجتمعاتنا الإسلامية في سلوكها بهذا المجال لا تختلف عن المجتمعات الغربية، إذ لا ترى للتحية أثراً في أوساطهم إلا للذي يعرفه، بل أصبح في بعض الدول الإسلامية أن الذي يسلم ينظر له نظرة سيئة فيعتبر من الذين يطلبون العطاء والصدقة. والحال أنها تعتبر من أهم الروابط الاجتماعية والإيمانية.

بل كثيراً ما تسمع الكلام فقط فلا يسبق السلام ولا تتبعه تحية، والحق أن الذي

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٨٣ ح ١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ٤١ ح ٤١.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ١٨٣ ح ٢١.

يبدأ بالكلام ينبغي أن لا يجاب وهذا ما نصت عليه أحاديث النبي ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام فعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تحيوه»^(١).

وكانت هذه سيرة الأوائل فلا إجابة لمن يبتدأ بالكلام ولم يسلم، وهذا ما نراه في رواية جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله عليه) حيث قال: كنت أنا ومعاوية بن أبي سفيان بالشام، فبينما نحن ذات يوم إذ نظرنا إلى شيخ وهو مقبل من صدر البرية من ناحية العراق، فقال معاوية: عرجوا بنا إلى هذا الشيخ نسأله من أين أقبل وإلى أين يريد؟ وكان مع معاوية أبو الأعور السلمي وولدا معاوية خالد ويزيد، وعمرو بن العاص. قال: فعرجنا إليه فقال له معاوية: من أين أقبلت يا شيخ وإلى أين تريد؟ فلم يجبه الشيخ، فقال له عمرو بن العاص: لما لا تحيب أمير المؤمنين؟ فقال الشيخ: إن الله جعل التحية غير هذه، فقال معاوية: صدقت يا شيخ أصبت وأخطأنا وأحسنتم وأسأنا، السلام عليك يا شيخ، فقال الشيخ: وعليك السلام...^(٢).

دعوة الإسلام إلى الالتزام بتحية السلام

والخلاصة يلزم على المسلمين الالتزام بتحية الإسلام (السلام عليكم) فإنه يشتمل على السلم والسلام، أما ما تعارف عليه بعض الناس من التحيات التي لا تتضمن السلام فينبغي تركه.

كما ينبغي أن يتبع السلام بالمصافحة.

ويلزم على المسلمين إفشاء السلام وجعله حالة طبيعة أينما وجدوا، سواء كانوا في الشارع أو المسجد أو السوق، ويلزم أن لا يقتصر على الكبار، بل لابد من تعليم الصغار عليها كي ينشئوا على هذه الحسنة الطيبة، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»^(٣).

(١) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٥٦ ح ١٥٦٣٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٢٤٧ ح ٥٢٣.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٦ ص ٣٢٨ ح ٦٩٢٣.

٢

الأخوة الإسلامية

إن الإسلام يستهدف إقامة كيان موحد بين المسلمين، ويؤكد على العلاقة الأخوية بينهم، وقد أمر بالإخاء بين الناس عموماً وبين المؤمنين خصوصاً، وأن لا يقتصر الإنسان على الاهتمام بنفسه بل عليه رعاية الاهتمام بأفراد مجتمعه وباقي شعوب المجتمعات الأخرى. والأخوة بمعناها الصحيح تعتبر من أبرز مصاديق السلم والسلام في المجتمع الإسلامي.

مفهوم الأخوة الإسلامية ودلالاتها

كان العرب في المجتمع الجاهلي وقبل بزوغ فجر الإسلام يقطعون الأرحام ويسفكون الدماء، وقد ورد وصف عقائدهم وحياتهم الاجتماعية في خطبة للإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة فقال: «إن الله سبحانه بعث محمداً ﷺ نذيراً للعالمين وأميناً على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شر دين وفي شر دار منيخون بين حجارة خشن وحيات صم، تشربون الكدر وتأكلون الجشب وتسفكون دماءكم وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبة»^(١).

(١) نهج البلاغة: الخطب ٢٦.

ولما أنزل الله الشريعة الإسلامية ألفت بين القلوب وأصلحتها ووحدت ما كان متفرقا وواصلت بين الأرحام فقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام واصفاً عمل النبي ﷺ ودعوته بتبليغ الرسالة وتأليفه بين ذوي الأرحام وإزالة الضغائن والأحقاد من القلوب: «فصدع بما أمر به، وبلغ رسالة ربه، فلم الله به الصدع ورتق به الفتق وألف به بين ذوي الأرحام بعد العداوة الواغرة في الصدور والضغائن القادحة في القلوب»^(٢).

وحينما هاجر النبي ﷺ والمسلمون إلى المدينة سعى الإسلام لترسيخ هذا المبدأ الإسلامي وهذا المفهوم القرآني وهو الأخوة الإسلامية في أذهان المسلمين، فكانت المؤاخاة حيث آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، ومن أحداثها المشهورة أنه ترك علياً عليه السلام فقال له: إنما تركتك لنفسي أنت أخي في الدنيا والآخرة، وتعتبر المؤاخاة أول حدث من الأحداث الإسلامية الخالدة التي رسخت هذا المبدأ في أوساط المسلمين.

ثم أخذت الآيات الكريمة تنزل على المسلمين التي تؤكد أشد التأكيد على الأخوة الإسلامية، حيث قال سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(٣). وقال تعالى في الإخاء الخاص: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(٤).

ومن أدل هذه الآيات الكريمة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٥).

ومفهوم الأخوة في القرآن يمكن أن يشمل ثلاثة أصناف:

الأول: الأخوة في العقيدة.

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٢٥.

(٣) سورة التوبة: ٧١.

(٤) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٥) سورة الحجرات: ١٠.

الثاني: الأخوة في النسب.

الثالث: الأخوة في الإنسانية.

فأما الأول: وهو مفهوم الأخوة في العقيدة

فلا شك أنه يشمل المؤمنين بمختلف أقسامهم وألوانهم ولغاتهم، فالمؤمن أخو المؤمن في العقيدة والدين وهذا المعنى هو الذي أراده الإمام علي عليه السلام في قوله لمالك الأشر: «الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»^(١). ومن هذا يعرف أن أهمية رباط العقيدة والإيمان لا تختلف عن أهمية رابطة الأخوة النسبية بل تفوقها خاصة إذا ما أضيف لها أبوة النبوة والإمامة فقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أنا وعلي أبوا هذه الأمة»^(٢).

وفي محاوره بين الإمام الرضا عليه السلام وأحد أصحابه تفسير لذلك، جاء عن علي بن الحسن بن فضال عن أبيه قال: سألت الرضا عليه السلام فقلت له: لم كني النبي صلى الله عليه وآله بأبي القاسم؟ فقال عليه السلام: «لأنه كان له ابن يقال له قاسم فكني به» قال: فقلت: يا بن رسول الله فهل تراني أهلاً للزيادة؟ فقال عليه السلام: «نعم أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أنا وعلي أبوا هذه الأمة»^(٣) قلت: بلى، قال عليه السلام: «أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله أب لجميع أمته وعلي عليه السلام بمنزلته فيهم» قلت: بلى، قال عليه السلام: «أما علمت أن علياً قاسم الجنة والنار؟ قلت: بلى، قال عليه السلام: «فقيل له أبو القاسم لأنه أبو قاسم الجنة والنار» فقلت له: وما معنى ذلك؟ فقال عليه السلام: «إن شفقة الرسول على أمته شفقة الآباء على أولاد وأفضل أمته علي عليه السلام ومن بعده شفقة علي عليه السلام عليهم كشفقته لأنه وصيه وخليفته والإمام بعده فلذلك قال عليه السلام: أنا وعلي أبوا هذه الأمة وصعد النبي صلى الله عليه وآله المنبر فقال: من ترك ديناً أو ضياعاً فعلي وإلي، ومن ترك مالا فلورثته، فصار بذلك أولى بهم من آبائهم وأمهاتهم، وصار أولى بهم منهم بأنفسهم

(١) نهج البلاغة: الرسائل ٥٣.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٣٠.

(٣) بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ١١.

وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام بعده جرى له مثل ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وآله (١)، وكذلك من الجانب الثاني وهو من ناحية الأم ففساء النبي أمهات المؤمنين كما نصت الآية: ﴿النَّبِيِّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ (٢).

ولا شك أن المؤمنين هم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له الأعضاء بالسهر والحمى، وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين عليهم السلام تحت على توثيق الأخوة في العقيدة والنصح والإخلاص لها، ومنها ما جاء عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حيث قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (٣). وقال صلى الله عليه وآله: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال صلى الله عليه وآله: «تمنعه من الظلم فذلك نصره» (٤).

وأما الثاني: الأخوة في النسب

فيعني أن المؤمنين إخوة كالأخوة الحقيقية، أي أن أخوتهم متأصلة بمنزلة الحقيقة، وذلك لأحاديث كثيرة أكدت أن المؤمنين من طينة واحدة فعن جابر الجعفي قال: تنفست بين يدي أبي جعفر عليه السلام ثم قلت: يا بن رسول الله أهتم من غير مصيبة تصيبني أو أمر نزل بي حتى تعرف ذلك أهلي في وجهي ويعرفه صديقي؟ قال عليه السلام: «نعم يا جابر» قلت: ومم ذاك يا بن رسول الله؟ قال عليه السلام: «وما تصنع بذلك؟» قلت: أحب أن أعلمه، فقال عليه السلام: «يا جابر إن الله خلق المؤمنين من طينة الجنان وأجرى فيهم من ريح روحه، فلذلك المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، فإذا أصاب تلك الأرواح في بلد من البلدان شيء حزنه عليه أرواح لأنها منه» (٥).

وعن الشمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه لأن الله

(١) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٩٥ ج ٦ ص ٢٩.

(٢) سورة الأحزاب: ٦.

(٣) منية المرید: ص ١٩٠.

(٤) راجع وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢١٣ ح ١٦١١٤.

(٥) بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ١٤٧ ح ٢٣.

خلق طينتهما من سبع سماوات وهي طينة الجنان ثم تلا: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(١) فهل يكون الرحيم إلا براً ووصولاً^(٢). وعن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه وذلك أن الله تبارك وتعالى خلق المؤمن من طينة جنان السماوات وأجرى فيه من روح رحمته فلذلك هو أخوه لأبيه وأمه»^(٣).

وعن الفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنما المؤمنون إخوة بنو أب وأم وإذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون»^(٤).

وأما الثالث: الأخوة الإنسانية

أي الأخوة العامة، وهذا يسمى بالأخوة الإنسانية، وهو الذي عبر عنه الإمام علي عليه السلام في قوله لمالك الأشتر: «أو نظير لك في الخلق»^(٥)، أي أن الذي تجتمع معه في الإنسانية والخلق يعتبر أخاً لك، وربما يكون من هذا أيضاً ما جاء في بعض الآيات القرآنية التي سمت الكفار إخوة الأنبياء عليهم السلام والأنبياء إخوة الكفار كما سمي الله سبحانه النبي هوداً عليه السلام أخاً قومه عاد: ﴿وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾^(٦)، و﴿وَالِإِي عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً﴾^(٧).

وهكذا سمي الله تعالى النبي صالحاً عليه السلام أخاً قومه ثمود: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً﴾^(٨)، و﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾^(٩).

كما وسمى سبحانه النبي شعيباً عليه السلام أخاً قومه: ﴿وَالِإِي مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً﴾^(١٠)، وسمى الله عز وجل النبي نوحاً عليه السلام أخاً قومه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾^(١١)، وسمى سبحانه وتعالى النبي لوطاً عليه السلام أخاً قومه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ

(١) سورة الفتح: ٢٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٢٧٦.

(٣) لمزيد من الاطلاع راجع الكافي: ج ٢ ص ١٦٦.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ١٦٥.

(٥) نهج البلاغة: الرسائل ٥٣.

(٦) سورة الأحقاف: ٢١.

(٧) سورة الأعراف: ٦٥.

(٨) سورة النمل: ٤٥.

(٩) سورة الشعراء: ١٤٢.

(١٠) سورة الأعراف: ٨٥.

(١١) سورة الشعراء: ١٠٦.

أَخُوهُمْ لَوْطٌ أَلَا تَتَّقُونَ»^(١).

وهذا الإخاء الوارد في هذا الصنف الثالث (الأخوة الإنسانية) معناه لزوم العمل بمصاديق الأخوة العامة، فالإنسان أخ لبني نوعه مهما كان الفرق بينهما في الدين واللغة والعرق واللون والوطن، وقد يكون من مصاديقه لزوم إلغاء الحدود المصطنعة بين جميع بلاد العالم، الإسلامية منها وغير الإسلامية، فليس معناها إلغاء الحدود الجغرافية بين المسلمين فقط الذي هو واجب قطعي، وقد رأينا سابقا في العراق قبل نصف قرن بين مختلف الجنسيات واللغات والأقطار وقد حصل التعايش بينهم، وإنما بالإضافة إلى ذلك فإن معنى الإخاء هو بذل المحبة القلبية والتواصي بالحق والمشاركة في الآلام والآمال والتعاون على الخير والتكافل على أحداث الحياة، فيشد هذا من أزر ذاك وذاك من أزر هذا، ولذا قال عليه السلام: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٢)، وابتدأ بالحب لأن مركز انطلاق التعاون والصلاح هو القلب فإذا صلح القلب صلحت الأعمال وإذا لم يصلح القلب لم تصلح الأعمال.

روي عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «سنة من المروءة ثلاثة منها في الحضر وثلاثة منها في السفر، فأما التي في الحضر فتلاوة كتاب الله تعالى وعمارة مساجد الله واتخاذ الإخوان في الله عزوجل، وأما التي في السفر فبذل الزاد وحسن الخلق والمزاح في غير المعاصي»^(٣).

وفيما أوصى به أمير المؤمنين عليه السلام عند وفاته: «وآخ الإخوان في الله وأحب الصالح لصلاحه»^(٤).

وعن داود بن سليمان عن الرضا عليه السلام قال: «من استفاد أخا في الله فقد استفاد بيتا في الجنة»^(٥). وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: «ما أحدث الله إخاء بين مؤمنين إلا أحدث لكل منهما درجة»^(٦).

(١) سورة الشعراء: ١٦١.

(٢) منية المرید: ص ١٩٠، القسم الثاني.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٨، ص ٢٢٤.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٢، ص ٢٣٧.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٦.

(٦) عدة الداعي: ص ١٨٩.

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن المؤمنين المتواخين في الله ليكون أحدهما في الجنة فوق الآخر بدرجة فيقول: يا رب إن صاحبي قد كان يأمرني بطاعتك ويشبطني عن معصيتك ويرغبني فيما عندك فاجمع بيني وبينه في هذه الدرجة فيجمع الله بينهما، وإن المنافقين ليكون أحدهما أسفل من صاحبه بدرك في النار فيقول: يا رب إن فلاناً كان يأمرني بمعصيتك ويشبطني عن طاعتك ويزهدني فيما عندك ولا يحدرنني لقاءك فاجمع بيني وبينه في هذا الدرك، فيجمع الله بينهما وتلا هذه الآية: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(١)»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا يرجع صاحب المسجد بأقل من إحدى ثلاث، إما دعاء يدعو به يدخله الله به الجنة، وإما دعاء يدعو به فيصرف الله عنه بلاء، وإما أخ يستفيده في الله عزوجل»^(٣)، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد فائدة الإسلام مثل أخ يستفيده في الله»^(٤).

وقال علي عليه السلام: «أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم»^(٥). وقال عليه السلام:
 عليك بإخوان الصفاء فإنهم
 وليس كثيراً ألف خل وصاحب
 لكثير^(٦)

وقال الصادق عليه السلام: «المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إن اشتكى شيئاً وجد ألم ذلك في سائر جسده، وإن روحهما من روح الله وإن روح المؤمن لأشد اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها»^(٧).

ومن كتاب قضاء حقوق المؤمنين للصوري، بإسناده عن جعفر بن محمد بن أبي

(١) سورة الزخرف: ٦٧.
 (٢) عدة الداعي: ص ١٩٠.
 (٣) وسائل الشيعة: ج ٥ ص ١٩٣.
 (٤) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٢٧٥.
 (٥) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٨ ح ١٥٥٢٧.
 (٦) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٦ ح ١٥٥٢٣.
 (٧) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٢٧٧، والكافي: ج ٢ ص ١٦٦.

فاطمة قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا ابن أبي فاطمة إن العبد يكون باراً بقربته ولم يبق من أجله إلا ثلاث سنين فيصيره الله ثلاثاً وثلاثين سنة، وإن العبد ليكون عاقاً بقربته وقد بقي من أجله ثلاث وثلاثون سنة فيصيره الله ثلاث سنين ثم تلا هذه الآية: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١) قال: قلت: جعلت فداك فإن لم يكن له قرابة، قال: فنظر إلي مغضباً ورد علي شبيها بالزبر «يا ابن أبي فاطمة لا تكون القرابة إلا في رحم ماسة، المؤمنون بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، فللمؤمن على المؤمن أن يبره فريضة من الله، يا ابن أبي فاطمة تباروا وتواصلوا فينسئ الله في آجالكم ويزيد في أموالكم وتعطون العافية في جميع أموركم، وإن صلاتكم وصومكم وتقربكم إلى الله أفضل من صلاة غيركم ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(٢)»^(٣).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن للمؤمن على المؤمن سبعة حقوق، فأوجبها أن يقول الرجل حقاً وإن كان على نفسه أو على والديه فلا يميل لهم عن الحق»^(٤).

حقوق الأخوة

وقد عدد في حديث حق المسلم على المسلم إلى ثلاثين حقاً^(٥) بينما ليس ذلك كل الحق، فهناك حقوق أخرى مذكورة في مختلف الروايات، وربما كان السبب في عد الثلاثين في هذا الحديث لأنها كانت محل الابتلاء غالباً أو ما شاكل ذلك، هذا بالإضافة إلى أن العدد لا مفهوم له على ما ذكره في علم الأصول، كما أن هناك آيات عديدة تدل على بعض هذه الحقوق، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾^(٦).

وكما قال النبي الأكرم محمد عليه السلام: «إن للمسلم على أخيه من المعروف ستاً:

- (١) سورة الرعد: ٣٩.
- (٢) سورة يوسف: ١٠٦.
- (٣) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٢٧٧.
- (٤) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٤٥ ح ١٠١٥٧.
- (٥) لمزيد من الاطلاع راجع الكافي: ج ٢ ص ١٦، ووسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٨٧، ومستدرک ومستدرک ج ٩ ص ٤٠.
- (٦) سورة المعارج: ٢٤-٢٥.

يسلم عليه إذا لقيه، ويعوده إذا مرض، ويسمته إذا عطس، ويشهده إذا مات، ويجيبه إذا دعاه، ويجب له ما يجب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «يا كميل المؤمن مرآة المؤمن، لأنه يتأمله ويسد فاقته ويجمل حالته، يا كميل المؤمنون أخوة، ولا شيء آثر عند كل أخ من أخيه، يا كميل إن لم تحب أخاك فلست أخاه»^(٢).

وقال الرسول ﷺ: «إذا آخى أحدكم أخا في الله فلا يحاده ولا يداره ولا يماره»^(٣).

وقال عليه السلام: «المؤمن مرآة لأخيه المؤمن، ينصحه إذا غاب عنه، ويميط عنه ما يكره إذا شهد، ويوسع له في المجلس»^(٤).

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «اعلم يرحمك الله إن حق الإخوان واجب فرض لازم، أن تفدوهم بأنفسكم وأسماعكم وأبصاركم وأيديكم وأرجلكم وجميع جوارحك، وهم حصونكم التي تلجؤون إليها في الشدائد في الدنيا والآخرة، لاتماظوهم، ولا تخالفوهم، ولا تغتابوهم، ولا تدعوا نصرتهم ولا معاونتهم، وابدلوا النفوس والأموال دونهم، والإقبال على الله عزوجل بالدعاء لهم، ومواساتهم في كل ما يجوز فيه المساواة والمواساة، ونصرتهم ظالمين ومظلومين بالدفع عنهم» - إلى أن قال - «فبالله نستعين على حقوق الإخوان، والأخ الذي تجب له هذه الحقوق الذي لا فرق بينك وبينه في جملة الدين وتفصيله، ثم ما تجب له من الحقوق على حسب قرب ما بين الإخوان وبعده بحسب ذلك»^(٥).

٣

صلة الأرحام

السلام في محيط الأسرة

تبدأ صلة الرحم من الدائرة الصغرى وهي الأسرة، اللبنة الأولى في محيط الأرحام

(١) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢١١ ح ١٦١١١.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٤٩ ح ١٠١٦٥.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٤٥ ح ١٠١٥٩.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٤٥ ح ١٠١٥٨.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٤٦ ح ١٠١٦١.

وتعتبر أول وحدة اجتماعية يتدرّب فيها الإنسان على ممارسة علاقاته مع المجتمع، وهي المجال الحيوي الأول الذي تمر فيه الشخصية وتترعرع فيه فضائلها، وتكون أساسا للمجتمع كله، لأنه يتكون منها.

والسلام في الأسرة يبدأ بعد أن يحصل السلام بين الإنسان ونفسه وقد أوجب الإسلام هذه المصاحبة وذلك لأن بدن الإنسان وروحه ونفسه وعقله وسائر حواسه وجوارحه كلها أمانة بيده، فاللازم مداراتها جميعا حسب الموازين الصحيحة الواردة شرعا وعقلا، حتى يعيش الإنسان بسلم وسلام في الدنيا والآخرة، وإلا خسر ذاته وكلّ الخير في الدارين، كما نشاهده في بعض المحكومين بالإعدام أو بالسجن أو ما أشبه فهم يخسرون دنياهم كلها أو بعضها، وفي القرآن الحكيم: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(١).

فإن الإنسان يكون له اعتباران، اعتبار فاعلي وقابلي، فربما يخسر الإنسان غيره وربما يخسر نفسه، فالنتيجة هي خسارة ذلك الشخص لنفسه فهو الذي خسر وهو الذي خسر، لكن باعتبارين كمن يضرب نفسه أو يقتلها حيث يكون ضاربا ومضروبا في حال واحد، وقاتلا ومقتولا كذلك. وإذا أراد الإنسان أن لا يخسر نفسه فعليه أن يلتزم بحقوق نفسه عليه، وقد قال الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق:

«اعلم رحمك الله إن الله عليك حقوقا محيطة بك، فبكل حركة تحركتها أو سكنة سكنتها أو منزلة نزلتها أو جارحة قلبتها أو آلة تصرفت بها، بعضها أكبر من بعض، وأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق ومنه تفرّع، ثم أوجبه عليك لنفسك من قرئك إلى قدمك على اختلاف جوارحك، فجعل لبصرك عليك حقا، ولسمعك عليك حقا، وللسانك عليك حقا، وليدك عليك حقا، ولرجلك عليك حقا، ولبطنك عليك حقا، ولفرجك عليك حقا، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال، ثم جعل عزوجل عليك حقوقا، فجعل لصلاتك عليك حقا، ولصومك عليك حقا، ولصدقتك عليك حقا، ولهديك عليك

(١) سورة الزمر: ١٥.

حقاً، ولأفعالك عليك حقاً، ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوي الحقوق الواجبة عليك» الخبر^(١).

ويشترط في هذه المصاحبة أن يكون للإنسان واعظ من نفسه، قال عليه السلام: «المؤمن يحتاج إلى ثلاث خصال، توفيق من الله عزوجل وواعظ من نفسه وقبول ممن ينصحه»^(٢)، فإذا صدق الإنسان مع نفسه وأصلح ما بين ذاته ونفسه فيمكنه أن يكون مصلحاً للآخرين أيضاً، وإلا فكيف يكون مصلحاً للآخرين كما قالوا: «طيب يداوي الناس وهو عليل»^(٣)، وقد قال الشاعر:

يا أيها الرجل المعلم غيره	ألا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الطنى	كيما يصح به وأنت سقيم
وأراك تلقح بالرشاد قلوبنا	وصفاً وأنت من الرشاد عديم
فابدأ بنفسك فانها عن غيرها	فإن انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك ينفع ما تقول وتهدي	بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله	عار عليك إذا فعلت عظيم ^(٤)

فإذا كان الإنسان مصاحباً لنفسه صحبة حسنة حسب ما أمر الله تعالى، يكون سالكا بنفسه صراطاً مستقيماً وطريقاً سويّاً سليماً إلى الهدف الذي يريده. ومن شأن هذه النتيجة أن تنعكس بالإيجاب على النواة الأولى في المجتمع ألا وهي الأسرة (الزوجان والوالدان والأولاد).

فالمرحلة الثانية التي تأتي بعد ما أوجبه الإسلام على مصاحبة الإنسان نفسه بطريقة سليمة وواقعية يأتي دور الأمن والسلام داخل الأسرة من أجل حفظ السلم والسلام الفردي والاجتماعي .

وقد ذكر الإسلام جملة من التوصيات التي من شأنها أن تبسط السلم والسلام داخل الأسرة، ومنها بر الوالدين:

أثر بر الوالدين في بسط السلام داخل الأسرة

(١) مستدرك الوسائل: ج ١١ ص ١٥٤ ح ١٢٦٦.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٣٢٩ ح ٩٥٧٦.

(٣) تفسير القمي: ج ١ ص ٤٦.

(٤) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ٣٠١.

بر الوالدين واحترامهما والعطف على الأولاد فريضة واجبة في الإسلام، وقد نصت النصوص عليها، ففي القرآن الحكيم:

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾^(١).

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفًّا وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ وَخُفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا﴾^(٢).

وهذا البر وذلك العطف مضافان إلى موضوعيتهما يكونان منهاجا أيضا، فهما بمثابة تدريب للإنسان على كيفية اكتساب فضيلة التعايش في أمن وسلام مع الناس جميعا، لأنه لا يمكن - عادة - أن تكون للإنسان حالتان حقيقتان مختلفتان، حالة مع المجتمع الصغير (الأسرة) وحالة مع المجتمع الكبير، بأن يكون في سلام مع العائلة، وفي غيره مع المجتمع، أو بالعكس، وهكذا بالنسبة إلى الأمن.

ومن الآيات التي حثت على بر الوالدين قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ۗ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾^(٣). فإذا خرج الأبوان عن مقتضى الصلاح والاعتدال، فليس على الولد إطاعتهم، إذ لا طاعة مع الانحراف.

وبر الوالدين واجب عيني، بينما الجهاد واجب كفائي ولأهميته قدمه رسول الله ﷺ على الجهاد حيث ورد في حديث عن جابر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني راغب في الجهاد نشيط، قال عليه السلام: فقال له النبي ﷺ: فجاهد في سبيل الله فإنك إن تقتل تكن حيا عند الله ترزق، وإن تمت فقد وقع أجرك على الله، وإن رجعت رجعت من الذنوب كما ولدت، قال: يا رسول الله إن لي والدين كبيرين يزعمان أنهما يأنسان بي ويكرهان

(١) سورة التحريم: ٦.

(٢) سورة الإسراء: ٢٣-٢٤.

(٣) سورة لقمان: ١٤-١٥.

خروجي، فقال رسول الله ﷺ: «فقرّ مع والديك فو الذي نفسي بيده لأنسهما بك يوماً وليلة خير من جهاد سنة»^(١).

وفي حديث آخر أن رجلاً أقبل إلى رسول الله ﷺ فقال: «أبايعك على الهجرة والجهاد، فقال ﷺ: «هل من والديك أحد؟»، قال: نعم كلاهما، قال ﷺ: «فتبغني الأجر من الله، قال: نعم، قال ﷺ: «فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما»^(٢).

وعن جابر قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: «إني رجل شاب نشيط وأحب الجهاد ولي والدة تكره ذلك، فقال له النبي ﷺ: «ارجع فكن مع والدتك، فو الذي بعثني بالحق نبياً لأنسها بك ليلة خير من جهادك في سبيل الله سنة»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «رقدك على السرير إلى جنب والديك في برهما أفضل من جهادك بالسيف في سبيل الله»^(٤).

وقال رجل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل بقي من البر بعد موت الأبوين شيء؟ قال ﷺ: «نعم، الصلاة عليهما والاستغفار لهما والوفاء بهما وإكرام صديقيهما وصلته رحمهما»^(٥).

أقول: المراد بالصلاة الدعاء ويفهم ذلك من لفظ (عليهما) في قوله ﷺ. وجاءت امرأة طاعنة في السن إلى رسول الله ﷺ في مسجد بالمدينة فاحترمها الرسول ﷺ احتراماً متزايداً وفرش لها رداءه وأقبل يضحك إليها، ولما ذهبت قال الأصحاب: من كانت هذه يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنها كانت صديقة خديجة عليها السلام في مكة»، وقد راعاها رسول الله ﷺ حتى في صديقتها وكان ذلك من الوفاء لها.

وروي أنه: كان النبي ﷺ إذا أتى بشيء يقول: «إذهبوا به إلى فلانة فإنها كانت

-
- (١) الكافي: ج ٢ ص ١٦٠ ج ١٠.
 (٢) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ١٧٧ ح ١٧٩٢٣.
 (٣) الكافي: ج ٢ ص ١٦٣ ح ٢٠.
 (٤) جامع الأخبار: ص ٨٣.
 (٥) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ٢٠١ ح ١٨٠٠٦.

صديقة خديجة عليها السلام، إذهبوا به إلى فلانة فإنها كانت تحب خديجة»^(١).

وفي حديث مشهور ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله يوضح عظمة بر الوالدين، حيث قال: «بينما ثلاثة رهط يتماشون أخذهم المطر فأووا إلى غار في جبل فبينما هم فيه انحطت صخرة فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أفضل أعمال عملتموها فسلوه بها لعله يفرج عنكم.

قال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان كبيران وكانت لي امرأة وأولاد صغار فكنت أرعى عليهم، فإذا أرحت عليهم غنمي، بدأت بوالدي فسقيتهما، فلم آت حتى نام أبواي، فطيبت الإناء ثم حلبت ثم قمت بجلابي عند رأس أبيي، والصبية يتضاغون عند رجلي^(٢) أكره أن أبدأ بهم قبل أبيي، وأكره أن أوقظهما من نومهما، فلم أزل كذلك حتى أضاء الفجر، اللهم إن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا فرجة نرى منها السماء، فأفرج لهم فرجة فأروا منها السماء.

وقال الآخر: اللهم إنه كان لي بنت عم فأحببتها حبا، كانت أعز الناس إليّ فسألتها نفسها، فقالت: لا، حتى تأتيني بمائة دينار، فسعيت حتى جمعت مائة دينار فأتيتها بها فلما كنت بين رجلها قالت: اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه فقامت عنها، اللهم إن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا فيها فرجة، فأفرج الله لهم فيها فرجة.

وقال الثالث: اللهم إني كنت استأجرت أجيرا بفرق ذرة، فلما قضى عمله عرضت عليه فأبى أن يأخذها، ورغب عنه، فلم أزل أعتمل به حتى جمعت منه بقرا ورعاتها فجاءني وقال: اتق الله وأعطني حقي ولا تظلمني فقلت له: اذهب إلى تلك البقر ورعاتها فخذها فذهب واستاقها، اللهم إن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما بقي منها، فأفرج الله عنهم فخرجوا يتماشون^(٣).

أقول: لا يستبعد ذلك، فإنه من الواضح أن الدعاء يسبب حل المشاكل بأسباب

(١) راجع المستدرک للحاکم النیسابوری: ج ٤ ص ١٧٥.

(٢) أي يصيحون من الجوع.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٤ ص ٤٢١ ح ٣.

طبيعية أحيانا، وغير طبيعية أحيانا، فرمما صار الدعاء سببا لتهيئة الأسباب الطبيعية كشدة المطر الموجبة لتحرك الصخرة، أو لإمكان الانفراج بسبب غيبي من دون الأسباب الظاهرية، كما إن الإنسان إذا برّ بوالديه واتخذ معهم أسلوب السلام برّه أولاده وعاملوه بسلام كما في الأحاديث^(١)، بالإضافة إلى أن الأعمال الدنيوية كالنويات، ما زرعت حصدت، ولا يجني الجاني من الشوك العنب ولا من الحنظل يجني الرطب، كما قال الشاعر:

ستحصد ما زرعت غداً إذا وضع الحساب ثمار
: - ت -

السلام مع الأولاد

السلم والسلام في الأسرة قد يكون مع الوالدين وقد أشرنا إلى ذلك، وإن كان البحث فيه طويلا وتفصيله في علم الأخلاق، وقد يكون السلام بين الزوجين، وهناك روايات كثيرة في هذا المجال ذكرنا بعضها في كتاب النكاح والآداب والسنن^(٢)، وقد يكون السلام للأولاد، وقد أكد الإسلام على حفظ السلام مع الأولاد في روايات كثيرة المذكورة في مظانها تقتصر على بعضها رعاية للاختصار.

فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله ﷺ: رحم الله والدين أعانا ولدهما على برهما»^(٣).

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من قبل ولده كتب الله عزوجل له حسنة، ومن فرحه فرحه الله يوم القيامة، ومن علمه القرآن دعي بالأبوين فيكسيان حلتين يضيء من نورهما وجوه أهل الجنة»^(٤).

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبوا الصبيان، وارحموهم، وإذا عدتموهم شيئا ففوا لهم، فإنهم لا يدرون إلا أنكم ترزقونهم»^(٥).

(١) راجع غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٠٧ ح ٩٣٤١، وفيه: عنه عليه السلام قال: «من برّ والديه بره ولده».

(٢) موسوعة الفقه للإمام المؤلف رحمته الله: ج ٩٧، كتاب الآداب والسنن: ص ٢٥٥.

(٣) الكافي: ج ٦ ص ٤٨ ح ٣.

(٤) الكافي: ج ٦ ص ٤٩.

(٥) الكافي: ج ٦ ص ٤٩ ح ٣.

السلم في محيط الأرحام

بعد ضرورة اتخاذ السلم والسلام في العلاقات الإنسانية الأسرية القرية يأتي دور سائر الأرحام، وكل ذي قرب للإنسان، ويؤكد الإسلام على الصلة ويحرم القطع، حتى ورد أن من قطع رحمه لا يكون عادلا، وإذا كان كذلك فلا يمكن أن يصلى خلفه، ولا يصح أن يكون قاضيا، أو مرجع تقليد، أو شاهدا، أو ما أشبه ذلك.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(١) أي اتقوا الأرحام أن تقطعوها، من غير فرق في كل ذلك بين الأرحام القريين والبعيدين، وفي هذا الباب روايات متعددة.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إن صلة الأرحام لمن موجبات الإسلام، وإن الله سبحانه أمر بإكramها، وأنه تعالى يصل من وصلها، ويقطع من قطعها، ويكرم من أكرمها»^(٢).

وقال عليه السلام: «لا يكونن أخوك على قطيعتك أقوى منك على صلته»^(٣).

وعنه عليه السلام: «من ذا الذي يرجو فضلك إذا قطعت رحمك»^(٤).

وعنه عليه السلام قال: «إن من الذنوب التي تعجل الفناء قطيعة الرحم»^(٥).

وعنه عليه السلام: «ما آمن بالله من قطع رحمه»^(٦).

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «إن في كتاب علي عليه السلام: أن اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم تذران الديار بلاقع من أهلها، وتنغل الرحم، يعنى انقطاع النسل»^(٧).

وعنه عليه السلام: «صلة الأرحام تزكي الأعمال وتنمي الأموال وتدفع البلوى وتيسر

الحساب وتنسى في الأجل»^(٨).

(١) سورة النساء: ١.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٠٥ ح ٩٢٩٠.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٠٦ ح ٩٣٠٠.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٠٦ ح ٩٣٢٦.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٧٣ ح ١٦٢٨٨.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٠٧ ح ٩٣٢٧.

(٧) الكافي: ج ٧ ص ٤٣٦ ح ٩.

(٨) وسائل الشيعة: ج ٢١ ص ٥٣٤ ح ٢٧٧٨٧.

وعن حذيفة بن منصور قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «اتقوا الحالقة فإنها تميم الرجال» قلت: وما الحالقة؟ قال: «قطيعة الرحم»^(١).

وصلة الرحم في غير الوالدين والأولاد في مرتبة الوجوب أيضا كوجوبها مع الوالدين والأولاد وإن كان بالنسبة إلى الوالدين أشد، كما أن الأرحام قريهم أقرب إلى الوجوب من بعيدهم، فإن مراتب الواجب كمراتب الحرام مختلفة، مثلا النظر إلى الأجنبية محرم ولمسها وتقبيلها أشد حرمة، والزنا أشد من اللمس والقبلة وهكذا.

٤

حسن الصحبة والمعاشرة

الشروط الواجب توفرها لدوام الصحبة

للصحبة والمعاشرة الحسنة أثر كبير في بسط السلام والأمن في المجتمع، وكما لزم على الإنسان أن يصاحب نفسه خيرا - كما تقدم - كذلك يجب عليه أن يحسن صحبة الآخرين. وقد ذكرت في الروايات شروط وواجبات وحقوق كثيرة تتعلق بالصحبة نذكر منها:

١: اختيار الصاحب

فيلزم على الإنسان أن يختار من يصادقه أو يصاحبه، سواء كان في سفر أو حضر، فإن ذلك مما يؤثر كثيرا في السلوك السلمي، وقد ورد عنهم عليهم السلام: «الرفيق ثم الطريق»^(٢). وورد عن لقمان الحكيم: «الجار ثم الدار»^(٣).

وورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»^(٤). وفي حديث مروى عنه صلى الله عليه وآله: «كن خيرا ابني آدم»^(٥)، يعني إذا تصادق اثنان من بني آدم، فاللازم أن يسعى كل واحد منهما لأن يكون خيرا بالنسبة إلى الآخر، ومن الواضح أن (ابني آدم) الوارد في الحديث السابق أعم من المسلم، فإذا كان التأكيد

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٤٦ ح ٢.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٢٠٩.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٣ ص ٤٢٨ ح ٢٣.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٢٧ ح ٩٥٧٨.

(٥) وصايا النبي صلى الله عليه وآله: ج ٢ ص ٣١٥.

بالنسبة للأعم فكيف بالأخص: أي المسلم مع المسلم، والمؤمن مع المؤمن.
وقال لقمان لابنه: «يا بني اتخذ ألف صاحب، وألف قليل، ولا تتخذ عدواً واحداً، والواحد كثير»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:
وليس كثيراً ألف خلّ وصاحب وإنّ عدوّاً واحداً لكثير^(٢)

وقد ذكرت بعض الروايات النهي عن صحبة غير المؤمنين لآثارها السلبية على السلم والأمان، ومنها ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله فقد قال لأبي ذر: «يا أبا ذر لا تصاحب إلا مؤمناً»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد: «يا كميل جانب المنافقين ولا تصاحب الخائنين»^(٤).

٢: حسن الصحبة

ومن الشروط التي يجب توفرها في الصحبة كي تدوم وتستمر: حسنها، ومواردها عديدة، ومنها على سبيل المثال عدم الإصغاء لما يثار حول الصحبة الصادقة، فقد تكون منطلقة من نيات مغرضة تريد أن تعكّر صفو هذه الصحبة الصادقة، وقد كان بعض الصحابة يأتون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ويبلغونه عن بعض أصحابه شيئاً حسداً أو بغضاً أو ما أشبه، فينهاهم الرسول صلى الله عليه وآله عن ذلك.

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «بعث رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام إلى اليمن فانفلت فرس لرجل من أهل اليمن فنطح رجلاً برجله فقتله فأخذه أولياؤه ليقتلوه فرفعوه إلى علي عليه السلام فأقام صاحب الفرس البينة إن الفرس انفلت من داره فنطح الرجل برجله فأبطل علي عليه السلام دم الرجل، فجاء أولياء المقتول من اليمن إلى النبي صلى الله عليه وآله يشكون علياً فيما حكم عليهم، فقالوا: إن علياً ظلمنا وأبطل دم صاحبنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن علياً ليس بظلام ولم يخلق علي للظلم وإن الولاية من بعدي

(١) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٦ ح ١٥٥٢٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٦ ح ١٥٥٢٣.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٢٤ ص ٢٧٤ ح ٣٠٥٣١.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٥٢ ح ٩٦٣٩.

لعلي والحكم حكمه والقول قوله لا يرد حكمه وقوله وولايته إلا كافر، ولا يرضى بحكمه وقوله وولايته إلا مؤمن، فلما سمع اليمانيون قول رسول الله ﷺ في علي عليه السلام قالوا: يا رسول الله رضينا بقول علي وحكمه، فقال رسول الله ﷺ: هو توبتكم مما قلتكم»^(١).

وقال النبي ﷺ: «لا يبلغني أحد منكم عن أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»^(٢).

و(إليكم) في الحديث يعني أنه ﷺ كان يجب أن يواجه أصحابه جميعا منشرح الصدر. وفي نسخة (عنكم) مكان (إليكم) والمراد حينئذ: إنه كان يجب أن يموت حين موته وليس في قلبه على أحدهم غضاضة^(٣).

وقد ذكرت الروايات بعض نتائج الصحبة الطيبة نتيجة لحسنها، ومنها: «بحسن الرفقة تدوم الصحبة»^(٤).

و: «بحسن الصحبة تكثر الرفاق»^(٥).

و: «حسن الصحبة يزيد في المحبة»^(٦).

و: «حسن الصحبة من أفضل الإيمان».

وقد صنفت في كتب الأحاديث والروايات أبواب مخصصة تحدثت عن هذا الموضوع ومنها: «باب حسن الصحابة وحق الصاحب في السفر»^(٧).
وذكرت فيه جملة من الروايات نذكر منها:

١: الوصية بحسن الصحبة

عن عمار بن مروان الكلبى قال: أوصاني أبو عبد الله عليه السلام فقال: «أوصيك بتقوى الله وأداء الأمانة وصدق الحديث وحسن الصحبة لمن صحبتك ولا قوة إلا

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٣٤٨ المجلس ٥٥ ح ٧.

(٢) مكارم الأخلاق: ص ١٧.

(٣) غض من قدره: احتقره وقلل من شأنه.

(٤) راجع غرر الحكم: ص ٤٢٢ ح ٩٦٧٣ وفيه: «بحسن الموافقة تدوم الصحبة».

(٥) غرر الحكم: ص ٤٣٠ ح ٩٧٩٧.

(٦) راجع غرر الحكم: ص ٤٣٥ ح ٩٩٥١ وفيه: «حسن الصحبة يزيد في محبة القلوب».

(٧) الكافي: ج ٢ ص ٦٦٩.

بالله»^(١).

٢: البذل والإنفاق في الصحبة

عن محمد بن مسلم قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «من خالطت فإن استطعت أن تكون يدك العليا عليهم فافعل»^(٢).

٣: الرفق في الصحبة

عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما اصطحب اثنان إلا كان أعظمهما أجراً وأحبهما إلى الله عز وجل أرفقهما بصاحبه»^(٣).

٤: صحبة المسافر

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حق المسافر أن يقيم عليه أصحابه إذا مرض ثلاثاً»^(٤).

٥: تشييع المصاحب في وداعه

عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: «أن أمير المؤمنين عليه السلام صاحب رجلاً ذمياً فقال له الذمي: أين تريد يا عبد الله؟ فقال عليه السلام: أريد الكوفة، فلما عدل الطريق بالذمي عدل معه أمير المؤمنين عليه السلام فقال له الذمي: أأست زعمت أنك تريد الكوفة؟ فقال عليه السلام له: بلى، فقال له الذمي: فقد تركت الطريق، فقال عليه السلام له: قد علمت، قال: فلم عدلت معي وقد علمت ذلك؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: هذا من تمام حسن الصحبة أن يشيع الرجل صاحبه هنيئة إذا فارقه وكذلك أمرنا نبينا صلى الله عليه وآله فقال له الذمي: هكذا قال! قال عليه السلام: نعم، قال الذمي: لا جرم إنما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة فأنا أشهدك أني على دينك ورجع الذمي مع أمير المؤمنين عليه السلام فلما عرفه أسلم»^(٥).

وهذه مصاديق السلم والسلام ومن موجباته في المجتمع كما هو واضح.

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٧٤ ح ٢٤٢٦.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٦٣٧ ح ١.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ١٢٠ ح ١٥.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٦٧٠.

(٥) قرب الإسناد: ج ١ ص ٧.

خصائص العلاقات الإنسانية في المجتمع الإسلامي

مسألة: من مظاهر الأمن والأمان في الإسلام حرصه على أهمية سلامة العلاقات الإنسانية بين الإنسان ونفسه وبين الإنسان وغيره، فإن الإنسان إذا كان حسناً في تعامله مع نفسه، مادياً ومعنوياً، روحياً وجسدياً، فإنه يكون كذلك مع الآخرين، إذ كيف يمكن أن يكون الإنسان مسيئاً لنفسه ويكون محسناً إلى غيره؟.

فيلزم على الإنسان أن يحاسب نفسه بالنسبة إلى سائر الناس، فإن الإنسان مسؤول أمام الله سبحانه وتعالى وأمام التاريخ عن غيره أيضاً، هل أحسن أو أساء إليهم؟ أو لم يكن محسناً ولا مسيئاً، فالذي لا يكون محسناً ولا مسيئاً يعد في عداد المسيء لأنه يكون مضيعاً للحقوق.

نعم قد لا يكون من قسم المضيع فيما إذا كان من باب السالبة بانتفاء الموضوع، بأن لم يكن هنالك إنسان آخر كالمنقطع في سطح جبل أو جزيرة أو ما أشبه، ذلك حيث لا يوجد إنسان يحسن إليه أو يسيء التصرف معه.

ومن هنا تميزت العلاقات الإنسانية في المجتمع الإسلامي عن غيرها من المجتمعات والشعوب بمجموعة من الروابط الدينية الحسنة والعلاقات المتينة المسالمة التي تهدف إلى وصول الإنسان إلى السلم والسلام والهداية والتوفيق والسكينة والرفاهية، فيتقدم إلى كماله الميسور وارتفاعه حسب المقدور.

صفات العلاقات الإنسانية في الإسلام

وقد اتصفت هذه الروابط والعلاقات بمجموعة من الخصائص منها:

١: إن الأساس الذي تنطلق منه هو الإيمان، وهو أول الروابط الأدبية والمحور الذي تلتقي عنده الجماعة المؤمنة، ومن طبيعته أنه يجمع ولا يفرق، ويوحد ولا يشتت، كما في الحديث عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «المؤمن مألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»^(١).

والمؤمن قوة لأخيه، كما في حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنان يشد

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٠٢ ح ١٧.

بعضه بعضاً»^(١)، وهو يحس بإحساسه، ويشعر بشعوره، فيفرح لفرحه، ويحزن لحزنه، «المؤمنون في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى تداعى له سائرُه بالسهر والحمى»^(٢).

ومن شأن هذه الروابط التي تنطلق من أساس الإيمان أنها تجعل بين المسلمين تماسكاً قوياً، وتقييم منهم كياناً يستعصي على الفرقة وينأى عن الحل، فالإيمان يضيء على المؤمنين إخاءً أقوى من إخاء النسب، كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٣)، وقال أيضاً: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(٤).
وكما قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: «المسلم أخو المسلم»^(٥).

٢: ومن خصائصها أنها قابلة للنماء والبقاء، فهي ليست كغيرها من الروابط المادية التي تنتهي بانتهاء دواعيها وأسبابها، وتنقضي بانقضاء الحاجة إليها.
٣: إنها تنطلق من دوافع ذاتية لا مصلحة، فكل فرد يبذل من أجل تقوية الجماعة المؤمنة وتماسكها من ذات نفسه وذات يده، ويكون عوناً لها في كل أمر من الأمور التي تهمها، سواء كانت هذه المعاونة معاونة مادية أم أدبية، وسواء كانت معاونة بالمال، أم العلم، أم الرأي، أم المشورة.

وقد سئل الإمام الرضا عليه السلام: ما حق المؤمن على المؤمن؟

فقال: «إن من حق المؤمن على المؤمن المودة له في صدره، والمواساة له في ماله، والنصرة له على من ظلمه، وإن كان فيء للمسلمين وكان غائباً أخذ له بنصيبه، وإذا مات فالزيارة إلى قبره، ولا يظلمه ولا يغشه، ولا يخونه ولا يخذله، ولا يغتابه ولا يكذبه، ولا يقول له أف، فإذا قال له أف فليس بينهما ولاية، وإذا قال له أنت عدوي فقد كفر أحدهما صاحبه، وإذا اتهمه اثما الإيمان في قلبه كما ينمات الملح في الماء»^(٦).

- (١) جامع الأخبار: ص ٨٥.
- (٢) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٤٢٤ ح ١٦٥٠٦.
- (٣) سورة الحجرات: ١٠.
- (٤) سورة التوبة: ٧١.
- (٥) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٥٩.
- (٦) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٤٥ ح ١٠١٦٠.

وعن النبي ﷺ قال: «خير الناس أنفعهم للناس»^(١).

وعن الإمام أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب إغاثة اللفهان»^(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال اشفقوا تؤجروا»^(٣).

٤: ومنها أنها أقوى من روابط الدم، واللون، واللغة، والوطن، والمصالح المادية، وغير ذلك مما يربط بين الناس، جاء عن إبراهيم بن محمد الهمداني أنه قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «من أحب عاصياً فهو عاص، ومن أحب مطيعاً فهو مطيع، ومن أعان ظالماً فهو ظالم، ومن خذل عادلاً فهو ظالم، إنه ليس بين الله وبين أحد قرابة، ولا ينال أحد ولاية الله إلا بالطاعة، ولقد قال رسول الله ﷺ لبني عبد المطلب: اتئوني بأعمالكم لا بأحسابكم وأنسابكم، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ﴾»^(٤)،^(٥).

وقد حث الإسلام على تمتين روابط المجتمع وأواصر الجماعة على أسس السلم والسلام، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٦).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشاذ من الناس للشيطان كما أن الشاذ من الغنم للذئب»^(٧).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «ما من رهط أربعين رجلاً اجتمعوا فدعوا الله عزوجل في أمر إلا استجاب الله لهم»^(٨).

(١) مستدرك الوسائل: ج ١٢ ص ٣٩١ ح ١٤٣٨٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٢٨٦ ح ٢١٥٦١.

(٣) تنبيه الخواطر ونزهة الناظر: ج ١ ص ١٦.

(٤) سورة (المؤمنون): ١٠١-١٠٣.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٢٣ ح ٧.

(٦) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٧) نهج البلاغة: خطبة ١٢٧ من كلام له عليه السلام وفيه يبين بعض أحكام الدين.

(٨) الكافي: ج ٢ ص ٤٨٧ ح ١.

ومن ثم كانت الجماعة رحمة كما قال رسول الله ﷺ: «الاجتماع لأمتي رحمة، والفرقة عذاب»^(١).

وقال ﷺ أيضاً: «المؤمنون يد واحدة على من سواهم»^(٢).
والجماعة مهما صغرت فهي على أي حال خير من التفرقة، وكلما كثر عددها، كانت أفضل وأبر.

إن أفضل عبادات الإسلام تلك التي تؤدي جماعة، فصلاة الجماعة أفضل من صلاة المنفرد بخمس وعشرين درجة، كما في بعض الروايات، فعن الإمام أبي جعفر الباقر ﷺ قال: «إن فضل صلاة الجماعة على صلاة الرجل فرداً خمس وعشرون درجة في الجنة»^(٣).

والزكاة معاملة بين مجتمع الأغنياء والفقراء وأداء لحقوقهم^(٤).
والصيام مشاركة جماعية ومساواة في الجوع في فترة معينة من الوقت^(٥).
والحج ملتمى عام للمسلمين جميعاً في كل عام، يجتمعون من أطراف الأرض
﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾^(٦).

وعن النبي ﷺ قال: «ما جلس قوم في مجلس من مساجد الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله

(١) بحار الأنوار: ج ٢٨ ص ١٠٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ١٥٠.

(٣) تهذيب الأحكام: ج ٣ ص ٣٦٥ ح ٧١.

(٤) راجع وسائل الشيعة: ج ٩ ص ١٤٦ ح ١١٧١٢، وفيه: عن الإمام أبي الحسن الرضا ﷺ قال: «قيل لأبي عبد الله الصادق ﷺ: لأي شيء جعل الله الزكاة خمسة وعشرين في كل ألف ولم يجعلها ثلاثين؟ فقال ﷺ: إن الله عزوجل جعلها خمسة وعشرين، أخرج من أموال الأغنياء بقدر ما يكتفي به الفقراء ولو أخرج الناس زكاة أموالهم ما احتاج أحد».

(٥) راجع من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٧٢ ح ١٧٦٦، وفيه: سأل هشام بن الحكم أبا عبد الله ﷺ عن علة الصيام فقال ﷺ: «إنما فرض الله عزوجل الصيام ليستوي به الغني والفقير، وذلك أن الغني لم يكن ليجد مس الجوع فيرحم الفقير لأن الغني كلما أراد شيئاً قدر عليه فأراد الله عزوجل أن يسوي بين خلقه وأن يذيق الغني مس الجوع والألم ليرق على الضعيف فيرحم الجائع».

(٦) سورة الحج: ٢٨.

فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه»^(١).

ولقد كان الرسول ﷺ يحرص على أن يجتمع المسلمون حتى في المظهر الشكلي قال ﷺ: «إذا جلستم إلى المعلم أو جلستم في مجالس العلم فادنوا وليجلس بعضكم خلف بعض ولا تجلسوا متفرقين كما يجلس أهل الجاهلية»^(٢).

وإذا كانت الجماعة هي القوة التي تحمي دين الله، وتحرس دنيا المسلمين، فإن التفرقة هي التي تقضي على الدين والدنيا معاً، ولذلك فقد نهى عنها الإسلام أشد النهي إذ أنها تؤدي للهزيمة وهي من موجبات العنف، وكثيراً ما كان الإمام علي عليه السلام يوصي الناس بقوله: «ألزموا الجماعة واجتنبوا الفرقة»^(٣)، ولم يهدد الإسلام شيء كما فعلت التفرقة التي ذهبت بقوة المسلمين، والتي نتج عنها: الضرر والفشل والذل، وسائر ما يعاني منه المتفرقون، قال الله عز وجل: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ النَّبِيَّاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ»^(٤)، وقال الله تعالى: «وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ»^(٥) يعني ذلك أن النزاع والخصام يضعف الجماعة. وقال سبحانه: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا»^(٦) فيعني أن الالتزام بدين الله يوحد الجماعة.

وإنما عبر سبحانه وتعالى: «بِحَبْلِ اللَّهِ» لا بغيره وإن كان من الممكن غير ذلك مثل (دين الله) و(شريعة الله) وما إلى ذلك لنكتة دقيقة هي أن المتفرقين كالساقطين في غيابة الجب، فإذا أدلي إليهم بجل فأمسكوا به جميعاً انتشلهم إلى حيث سعة الأرض، أما إذا بقوا مختلفين فإنهم يكونون في غيابة الجب متنازعين متخاصمين فلا يشمون هواءً طلقاً ولا يرون نوراً ساطعاً من الشمس والقمر ولا يتمكنون من عمل أي شيء.

وقال عز وجل: «وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً»^(٧). وقال الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي

(١) مستدرک الوسائل: ج ٣ ص ٣٦٣ ح ٣٧٨٨.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٤٠٤ ح ٩٨٠٥.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٦٦ ح ١٠٧١٥.

(٤) سورة آل عمران: ١٠٥.

(٥) سورة الأنفال: ٤٦.

(٦) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٧) سورة الروم: ٣١-٣٢.

شَيْءٍ»^(١).

فيعني ذلك أن الخصام والمنازعات بين المسلمين إذا استمرت قد تؤدي إلى الشرك ولذلك ينهى الإسلام عن كل ما من شأنه أن يوهن من قوته أو يضعف من شدته، فالجماعة المؤمنة دائماً في رعاية الله وفي سلطانه، ومن هنا نجد دعوة القرآن الكريم لرسول الله ﷺ أن يتبرأ من الذين كانوا سبباً في تفرقة المسلمين، وأن لا يقيم معهم حتى في مسجدهم الذي اتخذوه ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين، يقول جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضُرَّاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَسْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن رسول الله ﷺ قال: «أقيموا صفوفكم فإنني أراكم من خلفي كما أراكم من بين يدي، ولا تختلفوا فيخالف الله بين قلوبكم»^(٣).

أثر الأخلاق الإسلامية في دعم الروابط الاجتماعية

مسألة: أكد الإسلام على الاحترام المتبادل بين أفراد المجتمع المسلم، وحرص على احترام الناس حتى نهى عن أن يعبس مسلم في وجه مسلم مهما، كان فقيراً أو ضعيفاً أو عاجزاً^(٤)، وقد نزلت آية في ذلك تدم أحد بني أمية^(٥)، حيث عبس بوجه شخص من أصحاب رسول الله ﷺ كان أعمى يسمى ابن أم مكتوم، فقال سبحانه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهَ يَرْكَبِي * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَا مَنْ اسْتَعْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبِي * وَأَمَا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى * كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ * فِي صُحُفٍ مَكْرَمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مَّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ * قُنْ لَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾^(٦).

ومن زعم أن هذه الآيات نزلت في رسول الله ﷺ فقد أخطأ، مضافاً إلى أن

(١) سورة الأنعام: ١٥٩.

(٢) سورة التوبة: ١٠٧ و ١٠٨.

(٣) بحار الأنوار: ج ٨٥ ص ١٠٠ ج ٧٢.

(٤) لمزيد من الاطلاع راجع بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ٢٠، وتحف العقول: ص ٢١٨.

(٥) وهو عثمان بن عفان.

(٦) سورة عبس: ١ - ١٧.

سياق الآيات تدل على غيره ﷺ ولذا قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ بصيغة الماضي الغائب ولم يقل عبست وتوليت، ثم هل يُعقلُ أن يكون رسول الله ﷺ بهذا المستوى بحيث يخاطبه المولى جل جلاله بقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّيْكَ * أَوْ يَذَكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾، أو أنه بهذه الأخلاق: ﴿أَمَّا مَنْ اسْتَعْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّيْكَ * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ كلا قطعاً.

فإن نزول هذه الآيات في رسول الله ﷺ كما يدعيه البعض مخالف لقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، فكيف لإنسان يملك هذا الخلق العظيم أن يفعل هذا الشيء بأعمى من أصحابه.

وعلى أي حال فالإسلام يضع كل ما يوجب الفرقة والعداء إلى جانب، ويأمر بالحببة والقيم السماوية، كما في كثير من الآيات والروايات.

الأخلاق الإسلامية والسلم في الروابط الاجتماعية

ومن أجل إصلاح هذه العلاقات ورعاية للسلام فيها، أمر الإسلام بحسن الخلق والتعامل الحسن في كل مجالاتها الإنسانية حتى يستقيم أمر الحياة وحتى تكون أبواب العمل بالحق والخير مفتحة أمام كل إنسان، فقد ورد عن الرسول الأعظم ﷺ: «إن أحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً الذين يأفون ويؤلفون»^(٢). وقال سبحانه وتعالى في كتابه المجيد: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٣).

وفي كثير من روايات الرسول ﷺ وآله الأطهار عليهم السلام الأمر بأن يصل الإنسان من قطعه ويعطي من حرمه ويعفو عمن ظلمه.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين: «... يعفو عمن ظلمه، ويعطي من

(١) سورة القلم: ٤.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ١٥٠ ح ١٠٥٢١.

(٣) سورة الأعراف: ١٩٩.

حرمه، ويصل من قطعه»^(١).

ومن وصية الإمام الصادق عليه السلام لعبد الله بن جندب، قال: «يا بن جندب صل من قطعك، وأعط من حرمك، وأحسن إلى من أساء إليك، وسلّم على من سبّك، وأنصف من خاصمك، واعف عمن ظلمك كما أنك تحب أن يعفى عنك، فاعتبر يعفو الله عنك...» الخبر^(٢).

وقال عليه السلام: «يسرّوا ولا تعسّروا، وبشروا ولا تنفروا»^(٣)

وهنا ملاحظة حول هذا الحديث من الجانب البلاغي فقد يرد سؤال عن قوله عليه السلام: «يسرّوا ولا تعسّروا»، فهل هذا تكرار لشيء واحد أو هناك أمران: تيسير وعدم تعسير؟ فإذا كان هناك أمران - وهو الأصل لأن الأصل التأسيس لا التأكيد - فلماذا قدّم «يسرّوا» على «تعسّروا» بينما كان اللازم أن يقول (لا تعسّروا ويسرّوا) ومثل هذا السؤال يجري في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٤)؟

والجواب: إنما قدّم اليسر لأن المجال مجال اليسر، وقد ذكروا في علم البلاغة أنه يقدم ما كان المجال له، وإلا كان مقتضى القاعدة: (لا يريد بكم العسر ويريد بكم اليسر) هذا بالنسبة إلى التقديم والتأخير، وأما التكرار فعلى الأصل المذكور أي التأسيس، لورود شق ثالث بين العسر واليسر كما هو واضح.

وفي الحديث الشريف: إن حسن الخلق ينال خير الدنيا والآخرة^(٥) وللأثر الكبير الذي يتركه حسن الخلق في المجتمع سواء الصغير منه أو الكبير نذكر هنا جملة من الروايات في حسن الخلق وأثره على السلام أو الدالة عليه.

جاء رجل إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله من بين يديه فقال: يا رسول الله ما الدين؟

(١) نهج البلاغة: الخطب ١٩٣.

(٢) تحف العقول: ص ١٠٣.

(٣) غوالي اللآلي: ج ١ ص ٣٨١ ح ٥.

(٤) سورة البقرة: ١٨٥.

(٥) راجع بحار الأنوار: ج ٨ ص ١١٩ ح ٧ وفيه: «إن حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة».

فقال ﷺ: «حسن الخلق».

ثم أتاه عن يمينه، فقال: يا رسول الله ما الدين؟ قال ﷺ: «حسن الخلق».

ثم أتاه من قبل شماله فقال: ما الدين؟ فقال ﷺ: «حسن الخلق».

ثم أتاه من ورائه فقال: يا رسول الله ما الدين؟

فالتفت ﷺ إليه وقال: «أما تفقه هو أن لا تغضب»^(١).

وربما يسأل البعض أنه لماذا أكد السؤال عن الدين من الأطراف الأربعة حوالي

رسول الله ﷺ؟.

والجواب: ربما كان الرجل في حالة من الحدة والغضب الذي اعتاد عليها، فإن

الإنسان الحاد عادةً يكرّر الأشياء كثيراً لكي يستوعبها، بينما الإنسان الهادئ يتفهم من

أول الأمر، ولذلك قال له الرسول ﷺ في المرة الرابعة أما تفقه؟

وربما أراد أن يتأكد، وربما أراد أن يعرف الأولى فالأولى أو ما أشبه ذلك.

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال رجل للنبي ﷺ: يا رسول الله

علمني، قال ﷺ: «اذهب ولا تغضب»، فقال الرجل: قد اكتفيت بذلك، فمضى

إلى أهله فإذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفاً ولبسوا السلاح فلما رأى ذلك لبس

سلاحه ثم قام معهم ثم ذكر قول رسول الله ﷺ: «لا تغضب» فرمى السلاح ثم

جاء يمشي إلى القوم الذين هم عدو قومه فقال: يا هؤلاء ما كانت لكم من جراحة أو

قتل أو ضرب ليس فيه أثر فعلي في مالي أنا أوفيكموه، فقال القوم: فما كان فهو لكم

نحن أولى بذلك منكم، قال: فاصطلح القوم وذهب الغضب^(٢).

وفي حديث آخر أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بشراركم؟» قالوا: بلى

يا رسول الله، قال ﷺ: «الذي يمنع رفته ويضرب عبده ويتزود وحده»، فظنوا أن

الله لم يخلق خلقاً هو شر من هذا، ثم قال ﷺ: «ألا أخبركم بمن هو شر من ذلك؟»

قالوا: بلى يا رسول الله، قال ﷺ: «الذي لا يرجى خيره ولا يؤمن شره»، فظنوا

أن الله لم يخلق خلقاً هو شر من هذا، ثم قال ﷺ: «ألا أخبركم بمن هو شر من

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ١ ص ٨٩.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٠٤ ح ١١.

ذلك؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال صلى الله عليه وآله: «المتفحش اللعان الذي إذا ذكر عنده المؤمنون لعنهم وإذا ذكروه لعنوه»^(١).

وقال صلى الله عليه وآله في حديث آخر: «ألا أخبركم بشراكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال صلى الله عليه وآله: الذين لا يقبلون العثرة ولا يقبلون المعذرة ولا يغفرون الزلّة»^(٢).

ومن الواضح أن (حسن الأخلاق) يشيع في المجتمع الأمن والسلام لأن سوء الخلق يوجب عدم الأمن عند الناس ويثير الخوف لديهم، كما قال علي عليه السلام: «سوء الخلق يوحش القريب وينفر البعيد»^(٣).

وهكذا بالنسبة إلى نفس الإنسان السيئ الخلق فإنه لا يعيش في أمن وسلام، وفي الأحاديث أنه إذا ألمَّ بالإنسان موجة من الغضب وانفلت من يده الزمام فعليه أن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويتخلص مما ألمَّ به وبذلك يظل في دائرة السلامة والأمن بالنسبة إلى نفسه وبالنسبة إلى غيره، كما قال الإمام الصادق عليه السلام في الغضب: «تصلي على النبي صلى الله عليه وآله وتقول: يذهب غيظ قلوبهم اللهم اغفر ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»^(٤).

والأحاديث في ذم الغضب كثيرة لوضوح سوء عواقب الغضب وتأثيره السلبي على السلم والسلام، قال الإمام الصادق عليه السلام: «الغضب مفتاح كل شر»^(٥)، فإن الغلظة تقطع أواصر الود والإخاء والمحبة والألفة بين الناس، فينقطع بذلك بينهم التعاون والتشاور وما أشبه ذلك مما هو مبعث الخيرات وهو هدف الدين لإشاعة الوثام والتفاهم بين الناس وإصلاح ذات البين كما يوصينا رسول الله صلى الله عليه وآله: «صلاح ذات البين أفضل من عامة الصوم والصلاة»^(٦)، فإن هذا هو الأصل في العلاقات والروابط التي تربط بين المسلمين وغيرهم، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «صدقة يجبها الله:

- (١) الكافي: ج ٢ ص ٢٩٠ ح ٧.
- (٢) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٥٧ ح ١٠١٩٥.
- (٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٦٤ ح ٥٧٠٩.
- (٤) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ١٥ ح ١٣٣٨٢.
- (٥) الكافي: ج ٢ ص ٣٠٣ ح ٣.
- (٦) تهذيب الأحكام: ج ٩ ص ١٧٦ ح ١٤.

إصلاح بين الناس إذا تفسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا»^(١)، ومن الملاحظ قوله ﷺ (إصلاح بين الناس) فهو أعم من المسلمين والمؤمنين كما لا يخفى.

ومن هذا المنطلق أيضاً: يؤكد الإسلام على الصلح بين المتنازعين مطلقاً، وفي القرآن الحكيم: ﴿وَالصَّلْحُ خَيْرٌ﴾^(٢)، وفي رواية عن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة والصلاة؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال ﷺ: «صلاح ذات البين، وفساد ذات البين وهي الخالقة»^(٣)، تشبيهاً بحلق الشعر.

وفي رواية الإمام علي ﷺ عن رسول الله ﷺ: «إصلاح ذات البين خير من عامة الصلاة والصيام»^(٤) وقبل ذلك قال القرآن الحكيم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٥) أي أن رحمة الله مرتبطة بالإصلاح والتقوى.

ومن الواضح أن السلم والسلام لا يتحقق إلا برعاية هذه الموازين المذكورة في الروايات، فإن السلام ليس شيئاً معلقاً في الفراغ وإنما له مختلف الأسس والشرائط والمقومات والموجبات والموانع وما أشبه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَیُجِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ یَأْكُلَ لَحْمَ أَخِیهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾^(٦).

وقال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضاً وكونوا عباد الله إخواناً»^(٧).

وقال ﷺ أيضاً: «لا تناجشوا ولا تدابروا»^(٨).

ولذا حرم الإسلام الغيبة أشد التحريم، لأنها من أشد الأمور في تفكيك سلم المجتمع وإيجاد العنف والتفرقة بين الناس وتلوّث القلوب بعضها مع بعض، وفي

(١) الكافي: ج ٦ ص ٢٠٩ ح ١.

(٢) سورة النساء: ١٢٨.

(٣) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ١ ص ٣٩.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ٤٣ ح ٢.

(٥) سورة الحجرات: ١٠.

(٦) سورة الحجرات: ١٢.

(٧) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ١١٨ ح ١٠٤٠٨.

(٨) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٤٥٩ ح ٢٢٩٩٣.

حديث عنه ﷺ: «مررت ليلة أسري بي على أقوام يخمشون وجوههم بأظافرهم، فقلت: يا جبرائيل من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم»^(١)، ولعل وجه خمش الوجه أن الإنسان إذا أصيب بمصيبة لطم وجهه أو خمشه، حاله حال الإنسان إذا أراد إعلام الآخرين بالسكوت، وضع يده على فمه أو ما أشبه ذلك من الإشارات المتعارفة عند الأقوام والملل وان كانت الإشارات أيضاً تختلف بعضها عن بعض حتى في مقصود واحد، مثل رفع اليد للتحية أو وضع اليد على الصدر والانحناء قليلاً وهكذا.

وفي حديث عن البراء قال: خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في بيوتها، فقال: «يا معشر من آمن بالله بلسانه ولم يؤمن بقلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورات أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته»^(٢) ومن المعلوم أن تتبع العورات غير الاغتياب وإن كانا يتصادقان أحياناً، فيبينهما - على الاصطلاح المنطقي - عموم من وجه.

الصفح عند الخطأ وقبول العذر

ويرى الإسلام لتطبيق أساس السلم والسلام في المجتمع، ضرورة قبول المعذرة من المعتذر، ففي دعاء الإمام السجاد عليه السلام: «اللهم صل على محمد وآله، وسدّني لأن أعارض من غشّني بالنصح، وأجزني من هجرني بالبرّ، وأثيب من حرمني بالبذل، وأكافي من قطعني بالصلة، وأخالف من اغتابني إلى حسن الذكر، وأن أشكر الحسنة، وأغضي عن السيئة»^(٣).

وفي رواية قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بشرّ الناس؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال ﷺ: من أبغض الناس وأبغضه الناس، ثم قال ﷺ: ألا أنبئكم بشرّ من هذا؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال ﷺ: الذي لا يقبل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنباً»^(٤).

(١) كشف الريبية: ص ٦-٧.

(٢) منية المرید: ص ٣٢٧.

(٣) الصحيفة السجادية: الدعاء رقم ٢٠ في مكارم الأخلاق ومرضى الأفعال.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٤٠٠ ح ٥٨٥٨.

وفي حديث آخر عن الرسول الأعظم ﷺ قال: «أقبلوا العذر من كل متصل - أي معتذر - محقاً كان أو مبطلاً، ومن لم يقبل العذر منه فلا نالته شفاعتي»^(١).

وهذه الروايات تنص على ضرورة قبول عذر المعتذر سواء كان عذره عن حق أو عن باطل، فإذا لم يحضر لزيارة صديقه مثلاً واعتذر بشغل، فاعتذاره قد يكون حقاً وقد لا يكون، ولكنه يلزم أن يقبله منه، وهكذا إذا أخطأ وارتكب أمراً كان المفروض أن يتركه. ومن هذا المنطلق أيضاً يرى الإسلام لزوم التخلُّق بمكارم الأخلاق والاجتناب عن مساوئها، فقد قال رسول الله ﷺ في حديث نظمته الشاعر بقوله:

مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ فِي ثَلَاثَةٍ مُنْحَصِرَةٌ لِيْنُ الْكَلَامِ وَالسَّخَا وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ

فإن العفو عند المقدرة من موجبات السلم والسلام في المجتمع، وهو يوجب للإنسان عزاً كما في متعدد من الأحاديث، فعنهم ﷺ قالوا: «تسع خصال من الفضل والكمال وهن داعيه إلى المحبة مع ما فيها من القربة والثوبة: الجود على المحتاج، والمعونة للمستعين، وحسن التفقد للجيران، وطلاقة الوجه للإخوان، ورعاية الغائب فيمن يخلف، وأداء الأمانة إلى المؤتمن، وإعطاء الحق في المعاملة، وحسن الخلق عند المعاشرة، والعفو عند المقدرة»^(٢).

فكل هذه الأمور التي ذكرناها تعتبر من المقومات أو الملازمات لمعنى السلم والسلام، لأن السلام - كما سبق - قد يكون مع النفس وقد يكون مع الغير، كما أنه قد يكون مع الله سبحانه وتعالى، بأن يكون الإنسان ممن «يُسَلِّمُ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ»^(٣) فحينئذ يكون كما قال سبحانه: «فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى»^(٤).

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق ﷺ قال: «كان الحسن بن علي ﷺ عند معاوية فقال له: أخبرني عن المروءة، فقال ﷺ: حفظ الرجل دينه، وقيامه في إصلاح ضيعته، وحسن منازعته، وإفشاء السلام، ولين الكلام، والكف، والتحبب

(١) مشكاة الأنوار: ص ٢٢٩.

(٢) كنز الفوائد: ج ٢ ص ١٦٤.

(٣) سورة لقمان: ٢٢.

(٤) سورة لقمان: ٢٢.

إلى الناس»^(١).

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبة له: «إن من الكرم لين الكلام، ومن العبادة إظهار اللسان وإفشاء السلام»^(٢).

ثم إن عبادة الشيطان واتباع الشهوات من موجبات العنف، وقد كلف الإنسان بالابتعاد عن شهوات نفسه واتخاذ الشيطان عدواً، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾^(٣)، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾^(٤). وفي آية أخرى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(٥).

وفي حديث عن الصادق عليه السلام قال: «إن الله تعالى ركب العقل في الملائكة بدون الشهوة، وركب الشهوة في البهائم بدون العقل، وركبهما جميعاً في بني آدم، فمن غلب عقله على شهوته كان خيراً من الملائكة، ومن غلبت شهوته على عقله كان شراً من البهائم»^(٦).

وقال علي عليه السلام: «إن أفضل الناس عند الله من أحياء عقله وأمات شهوته»^(٧).

وقال عليه السلام: «ذهاب العقل بين الهوى والشهوة»^(٨).

وقال عليه السلام: «من كمل عقله استهان بالشهوات»^(٩).

وقال عليه السلام: «من غلب عقله هواه أفلح، ومن غلب هواه عقله افتضح»^(١٠).

والمراد بالشهوات المنحرفة عن طريق الله سبحانه وتعالى، وإلا فإنه عز وجل خلق

(١) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٤٣٥ ح ١٥١٩٠.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٦٣ ح ٩٦٧٩.

(٣) سورة فاطر: ٦.

(٤) سورة النازعات: ٣٧-٤١.

(٥) سورة الشمس: ٧-١٠.

(٦) مشكاة الأنوار: ص ٢٥١.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٥٠ ق ١ ب ١ ف ٤ أهمية العقل ح ٣٠٨.

(٨) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢١١ ب ٩ ضمن ح ١٢٧٦٩.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٥٢ ق ١ ب ١ ف ٤ أفضل العقل وكماله ح ٣٨٠.

(١٠) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢١١ ح ١٢٧٦٩.

الشهوة في الإنسان وكلفه بالاعتدال فيها وبمارستها على حدٍّ معقول شرعاً من الأكل والشرب والنكاح وغير ذلك..

ولكن هل بإمكان الإنسان الاستقامة أمام شهواته وهواه؟!.

الجواب: نعم لكنه مع جهد كبير وعزم راسخ وتوفيق من الله سبحانه، قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث سرية فلما رجعوا قال: «مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، فقليل يا رسول الله ما الجهاد الأكبر؟ قال صلى الله عليه وآله: جهاد النفس»^(١).

فإن الجهاد بالسيف ضد العدو على مشاكله وفضائله كافة، أصغر بالنسبة إلى جهاد الإنسان مع نفسه^(٢)، إذ الجهاد بالسيف مؤقت خلاف الجهاد بالنفس حيث يجب أن يستمر فيه من يوم بلوغه إلى يوم مماته، بالإضافة إلى رؤية العدو - عادة - عند المجاهدة في ميدان الحرب، بينما لا يرى الشيطان، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾^(٣)، ومن الواضح أن الجهاد ضد من تراه أسهل من جهادك ضد من لا تراه.

من أسس السلام الدعوة إلى التسامح

ومن أسس السلام في الإسلام الدعوة إلى التسامح بمختلف صورته، وفي القرآن الحكيم آيات متعددة حول هذا الأمر، مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٤)، ومن الواضح أن الآية لا تخص أهل الكتاب بل تشمل كل من لم يكن مسلماً.

(١) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ١٦١ ح ٢٠٢٠٨.

(٢) راجع مستدرك الوسائل: ج ١١ ص ١٤٠ ح ١٢٦٥١ وفيه: عن الرضا عليه السلام قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله رأى بعض أصحابه منصرفاً من بعثٍ كان بعثه وقد انصرف بشعته وغبار سفره وسلاحه عليه يريد منزله فقال صلى الله عليه وآله: انصرفت من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر فقال له: أو جهاد فوق الجهاد بالسيف؟ قال صلى الله عليه وآله: نعم جهاد المرء نفسه».

(٣) سورة الأعراف: ٢٧.

(٤) سورة الممتحنة: ٨-٩.

وقال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرِّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾^(٦).

وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٧).

وقد أمر الله سبحانه بحسن المعاملة وبالوفاء بالعهد مع الجميع حيث قال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾^(٨).

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(٩).

وقال سبحانه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(١٠).

إلى غيرها من الآيات وهي تدل على بعض مصاديق السلم والسلام في المجتمع،

(١) سورة النحل: ١٢٥.

(٢) سورة العنكبوت: ٤٦.

(٣) سورة الغاشية: ٢١-٢٢.

(٤) سورة يونس: ٩٩.

(٥) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٦) سورة الإسراء: ٥٤.

(٧) سورة آل عمران: ٦٤.

(٨) سورة النحل: ٩١.

(٩) سورة الإسراء: ٣٤.

(١٠) سورة التوبة: ٤.

أو بعض مقوماته أو موجباته، كما لا يخفى.

مبادئ حقوق الإنسان في الإسلام

مسألة: لقد أشاد الإسلام بمبدأ السلم والسلام وجعل العلاقة بين الناس جميعاً علاقة أمن وسلام، وأكد على احترام الإنسان وتكريمه من حيث هو إنسان بغض النظر عن جنسه ولونه، ودينه ولغته، ووطنه وقوميته، ومركزه الاجتماعي وغيرها، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(١).

ومن مظاهر هذا التكريم أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان بقدرته ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة بالسجود له، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، وجعله سيداً على هذا الكوكب الأرضي، واستخلفه فيه ليقوم بعمارة وإصلاحه، والاستفادة مما وهب الله سبحانه وتعالى للحياة من الخيرات، ومن أجل أن يكون هذا التكريم حقيقية وواقعية، وأسلوباً في الحياة، كفل الإسلام جميع حقوق الإنسان، وأوجب حمايتها وصيانتها، فإنها من أسباب السلم والسلام، سواء أكانت حقوقاً دينية، أو مدنية، أو سياسية، كحق العلم والصحة والقضاء.

فمن أسباب السلام هو مراعاة حقوق الإنسان كما هو مقرر في الشرع، كحق العلم والصحة والقضاء وسائر حقوقه المذكورة في محلها، وهذا يدل على أن الإسلام لا يقتصر على إحياء السلام في العلاقات الإنسانية في محيط الأسرة أو الأرحام فقط، بل ينظم علاقات الإنسان حتى مع المجتمع الكبير لكي تعيش وتحيا وتنمو باستمرار وتترعرع في ظلال الأمن والأمان والسلم والسلام، وحتى يجد المجتمع فيها أوثق دواعي تواصله وتكامله.

وقد شرع الإسلام جملة من الأحكام الشرعية للعلاقات الإنسانية، لأن الإنسان اجتماعي بفطرته لا يمكنه الحياة بدون علاقة مع بني نوعه. وتعد هذه الأحكام بالعشرات فمنها الواجبة والمستحبة، وعكسها المحرمة والمكروهة، ويمكن جمعها في

(١) سورة الإسراء: ٧٠.

الأبواب الخمسة التي سبقت الإشارة إلى بعضها:

١ : علاقة الإنسان مع نفسه.

٢ : علاقته مع أسرته.

٣ : علاقته مع أرحامه.

٤ : علاقته مع مجتمعه.

٥ : علاقته مع ربه.

ورعاية لحفظ السلام جعل الإسلام بعض الحقوق والواجبات في هذه العلاقات، فكما أن للإنسان حقوقاً على المجتمع، فإن عليه واجبات له، والعكس صحيح أيضاً، ومن تلك الحقوق:

١- حق العلم:

الإسلام يريد العلم للكل، ويحث على سبيل العلم حتى آخر المطاف، وما أعظم هذه الكلمة التي قالها القرآن الحكيم: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

وقال: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٢).

وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾^(٣).

وقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾^(٤).

وقال في ذم الجهل واتباع الظن: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾^(٥).

وقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٦).

(١) سورة الزمر: ٩.

(٢) سورة المجادلة: ١١.

(٣) سورة فاطر: ٢٨.

(٤) سورة آل عمران: ١٨.

(٥) سورة النجم: ٢٨.

(٦) سورة الإسراء: ٣٦.

وقال: «إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ»^(١).

وأول ما نزل على الرسول الأعظم ﷺ: «أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَفْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»^(٢).

وقال تعالى: «يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ»^(٣).

والظاهر أن الحكمة تشمل الموضوعات والأحكام، فالحكمة في الموضوعات وضع الأشياء مواضعها، والحكمة في الأحكام وضع أحكام كل موضوع حسب المقرر في متن الواقع مما للإنسان طريق إليه.

فالعلم يحتل في نظر الإسلام مكانة رفيعة ومنزلة كبيرة جداً، أما الأحاديث فكثيرة حول هذا الموضوع، قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»^(٤).

وفي حديث آخر: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»^(٥) بدون ذكر المسلمة، ومن الواضح أن إطلاق لفظ المسلم يراد به الذكور والإناث إلا إذا كانت هناك قرينة.

وقال ﷺ: «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع»^(٦).

وقال ﷺ: «إذا جاء الموت طالب العلم وهو على هذه الحال مات شهيداً»^(٧).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ»^(٨).

(١) سورة غافر: ٥٦.

(٢) سورة العلق: ١ - ٥.

(٣) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٧ ص ٢٤٩ ح ٢١٢٥٠.

(٥) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ٢٧ ح ٣٣١١٩.

(٦) منية المرید: ص ١٠١.

(٧) بحار الأنوار: ج ١ ص ١٨٦ ح ١١١.

(٨) الكافي: ج ١ ص ٣٢ ح ٢.

والروايات مطلقة تشمل كل علم، نعم بعض العلوم فرض عيني، وبعضها فرض كفائي، كما ذكر ذلك الفقهاء في كتبهم المفصلة، وبالنسبة إلى الحرف والصناعات، قال الإمام الصادق عليه السلام: «فكل ما يتعلم العباد أو يعلمون غيرهم من أصناف الصناعات مثل الكتابة والحساب والتجارة والصبغة والسراجة والبناء والحياكة والقصارة والخياطة وصناعة صنوف التصاوير ما لم يكن مثل الروحاني وأنواع صنوف الآلات التي يحتاج إليها العباد منها منافعهم وبها قوامهم وفيها بلغة جميع حوائجهم فحلال فعله وتعليمه والعمل به...، وإنما حرم الله الصناعة التي هي حرام كلها التي يجيء منها الفساد محضاً نظير البرابط والمزامير والشطرنج وكل ملهه به والصلبان والأصنام وما أشبه ذلك من صناعات الأشربة الحرام وما يكون منه وفيه الفساد محضاً ولا يكون منه ولا فيه شيء من وجوه الصلاح فحرام تعليمه وتعلمه والعمل به وأخذ الأجر عليه وجميع الثقلب فيه من جميع وجوه الحركات كلها إلا أن تكون صناعةً قد تتصرف إلى جهات الصنائع وإن كان قد يتصرف بها ويتناول بها وجه من وجوه المعاصي فلعله ما فيه من الصلاح حل تعلمه وتعليمه والعمل به ويجرم على من صرفه إلى غير وجه الحق والصالح»^(١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله عز وجل يحب المحترف الأمين»^(٢).

وفي رواية أخرى قال عليه السلام: «إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف»^(٣).

وفي رواية ثالثة: «أحل ما أكل العبد كسب يد الصانع إذا نصح».

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «كل ذي صناعة مضطر إلى ثلاث خصال يجتلب

بها المكسب وهو أن يكون حاذقاً بعمله مؤدياً للأمانة فيه مستمياً لمن استعمله»^(٤).

٢- حق التعليم:

ومن الحقوق أيضاً، حق التعليم: فمن حق كل فرد أن ينشر ما علمه، فإن زكاة

العلم نشره.

(١) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٨٥ ح ٢٢٠٤٧.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ١٥٨ ح ٣٥٨٠.

(٣) الكافي: ج ٥ ص ١١٣ ح ١.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٢٣٥.

قال أبو جعفر عليه السلام: «زكاة العلم أن تعلمه عباد الله»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قرأت في كتاب علي عليه السلام: إن الله لم يأخذ على الجاهل عهداً بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهداً ببذل العلم للجهال، لأن العلم كان قبل الجهل»^(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من الصدقة أن يتعلم الرجل العلم ويعلمه الناس»^(٣).

فحق التعليم حق لكل عالم، ليأخذ الناس من علمه ما ينير عقولهم، ويرقي وجودهم، ويرفع من مستواهم كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتى يتعلم القرآن أو يكون في تعليمه»^(٤).

وقال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «نصب الحق لطاعة الله، ولا نجاه إلا بالطاعة، والطاعة بالعلم، والعلم بالتعلم، والتعلم بالعقل يعتقد، ولا علم إلا من عالم رباني»^(٥).

أما ما نراه اليوم من الضغط على العلماء والحوزات العلمية فهو خلاف الإسلام.

٣- حق حرية التعبير:

ومن حق الإنسان كذلك أن يعبر عن رأيه ويدلي بحجته ويجهر بالحق ويصدع به، والإسلام يمنع من مصادرة الرأي ومحاربة الفكر الحر، إلا إذا كان ذلك ضاراً بالمجتمع، ولقد بايع الرسول صلى الله عليه وآله أصحابه فأخذ عليهم العهد والميثاق بالسمع لله تعالى والطاعة له في العسر واليسر وعلى أن يقولوا الحق أينما كانوا وأن لا يأخذهم في الله لومة لائم^(٦). وقال الإمام علي عليه السلام: «لا خير في السكوت عن الحق كما أنه لا خير في القول بالجهل»^(٧). وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ

(١) الكافي: ج ١ ص ٤١ باب بذل العلم ح ٣.

(٢) منية المرید: ص ١٨٥ ب ١ النوع الثاني ق ١ بذل العلم.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٢٤ ب ٨ ح ٧٩.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٦٠٧ ح ٣.

(٥) الكافي: ج ١ ص ١٧ ح ١٢.

(٦) إرشاد القلوب ص ٧٠.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٧٠ ح ٩٩١.

الرَّحِيمُ»^(١).

وعن النبي ﷺ قال: «أتقى الناس من قال الحق فيما له وعليه»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أخسر الناس من قدر على أن يقول الحق ولم يقل»^(٣).

٤- حق التحرر:

ومن حقوق الإنسان التحرر من الجهل والتقاليد البالية والاستبداد والعادات المستحكمة التي أشاعت الظلم والفوضى والتنازع على المذات الدنيوية الفانية بدون التفكير بحسن العاقبة في الآخرة، فقد جعل الإسلام مبدأ الإيمان بالله واليوم الآخر على رأس العقيدة وأساس الهداية للبشرية نحو الغايات الأسمى، وقد قال رسول الله ﷺ: «خلصتان ليس فوقهما خير منهما: الإيمان بالله والنفق لعباد الله، وخلصتان ليس فوقهما شر: الشرك بالله والإضرار لعباد الله»^(٤)، باعتبار الإنسان خليفة الله في أرضه كما قال رسول الإنسانية ﷺ: «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في الأرض وخليفة رسوله»^(٥)، وباعتباره المسؤول عن كل ما في الكون، وكما قال النبي الأكرم محمد ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو المسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي المسؤولة عن رعيته، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في مال أبيه راع وهو مسؤول عن رعيته»^(٦).

٥- حق الدفاع عن النفس وحفظها:

لكل امرئ حق صيانة نفسه، وحماية ذاته، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾^(٧)، فلا يحل الاعتداء على الإنسان إلا إذا أفسد في الأرض فساداً يستوجب القتل يقول الله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ

(١) سورة البقرة: ١٥٩-١٦٠.

(٢) صحيفة الرضا عليه السلام: ص ٩١ ح ٢٤.

(٣) وسائل الشريعة: ج ٢٠ ص ٣١١ ح ٢٥٦٩٩.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٣٩٠ ح ١٤٣٧٨.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ١٧٩ ح ١٣٨١٧.

(٦) غوالي اللآلي: ج ١ ص ١٣٩ ح ٣.

(٧) سورة البقرة: ١٩٤.

ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا»^(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أوحى الله إلى موسى بن عمران عليه السلام قل للملأ من بني إسرائيل إياكم وقتل النفس الحرام بغير حق فإن من قتل نفساً في الدنيا قتلته في النار مائة ألف قتلة مثل قتلة صاحبه»^(٢).

وعنه عليه السلام أيضاً أنه سئل عن من قتل نفساً متعمداً؟ قال عليه السلام: «جزاؤه جهنم»^(٣).

٦- حق حفظ المال:

فكما أن النفس مصونة معصومة فكذلك المال، فلا يحل أخذ مال أحد إلا برضاه، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «ما من رجل أقطع مال امرئ مسلم بيمينه إلا حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار، فقيل: يا رسول الله وإن كان شيئاً يسيراً، قال: وإن كان سواكاً من أراك»^(٥). وقال عليه السلام: «الناس مسلطون على أموالهم»^(٦).

وقال عليه السلام: «المسلم أخو المسلم لا يحل ماله إلا عن طيب نفس منه»^(٧).

وقال عليه السلام: «من قتل دون ماله فهو شهيد»^(٨).

وقال علي بن الحسين عليه السلام: «من اعتدي عليه في صدقة ماله فقاتل فقتل فهو شهيد»^(٩).

٧- حق صيانة العرض:

ولا يحل انتهاك العرض حتى بكلمة نائية، يقول الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لَّكُلِّ هُمَزَةٍ

(١) سورة المائدة: ٣٢.

(٢) الإختصاص: ص ٢٣٥.

(٣) ثواب الأعمال: ص ٢٧٨.

(٤) سورة النساء: ٢٩.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١٦ ص ٣٨ ح ١٩٠٥٢؛ الأراك: هو الشجر الذي يؤخذ منه السواك.

(٦) غوالي اللآلي: ج ١ ص ٤٥٧ ح ١٩٨.

(٧) مستدرک الوسائل: ج ١٧ ص ٨٨ ح ٢٠٨٢٠.

(٨) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٨٠ ح ٥٨٠٧.

(٩) الكافي: ج ٥ ص ٥٢ ح ٤.

لَمَزَةً»^(١)، ويوصينا الإمام علي عليه السلام بقوله: «إياك وانتهاك المحارم فإنها شيمة الفساق وأولي الفجور والغواية»^(٢).

٨- حق الحرية:

ولم يكتف الإسلام بتقرير صيانة الأنفس، وحماية الأعراض والأموال، بل أقر حرية العبادة، وحرية الفكر، وحرية اختيار المهنة التي يمارسها الإنسان لكسب عيشه، وحرية الاستفادة من جميع ما خلقه الله عزوجل.

٩- حقوق أخرى:

إن حقوق الإنسان لا تنتهي بهذا، بل هناك حقوق أخرى، منها: حق السكن والمأوى وحق الحياة، فالإنسان له الحق في أن يأوي إلى أي مكان، وأن يسكن في أي جهة، ولا يجوز نفي أي فرد أو إبعاده أو سجنه إلا في حالة ما إذا اعتدى على حق غيره، ويكون ذلك في حالة الاعتداء والإخلال بالأمن، وإرهاب الأبرياء وفي ذلك يقول الله تعالى: «فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «من نظر إلى مؤمن نظرة ليخيفه بها أخافه الله عزوجل يوم لا ظل إلا ظله»^(٤).

وعنه ﷺ أيضاً قال: «من أعان على قتل مسلم ولو بشرط كلمة جاء يوم القيامة وهو آيس من رحمة الله»^(٥).

وعن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «من روع مؤمناً بسلطان يصيبه منه مكروه فلم يصبه فهو في النار، ومن روع مؤمناً بسلطان يصيبه منه مكروه فأصابه فهو مع فرعون وآل فرعون في النار»^(٦).

(١) سورة الهمزة: ١.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٨٥ ح ٣٥٢٢.

(٣) سورة البقرة: ١٩٤.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٣٦٨ ح ١.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١٨ ص ٢١١ ح ٢٢٥٢٨.

(٦) الكافي: ج ١ ص ٣٦٨ ح ٢.

ومن الحقوق أيضاً:

وأخيراً: يقرر الإسلام أن من حق الجائع أن يطعم، ومن حق العطشان أن يروى، ومن حق العاري أن يكسى، ومن حق المريض أن يداوى، دون تفرقة بين لون ولون، أو دين ودين، فالكل في هذه الحقوق سواء، كما قال رسول الله ﷺ: «من أطعم مؤمناً من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقاه من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم، ومن كساه ثوباً لم يزل في ضمان الله عزوجل ما دام على ذلك المؤمن من ذلك الثوب سلك، والله لقضاء حاجة المؤمن خير من صيام شهر واعتكافه»^(١).

هذه هي تعاليم الإسلام في تقرير بعض حقوق الإنسان، وفيها الصلاح والخير لهذه الدنيا، وأعظم ما فيها أنها سبقت جميع المذاهب التي تحدثت عن حقوق الإنسان، وأن الإسلام جعل هذه التعاليم ديناً يتقرب به إلى الله، كما يتقرب بالصلاة وغيرها من العبادات، قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «أشرف الأعمال التقرب بعبادة الله عزوجل»^(٢).

حقوق الحيوان في الإسلام

ولم تقتصر تشريعات الإسلام في هذه الحقوق على الإنسان فحسب بل أمر بالرحم والعطف على الحيوانات أيضاً، كما في حديث عن رسول الله ﷺ قال: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من حشاش الأرض»^(٣).

وفي حديث آخر عن الرسول ﷺ قال: «دخلت الجنة فرأيت فيها صاحب الكلب الذي أرواه من الماء»^(٤).

السلام والعلاقات الروحية

إن من مقومات السلم والسلام العلاقات الروحية في الإنسان.

علاقة الإنسان مع الله تعالى

(١) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٣٤٥ ح ٢١٧٢١.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١ ص ١٠١ ح ٩١.

(٣) غوالي اللآلي: ج ١ ص ١٥٤ ح ١٢١.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ٧ ص ١٩١ ح ٨٠٠٢.

علاقة الإنسان مع الله عزَّوجلَّ تكون بالتسليم له وبالإيمان به سبحانه وتعالى الذي خلقه، وقد قال: «بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»^(١) والمراد عدم الخوف وعدم الحزن في الدنيا وفي الآخرة، أما في الآخرة فواضح، وأما في الدنيا فالخوف والحزن قد يكون عميقاً وقد يكون سطحياً، ولذا نشاهد المؤمنين لا يخافون خوف غير المؤمنين، كما إن المؤمنين لا يجزنون حزن غير المؤمنين، قال تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ»^(٢)، وهذا لا ينافي الخوف من الله عزوجل كما هو واضح، ففي الحديث الشريف: «من خاف الله لم يخف من كل شيء»^(٣).

فإسلام الوجه^(٤) إلى الله تعالى عبارة عن: التوجه إليه والاعتقاد به وبطاعته وعبادته، وذلك هو جوهر العلاقة الروحية التي تقرب الإنسان إلى الله سبحانه، وحينئذ تشمله الرحمة الخاصة، قال تعالى: «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ»^(٥).

ومن الواضح أن الإنسان لا يتمكن أن يسلم وجهه لله قلباً ويسعى إليه بالعمل الصالح جوارحاً، إلا إذا عرف ربه وآمن به إيماناً حقيقياً، أما إذا لم يعرفه أو عرفه لكن آمن به إيماناً سطحياً أو أنكره ظاهراً كما قال سبحانه: «وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا»^(٦) فإن ذلك لا ينفع في السلام لا في الدنيا ولا في الآخرة.

الإيمان بالله والفطرة التي فطر الناس عليها

ومن موجبات السلم والسلام الإيمان بالله، كما أن السلام من مقتضيات الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

قال سبحانه: «فَطَرَتِ اللَّهُ اللَّيِّ فِطْرَ النَّاسِ عَلَيْهَا»^(٧).

وفي الحديث: «كل مولود يولد على الفطرة»^(١) وإلى هذا أشار تعالى في جملة

(١) سورة البقرة: ١١٢.

(٢) سورة الرعد: ٢٨.

(٣) الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٧٢١ ح ١٥٢١.

(٤) كما قال سبحانه وتعالى: «بلى من أسلم وجهه لله» سورة البقرة: ١١٢.

(٥) سورة البقرة: ١٥٢.

(٦) سورة النمل: ١٤.

(٧) سورة الروم: ٣٠.

من الآيات القرآنية مثل قوله سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٢) وفي آية أخرى قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٣) فإن الإنسان في فطرته يعرف أنه لا يمكنه أن يتحرك بدون محرك.

فإذا آمن الإنسان بالله عزوجل يكون سعيداً ويكون في سلام مع نفسه بل ومع غيره، ولذا قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ * وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٤) ولم يذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة موضوع الدنيا السعيدة لأنه ذكرها في غيرها، حيث قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(٥).

هذا ويحتمل أن يكون المراد من: ﴿فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ الأعم من الدنيا والآخرة كما أشرنا إليه سابقاً. والمراد بالقول في قوله تعالى: ﴿إن الذين قالوا﴾ هو: العمل، قلباً ولفظاً وجوارحاً، فإن القول في اللغة العربية قد يطلق على كل ذلك. وفي آية أخرى قال: ﴿وَمَنْ أَحْسَسْ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٦).

ومن هذا البيان البسيط الذي ذكرناه - وقد ذكره الحكماء والفلاسفة والمتكلمون والمحدثون مفصلاً في كثير من كتبهم - تبين أن الإيمان بالله المتفضل على الإنسان بالوجود، والنعم الظاهرة والباطنة، والعقل والروح والنفس وغير ذلك، فطري تلقائي مرتبط بالإنسان بما هو هو، متى سلم من الانحراف والتقاليد والعصية وما أشبه، لوضوح أن الكون كله محتاج إلى هذا الخالق في تكوينه ودقة صنعه وتنظيمه والهيمنة عليه وتصويره إلى حيث المصلحة التي تدركها في الجملة العقول، والناس

(١) التوحيد: ص ٣٣١ ح ٩.

(٢) سورة العنكبوت: ٦٣.

(٣) سورة العنكبوت: ٦١.

(٤) سورة الأحقاف: ١٣-١٤.

(٥) سورة الأنفال: ٢٤.

(٦) سورة فصلت: ٣٣.

جميعاً منقادون لهذه الفطرة، سواء كانوا مؤمنين أم غير مؤمنين، والمؤمن سواء كان بإيمان صحيح كإيمان المسلمين، أم إيماناً غير صحيح كإيمان البوذيين والكنفوشوسيين ومن أشبهه، فإذا تأمل الإنسان هذا التأمل يصبح الإيمان بالله ملء نفسه، ولذا قال الإمام علي عليه السلام: «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه أو قبله أو معه»^(١).

وعندما يؤمن الإنسان بالله عز وجل إيماناً صادقاً فإن ذلك الإيمان سوف يقتضي أن يعبد الله سبحانه وتعالى وبطبيعته، وحيث لا يجد من يده على كيفية الإطاعة والعبادة اللاتئة بالله سبحانه لا بد وأن ينتهي الأمر به إلى الاعتقاد بالأنبياء عليهم السلام، فإنه من غير المعقول أن يكون مثل هذا الخالق العظيم غير حكيم، وإذا كان حكيماً فلا بد أن يكون خلق الإنسان لحكمة وغاية، وتلك الحكمة والغاية حيث لا يصل الإنسان إليها مباشرة، تقتضي بأن يكون لهذا الإله العظيم العالم الحكيم القادر رسول وسفير بين الإنسان مقصود هذا الإله الحكيم. وإذا تم ذلك للإنسان يكون بفطرته مؤمناً برسول الله وكتبه، وبما قالته الرسل وجاءت به: من وجود الملائكة والمعاد وغير ذلك.

الإيمان بالآخرة وأثره في إيجاد السلم والسلام

ثم إن الإيمان بالآخرة يؤثر تأثيراً واضحاً على توجيه الإنسان إلى السلم والسلام والأمن والأمان.

والمعاد أمر فطري إذ لا يعقل أن يترك الله الحكيم الإنسان يفعل ما يشاء، يظلم ويخون ويؤذي ويهتك الأعراض ويسلب الأموال ويفشي الرعب والخوف بين الناس ولا يؤاخذ من قبله سبحانه، فالعقل يحكم والفطرة تعرف أن الله سبحانه يحاسب الإنسان يوم المعاد على سيئاته، كما يثيبه على حسناته، فإن الناس يُجزون بأعمالهم، قال الإمام الرضا عليه السلام قال: «ما عمل أحد عملاً إلا رده الله به إن خيراً فخير وإن شراً فشر»^(٢).

ومن الواضح أن مثل هذا الإيمان إذا ملأ قلب الإنسان ابتعد الشخص عن الغرور

(١) شرح الأسماء الحسنی: ج ١ ص ١٨٩.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٢٩٤ ح ٥.

والجهل والانحراف والعنف وما أشبه، ويتوجه إلى السلم والسلام، والأمن والأمان، قال سبحانه: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(١)، ومعنى

ليس البر أن

تولوا: التعريض ببعض الناس القشريين الذين يتصورون أن بعض لوازم الإيمان هو كل شيء، بينما الإيمان الحقيقي هو الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وإعطاء المال وإقامة الصلاة والصبر والجهد وما أشبه ذلك فالإيمان مجموعة متكاملة.

ثم إن الإيمان بالله واليوم الآخر يعتبر أهم قاعدة لبناء المجتمع الإسلامي، وأهم مقوم لهذا المجتمع، ولذا حتم الله سبحانه وتعالى الإيمان على كل إنسان وجعله في فطرته، وجعل ذلك الإيمان أساس البناء الذي لا يقوم البناء بدونه، والبناء هو المنهج الإسلامي الصحيح والسلامة الفردية والاجتماعية والحياة السعيدة والعيش الرغيد في الدنيا والآخرة، ولا يكون ذلك إلا بربط القلب واللسان والعمل والفكر والضمير وما إلى ذلك بالله سبحانه، حتى لا ينحرف عقيدة أو قولاً أو عملاً، ولا يضل عن الطريق فينحرف عن الجادة ويتنكب السبيل فيكون فيه هلاكه أولاً، وإهلاكه للآخرين إذا كان الآخرون مرتبطين به ثانياً، وهذا الأمر الفطري هو مدلول عليه أيضاً بشواهد لا تحصى من الكون، قال الشاعر:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

ومن الواضح أن الله سبحانه وتعالى غني مطلق عن الإنسان، وعن إيمانه وأعماله، وإنما الإنسان هو الفقير إليه تعالى، كما قال سبحانه: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَدِيرًا﴾^(٢) وفي آية أخرى: ﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ

(١) سورة البقرة: ١٧٧.

(٢) سورة النساء: ١٣٣.

إِلَى اللَّهِ»^(١) أما وجه فقر الإنسان فمن أوضح الواضحات ، وأما وجه غنى الله سبحانه وتعالى فإنه يكمن في إيجاد أمثال هذه الأمور من دون حاجة إليها ، لأن العلم والقدرة والتجرد يوجب كل ذلك كما استدلوا على ذلك في علم الكلام والفلسفة .

وفي حديث قدسي عن أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما يروي عن الله تعالى أنه قال : « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ، يا عبادي كلكم ضال إلا من أهديته فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل ما نقص ذلك من ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر ، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»^(٢) . ولا يخفى أن قوله سبحانه : « كما ينقص المحيط إذا دخل البحر» من باب المثال وإلا فالنقص لا يدخل على الله تعالى حتى بمقدار جزء من مليارات أجزاء من الذرة .

أما وجه « فليحمد الله» فواضح ، فإن الهداية من الله سبحانه وتعالى سواء كانت هداية فطرية من الداخل أم هداية خارجية بسبب الأنبياء عليهم السلام ، كما ورد في الحديث : « إن لله على الناس حجتين حجة ظاهرة وحجة باطنة فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام وأما الباطنة فالعقول»^(٣) .

(١) سورة فاطر: ١٥ .

(٢) رياض الصالحين: ص ١١٤-١١٥ ب ١١ ح ١١١ .

(٣) الكافي: ج ١ ص ١٦ ح ١٢ .

وأما «فلا يلومن إلا نفسه» فلأنه هو الذي حَرَفَ الفكر والقول والعمل عمداً مع كونه مهدياً من قبله سبحانه وتعالى ولو بالفطرة، كما قال سبحانه: ﴿وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾^(١).

ثم إن الإيمان بالله سبحانه وتعالى والرسول واليوم الآخر الذي هو أساس السلام في الفرد والمجتمع يعتمد على العقل والمنطق والإقناع والفكر، وقد أشار القرآن الحكيم إلى كل ذلك في آيات مفصلات، كما قال سبحانه: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ * أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ * نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ * أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُعْرِضُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾^(٢).

إن الله هو الخالق دون غيره، ومن يقول بخلاف ذلك، فيدعي أن غير الله خالق، لا يتمكن من أن يأتي حتى بدليل واحد، لأن الجاهل العاجز لا يتمكن من خلق العالم القادر بضرورة العقول.

كما أن تذكر الموت والآخرة يوجب قوة الإيمان وابتعاده عن العنف والتزامه بالسلم والسلام، فهل الإنسان قادر على أن يحمي نفسه عن الموت؟ كلاً بالطبع.

ينقل أن هارون العباسي أحضر في مرضه الأخير ألف طيب من كل العالم فلم يتمكنوا من دفع الموت عنه. وكذلك ستالين أحضر له ألف طيب من الغرب والشرق لكنهم لم يتمكنوا من إبعاد شبح الموت عنه. وقد قال سبحانه: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٣).

ثم إن الإنسان رأى النشأة الأولى بنفسه، فلماذا لا يصدق بالنشأة الثانية التي هي الحياة بعد الموت للحساب.

(١) سورة فصلت: ١٧.

(٢) سورة الواقعة: ٥٧ - ٧٤.

(٣) سورة الأعراف: ٣٤.

وكذلك الحرث إنما يكون بسبب الله سبحانه وتعالى، وإلا فمن ينبت الحب؟ ولو شاء الله سبحانه وتعالى جعله حطاماً، لأن الرياح والماء والشمس كل ذلك بيده سبحانه وتعالى. وهكذا بالنسبة إلى الماء الذي يشربه الإنسان، هل الإنسان هو الذي ينزله من السحاب أم الله سبحانه وتعالى؟ فلو شاء الله لجعل ماء السحاب أجاباً، كما جعل كثيراً من المياه أجاباً^(١).

وهكذا بالنسبة إلى النار التي يوربها الإنسان، هل الشجرة التي تشتعل ناراً من صنع الله أو من صنع غير الله سبحانه وتعالى...؟

وفي الآيات المباركات الأنفة الذكر أشار سبحانه وتعالى إلى تلك الأشياء ففي المثال الأخير: إن الله عزوجل هو الذي جعل النار بالإضافة إلى خلق الشجرة وأشياء أخرى. وأحياناً يجد الإنسان في شيء واحد وظاهرة واحدة ألوف العوامل، بينما لا يملك الإنسان حتى عاملاً واحداً من تلك العوامل ملكاً حقيقياً.

وبعد هذا المنطق الواضح بالنسبة إلى الإيمان وإلى العمل الصالح وإلى المعاد وإلى الرسالة - ومن الواضح أن الإمامة تنبع من الرسالة لأنها امتداد لها - لا مجال للإنكار أو الشك؟

هذا بالإضافة إلى دلالة العقل حسب قانون (كل ما حكم به الشرع حكم به العقل)^(٢) فاللزام أن يحفظ الإنسان عقيدته من الشك والشبهة وأن يدعو الآخرين إلى هذه العقيدة الصحيحة فإنها من مقومات السلم والسلام.

الأنبياء ﷺ والعلاقات الروحية بين الإنسان وخالقه

لقد اهتم الأنبياء ﷺ اهتماماً راسخاً وعميقاً في التأكيد على تلك العلاقة الروحية بين الإنسان وبين خالقه تعالى.

ورسول الله ﷺ كان مبلغاً عن الله وداعية إليه في تلك العلاقة الروحية، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ

(١) أجاباً: ملحاً مراً.

(٢) قاعدة أصولية.

بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مَّنِيرًا»^(١).

وقال أبو جعفر عليه السلام في خطبة يوم الجمعة: «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وجعله رحمة للعالمين، بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى»^(٢).

ثم إن هذا الاهتمام من الأنبياء عليهم السلام بتبليغ تلك العلاقة، ترفع مستوى الحياة الإنسانية إلى أعلى درجات الكمال الميسور لبني البشر، وما قول الأنبياء هذا وتذكيرهم إلا تأكيد لفطرة الإنسان، فإنه يتمكن من الإيمان بالله سبحانه وتعالى حتى بدون أي دليل خارجي من الأدلة العقلية والبراهين الفلسفية والصغريات والكبريات المنطقية، لأن الإنسان إذا نظر إلى وجوده، علم أنه لم يخلق نفسه ولا خلقه أبواه، ولا أي شيء آخر، كالشمس والقمر والماء والحجر - مما يسمى بالطبيعة - وعرف أن له خالقاً عالماً قديراً.

تزكية نفس الإنسان والدعوة للخير والأمر بالمعروف

الإنسان مأمور شرعاً وعقلاً بتزكية نفسه وأنفس الآخرين حسب قدرته، فعليه بتزكيتها من الشهوات والأهواء والانحرافات وأن يبذل الجهود الصادقة في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالنسبة إلى كل فرد، وهذا كله من مصاديق وموجبات السلم والسلام بالمعنى الأعم، أو من مقوماته أو لوازمه أو ما أشبه ذلك، قال سبحانه: «وَلَنْتُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^(٣).

وقد ذكرنا في بعض تفاسيرنا: إن ﴿من﴾ ليست تبعيضية وإنما نشوية، لأن الله حصر الفلاح في آخر الآية في ﴿أولئك﴾، ولا يعقل أن يريد الله الفلاح بالنسبة إلى جماعة دون جماعة أخرى من المؤمنين.

(١) سورة الأحزاب: ٤٥-٤٦.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٤٢٢ ح ٦.

(٣) سورة آل عمران: ١٠٤.

كما أن الإنسان المؤمن بالله واليوم الآخر مطالب بالمحافظة على حدود الله في نفسه وفي غيره بشكل عام حتى بالنسبة إلى الكفار، فإن للكفار أيضاً حقاً على المسلمين كحق القرابة وحق الجوار وحق الإنسانية وحق الهداية وحق الإحسان وما أشبه ذلك، ولا تنافي بين ما ذكر وبين قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾^(١) كما هو واضح.

كما أن المسلمين مطالبون بالعمل لإسعاد الأمة وخيرها ومطالبون بالجود بالغالي والنفيس في سبيل أمن الجماعة واستقرارها وسلمها وسلامها، ولأجل رفع المظالم والقضاء على الجور، وفي سبيل إعلاء كلمة الله وحرية الناس، ولأجل جمع الناس على كلمة التقوى حسب الممكن، ولذا قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۖ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۖ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾^(٣).

وقال سبحانه: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾^(٤).

محاسبة الإنسان لنفسه

وقد جعل الإسلام الإنسان على نفسه رقيباً، قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا»^(٥) وحيث حذف المتعلق فإنه يفيد العموم في وزن النفس بالنسبة إلى نفسها ووزن النفس بالنسبة إلى غيرها.

وقد ورد في حديث آخر: «وحق لبدنك الراحة والكرامة»^(٦) والبدن من باب

المثال، وإلا فالروح والعقل والنفس كلها لها حقوق، أو أن البدن أطلق على مجموع

(١) سورة النساء: ١٤١.

(٢) سورة السجدة: ١٥-١٦.

(٣) سورة آل عمران: ١٣٣-١٣٤.

(٤) سورة البقرة: ١٤٨.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٣٨٠ ح ٩.

(٦) بحار الأنوار: ج ٤٩ ص ١٦١ ح ١.

هذه الأربعة، لأنه يجوبها جميعاً.

ومن نتائج هذه العلاقة هداية الإنسان إلى طريق الحق، وقد مثل الرسول ﷺ الهداية بالغيث الذي ينزل من السماء، فان الغيث عام النفع، لكن الإنسان يمكن أن ينتفع به ويمكن أن لا ينتفع به، كما يمكن أن يجعله باقياً في مكان يسبب العفونة والأمراض والأوبئة، فقد قال ﷺ: «إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً وكان منها طائفة طيبة فقبلت الماء فأنتبت الكلاً والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس فشربوها منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً»^(١).

أقول: حيث إن المقام كان مقام الانتفاع وعدمه لا مقام الحصر، لم يذكر الرسول ﷺ القسم الرابع الذي يجمع الماء بدون فائدة حتى يكون الماء فيها أسناً موجباً للأوبئة والأمراض، ولذا قال سبحانه: ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾^(٢).

وعلى أي حال فالإسلام دين الأمن والسلام، والفرق بينهما أن الأمن بمقابل الخوف وهو أمر قلبي، والسلام مطلق في القلب وفي غير القلب، يقال: فلان سليم القلب، ويقال: فلان سالم بدنه وعقله وروحه ونفسه.

جزاء الأعمال

ثم إن الإنسان إذا عمل في خيراً أو شر، مستقيماً أو منحرفاً، فإنه يرى جزاء ذلك في الدنيا وفي القبر وفي المحشر وأخيراً في النار أو في الجنة كما قال سبحانه: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى * وَأَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾^(٣)، ومعنى ﴿إلى ربك﴾: إلى ثوابه أو عقابه.

ثم إن الإنسان إذا عمل خيراً أو شراً وصار عمله سنة من بعده، فإنه يرى جزاء تلك السنة، فإنه وإن لم يكن هو عاملاً بتلك السنة بعد موته، إلا أنه حيث سنَّ الطريق يأتيه الأجر أو الوزر، كما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من استن بسنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن استن

(١) منية المرید: ص ١٠٢.

(٢) سورة فصلت: ٤٤.

(٣) سورة النجم: ٣٩-٤٢.

بسنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»^(١).
ولذا فاللازم على الإنسان الذي يريد المسالمة والسلام مع نفسه وغيره، أن يكون موقفه من نفسه موقف الرقيب الشديد المحاسبة، فيهدبها سواء السبيل إن ضلّت، ويحاسبها إن أخطأت، ويمنحها حقوقها المشروعة لها، ويجنبها الحقوق غير المشروعة التي هي لسائر الناس، فلا يمدّد الخيانة إلى أعراض الناس وأموالهم ودمائهم وما أشبه ذلك، علماً بأن الإنسان معرض للانحراف أشدّ أنواع التعرّض لأن الدنيا دار امتحان، والامتحان كلّما كان شديداً كانت النتيجة كبيرة، يقول الشاعر:

كيف الخلاص وكلهم أعدائي نفسي وشيطاني ودنيا والهوى
والحل في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٢)، حيث التقوى، فإن من الملائكة والشياطين من يطوف هنا وهناك، مثلهما مثل النحلة والذباب، فالنحلة تحطّ على الأوراد والأزهار بينما الذباب يحطّ على مواضع الوسخ، فإذا قدم الشيطان على إنسان فاللازم أن يتذكّر فوراً ويطرده، ولا يكون ذلك إلا إذا كان مبصراً يرى موضع الخطأ ليترد الشيطان، بينما إذا لم يكن الإنسان مبصراً متقياً فإن الشيطان سيوقعه ويسيره في طريقه طريق الانحراف والابتعاد عن الله عزوجل.

ولا يخفى أنه ليس الإنسان المتقي هو الذي يدعي التقوى، بل من أكثر الناس إجراماً من يتظاهر بالتقوى وقلبه فاسق، إذ يعتبرها وسيلة ارتزاق وبسببها يخدع الناس، وقد ورد في التاريخ أن الحجاج بن يوسف الثقفي كان يصعد المنبر ويعظ الناس بالتقوى حتى قال الحسن البصري: أحياناً كنت أُخدع فأتصور أنه يصدق فإنه كان في أثناء خطباته يتظاهر بالتقوى ويبكي بكاءً مرّاً حتى تجري الدمعة على لحيته، كما عن مالك بن دينار قال: والله ما رأيت الحجاج يتكلم على المنبر ويذكر حسن صنيعه إلى أهل العراق وسوء صنيعهم إليه حتى ليخيل إليّ وإلى السامع أنه صادق^(٣).

وكان هارون العباسي السفاك المشهور إذا نصحه ابن سماك أو غيره يبكي وتجري

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٢٢٩ ح ١٣٩٥٦.

(٢) سورة الأعراف: ٢٠١.

(٣) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ٣٠١.

دموعه على لحيته.

يقول مالك بن دينار: سمعت الحجاج يخطب وهو يقول: رحم الله امرئ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب إلى غيره، رحم الله امرئ أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يراد به، ورحم الله امرئ نظر في مكياله، رحم الله امرئ نظر في ميزانه.. فما زال يقول أمثال هذه الكلمات حتى أبكاهم.

الأمن والسلام في الآخرة

ولم يقتصر السلم والسلام على الدنيا بل يستمر إلى الآخرة، وفي جملة من الأحاديث عن رسول الله ﷺ وآله الطاهرين عليهم السلام أنهم قالوا: «أفشوا السلام وصلوا الأرحام وأطعموا الطعام وصلّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»^(١). فإن دخول الجنة أيضاً قد يكون بسلام وقد يكون بغير سلام بأن يطول موقف الإنسان في المحشر ويحاسب حساباً عسيراً. وقد تحصل مما سبق دور الإيمان بالله وباليوم الآخر في نشر السلم والسلام في المجتمع.

(١) مستدرك الوسائل: ج ١٦ ص ٢٤٦ ح ١٩٧٥١.

فصل

السلم والسلام الإداري

مقومات السلم الإداري

السلم والسلام الإداري في كل مصاديقه بدء من إدارة العباد والبلاد (أي الحكومة) وانتهاء بإدارة مؤسسة صغيرة أو أسرة لا تتجاوز الزوجين، بحاجة إلى مقومات وشروط نشير إلى بعضها، أما التفصيل ففي علم الإدارة.

الحب أساس السلم

مسألة: إن الحب والاحترام المتبادل بين المدير والمدار، والمسؤول والمسؤول عليه، وبين الحاكم وشعبه هو من أسس السلم والسلام الإداري، فينبغي لكل مدير أن يقوم بما يوجب تثبيت هذه المحبة بينه وبين من يرتبط به في إدارته.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن أعرابياً من بني تميم أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال له: أوصني فكان مما أوصاه تحب إلى الناس يحبوك»^(١).

وقال عليه السلام: «التودد إلى الناس نصف العقل»^(٢).

وقال عليه السلام: «رأس العقل بعد الإيمان التودد إلى الناس واصطناع الخير إلى كل بر وفاجر»^(٣).

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «أشرف الشيم رعاية الود وأحسن الهمم إنجاز الوعد»^(٤).

وإذا أراد الإنسان أن يحبه الناس فعليه أن يواظب على الأمور التالية، فإنها من مصاديق السلم وموجبات السلام بالمعنى الأعم، وقد تكون النسبة بين بعض هذه

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٢ ح ١.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٣ ح ٤.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٢٩٥ ح ٢١٥٨٦.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤١٣ ح ٩٤٢٤.

الأمر عموماً وخصوصاً مطلقاً أو من وجه.

✽ المعاملة الحسنة والحسنى

إن معاملة الفرد بأحسن مما يستحق، من أفضل الوسائل لكسب ثقته ودفعه نحو العمل والتضحية في سبيله، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «قواعد الإسلام سبعة فأولها: العقل وعليه بني الصبر، والثاني: صون العرض وصدق اللهجة، والثالث: تلاوة القرآن على جهته، والرابع: الحب في الله والبغض في الله، والخامس: حق آل محمد ومعرفة ولايتهم، والسادس: حق الأخوان والمحاماة عليهم، والسابع: مجاورة الناس بالحسنى»^(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّئْتُمْ بِهِ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾^(٢).

✽ الاهتمام بالآخرين

الاهتمام الصادق بمن تديره من مصاديق السلام قولاً وعملاً، قال الإمام الصادق عليه السلام: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس بمسلم»^(٣).

✽ التواضع الإداري

التواضع من المدير من موجبات السلم والسلام الإداري.

كما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «التواضع يكسبك السلامة»^(٤).

وقال عليه السلام: «وجيه الناس من تواضع مع رفعة وذل مع منعة»^(٥).

وفي تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام قال عليه السلام: «أعرف الناس بحقوق إخوانه وأشدهم قضاء لها أعظمهم عند الله شأنًا، ومن تواضع في الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصديقين من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام»^(٦).

✽ إعانة الغير

إعانة غيرك في أمر دينه ودنياه من موجبات السلم الإداري.

(١) بحار الأنوار: ج ٦٥ ص ٣٨١.

(٢) سورة النساء: ٨٦.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٣٣٦ ب ١٨ ح ٢١٧٠٠.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢٩٨ ح ١٣٠٨٦.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٩ ح ٥١٥٥.

(٦) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢٩٥ ح ١٣٠٧٦.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «من خالص الإيمان البر بالإخوان»^(١).
وعنه عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أعان مؤمنا نفس الله عزوجل عنه
ثلاثاً وسبعين كربة واحدة في الدنيا وثنتين وسبعين كربة عند كربه العظمى، قال عليه السلام:
حيث يتشاغل الناس بأنفسهم»^(٢).

✽ القول اللين

لين الكلام من مقومات السلم الإداري، عن إبراهيم بن العباس قال: (ما رأيت
أبا الحسن الرضا عليه السلام جفاً أحداً بكلامه)^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن من الكرم لين الكلام»^(٤).

وقال الإمام الحسن عليه السلام: «من المروءة لين الكلام»^(٥).

وقال تعالى في وصف الرسول الكريم صلى الله عليه وآله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ
لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٦).

✽ التبسم للناس

الرجل الباسم رجل ناجح في إدارته عادة.. أما الرجل العابس فلا يوفق غالباً
حتى في فتح دكان صغير.

قال الإمام الرضا عليه السلام: «واجتهد أن لا تلقى أخاً من إخوانك إلا تبسمت في
وجهه، وضحكت معه في مرضاة الله، فإنه نروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: من
ضحك في وجه أخيه المؤمن تواضعا لله جل وعز أدخله الجنة»^(٧).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «تبسم المؤمن في وجه المؤمن حسنة»^(٨).

✽ اسم الفرد

إن اسم الإنسان من أحلى الأشياء لصاحبه ومن أعزها على قلبه، فعلى المدير أن

(١) مستدرك الوسائل: ج ١٢ ص ٤٢١ ح ١٤٤٩٧.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٩٩ ح ٢.

(٣) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٤١٤ ح ٩٨٣٩.

(٤) الكافي: ج ٨ ص ٢٤ خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام وهي خطبة الوسيلة ح ٤.

(٥) راجع بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ٣١٢ ب ٥٩ ح ٤.

(٦) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٧) فقه الرضا عليه السلام: ص ٣٩٨ ب ١١٥.

(٨) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٤١٩ ب ٧٠ ح ٩٨٥٤.

يتعرف على الرجل ويسجل اسمه الكامل وطبيعة عمله وأهله وأولاده ومسكنه، فإذا ما التقاه مرة ثانية يكون قادراً على سؤاله عن عمله وأولاده وبيته، قال رسول الله ﷺ: «إذا أحب أحدكم أخاه المسلم فليسأله عن اسمه واسم أبيه واسم قبيلته وعشيرته فإن من حقه الواجب وصدق الإخاء أن يسأله عن ذلك وإلا فإنها معرفة حمق»^(١). وقال ﷺ: «ثلاثة من الجفاء: أن يصحب الرجل الرجل فلا يسأله عن اسمه وكنيته...»^(٢).

❖ المشتراكات

إذا أراد المدير قبول الناس لأسلوبه في التفكير والعمل فعليه أن يبدأ مع غيره بالمشتراكات فيما بينهم وهذه من أساليب المحبة والصدقة، ولا يبدأ الحديث بالأمور المختلف عليها، بل بالأمور المتفق عليها.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾^(٣).

❖ الثقة بالنفس

ينبغي للمدير أن ينمي حالة الثبات والثقة بالنفس لدى الفرد بغية دفعه إلى العمل وبذل الجهد الأقصى، حيث إن فقدان الثبات يحطم انطلاق النفوس، ويقتل روح المبادرة، ويخلق رجالاً سلبين غير منتجين.

❖ الحرية الإدارية

ينبغي للمدير الناجح اتباع سياسة الحرية الإدارية الصحيحة، فلا يكون مستبداً يفرض رأيه على الأفراد، فيوجد الرغبة في اختيار الطريق الأحسن اللازم سلوكه للوصول إلى الهدف، ولذا فإن على المسؤول أن يترك لمرؤوسيه بعض الحرية في اختيار الوسيلة التي توصلهم إلى الهدف.

❖ الحكمة والموعظة الحسنة

على المدير أن يطبق ما جاء به الأنبياء والأوصياء عليهم السلام مقتدين بسيرتهم العطرة في إنقاذ الناس من براثن الشيطان وحزبه، حيث كانت السيرة على الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٧١.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٤٥ ح ١٥٨٩٤.

(٣) سورة الأنفال: ٤٦.

بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ»^(١).

✽ المعنويات

على المدير أن يستعين بالله دائما ويدعو الله عزوجل لكي يوفقه في إدارته.
كما عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أكثر الاستعانة بالله يكفك ما أهمك ويعنك على ما ينزل بك إن شاء الله»^(٢).

وكذلك التوسل بأولياء الله الطاهرين عليهم السلام وقراء المأثور من الأدعية، كما عن سماعة قال: قال لي الإمام أبو الحسن عليه السلام: «إذا كان لك يا سماعة عند الله حاجة فقل: اللهم إني أسألك بحق محمد وعلي فإن لهما عندك شأنًا من الشأن وقدرًا من القدر، فبحق ذلك الشأن، وبحق ذلك القدر أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تفعل بي كذا وكذا»^(٣).

وعن الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام في تفسيره، عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الله سبحانه وتعالى يقول: عبادي من كانت له إليكم حاجة فسألكم بمن تحبون أحببتم دعاءه، ألا فاعلموا أن أحب عبادي إلي وأكرمهم لدي محمد وعلي حبيبي ووليي، فمن كانت له حاجة إلي فليتوسل إلي بهما، فإني لا أرد سؤال سائل يسألني بهما وبالطيبين من عترتهما، فمن سألني بهم فإني لا أرد دعاءه، وكيف أرد دعاء من سألني بحبيبي وصفوتي ووليي وحجتي وروحي ونوري وآبتي وبابي ورحمتي ووجهي ونعمتي، ألا وإني خلقتهم من نور عظمتي وجعلتهم أهل كرامتي وولايتي، فمن سألني بهم عارفا بحقهم ومقامهم أوجبت له مني الإجابة وكان ذلك حقاً علي»^(٤).

✽ العفو عن الخطيئة

على المدير أن لا يعادي الفرد لخطيئته، بل يحبه ويعفو عنه، بل ويحسن إليه، لأن

(١) سورة النحل: ١٢٥.

(٢) نهج البلاغة: الرسائل: ٣٤.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٧ ص ١٠٢ ح ٨٨٤٩.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٧ ص ١٠٢ ح ٨٨٥٠.

«صنائع المعروف وحسن البشر يكسبان المحبة ويدخلان الجنة»^(١) كما قال الإمام أبو جعفر عليه السلام.

✽ حسن الخلق

حسن الخلق من أفضل السبل للقضاء على الأخطاء الإدارية، سواء من المدير أم من الأفراد، وهي توجب المحبة.

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «إن الخلق الحسن يميث الخطيئة كما تميث الشمس الجليد»^(٢). ويقول الإمام الحسن بن علي عليه السلام: «إن أحسن الحسن الخلق الحسن»^(٣).

فليس هنالك أوامر منتجة بدون محبة، والإكراه قادر على تأمين التنفيذ المباشر لمهمة معينة، ولكنه عاجز عن تأمين رضا النفوس والقلوب اللازم لكل مسؤول يريد أن ينجز مهمته بكاملها، ولا يشعر الموظفون بهذا الرضا إلا إذا تأكدوا بأن مسؤولهم يكن لهم حبا عميقا مخلصا، ورغبة أكيدة في سبيل الهدف الجماعي فإذا ما تحقق ذلك بذلوا كل إمكاناتهم، وقاموا بأعمال جبارة، وهنا يستطيع المسؤول أن يطلب منهم كل شيء، وهنا فقط يستطيع أن يعتبر نفسه مسؤولا حقيقيا، فإنه لا يمكن الهيمنة على الرجال إن لم يستطع الإنسان من الهيمنة على قلوبهم، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «قلوب الرجال وحشية فمن تألفها أقبلت عليه»^(٤).

✽ الكلام الطيب

إن كلاما طيبا خارجا عن قلب طيب أفضل من عقل راجح مشرب بالقسوة، كما قال سبحانه وتعالى: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ»^(٥).

وقال: «وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ»^(٦).

وقال رسول الله ﷺ: «الكلمة الطيبة صدقة»^(٧).

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٠٣ ح ٥.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٠٠ ح ٧.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٥٠ ح ١٥٩٢٩.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٥٨ ح ١٥٩٤٢.

(٥) سورة فاطر: ١٠.

(٦) سورة الحج: ٢٤.

(٧) وسائل الشيعة: ج ٥ ص ٢٣٣ ح ٦٤٢١.

وقال علي عليه السلام: «من حسن كلامه كان النجح أمامه»^(١).

✽ طيب القلب

يرى المدير طيب القلب الأمور من زواياها الحسنة، فإن ناقش نظرية بحث عن لب الحقيقة، وإن حكم على تصرفات شخص حملها من الأشياء الحسنة ما قد لا يكون فيها، مفترضاً إن هذا الشخص قد أراد القيام بالشيء الكثير فمنعته ظروفه الخاصة، عاملاً بوصية أمير المؤمنين عليه السلام محمد بن الحنفية التي جاء فيها قوله عليه السلام: «لا تصرم أخاك على ارتياب ولا تقطعه دون استعتاب لعل له عذراً وأنت تلوم، اقبل من متصل عذراً صادقاً كان أو كاذباً فتتالك الشفاعة»^(٢).

إننا نرى الأشياء حسب طبيعة نفوسنا، فمن كان طيب القلب رأى كل ما يحيط به طيباً كما ورد عن علي عليه السلام: «لا يصدر عن القلب السليم إلا المعنى المستقيم»^(٣)، ويقول الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدي المساويا

✽ فن المناقشة

حاولوا عند مناقشة شخص متوتر الأعصاب أن تطرحوا عليه سؤالاً يجيب عنه بكلمة (نعم) أو (لا)، فهذا اللفظ كاف لتخفيف حدته، وخففوا الضغط عن أعصابه بتذكيره بالأعمال الحسنة التي قام بها، وحافظوا على هدوئكم، وخذوا الأمور بالحكمة، يقول الإمام علي عليه السلام: «أحسن تسترق»^(٤)، وحاولوا كشف سر الاختلاف، وادخلوا مع المخالفين في محادثة هادئة تضع النقاط على الحروف، وتزرع الثقة من جديد، فيعود التفاهم وتزول الخلافات، فالمسؤول الواعي قادر على حل المخالفات بكل سهولة وحكمة وتعقل، كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ما قسم الله سبحانه بين عباده شيئاً أفضل من العقل»^(٥). فالحكمة ضرورية لتبيان إمكاناتهم

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١٠ ح ٤٠٥٨.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢١٧ ح ١٦١٢٥.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٦٧ ح ٨٩٤.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٨٥ ح ٨٧٨٦.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٥٠ ح ٣٣٢.

الحقيقية، وتسليمهم صلاحيات تلائم مواهبهم.

✽ الحزم بعيداً عن العنف

هناك أشخاص لديهم حالات شكوى اعتباطية تنجم غالباً عن صدمة نفسية منذ الطفولة، فهم يرغبون في الحصول على كل شيء، ويهدفون إلى إرضاء نزواتهم التي كُتبت بقسوة في طفولتهم، والتي تتمثل بطلب الجوائز والعطل الإضافية والرتب والعلاوات، فإنهم عادة أشخاص قلقون، وهذا ما يشدهم إلى مصالحهم الخاصة، حتى يصبحوا غير قادرين على فهم وجهة نظر الآخرين، وتبلغ الشكوى والتذمر عند بعضهم درجة الاستمرارية، فلا يشعرون بأنفسهم ووجودهم إلا إذا تدمروا، فخذوا طريق الحزم معهم واعتمدوا عند الضرورة على القانون والأنظمة الشرعية، واقروا لهم بصوت عال نصاً قانونياً يؤيد رفضكم لطلباتهم الاعتباطية، فللوثائق المكتوبة تأثير أكبر على النفوس من الكلام الشفهي، كما قال رسول الله ﷺ: «قيدوا العلم بالكتابة»^(١)، وأن «القلب يتكل على الكتابة»^(٢) كما قال أبو عبد الله عليه السلام.

✽ النظر إلى الجميل

لكل حادثة وجهان: جميل وقبيح، فلماذا ننظر إلى القبح دون أن نلتفت إلى الجمال، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «الجمال الظاهر حسن الصورة، الجمال الباطن حسن السريرة»^(٣). وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «من أحصى على أخيه المؤمن عيباً ليعيبه به يوماً ما كان من أهل هذه الآية، قال الله عزوجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾»^(٤) الآية^(٥).

✽ حسن التفاؤل

لنكن متفائلين فإلتمشائم يخاف من كل شيء ويتردد فلا يصل إلى هدف، وهو ينتظر القرار واقفاً بلا حراك، وفي الحديث: «إن النبي ﷺ كان يحب الفأل الحسن

(١) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ١٤١ ح ٩.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٥٢ ح ٨.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٤ ح ٥٣٣.

(٤) سورة النور: ١٩. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ١١٠ ح ١٠٣٧٩.

ويكره الطيرة»^(١). أما ادعاء البعض أن المتفائل رجل سخي يعرض نفسه للمتاعب دون تفكير فهو خطأ، فالحقيقة أن من الحكمة أن نكون متفائلين، عندما يكون هناك مجال للتشاؤم.

❖ النقد البناء

يكون النقد مفيداً، إذا صدر عن وجدان حي، كما عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٢) قال عليه السلام: «قولوا للناس أحسن مما تحبون أن يقال فيكم»^(٣)، ويكون النقد مفيداً أيضاً إذا سعى إلى البناء والإصلاح، والنقد الممتاز هو ما كان لبقاً في لفظه، بناءً في غايته، والعكس إذا صدر عن نفس مملوءة بالحق فإنه سيؤدي إلى التخريب والهدم، حتى لو كان لبقاً وبألفاظ مختارة، كما قال رسول الله ﷺ: «لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه»^(٤).

❖ السؤال عن الفرد ومتاعبه

الرئيس الجيد هو الذي إذا استدعى أحد مرؤوسيه أو صادفه بدأه بالسؤال عن قضايا الشخصية ومتاعبه، عملاً بما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «جمال الأخوة إحسان العشرة والمواساة مع العسرة»^(٥)، ثم حادثه في قضايا العمل.

❖ المعاملة الإنسانية

تخلق معاملة الرئيس الإنسانية لمرؤوسيه جواً من الثقة والألفة، وتخفف كثيراً من متاعب المهنة، وتسمح بحل القضايا الشائكة بهدوء، وبتفهم القرارات والتوجيهات بشكل أفضل، وتساعد على نشر فكرة التعاون والمحبة.

إضافة إلى أن الدماثة والهدوء خير ملطف لجو المناقشات، فتجنبوا الجفاء مع الزملاء، كما يقول أبو عبد الله عليه السلام: «الجفاء في النار»^(٦)، وابتعدوا عن الجدال إذا كان يفرق بينكم، فإنه وكما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «ما ضل قوم إلا أوثقوا

(١) بحار الأنوار: ج ٩٢ ص ٢ ح ٢.

(٢) سورة البقرة: ٨٣.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ١٦٥ ح ١٠.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٢٠٨ ح ٤.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤١٥ ح ٩٤٨٢.

(٦) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٣٥ ح ٢٠٩٠٥.

الجدل»^(١)، ولذا فأنتم في أمس الحاجة إلى الاتحاد والتعاون، كما جاء عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «تبنى الأخوة في الله على التناصح في الله، والتبادل في الله، والتعاون على طاعة الله، والتناهي عن معاصي الله، والتناصر في الله، وإخلاص المحبة»^(٢).

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «يحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل، والتعاون على التعاطف، والمواساة لأهل الحاجة، وتعاطف بعضهم على بعض، حتى تكونوا كما أمركم الله عزوجل رحماء بينكم متراحمين مغتمين لما غاب عنكم من أمرهم، على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله ﷺ»^(٣).

✽ تفهم المسيء

إن محاولة تفهم المسيء ومداراته رغم خطأه يجعله يتبدل بسرعة بعد ذلك، وإن التصرف على هذا النحو ليس جبنًا أو ضعفًا، إنه قوة تقهر الشيء السيئ إلى الحسن، قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يكون أخوك على الإساءة إليك أقوى منك على الإحسان إليه»^(٤).

وإن نفوس الناس كنفوسنا بحاجة إلى المحبة والعطف والتفهم، و«نظر المؤمن في وجه أخيه المؤمن للمودة والمحبة له عبادة»^(٥) كما يوصينا الإمام زين العابدين عليه السلام.

✽ مع النفوس القلقة

ينبغي على المسؤول أن يظهر لمرؤوسيه ما يدل على رغبته في مساعدتهم لحل متاعبهم، فإن النفوس القلقة الغاضبة تحتاج لمن يستمع إليها والابتسامه تملأ حياه.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كرب الآخرة وخرج من قبره وهو ثلج الفؤاد»^(٦).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «من مشى في حاجة أخيه المسلم أظله الله بخمسة وسبعين

(١) بحار الأنوار: ج ٢ ص ١٣٨ ح ٥٢.
 (٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٢٢ ح ٩٦٩١.
 (٣) الكافي: ج ٢ ص ١٧٥ ح ٤.
 (٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٨٤ ح ٧٨٣٣.
 (٥) بحار الأنوار: ج ٧ ص ١٤٠.
 (٦) الكافي: ج ٢ ص ١٩٩-٢٠٠ باب تفريج كرب المؤمن ح ٣.

ألف ملك، ولم يرفع قدماً إلا كتب الله له بها حسنة وحط عنه بها سيئة ويرفع له بها درجة فإذا فرغ من حاجته كتب الله عزوجل له بها أجر حاج ومعتمر»^(١).

✽ الحوادث الشخصية للفرد

يعتبر الإنسان الحوادث الشخصية التي تمر به، كالترفيح والتعيين والنقل والولادة والوفاة، أموراً هامة، والرئيس الذكي هو من يُعلّق على هذه الحوادث ولو بكلمة تشجيع أو تهنتة أو تعزية، فيشد بذلك أواصر المحبة، ويثير في النفوس شعوراً بتبادل العواطف، وإن التكلم مع المرؤوس وتفهمه يخلق شعوراً ضمناً بأن قضاياه الخاصة معروفة ومدروسة لتنفيذها ضمن حدود الإمكانيات، ودون الخروج عن خط المصلحة العامة. قال أبو عبد الله عليه السلام: «للمسلم على أخيه المسلم من الحق أن يسلم عليه إذا لقيه، ويعوده إذا مرض، وينصح له إذا غاب، ويسمته إذا عطس، ويجيبه إذا دعاه، ويتبعه إذا مات»^(٢).

✽ لا للقنوط

لا يستطيع الرئيس، مهما استخدم من وسائل ومهما كان عبقرياً، أن يكسب قلوب مرؤوسيه كافة، إذ يبقى بعضهم منكمشاً جامداً فيقنط ويفقد حماسه، فعلى المدير معالجة هذا القنوط بمستوى الإنسانية، لاستعادة جو ملائم للعمل مشبع بالدماثة والعطف، فإنه السبيل الأمثل لتماسك المجموعة والاندفاع بحماس نحو عمل أكفأ وأوسع إنتاجية.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «قتل القنوط صاحبه»^(٣).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «الكبائر القنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله»^(٤)

الحديث.

✽ مع الحسنات والسيئات

السيئات أكثر ظهوراً من الحسنات، وهذه ظاهرة بشرية طبيعية ومعروفة، لأن

(١) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٣٦٦ ب ٢٧ ح ٢١٧٧٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٢٤٧ ب ١٥ ح ٤٤.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٣ ح ١٣٣١.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٢٨٠ باب الكبائر ح ١٠.

الأعمال الحسنة تبدو مع التكرار طبيعية، بينما تكرر الأعمال السيئة تسبب فقدان الصبر، ولتلافي ذلك يجب أن يعمل المسؤول بين آونة وأخرى مقارنةً بحسنات المرؤوسين وسيئاتهم، فإن رجحت كفة الحسنات نظر إلى السيئات بعين الرحمة، وإن رجحت كفة السيئات حاول جاهداً تحسين الوضع، وليضع قول أمير المؤمنين عليه السلام: «من كثر إحسانه كثر خدمه وأعوانه»^(١) نُصِبَ عَيْنِهِ فِي خِدْمَةِ الْهَدَفِ الْمَقْدَسِ لِتَوْثِيقِ الْعِلَاقَاتِ الْحَسَنَةِ بَيْنَ الْمَرْؤُوسِينَ، ولقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «عجبت لمن يشتري العبيد بماله فيعتقهم كيف لا يشتري الأحرار بإحسانه فيسترقهم»^(٢).

✽ احترام المسؤولين

لا تؤنبوا رئيس مصلحة أمام مرؤوسيه، حتى لا تضعفوا شخصيته، فتقاد الجماعة إلى فوضى وخيمة، يقول الشاعر:

لا تهن من عظيم قدر وإن كدت مشاراً إليه في التعظيم
فألليب الكريم ينقص قدرا بالتعدي على اللبيب الكريم

✽ مواهب المساعدين

ينسى كثير من الرؤساء أهمية احترام مواهب المساعدين وإمكاناتهم وحدود عملهم. فعلى المسؤول أن يظهر بدعم مساعديه، والدفاع عنهم، والتحدث بلسانهم، وشرح آرائهم، وعدم التضحية بهم لإرضاء الآخرين.

✽ عدم التدخل في صلاحيات الآخرين

من موجبات السلم الإداري عدم التدخل في صلاحيات الآخرين، فهناك أمور سلبية تثبط همم المساعدين يجب تجنبها، كالتدخل في حدود عملهم بدون مناسبة، أو مكافأة ومعاقبة العناصر التابعين لهم دون استشارتهم، أو تجريدتهم من بدهتهم، أو اعتبار أفكارهم وآرائهم عقيمة دون دراسة، أو إلقاء أخطاء المسؤول على عاتقهم.

✽ السلطة لا تعني القسوة

إن من الخطأ الاعتقاد بأن الرحمة والأدب والاحترام تتنافى مع السلطة، إذ أن السلطة الحققة لا تبنى إلا على المحبة الناجمة عن العدل والرحمة والإنسانية.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٨٦ ح ٨٨٣٣.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٨٥ ح ٨٧٨٦.

يقول رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»^(١).

✽ كن قاسياً على نفسك

المسؤول الطيب القلب هو مَنْ كان قاسياً على نفسه، فيعتبر المتاعب نجمة عن أخطائه، رحيماً مع مرؤوسيه يعتبر أخطاءهم متاعب فيسعى إلى تخفيفها، يتخلق بأخلاق القرآن الكريم الذي يقول:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٢).

✽ الشعبية

النفس العظيمة نفس حرة لينة أليفة شعبية متواضعة، يحترمها الناظر إليها عن قرب أو بعد، ويزداد احترامه بازدياد الاحتكاك معها، ثم تعود إلى طبيعتها بدون عناء.. نفس يقترب منها الآخرون ببساطة واحترام، يدفعهم إلى ذلك محبة محاطة بالإعجاب، فعلى المدير أن يتحلى بهذه النفس فإنها من مقومات السلام الإداري.

✽ دور الرؤساء

ترتفع قيمة المجموعات البشرية أضعافاً إذا تهيأ لها رؤساء يحترمونها ويقدرونها، كما أنها تفقد قسماً من قدرتها إذا عملت مع رؤساء لا يكون لها مثل هذه المشاعر التقديرية. فعلى المدير أن يعرف دوره ويقدر المرؤوسين ويحترمهم.

✽ لا تبخسوا الناس أشياءهم

لا يقبل العامل أن تكون مزاياه مجهولة أو مهملة، فإذا ما شعر بذلك، وأحس بأن إمكاناته موضع شك، ثار على رؤسائه، واعتبر نفسه ضحية سوء إدارتهم، لذا فإن من الضروري ترك المجال أمام كل فرد ليظهر إبداعه وبيداهته وأحكامه، وإعطاؤه مهمة تحمله بعض المسؤولية، فيشعر عند ذلك بأن قيمته وكرامته محفوظتان.

✽ لا للسخرية

يلزم على المدير أن يتجنب الهزء والسخرية أثناء المحاسبة، لأنهما هدامان، في

(١) مستدرك الوسائل: ج ٩ ص ٥٥ ح ١٠١٨٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

حين أن هدف المحاسبة هو البناء والتدريب والإصلاح كما ورد في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢).
وقال سبحانه: ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾^(٣).

✽ لست على الحق دائما

لا تحاولوا أن تظهروا أنفسكم على حق دائماً، لأن ذلك يثير الحقد في نفوس محدثيكم، فيحاولون الانتقاد بكل مناسبة.. إن إظهار الزملاء بمظهر الجاهلين لا يضمنهم إلى جانبكم، حتى لو وافقوكم على آرائكم أو سكتوا على مضض، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا أردت أن تعظم محاسنك عند الناس فلا تعظم في عينك»^(٤).

✽ لا للألفاظ القاسية

احذروا المناقشات الحادة والألفاظ القاسية التي تدل على فقدانكم لسيطرتكم على أنفسكم، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «دع الحدة وتفكر في الحجة وتحفظ من الخطل تأمن الزلل»^(٥).

وليكن حديثكم عاماً لا يتعرض إلى انتقاد آراء ومعتقدات شخصية بحتة، فإن «من بالغ في الخصومة أثم، ومن قصر فيها ظلم، ولا يستطيع أن يتقي الله من خاصم»^(٦) كما يعلمنا أمير المؤمنين عليه السلام.

فإنها تحط من قيمتكم، وتقلل من شأنكم ومن احترام الآخرين إليكم، وتفتح في النفوس جرحاً عميقاً لا يندمل بسبب تعابير قاسية أو كلمات مهينة.

وطالما تسببت كلمة طائشة أو تعبير قاس محقر حقداً عميقاً ينقلب مع الأيام إلى

(١) سورة الحجرات: ١١.

(٢) سورة البقرة: ٢١٢.

(٣) سورة هود: ٣٨.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٩ ح ٥١٤٣.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٥٨ ح ٥٩١.

(٦) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٧٦ ح ١٠٢٤٨.

ترد، قال تعالى: ﴿وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من عاب عيب، ومن شتم أجيب، ومن غرس أشجار التقى اجتنى ثمار المنى»^(٢).

كما يلزم على المدير عدم الرد على الكراهية بالكراهية، وعلى الأعمال السيئة بأسوأ منها لأنها تعقد الأمور وتزيد نار البغضاء استعاراً، قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «الحكيم من جازى الإساءة بالإحسان»^(٣)، كما أن «أشد الناس عقوبة رجل كافأ الإحسان بالإساءة»^(٤) على حد قول أمير المؤمنين عليه السلام.

✽ المرؤوس إنسان مثلك

الاحترام المتبادل سر القضاء على كثير من المشاكل الاجتماعية، فعلى المسؤول أن يعرف قيمة المرؤوسين، ثم يعاملهم كلاً حسب فهمه وإدراكه للأمور، فالمرؤوس إنسان مثلك، والإنسان حر لا يخضع لغيره، وهو يأبى أن يعامل معاملة العبيد، فتذكر أنك «إذا أردت أن تطاع فاسأل ما يستطاع»^(٥) كما يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

✽ الاحترام مطلقاً

يحترم المسؤول العاقل مرؤوسيه، حتى لو لم يكن راضياً عنهم، لأنه من المستحيل كون المرؤوس مثالياً، لذا يقتضي التعامل مع الجميع كما هم، مستفيداً من محاسنهم مقلداً من مساوئهم قدر الإمكان، لأن الإنسان غير معصوم من الخطأ ولكن الإصرار على الخطأ معصية، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار»^(٦).

مثلاً عندما أضرب العمال عن العمل في إحدى الدول، لاحظ الجميع أن بعض المعامل لم تضرب عن العمل لأن رؤساءها كانوا يهتمون شخصياً بشؤون العمال

(١) سورة الشورى: ٤٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٧٩ ح ٥٦.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٥٩ ح ٦٢٩.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٩٠ ح ١٩٥٦.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤١ ح ٧٨٠٠.

(٦) الكافي: ج ٣ ص ٢٨٨ ح ١.

كأفراد، ويهتمون بعائلاتهم ومنازلهم، ويقدمون لهم المساعدة، على عكس العمال المضربين عن العمل في المعامل الأخرى والتي فقدت فيها العلاقة الإنسانية بين مسؤول العمل والعمال، حيث كان يعاملهم بجداء ونظرة استعلائية مجردة وكأنهم مثل الأدوات الإنتاجية من دون مراعاة شؤونهم الإنسانية أو العائلية.

فعلى المدير أن يجعل نصب عينيه هذا الحديث الشريف المروي عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: «من حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يشبع جوعته، ويواري عورته، ويفرج عنه كربته، ويقضي دينه، فإذا مات خلفه في أهله وولده»^(١).

❁ لا تذلل المرؤوس

لا يحق للمدير أن يذل المرؤوسين، فإن لكل رجل أهميته الخاصة، ليس كعضو في مجموعة بشرية أو كمواطن فقط، وإنما أيضاً كأخ وإنسان، ولذلك فإنه يرفض العبودية والذل، يقول الإمام أبو عبد الله عليه السلام: «إن الله فوض إلى المؤمن أموره كلها ولم يفوض إليه أن يكون ذليلاً، أما تسمع قول الله عزوجل يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) فالمؤمن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً، إن المؤمن أعز من الجبل، إن الجبل يُستقل منه بالمعاول والمؤمن لا يستقل من دينه شيء»^(٣).

ومع ذلك فإن الفرد لا يكره الخدمة والعمل، بل يجد فيها إرضاء لغريزة الإخلاص فيه، شريطة أن يكون متأكداً من احترام رئيسه وتقديره وثقته به ومعاملته له كرجل، ويشعر المرؤوس في حديث رئيسه الذي يعترف بشخصيته، بأن في كلامه نداء الأخوة الإنسانية، وقد قالها الإمام علي عليه السلام: «لا يسود من لا يحتمل إخوانه»^(٤)، رغم فوارق الرتبة والمعلومات، فتخفف اللهجة المهذبة من قسوة الملاحظة وتجعلها مقبولة للاندفاع في تنفيذ الواجب.

❁ العمال والتقدم الصناعي

العمال ضحايا التقدم الصناعي، ومن هنا قد تخلق لديهم حالات نفسية تدفعهم

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٦٩ ح ١.

(٢) سورة (المنافقون): ٨.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٦٣ ح ١.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٢٠ ح ٩٦٢٩.

إلى الثورات الجامحة لشعورهم بأن الآلات الحديثة سلبت منهم فرص العمل، فيجب إفهامهم بأنها تكون من أجل مساعدتهم وسرعة إنتاجهم، فمن احترم كرامة العمال وشخصياتهم، وعاملهم كرجال لا كآلات، شارك في حل أكبر مشكلة اجتماعية تهدد العالم المتمدن ببشاشة وسعة صدر، فالرجل الكئيب أو الغضوب رجل مريض، وقد صدق أمير المؤمنين عليه السلام حين قال: «عقوبة الغضوب والحقود والحسود تبدأ بأنفسهم»^(١). فالقيمة العملية أقل من القيمة الإنسانية، فإن «قدر الرجل على قدر همته، وصدقه على قدر مروءته، وشجاعته على قدر أنفته، وعفته على قدر غيرته»^(٢) كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام.

❖ التفاهم

كونوا المصغين الجيدين والسامعين الصالحين لمن تديرونه، وقد قيل في الحكمة: «إنما منزلة من يسمع بأذنيه ما لا يعي قلبه بمنزلة من يقدر النار في الماء فلا ينال منه حاجته»^(٣)، وشجعوا الطرف الآخر على التكلم عن نفسه وشؤونه بثقة عالية. على المسؤول أن لا يتكلم سريعاً في الاجتماعات، فقد لا يستطيع من لا يتقن فنّ الإنصات معرفة ما يدور في الاجتماع.

كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «التروي في القول يؤمن الزل»^(٤).

وقال عليه السلام أيضاً: «الثبت في القول يؤمن العثار والزل»^(٥).

❖ الإقناع بالأسلوب الجماعي

إيجاد التفاهم المطلق ضمن المجموعات الكبيرة أمر قد يكون محالاً، إذ يكتسب كل فرد فيها روحاً من العصبية تجعله في تنافس دائم مع الأفراد الآخرين، وهنا يأتي دور الرئيس الذي يقنع الجميع بأن كل جماعة، ليست سوى جسد واحد كثير الأعضاء، إذا اشتركت في العمل استقام الجسد، وإن تخاصمت أدت إلى فئاته، ويدل على ذلك قصة الرماة الذين أمرهم رسول الله ﷺ في غزوة أحد أن لا يبرحوا أماكنهم قائلاً

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٠٣ ح ٦٨٧٢.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٢٢٢ ح ٩٣٠٧.

(٣) الاختصاص: ص ٣٣٥.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١١ ح ٤٠٧٢.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١١ ح ٤٠٧٣.

لهم: «لا تبرحوا مكانكم فإننا لن نزال غالبين ما ثبتم بمكانكم»^(١)، ولكنهم حين لم ينفذوا أمر الرسول ﷺ وتركوا أماكنهم فكانوا سبب انهزام المسلمين بأجمعهم، رغم أن عدد المسلمين كان خمسة آلاف - وفي رواية ثمانية آلاف - مقاتل وهؤلاء الرماة كانوا خمسين رامياً لا غير، فانظر كيف أدى تكاسل هؤلاء القلة إلى انكسار هذا الجيش الكبير.

عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «المؤمنون في تبارهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائرُه بالسهر والحمى»^(٢).

✽ مناقشة الأفكار

ناقشوا أفكار مساعديكم واستمعوا إليها، ولا ترفضوها قبل الدراسة والتمحيص كما قال الله عزوجل في كتابه الكريم: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٣)، فالجماعة قد يصيبها الفشل نتيجة عناد المسؤول، ورفضه الاستماع إلى آراء الآخرين، وهي معرضة للوقوع في سلسلة الروتين والانكماش في العمل.

✽ احترام الرأي الآخر

وافقوا خصومكم على آرائهم بقناعة، واحترموا الرأي الآخر، وإياكم وتسفيهه، فإنه باحترامكم لآرائهم سيادلونكم الاحترام والاهتمام، قال الإمام السجاد عليه السلام في تعداد الحقوق: «وأما حق خصمك الذي تدعي عليه فإن كنت محقاً في دعواك أجملت مقاولته ولم تجحد حقه، وإن كنت مبطلاً في دعواك اتقيت الله عزوجل وتبت إليه وتركت الدعوى»^(٤).

✽ بيان الهدف

أظهروا هدف أعمالكم باجتماعات وتعليمات واتصال شخصي، وحددوا مسؤولية كل فرد فيه، حتى لا يشعر مساعديكم بأنهم مجرد آلات، فيفقدوا اهتمامهم

(١) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٢٣.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٤٢٤ ح ١٤٥٠٦.

(٣) سورة الزمر: ١٨.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٦٢٣ ح ٣٢١٤.

وحماسهم.

✽ المسؤول الناجح

يحاول المسؤول الناجح أن يفهم فكرة رؤسائه، فيراعي آراءهم الشخصية أثناء تنفيذ أوامرهم الخاصة بالنفع العام، والخروج عن هذه القاعدة مخالفة تسبب فوضى تزداد بازدياد أهمية المخالف.

✽ ضع نفسك مكانهم

ضعوا أنفسكم في موضع زملائكم كما ورد في وصية أمير المؤمنين عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية: «أحسن إلى جميع الناس كما تحب أن يحسن إليك، وارض لهم ما ترضاه لنفسك، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك، وحسن مع جميع الناس خلقك، حتى إذا غبت عنهم حنوا إليك، وإذا مت بكوا عليك وقالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا تكن من الذين يقال عند موته الحمد لله رب العالمين»^(١). وحتى تقدرُوا على فهمهم بشكل أفضل، وتكتشفوا أحسن الحجج للدفاع عن فكرتهم، ويتطلب التفاهم المتبادل محاولة فهم الآخرين، وإجهد النفس في إفهامهم.

✽ لا لسوء التفاهم

على المدير الناجح أن لا يجعل سوء التفاهم الناتج عن الدقائق البسيطة يتفاقم، وخاصة إذا كانت الفكرة العامة مشتركة، فغالباً ما يكون الاختلاف على التفاصيل والجزئيات بالرغم من وحدة المبدأ والأساس، فلا ينبغي لأحد أن ينتقد أخطاء زملائه الذين حاولوا ففشلوا وجربوا فأخطأوا، وليعلم هؤلاء المنتقدون بأن من لا يعمل لا يخطئ، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «العاقل من وعظته التجارب»^(٢)، ونقد الأفعال بالأفعال أفضل من نقد الأفعال بالأقوال فقط، والإمام علي عليه السلام يقول: «من طابق سره علانيته ووافق فعله مقالته فهو الذي أدى الأمانة وتحققت عدالته»^(٣)، وإذا سادت في الجماعة عادة الانتقاد المتكرر، وأهمل كل شخص عمله، والتفت لمراقبة أخطاء الآخرين، فإن ذلك يسبب توتر أعصاب العاملين ويقلل إنتاجية العمل.

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٨٤ ح ٥٨٣.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٤ ح ١٠١٥١.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١١ ح ٤٠٦٩.

✽ تحري طريق العقل

إنَّ على المدير تحري طريق العقل دائماً، وهو يتلخَّص بـ:

١- التعقل: كما عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «أفضل حظ الرجل عقله،

إن ذل أعزه، وإن سقط رفعه، وإن ضل أرشده، وإن تكلم سدده»^(١).

٢- التوكل: كما عن رسول الله صلى الله عليه وآله في خبر المعراج أنه قال: «يا رب أي

الأعمال أفضل؟ فقال الله عزوجل: يا أحمد ليس شيء أفضل عندي من التوكل عليَّ والرضا بما قسمت»^(٢).

٣- التوسل: كما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «توسل بطاعة الله

تنجح»^(٣). وكما عن أبي جعفر الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أراد التوسل إليَّ وأن تكون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة فليصل على أهل بيتي ويدخل السرور عليهم»^(٤).

✽ للتفوق ضريبة

للتفوق ضريبة يدفعها المتفوق من وقته ونفسه وراحته وأعصابه وكل ما يملك،

وليس النجاح الآني غاية يقف بعدها كل عمل، بل يلزم أن يزداد الجهد للنجاح المطلق أو ما يتلوه.

✽ لا تجادل

تجنبوا الجدل، فإنَّ الطريقة الوحيدة للفوز بثقة الناس هي أن تلتزموا بالمنطق

السليم، كما ورد عن الإمام علي عليه السلام: «من وثق بإحسانك أشفق على سلطانك»^(٥).

ومعظم الناس متحيزون، تسيرهم عواطف غارقة في الغيرة والحسد والشك

والخوف والغرور ولا يجب أن يتبدل أو أن يتغير، فإنَّ الإنسان يكره الصدق الذي

ينعكس سلبياً على ما حصل له، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أقصدُ العلماء للمحجة

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٥٠ ح ٣٠٦.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢٢٠ ح ١٢٧٩٦.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٨٣ ح ٣٤٥٦.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٧ ص ٢٠٣ ح ٩١١٥.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٣ ح ٧٨٧٩.

الممسكُ عند الشبهة، والجدل يورث الرياء، ومن أخطأ وجوه المطالب خذلته الحيل»^(١).

❖ الهدوء

يتمثل رد فعل المدير البسيط عند المتاعب بالشكوى والتألم والغضب، تلك الأمور التي تبعد القدرة دون جدوى، أما رد فعل المدير العملي الناجح فهو الهدوء، والنظرة الموضوعية، واعتبار الصدمة نقطة بدء جديدة لعمل أفضل.

❖ التطبيق العملي

الفكرة الحسنة والأهداف العالية أمور جيدة، ولكنها لا تكفي إذا بقيت في حيز الأفكار والأحلام، بل يلزم علينا نقلها إلى الواقع، حتى لا يكون بين الأفكار المثالية وبين الحياة العملية هوة كبيرة. وقد كان الإمام الصادق عليه السلام يقول: «ما ضعف بدن عما قويت عليه النية»^(٢).

❖ القول وحده لا يكفي

لا تلائم مهنة القيادة من يتكلم جيداً فحسب، الذي يعتقد بأن حل الأمور بالأقوال دون الأفعال، قال الإمام الباقر عليه السلام: «ثلاث قاصمات الظهر: رجل استكثر عمله، ونسي ذنوبه، وأعجب برأيه...»^(٣)، فهؤلاء يتناسون بأن من يزرع الأقوال فقط لا يحصد إلا الأوهام، وقد ذم الله سبحانه وتعالى هذه الصفة فقال: «كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ»^(٤) كما وذم من يتصفون بهذه الصفة فقال عز من قائل: «أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ❖ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ»^(٥) لذا تتطلب مهنة القيادة الانسجام مع الواقعية، لأن عدم الانسجام مع الواقع يؤدي إلى فقدان زمام الأمور وإلى عقبات جسيمة لا يستطيع المسؤول تحملها إن كان من الحالمين الذين يبنون قصوراً من رمال.

❖ لا للتشاؤم

(١) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٨١.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٥٣ ح ١٠٦.

(٣) مشكاة الأنوار: ص ٢٢٦.

(٤) سورة الصف: ٣.

(٥) سورة الشعراء: ٢٢٥-٢٢٦.

كذلك لا تلائم مهنة القيادة المتشائمين، الذين لا يرون إلا الجانب السلبي للرجال والحوادث، وتعمى أبصارهم عن رؤية الجوانب الإيجابية.

❁ لا للتفاؤل الأعمى

لا تلائم مهنة القيادة المتفائلين المتهورين، الذين يقودهم فرط ثقتهم بالناس بدون تمييز إلى الوقوع بالمشاكل.

❁ القديم والتغيير

على المسؤول أن لا يتمسك بالقديم تمسكاً جامداً، كما إن عليه أن لا يقلب كل شيء عند استلامه زمام الأمور لمجرد التغيير والتطور، فقد يكون في أعمال السلف أشياء كثيرة معقولة يمكن الاستفادة منها والبناء عليها، كما إن عليه أن يحتفظ لنفسه دائماً بحق التبديل والتطور الذي يقبله المنطق، وتظهر الدراسة والتجربة فائدته، وأن يبقى على احتكاك دائم مع الواقع، حتى يعدل مشاريعه حسب تطورات الحياة وحسب الشروط التي تفرضها الحوادث عليه، لأن من اعتبر تنظيمه غير قابل للتعديل استسلم للروتين، وغدا تائهاً بين الحقيقة والخيال، ويفقد قيمته في اللحظة التي يعجز فيها عن تجديد أفكاره أو مشاريعه، فالعمل بحاجة دائمة للتجديد لأنه يبدأ غالباً باندفاع كبير يخف مع الزمن، حتى يغدو روتينياً إذا لم يسعفه التجديد.

❁ الواقعية

تعني الواقعية الابتعاد عن النظريات الروتينية، إذ إن لكل حالة ملاسباتها ولكل مشكلة حالتها، فيلزم دراسة كل حالة وفق معطياتها، وما تطبيق الحلول الجاهزة من دون دراسة سوى تخريب يقوم به من لا يجرؤ على التفكير والإبداع، ويقلد تقليداً أعمى، ويطبق الروتين، مضيعاً بذلك جهوداً هائلة للحصول على نتائج هزيلة أو مشاريع فاشلة.

❁ رؤية الحقيقة

على المسؤول أن يرى الحقيقة بوضوح ودقة، لأن رؤية الأمور كما يريدونها أن تكون وليس كما هي في الحقيقة يسيء إلى أحكامه وتصرفاته وقراراته، فالحكمة أن لا نكتفي بما يقال لنا، بل النظر بأنفسنا، وقد ورد عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«ليس بين الحق والباطل إلا أربعة أصابع»^(١).

❖ الواقعية الصحيحة

هنالك كثير من العبقريات الإدارية والاقتصادية وغيرها، عاشت في جو من النظريات والأفكار، ولم تحتك مع حقائق الناس العملية، فأضاعت بذلك قدرتها على الحكم السديد، لذا يتطلب حل العضلات إلهاماً وليونة وتلاؤماً مع الواقع، ونظرة شمولية، وثقافة عامة كافية لفهم كل شيء، وتركيزاً ذهنياً لجميع العلاقات والروابط القريبة والبعيدة. فالواقعية الصحيحة هي تفهم الأمر ومقارنته مع غيره، بغية معرفة قيمته النسبية حتى لا نهمل أهميته أو نضعفها، وتعيين العلاقات البعيدة والقريبة التي تجمعها مع غيره.

❖ قواعد ثابتة

هنالك قواعد نفسية واجتماعية يعتبرها ذوو الفكر المحدود غير قابلة للتعديل، متناسين أن تعديلها ممكن إذا ما تغيرت ظروف المشكلة المعروضة، ومتجاهلين أن القواعد الثابتة لا تكفي لحل العضلات المتغيرة.

❖ المقتضيات الزمنية

إن المدير الناجح هو الذي يراعي المقتضيات الزمنية، فليس من المعلوم أن الأسلوب الماضي هو الناجح في هذا اليوم، فالمسؤول الناجح لا يقول: هذا ما وجدنا عليه من كان قبلنا، فينطبق عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاجِسَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢)، فالماضي مفيد في تفسير الحاضر وتوضيح خطوته، ولكنه لا يستطيع إيقاف من يود بناء مستقبل أفضل.

❖ الرؤية العادلة

هنالك من لا يرى إلا المتاعب، وهنالك من يتجاهلها، والأفضل رؤية المحاسن والمساوي على حقيقتها، واستنباط القوة من الأولى لقهر الثانية، فإن «صديق كل

(١) نهج البلاغة: الخطب ١٤١.

(٢) سورة الأعراف: ٢٨.

امرئ عقله وعدوه جهله»^(١) كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام، والرجل الواقعي هو من رأى الطريق القويم عند الأحداث الطارئة منذ أول نظرة، واتخذ القرارات الجديدة الملائمة للمواقف الجديدة، والواقعية صنع أشياء جديدة قابلة للاستعمال من أشياء غير قابلة للاستعمال، وكما قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «مخضوا الرأي مخض السقاء ينتج سديد الآراء»^(٢).

❖ النظرة الثاقبة

نجاح الرئيس وفشله يتعلق بصدق حدسه، وحسن تنبؤاته، وعمق النظرة الثاقبة التي يلقيها نحو المستقبل، وعليه أن لا يعمل ليومه بل ليومه ولغده، وقد روي عن الإمام الحسن السبط عليه السلام أنه قال: «اعمل لدينك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»^(٣)، فيتنبأ بما ينجم عن قراراته في المستقبل البعيد، ويتوقع ما سيصادفه من متاعب وعقبات في مختلف الظروف المحتملة، دون أن يؤثر ذلك على اندفاعه أو يقلل من حماسه، فالعبقرية ليست سبباً استكشافياً لما يجب عمله في الظروف الحرجة غير المتوقعة بالنسبة للآخرين، ولكنها التحضير والتفكير المسبقان، وردود الفعل الناجمة عنهما.

إن الرئيس الذي لا يتنبأ بالمتاعب، ولا يضع الحلول للمشاكل، عبارة عن رجل أعمال بسيط، يحد من نشاطه التخوف والتردد والروتين ولا يتمكن من تنظيم مخطط أو منهج أو رسم خط رجعة يسهل مهمته عند الطوارئ. ولكن كلما كانت صورة المستقبل التي يرسمها أكثر وضوحاً كلما ازدادت فرصة تحولها إلى حقيقة، والحكمة العربية المشهورة تقول: (وإن غداً لناظره قريب).

❖ العلم الكثير

العلم أساس من أسس الإدارة الناجحة ودعامة من دعائمها، فإن «رأس الفضائل العلم»^(٤) كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام، ويقول أبو عبد الله عليه السلام: «اغدُ عالماً أو

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٥٠ ح ٣١٢.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٢١ ح ١٠٠٦٢.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١ ص ١٤٦ ح ٢٢٠.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤١ ح ١٦.

متعلماً أو أحب أهل العلم ولا تكن رابعاً فتهلك ببغضهم»^(١).

وتزداد القيمة المعنوية للرئيس بازدياد معلوماته، فعليه أن ينميها ليكون أهلاً لخدمة الهدف بشكل أفضل، فمعرفة القائد بالإدارة والتوجيه والتنظيم والمراقبة لتأمين سير المهمة والوصول إلى الهدف هي معلومات تسمح له بتقدير أهمية الحوادث وانتهاز الفرص، ودراسة نفسية المرؤوسين وطريقة قيادتهم، والدراسة الميدانية ضرورة كما هو واضح.

ومن كان صناعياً فقط كان صناعياً ضعيفاً ومن كان أمياً كان إنساناً فاشلاً، والرجل المتكامل هو من ملأ عمله بالعلم، وعلم نفسه كل شيء شريف، ليكون أهلاً للقيادة. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «تعلموا العلم، فإن تعلمه حسنة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وهو أنيس في الوحشة، وصاحب في الوحدة، وسلاح على الأعداء، وزين الأخلاء، يرفع الله به أقواماً، يجعلهم في الخير أئمة يقتدى بهم، ترمق أعمالهم، وتقتبس آثارهم، ترغب الملائكة في خلتهم، مسحونهم بأجنحتهم في صلاتهم، لأن العلم حياة القلوب، ونور الأبصار من العمى، وقوة الأبدان من الضعف، وينزل الله حامله منازل الأبرار، ويمنحه مجالسة الأخيار، في الدنيا والآخرة، بالعلم يطاع الله ويعبد، وبالعلم يعرف الله ويوحد، وبالعلم توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام، والعلم إمام العقل والعقل تابعه، يلهمه الله السعداء، ويحرمه الأشقياء»^(٢).

❖ قدرة اتخاذ القرار

ليست الثقافة العامة معرفة كل شيء، أو معرفة القليل من كل شيء، ولكنها استيعاب الأشياء وتفهمها بصورة عامة للتمكن من إعطاء القرار الصحيح، فالمعرفة هي مجموعة مفاهيم عامة ومعلومات كافية لإدارة مختلف الأعمال وتنظيمها، كما يقول أبو عبد الله عليه السلام: «من عرف دلتته المعرفة على العمل»^(٣)، ولكنها بعيدة عن

(١) الكافي: ج ١ ص ٣٢ ح ٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ١ ص ١٦٦ ح ٧٤.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٤٤ ح ٣.

التخصص الفني الدقيق الذي تمتاز به معارف المنفذين المختصين، فلا يمكن أن نتوقع من الرئيس العلم كله، إنما الفكرة العامة عن الأمور، فإذا ما كان لديه مواهب تقنية خاصة، واستخدمها بإتقان، قدم للعمل كثيراً من الفائدة، أما إذا انكمش على هذه المواهب واهتم بالجزئيات، فقد قيمته كرئيس وأصبح مجرد روتيني فقط.

❖ العمل برغبة

مهما كان نوع الهدف الذي يعمل الرئيس لأجله، فهنالك ساعات يشعر فيها بأن الأعمال اليومية مضمّنة وثقيلة، ويحس فيها ببعض المرارة الناجمة عن الفشل، ولكن عليه أن يعرف دائماً بأن جهده غير ضائع، وأن تعثره غير نهائي، فالنجاح مقرون بالعمل المدفوع برغبة، والموجه بشكل حسن، فإن «من ساء تدبيره تعجل تدميره»^(١) كما يقول الإمام علي عليه السلام، وما يسميه البعض (حظاً) هو ثمرة عمل طويل مسبق، وإرادة حازمة للوصول إلى هدف.

❖ ضبط النفس

فعالية الرئيس وجهده في ضبط نفسه يهيئان له جواً حسناً لفرض سيطرته، قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «مجاهدة النفس شيمة النبلاء»^(٢). وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من ملك نفسه إذا رغب وإذا رهب وإذا اشتهى وإذا رضي حرم الله جسده على النار»^(٣).

❖ الجهد المتواصل

الجهد مفتاح الحلول، ونبع الإمكانيات، وخير وسيلة لمنع الرغبات الأنانية من السيطرة على الشخصية، قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «من طلب شيئاً ناله أو بعضه»^(٤).

❖ الاعتراف بالخطأ

الاعتراف بالخطأ هو انتصار المرء على نفسه، قال الإمام أبو جعفر عليه السلام: «التائب

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٥٤ ح ٨٠٩١.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٨٠ ج ٢ ح ٤٤٤.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ١٦٢.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٤ ح ١٠١٣٣.

من الذنب كمن لا ذنب له ، والمقيم على الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزئ^(١) ، وقد قيل قديماً : (الاعتراف بالخطأ فضيلة) ، وقال أمير المؤمنين عليه السلام : «إن الندم على الشر يدعو إلى تركه»^(٢) ، وحصول الإنسان على الاستقلال الفكري الداخلي غير المرتبط بأقوال محفوظة عن ظهر قلب ، هو الحرية الحقة ، وإذا كانت عبودية الفرد للفرد قسوة ، فإن عبودية الفرد لنفسه إجرام . وهل كانت جريمة إبليس (لعنة الله عليه) إلا أنه عبد نفسه حين قاسها بنفس آدم عليه السلام وقال : «خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ»^(٣) ، فاستحق بذلك لعنة الله ولعنة اللاعنين إلى يوم الدين . وإذا أخطأتم فاعتذروا بسرعة ، كما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : «ما أذنب من اعتذر»^(٤) فهذا هو الأسلوب الذي لا يسفر عن نتائج غير مرضية فحسب ، بل فيه متعة وشعور بالبهجة ، أكثر بألف مرة مما في مبادرات الدفاع عن النفس والإصرار على الخطأ .

❖ لا للخداع

لا يمكن للمسؤول أن يخدع مرؤوسيه طويلاً ، ولا بد أن تكشفه الأيام والنوائب ، فإن كان متواضعاً أمام نفسه بقي قوياً أمام الآخرين ، وإن كان صادقاً استطاع أن يطلب الصدق من الآخرين ، يقول أمير المؤمنين عليه السلام : «السفلة إذا تعلموا تكبروا ، وإذا تولوا استطالوا ، والعلية إذا تعلموا تواضعوا ، وإذا افتقروا صالوا»^(٥) .

إذا خدع المسؤول مرؤوسه بصفات ومزايا لا يملكها ، أو أعطاه وعوداً لا يستطيع تنفيذها ، فاكشف المرؤوس هذا الخداع ، انقلب احترامه إلى كراهية وحقد ، وتذكر قول الإمام علي عليه السلام : «غدر الرجل مسبة عليه»^(٦) .

❖ مدير متواضع

لا يكذب الموظفون - عادة - على مسؤولهم المتواضع ، بل يفتحون له قلوبهم ، ويعترفون له بضعفهم ليكون لهم طيبياً ، فإن «ثمره التواضع المحبة»^(٧) كما يرشدنا أمير

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤٣٥ ح ١٠ .

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٤٢٧ ح ٧ .

(٣) سورة ص: ٧٦ .

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ١٢٧ .

(٥) شرح نهج البلاغة: ج ٢٠ ص ٢٩٠ قصار الحكم ٣٢١ .

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٣ ح ٥٣١٧ .

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٩ ح ٥١٩٧ .

المؤمنين الإمام علي عليه السلام.

❖ لا تلق بأخطائك على الآخرين

على المسؤول أن لا يلقي مسؤولية أخطائه على أكتاف مرؤوسيه، قال رسول الله ﷺ: «كل ابن آدم خطأ وخير الخطائين التوابون» بل يعتبر نفسه مسؤولاً عن أخطائهم وتصرفاتهم، غير ناسٍ بأن الأخطاء قد تنجم عن إهمال المرؤوس، كما قد تنجم عن المبالغة في الطلبات، وعدم كفاية توجيهه ومراقبته.

❖ لا تعجل بالعقوبة

على المدير أن لا يستعجل بعقوبة المرؤوس، فإن الخطأ إذا كان ناتجاً عن خطيئة الفرد وإهماله، وكان المرؤوس ذا وجدان حي يمنعه من مغالطة نفسه وعدم اعترافه بالحقيقة، فلا حاجة إلى التأنيب أو التقرير، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تعاجل الذنب بالعقوبة واترك بينهما للنفوس موضعاً تحرز به الأجر والثوبة»^(١)، وتكفي الإشارة له أن الخطأ لن يمر دون ملاحظة، مع الثقة بضميره الحي وحسن نيته باعترافه بخطئه ومحاولة إصلاحه، بدلاً من الإصرار على التأنيب، حتى لا يندفع إلى البحث عن مخارج وأعداء يدافع بها عن نفسه، فيقتنع في النهاية بأعذاره وينقم من الواقع.

❖ الصراحة والتهديب

الصراحة بين المسؤولين أساس كل عمل، شريطة أن لا تكون قاسية وجارحة، ولقد أثبتت التجارب أن العمل والتعاون مع الآخرين يتطلب تهديباً رقيقاً، بعكس ما يعتقد البعض بأن العمل المشترك يجعلنا في حل من التقاليد.. فالتعاون أساس النجاح للجماعات، التي تعمل لهدف سام، فإذا ما حاول أفرادها إظهار أخطاء بعضهم، والارتقاء على أكتافهم، تحطمت وحدتهم وفشلوا في أداء مهمتهم.

❖ التعاون

على المدير الناجح أن يخطط للتعاون والعمل المشترك مع المرؤوسين، فإن ساعة من التعاون والعمل المشترك أفضل في تدريب الجماعة من سيل منهم من التعليمات والأوامر، للقيام بدراسة مشتركة معهم في حل قضايا ومعضلات عملية تلاقيهم أثناء

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٦ ح ٥٠٥٨.

العمل ، قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : «ألزموا السواد الأعظم فإن يد الله مع الجماعة وإياكم والفرقة ، فإن الشاذ من الناس للشيطان كما أن الشاذ من الغنم للذئب...»^(١) .
 وإن الأخطاء تتضاءل حتى تكاد تنعدم عندما ينمو الشعور الجماعي والإحساس بالمسؤولية الجماعية ، وعندما يؤمن كل فرد بأن الضرر الناجم عن الأخطاء تكفله المجموعة بأكملها ، فتتماسك المجموعة عندئذ ويدعم بعضها البعض الآخر ، وكأنهم رجال يتسلقون الجبل وقد ربطوا أنفسهم بجبل واحد ، فهم يرتقون متساندين نحو الذروة ، يدعم قويهم الضعيف حتى لا يسقط إلى الهاوية ، قال عزوجل :
 ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾^(٢) .

وقال أبو عبد الله عليه السلام : «الله في عون المؤمن ما كان المؤمن في عون أخيه»^(٣) .

ويقول الشاعر :

تعاونوا وخذوا للأمر عدته كم يسر الحزم أمراً بعدما امتنعا

✽ تقسيم الأعمال

المدير الناجح هو الذي يقوم بتقسيم الأعمال ، فكل يتحمل مسؤوليته ، ولكن المفروض أن لا يؤدي تقسيم الأعمال إلى نسيان فكرة العمل الجماعي ، وعلى فروع المؤسسة الواحدة أن تتناسى أنانياتها ، وأن تتعاون بصدق ليكون هنالك جهد واحد قوي موجه يصب في مجرى واحد ، وليس مجموعة جهود مبعثرة وعقيمة ، وعلينا أن لانسى بأن الإنسان العادي أناني بطبعه ، يرى الأمور بمنظار منافعه الشخصية ، أما الإنسان العقائدي ، فهو من يستطيع كبح غرائزه حتى يتوصل إلى نكران الذات في سبيل المصلحة العامة أو الهدف الجماعي ، والمسؤول العاقل هو من جعل رجاله العاديين أشخاصاً عقائديين ، يؤمنون بالأفكار النبيلة ويضحون بأنفسهم من أجلها ، وفي هذا وذلك يقول الله جل جلاله : ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾^(٤) .

(١) نهج البلاغة: الخطب ١٢٧ .

(٢) سورة آل عمران: ١٠٣ .

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٠٠ ح ٥ .

(٤) سورة الكهف: ٩٥ .

❖ الاجتماعات الناجحة

تؤدي الاجتماعات الناجحة إلى أحسن النتائج، إنها تقلل المفاجآت والتردد والأخطاء وتصادم الاتجاهات وتبذير الجهود، وهي تبني الثقة المتبادلة، وتؤمن تفهم التوجيهات والأوامر بسرعة، وتعطي القائد فرصة للتخطيط ومعرفة نتائج الخطط الماضية، كما تسمح له بتوجيه أفرادهم وتعليمهم بأحدث التعليمات.

إن اجتماع رؤساء المصالح خير مناسبة لمعرفة النتائج الحسنة، وكشف الأخطاء وإصلاحها في جو مشبع بفكرة البناء، شريطة تجنب الانتقادات الشخصية، وعدم الاستغراق في أمور شكلية لا تقدم ولا تؤخر، وتبدأ الإصلاحات غالباً بالأخطاء الأكثر شيوعاً وتردداً من أجل الوصول إلى عمل مثالي متقن.

❖ روح التفاهم والعمل الجمعي

لا يكفي العمل بصورة جماعية لإيجاد التفاهم التام وروح الجماعة، إن هذه الروح بحاجة إلى حرث وبذار وسقاية ورعاية بصورة مستمرة، ويجب التخلي عن الصدمات والأعمال المتضاربة، والاستعانة بالتفاهم.

❖ الروابط العميقة

إن أفراد أي مجموعة إنما هم رجال تجمعهم رابطة عميقة، ويعملون في خدمة هدف واحد يشعرون نحوه برغبة في التضحية، ويتقاسمون الواجبات كلاً حسب إمكاناته وقدرته وكفاءته، إنهم لا يعملون في خدمة أشخاص بل يخدمون مثلاً علياً في المجتمع.

❖ تعاون المدراء

إذا لم يتعاون رؤساء المصالح تعرقل العمل، وتعطلت المصلحة العامة، وينعكس ذلك على الرؤوسين ويفقدون الثقة فيهم، لأنهم عاجزون عن التفاهم فيما بينهم، يقول الإمام علي عليه السلام: «من خان وزيره فسد تدبيره»^(١)، إذ يتطلب عمل الجماعة ثقة مطلقة بين كافة أعضائها، ثقة بكفاءتهم وعدالتهم وإخلاصهم.

❖ ضرورة التنسيق

تقدم الجماعة المرود الجيد إذا ساد فيها تعاون تام، ولا يعني ذلك أن يفعل

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٥ ح ٧٩٢٩.

الجميع الأعمال ذاتها، وإنما يعني ضرورة التنسيق فيما بينهم، وعلى كل عضو في الجماعة أن يكمل عمل رفاقه، مراقباً بانتباه سير أعمالهم حتى يتلاءم معهم، متناسياً منفعتة الشخصية، وماندفعاً في عمله بشكل لا يلحق الضرر بغيره.

✽ التشجيع والنصح

لا يتتبع المسؤول أخطاء مرؤوسيه فحسب، بل يكشف مزاياهم الحفّية، ويدفعهم إلى تحسينها واستخدامها لمصلحة الهدف الأسمى للحياة. فالرسول الأعظم ﷺ يقول: «لا تدموا المسلمين ولا تتبعوا عثراتهم فإنه من تتبع عثراتهم تتبع الله عثرته ومن تتبع الله عثرته فضحه ولو في بيته»^(١).

✽ مع العاملين

بإمكان مسؤول العمل أن يشرح للعامل كيفية تجنّب الحوادث الخطرة، والعواقب السيئة التي قد تحصل نتيجة مخالفة الأوامر، وهنا يمكن للمسؤول أن يتصرف بشكلين: الأول: أن يلجأ إلى تحذير وتخويف معتدل إذا خالف العامل التعليمات. والثاني: إظهار الثقة بأن يقول: (إنني قد اخترت لك هذه المهمة نظراً لأنها حساسة وخطرة، ولأنني أعتمد عليك في تنفيذها) على أن يكون ذلك العامل مؤهلاً لذلك العمل، كما قيل: (الرجل المناسب في المكان المناسب).

✽ ضرورة المراقبة

الثقة بالعامل لا تلغي مطلقاً ضرورة المراقبة، التي يمكن أن تظهر بشكل مساعدة أو بشكل تحقق من إجادة تنفيذ العمل أولاً، فيزداد اهتمام العامل بأهمية العمل إذا شعر بإمكانية تنفيذه، وتؤكد أن إتقانه للعمل سيظهر ذكائه وبداهته وكفاءته.

✽ المدير المنطقي

ينتظر المرؤوسون أن يكون الرئيس منطقياً، فلا يطلب منهم إلا ما يستطيعون عمله، وما هو بحاجة إليه فعلاً، دون تحميلهم فوق طاقتهم، أو عملاً تتجاوز صعوبته حدود إرادتهم.

كما في القرآن الكريم: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾^(٢)، و﴿لَا يُكَلِّفُ

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٥٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٦.

اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا»^(١)، و«لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا»^(٢).

فعلى المدير الناجح أن يعمل لتنمية طاقات المرؤوسين وإراداتهم بأساليب فنية ومعنوية، تؤهلهم للتغلب على الصعاب، وتحببهم للنجاح، وتدفعهم لمتابعة التقدم في بذل الجهود الأحسن.

✽ تنشيط الرغبات الحسنة

الكائن البشري له مجموعة من الرغبات المتصارعة، فمن واجب المسؤول المدرب أن ينشط في كل فرد من مرؤوسيه الرغبات الحسنة، وأن يعطل رغبات الكسل والخوف التي تعتبر شكلاً من أشكال التأخر، ولنستمع إلى الرسول الكريم ﷺ وهو يوصي حبيبه ووصيه أمير المؤمنين ﷺ بقوله: «يا علي لا تمزح فيذهب بهاؤك، ولا تكذب فيذهب نورك، وإياك وخصلتين: الضجر والكسل، فإنك إن ضجرت لم تصبر على حق، وإن كسلت لم تؤد حقاً، يا علي من استولى عليه الضجر رحلت عنه الراحة...»^(٣).

✽ ثمن العظمة

على المدير أن يعرف ثمن العظمة، فليس شيء في الحياة بدون ثمن، ولا ثمار بدون عناء، وتقدر قيمة الأشياء بمقدار الجهد المبذول للحصول عليه، ولا شيء يجعل الفرد من العظماء مثل ألم عظيم يتبعه تثمان عظيم، مثل الصائم يتحمل المشقة والألم ليحصل على رضا الله سبحانه وتعالى.

✽ لا للتقاعس

التقاعس عن العمل تقاعس عن الحياة، لأن من لا يعمل لا يتقدم، ومن لا يتقدم يقف، والواقف زائل من الوجود، قال أبو عبد الله ﷺ: «العلم مقرون إلى العمل، فمن علم عمل ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل عنه»^(٤)، وكما قال بعض الحكماء: «أربع خصال يمتن القلب: ترادف الذنب على الذنب،

(١) سورة الطلاق: ٧.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٢٢.

(٤) الكافي: ج ١ ص ٤٤ ح ٢.

وملاحظة الأحمق، وكثرة منافثة النساء، والجلوس مع الموتى، قيل له: ومن الموتى؟ فقال: كل عبد مترف فهو ميت وكل من لا يعمل فهو ميت^(١) فكل شيء في الكون متحرك بقدرة الله نحو غاية الوجود والكمال.

❖ حب العمل

إذا أحب الإنسان عملاً قام به بهمة وذكاء، وعلى المسؤول أن يفكر بهذا المبدأ دائماً، ويشير لدى مرؤوسيه قبل التدريب وأثناءه ثلاث صفات: حب العمل، والشعور بالمسؤولية، وروح الجماعة. فإن عدم توفر هذه الصفات يؤدي إلى الروتين، ويقلل الاندفاع، ويجعل الجهود المبذولة عقيمة بلا جدوى. فإن مثل المعلم الذي يريد تعليم طلابه بلا أن يثير لديهم الرغبة بالدروس، كمثل الحداد الذي يطرق الحديد بارداً، فلا يبدو أي تأثير له عليه.

❖ المدير الموجه

على المسؤولين أن يكونوا مدربين وموجهين، وأن يبينوا لكل مرؤوس الإمكانيات الكامنة فيه ليصقلها ويشدبها تحت إشرافهم وتوجيههم، فيؤججوا فيه شعلة من الحماسة والثقة بالنفس تساعد على القيام بمهمته بشكل أفضل، ويوقظوا إمكانياتهم ويشحذوا هممهم، حتى يرى أبسط المنفذين ومن هو أدنى مرتبة قد غدا مبدعاً بدهاءة، ومفكراً وفخوراً بنفسه، ومقدراً للمسؤولية الجسيمة الملقاة على عاتقه، وقادراً على حل المعضلات عند اللزوم ووقت الحاجة. يقول أمير المؤمنين عليه السلام في شعر منسوب إليه:

دواؤك فيك وما تشعر ودواؤك منك وما تنظر
وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

ويلزم أن يؤدي التدريب إلى تنمية حالة تذوق العمل المتقن، وبالتالي محبة العمل الذي قد يعتبر العمل بدونه تذكيراً وإضاعة للجهود.

❖ مساعدة المخطئ

العامل المخطئ بحاجة إلى المساعدة، فعلى المدير الناجح أن يساعد مرؤوسيه المخطئين، ويبين لهم موقع الخطأ وطرق تلافيه، وأن يحذر تأنيبهم، إن ثبت له أن

(١) أعلام الدين: ص ١٥٤.

عملهم وجداني وبنية حسنة، حتى لا يفقدوا الثقة بأنفسهم، وليس طيب المسؤول وصره من دلائل الضعف، بل يساعد جو اللطف والدمائة على التفاهم والتعاون وتقبل الأوامر والتضحيات، ويجعل بالإمكان تحطي المتاعب والصعوبات بنفس طيبة ورغبة حسنة.

✽ الانسراح

الانسراح خير دواء لإزالة توتر الأعصاب في المآزق، فالكلمة المرححة في مكانها المناسب وأمام مرؤوسين مهذبين، والاستراحة المفيدة، تجدد النشاط وتخلق الأفكار الجديدة، لذا على المدير أن يكرس خارج أوقات العمل بضع ساعات يقضيها مع مساعديه، يتحدث فيها بجرية وفي جو من الثقة والصراحة، فيكشف بعض الأخطاء، ويضع النقاط على الحروف، ويمكن تطبيق ذلك من خلال سفرة ترفيهية أو مائدة إفطار للعاملين وما أشبه.

✽ مكافأة الأفراد

هنالك رؤساء لا يجشمون أنفسهم مشقة المكافأة أو المديح، مهما كان عمل المرؤوس جيداً ورأيه مصيباً، تدفعهم إلى ذلك الفكرة الخاطئة التي تعتبر قيام الإنسان بعمله على أحسن وجه واجباً لا يستحق أي ثناء.

لكن على المدير الناجح أن يعرف أن القيام بالمهمة بالشكل الأمثل أمر صعب، والكائن البشري بحاجة إلى تشجيع رؤسائه وتقديرهم، ليتأكد من أنه يسير على الطريق المستقيم، وليأخذ من تشجيعهم زاداً يعينه على تحطي الصعوبات. فكم من عبقریات رائعة تحطمت، لأنها لم تجد في اللحظة الملائمة مسؤولاً صالحاً يثني عليها بعدل، ويشجع صاحبها بتعقل. ويخلق تقدير جهد الرجال العزة والكرامة في نفوسهم، ويدفعهم إلى استخدام كافة مزاياهم في سبيل المصلحة العامة، ويلطف جو الخدمة القاسي فيصبغه بلون محبب من التفاهم والانسجام.

فإن الموظف كائن بشري، بحاجة إلى التقدير والثقة والتشجيع لإعطاء مردوده الأقصى. يقول الشاعر:

إذا كنت في حاجة مرسلاً فأرسل حكيماً ولا توصه

وذو الحق لا تنتقص حقه فإن القطيعة في نفسه

✽ مع صعوبات العمل

تؤثر الصعوبات في نفوس الأفراد وأدائهم، وتؤدي بهم إلى التقاعس، ويتلافى الرئيس ذلك مشجعاً رجاله، ومؤكداً لهم أن إتقان عملهم ينتهي إلى النجاح.

✽ اللسان الشاكر

إن من طرق الاستمرارية في العمل الصالح هو ربط الفكرة المهمة المنفذة جيداً مع ذكريات حسنة وجميلة، صحيح إن إرضاء الضمير غاية من غايات العمل الجيد، ودافع من دوافعه، ولكن البعض لا يكتفي بذلك، بل يود أن يكون مفهوماً ومشجعاً ومكافئاً. و«إذا قصرت يدك عن المكافأة فأطل لسانك بالشكر»^(١) كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام. ويقول العالم عليه السلام: «عجبت لمن يشتري العيد بماله فيعتقهم، كيف لا يشتري الأحرار بحسن خلقه»^(٢).

✽ الملاحظة على العامل

لتكن ملاحظتكم على المرؤوسين سريعة ومركزة، لأن الملاحظة السريعة أقل إيلاماً من التذمر المستمر، ويجب أن يفهم المرؤوس أن عليه أن ينفذ الأمر الذي يحمل المسؤول مسؤوليته، وإن عدم التنفيذ يسبب العقاب.

كما يلزم أن تكون الملاحظة تعليمية، وأن تنتهي ببناء مشجع لما في المرؤوس من مزايا حسنة، حتى لا تخلق عنده مركبات نقص تدفعه إلى الحذر أو التقاعس أو الكراهية.

✽ الشعور بالمسؤولية

إن ما يفرق الإنسان عن الآلة هو تمتعه بالحرية وبالتالي تحمله للمسؤولية، وتنمية إحساس المرؤوسين بالمسؤولية سبيل ناجح لتنمية قابليتهم نحو الجهد الأحسن.

✽ أوكل الأمر إليهم

يتحمس الرجال للمهمات إذا أوكلت إليهم وكأنها خدمة اجتماعية تعتمد عليهم وهم مسؤولون عنها، كما أنهم يقدمون كل إمكاناتهم إذا شعروا بأن مسؤولهم يعتمد

(١) مستدرك الوسائل: ج ١٢ ص ٣٥٦ ح ١٤٢٨١.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٤٤٤ ح ٩٩٤٣.

عليهم، ويحملهم أعباء مسؤوليات هامة لخدمة المجتمع وليس لمصالح شخصية آنية وأنانية زائلة، روي عن رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»^(١).

✽ أمانة الفرد

إذا تمكّن المسؤول من إيجاد الأمانة في أفرادهِ تمكّن من أهم شيء وتجاوز أهم عقبة في طريقه، قال أبو عبد الله ﷺ: «عليك بتقوى الله والورع والاجتهاد وصدق الحديث وأداء الأمانة وحسن الخلق وحسن الجوار»^(٢)، و«المؤمن من أمن جاره بوائقه»^(٣) كما يقول الإمام الصادق ﷺ.

✽ إتقان العمل

على المدير أن يشجع على إتقان العمل، فعندما يؤمن كل فرد بأن نتيجة عمله عائدة عليه وعلى زملائه بالخير والفلاح فسيبذل جهوداً أكبر لإتقان العمل، قال رسول الله ﷺ: «إذا عمل أحدكم عملاً فليتقن»^(٤). وقال علي ﷺ: «الصبر أول لوازم الإتقان»^(٥).

✽ روح التنافس

على المدير أن يوجد في الأفراد روح التنافس الإيجابي، فهو كما يوقظ روح الجماعة عند مرؤوسيه، مغذياً فيهم حب العمل المشترك، عليه أن يؤكد على التنافس البريء الذي يختلف كلياً عن الأنانية الهدامة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^(٦)، وقال أبو عبد الله ﷺ: «تنافسوا في المعروف لإخوانكم وكونوا من أهله»^(٧).

✽ الترفيع العادل

إذا كان اختيار المساعدين قضية حساسة، فإن ترفيعهم مسألة تحتاج إلى تمعن ودراية، إذ يضع الترفيع العاجل رجالاً في مهمات أكبر من إمكاناتهم، فينهارون تحت

(١) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٣٨ ب ٣٥ ضمن ح ٣٦.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٧٧ باب الورع ح ٩.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٢٦ ح ١٥٨٤٠.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٣ ص ٢٣٠ ح ٣٤٨٣.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٨١ ح ٦٢٢٨.

(٦) سورة المطففين: ٢٦.

(٧) الكافي: ج ٢ ص ١٩٥ ح ١٠.

أعبائها، أو يضيعون في متاعبها، أو يأخذهم الغرور فيظنون أنفسهم أهلاً حقاً للمركز الذي يحتلونه، وهو بالنتيجة وضع الشيء في غير محله، وما أخطر غرور الجاهل، ومن جانب آخر يؤدي الترفيع المتأخر إلى فقدان الحماسة والاندفاع اللازمين للصعود نحو قمة المهمة الجديدة.

✽ حساسية روح الفرد

يتمتع الرجل المندفع الوجداني بروح مرهفة حساسة، تتألم بمرارة من كلمة طائشة، ويأخذ بعض الرؤساء هذه الحساسية بعين الاعتبار فلا يثيرونها دون مبرر، بينما يهملها الآخرون فيجلبون التعاسة إلى نفوس مرؤوسيههم، إذن على المدير أن يختار من كان قادراً على احترام إحساس الآخرين كمساعدين ممتازين مندفعين.

✽ الوازع الداخلي

كلما علت مرتبة المرء خفت مراقبة الرؤساء له، لذا يجب أن يزداد وجدانه بازدياد ارتقائه في سلم المسؤوليات، ليصبح له وازعاً داخلياً ودافعاً نفسياً، ويتناقص مراقبة الرؤساء تزداد مراقبة المرؤوسين، الذين يبحثون في سلوك المسؤول عن مثل عليا. فإذا ما رأى المرؤوس رئيسه يعمل بدون كلل، متجاهلاً نفسه، متناسياً راحته الطبيعية، محتقراً الثروة والشهرة والجاه، يدفعه الشرف، وتثيرة رغبة واحدة هي سير المجموعة سيراً حسناً مع تأمين السعادة القصوى للجميع، تأثر بهذه التضحية، وأصبح مقتدياً به، فكم من رئيس دولة نادى بمبادئ ومثل عليا فأعجب به الناس وساروا خلفه، فما إن رأوا أعماله المنافية لأقواله، حتى ثاروا عليه وأطاحوا به وبحكمه وصار مورداً للاستهزاء والاشتمزاز.

✽ لا للمكاسب الشخصية

ليس للمسؤول أي حق بالمكاسب الشخصية، وعليه أن يذهب إلى الهدف الجماعي وليس إلى النجاح الفردي، متذكراً دائماً بأنه قد عين مسؤولاً ليمثل الصالح العام ويخدمه، لا ليخدم نفسه، إنه مسؤول في خدمة مرؤوسيه، وهذا لا يعني أن على المسؤول أن ينحني بذلة أمام مرؤوسيه، فإن واجبه الاجتماعي والإنساني يتطلب منه المحافظة على احترامه ووقاره.

✽ عند تعقد الأمور

عندما تتعقد الأمور وتسير من سيئ إلى أسوء، يحاول أغلب الناس التخلص من المسؤولية، فيبحثون عن سبب الفشل حولهم، ويحاولون إقناع الآخرين بأن الخطأ آت من غيرهم. فإذا ما أردتم السمو في الحياة، وورغبتهم بأن تكونوا على مستوى المهمة المقدسة، فعليكم أن تكونوا ممن يعترفون بصراحة وأمانة وشجاعة أدبية بأخطائهم، باحثين عن الطريقة المثلى للتنفيذ بشكل أفضل.

✽ المدير إنسان

المسؤول إنسان، وعليه أن يسعى دائماً للتخلص من عيوبه وإصلاحها، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من حاسب نفسه وقف على عيوبه وأحاط بذنوبه واستقال الذنوب وأصلح العيوب»^(١)، وبذلك يكون في مستوى المهمة الملقاة على عاتقه، وليصبح أهلاً للقيادة المناطة إليه، فإذا ما اكتشف المساعدون هذه العيوب ونقاط الضعف، كان عليهم أن يضبطوا أهواءهم من دون تعريض معنويات الوحدة إلى الانهيار، فالمعنويات تعتمد على القناعة بسلامة الهرم القيادي، فعليهم السعي لهداية المسؤول بالطرق المشروعة.

✽ المخالفات العابرة

عند ما يتطلب المسؤول من أفرادة جهوداً وتضحيات للقيام بمهمة معينة، فلا غرو أن تصادفه بعض المخالفات، الفردية أو الجماعية، المكشوفة أو المستورة، العابرة أو المعتادة، وعليه أن يتداركها قبل حصولها، حتى لا يصعب إخمادها بعد ظهورها، وإنه من المتوقع وجود أناس غير راضين ومشاغبين ومعارضين للمهمة المطلوب تنفيذها.

✽ انتظار الوقت المناسب

هنالك مهمات ينبغي انتظار الوقت والجو المناسب قبل تنفيذها حتى لا تصطدم مع الواقع كما جاء في وصية أمير المؤمنين عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية إذ قال عليه السلام: «يا بني لا تقل ما لا تعلم بل لا تقل كل ما تعلم»^(٢). وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «ما

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ١٥٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٦٢٦ ح ٣٢١٥.

كل ما يعلم يقال ، ولا كل ما يقال حان وقته ، ولا كل ما حان وقته حضر أهله»^(١).
 ❀ السلطة أمانة

السلطة أمانة في عنق الرئيس ، وليس له الحق في استغلالها ، والسلطة قوة مستمدة من السلطة العليا المسيطرة على الإنسان منذ بدء الخليقة ، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٢).

ويقول الرسول الكريم ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته..»^(٣).

فيلزم على المدير السعي لعدم ارتكاب الأخطاء ، فالخطأ ولو كان شخصياً سيعتبر إهانة للمثل العليا التي يمثلها ويخدمها ، فعليه أن يشعر بقدسية مهمته وكونها رمزاً للسلطة ، فهو مسؤول عن احترام الآخرين لها.

❀ عدم التردد في اتخاذ القرار

إذا ما تردد الرئيس في اتخاذ القرار ، لفرط في الدماعة أو لخوف من المسؤولية ، هياً الجو الملائم لفوضى عاجلة ، فإنه «لا خير في السكوت عن الحق ، كما أنه لا خير في القول بالجهل» كما أرشدنا أمير المؤمنين عليه السلام^(٤) ، ويكون مرؤوسه أول ضحايا تردده ، وإن أسوأ علة يصاب بها شخص مسؤول ، هي الخشية من التحدث أو التصرف في قمة المسؤولية.

❀ ضبط العمل

هنالك رؤساء تدفعهم الرغبة بالشعبية ، أو الفهم الخاطئ لفكرة المساواة ، إلى الفوضوية وعدم ضبط العمل ، إنهم يدعون بهذا إلى التهاون والفوضى والدمار.

❀ تقبل النصح

إن تقبل النصح ليس ضعفاً أو فقداناً للسلطة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

(١) بحار الأنوار: ج ٥٣ ص ١١٥ ح ١٣٨.

(٢) سورة الأحزاب: ٧٢.

(٣) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٨٤.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٦٨ ح ٩٣٩.

«أحب أخواني إليّ من أهدى إليّ عيوبي»^(١)، والرئيس الناجح من كان مرناً لدرجة يتقبل فيها المشورة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «طوبى لمن أطاع ناصحاً يهديه وتجنب غاويّاً يرديه»^(٢)، ومع ضرورة كون المسؤول واثقاً من نفسه لدرجة يمكنه أن يتخذ فيها القرار، فعليه أن يدرس الأمر مع المستشارين الذين هم أكثر احتكاًكاً بمتاعب المهنة، وهو يستمع إلى آرائهم، غير ناس وصايا أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام:

«من قنع برأيه فقد هلك»^(٣)، و«من استغنى بعقله ضل»^(٤)، و«من استبد برأيه زل»^(٥). وقيل: تفكر قبل أن تعزم، وشاور قبل أن تقدم، وتدبر قبل أن تهجم.

✽ حب المرؤوسين

إن أراد أن يكون المدير محبوباً ومحترماً، فعليه أن يحب مرؤوسيه ويحترمهم فإن «التودد إلى الناس نصف العقل»^(٦) كما يرشدنا مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وعليه أيضاً أن يتقن مهمته أكثر من أي فرد منهم، فإن الرجال يتقبلون القيادة الحازمة الشديدة - من غير عنف - شريطة أن تكون حكيمة.

✽ التنسيق والتنظيم

لا يمكن لقائد المنظمة إدارة عشرة آلاف موظف مثلاً، ولا لمدير أحد الأقسام في المنظمة إدارة ألف موظف، لو لم تكن تلك المنظمة مقسّمة إلى أقسام، والأقسام مقسّمة إلى شعب. إن التنظيم أساس القيادة، علّموا معاونيك ومباشريكم ودرّبوهم، حتى يستطيعوا قيادة وحداتهم بأنفسهم بعد وضع الخطة الشاملة لهم وبدون التدخل بالأمر الجزئية في وحداتهم.

✽ تنظيم العمل الشخصي

على القائد الذي يريد السمو إلى مستوى مهمته، أن ينظّم عمله الشخصي، فإنه إن لم ينظّم حياته الشخصية أثر ذلك سلباً على حياته الإدارية. كما عليه أن يعطي

(١) وسائل الشريعة: ج ١٢ ص ٢٥ ح ١٥٥٤٧.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٥ ح ٤٥٧٥.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٧ ح ٧٩٨٨.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٧ ح ٧٩٨٩.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٧ ح ٧٩٩٠.

(٦) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٣ ح ٤.

الوقت اللازم للاهتمام بمشاكل القيادة ذاتها، وليس عليه أن يقوم بكافة الأعمال، إن من واجبه تنظيم المهام وتوزيعها على مرؤوسيه حسب إمكاناتهم، والعمل بعد ذلك على توجيه جهودهم كافة للوصول إلى الهدف الواجب تحقيقه.

✽ معاون المدير

يجب على القائد أن يحل محله معاونه عند غيابه أو في كثير من الأحيان، وقد فعل رسول الله ﷺ مثل ذلك في غزوة تبوك حين قال لعلي ﷺ: «اخلفني في أهلي»، فقال علي ﷺ: يا رسول الله إني أكره أن تقول العرب خذل ابن عمه وتحلف عنه، فقال ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ قال ﷺ: بلى، قال ﷺ: فاخلفني»^(١). وفي رواية أخرى قال ﷺ: «أنت خليفتي في أمتي وأنت وزيرني وأخي في الدنيا والآخرة»^(٢).

✽ المراتب الإدارية

لا بد من إتباع التسلسل والمراتب الإدارية في كل أمر وعمل، ويمكن الخروج عن هذه الطريقة بصورة قاهرة ولضرورة السرعة، فليس هنالك عمل فعال دون تنظيم، ولا نظام بدون مرجعية، إن هدف الجميع خدمة المصلحة العامة، شريطة أن يبقى كل امرئ ضمن حدوده.

✽ معنى التنظيم

التنظيم: هو وضع كل امرئ في المكان الذي يستحقه، وعلى المسؤول قبل التعيين أن يتساءل هل سيكون هذا الفرد منتجاً في هذا العمل وهل سيكون إنتاجه جيداً، أو أن يضعه تحت التجربة لفترة زمنية محددة. كما إن للإمكانات والقدرات الفكرية درجات، كذلك لسلم المهمات، وغاية التنظيم تأمين التوافق بين المتطلبات المهمة وإمكانات الفرد، فليس من المعقول تعيين شخص في مهمة القيادة مجرد أنه رجل طيب.

✽ من الأخطاء الإدارية

تجنبوا وضع شخص واحد تحت تصرف سلطتين، فليس هنالك ما يسبب التوتر والحصام مثل ازدواجية السلطة.

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢١٣.

(٢) الأمالي للطوسي: ص ٢٦١ ح ٤٧٥.

✽ برامج الاجتماعات

توضع برامج الاجتماعات بمساعدة مختلف الفروع والمصالح، ويسأل كل فرد عما فعل في الماضي وما يعمل الآن وما يخطط له في المستقبل، ثم يلقي الخبراء بآرائهم وانتقاداتهم، عندها يعرف المسؤول كل شيء، ويحكم على الأمور بشكل أفضل، وتصبح لديه قدرة حسنة للقيام بواجبه وترتيب أعماله.

✽ الخلل في وحدة المشروع

قد يؤدي تقسيم الأعمال وتوزيع الاختصاصات أحياناً إلى الخلل في وحدة المشروع، فعلى المسؤول أن يجمع الرغبات المختلفة على صعيد التعاون المنتج، ومن أحسن وسائل تأمين التعاون، إجراء اجتماعات دورية لرؤساء الفروع بحضور المسؤول، وتؤدي هذه الاجتماعات إلى تفهم كل امرئ لحاجات الآخرين ومتاعبهم وإمكاناتهم، وحل العضلات ذات النفع العام، وتنسيق أعمال مختلف الفروع، ولتكون الفائدة كاملة، يعلن المسؤول عن جدول أعمال المواضيع التي ستبحث، ليتمكن المجتمعون من دراستها مسبقاً، ومناقشتها أثناء الاجتماع بشكل لائق.

✽ زيادة فروع العمل

تزداد فروع العمل بازدياد تحسنه ورقيه، وتتطلب زيادة الفروع جهوداً احتياطية في التنظيم، حتى لا ينقلب العمل إلى فوضى وقضايا متشابكة.

✽ الإشراف فقط

لا يمكن للمسؤول أن يقوم بنفسه بكل شيء، فهو يرى ويشرف على الأمور من مكان بعيد، إنَّ عليه أن يفكر ويضع خطة العمل، فإذا ما بذل جهده في الأمور الصغيرة الثانوية، أضاع الأمور الكبرى الأساسية، وإذا قام بجزء من الأعمال الموكولة لمساعديه، فسيؤدي ذلك إلى الإرباك في توزيع الأعمال لأن عدم الثقة بالآخرين والقيام بكل شيء معناه سوء تنفيذ المهمات والفشل في تعليم الآخرين على العمل بشكل متقن.

✽ هرم المسؤوليات

تأتي المسؤولية من الأعلى إلى الأسفل بالنسبة إلى كل التنسيقات، وكل منقذ مسؤول بالنسبة إلى من يليه، والأمر في حد ذاته وسيلة المسؤول لتنفيذ مهمته، ومن

هنا فإن العلاقة بين المسؤول والمرؤوسين التابعين له تكون بشكل هرمي، وهذا لا ينافي تواضع المسؤول وارتباطه بمختلف المرؤوسين على ما مر سابقا.

✽ مع الأخصائيين

يحيط المسؤولون الناجحون أنفسهم عادة بجماعة من الفنيين الماهرين المخلصين، تاركين لهم حرية العمل بعد أن يثقوا بانفعالهم، ولكن على هؤلاء المسؤولين أن يتذكروا أنه لا يمكن للمعلومات الفنية وحدها أن تعزز المسؤولية وهناك علماء وفنّيون مبدعون يلمعون في الصف الثاني، دون أن يتقدموا إلى الصف الأول في المسؤولية.

✽ مع ذوي الكفاءات

قد يريد المدير المصلحة الخاصة لنفسه وإثبات شخصيته، فإنه يختار مساعدين لا يتمتعون بمزايا عالية أو إمكانيات كبيرة، حتى تسهل عليه قيادتهم، وتلين له رقابهم، فالبسيط المغمور سلس القيادة، أما المدير الذي يريد المصلحة العامة، ويتغنى إرضاء ضميره، فهو يختار مساعدين ممتازين ذوي إمكانيات وإبداع، وبعبارة أخرى فإن هنالك نوعان من الناس:

الأول: مشع، يعطي النور لمن حوله.

والثاني: مستغل، يستغل كل شيء من حوله.

كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الناس اثنان برّقي والآخر شقي»^(١).

فليكن المساعدون من النوع الأول، فهو النافع الذي يضيف إلى قوة المدير قوى جديدة فعالة، وعلى هذا فإن المسؤول الناجح هو من يحسن اختيار مرؤوسيه وتدريبهم واستخدامهم حسب إمكانياتهم، وكلما ازدادت مهارته في الاختيار والتعيين حسب المواهب ازداد حظه في النجاح، وهنا يمكن التمييز بين رئيسين: أولهما ناجح يحسن الاستعانة بمساعديه، لأنه يعمل تحت شعار «إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ»^(٢)، والآخر فاشل في اختيار المساعدين الكفوئين على مدار الوقت. وقد وصف القرآن الكريم هذين القسمين بقوله تعالى: «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ

(١) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٢٣ ح ٨٦.

(٢) سورة القصص: ٢٦.

هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١﴾.

✽ عند غياب المدير

تتأثر المصلحة العامة ويتضعف العمل ويفقد اتجاهه عند غياب المسؤول، إذا كان ممن يحتكر المسؤولية لنفسه، ولا يحسن اختيار المساعدين الكفوئين وتدريبهم للحلول محله في حالة غيابه عن العمل.

✽ تحديد الصلاحيات

ينبغي للمدير تحديد المسؤوليات والصلاحيات والسلطات بتقنينها وتجديدها باستمرار وحسب الظروف، مع ملاحظة الجدوية والإخلاص في العمل، وقد قال علي عليه السلام: «آفة العمل ترك الإخلاص»^(٢)، فذلك خير من منحهم الصلاحيات بلا حساب، ثم الاضطرار إلى الإنقاص نتيجة لعدم الكفاءة أو لكثرة الأخطاء، فإن من اعتاد سلطة صعب عليه التخلي عنها، ومن نال صلاحيات هاله أن يتركها. بيد أن «من أشفق على سلطانه قصر عن عدوانه»^(٣) كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام.

✽ الانضباط

الانضباط توجيه الأعمال للأفراد وجهودهم، وهو يجد من حريتهم المفرطة ونزواتهم الشخصية، في سبيل هدف أسمى ومصلحة جماعية عليا. وعلى الرؤساء أن يَنُمُوا في أنفسهم ومرؤوسيهـم روح الانضباط، وذلك لأن «الأعمال تستقيم بالعمال»^(٤) و«آفة الأعمال عجز العمال»^(٥) كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام، والمثل يقول: (الانضباط هو قوة الجيش الرئيسية)، بل هو قوة الأمة التي تريد الحياة، إذ يتطلب إنهاض الشعوب من كبوتها اشتراك الجميع وتعاضدهم في الحركة التي تؤدي إلى حياة الأمة.

✽ من علائم الانضباط

إذا قيل لك إن الانضباط سائد في مجموعة ما، فلا تراقب مظهرها، وإنما انظر إلى

(١) سورة النحل: ٧٦.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩٠٢.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٤ ح ٧٨٨٦.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٥ ح ٧٩٢٠.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٥ ح ٧٩٢٤.

أدائها، ومعنويات أفرادها، وطاعتهم لرؤسائهم، والجهد الذي يحاولون بذله عند الشدائد. ثم إن الانضباط ليس صمتاً، أو تخلياً عن الحقوق، أو تحاشياً للمسؤولية، بل إنه العمل ضمن فكرة أمر الرئيس بعد الدراسة والبحث، وتفهم المتاعب والمشاكل الواجب حلها.

❖ القيادة فن

تعد القيادة فناً صعباً لارتباطها بالطبيعة البشرية على اختلافها، وبالمزايا غير المتشابهة لدى المرؤوسين، ولغموض الحالات النفسية التي تستند إليها، فالقيادة الصحيحة تعدّ من أصعب الأمور، ويتطلب عمل الرئيس تفهم المرؤوسين، وهذا لا يتسنى إلا بالاحتكاك المباشر، الذي يرافقه انسجام متبادل بين الرئيس ومرؤوسيه.

❖ مكانة الأفراد

على المسؤول الناجح أن يضع كل امرئ في مكانه، جاء في وصية الإمام علي عليه السلام لمعاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن: «وأنزل الناس منازلهم خيرهم وشرهم»^(١)، فمن شغل مهمة تعادل إمكاناته بدا ذكياً ومنتجاً، ومن عمل عملاً لا يلائمه بدا شخصاً قليل الخبرة، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «لكل شيء قيمة وقيمة المرء ما يحسنه»^(٢)، لذا على المسؤول إن رام تقدير رجاله حق قدرهم، أن يقوم بجولات عملية لتفقدتهم. فالتفوق المهني أمر ضروري للعاملين بالمصنع، أما بالنسبة إلى المسؤول فإن أهمية معرفة خبرة عماله تعادل أهمية إتقانه لمهمته، والمسؤول الناجح هو من ينظر إلى عماله بمنظار العدل، يقول الإمام علي عليه السلام: «اعرفوا الله بالله، والرسول بالرسالة، وأولي الأمر بالأمر بالمعروف والعدل والإحسان»^(٣).

❖ ضرورة المشورة

تفرض الوظائف الهامة والمناصب على الرجال القادة مهمات جسام، وأعباء تفوق أحياناً إمكاناتهم، لذا يحيط كل مسؤول نفسه بمستشارين وخبراء وباحثين، يقدمون له الأفكار والمعلومات والخبرات، فتزداد مقدرته على الرؤية المستقبلية، وفي الحديث: قيل يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما الحزم؟ قال والرأفة: «مشاورة ذوي الرأي

(١) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ١٢٨ ح ٣٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٦٣ ح ٤٩.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٨٥ ح ١.

«اتباعهم»^(١).

✽ إصدار الأوامر

ليس الأمر قهراً لإرادات الآخرين أو تحطيماً لطموحاتهم، ولكنه للتأثير عليهم وتوجيههم لتتوافق مع الأفعال اللازمة للتنفيذ للمهمة الجماعية، وعلى هذا الأساس فإن المسؤول الجيد لا يبحث عن إصدار الأوامر اعتباطاً، ولكنه يسعى ليشير في أفراده حبّ التعاون الطوعي، قال النبي ﷺ: «لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر والتقوى فإذا لم يفعلوا ذلك نزعنا منهم البركات وسلطنا بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء»^(٢).

أما إذا تم تطبيق السلطة بشكل أوامر مطلقة لا رأي للمنفذين فيها فسوف يؤدي ذلك حتماً إلى فقدان هؤلاء المنفذين لشخصياتهم.

✽ الإثبات لا النفي

على المدير الناجح أن يستخدم الإثبات في أوامره، فهو أقوى من النفي، فإذا ما قارنا بين أمرين (قوموا بواجبكم)، و(لا تكونوا متقاعسين)، لوجدنا في الأول قوة دافعة للتنفيذ، وإشارة إلى صفة إيجابية هي حب الواجب، في حين يتضمن الثاني إشارة إلى صفة سلبية كالخوف من مساوئ التقاعس.

✽ لا لحب السيطرة

هنالك رؤساء يسعون إلى السيطرة على مرؤوسيهـم عن طريق إفقادهم ثقتهم بأنفسهم وإمكاناتهم، ثم يتدمرون بعد ذلك من نقصان حماسة مرؤوسيهـم وتضاؤل اندفاعهم، كما أن هنالك رؤساء يرفضون الاعتراف بحق المرؤوس في فهم الأمر.. فما عليه إلا الطاعة السلبية، ولو كانت بدون تجاوب، إن هذه الطريقة تضعف شخصية المرؤوس وتقتل فيه حب الإطلاع والثقة بالنفس، وتجعله آلة صماء بلا إحساس.

✽ شرح الأمر

على المسؤول أن لا يستجدي الطاعة، بل إن من واجبه شرح الأمر، فهذا يخلق القناعة في المرؤوسين. ولا يصح اعتبار المرؤوس آلة لتنفيذ الأوامر، فليست المسؤولية

(١) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٣٩ ح ١٥٥٨٢.

(٢) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٨١ ح ٢٢.

في فرض الإرادة على عبيد سلبين، بل في توجيه وإصلاح رجال ذوي إرادة وفكر، والتعاون معهم في عمل جماعي، ضمن حدود خطة المسؤول.

✽ الأوامر الجائرة

على المدير الناجح أن يتجنب الأوامر الجافة الجائرة الضيقة في معناها أو أسلوبها فإنها تسبب عدم الثقة بالنفس، مما يتطلب إعادة صياغتها بشكل ملطف للحصول على نتائج جيدة.

✽ فهم الفكرة

التجربة أثبتت بأن التنفيذ يكون جيداً، إذا تفهم المرؤوسون فكرة الرئيس وعرفوا غايتها. يقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح»^(١).

ويزداد الاندفاع والحماس إذا تعلق المنفذون بالقضية العامة، واعتبروها قضيتهم الشخصية، واعتبروا تنفيذها رغبة من رغباتهم.

✽ تعيين المسؤول المباشر

على المدير الناجح أن يعين عند إصدار الأوامر الشخص المسؤول مباشرة عن تنفيذها، فإن ذلك يجعله أكثر متابعة وتحملاً للمسؤولية. وإذا كانت الأوامر صفة من صفات السلطة، فالقدرة على جعلها منفذة صفة من صفات الرؤساء الناجحين.

✽ الاستشارة أولاً

المدير الناجح لا يستبد برأيه، بل يبدأ بالاستشارة قبل إصدار الأوامر الهامة، محيطاً نفسه بأفكار وآراء الآخرين، ومحاولاً جهده كشف الحقيقة، وما أن تنتهي فترة الاستشارة حتى يخلو إلى نفسه ليصدر الأمر الذي قرره، هذا في المدير الواحد، أما إذا كانت الإدارة بالاستشارة فعليها الأخذ بالأكثرية.

✽ بين الأمر والمأمور

(للأمر) معنيان: أحدهما ضيق، وهو: مجموعة التعليمات الدقيقة المعطاة إلى الفرد بخصوص عمله. وثانيهما أكثر اتساعاً وهو: تأمين تلاؤم وانسجام أفكار وانفعالات متعددة في سبيل هدف مشترك، جانب منه في الأمر وجانب في المأمور.

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٤ ح ٤٤.

❖ تعديلات في مرحلة التنفيذ

مهما كانت خطة المسؤول متقنة، فإنه يجد نفسه أحياناً مضطراً لإجراء بعض التعديلات أثناء التنفيذ، وعليه قبل كل تعديل أن يضع محاسن التعديل في كفة ومساوئ الأمر وكيفية تلافيها في الكفة الأخرى، ثم إن التعديل أو العدول بحاجة إلى شجاعة من المدير، فإن الاعتراف بالخطأ أولى من ارتكابه.

❖ زوايا الأمر

لكل أمر زاويتان: الفكرة والأسلوب، وعلى المدير أن يستوحي الفكرة من المصلحة العامة، شريطة أن ينتبه إلى الأسلوب، فلا يجرح به الآخرين أو يسيء إليهم، وليتساءل عند وضع الأمر عن التأثير الذي يشعر به لو تلقى أمراً مماثلاً بأسلوب مماثل، فهذه من أحسن الطرق لكبح جماح النفس.

❖ الوقاية خير من العلاج

عندما توكلون مهمة إلى أحد مرؤوسيك، اطلبوا منه أن يعرض عليكم منهاج عمله ومخططاته قبل البدء بالتنفيذ، ثم ادرسوها، وتحققوا فيما إذا كانت متلائمة مع المخطط العام، ووافقوا عليها أو عدلوها تعديلات ضرورية قبل البدء بالعمل ف (الوقاية خير من العلاج)، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا وقاية أمتع من السلامة»^(١)، وقال عليه السلام: «وقوا دينكم بالاستقامة بالله»^(٢).

❖ مغزى الأمر

أفهموا مرؤوسيك مغزى أوامرهم، وحركوا عقولهم مع أجسامهم، حتى يقدموا أحسن النتائج، فإذا قلت لعمال بناء يحفرون أساس بناء ما تحت المطر: (احفروا الأساس حتى المساء)، فلن تجدوا أمامكم إلا رجلاً يضمرون لكم أفكاراً سيئة، أما إذا شرحتم لهم باختصار سبب أمرهم، والأهمية التكتيكية لهذا الخندق، وأعطيتهم هذا العمل المتواضع اهتمامه البالغ وأنه سيؤثر على مستقبل البناية، لحصلتم على نتائج أفضل.

❖ تدريب المساعدين

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٨٣ ح ١١١٦٨.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٧ ح ١٤٣٩.

يتقن المسؤول الناجح فن تدريب مساعديه على اتخاذ قرارات مشابهة لقراراته، والتصرف بشكل يشابه تصرفاته، ولذا تكون أوامره خالية من الدقائق الصغيرة، ومحتوية على فكرته الرئيسية، فيقوم الجميع رغم ذلك بتنفيذ ما كان يريد، حتى لو كان غائباً.

❖ قدرة اتخاذ القرار

يشكل اتخاذ القرار الصائب من قبل الرئيس حلاً لمشاكل نفسية وبشرية وإدارية معقدة، يختلف بعضها عن البعض الآخر، اختلافاً كلياً، بشكل يتعذر فيه تطبيق الحلول المسبقة الروتينية، فيجب متابعة عناصر المشكلة ودراستها بتفاصيل دقائقها وحيثياتها قبل اتخاذ القرار النهائي، والسعي إلى تطبيقه بحزم وإرادة، فإن من ينفذ أفكاره القليلة بهمة ورغبة لأفضل ممن يمتلأ رأسه بالأفكار ويعجز عن تنفيذها، كما ورد عن الإمام علي عليه السلام: «كمال الرجل بست خصال: بأصغريه وأكبريه وهيبته، فأما أصغراه فقلبه ولسانه، إن قال قال يجنان وإن تكلم تكلم ببيان، وأما أكبراه فعقله وهمته، وأما هيبته فماله وجماله»^(١)، فإن القدرة على اتخاذ القرار صفة لازمة للقيادة، فإن لم يكن الرئيس متحلياً بها تعطل العمل وسادت الفوضى. واعلم أن «آفة الشجاع إضاعة الحزم»^(٢) كما يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام.

❖ القرار والتنفيذ

لا يكتفي الرئيس الناجح باتخاذ القرارات فقط، بل يعمل على نقلها إلى حيز التنفيذ، ولا تستفيد المصلحة العامة من الأوامر الصادرة، بل من الأوامر المنفذة، فإن لكل شيء ثمناً، ولا نجاح بدون تعب، و«من لم يحتمل مرارة الدواء دام ألمه»^(٣) كما يقول الإمام علي عليه السلام، والمتاعب أمر طبيعي أمام كل رئيس، فمنها ما تكون بسببه، ومنها ما يسببه مرؤوسوه أو مساعدهو الذين يعتمد عليهم وينتظر منهم العون والدعم، ومنها ما تكون بسبب الظروف والطبيعة، فإن كان رئيساً ناجحاً تقبلها وذلكها، واعتبرها حافزاً على المضي إلى الأمام لتحقيق النجاح.

(١) روضة الواعظين: ص ٢٩١.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٩ ح ٥٥٢٦.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ج ١ ص ٤٨٤ ح ١١١٩٢.

وعليه أن يكون فعالاً وقادراً على إيجاد الحلول للمشاكل دون أن توقفه العقبات ، وأن يضع نصب عينيه بأنه ليس هناك شيء مستحيل ، فيستطيع تغيير الأمور المستحيلة - في بادئ الأمر - إلى أمور ممكنة كما يقول الله عزوجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١).

✽ على أهبة الاستعداد

الرئيس الناجح هو من كان دائماً على أهبة الاستعداد للعمل ، وكانت ردود فعله حسنة وسريعة ، فالحياة عبارة عن مجموعة قرارات ، فمن أحسن اتخاذها في حياته اليومية استطاع في اللحظة الحرجة اتخاذ قرار حاسم. إن الجبل يبدأ بحصاة والبحر يبدأ بقطرة ، ورحلة الألف ميل تبدأ بالخطوة الأولى ، يقول الإمام علي عليه السلام في قصيدة منسوبة له :

والغيث فهو كما قد قيل: أوله قطر وبدء خراب السد بالعرم

✽ مقدمات لاتخاذ القرار

يحتاج القرار إلى فحص دقيق لكافة الحلول الممكنة ، ولكن محاولة البحث بسرعة عن الحل المثالي قد يكون أمراً خيالياً ، إن حسم الأمور خير من التردد ، يقول الإمام علي عليه السلام : «من الخرق العجلة قبل الإمكان ، والأناة بعد إصابة الفرصة»^(٢). ويقول عليه السلام : «من وجد مورداً عذباً يرتوي منه فلم يغتمنه يوشك أن يظماً ويطلبه فلا يجده»^(٣) إذ يسبب تقلقل الرئيس كرقاص الساعة توتر أعصاب المساعدين ، وقلق المنفذين ، وإضاعة الوقت والجهد.

✽ معيار معرفة الرئيس

يُعرف الرئيس من قراراته ، فالحياة مواقف ، وفي المواقف تضحية ، ويستطيع من يقرر في الوقت المناسب أن يكون عالماً كبيراً أو فنياً معتبراً ، أو حكيماً يشار إليه بالبنان ، ولا يُطلق لقب الرئيس على من لا يستطيع اتخاذ القرار ، ويؤجل كل شيء ، ويؤخر إلى آخر لحظة أمر اختيار الحل ، ولا يتدخل عندما تستدعي الظروف ، ولو كان يحمل

(١) سورة الرعد: ١١.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧٤ ح ١٠٨٤٢.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧٣ ح ١٠٨٣٠.

أعلى الرتب، وتصلح كلمتا (نعم ولا) للرئيس الحازم، ولكن كلمة (ربما) لا تصلح إلا للحكيم.

✽ تحمل الصعاب

يقتضي على الرئيس الناجح أن يؤهل نفسه حياة قاسية جسدياً ونفسياً، فالحياة مزيج من النجاح والفشل، والحزن والفرح، والدعم والمتاعب، ولا توقف الحواجز من وهب نفسه لهدف نبيل، بل يدفعه شعوره بعظم مهمته وفائدة عمله إلى الأمام، وهذا أكبر دافع للإنسان الرفيع للمثابرة على العمل بدون كلل أو ملل، وعليه يلزم أن يشعر الجميع بأن الرئيس لا يتخذ قراراً إلا ورائته الواجب والمصلحة العامة، وأنه يضغط على نفسه، ويضبط أهواءه ونزواته، فلا يفاجأ بشيء ولا يضطرب من شيء، ويشعرهم أيضاً بأن قراره نهائي تدعمه عزيمة لا تتثنى، وبأن سماحة نفسه، التي تجعله يعترف بأخطائه ويصلحها، لا تجبره على الخضوع أو التردد.

✽ المتابعة والإشراف

يعتقد كثير من الرؤساء أن مهمتهم إصدار الأوامر لا غير للتخلص من المسؤولية سواء كانت الأوامر خاطئة أو فاشلة. إن الأمر شيء والتنفيذ شيء، فيجب المتابعة بينهما من قبل المسؤول حتى انتهاء التنفيذ. كما أن المراقبة ضرورية للمرؤوسين، وواجبة بالنسبة إلى المسؤول.

إن إعطاء الأوامر سهل قياساً مع الإشراف على تنفيذها، ولا تظهر صفات المسؤول ومقدرته إلا أثناء مراقبة التنفيذ، فيجب مراقبة المرؤوسين ودفعهم للحصول على النتيجة المثلى، ولو اقتصرَت المهمة على إعطاء الأوامر لكانت أسهل مهمة.

✽ التخطيط والتنفيذ

في التخطيط متعة كمتعة المخترع الذي يُركب آلة أو يضع نظرية، ولا تبدأ المتاعب إلا عند التنفيذ وفي حقل التجارب العملية، حيث تصطدم الأفكار مع الواقع، فيضطر المنفذ إلى بذل الجهد وإجهاد الفكر ليقف بينهما، دون أن يشذ عن الفكرة العامة، وهذا عمل متعب تتركز فيه المسؤولية.

✽ التفتيش

التفتيش غير القاسي يرفع من معنويات الأفراد الذين يعملون بصمت وإخلاص،

وخاصة إذا تلاه مباشرة إشعار لبق بأن المسؤول قد لاحظ التفوق والعمل المتقن، وقدر الكفاءات حق قدرها.

✽ المراقبة

المراقبة مسؤولية مقدسة للتأكد من تنفيذ الأوامر بدقة، لأن «من راقب العواقب سلم من النوائب»^(١) كما يرشدنا سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام، ولا تكون المراقبة فعالة إلا إذا كانت شخصية يقوم بها الرئيس بنفسه دون الاعتماد على الوسائط والتقارير، وشاملة تصل إلى أدنى درجات التسلسل وأبسط المنفذين. ولكي يستطيع المسؤول تكوين فكرة واضحة عن الإنتاج، عليه أن يزور الموظفين في استراحتهم خلال عملهم في الليل أو النهار، منتقلاً بشكل مفاجئ من وحدة عمل إلى وحدة أخرى، ليرى الأمور على حقيقتها لأن الاحتكاك مع واقع العمل يعطي فكرة صحيحة أفضل من مئات التقارير.

✽ بين الضمير والمراقبة

الشخص يدفع إلى العمل بضمير يقظ ومسؤول مراقب، فإذا أهملنا المراقبة واعتمدنا على الضمير وحده تعرضت الوحدة إلى تيارين متعاكسين: تيار الضمير وتيار الإهمال، ويؤثر الثاني على الأول عادة إن لم يتفوق عليه، فيضعف مردود المرؤوس، ويجب أن لا تكون مراقبة المسؤول متكررة بشكل مزعج، ولا نادرة قليلة النفع، ويمكن أن تكون دورية تارة ومفاجئة تارة أخرى لتجنب الروتين.

✽ الهدف من المراقبة

ينبغي تطبيق المراقبة بكل دماثة وتعقل، ليتقبلها المرؤوسون بكل رحابة صدر، إذا ما شعروا بأن غايتها إيجاد أحسن الطرق لإصلاح العمل وليس البحث عن الأخطاء وإظهارها بشكل مضخم.

✽ المراقبة ضمان للعمل

يلزم أن تخرج الأمور من حيز الكلام إلى حيز الواقع، يقول الإمام علي عليه السلام: «إن فضل الفعل على القول لجمال وزينة»^(٢)، وقال عليه السلام: «أحسن المقال ما صدقه

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧٦ ح ١٠٩١٨.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١٠ ح ٤٠٦٧.

الفعال»^(١)، وقال عليه السلام: «لا تقولن ما لا تفعله فإنك لن تخلو في ذلك من عجز يلزمك واذم تكسبه»^(٢).

ويحتاج العمل إلى مراقبة فعالة تؤمن تلاؤم الأفعال مع الأفكار، مراقبة بناء غايتها الإصلاح، لا هدامة مزعجة تسعى إلى إظهار الأخطاء فحسب.

✽ واجبات أثناء المراقبة

للمسؤول أثناء المراقبة واجبات منها:

١ : واجب خدمة تجاه المصلحة العامة التي يخدمها، يجبره على مراقبة مرؤوسيه

وتوجيههم.

٢ : واجب إصلاح تجاه المخطئين الذين هم بحاجة إلى توعية وتعليم.

٣ : واجب عدالة تجاه المرؤوسين العاملين بصدق وأمانة.

✽ أسباب وقوع الأخطاء

تنجم الأخطاء عادة عن عدة أسباب، فعلى المدير أن يعرف هذه الأسباب ويميزها

ليتخذ الموقف المناسب:

١ : عدم وضوح الأوامر من قبل المسؤول، فعليه حينئذ إيضاح الأوامر، وليس

معاقة المنفذ.

٢ : الأمر واضح ولكن المرؤوس لم يفهمه، فالخطأ هنا مزدوج: خطأ المسؤول

لأنه لم يتأكد من تفهم الأوامر، وخطأ المرؤوس الذي تقبل تنفيذ مهمة دون أن يفهم

المطلوب بدقة، قال أبو عبد الله عليه السلام لحمران بن أعين في شيء سأله: «إنما يهلك

الناس لأنهم لا يسألون»^(٣).

٣ : الأمر واضح، والفهم جيد، ولكن المرؤوس لا يتمتع بالإمكانات الفكرية أو

الجسمية اللازمة للتنفيذ، فالخطأ هنا مزدوج أيضاً: خطأ المسؤول الذي أعطى مهمة

لمرؤوس لا يتمتع بكفاءة تناسبها، وخطأ المرؤوس الذي لم يعلم رئيسه بصعوبة التنفيذ

وبأنه غير مؤهل للقيام بهذه المهمة.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١٠ ح ٤٠٦٦.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١١ ح ٤٠٧٠.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٤٠ ح ٢.

٤: الأمر واضح، والفهم حسن، ولكن المرؤوس لم يبذل قصارى جهده لكسبه أو لقلّة اندفاعه، وهنا يقع الخطأ على عاتق المرؤوس وحده، إلاّ إذا اعتبرنا أن المسؤول مخطئ أيضاً لأنه لم يثر في نفس المنفذ الحماسة الكافية للاندفاع في العمل وتشجيعه بالمكافآت المناسبة للعمل المتقن.

❖ العقوبة للإصلاح

العقوبة واجب من واجبات المسؤول، يفرضها لتأمين النظام والعدالة وهو متآلم في قرارة نفسه، كالأب الذي يعاقب أولاده لمصلحتهم وهو آسف لاضطراره إلى سلوك هذا السبيل، فيلزم أن لا تكون العقوبة للتشفي والحقد.

وبقدر كون المعاقبة أمراً مؤلماً فإنها ضرورية لا يحق للمسؤول التخلي عنها، وعلى المذنبين أن يعلموا أن عقوبتهم غير صادرة عن المسؤول شخصياً، بل عن القوانين والأنظمة التي يخدمها ويمثلها، والتي ينهار بدونها نظام المجموعة ووحدها.

❖ لا للعقوبة المشددة

اجتنبوا العقوبة المشددة، ولتكن عقوباتكم متناسبة مع الذنب والمذنب والظروف المحيطة به، فلكل حالة ملاساتها، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «دع الحدة وتفكر في الحجة وتحفظ من الخطل»^(٢).

وقال الإمام أبو جعفر عليه السلام: «الندامة على العفو أفضل وأيسر من الندامة على

العقوبة»^(٣).

❖ لا تكثر من العقوبة

لا تكثروا من العقوبات، فالإفراط فيها مثبط للهمم ومزعزع للثقة بالنفس، افرضوا عقوبة واحدة عادلة تكون مثلاً رادعاً للآخرين، ثم أظهروا استيائكم من الذنوب المرتكبة بنظرة حادة أو كلمة عابرة تذكّر المذنب بما ينتظره إذا أخطأ ثانية.

❖ إمكانية الإصلاح

(١) سورة النحل: ١٢٦.
 (٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٥٨ ح ٥٩١.
 (٣) الكافي: ج ٢ ص ١٠٨ ح ٦.

لا تتركوا المذنب يعتقد بأنه مُستهدف، حتى لو كان هدفاً لمراقبة شديدة، وبينوا له إمكانية إصلاح الأخطاء كبداية للتحسن والتقدم على طريق الصلاح.

فالعقوبة وسيلة من وسائل إصلاح الفرد للتخلص من أخطائه، وليست طريقة إلى سجنه فيها إلى الأبد، ومن الضروري أن يشعر المسيء بأن حياته ستبدأ من جديد بمجرد انتهاء العقوبة، وكأنه لم يرتكب ذنباً أو أن ينتقل لعملٍ آخر يناسبه.

❖ لا تتسرع في العقوبة

لا تتسرعوا في فرض العقوبة، بمجرد سماع أقوال أحد أطراف النزاع حتى لو كان من مساعدكم، فكم من عقوبة محققة فرضت من قبل مسؤولين يجهلون شكل المذنب واسمه وأسباب حادثته، قال تعالى في الذكر الحكيم: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِذَنْبٍ فْتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(١).

وعند الشك بأقوال المرؤوس المذنب أثناء الاستماع إليه يجب التريث بإصدار القرار إلى حين التمهيص والتدقيق في نسبة الأخطاء، فإذا ما ثبت كذبه، علينا أن نعاقبه بقدر يعادل الخطأ الذي ارتكبه.

❖ لا تعاقب وأنت غاضب

لا تعاقبوا وأنتم في حالة الغضب، فإن «الغضب مفتاح كل شر»^(٢) كما قال أبو عبد الله عليه السلام، وانتظروا يوماً قبل تحديد العقوبة، واستمعوا إلى من ارتكب الخطأ، واجثوا معه عن الأسباب المخففة، فإذا تأكدتم من سوء نية المذنب عاقبوه لأن «من أضمر الشر لغيره فقد بدأ بنفسه»^(٣) كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام، ولا تتركوا المسيئين في عمل واحد، لأنه خطر هدام للعمل والمجتمع.

❖ لا تشك بالثقة

تؤثر في نفس الإنسان الأساليب التي توحى بالثقة أو عكسها، فالشك بمرؤوس جيد إبطال لأفكاره وأعماله، أما الشك بإمكانية إصلاحه فتحطيم لكيانه كإنسان.

❖ انظر المحاسن أيضاً

(١) سورة الحجرات: ٦.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٠٣ ح ٣.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٠٠ ح ١٧٢٧.

لا تكونوا من الرؤساء الذين لا يرون إلا الأخطاء، ولا تنحل عقدة لسانهم إلا للتأنيب، واعملوا بقول أمير المؤمنين عليه السلام: «تجاوز عن الزلل وأقل العثرات ترفع لك الدرجات»^(١). وليكن لديكم مقياس صحيح متزن، فلا تؤنبوا تأنيباً شديداً من أجل هفوة صغيرة، والعكس صحيح أيضاً.

✽ المحاسبة

المحاسبة واجب من واجبات المسؤول، يقول الرسول الأعظم عليه السلام: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنها قبل أن توزنوا»^(٢)، ومن لم تكن لديه الشجاعة الكافية ليحاسب نفسه ومرؤوسيه، يفقد مهمته، ويكون حوله جواً ملائماً للمخالفة والإهمال وما يتبعها من فوضى خطيرة، فإن الإهمال لا يجلب المحبة بل يؤدي إلى الاحتقار العميق. واسمع نصيحة أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول: «لا عاجز أعجز ممن أهمل نفسه فأهلكها»^(٣). هذا ويعتقد من لا يحاسب إلا بعد مرور مدة طويلة على خطأه، بأن رئيسه قد تقبل تصرفه في بادئ الأمر، ثم غير رأيه تحت تأثير خارجي.

✽ مساعدة المخطئ على التصحيح

قد يبدو الذنب للناظر أكبر من حقيقته، إن لم يبحث عن دوافعه وملاساته، فإن كان الخطأ ناجماً عن ضعف الإمكانيات، عندها يجب البحث عن أسبابه ونتائجه، وتجنبوا الملاحظات الشخصية، واعملوا على مساعدة المخطئ في تصحيح اتجاهاته.

✽ بين الحزم والقسوة

لا تخلطوا بين الحزم والقسوة الجارحة، فإن المحاسبة لا تتعارض مع التهذيب، واحذروا التأنيب الذي يأخذ شكل شتائم، إذ ينسى المذنب في هذه الحالة هدف ملاحظتكم، ولا يتذكر إلا الشتيمة.

✽ طريقتان في الحياة الإدارية

هنالك طريقتان في الحياة الإدارية:

١: طريقة سلبية، مبدؤها رؤية مساوي العمل والعمال، ليس لإصلاحها، بل

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٦ ح ٥٠٥٥.

(٢) وسائل الشريعة: ج ١٦ ص ٩٩ ح ٢١٠٨٢.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ١٤٠ ح ١٢٦٤٩.

لاستغلالها بشكل هدام، والعودة إليها بمناسبة وبدون مناسبة.

٢: طريقة إيجابية، تنظر إلى الأمور بعين الرضى، وتبحث عن محاسن الرجال لتنميتها وتحسينها، وتعطف على ضعفهم وأخطائهم، وتعمل على إصلاحها بكل دماثة. ومن الواضح أن الطريقة الثانية هي الأسلم.

❦ لا تجسم الأخطاء

يلزم عدم إظهار خطأ المرؤوس بشكل مجسم، وعدم تكرار التأييب حتى لا يفقد الثقة بنفسه فيضيع أمله بالنهوض من كبوته، كما يلزم تجنب التطرق للأخطاء السابقة، فليس هنالك ما يثبط همة المرؤوس مثل شعوره بأن خطأه الماضي سيؤثر على مستقبله مهما حاول إصلاح نفسه. ومن المعلوم أن الأخطاء الناجمة عن الخبث المطلق والسوء الكلي نادرة جداً، أما أخطاء الإهمال وعدم الانتباه فناجمة عن أسباب يتوجب إيجاد حلول لها. ويلزم أن لا تلحق السمعة السيئة والفكرة السابقة بالمرؤوس طوال حياته، يقول أحد الشعراء:

أحب الفتى ينفي الفواحش سمعه كأن به من كل فاحشة وقرا
سليم دواعي الصدر لا باسطاً أذى ولا مانعاً خيراً ولا قاتلاً هجرا
إذا ما أنت من صاحب لك زلة فكن أنت محتالاً لزلته عذرا (١)

❦ الأسوة والقدوة الحسنة

لا تكونوا من الرؤساء الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وينسون أنفسهم، فهؤلاء هم أسوأ الرؤساء، وكما جاء في القرآن الحكيم في معاتبه بني إسرائيل: ﴿اتَّامُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ (٢)، فإن المسؤول قبله الأنظار، ويصوب أفرادهم باتجاهه لتقليده والسير على هديه، فيكون المسؤول قدوة للمرؤوسين فيزداد اندفاعهم في إتقان العمل بصورة كبيرة، قال الإمام علي عليه السلام للمالك الأشتر: «إياك والاستثثار بما الناس فيه أسوة، والتغابي عما تعنى به مما قد وضح للعيون فإنه مأخوذ منك لغيرك، وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور وينتصف منك للمظلوم، املك حمية أنفك وسورة حدتك وسطوة يدك وغرب لسانك،

(١) أعلام الدين: ص ١٨٠.

(٢) سورة البقرة: ٤٤.

واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار، ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك، والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة أو سنة فاضلة أو أثر عن نبينا محمد صلى الله عليه وآله» (١).

❖ سيرة المسؤول

يلزم أن تكون سيرة المسؤول موافقة لحديثه إن لم تكن أقوى منه، يقول الإمام علي عليه السلام: «من طابق سره علانيته ووافق فعله مقالته فهو الذي أدى الأمانة وتحققت عدالته» (٢)، فإذا ما تناقضت حياته وتصرفاته وسيرته مع المثل التي ينادي بها اشمأز مرؤوسوه من كلامه وثاروا عليه في قلوبهم، كما قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٣).

❖ بين الحياة العامة والخاصة

ربما يقال: إن حياة فلان الخاصة ملكه، وأن على المسؤول أن يعكس المثل العليا أثناء العمل، وهو حر في تصرفاته خارج العمل يفعل ما يشاء، إن هذا الكلام ليس صحيحاً. فهل هنالك انفصال بين الحياة العامة والخاصة؟ طبعاً لا ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (٤)، فالوجدان هو الأصل، ولقد قدم الوجدان على العمل لأنه أصل كل عمل، والوجدان الديني هو الرقيب الأكبر، قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «من أفضل الدين المروءة ولا خير في دين ليس له مروءة» (٥).

وقال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لهشام بن الحكم: «لا دين لمن لا مروءة له ولا مروءة لمن لا عقل له» (٦).

❖ التواضع أولاً

القيادة مهمة اجتماعية، يحتاج صاحبها للتخلي عن الأنانية والمصالح الفردية

(١) نهج البلاغة: الرسائل ٥٣.
 (٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١١ ح ٤٠٦٩.
 (٣) سورة الصف: ٣.
 (٤) سورة طه: ٧.
 (٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٨ ح ٥٤٧٩.
 (٦) الكافي: ج ١ ص ١٧ ح ١٢.

والزهو الباطل ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(١).

ويقول الإمام أبو جعفر عليه السلام: «الكبر رداء الله والمتكبر ينزع الله رداءه»^(٢).

❖ لا تتبجح

على المدير أن يجتنب التبجح والتحدث عن نفسه ومدحها، كما ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «شر الناس من يرى أنه خيرهم»^(٣)، صحيح أن على الرئيس أن يكون القدوة بالقيم والمثل للمواطنين، ولكن ليس له أن يتفاخر عليهم، والقيم والمثل العليا هي ما يراه الآخرون بصورة لا شعورية وليس ما دُفع إلى شعورهم دفعا، وعلى المدير أن لا يعتقد بأن تبجّحه وتفاخره يزيد من حماس الأفراد، بل يثير في نفوس مساعديه روح السخرية والنقد، فيتحطم بيديه ما أراد بناءه.

❖ التواضع البناء

لابد للمسؤول أن يفكر بالتواضع البناء، فإن «من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر خفضه الله»^(٤) كما يقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وكل إنسان معرض للخطأ، ولا يكون مثالياً أو غير قابل للنقد، فاللازم أن يحاول إصلاحه إذا ما كان فيه خلل، حتى يصل إلى مستوى قريب من المثالية، دون تبرير موقفه أمام الناس.

❖ المسؤول المغرور

قد يكون لدى المرؤوسين استعداد كبير لتبجيل وتعظيم مسؤولهم بصفات ومزايا لا يملكها، ويعمل المسؤول المغرور على تنمية هذا الاستعداد بدافع الأنانية وحب الظهور، فيجد نفسه في النهاية محاطاً ببطانة لا ترى إلا بعينه، ولا تسمع إلا بأذنيه، فيفقد الفائدة التي كان يحملها إليه نقد معاونيه الصالحين الذين يرون الأشياء من زاوية مختلفة، كما يفقد الاحتكاك مع الوسط الذي يعيش فيه، فيصبح غير مؤهل للقيادة.

❖ من مساوى الغرور

الفرد المغرور من أكبر الأخطار على المجتمع، قال الإمام الصادق عليه السلام: «المغرور

(١) سورة لقمان: ١٨.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٠٩ ح ٤.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٠٨ ح ٧٠٨٢.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ١٢٢ ح ٣.

يتمادى في المعصية ويتمنى المغفرة»^(١) لأنه يحاول جذب كل شيء نحوه، ويرى كل أمر بمنظاره، فيغدو غير قادر على تفهم حاجات الآخرين أو التفاهم معهم.

❖ كلمات الغرور

يردد بعض المدراء كلمات الغرور دائماً، فيقول: لقد كنت أتوقع هذا.. لقد قلت لكم هذا.. لقد أعلمتكم بما سيقع أفلا ترون؟.. وهذا يوجب الفشل، فإن «من اغتر بنفسه أسلمته إلى المعاطب»^(٢) على حد قول الإمام علي عليه السلام، وهو تبجح غير مجد، فإنه إن كان قد توقع حصول الأمر حقاً فهو أمام حالتين: أولاهما أنه أخذ التدابير اللازمة لتلافي الخطأ، وهذا عمل حسن ولكن علامة التبجح؟ وثانيهما أنه لم يأخذ التدابير الكفيلة لحل الموضوع، وفي هذه الحالة الأفضل أن يلزم الصمت أمام مرؤوسيه لأنه لم يقوم بواجبه.

❖ القوة بلا تواضع

القوة بلا تواضع عنف، وليكن قول أمير المؤمنين عليه السلام: «قوة الحلم عند الغضب أفضل من القوة على الانتقام»^(٣) مصباحاً ينير طريقنا، لأن التواضع يخفف من المساوئ، يقول أبو عبد الله عليه السلام: «اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلمونه العلم وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم»^(٤).

❖ نحن بدل أنا

القادة لا يتحدثون عن أنفسهم، ويلغون (الأنا) ويستبدلونها قولاً وسلوكاً، قلباً وقالباً بـ (نحن)، قاصدين بذلك الجماعة، لأن من تَشْغَلُ (الأنا) باله يجعل من نفسه هدفاً لكل عمل، ويستغل جهد الآخرين لمصلحته الشخصية، ويصبح عبئاً على جماعته وظيفياً على جهودها وتضحياتها.

❖ لا للاستبداد

إذا لم يتحل المسؤول بالتواضع، ولم يتقبل الدروس العملية من الرجال

(١) مستدرك الوسائل: ج ١١ ص ٢٥١.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٠٨ ح ٧٠٧٤.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٨٥ ح ٦٣٩٧.

(٤) الكافي: ج ١ ص ٣٦ ح ١.

والحوادث، وتمسك بأفكاره لدرجة الاستبداد، ولم يستمع إلى رأي غيره، أصبح بعد برهة متعباً منهوئماً ومنفصلاً عن الواقع، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «من استبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها»^(١).

❖ العمل بصمت

يعمل المسؤول المتواضع بصمت في سبيل الواجب، واضعاً المصلحة العامة فوق المصلحة الشخصية، فلا يضع نفسه فوق موضعها، لئلا ينزلق إلى هاوية الغرور البغيض، فتصبح جهوده غير مثمرة، ولا يكون ذهنه متحجراً بحيث لا يتقبل المعلومات الجديدة، ويفقد بذلك ميزة الاستماع إلى آراء الآخرين، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن من تعلم العلم ليماري به السفهاء أو يباهي به العلماء أو يصرف وجوه الناس إليه ليعظموه فليتبوأ مقعده من النار، فإن الرئاسة لا تصلح إلا لله ولأهلها، ومن وضع نفسه في غير الموضع الذي وضعه الله فيه مقته الله، ومن دعا إلى نفسه فقال أنا رئيسكم وليس هو كذلك لم ينظر الله إليه حتى يرجع عما قال ويتوب إلى الله مما ادعى»^(٢).

❖ من مصاديق التواضع

التواضع لا يعني أن تقول: ليس لدي إمكانات، أو لا يمكنني أن أعمل شيئاً، بل تقول: إن لدي بعض الإمكانيات التي لا يحق لي أن أفاخر بها أو أن أستغلها لنفسي، وعلياً أن أتميتها لخدمة الآخرين. قال أبو عبد الله عليه السلام: «سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أحب الناس إلى الله؟ فقال: أنفع الناس للناس»^(٣).

❖ موجبات احترام المدير

يكسب الرئيس احترام مرؤوسيه وتقديرهم بما يحمله من معارف، وبما يقدمه من أمثلة في التفاني والحزم والانضباط، ثم يكسب ثقتهم ومحبتهم باهتمامه بمشاكل حياتهم، وباستماعه إليهم بكل تبسط، شريطة أن لا يتعارض ذلك مع الانضباط والمصلحة العامة.

❖ الطيب الخجول

(١) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٤٠ ح ١٥٥٨٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ١٤٩ ح ٥٩.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ١٦٤ ح ٧.

لا يستطيع الرئيس الطيب الخجول في أوامره، امتلاك القلوب، ولا يمكنه العمل للوصول إلى الطاعة المثلى، ولا تنحني الأعناق وتفتح القلوب إلا أمام الرئيس الجريء القوي. والقوة من أحسن أساليب القيادة عندما تكون بلا تكلف فإن «التكلف من أخلاق المنافقين»^(١) كما يرشدنا الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، ولكنها تفقد الكثير من فعاليتها، عندما تأتي بصورة مفاجئة وعنيفة.

✽ ما يريده المدير

على المسؤول أن يعرف ما يريد، ويصر على أهدافه الصحيحة حتى النهاية، دون أن يمنعه ذلك من سماع رأي مساعديه وتصليح أخطائه وقراراته، أما المسؤول غير الحازم في عمله فمصيره إلى الفشل الذريع، لأنهم يبحثون عن مسؤول قوي يقودهم ويستلم زمام أمورهم، ويشعرون بغريزتهم بأن المسؤول الساذج خطر على مصالحهم. ✽ لا للتملق

هنالك مرؤوسون أشد خطورة وأصعب كشافاً، أولئك الذين لم يستمعوا لقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ليس من أخلاق المؤمن التملق»^(٢)، فهم مندفعون إلى التملق أمام المسؤول، يطيعون الأوامر بانفداف مفرط، وتذوب شخصياتهم كلياً أمام من هو أعلى منهم، فإذا ما كانوا مع مرؤوسيهام عاملوهم بقسوة واحتقار، وبدون تفهم أو رغبة في مساعدتهم أو مكافأتهم وهذا نفاق بائن وهنا يلزم اللجوء إلى الحزم الواعي، المستند على معرفة الرئيس لكل فرد معرفة دقيقة مستمدة من التجارب العملية، لا مبنية على مظاهر الاحترام الخارجية، وهنالك مرؤوسون يودون الظهور بأي ثمن، والغاية لديهم تبرر الوسيلة، ممن يقول عنهم أمير المؤمنين عليه السلام: «هم الكافر لدنياه وسعيه لعاجلته وغايته لشهوته»^(٣) إنهم يريدون الوصول إلى الصف الأول ولو أدى ذلك إلى تحطيم الآخرين والسير على أشلائهم إنهم يستغلون كل مناسبة ليتحدثوا بالسوء عن رفاقهم بغية إظهار تفوقهم وتشويه سمعة غيرهم... هنا يجب أن يكون

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧٨ ح ١٠٩٧١.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٤٦٧ ح ١٠٠٣٢.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٩٣ ح ١٥٨٩.

المسؤول حازماً، ف «الحزم حفظ ما كلفت وترك ما كفيت»^(١) كما بينه أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، لأن التهاون ومسايرة المنافقين يضعف همم العاملين، وينطوي عندئذ كل امرئ على نفسه، فيعمل بدون تعاون وينقلب التفاهم إلى حذر من الرفاق. ❀ الإيمان بالهدف

القائد الذي لا يؤمن بهدفه ليس أهلاً للقيادة، وإيمانه وحده بالهدف لا يكفي، إذ عليه أن ينقله إلى الآخرين، وأن يفهم كل مرؤوس مسؤوليته في المهمة، ويبعث فيه الشجاعة، ويقنعه بالمثل العليا التي تدفع إلى الإخلاص بالعمل وإتقان المهمة المطلوبة ليكون مؤهلاً للاستمرار بالمهمة، فهناك كثير من الأشياء الممكنة.

❀ الإيمان والتفاني

لا يمكن للإنسان متابعة الجهد إلا إذا اعتقد بصحته وفائدته، ولا يتسنى للشجاع مواجهة المتاعب إلا إذا تحلى بروح التفاني. فالإيمان والتفاني بحب العمل هي الصفات المميزة لكل رجل منتج، ولكل مجموعة فعالة، ولكل أمة تتفاعل مع الحياة لأجل سعادة الدارين. إن مثل القائد الذي لا يستطيع بث روح الإيمان بالهدف إلى مرؤوسيه ثم يريد منهم أن يعملوا بأحسن ما يمكن، كمثل سائق المركبة الذي يريد تشغيل المركبة دون وقود، فكذلك إذا كان العمل بدون هدف وإيمان فإنه يكون عبثاً وتفاهة.

❀ الفكر السليم

العمل الناجح هو ما إذا كان مبنياً على الفكر السليم، وقد جاء عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «تفكر قبل أن تعزم وشاور قبل أن تقدم وتدبر قبل أن تهجم»^(٢). وعنه عليه السلام: «من أعمل فكره أصاب جوابه» و«الفكر في الأمر قبل ملاسته يؤمن الزلل»، و«الفكر يوجب الاعتبار ويؤمن العثار ويثمر الاستظهار»، و«أصل السلامة من الزلل الفكر قبل الفعل والروية قبل الكلام»، و«دع الحدة وتفكر في الحجة وتحفظ من الخطل تأمن الزلل»، و«دوام الفكر والحذر يؤمن الزلل وينجي من الغير»^(٣).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧٥ ح ١٠٨٧٧.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٥٦ ح ٥٤٦.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١ ص ١٨٣ ح ١٢٦٨٩.

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «تفكر ساعة خير من عبادة سنة»^(١).

✽ المساواة والعدالة

يرغب الأفراد فطرياً أن يسود العدل بينهم، يقول الإمام علي عليه السلام: «جعل الله سبحانه العدل قواماً للأنام، وتنزيهاً من المظالم والآثام، وتسنية للإسلام»^(٢)، فإذا ما شعروا بظلم رئيسهم تأثروا وثاروا، حتى لو كان هذا الرئيس محبوباً، فقد يتقبل الفرد القسوة والإرهاق، ولكنه يفقد صوابه نتيجة الظلم والتعسف، فإن لم يظهر استياءه حفظه في قلبه كجرح صامت، لا بد أن ينفجر يوماً على شكل حقد جارف أو كره عميق، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «راكب الظلم تكبو به مركبته»^(٣).

✽ الثناء والتأنيب العادل

من العدل توزيع الثناء والتأنيب بكل تبصر، والاعتراف بأعمال المرؤسين الطيبة وأفكارهم المبدعة، ومراعاة أسباب الفشل لمن بذلوا قصارى جهدهم وإمكاناتهم ولم ينجحوا رغم ذلك. وبكلام آخر من مصاديقه قول أمير المؤمنين عليه السلام: «تبادروا إلى محامد الأفعال وفضائل الخلال وتنافسوا في صدق الأقوال وبذل الأموال»^(٤).

✽ وعند النجاح

من العدل أن لا يرى المدير كل النجاح لنفسه، بل يعترف الرئيس عند النجاح بمجهود كل من اشتركوا معه، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾^(٥) وأن يعتقد صادقاً بأن الفوز ناجم عن مجموعة الجهود الصغيرة والكبيرة، فلا يجز المغنم كلها نحو نفسه، أو يجعل البطولة وفقاً عليه من دون مرؤسيه.

✽ لا تحكم على الغائب

على المدير أن يكون حذراً في الحكم على أشخاص لم يرههم منذ زمن طويل، ولا يعتمد بذلك على ذكرياته، فقد يتطور السيئ خلال سنوات ويصبح ممتازاً، كما قد ينقلب الحسن إلى رديء، ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «قد يستقيم المعوج»^(٦).

(١) انظر غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٥٦-٥٨ الفصل الخامس في الفكر.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٩٩ ح ١٦٩٧.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٨ ح ٨٠٤٢.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٢٤ ح ٧٥٢٦.

(٥) سورة الشعراء: ١٨٣.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٢٥ ح ٧٥٨٢.

❖ قابلية الإصلاح

كل إنسان قابل للإصلاح، فالأحكام على الناس مؤقتة وقابلة للتعديل، ولا يجوز تجاهل أي رجل نهائياً بحجة عدم صلاحه، فهذا إجحاف بحقه وظلم ما بعده ظلم، وهروب من الإصلاح والمسؤولية في تربية المجموعة.

❖ الحياد وعدم الانحياز

من العدل الوقوف على الحياد في بعض الموارد، وعدم الانحياز الناجم عن الاستلطاف أو النفور، وتأمين توزيع المناصب على المرؤوسين وترفيعهم حسب الإمكانيات والمواهب الثابتة الأكيدة، وليس حسب المعرفة المسبقة أو المديح الذي يكيه المرؤوس نفاقاً ورياء، يقول جل وعلا: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾^(١).

❖ وفاء بالوعد

من العدل أن لا يقطع الرئيس لمرؤوسيه وعداً لا يقدر على تنفيذه، فإنه لا شيء يكسب ثقة المرؤوس كالصراحة، والعدل حق للمرؤوسين على الرئيس، فعليه أن يقدمه لهم ليشعرهم بالطمأنينة والثقة، حتى لا يقلقوا على ضياع جهودهم، كما وينبغي أن لا يخاف المرؤوس رئيسه، وأن يتمنى وجوده في الوقت نفسه، لأنه يدعمه في عمله ويتحمل مسؤولية الأوامر الصادرة عنه.

❖ الاعتراف بالخطأ

من العدل أيضاً: اعتراف الرئيس بخطئه - إذا أخطأ - وتحمل نتائجه، وعدم إصاقه بشخص آخر فإنه «والله ما ينجو من الذنب إلا من أقر به»^(٢) كما جاء عن أبي جعفر عليه السلام، وخاصة إذا كان مرؤوساً ليس له ذنب سوى أنه نفذ الأوامر الناقصة أو المبهمة بوجوده وضمن حدود الإمكانيات الموضوعية تحت تصرفه.



وهذا كله من مصاديق السلم والسلام الإداري، أو من موجباته ومقوماته وشرائطه، وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرني ربي بمداواة الناس كما أمرني بأداء الفرائض»^(٣). وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «جاء جبرئيل إلى النبي ﷺ فقال: يا

(١) سورة البقرة: ١٨٨.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٤٢٦ ح ١.

(٣) وسائل الشريعة: ج ١٢ ص ٢٠٠ ب ١٢١ ح ١٦٠٨١.

محمد ريك يقرؤك السلام ويقول لك: دار خلقي»^(١). وفي الحديث: «من حسنت مداراته طابت حياته»^(٢). وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «من دارى الناس سلم»^(٣). وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «سلامة الدين والدنيا في مداراة الناس»^(٤).

(١) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٠٠ ب ١٢١ ح ١٦٠٨٣.
 (٢) انظر مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٣٩-٤٠ ب ١٠٤ ح ١٠١٤٢.
 (٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٥ ح ١٠١٨٦.
 (٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٥ ح ١٠١٧٨.

فصل

السلم والسلام

في القرآن الكريم والروايات الشريفة

آيات وروايات السلم

مسألة: يلزم السعي في نشر مفهوم آيات السلم والسلام بين المجتمع وتطبيقها، وكذا الروايات الكثيرة الواردة في هذا المجال، وهي تدلّ على رجحان السلم والسلام، والرجحان هنا بالمعنى الأعمّ كما لا يخفى.

قال عليه السلام: «ما وضع الرفق على شيء إلا زانه»^(١).

وقال عليه السلام: «من عامل بالعنف ندم»^(٢).

وهناك قواعد فقهية ذكرها الفقهاء ترتبط بشكل أو بآخر بقانون السلم والسلام بالمعنى الأعم: كقاعدة لا ضرر، قاعدة لا حرج، قاعدة الجب، قاعدة اليسر، قاعدة الصحة، قاعدة سوق المسلمين، قاعدة اليد، قاعدة الفراغ، قاعدة التجاوز، قاعدة عفا الله عما سلف، قاعدة أرض المسلمين، وغيرها.

وفي هذا الفصل نشير إلى بعض تلك الآيات والروايات المشتملة على مادة السلم والسلام بعون الله تعالى.

(١) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢٩٢ ح ١٣٠٦٤.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٥٨ ق ٦ ب ٥ ف ١ بعض آثار الظلم ح ١٠٤٧٣.

آيات كريمة في السلم والسلام

وردت آيات عديدة في السلام بمعنى التحية أوردناها في كتاب (الفقه: مسائل السلام) ونشير إلى بعضها هنا تمييزاً للفائدة وتعميماً لها، كما وردت آيات كثيرة تدل على السلم والسلام بالمعنى الأعم، سواء كانت مشتملة على مادة السلم أم لا، كقوله تعالى: ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾^(١).

وقوله سبحانه: ﴿وجادلهم بالتى هي أحسن﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة﴾^(٣).

فإنها لم تشتمل على مادة السلم وإن دلت عليه.

وسنكتفي في هذا الفصل على عدد من الآيات المشتملة على مادة السلم باشتقاقاتها المختلفة، عاماً أو خاصاً:

سلموا

قال سبحانه: ﴿إذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله﴾^(٤).

تسلموا

قال تعالى: ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾^(٥).

سلام

قال تعالى: ﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾^(٦).

وقال سبحانه: ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾^(٧).

وقال تعالى: ﴿قال سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بي حفيماً﴾^(٨).

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٢) سورة النحل: ١٢٥.

(٣) سورة فاطر: ١٨، سورة الأنعام: ١٦٤، سورة الزمر: ٧، سورة الإسراء: ١٥.

(٤) سورة النور: ٦١.

(٥) سورة النور: ٢٧.

(٦) سورة الرعد: ٢٤.

(٧) سورة مريم: ١٥.

- وقال سبحانه: ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾^(٢).
- وقال تعالى: ﴿سلام على نوح في العالمين﴾^(٣).
- وقال سبحانه: ﴿سلام على إبراهيم﴾^(٤).
- وقال تعالى: ﴿سلام على موسى وهارون﴾^(٥).
- وقال سبحانه: ﴿سلام على إيل ياسين﴾^(٦).
- وقال تعالى: ﴿وسلام على المرسلين﴾^(٧).
- وقال سبحانه: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾^(٨).
- وقال تعالى: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾^(٩).
- وقال سبحانه: ﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾^(١٠).
- وقال تعالى: ﴿وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون﴾^(١١).
- وقال سبحانه: ﴿دعواهم فيها سبحانهك اللهم وتحييتهم فيها سلام﴾^(١٢).
- وقال تعالى: ﴿وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها

(١) سورة مريم: ٤٧.

(٢) سورة النمل: ٥٩.

(٣) سورة الصافات: ٧٩.

(٤) سورة الصافات: ١٠٩.

(٥) سورة الصافات: ١٢٠.

(٦) سورة الصافات: ١٣٠.

(٧) سورة الصافات: ١٨١.

(٨) سورة الزمر: ٧٣.

(٩) سورة يس: ٥٨.

(١٠) سورة القدر: ٥.

(١١) سورة الأعراف: ٤٦.

(١٢) سورة يونس: ١٠.

الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام ﴿١﴾.

وقال سبحانه: ﴿فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون﴾ ﴿٢﴾.

وقال تعالى: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ ﴿٣﴾.

وقال سبحانه: ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾ ﴿٤﴾.

وقال تعالى: ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريماً﴾ ﴿٥﴾.

بسلام

قال سبحانه: ﴿قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك﴾ ﴿٦﴾.

وقال تعالى: ﴿إن المتقين في جنات وعيون * ادخلوها بسلام آمنين﴾ ﴿٧﴾.

وقال سبحانه: ﴿ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود﴾ ﴿٨﴾.

فسلام

قال تعالى: ﴿فسلام لك من أصحاب اليمين﴾ ﴿٩﴾.

سلاما

قال سبحانه: ﴿إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون﴾ ﴿١٠﴾.

وقال تعالى: ﴿إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال إنا منكم وجلون﴾ ﴿١١﴾.

وقال سبحانه: ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ ﴿١٢﴾.

(١) سورة إبراهيم: ٢٣.

(٢) سورة الزخرف: ٨٩.

(٣) سورة النحل: ٣٢.

(٤) سورة القصص: ٥٥.

(٥) سورة الأحزاب: ٤٤.

(٦) سورة هود: ٤٨.

(٧) سورة الحجر: ٤٥-٤٦.

(٨) سورة ق: ٣٤.

(٩) سورة الواقعة: ٩١.

(١٠) سورة الذاريات: ٢٥.

(١١) سورة الحجر: ٥٢.

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا * إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا﴾^(٢).
 وقال سبحانه: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًا﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ يَجْزُونَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾^(٥).
 وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلَنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذًا﴾^(٦).

السلام

قال سبحانه: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٧).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾^(٨).
 وقال سبحانه: ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بَأْيَةً مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾^(٩).
 وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ﴾^(١٠).
 وقال سبحانه: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾^(١١).
 وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ

(١) سورة الأنبياء: ٦٩.

(٢) سورة الواقعة: ٢٥-٢٦.

(٣) سورة مريم: ٦٢.

(٤) سورة الفرقان: ٦٣.

(٥) سورة الفرقان: ٧٥.

(٦) سورة هود: ٦٩.

(٧) سورة المائدة: ١٦.

(٨) سورة النساء: ٩٤.

(٩) سورة طه: ٤٧.

(١٠) سورة الحشر: ٢٣.

(١١) سورة مريم: ٣٣.

مستقيم ﴿١﴾. ودار السلام من أسماء الجنة.

وقال سبحانه: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢﴾.

السلم

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿٣﴾.

وقال سبحانه: ﴿فَإِنْ اعْتَرَفْتُمُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلْمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ ﴿٤﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿٥﴾.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلْمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٦﴾.

سلماً

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧﴾.

أسلم

قال تعالى: ﴿أَفْغِيرِ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمٌ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿٨﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ ﴿٩﴾.

وقال تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠﴾.

(١) سورة يونس: ٢٥.

(٢) سورة الأنعام: ١٢٧.

(٣) سورة البقرة: ٢٠٨.

(٤) سورة النساء: ٩٠.

(٥) سورة النحل: ٨٧.

(٦) سورة النحل: ٢٨.

(٧) سورة الزمر: ٢٩.

(٨) سورة آل عمران: ٨٣.

(٩) سورة النساء: ١٢٥.

(١٠) سورة غافر: ٦٦.

وقال سبحانه: ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه﴾^(١).
 وقال تعالى: ﴿قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم﴾^(٢).
 وقال سبحانه: ﴿وَأَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ الْقَاسِطِينَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلَمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لربِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤).
 أسلما
 قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾^(٥).

أسلموا
 قال تعالى: ﴿يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾^(٦).
 وقال سبحانه: ﴿فَالِهَكُمْ إِلَهَ وَاحِدٍ فَلَهُ أَسْلَمُوا وَبَشَّرَ الْمُخْبِتِينَ﴾^(٧).
 وقال تعالى: ﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ﴾^(٨).
 وقال سبحانه: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾^(٩).

أسلمت
 قال سبحانه: ﴿فَإِنْ حَاجَّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْنَ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾^(١٠).
 وقال تعالى: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١١).

أسلمنا

(١) سورة البقرة: ١١٢.

(٢) سورة الأنعام: ١٤.

(٣) سورة الجن: ١٤.

(٤) سورة البقرة: ١٣١.

(٥) سورة الصافات: ١٠٣.

(٦) سورة المائدة: ٤٤.

(٧) سورة الحج: ٣٤.

(٨) سورة الحجرات: ١٧.

(٩) سورة الزمر: ٥٤.

(١٠) سورة آل عمران: ٢٠.

(١١) سورة النمل: ٤٤.

قال سبحانه: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾^(١).

سلمتم

قال تعالى: ﴿فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف﴾^(٢).

يسلم

قال سبحانه: ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة

الوثقى﴾^(٣).

يسلمون

قال تعالى: ﴿تقاتلونهم أو يسلمون﴾^(٤).

يسلموا

قال سبحانه: ﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾^(٥).

تسلمون

قال تعالى: ﴿كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾^(٦).

لنسلم

قال تعالى: ﴿قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين﴾^(٧).

الإسلام

قال سبحانه: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾^(٨).

وقال تعالى: ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾^(٩).

وقال سبحانه: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم

الإسلام ديناً﴾^(١٠).

(١) سورة الحجرات: ١٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٣٣.

(٣) سورة لقمان: ٢٢.

(٤) سورة الفتح: ١٦.

(٥) سورة النساء: ٦٥.

(٦) سورة النحل: ٨١.

(٧) سورة الأنعام: ٧١.

(٨) سورة آل عمران: ١٩.

(٩) سورة آل عمران: ٨٥.

(١٠) سورة المائدة: ٣.

وقال تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام﴾^(١).

للإسلام

قال سبحانه: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾^(٣).

إسلامهم

قال تعالى: ﴿ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾^(٤).

مسلمًا

قال تعالى: ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً﴾^(٥).

وقال سبحانه: ﴿أنت وليّ في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وأحقني بالصابحين﴾^(٦).

مسلمون

قال سبحانه: ﴿إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون﴾^(٧).

وقال تعالى: ﴿قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾^(٨).

وقال سبحانه: ﴿لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾^(٩).

وقال تعالى: ﴿فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأننا مسلمون﴾^(١٠).

وقال سبحانه: ﴿آمنّا بالله واشهد بأننا مسلمون﴾^(١١).

(١) سورة الصف: ٧.

(٢) سورة الأنعام: ١٢٥.

(٣) سورة الزمر: ٢٢.

(٤) سورة التوبة: ٧٤.

(٥) سورة آل عمران: ٦٧.

(٦) سورة يوسف: ١٠١.

(٧) سورة البقرة: ١٣٢.

(٨) سورة البقرة: ١٣٣.

(٩) سورة البقرة: ١٣٦. وسورة آل عمران: ٨٤.

(١٠) سورة آل عمران: ٦٤.

- وقال تعالى: ﴿أيا مكرم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾^(٢).
- وقال سبحانه: ﴿اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنَّ إلاَّ وأنتم مسلمون﴾^(٣).
- وقال تعالى: ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون﴾^(٤).
- وقال سبحانه: ﴿فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلاَّ هو فهل أنتم مسلمون﴾^(٥).
- وقال تعالى: ﴿قل إنما يوحى إليَّ أنما إلهمك إليه واحد فهل أنتم مسلمون﴾^(٦).
- وقال سبحانه: ﴿إن تسمع إلاَّ من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾^(٧).
- وقال تعالى: ﴿والهنا وإلهمك واحد ونحن له مسلمون﴾^(٨).
- مسلمين
- قال سبحانه: ﴿إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾^(٩).
- وقال تعالى: ﴿ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين﴾^(١٠).
- وقال سبحانه: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾^(١١).
- وقال تعالى: ﴿آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين﴾^(١٢).
- وقال سبحانه: ﴿ألا تعلوا عليَّ وأتوني مسلمين﴾^(١).

(١) سورة آل عمران: ٥٢.

(٢) سورة آل عمران: ٨٠.

(٣) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٤) سورة المائدة: ١١١.

(٥) سورة هود: ١٤.

(٦) سورة الأنبياء: ١٠٨.

(٧) سورة النمل: ٨١. وسورة الروم: ٥٣.

(٨) سورة العنكبوت: ٤٦.

(٩) سورة يونس: ٨٤.

(١٠) سورة الأعراف: ١٢٦.

(١١) سورة الحجر: ٢.

(١٢) سورة القصص: ٥٣.

- وقال تعالى: ﴿قال يا أيها الملأ أياكم يأتييني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾^(٢).
 وقال سبحانه: ﴿وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين﴾^(٣).
 وقال تعالى: ﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين﴾^(٤).

المسلمين

- قال تعالى: ﴿إن أجري إلاّ على الله وأمرت أن أكون من المسلمين﴾^(٥).
 وقال سبحانه: ﴿لا إله إلاّ الذي آمنتم به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين﴾^(٦).
 وقال تعالى: ﴿هو سماءكم المسلمين من قبل﴾^(٧).
 وقال سبحانه: ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾^(٨).
 وقال تعالى: ﴿وأمرت لأن أكون أول المسلمين﴾^(٩).
 وقال سبحانه: ﴿إنّ المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات﴾^(١٠).
 وقال تعالى: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾^(١١).
 وقال سبحانه: ﴿وأصلح لي في ذريتي إنني تبت إليك وإنني من المسلمين﴾^(١٢).
 وقال تعالى: ﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾^(١٣).

- (١) سورة النمل: ٣١.
 (٢) سورة النمل: ٣٨.
 (٣) سورة النمل: ٤٢.
 (٤) سورة الزخرف: ٦٩.
 (٥) سورة يونس: ٧٢.
 (٦) سورة يونس: ٩٠.
 (٧) سورة الحج: ٧٨.
 (٨) سورة النمل: ٩١.
 (٩) سورة الزمر: ١٢.
 (١٠) سورة الأحزاب: ٣٥.
 (١١) سورة فصلت: ٣٣.
 (١٢) سورة الأحقاف: ١٥.
 (١٣) سورة الذاريات: ٣٦.

وقال سبحانه: ﴿أفجعل المسلمين كالمجرمين﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾^(٢).

للمسلمين

قال تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾^(٣).

وقال سبحانه: ﴿ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين﴾^(٤).

مسلمة

قال تعالى: ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾^(٥).

مسلمات

قال تعالى: ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات﴾^(٦).

مسلمة

قال سبحانه: ﴿فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله﴾^(٧).

وقال تعالى: ﴿وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله﴾^(٨).

وقال سبحانه: ﴿تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها﴾^(٩).

سليم

قال تعالى: ﴿وإن من شيعته لإبراهيم * إذ جاء ربه بقلب سليم﴾^(١٠).

وقال سبحانه: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم﴾^(١).

(١) سورة القلم: ٣٥.

(٢) سورة الأنعام: ١٦٣.

(٣) سورة النحل: ٨٩.

(٤) سورة النحل: ١٠٢.

(٥) سورة البقرة: ١٢٨.

(٦) سورة التحريم: ٥.

(٧) سورة النساء: ٩٢.

(٨) سورة النساء: ٩٢.

(٩) سورة البقرة: ٧١.

(١٠) سورة الصافات: ٨٣-٨٤.

سالمون

قال تعالى: ﴿وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون﴾^(٢).

تسليماً

قال سبحانه: ﴿وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه

وسلموا تسليماً﴾^(٤).

(١) سورة الشعراء: ٨٨-٨٩.

(٢) سورة القلم: ٤٣.

(٣) سورة الأحزاب: ٢٢.

(٤) سورة الأحزاب: ٥٦.

فصل

روايات شريفة في السلم والسلام

وردت روايات كثيرة جداً في السلم والسلام، عاماً أو خاصاً، وسنذكر في هذا الفصل بعض الروايات المشتملة على مادة السلم باشتقاقاتها المختلفة والتي تدل على مفهوم السلم والسلام أيضاً، أما ذكر بعض مصاديقه فيأتي في الفصل التالي بعونه تعالى.

سلم

عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قلت يا رسول الله أرشدني إلى النجاة؟ فقال ﷺ: «يا بن سمرة... فعليك بعلي بن أبي طالب فإنه إمام أمتي وخليفتي عليهم من بعدي... سلم من سلم له ووالاه، وهلك من رد عليه»^(١).

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «من نظر في العواقب سلم من النوائب»^(٢).

وعن الإمام علي عليه السلام قال: «إن للجنة ثمانية أبواب باب يدخل منه النبيون والصديقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منه شيعتنا ومحبونا، فلا أزال واقفاً على الصراط أدعو وأقول رب سلم شيعتي ومحبي وأنصاري ومن تولاني في دار الدنيا، فإذا النداء من بطنان العرش: قد أجيبت دعوتك وشفعت في شيعتك، ويشفع كل رجل من شيعتي ومن تولاني ونصرني وحارب من حاربي بفعل أو قول في سبعين ألفاً من جيرانه وأقربائه، وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن يشهد أن لا إله إلا الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرة من بغضنا أهل البيت»^(٣).

وعن أبي مريم عبد الغفار بن القاسم قال: دخلت على مولاي الإمام الباقر عليه السلام وعنده أناس من أصحابه فجرى ذكر الإسلام قلت: يا سيدي فأبي الإسلام أفضل؟ قال عليه السلام: «من سلم المؤمنون من لسانه ويده» الخبر^(٤).

(١) الأملالي للشيخ الصدوق: ص ٢٦ ح ٣.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٣٠٧ ح ١٣١١٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٣٩ ح ١٩.

(٤) بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٣٥٨ ح ٢٢٨.

وعن النبي ﷺ أنه قال لعلي وفاطمة وحسن وحسين عليهم السلام: «أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم»^(١).

وعن جابر الأنصاري قال: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن في علي عليه السلام خصالاً لو كانت واحدة منهن في جميع الناس لاكتفوا بها فضلاً... وقوله عليه السلام: حرب علي حرب الله وسلم علي سلم الله»^(٢).

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «الإيمان بالقلب وهو التسليم للرب، ومن سلم الأمور لمالكها لم يستكبر عن أمره كما استكبر إبليس عن السجود لآدم»^(٣).

وعن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بالمؤمن، من ائتمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم، ألا أنبئكم بالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «في الإنسان مضغة إذا هي سلمت وصحت سلم بها سائر الجسد، فإذا سقمت سقم لها سائر الجسد وفسد، وهي القلب»^(٥).

وعن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من عمر أربعين سنة سلم من الأدواء الثلاثة، من الجنون والجذام والبرص»^(٦).

وعن أنس قال: قال النبي ﷺ: «يا أنس سلم على من لقيت يزيد الله في حسناتك، وسلم في بيتك يزيد الله في بركتك»^(٧).

وقال الإمام علي عليه السلام: «من أشفق على دينه سلم من الردى»^(٨).

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من سلم

(١) بحار الأنوار: ج ٣٧ ص ٧٩ ح ٤٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٢٥ ح ٥٠.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٢٣٥ ح ٧٦.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦٤ ص ٣٥٨ ح ٦٢.

(٥) بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٥٠ ح ٤.

(٦) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٣٨٨ ح ٤.

(٧) بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ٣ ح ٥.

(٨) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٤٢٤ ح ٤١.

من أمتي أربع خصال فله الجنة، من الدخول في الدنيا وإتباع الهوى وشهوة البطن وشهوة الفرج»^(١).

وقال عليه السلام: «أحسن إلى من أساء إليك وسلّم على من سبك»^(٢).

وقال الإمام علي عليه السلام: «أيها المؤمنون إنه من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ، ومن أنكره بلسانه فقد أجر»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «منهومان لا يشبعان: طالب دنيا وطالب علم، فمن اقتصر من الدنيا على ما أحل الله له سلم، ومن تناولها من غير حلّها هلك إلا أن يتوب أو يراجع»^(٤).

وكان رسول الله ﷺ إذا ودّع المؤمنين قال: «زودكم الله التقوى ووجهكم إلى كل خير وقضى لكم كل حاجة، وسلم لكم دينكم ودنياكم، وردكم سالمين إلى سالمين»^(٥).

وعن النبي ﷺ قال: «إذا سلم المؤمن على أخيه المؤمن فيبكي إبليس لعنه الله تعالى ويقول: يا ويلتاه لم يفترقا حتى غفر الله لهما»^(٦).

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: (من كظم غيظه سلم ومن لم يكظمه ندم)^(٧).

وقال النبي ﷺ: «إن في المؤمن ثلاث خصال ليس منها خصلة إلا وله منها مخرج: الظن والطيرة والحسد، فمن سلم من الظن سلم من الغيبة، ومن سلم من الغيبة سلم من الزور، ومن سلم من الزور سلم من البهتان»^(٨).

وعن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: «يسلم الراكب على الماشي والماشي

(١) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٢٧١ ح ١٤، والخصال: ج ١ ص ٢٢٣ ح ٥٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٢٨١ ح ١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ٨٩ ح ٦٩.

(٤) الكافي: ج ١ ص ٤٦ ح ١.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٤٠٦ ح ١٥١١١.

(٦) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٣٦٠ ح ٩٦٦٩.

(٧) مستدرك الوسائل: ج ٩ ص ١٢ ح ١٠٠٦٣.

(٨) مستدرك الوسائل: ج ٩ ص ١٤٧ ح ١٠٥٠٩.

على القاعد، وإذا لقيت جماعةً سلّم الأقل على الأكثر، وإذا لقي واحد جماعة سلم الواحد على الجماعة»^(١).

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إذا سلم الرجل من الجماعة أجزاء عنهم»^(٢).

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إذا مرّت الجماعة بقوم أجزاءهم أن يسلم واحد منهم، وإذا سلّم على القوم وهم جماعة أجزاءهم أن يرد واحد منهم»^(٣).

وعن الحجاج بن الصباح قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إنا نحدث عنك بالحديث فيقول بعضنا: قولنا قولهم، قال عليه السلام: «فما تريد؟ أتريد أن تكون إماماً يقتدى بك، من رد القول إلينا فقد سلم»^(٤).

وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «إن دين الله عزوجل لا يصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقاييس الفاسدة ولا يصاب إلا بالتسليم، فمن سلم لنا سلم ومن اقتدى بنا هدي»^(٥).

وعن معروف بن خربوذ قال: قلت للإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: أخبرني عنكم؟ قال عليه السلام: «نحن بمنزلة النجوم إذا خفي نجم بدا نجم، منا أمن وأمان وسلم وإسلام وفتح ومفتاح»^(٦).

وقال الإمام محمد بن علي عليه السلام: «إنما شيعة علي عليه السلام المتبادلون في ولايتنا، المتحابون في مودتنا، المتزاورون لإحياء أمرنا، إن غضبوا لم يظلموا، وإن رضوا لم يسرفوا، بركة لمن جاوروا، وسلم لمن خالطوا»^(٧).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «العاقل من سلم إلى القضاء وعمل بالحزم»^(٨).

(١) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٧٤ ح ١٥٦٧٨.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٧٥ ح ١٥٦٨٠.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ٧٥ ح ١٥٦٨٢.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ١٣٠ ح ٣٣٤٠٠.

(٥) كمال الدين: ج ١ ص ٣٢٤ ح ٩.

(٦) كمال الدين: ج ١ ص ٣٢٩ ح ١٣.

(٧) صفات الشيعة: ص ١٣ ح ٢٣.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٥٤ ح ٤٧٤.

- وقال عليه السلام: «طوبى لمن خلا من الغل صدره وسلم من الغش قلبه»^(١).
- وقال عليه السلام: «من عري من الشر قلبه سلم له دينه وصدق يقينه»^(٢).
- وقال عليه السلام: «من أسلم سلم»^(٣).
- وقال عليه السلام: «من استسلم سلم»^(٤).
- وقال عليه السلام: «هذي من سلم مقادته إلى الله ورسوله وولي أمره»^(٥).
- وقال عليه السلام: «نحن باب حطة وهو باب السلام، من دخله سلم ونجا، ومن تخلف عنه هلك»^(٦).

- وقال عليه السلام: «من سلم من المعاصي عمله بلغ من الآخرة أمله»^(٧).
- وقال عليه السلام: «من سالم الله سلم»^(٨).
- وقال عليه السلام: «من سلم أمره إلى الله استظهر»^(٩).
- وقال عليه السلام: «من صمت سلم»^(١٠).
- وقال عليه السلام: «من كثر احتراسه سلم عيبه»^(١١).
- وقال عليه السلام: «من توفى سلم»^(١٢).
- وقال عليه السلام: «من اعتزل سلم»^(١٣).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٦٧ ح ٩٠٤.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٦٧ ح ٩٠٨.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٤ ح ١٣٦٨.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٤ ح ١٣٦٩.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٩٤ ح ١٦٤٧.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١٧ ح ٢٠٣١.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٤ ح ٢٨٦٠.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٨٥ ح ٣٥٠٨.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٨٤.

(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١٧ ح ٤٢٦٧.

(١١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٣٦ ح ٤٧٥٩.

(١٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٧٤ ح ٦٠٢٤.

(١٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣١٩ ح ٧٣٦٨.

- وقال عليه السلام: «من اعتزل سلم ورعه»^(١).
- وقال عليه السلام: «من اعتزل الناس سلم من شرهم»^(٢).
- وقال عليه السلام: «مصاحب الأشرار كراكب البحر إن سلم من الغرق لم يسلم من الفرق»^(٣).
- وقال عليه السلام: «من أحكم التجارب سلم من المعاطب»^(٤).
- وقال عليه السلام: «من دارى الناس سلم»^(٥).
- وقال عليه السلام: «من رضى من الناس بالمسألة سلم من غوائلهم»^(٦).
- وقال عليه السلام: «من عامل الناس بالمساحة إستمتع بصحبتهم»^(٧).
- وقال عليه السلام: «من نظر في العواقب سلم من النوائب»^(٨).
- وقال عليه السلام: «من راقب العواقب سلم من النوائب»^(٩).
- وقال عليه السلام: «من انتظر العواقب سلم»^(١٠).
- وقال عليه السلام: «من نظر في العواقب سلم»^(١١).
- وقال عليه السلام: «من أقل الاسترسال سلم»^(١٢).
- وقال عليه السلام: «إن المسلم السليم من سلم دينه ورأيه»^(١٣).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣١٩ ح ٧٣٦٩.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣١٩ ح ٧٣٧٠.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٣١ ح ٩٨٣٤.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٤ ح ١٠١٦١.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٥ ح ١٠١٨٦.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٥ ح ١٠١٩٢.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٥ ح ١٠١٩٣.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧٦ ح ١٠٩١٥.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧٦ ح ١٠٩١٨.

(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧٦ ح ١٠٩١٩.

(١١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧٦ ح ١٠٩٢٠.

(١٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٨٢ ح ١١١٠٠.

(١٣) وقعة الصفيين: ص ٢٤٧.

وعن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: «يا أبا عبيدة ما من مسلم لقي أخاه المسلم فصافحه وشبك أصابعه إلا تناثرت عنهما ذنوبهما كما يتناثر الورق من الشجر في اليوم الشتائي»^(١).

سَلِّمُوا

روي: «إن الملائكة إذا ما سلموا ليلته^(٢) على المنتهين الذاكرين ثم يرجعون إلى السماء يأمرهم الله تعالى بالانصراف إلى الأرض حتى يسلموا على النائمين من المؤمنين على كل واحد سبعين سلاماً»^(٣).

وعن زرارة وحمران قالا: كان يجالسنا رجل من أصحابنا فلم يكن يسمع بحديث إلا قال: سلموا، حتى لقب فكان كلما جاء قالوا: قد جاء سلم فدخل حمران وزرارة على الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام فقال: إن رجلاً من أصحابنا إذا سمع شيئاً من أحاديثكم قال: سلموا حتى لقب وكان إذا جاء قالوا: جاء سلم فقال أبو جعفر عليه السلام: «قد أفلح المسلمون إن المسلمين هم النجباء»^(٤).

وعن أبي بصير عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(٥)، قال عليه السلام: «هم الأئمة ويجزي فيمن استقام من شيعةنا وسلم لأمرنا وكنتم حديثنا عند عدونا فتستقبلهم الملائكة بالبشرى من الله بالجنة وقد والله مضى أقوام كانوا على مثل ما أنتم عليه من الدين فاستقاموا وسلموا لأمرنا وكنتموا حديثنا ولم يذيعوه عند عدونا ولم يشكوا كما شككتم فاستقبلهم الملائكة بالبشرى من الله بالجنة»^(٦).

وقال النبي ﷺ: «سلموا على اليهود والنصارى ولا تسلموا على أكل

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٨٠ ح ٥.

(٢) أي ليلة القدر.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٧ ص ٤٨٤ ح ٨٧٠٩.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٢٠١ ح ٧١.

(٥) سورة فصلت: ٣٠.

(٦) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٢٠٢ ح ٧٦.

البنج»^(١).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال النبي ﷺ للمسلمين وهم مجتمعون حوله: «أيها الناس أحيوا القصاص وأحيوا الحق ولا تفرقوا وأسلموا وسلموا تسلموا»^(٢).
وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «اتبعوا النور الذي لا يطفأ والوجه الذي لا يبلى واستسلموا وسلموا لأمره فإنكم لن تضلّوا مع التسليم»^(٣).

سلمتم

عن ابن عباس قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فخطب واجتمع الناس إليه فقال ﷺ: «يا معشر المؤمنين إن الله عز وجل أوحى إليّ أنني مقبوض وأن ابن عمي علياً مقتول، وإني أيها الناس أخبركم خبراً إن عملتم به سلمتم، وإن تركتموه هلكتم، إن ابن عمي علياً هو أخي وهو وزيرتي وهو المبلغ عني وهو إمام المتقين وقائد الغر المحجلين، إن استرشدتموه أرشدكم، وإن تبعتموه نجوتم، وإن خالفتموه ظللتم» الخبر^(٤).

سلامة

قال رسول الله ﷺ: «راحة الإنسان في حبس اللسان، سكوت اللسان سلامة الإنسان»^(٥).

وقال ﷺ: «سلامة الإنسان في حفظ اللسان»^(٦).

وفي الحديث: كان الإمام أبو جعفر محمد بن علي التقي عليه السلام: «إذا دخل شهر جديد يصلي أول يوم منه ركعتين يقرأ في الركعة الأولى الحمد مرة و﴿قل هو الله أحد﴾ لكل يوم إلى آخره مرة، وفي الركعة الآخرة الحمد و﴿إنا أنزلناه﴾ مثل ذلك ويتصدق

(١) مستدرك الوسائل: ج ١٧ ص ٨٦ ح ٢٠٨١٥. البنج: ضرب من النبات، وقيل إنه مما ينتبذ، أو يقوى به النبيذ.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ١٨ ص ١٧١ ح ٢٢٤١٦.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١١ ح ١٩٧٢.

(٤) بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ٩٤ ح ١٠.

(٥) مستدرك الوسائل: ج ٩ ص ٣٠ ح ١٠١٢١.

(٦) مستدرك الوسائل: ج ٩ ص ٣٠ ح ١٠١٢١.

بما يتسهّل ، يشتري به سلامة ذلك الشهر كلّهُ»^(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «حسن الظن أصله من حسن إيمان المرء وسلامة صدره»^(٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ففي العزلة صيانة الجوارح و فراغ القلب وسلامة وكسر سلاح الشيطان والمجانبة من كل سوء وراحة القلب»^(٣) الخبر.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «سلامة الدين في الاعتزال»^(٤).

وقال الإمام أبو جعفر عليه السلام: «سلامة الدين وصحة البدن خير من المال»^(٥).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الصمت حكم، والسكوت سلامة، والكتمان طرف من السعادة»^(٦).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «يا جابر واعلم أنه لا علم كطلب السلامة ولا سلامة كسلامة القلب»^(٧).

ومن كلامه عليه السلام: «أن يسلم الناس من ثلاثة أشياء كانت سلامة شاملة: لسان السوء، ويد السوء، وفعل السوء»^(٨).

وقال عليه السلام: «من أراد إصلاح حاله وسلامة نفسه فليجعل دأبه مجاهدة النفس عند كل حال، لا يخالف فيه ما يوافق كتاب الله وسنة نبيه وسنن الأئمة وأهل بيته وآدابهم عليهم السلام»^(٩).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن من شغل نفسه بالمفروض عليه عن المضمون له،

(١) مستدرك الوسائل: ج ٦ ص ٣٤٨ ح ٦٩٦٧.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ٩ ص ١٤٥ ح ١٠٥٠٣.

(٣) مستدرك الوسائل: ج ١١ ص ٣٨٩ ح ١٣٣٤٢.

(٤) مستدرك الوسائل: ج ١١ ص ٣٩٣ ح ١٣٣٥١.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٢١٦ ح ٣.

(٦) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٦٣ ح ١٤٦١، وتحف العقول: ص ٢٢٣.

(٧) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٦٢ ح ١، وتحف العقول: ص ٢٨٦.

(٨) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٢٣٥ ح ١٠٧، وتحف العقول: ص ٣١٩.

(٩) إرشاد القلوب: ج ١ ص ٩٨.

ورضي بالمقدور عليه وله، كان أكثر الناس سلامة في عافية، وربحاً في غبطة، وغنيمة في مسرة»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «زد من طول أملك في قصر أجلك ولا تغرنك صحة جسمك وسلامة أمسك فإن مدة العمر قليلة وسلامة الجسم مستحيلة»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الصمت وقار وسلامة»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن أحببت سلامة نفسك وستر معايك فأقل كلامك وأكثر صمتك يتوفر فكرك ويستتر قلبك ويسلم الناس من يدك»^(٤).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «عاقبة الصدق نجاة وسلامة»^(٥).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «حسن الظن راحة القلب وسلامة الدين»^(٦).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الاستقامة سلامة»^(٧).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «عجبت لغفلة الحساد عن سلامة الأجساد»^(٨).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «سلامة الدين في اعتزال الناس»^(٩).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «سلامة الدين والدنيا في مداراة الناس»^(١٠).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «سلامة العيش في المداراة»^(١١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الإصابة سلامة، الخطأ ملامة، العجل ندامة»^(١٢).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٠٣ ح ١٨١٦.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٩ ح ٣٠٣٣.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١٦ ح ٤٢٤٢.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١٦ ح ٤٢٥٢.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١٨ ح ٤٣٢٩.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٣ ح ٥٣٢٢.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٨٧ ح ٦٤٧٢.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٠١ ح ٦٨٣٥.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣١٩ ح ٧٣٦٥.

(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٥ ح ١٠١٧٨.

(١١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٥ ح ١٠١٨١.

(١٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧٩ ح ١١٠٠٣.

وقال لقمان الحكيم: «العلم زين والسكوت سلامة»^(١).

وقال النبي ﷺ: «إن من فتنه المرء أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع، ففي الكلام تمويه وزيادة، ولا يؤمن على صاحبه الخطأ، وفي الصمت سلامة وأجر»^(٢).
الخبير.

وقال النبي ﷺ: «بذلاء أمتي لا يدخلون الجنة بكثرة صوم ولا صلاة ولكن برحمة الله وسلامة الصدور وسخاء النفوس والرحمة لجميع المسلمين»^(٣).

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «من لقي فقيراً فسلم خلاف سلامه على الغني لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان»^(٤).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «صاحب النية الصادقة صاحب القلب السليم، لأن سلامة القلب من هواجس المحذورات بتخليص النية لله تعالى في الأمور كلها»^(٥).
الخبير.

سلام

قال الإمام الصادق عليه السلام: «معنى السلام في دبر كل صلاة الأمان، أي من أدى أمر الله تعالى وسنة نبيه ﷺ خاضعاً لله خاشعاً فيه فله الأمان من بلاء الدنيا وبراءة من عذاب الآخرة، والسلام اسم من أسماء الله تعالى أودعه خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات والأمانات والإضافات وتصديق مصاحبتهم فيما بينهم وصحة معاشرتهم، فإن أردت أن تضع السلام موضعه وتؤدي معناه فاتق الله، وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك ولا تدنسها بظلمة المعاصي، ولتسلم حَفَظْتَكَ أَنْ لَا تَبْرِمَهُمْ وتوحيشهم منك بسوء معاملتك معهم، ثم صديقك ثم عدوك، فإن من لم يسلم منه من هو أقرب إليه فالأبعد أولى ومن لا يضع السلام مواضعه فلا سلام ولا سلّم وكان كاذباً في

(١) أعلام الدين: ص ٨٨.

(٢) أعلام الدين: ص ٢٧٢.

(٣) أعلام الدين: ص ٢٧٥.

(٤) مشكاة الأنوار: ص ٨٧.

(٥) مصباح الشريعة: ص ٥٣، في النية.

سلامه» الخبير^(١).

وعن الإمام علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يصبح صائماً فيشتتم فيقول: سلام عليكم إني صائم، إلا قال الله تعالى: استجار عبدي من عبدي بالصيام فأدخلوه جنتي»^(٢).

وفي الإنجيل: (إذا قلّ الدعاء نزل البلاء) إلى أن قال: (وإذا قلّ سلام المؤمنين بعضهم على بعض ظهرت العداوة والبغضاء في قلوبهم)^(٣).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «أفشوا سلام الله، فإن سلام الله لا ينال الظالمين»^(٤).

وعن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام: «من قال: السلام عليكم فهي عشر حسنات، ومن قال: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته فهي ثلاثون»^(٥).

وعن الإمام أبي جعفر الباقر أو الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: «ما طلعت الشمس بيوم أفضل من يوم الجمعة وإن كلام الطير فيه إذا التقى بعضها بعضاً سلام سلام يوم صالح»^(٦).

وقال رسول الله ﷺ: «من سلّم عليّ عند قبري سمعته ومن سلّم عليّ من بعيد بلغته سلام الله عليه ورحمة الله وبركاته»^(٧).

السلامة

قال الإمام علي عليه السلام: «في الصمت السلامة من الندامة»^(٨).

وقال رسول الله ﷺ: «رحم الله عبداً تكلم فغتم أو سكت فسلم.. فمن أراد

(١) مستدرك الوسائل: ج ٥ ص ٢٥ ح ٥٢٧٧.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ٧ ص ٣٧٠ ح ٨٤٤٤.

(٣) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٣٦٠ ح ٩٦٦٧.

(٤) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٣٦١ ح ٩٦٧٣.

(٥) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٣٦٦ ح ٩٦٩١.

(٦) الكافي: ج ٣ ص ٤١٥ ح ١١.

(٧) أوائل المقالات: ص ٧٣.

(٨) مستدرك الوسائل: ج ٩ ص ١٨ ح ١٠٠٨٤.

السلامة فليحفظ ما جرى به لسانه» الخبر^(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «فإن أردت السلامة فاذكر الخالق لا المخلوق»^(٢).

وقال الإمام علي عليه السلام: «وطلبت السلامة فما وجدت إلا بطاعة الله أطيعوا الله تسلموا»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «التواضع يكسبك السلامة»^(٤).

وقال عليه السلام: «أصل السلامة من الزلل الفكر قبل الفعل والروية قبل الكلام»^(٥).

وقال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «من أراد الغنى بلا مال وراحة القلب من الحسد والسلامة في الدين فليتضرع إلى الله عز وجل في مسألته بأن يكمل عقله، فمن عقل قنع بما يكفيه ومن قنع بما يكفيه استغنى» الخبر^(٦).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أدنى مقام المخلص في الدنيا السلامة من جميع الآثام»^(٧).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «خير القول الصدق، وفي الصدق السلامة، والسلامة مع الاستقامة»^(٨).

وعن أبان بن تغلب قال: سمعت الإمام أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «مع الثبوت تكون السلامة»^(٩).

وقال الإمام علي عليه السلام: «ثمره الحزم السلامة»^(١٠).

(١) مستدرك الوسائل: ج ٩ ص ٣٢ ح ١٠١٢٣.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ٩ ص ١١٧ ح ١٠٤٠٧.

(٣) مستدرك الوسائل: ج ١١ ص ١٩٢ ح ١٢٧١٨.

(٤) مستدرك الوسائل: ج ١١ ص ٢٩٨ ح ١٣٠٨٦.

(٥) مستدرك الوسائل: ج ١١ ص ٣٠٨ ح ١٣١١٥.

(٦) مستدرك الوسائل: ج ١٥ ص ٢٢٤ ح ١٨٠٦٩.

(٧) بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٢٤٥ ح ١٨.

(٨) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٢٩٣ ح ٦٣.

(٩) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٣٨ ح ٣.

(١٠) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٤١ ح ١٤.

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «لا يطمعن المغتاب في السلامة»^(١).
وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أطلب السلامة أينما كنت وفي أي حال كنت
لدينك ولقلبك وعواقب أمورك من الله»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «فمن أراد السلامة فليحفظ ما جرى به لسانه وليحرس
ما انطوى عليه جنانه وليحسن عمله وليقصر أمله»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من رضي بالعافية ممن دونه رزق بالسلامة ممن
فوقه»^(٤).

وقال الإمام عليه السلام: «الهم نصف الهرم والسلامة نصف الغنيمة»^(٥).

وقال الإمام عليه السلام: «من لم يرغب في ثلاث ابتلى بثلاث، من لم يرغب في
السلامة ابتلى بالخذلان...» الخبر^(٦).

وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «حق أهل ملتك إضمار السلامة لهم
والرحمة بهم والرفق بمسيئهم وتآلفهم واستصلاحهم» الخبر^(٧).

وقال الإمام أبو جعفر عليه السلام: «لا وقاية أمتع من السلامة»^(٨).

وقال الإمام عليه السلام: «الصبر مطية السلامة والجزع مطية الندامة»^(٩).

وقال الإمام عليه السلام: «وينبغي للعاقل مجاهدة نفسه على القيام بحقوق الله وسلوك
طريق السلامة فإن الله تعالى قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(١٠)

(١) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٢٥٠ ح ٢١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٤٠٠ ح ٤١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ١٨٠ ح ١٠.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٣٨٥ ح ١٠.

(٥) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٩٣ ح ١٠٥.

(٦) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٢٣٢ ح ١٠٧.

(٧) الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٣٧٣ ح ١.

(٨) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ٣٩.

(٩) إرشاد القلوب: ج ١ ص ٧٤.

(١٠) سورة العنكبوت: ٦٩.

ومن أراد السلامة من الشيطان فليجاهد نفسه ويحاسبها محاسبة الشريك لشريكه»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «من أراد السلامة في الدنيا والآخرة قيد لسانه بلجام الشرع فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة»^(٢).

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «من علامات الفقه: الحلم والحياء والصمت، إن الصمت باب من أبواب الحكمة وإنه ليكسب المحبة ويوجب السلامة وراحة الكرام الكاتبين وأنه لدليل على كل خير»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أصل العقل الفكر وثمرته السلامة»^(٤).

وقال عليه السلام: «ثمره الفكر السلامة»^(٥).

وقال عليه السلام: «طوبى لمن سلك طريق السلامة ببصر من بصره»^(٦).

وقال عليه السلام: «رب عاطب بعد السلامة»^(٧).

وقال عليه السلام: «ذكر الله رأس مال كل مؤمن وربحه السلامة من الشيطان»^(٨).

وقال عليه السلام: «ألزم الصمت يلزمك النجاة والسلامة»^(٩).

وقال عليه السلام: «عليك بلزوم الصمت فإنه يلزمك السلامة ويؤمنك الندامة»^(١٠).

وقال عليه السلام: «ألزم الصمت فأدنى نفعه السلامة»^(١١).

وقال عليه السلام: «إن كان في الكلام البلاغة ففي الصمت السلامة من العثار»^(١٢).

(١) إرشاد القلوب: ج ١ ص ٩٨.

(٢) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٠٣.

(٣) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٠٢.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٥٢ ح ٤٠٤.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٥٨ ح ٥٩٩.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٩٤ ح ١٦٥٢.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٣١ ح ٢٢٥٠.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٨٨ ح ٣٦٢١.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١٦ ح ٤٢٥٠.

(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١٦ ح ٤٢٥٦.

(١١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١٦ ح ٤٢٦٢.

(١٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١٦ ح ٤٢٦٤.

- وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «سبب السلامة الصمت»^(١).
- وقال عليه السلام: «صمت يعقبك السلامة خير من نطق قول يعقبك الملامة»^(٢).
- وقال عليه السلام: «من كان صدوقاً لم يعدم الكرامة السلامة»^(٣).
- وقال عليه السلام: «من طلب خدمة السلطان بغير أدب خرج من السلامة إلى العطب»^(٤).
- وقال عليه السلام: «في الأناة السلامة»^(٥).
- وقال عليه السلام: «من طلب السلامة لزم الاستقامة»^(٦).
- وقال عليه السلام: «من لزم الاستقامة لم يعدم السلامة»^(٧).
- وقال عليه السلام: «من رغب في السلامة ألزم نفسه الاستقامة»^(٨).
- وقال عليه السلام: «السلامة في التفرد»^(٩).
- وقال عليه السلام: «من أراد السلامة فعليه بالقصد»^(١٠).
- وقال عليه السلام: «من أحب السلامة فليؤثر الفقر، ومن أحب الراحة فليؤثر الزهد في الدنيا»^(١١).
- وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا أحببت السلامة فاجتنب مصاحبة الجهول»^(١٢).
- وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «السلم علة السلامة وعلامة سبب الاستقامة»^(١٣).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١٧ ح ٤٢٦٥.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١٧ ح ٤٢٦٦.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١٩ ح ٤٣٥٠.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٨ ح ٥١٢٤.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٠ ح ٥٢٠٣.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٨٧ ح ٦٤٧٣.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٨٧ ح ٦٤٧٤.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٨٧ ح ٦٤٧٥.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣١٩ ح ٧٣٦٢.

(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٥٤ ح ٨٠٦٩.

(١١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٦٦ ح ٨٢٤٠.

(١٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٣٢ ح ٩٨٦٣.

(١٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٥ ح ١٠١٦٥.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من سالم الناس ربح السلامة»^(١).

وقال عليه السلام: «لا لباس أجمل من السلامة»^(٢).

وقال عليه السلام: «ثمره الحزم السلامة»^(٣).

وقال عليه السلام: «من لزم الاستقامة لزمته السلامة»^(٤).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أطلب السلامة أينما كنت وفي أي حال كنت لدينك وقلبك وعواقب أمورك من الله عزوجل فليس من طلبها وجدها فكيف من تعرض للبلاء وسلك مسالك ضد السلامة وخالف أصولها بل رأى السلامة تلفاً والتلف سلامة والسلامة قد عزلت من الخلق في كل عصر خاصة في هذا الزمان وسبيل وجودها في احتمال جفاء الخلائق وأذيتهم والصبر عند الرزايا وخفة الموت والفرار من الأشياء التي تلزمك رعايتها» الخبر^(٥).

السلم

عن الحلبي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾^(٦) قال: قلت ما السلم؟ قال عليه السلام: «الدخول في أمرنا»^(٧).

وعن الإمام أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَأَفَّةٍ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٨) قال عليه السلام: «في ولايتنا»^(٩).

وعن أبي بصير قال سمعت الإمام أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: ﴿يَا أَيُّهَا

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٥ ح ١٠١٩١.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٨٣ ح ١١١٧٢.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧٤ ح ١٠٨٦٦.

(٤) أعلام الدين: ص ١٨٧.

(٥) مصباح الشريعة: ص ١٠٩.

(٦) سورة الأنفال: ٦١.

(٧) الكافي: ج ١ ص ٤١٥ ح ١٦.

(٨) سورة البقرة: ٢٠٨.

(٩) الكافي: ج ١ ص ٤١٧ ح ٢٩.

الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَأَقَّةٍ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ»^(١) قال عليه السلام:

«أتدري ما السلم؟ قال: قلت أنت أعلم، قال عليه السلام: ولاية علي والأئمة الأوصياء من بعده عليهم السلام قال عليه السلام: «وخطوات الشيطان» والله ولاية فلان وفلان»^(٢).

وقال الإمام علي عليه السلام: «أنا ذلك الرجل السلم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»^(٣).

وعن الإمام زين العابدين والإمام جعفر الصادق عليهما السلام قالا: «ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَأَقَّةٍ»: «في ولاية علي عليه السلام» وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ» قالا عليهما السلام: لا تتبعوا غيره عليه السلام»^(٤).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام «وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ»^(٥) قال: «أنا ذلك الرجل السلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»^(٦).

وقال عليه السلام: «الرفق يؤدي إلى السلم»^(٧).

وقال عليه السلام: «السلم ثمرة الحلم»^(٨).

وقال عليه السلام: «الحلم حلية العلم وعلّة عدة السلم»^(٩).

وقال عليه السلام: «لا عاقبة أسلم من عواقب السلم»^(١٠).

سلامكم

عن أبي الصباح قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجل: «فَإِذَا دَخَلْتُمْ

(١) سورة البقرة: ٢٠٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ١٥٩ ح ١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ١٦١ ح ١٠.

(٤) المناقب: ج ٣ ص ٩٦.

(٥) سورة الزمر: ٢٩.

(٦) المناقب: ج ٣ ص ١٠٤.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٤ ح ٤٩٧٩.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٤ ح ١٠١٦٣.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٨٦ ح ٦٤٢٢.

(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧٦ ح ١٠٩٢١.

بُيُوتًا فَسَلَّمُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ»^(١) الآية فقال عليه السلام: «هو تسليم الرجل على أهل البيت حين يدخل ثم يردون عليه فهو سلامكم على أنفسكم»^(٢).

سلمت

عن الإمام الرضا عليه السلام قال: قال عيسى بن مريم للحواريين: «يا بني إسرائيل لا تأسوا على ما فاتكم من دنياكم إذا سلم دينكم كما لا يأسى أهل الدنيا على ما فاتهم من دينهم إذا سلمت دنياهم»^(٣).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «... وفي قبول صلاة العبد يوم القيامة قبول سائر أعماله فإذا سلمت له صلاته سلمت جميع أعماله وإن لم تسلم صلاته وردت عليه رد ما سواها من الأعمال الصالحة»^(٤).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من لم يبال ما رزئ من آخرته إذا سلمت له دنياه فهو هالك»^(٥).

وقال عليه السلام: «من كنَّ فيه ثلاث خصال سلمت له الدنيا والآخرة من أمر بالمعروف وائتمر به ونهى عن المنكر وانتهى عنه وحافظ على حدود الله»^(٦).

وقال رجل للحسين بن علي عليه السلام: يا بن رسول الله أنا من شيعتكم قال عليه السلام: «إتق الله ولا تدعين شيئاً يقول الله لك: كذبت وفجرت في دعواك، إن شيعتنا من سلمت قلوبهم من كل غش ودغل ولكن قل: أنا من مواليكم ومحبيكم»^(٧).

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «يأتي على الناس زمان لا يبالي بالرجل ما تلف من دينه إذا سلمت له دنياه»^(٨).

(١) سورة النور: ٦١.

(٢) معاني الأخبار: ص ١٦٢.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٣٢٧ ح ٨.

(٤) بحار الأنوار: ج ٨٢ ص ٣٠٤ ح ٩.

(٥) مستدرك الوسائل: ج ١٢ ص ١٥١ ح ١٣٧٥٦.

(٦) مستدرك الوسائل: ج ١٢ ص ٢٠٦ ح ١٣٨٩٤.

(٧) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ١٠٦.

(٨) تحف العقول: ص ٥٢.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن أسلمت نفسك لله سلمت نفسك»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنك إن سلمت الله سلمت وفزت»^(٢).

التسليم

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو

التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل»^(٣).

وقال عليه السلام: «يستدل على إيمان الرجل بالتسليم ولزوم الطاعة»^(٤).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «التسليم أن لا تتهم»^(٥).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «غاية الإسلام التسليم»^(٦).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «غاية التسليم الفوز بدار النعيم»^(٧).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «في التسليم الإيمان»^(٨).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أسلم تسلم»^(٩).

وقال النبي ﷺ: «إذا تلاقيتم فتلاقوا بالتسليم والتصافح وإذا تفرقتم تفرقوا

بالاستغفار»^(١٠).

الاستسلام

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا إيمان أفضل من الاستسلام»^(١١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من استسلم إلى الله استظهر»^(١).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٤ ح ١٣٦٤.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٨٣ ح ٣٤٥٠.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٤ ح ١٣٥٣.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٤ ح ١٣٦٠.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٤ ح ١٣٦٢.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٤ ح ١٣٦٥.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٤ ح ١٣٦٦.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٤ ح ١٣٦٧.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٤ ح ١٣٦٣.

(١٠) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٤٦.

(١١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٤ ح ١٣٥٨.

وقال عليه السلام: «من استسلم للحق وأطاع المحق كان من المحسنين»^(١).

وقال عليه السلام: «خيانة المستسلم والمستشير من أفضح الأمور وأعظم الشرور وموجب عذاب السعير»^(٢).

وقال عليه السلام: «من عاند الزمان أرغمه ومن استسلم إليه لم يسلم»^(٣).

وقال عليه السلام: «المفلح من نهض بجناح أو استسلم فاستراح»^(٤).

وقال عليه السلام: «ظلم المستسلم أعظم الجرم»^(٥).

وقال عليه السلام: «بئس الظلم ظلم المستسلم»^(٦).

وقال الإمام الحسن بن علي عليه السلام لرجل: «يا هذا لا تجاهد الطلب جهاد العدو ولا تتكل على القدر اتكال المستسلم»^(٧).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «المستسلم موقى مؤتى»^(٨).

السلام

قال رسول الله ﷺ: «يا جبرائيل ربي هو السلام ومنه السلام واليه يعود السلام»^(٩).

وعن كثير الرقي قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام ما معنى السلام على رسول الله ﷺ؟ فقال عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى لما خلق نبيه ووصيه وابنته وابنيه وجميع الأئمة عليهم السلام وخلق شيعتهم أخذ عليهم الميثاق وأن يصبروا ويصابروا ويرابطوا وأن يتقوا الله ووعدهم أن يسلم لهم الأرض المباركة والحرم الآمن وأن ينزل

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٤ ح ١٣٧٠.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٦٩ ح ٩٦٩.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٣ ح ١٠١٠٢.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٢٩ ح ٢٢٠٩.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤١٣ ح ٩٤١٧.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٣ ح ٧٨٦٤.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٦ ح ٧٩٨١.

(٨) بحار الأنوار: ج ١٠٠ ص ٣٥ ح ٦٦.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٤ ح ١٣٦١.

(١٠) الكافي: ج ١ ص ٢٨١ ح ٤.

لهم البيت المعمور ويظهر لهم السقف المرفوع ويريحهم من عدوهم والأرض التي يبدلها الله من السلام ويسلم ما فيها لا شية فيها قال لا خصومة فيها لعدوهم وأن يكون لهم فيها ما يحبون وأخذ رسول الله ﷺ على جميع الأئمة عليهم السلام وشيعتهم الميثاق وبذلك وإنما السلام عليه تذكرة نفس الميثاق وتجديد له على الله لعله أن يعجله عز وجل ويعجل السلام لكم بجميع ما فيه»^(١).

وعن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «من يضمن لي أربعة بأربعة آيات في الجنة، أنفق ولا تحف فقراً، وأفش السلام في العالم، واترك المرء وإن كنت محقاً، وأنصف الناس من نفسك»^(٢).

وعن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله عز وجل يحب إفشاء السلام»^(٣).
وعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إذا سلم أحدكم فليجهر بسلامه لا يقول سلمت فلم يردوا علي»^(٤).

وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «ثلاثة من حقائق الإيمان: الإنفاق من الإقتار، والإنصاف من نفسك، وبذل السلام لجميع العالم»^(٥).
وقال رسول الله ﷺ: «السلام تطوع والرد فريضة»^(٦).
وقال النبي ﷺ: «إذا لقي الرجل المسلم أخاه فسلم عليه وصافحه لم ينزع أحدهما يده عن صاحبه حتى يغفر لهما»^(٧).

وعنه عليه السلام قال: «من بدأ بالسلام فهو أولى بالله وبرسوله»^(٨).

وعنه عليه السلام في حديث أنه قال: «وردك السلام صدقة»^(٩).

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٥١ ح ٣٩.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٤٤ ح ٢.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٥ ح ٥.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٥ ح ٧.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ٧ ص ٢١٣ ح ٨٠٦٨.

(٦) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٥٨ ح ٩٦٦٢.

(٧) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٥٩ ح ٩٦٦٦.

(٨) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٦٠ ضمن ح ٩٦٦٦.

وعن النبي ﷺ أنه قال: «السلام تحية ملتنا وأمان لذمتنا»^(١).

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنون حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إن فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»^(٢).

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «السلام اسم من أسماء الله فأفشوه بينكم، فإن الرجل المسلم إذا مرّ بالقوم فسلم عليهم فإن لم يردوا عليه يرد عليه من هو خير منهم وأطيب»^(٣).

وعن النبي ﷺ قال: «ما فشا السلام في قوم إلا آمنوا من العذاب فإن فعلتموه دخلتم الجنة»^(٤).

وعن النبي ﷺ أنه قال: «أفشوا السلام تسلموا»^(٥).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «أفشوا السلام في العالم وردوا التحية على أهلها بأحسن منها»^(٦).

وقال رسول الله ﷺ: «أفش السلام يكثر خير بيتك»^(٧).

وفي قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾^(٨) قال عليه السلام: «يعني الجنة وسميت دار السلام للسلامة فيها من الأحزان والآلام»^(٩).

وعن إسحاق بن عمار قال سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «بروا

(١) مستدرك الوسائل: ج ٧ ص ٢٤٢ ح ٨١٤٤.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٣٦٠ ح ٩٦٧٠.

(٣) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٣٦٢ ح ٩٦٧٥.

(٤) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٣٦٢ ح ٩٦٧٨.

(٥) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٣٦٣ ح ٩٦٨٢.

(٦) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٣٦٤ ح ٩٦٨٤.

(٧) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٣٧١ ح ٩٧٠٣.

(٨) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٤٨٩ ح ١٢٩٣.

(٩) سورة الأنعام: ١٢٧.

(١٠) بحار الأنوار: ج ٨ ص ١٨١ ح ١٣٩.

إخوانكم ولو بحسن السلام وردّ الجواب»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا دخل أحدكم منزله فليسلم على أهله يقول: السلام عليكم، فإن لم يكن أهله فليقل: السلام علينا من ربنا»^(٢).
وقال عليه السلام: «إذا قال لك أخوك: حياك الله بالسلام، فقل أنت: فحياك الله بالسلام وأحلّك دار المقام»^(٣).

وعن إسحاق بن عمار الصيرفي قال: دخلت على الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام وكنت تركت التسليم على أصحابنا في مسجد الكوفة وذلك لتقية علينا فيها شديدة، فقال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا إسحاق متى أحدثت هذا الجفاء لإخوانك تمر بهم فلا تسلم عليهم فقلت له: ذلك لتقية كنت فيها فقال عليه السلام: ليس عليك في التقية ترك السلام وإنما عليك في التقية الإذاعة، إن المؤمن ليمر بالمؤمنين فيسلم عليهم فترد الملائكة سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أبداً»^(٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ثلاثة يرد عليهم الدعاء جماعة وإن كانوا واحداً، الرجل يعطس فيقال له: يرحمكم الله فإن معه غيره، والرجل يسلم على الرجل فيقول: السلام عليكم، والرجل يدعو للرجل فيقول: عافاكم الله»^(٥).

وقال عليه السلام: «البادي بالسلام أولى بالله وبرسوله ﷺ»^(٦).

وقال عليه السلام: «من التواضع أن تسلم على من لقيت»^(٧).

وقال رسول الله ﷺ: «إذا قام أحدكم من مجلسه فليودعهم بالسلام...»^(٨).

وقال الإمام عليه السلام: «أفشوا السلام تسلموا»^(٩).

(١) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ١٣١ ح ٩٨.

(٢) وسائل الشريعة: ج ٥ ص ٣٢٣ ح ٦٦٧٦.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ٤ ح ١٠.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ٥ ح ١٨.

(٥) بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ٧ ح ٢٣.

(٦) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٥ ح ٨.

(٧) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٦ ح ١٢.

(٨) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٧٨ ح ٩٧٢٦.

وقال الإمام عليه السلام: «إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا دخلت منزلك فقل: بسم الله وبالله وسلم على أهلك، فإن لم يكن فيه أحد فقل: بسم الله وسلام على رسول الله وعلى أهل بيته والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإذا قلت ذلك فرّ الشيطان من منزلك»^(٢).

وعن الإمام عليه السلام قال: «يسلم الرجل إذا دخل على أهله وإذا دخل يضرب بعليه وينحج يصنع ذلك حتى يؤذنه أنه جاء حتى لا يرى شيئاً يكرهه»^(٣).

وقال الإمام عليه السلام: «السلام قبل الكلام»^(٤).

وقال عليه السلام: «لا تغضبوا ولا تغضبوا أفسوا السلام وأطيبوا الكلام»^(٥).

وقال عليه السلام: «من التواضع السلام على كل من تمر به»^(٦).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «نحن باب حطة وهو باب السلام من دخله سلم ونجا ومن تخلف عنه هلك»^(٧).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن من العبادة لين الكلام وإفشاء السلام»^(٨).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا ترغب في خلطة الملوك فإنهم يستكثرون من الكلام رد السلام ويستقلون من العقاب ضرب الرقاب»^(٩).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «سنة الأخيار لين الكلام وإفشاء السلام»^(١٠).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «عود لسانك لين الكلام وبذل السلام يكثر محبوبك

(١) جامع الأخبار: ص ٨٩.

(٢) جامع الأخبار: ص ٨٩.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٣ ص ٤٥٨ ح ٣٩٨٨.

(٤) جامع الأخبار: ص ٨٩.

(٥) بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ١٢ ح ٤٦.

(٦) تحف العقول: ص ٢٠٤.

(٧) تحف العقول: ص ٤٨٧.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١٧ ح ٢٠٣١.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١٥ ح ٤٢١٠.

(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٣٣ ح ٩٨٩٦.

(١١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٣٥ ح ٩٩٤٥.

ويقل مبغضوك»^(١).

وقال النبي ﷺ: «خصلة من لزمها أطاعته الدنيا والآخرة وريح الفوز بقرب الله تعالى في دار السلام، قيل وما هي يا رسول الله؟ قال ﷺ: التقوى، من أراد أن يكون أعز الناس فليثق بالله، ثم تلا: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٢)»^(٣).

سلماً

عن الإمام أبي جعفر الباقر ﷺ حينما سئل عن قول الله عز وجل: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لَرَجُلٍ﴾^(٤) قال ﷺ: «الرجل السلم لرجل علي ﷺ وشيعته»^(٥).

وسئل الإمام علي بن الحسين ﷺ عن الكلام والسكوت أيهما أفضل؟ فقال ﷺ: «لكل واحد منهما آفات فإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت»^(٦) الخبر.

وعن النبي ﷺ قال: «إن موسى ﷺ لقي الحضر فقال: أوصني، فقال الحضر: ... إذا شتمك الجاهل فاسكت عنه سلماً وجانبه حزماً»^(٧).

وقال رسول الله ﷺ: «علي بن أبي طالب أقدم أمتي سلماً وأكثرهم علماً وأصحهم ديناً وأفضلهم يقيناً»^(٨) الخبر.

وعن أبي خالد الكابلي قال: سألت الإمام أبا جعفر ﷺ عن قول الله عز وجل:

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٣٥ ح ٩٩٤٦.

(٢) سورة الطلاق: ٢-٣.

(٣) معدن الجواهر: ص ٢١.

(٤) سورة الزمر: ٢٩.

(٥) تأويل الآيات: ص ٥٠٤.

(٦) الاحتجاج: ج ٢ ص ٣١٥.

(٧) بحار الأنوار: ج ١ ص ٢٢٦ ح ١٨، ومنية المرید: ص ١٤٠.

(٨) الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٨٦.

﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنَّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾^(١)، فقال عليه السلام: «يا أبا خالد النور والله الأئمة من آل محمد عليه السلام إلى يوم القيامة... يا أبا خالد لا يجنبا عبد ويتولانا حتى يطهر الله قلبه، ولا يطهر الله قلب عبد حتى يسلم لنا ويكون مسلماً فإذا كان مسلماً لنا سلمه الله من شديد الحساب وآمنه من فزع يوم القيامة الأكبر»^(٢).

وسئل أمير المؤمنين عليه السلام عن صفة الإسلام والإيمان والكفر والنفاق؟ فقال عليه السلام: «أما بعد فإن الله تبارك وتعالى شرع الإسلام وسهل شرائعه لمن ورده وأعز أركانه لمن حاربه وجعله عزاً لمن تولاه وسلاماً لمن دخله وهدى لمن اتهم به...»^(٣).

وقال عليه السلام: «إن الله عزوجل جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده، صلوا أرحامكم ولو بالسلام يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾^(٤) لا تقطعوا نهاركم بكذا وكذا وفعلنا كذا وكذا»^(٥).

وفي وصايا لقمان: (يا بني ابدأ الناس بالسلام والمصافحة قبل الكلام)^(٦).
وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ليس منكم رجل ولا امرأة إلا وملائكة الله يأتونه بالسلام وأنتم الذين قال الله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾^(٧)»^(٨).

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «البخيل من بخل بالسلام»^(٩).
وعن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن في

(١) سورة التباين: ٨.

(٢) الكافي: ج ١ ص ١٩٤ ح ١.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٩٢ ح ١.

(٤) سورة النساء: ١.

(٥) بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٩٢ ح ١.

(٦) بحار الأنوار: ج ١٣ ص ٤٢٩ ح ٢٣.

(٧) بحار الأنوار: ج ٦٥ ص ٣٦ ح ٧٨.

(٨) سورة الحجر: ٤٧.

(٩) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٣٠٥ ح ٢٧.

الجنة غرماً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، يسكنها من أمّتي من أطاب الكلام وأطعم الطعام وأفشى السلام وصلّى بالليل والناس نيام، ثمّ قال: إفشاء السلام أن لا يبخل بالسلام على أحد من المسلمين»^(١).

وعن النبي ﷺ قال: «إذا قام الرجل من مجلسه فليودّع إخوانه بالسلام، فإن أفاضوا في خير كان شريكهم، وإن أفاضوا في باطل كان عليهم دونه»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بخير أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ قالوا بلى يا رسول الله، فقال ﷺ: إفشاء السلام في العالم»^(٣).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «ما من عمل أفضل يوم النحر من دم مسفوك، أو مشي في برّ الوالدين، أو ذي رحم قاطع يأخذ عليه بالفضل ويبدأه بالسلام أو رجل أطمع من صالح نسكه ودعا إلى بقيتها جيرانه من اليتامى وأهل المسكنة والمملوك وتعاهد الأسراء»^(٤).

وعن الإمام علي عليه السلام قال: إن رسول الله ﷺ قال: «من زار قبري بعد موتي كان كمن هاجر إليّ في حياتي، فمن لم يستطع زيارة قبري فليبعث إليّ بالسلام فإنه يبلغني»^(٥).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا بعدت بأحدكم الشقة ونأت به الدار فليعل أعلى منزل له فيصلّي ركعتين وليؤمّ بالسلام إلى قبورنا فإن ذلك يصير إلينا»^(٦).

وقال رسول الله ﷺ: «أولى الناس بالله وبرسوله من بدأ بالسلام»^(٧).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «يكره للرجل أن يقول حياك الله ثمّ يسكت حتى

(١) بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ٢ ح ٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ٩ ح ٣٦.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ١٢ ح ٥٠.

(٤) بحار الأنوار: ج ٨٨ ص ١٢٧ ح ٢٥.

(٥) بحار الأنوار: ج ٩٦ ص ٣٧٩ ح ١٦.

(٦) بحار الأنوار: ج ٩٨ ص ٣٦٥ ح ١.

(٧) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٤ ح ٣.

يتبعها بالسلام»^(١).

وعن يزيد بن عبد الملك عن أبيه عن جدّه قال: دخلت على فاطمة عليها السلام فبدأتني بالسلام ثمّ قالت عليها السلام: «ما غدا بك؟» قلت: طلب البركة، قالت: «أخبرني أبي عليه السلام وهو ذا هو إنه من سلّم عليه وعليّ ثلاثة أيام أوجب الله له الجنة» قلت لها: في حياته وحياتك؟ قالت عليها السلام: «نعم وبعد موتنا»^(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «من حق العالم أن لا يُكثر عليه السؤال، ولا يعنت في الجواب، ولا يلح عليه إذا كسل، ولا يؤخذ بثوبه إذا نهض، ولا يُشار إليه بيد في حاجة، ولا يفشى له سرّ، ولا يغتاب عنده أحد، ويعظم كما حفظ أمر الله، ولا يجلس المتعلّم إلاّ أمامه، ولا يعرض من طول صحبته، وإذا جاءه طالب علم وغيره فوجده في جماعة عمّهم بالسلام وخصّه بالتحية، وليحفظ شاهداً وغائباً، وليعرف له حقّه، فإنّ العالم أعظم أجراً من الصائم القائم المجاهد في سبيل الله، فإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلثة لا يسدها إلاّ خلف منه، وطالب العلم تستغفر له الملائكة ويدعو له من في السماء والأرض»^(٣).

وعنه عليه السلام قال: «لا يحلّ لأحد يؤمن بالله أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام، يلتقيان فيعرض هذا عن وجه هذا، وهذا عن وجه هذا، فخيرهما الذي يبدأ بالسلام»^(٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا استأذن أحدكم فليبدأ بالسلام فإنّه اسم من أسماء الله عزوجل، فليستأذن من وراء الباب قبل أن ينظر إلى قعر البيت فإنما أمرتم بالاستئذان من أجل العين والاستئذان ثلاث مرات فإن قيل أدخل فليدخل وإن قيل ارجع فليرجع، أولهن يسمع أهل البيت والثانية يأخذ أهل البيت حذرهم والثالثة يختار أهل البيت إن شاءوا وأذنوا وإن شاءوا لم يأذنوا فليرجع، كان رسول الله عليه وآله إذا أتى

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٦ ح ١٥٠.

(٢) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٩ ح ١١.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٥٢ ح ١٠١٧٤.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٩٨ ح ١٠٣٣٣.

باب قوم لم ينصرف حتى يؤذن بالسلام ثلاث مرات»^(١).

وعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «صلوا أرحامكم بالدنيا بالسلام»^(٢).

وعن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام: «من أخلاق المؤمن الإنفاق على قدر الإقتار والتوسّع على قدر التوسّع، وإنصاف الناس، وابتداؤه إياهم بالسلام عليهم»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «يا أنس أسبغ الوضوء تمرّ على الصراط مرّ السحاب، أفش السلام يكثر خير بيتك، أكثر من صدقة السرّ فإنّها تطفئ غضب الربّ»^(٤).

وعن رسول الله ﷺ أن أعرابياً سأله، فقال: يا رسول الله علمني عملاً أدخل به الجنة، قال ﷺ: «أطعم الطعام وأفش السلام وصلّ والناس نيام»^(٥).

إلى غيرها من الروايات الكثيرة والتي تحث على السلم والسلام بالمعنى الأخص والأعم.

(١) مستدرك الوسائل: ج ١٤ ص ٢٨٤ ح ١٦٧٢٩.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ١٥ ص ٢٥٥ ح ١٨١٥٥.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ١٩٢ ح ٢٠٢٥١.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٤٨٩ ح ١٢٩٣.

(٥) مستدرك الوسائل: ج ١٦ ص ٢٤٤ ح ١٩٧٣٩.

فصل: روايات اللاعنف

من نتائج الرفق والعنف

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «من رفق بمصاحبه وافقه، ومن أعنف به أخرجه وفارقه»^(١).

إن الله يحب الرفق

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله عزوجل رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»^(٢).

إياك والعنف

قال الصادق عليه السلام: «اغسله برفق وإياك والعنف»^(٣).

اللاعنف أكثر ثوابا

عن حنان بن سدير قال: كنت أنا وأبي وأبو حمزة الشمالي وعبد الرحيم القصير وزيد الأحلام حجاجاً فدخلنا على أبي جعفر عليه السلام فرأى زياداً وقد تسلخ جلده، فقال عليه السلام له: «من أين أحرمت؟».

قال: من الكوفة.

قال عليه السلام: «ولم أحرمت من الكوفة؟».

فقال: بلغني عن بعضكم أنه قال: ما بعد من الإحرام فهو أعظم للأجر.

فقال عليه السلام: «ما بلغك هذا إلا كذاب».

ثم قال عليه السلام لأبي حمزة الشمالي: «من أين أحرمت؟».

فقال: من الريذة.

فقال عليه السلام له: «ولم لأنك سمعت أن قبر أبي ذر بها فأحبت أن لا تجوزه».

ثم قال عليه السلام لأبي عبد الرحيم: «من أين أحرمتما؟».

فقالا: من العقيق.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٣٦ ق ٦ ب ٣ ف ٣ بعض آداب المعاشرة ح ٩٩٩٨.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١١٩ باب الرفق ح ٥.

(٣) الكافي: ج ٣ ص ١٤٠ باب غسل الميت ح ٤.

فقال عليه السلام: «أصبتما الرخصة واتبعتما السنة ولا يعرض لي بابان كلاهما حلال إلا أخذت باليسير وذلك لأن الله يسير يحب اليسير ويعطي على اليسير ما لا يعطي على العنف»^(١).

لا يخالطه العنف

عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «قال لقمان: يا بني أخلص طاعة الله حتى لا تخالطها بشيء من المعاصي، ثم زين الطاعة بإتباع أهل الحق فإن طاعتهم متصلة بطاعة الله تعالى، وزين ذلك بالعلم، وحصن علمك بحلم لا يخالطه حرق، واخزنه بلين لا يخالطه جهل، وشده بحزم لا يخالطه الضياع، وامزج حزم برفق لا يخالطه العنف»^(٢).

العنف عدو

في الحديث أنه وجد في التوراة: «عدو الصدق الكذب، وعدو الصبر الجزع، وعدو الرفق العنف، ... فإذا استقام اللين تكرم من الخفة والعجلة واطردت الحدة وظهر الوقار والعفاف وعرفت السكينة ... وإذا ترك الرفق ظهر الغش وجاءت الفظاظة واشتدت الغلظة وكثر الغشم وترك العدل وفشا المنكر وترك المعروف وظهر السفه ورفض الحلم وذهب العقل وترك العلم وفترا العمل ومات الدين وضعف الصبر وغلب الورع ووهن الصدق وبطل تعبد أهل الإيمان»^(٣).

أبغض الأعمال العنف

قال رسول الله ﷺ: «ما من عمل أحب إلى الله تعالى وإلى رسوله من الإيمان بالله والرفق بعباده، وما من عمل أبغض إلى الله تعالى من الإشراف بالله تعالى والعنف على عباده»^(٤).

من لا يثيره العنف

في عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى الأشر: «فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله

(١) الإستبصار: ج ٢ ص ١٦٢ ب ٩٣ ح ٥.

(٢) القصص للراوندي: ص ١٩٦ ب ١٠ ف ٦ ح ٢٤٦.

(٣) علل الشرائع: ج ١ ص ١١٢ ب ٩٦ ح ٩.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٥٤ ب ٤٢ ضمن ح ١٩.

ولرسوله ولإمامك وأنقاهم جييا وأفضلهم حلماً، ممن يبطئ عن الغضب ويستريح إلى العذر ويرأف بالضعفاء وينبو على الأقوياء وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف»^(١).

بنو أمية والعنف

قال الصادق عليه السلام: «أما علمت أن إمارة بني أمية كانت بالسيف والعنف والجور، وأن إمامتنا بالرفق والتألف والوقار والتقوية وحسن الخلطة والورع والاجتهاد فرغبوا الناس في دينكم وفي ما أنتم فيه»^(٢).

اللاعنف وعدم دخول النار

عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «حرمت النار على الهين اللين السهل القريب»^(٣).
من صفات المؤمن

عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «المؤمنون هينون لينون»^(٤).

بين العنف والرفق

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يجتمع العنف والرفق»^(٥).

العنف سخافة

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «رأس السخف العنف»^(٦).

راكب العنف

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «راكب العنف يتعذر عليه مطلبه»^(٧).

العنف والندم

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من ركب العنف ندم»^(٨).

لا تعنفوا

(١) نهج البلاغة: الرسائل ٥٣ ومن كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ١٦٥ ب ١٤ ح ٢١٢٤٨.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦٤ ص ٣٥٧ ب ١٤ ضمن ح ٥٩.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦٤ ص ٣٥٦ ب ١٤ ح ٥٩.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٤ ق ٣ ب ٢ ف ٢ فضيلة الرفق ح ٤٩٧٢.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٦٥ ق ٣ ب ٢ ف ٣ الخرق ح ٥٧٣١.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٦٥ ق ٣ ب ٢ ف ٣ الخرق ح ٥٧٣٣.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٠٣ ق ٣ ب ٣ ف ٥ آثار أخرى للغضب ح ٦٩٠٠.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «علموا ولا تعنفوا فإن المعلم العالم خير من المعنف»^(١).
العنف سياسة الطغاة

ورد في قصة أبي ذر أنه: كتب عثمان إلى معاوية أن احمل أبا ذر على ناب صعبة وقتب، ثم ابعث معه من ينجش به نجشا عنيفا حتى يقدم به علي، قال: فحمله معاوية على ناقة صعبة عليها قتب ما على القتب إلا مسح، ثم بعث معه من يسيره سيرا عنيفا، وخرجت معه فما لبث الشيخ إلا قليلا حتى سقط ما يلي القتب من لحم فخذيته وقرح، فكننا إذا كان الليل أخذت ملائي فألقيتهما تحته، فإذا كان السحر نزعتهما مخافة أن يروني فيمنعوني من ذلك^(٢).

العنف لا ينفع

عن الصادق عليه السلام قال: «إن عيسى عليه السلام لما أراد وداع أصحابه جمعهم وأمرهم بضعفاء الخلق ونهاهم عن الجبابة، فوجه اثنين إلى أنطاكية فدخلوا في يوم عيد لهم فوجداهم قد كشفوا عن الأصنام وهم يعبدونها فعجلا عليهم بالتعنيف فشدا بالحديد وطرحا في السجن، فلما علم شمعون بذلك أتى أنطاكية حتى دخل عليهما في السجن وقال: ألم أنهكما عن الجبابة، ثم خرج من عندهما وجلس مع الناس مع الضعفاء، فأقبل فطرح كلامه الشيء بعد الشيء فأقبل الضعيف يدفع كلامه إلى من هو أقوى منه وأخفوا كلامه خفاء شديدا، فلم يزل يتراعى الكلام حتى انتهى إلى الملك، فقال: منذ متى هذا الرجل في مملكتي؟

فقالوا: منذ شهرين.

فقال: علي به، فأتوه فلما نظر إليه وقعت عليه محبته فقال: لا أجلس إلا وهو معي. فرأى في منامه شيئا أفرعه فسأل شمعون عنه، فأجاب بجواب حسن فرح به، ثم ألقى عليه في المنام ما أهاله فأولها له بما ازداد به سرورا، فلم يزل يحادثه حتى استولى عليه، ثم قال: إن في حبسك رجلين عابا عليك؟

قال: نعم.

(١) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ١٧٧ ب ٧ ضمن ح ٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣١ ص ٢٧٤-٢٧٥ ب ٢٥ نكير أبي ذر.

قال: فعلي بهما.

فلما أتى بهما قال: ما إلهكما الذي تعبدان؟

قالا: الله.

قال: يسمعكما إذا سألتماه، ويجيبكما إذا دعوتماه.

قالا: نعم.

قال شمعون: فأنا أريد أن أستبرئ ذلك منكما.

قالا: قل.

قال: هل يشفي لكما الأبرص.

قالا: نعم.

قال: فأتي بأبرص فقال: سلاه أن يشفي هذا.

قال: فمسحاه فبرأ.

قال: وأنا أفعل مثل ما فعلتما.

قال: فأتي بأخر فمسحه شمعون فبرأ.

قال: بقيت خصلة إن أجبتماني إليها آمنت بإلهكما.

قالا: وما هي؟

قال: ميت تحييانه.

قالا: نعم.

فأقبل على الملك وقال: ميت يعينك أمره؟

قال: نعم ابني.

قال: اذهب بنا إلى قبره فإنهما قد أمكننا من أنفسهما.

فتوجهوا إلى قبره فبسطا أيديهما، فبسط شمعون يديه فما كان بأسرع من أن

صدع القبر وقام الفتى فأقبل على أبيه، فقال أبوه: ما حالك؟

قال: كنت ميتا ففرغت فزرعة فإذا ثلاثة قيام بين يدي الله باسطوا أيديهم يدعون

الله أن يحييني وهما هذان وهذا.

فقال شمعون: أنا لإلهكما من المؤمنين.

فقال الملك: أنا بالذي آمنت به يا شمعون من المؤمنين.

وقال وزراء الملك: ونحن بالذي آمن به سيدنا من المؤمنين.

فلم يزل الضعيف يتبع القوي فلم يبق بأنطاكية أحد إلا آمن به»^(١).

من عامل بالعنف

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من عامل بالعنف ندم»^(٢).

اللاعنف من صفات الله

في الدعاء المروي عن النبي ﷺ: «اللهم إنك حي لا تموت وصادق لا

تكذب... ورفيق لا تعنف وحليم لا تعجل»^(٣).

اللاعنف من صفات المؤمن

في الحديث الشريف: «المؤمن إذا وعظ لم يعنف وإذا وعظ لم يأنف»^(٤).

وفي خطبة همام وصف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المؤمن بهذه الصفات:

قال: «يا همام المؤمن هو الكيس الفطن، بشره في وجهه، وحزنه في قلبه، أوسع شيء صدرًا، وأذل شيء نفسًا، زاجر عن كل فانٍ، حاض على كل حسن، لا حقوق ولا حسود، ولا وثاب ولا سباب، ولا عيَاب ولا مغتاب، يكره الرفعة، ويشنأ السمعة، طويل الغم، بعيد الهم، كثير الصمت، وقور ذكور، صبور شكور، مغموم بفكره، مسرور بفقره، سهل الخليفة، لين العريكة، رصين الوفاء، قليل الأذى، لا متأفك ولا متهتك، إن ضحك لم يخرق، وإن غضب لم ينزق، ضحكه تبسم، واستفهامة تعلم، ومراجعته تفهم، كثير علمه، عظيم حلمه، كثير الرحمة، لا ييخل ولا يعجل، ولا يضرجر ولا ييطر، ولا يحيف في حكمه ولا يجور في علمه، نفسه أصلب من الصلد، ومكادحته أحلى من الشهد، لا جشع ولا هلع، ولا عنف ولا صلف، ولا متكلف ولا متعمق، جميل المنازعة، كريم المراجعة، عدل إن غضب،

(١) القصص للراوندي: ص ٢٧٤-٢٧٥ ب ١٨ ف ٧ ح ٣٣٢.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٥٨ ق ٦ ب ٥ ف ١ بعض آثار الظلم ح ١٠٤٧٣.

(٣) البلد الأمين: ص ٣٣٢ دعاء عظيم مروي عن النبي ﷺ.

(٤) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ٣٤.

رفيق إن طلب، لا يتهور ولا يتهتك ولا يتجبر خالص الود...» الخُطبة^(١).

اللاعنف حتى مع الحيوان

قال أبو عبد الله عليه السلام: «بعث أمير المؤمنين عليه السلام مصداقاً من الكوفة إلى باديتها فقال له: يا عبد الله انطلق وعليك بتقوى الله وحده لا شريك له، ولا تؤثرن دنياك على آخرتك، وكن حافظاً لما ائتمنتك عليه، راعياً لحق الله فيه، حتى تأتي نادي بني فلان، فإذا قدمت فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم امض إليهم بسكينة ووقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم، ثم قل لهم: يا عباد الله أرسلني إليكم ولي الله لآخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدون إلى وليه؟ فإن قال لك قائل: لا، فلا تراجع، وإن أنعم لك منعم منهم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو تعده إلا خيراً، فإذا أتيت ماله فلا تدخله إلا بإذنه فإن أكثره له، فقل: يا عبد الله أتأذن لي في دخول مالك، فإن أذن لك فلا تدخله دخول متسلط عليه فيه ولا عنف به، فاصدع المال صدعين ثم خيره أي الصدعين شاء، فأيهما اختار فلا تعرض له، ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره فأيهما اختار فلا تعرض له، ولا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله تبارك وتعالى من ماله، فإذا بقي ذلك فاقبض حق الله منه، وإن استفالك فأقله، ثم اخلطها واصنع مثل الذي صنعت أولاً حتى تأخذ حق الله في ماله، فإذا قبضته فلا توكل به إلا ناصحاً شفيقاً أميناً حفيظاً غير معنف بشيء منها، ثم احذر كل ما اجتمع عندك من كل ناد إلينا نصيره حيث أمر الله عز وجل، فإذا انحدر بها رسولك فأوعز إليه أن لا يحول بين ناقة وبين فصيلها ولا يفرق بينهما، ولا يمصرن لبنها فيضر ذلك بفصيلها، ولا يجهد بها ركوباً، وليعدل بينهما في ذلك، وليوردن كل ماء يمر به، ولا يعدل بهن عن نبت الأرض إلى جواد الطريق في الساعة التي فيها تريح وتغبق، وليرفق بهن جهده حتى يأتينا بإذن الله صحاحاً سماناً، غير متعبات ولا مجهدات، فيقسمن بإذن الله على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ على أولياء الله، فإن ذلك أعظم لأجرِك وأقرب لرشدك، ينظر الله إليها وإليك وإلى جهدك ونصيحتك لمن بعثك

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٢٦-٢٢٨ باب المؤمن وعلاماته وصفاته ح ١.

وبعثت في حاجته، فإن رسول الله ﷺ قال: ما ينظر الله إلى ولي له يجهد نفسه بالطاعة والنصيحة له ولإمامه إلا كان معنا في الرفيق الأعلى». قال: ثم بكى أبو عبد الله ﷺ ثم قال: «يا بريد لا والله ما بقيت لله حرمة إلا انتهكت ولا عمل بكتاب الله ولا سنة نبيه في هذا العالم ولا أقيم في هذا الخلق حد منذ قبض الله أمير المؤمنين ﷺ ولا عمل بشيء من الحق إلى يوم الناس هذا، ثم قال: أما والله لا تذهب الأيام والليالي حتى يحبي الله الموتى ويميت الأحياء ويرد الله الحق إلى أهله ويقيم دينه الذي ارتضاه لنفسه ونبيه فأبشروا ثم أبشروا ثم أبشروا فو الله ما الحق إلا في أيديكم»^(١).

وقال الإمام الصادق ﷺ: «واعلم أن من عنف بخيله كدح فيه بأكثر من كدحها في عدوه ومن صحب خيله بالصبر والرفق كان قَمِيناً أن يبلغ بها إرادته وتنفذ فيها مكايده»^(٢).

وعن الصادق ﷺ في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾^(٣) قال ﷺ: «تعظيم البدن جودتها»، ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(٤) قال ﷺ: «البدن يركبها المحرم من موضعه الذي يحرم فيه غير مضر بها ولا معنّف عليها وإن كان لها لبن يشرب من لبنها إلى يوم النحر»^(٥).

وعن أبي الصباح الكناني عن أبي عبد الله ﷺ في قول الله عز وجل: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(٦)، قال ﷺ: «إن احتاج إلى ظهرها ركبها من غير أن يعنف عليها وإن كان لها لبن حلبها حلاباً لا ينهكها»^(٧).

(١) الكافي: ج ٣ ص ٥٣٦ باب أدب المصدق ح ١.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ١٨٨ ب ٢ ح ١٣٨٤٤.

(٣) سورة الحج: ٣٢.

(٤) سورة الحج: ٣٣.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١٠ ص ١٠٣-١٠٤ ب ٢٩ ح ١١٥٨٤.

(٦) سورة الحج: ٣٣.

(٧) الكافي: ج ٤ ص ٤٩٢ باب الهدى ينتج أو ي حلب أو يركب ح ١.

وعن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام أنه قال: «يرفق بالذبيحة ولا يعنف بها قبل الذبح ولا بعده وكره أن يضرب عرقوب الشاة بالسكين»^(١).

وقال أبو زر: (تقول الدابة: اللهم ارزقني ملك صدق يرفق بي ويحسن إلي ويطعمني ويسقيني ولا يعنف علي)^(٢).

لين بلا عنف

قال الصادق عليه السلام: «واعلم أن خلاصك مما بك من حقن الدماء، وكف الأذى عن أولياء الله، والرفق بالرعية، والتأني، وحسن المعاشرة مع لين في غير ضعف وشدة في غير عنف، ومداراة صاحبك ومن يرد عليك من رسله، وارتق فتق رعيتك بأن توقفهم على ما وافق الحق والعدل إن شاء الله»^(٣).

العالم العنيف في النار

قال أبو عبد الله عليه السلام: «إن من العلماء من يجب أن يخزن علمه ولا يؤخذ عنه، فذاك في الدرك الأول من النار، ومن العلماء من إذا وعظ أنف وإذا وعظ عنف فذاك في الدرك الثاني من النار...»^(٤).

وفي حديث: «فهو في الدرك السابع من النار»^(٥).

اللاعنف من شروط الخلافة

روي: «لا يصلح أن يلي هذا الأمر - أي الخلافة - إلا حصيف العقدة، قليل الغرة، الشديد في غير عنف... وهذا الأمر لا يصلح له إلا اللين من غير ضعف والقوي من غير عنف واللين من غير ضعف الجواد في غير سرف، البخيل في غير كف»^(٦).

اللاعنف من صفات بني هاشم

قال معاوية لعقيل: إن فيكم يا بني هاشم للينا، قال: أجل إن فينا للينا من غير

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٦ ص ١٣٢ ب ٢ ح ١٩٣٧١.

(٢) المحاسن: ج ٢ ص ٦٢٦ ب ١٢ ح ٩٠.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٢٠٨ ب ٤٩ ح ٢٢٣٥٤.

(٤) الخصال: ج ٢ ص ٣٥٢ سبعة من العلماء في النار ح ٣٣.

(٥) أعلام الدين: ص ٢٧٣ فصل من كلام سيدنا رسول الله ﷺ.

(٦) بحار الأنوار: ج ٣١ ص ٣٩٠ ب ٢٦ إيضاح.

ضعف، وعزاً من غير عنف، وإن لينكم يا معاوية غدر، وسلمكم كفر^(١).
لا تكن عنيفاً

قال عليه السلام: «كن لنا من غير ضعف شديداً من غير عنف»^(٢).
وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَذَلِكِ الَّذِي يَدْعُ الْبُتَيْمِ﴾^(٣)، «أي يدفعه دفعاً عنيفاً وهو أبو جهل كان وصياً لبيتم فجاءه عرباناً يسأله من مال نفسه فدفعه»^(٤).

العنف في الدين حرام

قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الصدود لأولياي، فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم، فيقال: هؤلاء الذين آذوا المؤمنين و نصبوا لهم وعاندوهم وعنفوهم في دينهم، ثم يؤمر بهم إلى جهنم»^(٥).

لا تعنف بالنسوة

ورد في قصة الهجرة أنه: كتب رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب عليه السلام كتاباً يأمره فيه بالمسير إليه وقلة التلوم، وكان الرسول إليه أبا واقد الليثي، فلما أتاه كتاب رسول الله ﷺ تهيأ للخروج والهجرة، فأذن من كان معه من ضعفاء المؤمنين فأمرهم أن يتسللوا ويتخففوا إذا ملأ الليل بطن كل واد إلى ذي طوى وخرج علي عليه السلام بفاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب، وقد قيل هي ضباغة، وتبعهم أيمن ابن أم أيمن مولى رسول الله ﷺ وأبو واقد رسول رسول الله ﷺ فجعل يسوق بالرواحل فأعنف بهم، فقال علي عليه السلام: «ارفق بالنسوة أبا واقد إنهن من الضعائف»، قال: إني أخاف أن يدركنا الطالب - أو قال - الطلب، فقال علي عليه السلام: «أربع عليك فإن رسول الله ﷺ قال لي: يا علي إنهم لن يصلوا من الآن إليك بأمر تكرهه»، ثم جعل يعني علياً عليه السلام

(١) بحار الأنوار: ج ٣٤ ص ٢٩٢ ب ٣٤.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٥ ق ٦ ب ٤ ف ٤ مدح المداراة ح ١٠١٧٠.

(٣) سورة الماعون: ٢.

(٤) بحار الأنوار: ج ٩ ص ١٧١ ب ١.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٣٥١ باب من آذى المسلمين واحتقرهم ح ٢.

يسوق بهن سوقاً رفيقاً^(١).

العنف أقرب إلى الكفر

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن أقرب ما يكون العبد إلى الكفر أن يؤاخي الرجلُ الرجلَ على الدين فيحصى عليه عثراته وزلاته ليعنفه بها يوماً ما»^(٢).

العاقل لا يعنف

في الغرر عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ينبغي للعاقل إذا علم أن لا يعنف وإذا علم أن لا يأنف»^(٣).

وفي الغرر عنه عليه السلام: «العاقل لا يفرط به عنف ولا يقعد به ضعف»^(٤).

العالم لا يعنف

قال الإمام الصادق عليه السلام: «على العالم إذا علم أن لا يعنف وإذا علم أن لا يأنف»^(٥).

إلى غيرها من الروايات التي تدل على ضرورة نبذ العنف، وتحث على التحلي بالسلم والسلام.

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٦٤-٦٥ ب ٦ ح ١٨.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٥٥ باب من طلب عثرات المؤمنين وعوراتهم ح ٣.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤ ق ١ ب ١ ف ٢ طلب العلم ح ١٠٣.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٥٤ ق ١ ب ١ ف ٤ العاقل صفاته وعلاماته ح ٤٦٧.

(٥) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ١ ص ٨٥ باب العتاب.

فصل من مصاديق السلم واللاعنف

- ١ : إكرام المرأة
- ٢ : إكرام الأم
- ٣ : إكرام البنت
- ٤ : إكرام الأخت
- ٥ : إكرام الزوجة
- ٦ : الإحسان
- ٧ : الإخلاص
- ٨ : الألفة
- ٩ : الاتحاد
- ١٠ : التآلف
- ١١ : التعاطف
- ١٢ : التواضع
- ١٣ : الحلم
- ١٤ : الحنان
- ١٥ : الحياء
- ١٦ : الرأفة
- ١٧ : الرحمة
- ١٨ : الرفق
- ١٩ : الرفق بالحيوان
- ٢٠ : السخاء
- ٢١ : الشفقة
- ٢٢ : الشكر

- ٢٣: الصبر
 ٢٤: الصدق
 ٢٥: الصفح
 ٢٦: الصمت
 ٢٧: العدل
 ٢٨: العفو
 ٢٩: الغيرة
 ٣٠: اللين
 ٣١: المداراة
 ٣٢: المشورة
 ٣٣: المصافحة
 ٣٤: المعانقة
 ٣٥: المواساة
 ٣٦: المودة
 ٣٧: الوفاء
 ٣٨: الوقار
 ٣٩: اليسر
 ٤٠: بر الوالدين
 ٤١: حسن التعامل مع الأقليات الدينية
 ٤٢: حسن الجوار
 ٤٣: حسن الخلق
 ٤٤: حسن المعاشرة
 ٤٥: صلة الرحم
 ٤٦: إكرام الأب والأخ
 ٤٧: قضاء الحوائج
 ٤٨: أداء الأمانة
 ٤٩: الإنفاق

٥٠: حب الآخرين

١: إكرام المرأة

مسألة: يستحب إكرام المرأة وهو من مصاديق أو مقومات السلم والسلام بالمعنى الأعم.

عن رسول الله ﷺ قال: «استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان أي أسيرات»^(١).

وعن رسول الله ﷺ: «أنه نهى عن ضرب النساء من غير واجب»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أكثر أهل الجنة من المستضعفين النساء، علم الله عز وجل ضعفهن فرحمهن»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «اتقوا الله في الضعيفين يعني بذلك اليتيم والنساء وإنما هن عورة»^(٤).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «من أخلاق الأنبياء صلى الله عليهم حب النساء»^(٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما أظن رجلاً يزداد في الإيمان خيراً إلا ازداد حباً للنساء»^(٦).

وقال عليه السلام: «ما أظن رجلاً يزداد في هذا الأمر خيراً إلا ازداد حباً للنساء»^(٧).

وقال رسول الله ﷺ: «ما أحب من دنياكم إلا النساء والطيب»^(٨).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أكثر الخير في النساء»^(٩).

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ٢٥١ ب ٦٦ ضمن ح ١٦٦٢١.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ٢٥٠ ب ٦٦ ح ١٦٦٢٠.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٤٦٨ باب النوادر ح ٤٦٢٨.

(٤) الكافي: ج ٥ ص ٥١١ باب حق المرأة على الزوج ح ٣.

(٥) الكافي: ج ٥ ص ٣٢٠ باب حب النساء ح ١.

(٦) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٣٨٤ باب حب النساء ح ٤٣٥١.

(٧) الكافي: ج ٥ ص ٣٢١ باب حب النساء ح ٥.

(٨) الكافي: ج ٥ ص ٣٢١ باب حب النساء ح ٦.

٢: إكرام الأم

مسألة: يستحب إكرام الأم وقد يجب، وهو من مصاديق أو مقومات السلم والسلام بالمعنى الأعم.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله من أبر؟ قال عليه السلام: أمك، قال: ثم من؟ قال عليه السلام: أمك، قال: ثم من؟ قال عليه السلام: أمك، قال: ثم من؟ قال عليه السلام: «أباك»^(١).

وعن زكريا بن إبراهيم قال: كنت نصرانياً فأسلمت وحججت فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: إني كنت على النصرانية وإني أسلمت، فقال عليه السلام: «وأى شيء رأيت في الإسلام؟» قلت: قول الله عزوجل: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ﴾^(٢) فقال عليه السلام: «لقد هدك الله» ثم قال عليه السلام: «اللهم اهده ثلاثاً، سل عما شئت يا بني». فقلت: إن أبي وأمي على النصرانية وأهل بيتي وأمي مكفوفة البصر فأكون معهم وأكل في آنيهم؟ فقال عليه السلام: «يأكلون لحم الخنزير؟». فقلت: لا ولا يمسونه، فقال عليه السلام: «لا بأس فانظر أمك فبرها فإذا ماتت فلا تكلمها إلى غيرك كن أنت الذي تقوم بشأنها ولا تخبرن أحداً أنك أتيتني حتى تأتيني بمنى إن شاء الله».

قال: فأتيته بمنى والناس حوله عليه السلام كأنه معلم صبيان هذا يسأله وهذا يسأله، فلما قدمت الكوفة ألطفت لأمي وكنت أطعمها وأفلي ثوبها ورأسها وأخدمها، فقالت لي: يا بني ما كنت تصنع بي هذا وأنت على ديني فما الذي أرى منك منذ هاجرت فدخلت في الحنيفة؟ فقلت: رجل من ولد نبينا أمرني بهذا. فقالت: هذا الرجل هو نبي؟ فقلت: لا، ولكنه ابن نبي، فقالت: يا بني إن هذا نبي إن هذه وصايا الأنبياء، فقلت: يا أمه إنه ليس يكون بعد نبينا نبي ولكنه ابنه، فقالت: يا بني دينك خير دين

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٠ ص ٢٤ ب ٣ ح ٢٤٩٣٢.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٥٩-١٦٠ باب البر بالوالدين ح ٩.

(٣) سورة الشورى: ٥٢.

اعرضه عليّ، فعرضته عليها فدخلت في الإسلام وعلمتها فصلت الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ثم عرض لها عارض في الليل، فقالت: يا بني أعد عليّ ما علمتني فأعدته عليها فأقرت به وماتت. فلما أصبحت كان المسلمون الذين غسلوها وكنت أنا الذي صلّيت عليها ونزلت في قبرها»^(١).

وعن أبي جعفر عليه السلام في حديث قال: «... لقد كان - أي علي بن الحسين عليه السلام - يأبى أن يؤاكل أمه، فقيل له: يا بن رسول الله أنت أبر الناس وأوصلهم للرحم فكيف لا تؤاكل أمك؟ فقال عليه السلام: إني أكره أن تسبق يدي إلى ما سبقت عينها إليه»^(٢).

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله ما من عمل قبيح إلا قد عملته فهل لي من توبة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فهل من والدك أحد حي؟ قال: أبي، قال صلى الله عليه وآله: فاذهب فبرّه. قال عليه السلام: فلما ولّى، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو كانت أمه»^(٣).

وفي فقه الرضا عليه السلام: «واعلم أن حق الأم ألزم الحقوق وأوجب لأنها حملت حيث لا يحمل أحد أحداً ووقت بالسمع والبصر وجميع الجوارح مسرورة مستبشرة بذلك، فحملته بما فيه من المكروه الذي لا يصبر عليه أحد ورضيت بأن تجوع ويشع، وتظماً ويروى، وتعري ويكتسي، وتظله وتضحى، فليكن الشكر لها والبر والرفق بها على قدر ذلك، وإن كنتم لا تطيقون بأدنى حقها إلا بعون الله»^(٤).

وعن أبي القاسم الكوفي في كتاب الأخلاق قال: قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله: إن والدتي بلغها الكبر وهي عندي الآن، أحملها على ظهري وأطعمها من كسبي وأميط عنها الأذى بيدي وأصرف عنها مع ذلك وجهي استحياء منها وإعظاماً لها فهل كافأتها؟ قال صلى الله عليه وآله: «لا لأن بطنها كان لك وعاء، وثديها كان لك سقاء، وقدمها لك حذاء، ويدها لك وقاء، وحجرها لك حواء، وكانت تصنع ذلك لك وهي تمنى

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٦٠-١٦١ باب البر بالوالدين ح ١١.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٩ ص ٣٩٧-٣٩٨ ب ١٣ ح ١٢٣٢٥.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ١٧٩-١٨٠ ب ٧٠ ح ١٧٩٣٠.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ١٨٠ ب ٧٠ ح ١٧٩٣١.

حياتك وأنت تصنع هذا بها وتحب ملماتها»^(١).

وعن النبي ﷺ أنه قال: «الجنة تحت أقدام الأمهات»^(٢).

وقال ﷺ: «إذا كنت في صلاة التطوع فإن دعائك والدك فلا تقطعها وإن دعتك والدتك فاقطعها»^(٣).

وفي الحديث عنه ﷺ: قيل يا رسول الله ما حق الوالد؟ قال ﷺ: «أن تطيعه ما عاش». فقيل: وما حق الوالدة؟ فقال ﷺ: «هيئات هيئات لو أنه عدد رمل عالج وقطر المطر أيام الدنيا قام بين يديها ما عدل ذلك يوم حملته في بطنها»^(٤).

وروي أن رجلاً قال للنبي ﷺ: يا رسول الله أي الوالدين أعظم؟ قال ﷺ: «التي حملته بين الجنين، وأرضعته بين الثديين، وحضنته على الفخذين، وفدته بالوالدين»^(٥).

٣: إكرام البنت

مسألة: يستحب إكرام البنت وقد يجب، وهو من مصاديق أو مقومات السلم والسلام بالمعنى الأعم.

عن الصادق عليه السلام قال: «البنات حسنات والبنون نعمة، فالحسنات يثاب عليها، والنعم يسأل عنها»^(٦).

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «نعم الولد البنات المخدرات، من كانت عنده واحدة جعلها الله له سترًا من النار، ومن كانت عنده ابنتان أدخله الله بهما الجنة، ومن كن ثلاثاً أو مثلهن من الأخوات وضع عنه الجهاد والصدقة»^(٧).

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ١٨٠ ب ٧٠ ح ١٧٩٣٢.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ١٨٠ ب ٧٠ ح ١٧٩٣٣.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ١٨١ ب ٧٠ ضمن ح ١٧٩٣٣.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ١٨٢ ب ٧٠ ح ١٧٩٣٧.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ١٨٢ ب ٧٠ ضمن ح ١٧٩٣٩.

(٦) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٤٨١ باب فضل الأولاد ح ٤٦٩٢.

(٧) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ١١٦ ب ٣ ح ١٧٧٠٧.

وبشر النبي ﷺ بآبنة فنظر في وجوه أصحابه فرأى الكراهة فيهم فقال ﷺ: «ما لكم ريحانة أشمها ورزقها على الله عز وجل»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «خير أولادكم البنات»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان رسول الله ﷺ أبا بنات»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن أبي إبراهيم عليه السلام سأل ربه أن يرزقه ابنة تبيكه وتندبه بعد موته»^(٤).

وعن عمر بن يزيد قال لأبي عبد الله عليه السلام: إن لي بنات، فقال عليه السلام: «لعلك تتمنى موتهن، أما إنك إن تمنيت موتهن فمتن لم تؤجر ولقيت الله عز وجل يوم تلقاه وأنت عاص»^(٥).

وقال رسول الله ﷺ: «من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة» فقيل: يا رسول الله واثنتين؟ فقال ﷺ: «واثنتين» فقيل: يا رسول الله وواحدة؟ فقال ﷺ: «وواحدة»^(٦).

وعن الحسن بن سعيد اللخمي قال: ولد لرجل من أصحابنا جارية، فدخل على أبي عبد الله عليه السلام فرآه متسخطاً فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «أرأيت لو أن الله تبارك وتعالى أوحى إليك أن أختار لك أو تختار لنفسك ما كنت تقول؟» قال: كنت أقول يا رب تختار لي، قال عليه السلام: «فإن الله قد اختار لك» قال: ثم قال: «إن الغلام الذي قتله العالم الذي كان مع موسى عليه السلام وهو قول الله عز وجل: [فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَوَةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا]^(٧) أبدلهما الله به جارية ولدت سبعين نبياً»

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ١١٧ ب ٤ ح ١٧٧١٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٠١ ص ٩١ ب ٢ ح ٦.

(٣) الكافي: ج ٦ ص ٥ باب فضل البنات ح ٢.

(٤) الكافي: ج ٦ ص ٥ باب فضل البنات ح ٣.

(٥) وسائل الشيعة: ج ٢١ ص ٣٦٦ ب ٦ ح ٢٧٣١٨.

(٦) عدة الداعي: ص ٩٠ ب ٢ ق ٦.

(٧) سورة الكهف: ٨١.

(١)

وقال الصادق عليه السلام: «من عال ابنتين أو أختين أو عمتين أو خاليتين حجبتاه من النار»^(٢).

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من كن له ثلاث بنات فصبر على الأوائهن وضرائهن وسرائهن كن له حجبا يوم القيامة»^(٣).

وعن الصادق عليه السلام أن رجلاً شكاً إليه غمه ببناته، فقال: «الذي ترجوه لتضعيف حسناتك ومحو سيئاتك فارجه لصلاح حال بناتك، أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لما جاوزت سدره المنتهى وبلغت قضبانها وأغصانها رأيت بعض ثمار قضبانها أثماره معلقة يقطر من بعضها اللبن ومن بعضها العسل ومن بعضها الدهن ومن بعضها شبه دقيق السميد ومن بعضها الثياب ومن بعضها كالنبق فيهوي ذلك كله نحو الأرض فقلت في نفسي: أين مقر هذه الخارجات؟ فناداني ربي: يا محمد هذه أنبتها من هذا المكان لأغذو منها بنات المؤمنين من أمتك وبنيتهم فقل لأباء البنات: لا تضيقن صدوركم على بناتكم فإنني كما خلقتهن أرزقهن»^(٤).

وقال الصادق عليه السلام: «إذا أصاب الرجل ابنة بعث الله إليها ملكاً فأمر جناحه على رأسها وصدرها». وقال عليه السلام: «ضعيفة خلقت من ضعف، المنفق عليها معان»^(٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن نكاح الشغار وهي المماخة وهو أن يقول الرجل للرجل: زوجني ابنتك حتى أزوجك ابنتي على أن لا مهر بينهما»^(٦).

٤: إكرام الأخت

- (١) الكافي: ج ٦ ص ٦-٧ باب فضل البنات ح ١١.
 (٢) الخصال: ج ١ ص ٣٧ ثواب من عال ابنتين ح ١٤.
 (٣) بحار الأنوار: ج ١٠١ ص ١٠٢ ب ٢ ح ٩١.
 (٤) وسائل الشيعة: ج ٢١ ص ٣٦٥-٣٦٦ ب ٥ ح ٢٧٣١٧.
 (٥) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٤٨٢ باب فضل الأولاد ح ٤٧٠٠.
 (٦) الكافي: ج ٥ ص ٣٦١ باب نكاح الشغار ح ٣.

مسألة: يستحب إكرام الأخت وهو من مصاديق أو مقومات السلم والسلام بالمعنى الأعم.

قال رسول الله ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى ابدأ بمن تعول أمك وأباك وأختك وأخاك وأدناك فأدناك»^(١).

وعن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: «أن رسول الله ﷺ قال: إنما سمي الأبرار أبراراً لأنهم بروا الآباء والأبناء والإخوان»^(٢).

وروي أن رسول الله ﷺ قال لسراقة بن مالك بن جعشم: «يا سراقة بن مالك ألا أدلك على أفضل الصدقة؟» قال: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قال ﷺ: «أفضل الصدقة على أختك وابنتك مردودة عليك ليس لهما كاسب غيرك»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة» فقيل: يا رسول الله واثنتين؟ فقال ﷺ: «واثنتين» فقيل: يا رسول الله وواحدة؟ فقال ﷺ: «وواحدة»^(٤).

وقال الصادق عليه السلام: «من عال ابنتين أو أختين أو عمتين أو خاليتين حجبتاه من النار»^(٥).

وقال الصادق عليه السلام: «سبى رسول الله ﷺ أربعة آلاف رأس واثنتي عشرة ألف ناقة سوى ما لا يعلم من الغنائم وخلف رسول الله ﷺ الأنفال في الجعرانة وافترق المشركون فرقتين فأخذت الأعراب أوطاس وثقيف الطائف وبعث إلى أوطاس من فتح عليه وسار إلى الطائف فحاصرهم بضعة عشر يوماً ثم انصرف عنهم ثم جاءه وفداهم في شهر رمضان فأسلموا ثم رجع رسول الله ﷺ إلى الجعرانة وقسم الغنائم، وكان فيمن سبى أخته بنت حليمة فلما قامت على رأسه قال: يا محمد أختك شيما بنت

(١) مستدرک الوسائل: ج ٧ ص ١٩٤ ب ١٨ ح ٨٠١١.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٢٩٦ ب ٣ ح ٢١٥٨٨.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٧ ص ١٩٤ ب ١٨ ح ٨٠٠٨.

(٤) عدة الداعي: ص ٩٠ ب ٢ ق ٦.

(٥) الخصال: ج ١ ص ٣٧ ثواب من عال ابنتين ح ١٤.

حليمة، فنزع رسول الله ﷺ برده وبسطها لها فأجلسها عليها ثم أكب عليها يسألها، وأدرك وفد هوازن رسول الله ﷺ بالجعرانة وقد أسلموا، فقال رسول الله ﷺ: من أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ست فرائض من أول فيء نصيبه فردوا إلى الناس نساءهم وأولادهم، وكلمته أخته في مالك بن عوف فقال ﷺ: إن جاءني فهو آمن، فأتاه فرد عليه ماله وأعطاه مائة من الإبل»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام في رجل يريد أن يزوج أخته قال: «يؤامرهما فإن سكتت فهو إقرارها وإن أبت لم يزوجها، وإن قالت: زوجني فلاناً، فليزوجها ممن ترضى»^(٢).

٥: إكرام الزوجة

مسألة: يستحب إكرام الزوجة وهو من مصاديق أو مقومات السلم والسلام بالمعنى الأعم.

قال رسول الله ﷺ في حديث: «ومن اتخذ زوجة فليكرمها»^(٣).

وعن أبي جعفر عليه السلام: «إن أكرمكم أشدكم إكراماً لحلائلهم»^(٤).

وعن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما حق المرأة على زوجها الذي إذا فعله كان محسناً؟ قال عليه السلام: «يشبعها ويكسوها وإن جهلت غفر لها». وقال أبو عبد الله عليه السلام: «كانت امرأة عند أبي عبد الله عليه السلام تؤذيه فيغفر لها»^(٥).

وقال رسول الله ﷺ: «أوصاني جبرئيل عليه السلام بالمرأة حتى ظننت أنه لا ينبغي طلاقها إلا من فاحشة مبينة»^(٦).

(١) القصص للراوندي: ص ٣٥١ ب ٢٠ ف ١٠ ح ٤٢٦.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٣٩٣ باب استئثار البكر ح ٣.

(٣) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ١٥٨ ف ١ ح ٥٦٠.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٥٠٦ باب طلاق التي لم يدخل بها ح ٤٧٧٤.

(٥) وسائل الشيعة: ج ٢٠ ص ١٦٩ ب ٨٨ ح ٢٥٣٣٠.

(٦) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٤٤٠ باب حق المرأة على الزوج ح ٤٥٢٥.

وقال رسول الله ﷺ: «إنما المرأة لعبة من اتخذها فلا يضيعها»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «في رسالة أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحسن عليه السلام: لا تملك المرأة من الأمر ما يجاوز نفسها فإن ذلك أنعم لحالها وأرخص لبالها وأدوم لجمالها، فإن المرأة ربحانة وليست بقهرمانة، ولا تعد بكرامتها نفسها واغضض بصرها بسترک واكفها بجبابك ولا تطمعها أن تشفع لغيرها فيميل عليك من شفعت له عليك معها، واستبق من نفسك بقية فإن إمساكك نفسك عنهن وهن يرين أنك ذو اقتدار خير من أن يرين منك حالا على انكسار»^(٢).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إن إبراهيم عليه السلام شكا إلى الله عز وجل ما يلقي من سوء خلق سارة فأوحى الله تعالى إليه إنما مثل المرأة مثل الضلع المعوج إن أقمته كسرتة وإن تركته استمعت به اصبر عليها»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «ألا خيركم خيركم لنسائه، وأنا خيركم لنسائي»^(٤).

وعن النبي ﷺ قال: «إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم»^(٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أتى رسول الله ﷺ في ليلة ثلاثون امرأة كلهن تشكو زوجها، فقال رسول الله ﷺ: أما إن أولئك ليسوا من خياركم»^(٦).

وعن النبي ﷺ أنه قال: «إني أتعجب ممن يضرب امرأته وهو بالضرب أولى منها، لا تضربوا نساءكم بالخشب فإن فيه القصاص ولكن اضربوهن بالجوع والعري حتى ترحوا في الدنيا والآخرة»^(٧).

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «فأي رجل لطم امرأته لطمه أمر الله عز وجل

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٠ ص ١٦٧ ب ٨٦ ح ٢٥٣٢٤.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٥١٠ باب إكرام الزوجة ح ٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٢ ص ١١٦ ب ٥٠ ح ٥٠.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٢٠ ص ١٧١ ب ٨٨ ح ٢٥٣٤٠.

(٥) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٨٩ ب ٩٢ ح ٤٧.

(٦) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ٢٤٨ ب ٦٣ ح ١٦٦١١.

(٧) جامع الأخبار: ص ١٥٨ ف ١٢١.

مالكاً خازن النيران فيلطمه على حر وجهه سبعين لكمة في نار جهنم، وأي رجل منكم وضع يده على شعر امرأة مسلمة سمر كفه بمسامير من نار»^(١) الخبر.

وعن النبي ﷺ قال: «أما رجل ضرب امرأته فوق ثلاث أقامه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق فيفضحه فضيحة ينظر إليه الأولون والآخرون»^(٢).

وعنه ﷺ قال: «ما زال جبرئيل يوصيني في أمر النساء حتى ظننت أنه سيحرم طلاقهن»^(٣).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: «إن النساء عند الرجال لا يملكن لأنفسهن ضراً ولا نفعاً وإنهن أمانة الله عندكم فلا تضاروهن ولا تعضلوهن»^(٤).

وعن عبد الله بن محبوب عن رجل قال: .. فقالت الحولاء: يا رسول الله صلى الله عليك هذا كله للرجل؟ قال: «نعم». قالت: فما للنساء على الرجال؟ قال رسول الله ﷺ: «أخبرني أخي جبرئيل ولم يزل يوصيني بالنساء حتى ظننت أن لا يحل لزوجها أن يقول لها أف، يا محمد اتقوا الله عزوجل في النساء فإنهن عوان بين أيديكم أخذتموهن على أمانات الله عزوجل ما استحلتتم من فروجهن بكلمة الله وكتابه من فريضة وسنة وشريعة محمد بن عبد الله ﷺ فإن لهن عليكم حقا واجبا لما استحلتتم من أجسامهن وبما واصلتم من أبدانهن ويحملن أولادكم في أحشائهن حتى أخذهن الطلق من ذلك، فأشفقوا عليهن وطيبوا قلوبهن حتى يقفن معكم، ولا تكرهوا النساء ولا تسخطوا بهن ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا برضاهن وإذنهن»^(٥) الخبر.

وروي أن امرأة معاذ قالت: يا رسول الله ما حق الزوجة على زوجها؟ قال ﷺ: «أن لا يضرب وجهها ولا يقبحها وأن يطعمها مما يأكل ويلبسها مما يلبس

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ٢٥٠ ب ٦٦ ح ١٦٦١٩.

(٢) غوالي اللآلي: ج ١ ص ٢٥٤ ف ١٠ ح ١٣.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ٢٥٠ ب ٦٦ ضمن ح ١٦٦٢١.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ٢٥١ ب ٦٦ ح ١٦٦٢٢.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ٢٥٢-٢٥٣ ب ٦٨ ح ١٦٦٢٧.

ولا يهجرها»^(١).

وقال علي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾^(٢) «أعطوهن الصداق الذي استحللتم به فروجهن فمن ظلم المرأة صداقها الذي استحل به فرجها فقد استباح فرجها زنى»^(٣).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لا يكون تزويج بغير مهر»^(٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسره إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها ومالها»^(٥).

وعنه عليه السلام: «من سعادة المرء زوجة صالحة»^(٦).

وقال الصادق عليه السلام: «رحم الله عبدا أحسن فيما بينه وبين زوجته، فإن الله عزوجل قد ملكه ناصيتها وجعله القيم عليها»^(٧).

٦: الإحسان

مسألة: الإحسان مستحب، وهو من مصاديق أو مقومات السلم والسلام بالمعنى الأعم.

عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: «آية في كتاب الله مسجلة». قلت: ما هي؟ قال عليه السلام: «﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾»^(٨) جرت في المؤمن والكافر والبر والفاجر، من صنع إليه معروف فعليه أن يكافئ به وليست المكافأة أن يصنع كما صنع

(١) غوالي اللآلي: ج ٢ ص ١٤٢ ب ١ المسلك الرابع ح ٣٩٦.

(٢) سورة النساء: ٤.

(٣) نواذر الراوندي: ص ٣٧.

(٤) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٢٢٢ ف ٦ ح ٨٢٩.

(٥) الكافي: ج ٥ ص ٣٢٧ باب من وفق له الزوجة الصالحة ح ١.

(٦) الكافي: ج ٥ ص ٣٢٧ باب من وفق له الزوجة الصالحة ح ٤.

(٧) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٤٤٣ باب حق المرأة على الزوج ح ٤٥٣٧.

(٨) سورة الرحمن: ٦٠.

به بل يرى مع فعله لذلك أن له الفضل المبتدأ»^(١).

وقال الصادق عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(٢):
«معناه من اصطنع إلى آخر معروفاً فعلية أن يكافئه عنه» ثم قال الصادق عليه السلام:
«وليست المكافأة أن تصنع كما يصنع حتى توفي عليه فإنه من صنع كما صنع إليه كان
للأول الفضل عليه بالابتداء»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «اعرفوا الله بالله والرسول بالرسالة وأولي الأمر
بالمعروف والعدل والإحسان»^(٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبته: «ألا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة! العفو
عمن ظلمك، وتصل من قطعك، والإحسان إلى من أساء إليك، وإعطاء من
حرمك»^(٥).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لمحمد بن الحنفية قال: «لا يكونن أخوك على
قطيعتك أقوى منك على صلته، ولا على الإساءة إليك أقدر منك على الإحسان
إليه»^(٦).

وقال الإمام علي عليه السلام: «إطعام الأسير والإحسان إليه حق واجب وإن قتلت من
الغد»^(٧).

وقال الإمام علي عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(٨)
«العدل الإنصاف والإحسان التفضل»^(٩).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ثلاث من الذنوب تعجل عقوبتها ولا تؤخر إلى الآخرة:

(١) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٣٠٦-٣٠٧ ب ٧ ح ٢١٦١٤.

(٢) سورة الرحمن: ٦٠.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٣٥٥ ب ٧ ح ١٤٢٧٨.

(٤) التوحيد: ص ٢٨٥-٢٨٦ ب ٤١ ح ٣.

(٥) الأمالي للمفيد: ص ١٨٠-١٨١ المجلس ٢٣ ح ٢.

(٦) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٩٢ ومن ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله الموجزة ح ٥٨٣.

(٧) قرب الإسناد: ص ٤٢.

(٨) سورة النحل: ٩٠.

(٩) نهج البلاغة: قصار الحكم ٢٣١.

عقوق الوالدين ، والبغي على الناس ، وكفر الإحسان»^(١) .
وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : «المواساة أفضل الأعمال» وقال : «أحسن الإحسان مواساة الإخوان»^(٢) .

وقيل للحسين بن علي عليه السلام : ما الفضل؟ قال عليه السلام : «ملك اللسان وبذل الإحسان» قيل : فما النقص؟ قال عليه السلام : «التكلف لما لا يعينك»^(٣) .
وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : «جماع التقوى في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾»^(٤) .^(٥)

وعن الرضا عليه السلام قال : «استعمال العدل والإحسان مؤذن بدوام النعمة»^(٦) .
وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : «في العدل إصلاح البرية ، في العدل الإقتداء بسنة الله ، في العدل الإحسان»^(٧) .

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في رسالته إلى أصحابه : «وياكم ومعاصي الله أن تركبوها ، فإنه من انتهك معاصي الله فركبها فقد أبلغ في الإساءة إلى نفسه وليس بين الإحسان والإساءة منزلة فلاهل الإحسان عند ربهم الجنة ولأهل الإساءة عند ربهم النار»^(٨) .

وقال الإمام علي عليه السلام : «لن يستطيع أحد أن يشكر النعم بمثل الإحسان بها»^(٩) .
وقال الرسول صلى الله عليه وآله : «زينة العلم الإحسان»^(١٠) .

(١) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٣١٢ ب ٨ ح ٢١٦٣٣ .

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٧ ص ٢١٠ ب ٢٥ ح ٨٠٥٩ .

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٢٤ ب ١٠٢ ح ١٠٠٩٩ .

(٤) سورة النحل: ٩٠ .

(٥) روضة الواعظين: ج ٢ ص ٤٣٧ مجلس في الزهد والتقوى .

(٦) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٢٣-٢٤ ب ٣٠ ح ٥٢ .

(٧) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٣١٨ ب ٣٧ ح ١٣١٤٦ .

(٨) الكافي: ج ٨ ص ١١ كتاب الروضة ح ١ .

(٩) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٣٧٠ ب ١٥ ضمن ح ١٤٣٢٨ .

(١٠) الأمالي للصدوق: ص ٤٨٨ المجلس ٦٤ ح ١ .

٧: الإخلاص

مسألة: يستحب الإخلاص وقد يجب، وهو من مصاديق أو مقومات السلم والسلام بالمعنى الأعم.

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الدنيا كلها جهل إلا مواضع العلم، والعلم كله حجة إلا ما عمل به، والعمل كله رياء إلا ما كان مخلصاً، والإخلاص على خطر حتى ينظر العبد بما يختم له»^(١).

وقال النبي ﷺ: «من عرف نفسه فقد عرف ربه، ثم عليك من العلم بما لا يصح العمل إلا به وهو الإخلاص»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أبو جعفر عليه السلام يقول: عظموا أصحابكم ووقروهم ولا يتجهم بعضكم بعضاً ولا تضاروا ولا تحاسدوا وإياكم والبخل كونوا عباد الله المخلصين»^(٣).

وعن علي عليه السلام: «أجل ما ينزل من السماء التوفيق وأجل ما يصعد من الأرض الإخلاص»^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «إن لكل حق حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الإخلاص حتى لا يحب أن يحمد على شيء من عمل الله»^(٥).

وعن علي عليه السلام: «جماع الدين في الإخلاص، العمل وتقصير الأمل وبذل الإحسان والكف عن القبيح»^(٦).

وعن علي عليه السلام: «أفضل الإيمان الإخلاص والإحسان، وأقبح الشيم التجافي

(١) مشكاة الأنوار: ص ٣١٢ ب ٨ ف ٣.

(٢) مصباح الشريعة: ص ١٣ ب ٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٢٥٤ ب ١٥ ح ٥٠.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢٠ ص ٢٩١ قصار الحكم ٣٣٢.

(٥) عدة الداعي: ص ٢١٧ ب ٤ خاتمة.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٥ ق ١ ب ٢ ف ٥ قواعد الدين ح ١٣٩٦.

والعدوان»^(١).

وعن علي عليه السلام: «الإخلاص خير العمل»^(٢).

وعن علي عليه السلام: «أمارات السعادة إخلاص العمل»^(٣).

وعن علي عليه السلام: «قدموا خيراً تغنموا، وأخلصوا أعمالكم تسعدوا»^(٤).

وعن علي عليه السلام: «العمل كله هباء إلا ما أخلص فيه»^(٥).

وعن علي عليه السلام: «أخلصوا إذا عملتم»^(٦).

وعن علي عليه السلام: «أين الذين أخلصوا أعمالهم لله وطهروا قلوبهم بمواضع ذكر الله»^(٧).

وعن علي عليه السلام: «خير العمل ما صحبه الإخلاص»^(٨).

وعن علي عليه السلام: «آفة العمل ترك الإخلاص»^(٩).

وعن علي عليه السلام: «الإخلاص شيمة أفاضل الناس»^(١٠).

وعن علي عليه السلام: «أخلص لله عملك وعلمك وحبك وبغضك وأخذك وتركك وكلامك وصمتك»^(١١).

وعن علي عليه السلام: «سادة أهل الجنة المخلصون»^(١٢).

٨: الألفة

- (١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٨ ق ١ ب ٢ ف ٦ كمال الإيمان ح ١٤٧٩.
- (٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ق ١ ب ٦ ف ٤ الإخلاص في العمل وأثاره ح ٢٨٩٣.
- (٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ق ١ ب ٦ ف ٤ الإخلاص في العمل وأثاره ح ٢٨٩٤.
- (٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ق ١ ب ٦ ف ٤ الإخلاص في العمل وأثاره ح ٢٨٩٥.
- (٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ق ١ ب ٦ ف ٤ الإخلاص في العمل وأثاره ح ٢٨٩٦.
- (٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ق ١ ب ٦ ف ٤ الإخلاص في العمل وأثاره ح ٢٨٩٧.
- (٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ق ١ ب ٦ ف ٤ الإخلاص في العمل وأثاره ح ٢٨٩٨.
- (٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ق ١ ب ٦ ف ٤ الإخلاص في العمل وأثاره ح ٢٩٠٤.
- (٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ق ١ ب ٦ ف ٤ الإخلاص في العمل وأثاره ح ٢٩٠٢.
- (١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ق ٢ ب ٢ ف ٧ في أهمية الإخلاص ح ٣٨٩٢.
- (١١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ق ٢ ب ٢ ف ٧ في أهمية الإخلاص ح ٣٩٠٠.
- (١٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ق ٢ ب ٢ ف ٧ في أهمية الإخلاص ح ٣٩٠٤.

مسألة: تستحب الألفة، وهي من مصاديق أو مقومات السلم والسلام بالمعنى الأعم.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «المؤمن مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»^(١).

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «أما امرأة تصدقت على زوجها بمهرها قبل أن يدخل بها إلا كتب الله لها بكل دينار عتق رقبة». قيل: يا رسول الله فكيف بالهبة بعد الدخول؟ قال صلى الله عليه وآله: «إنما ذلك من المودة والألفة»^(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «جاءني جبرئيل فقال لي: يا أحمد الإسلام عشرة أسهم وقد خاب من لا سهم له فيها، أولها: شهادة أن لا إله إلا الله وهي الكلمة، والثانية: الصلاة وهي الطهر، والثالثة: الزكاة وهي الفطرة، والرابعة: الصوم وهو الجنة، والخامسة: الحج وهو الشريعة، والسادسة: الجهاد وهو العز، والسابعة: الأمر بالمعروف وهو الوفاء، والثامنة: النهي عن المنكر وهو الحجة، والتاسعة: الجماعة وهي الألفة، والعاشر: الطاعة وهي العصمة»^(٣).

وعن يحيى بن إبراهيم بن أبي البلاد عن أبيه عن جده أن رجلاً قال لأبي جعفر عليه السلام: «إني لأحب هذا الرجل، فقال له أبو جعفر عليه السلام: «فأعلمه فإنه أبقى للمودة وخير في الألفة»^(٤).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قلوب الرجال وحشية فمن تألفها أقبلت عليه»^(٥).
وعن أبي جعفر عليه السلام في حديث قال: «رحم الله امرئ ألف بين وليين لنا، يا معشر المؤمنين تألفوا وتعاطفوا»^(٦).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: المؤمن غر كريم،

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٠٢ باب حسن الخلق ح ١٧.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢١ ص ٢٨٤ ب ٢٦ ح ٢٧٠٩٧.

(٣) علل الشرائع: ج ١ ص ٢٤٩ ب ١٨٢ ح ٥.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٥٤ ب ٣١ ح ١٥٦٢٨.

(٥) نهج البلاغة: قصار الحكم ٥٠.

(٦) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢١٦ ب ١٢٤ ح ١٦١٢٢.

والفاجر خب لئيم، وخير المؤمنين من كان مألفة للمؤمنين، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»^(١) الخبير.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما تقول في الأرواح أنها جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف». قال: فقلت: إنا نقول ذلك فإنه كذلك إن الله عزوجل أخذ من العباد ميثاقهم وهم أظلة قبل الميلاد وهو قوله عزوجل: [وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ]^(٢) إلى آخر الآية، قال عليه السلام: «فمن أقر له يومئذ جاءت الألفة هاهنا، ومن أنكره يومئذ جاء خلافه هاهنا»^(٣).

وعن علي عليه السلام: «لا تنقض سنة صالحة عمل بها واجتمعت الألفة لها وصلحت الرعية عليها»^(٤).

وعن علي عليه السلام: «ما أقبح القطيعة بعد الصلة، والجفاء بعد الإخاء، والعداوة بعد الصفاء، وزوال الألفة بعد استحكامها»^(٥).

٩: الاتحاد

مسألة: الاتحاد مطلوب وهو بين واجب ومستحب، وهو من مصاديق أو مقومات السلم والسلام بالمعنى الأعم.

عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: من وصية أمير المؤمنين عليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون صلى الله عليه وآله، ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، ثم إني أوصيك يا

(١) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٤٥٠ ب ٨٨ ح ٩٩٧٠.

(٢) سورة الأعراف: ١٧٢.

(٣) علل الشرائع: ج ١ ص ٨٤-٨٥ ب ٧٩ ح ٢.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٤ ق ٤ ب ٢ ف ٥ ح ٧٨٩٦.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤١٤ ق ٦ ب ٢ ف ١ أهميتها والتحريض إليها ح ٩٤٤١.

حسن وجميع أهل بيتي وولدي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام، وأن المييرة الحالقة للدين فساد ذات البين، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»^(١).

وعن النبي ﷺ: «المؤمنون متحدون متأزرون متضافرون كأنهم نفس واحدة»^(٢). وقال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم كمثل الجسد إذا اشتكى بعضه تداعى سائرُه بالسهر والحمى»^(٣).

وقال النبي ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضها بعضاً»^(٤).

وعن النبي ﷺ: «المؤمنون يد واحدة على من سواهم»^(٥).

وعن مالك بن أعين قال: حرض أمير المؤمنين ع عليه السلام الناس بصفين فقال: «إن الله عزوجل قد دلکم على تجارة تنجيکم من عذاب أليم وتشفي بکم على الخير، الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله، وجعل ثوابه مغفرة للذنوب ومساكن طيبة في جنات عدن وقال عزوجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾^(٦) فسوا صفوفکم كالبنيان المرصوص»^(٧).

وعن أمير المؤمنين ع عليه السلام: «المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد»^(٨).

١٠: التآلف

مسألة: يستحب التآلف بين المؤمنين، وهو من مصاديق أو مقومات السلم

(١) بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ٢٤٨ ب ١٢٧ ح ٥١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ١٥٠ ب ٤٣ ضمن ح ٣٠.

(٣) بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ١٥٠ ب ٤٣ ح ٢٩.

(٤) جامع الأخبار: ص ٨٥ ف ٤١.

(٥) بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ١٥٠ ب ٤٣ ضمن ح ٣٠.

(٦) سورة الصف: ٤.

(٧) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٩٥ ب ٣٤ ح ٢٠٠٥٧.

(٨) جامع الأخبار: ص ٨٥ ف ٤١.

والسلام بالمعنى الأعم.

عن علي عليه السلام: «المؤمن آلف مألوف متعطف»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «من استفاد أخا في الله تعالى زوجه الله حوراء» فقالوا: يا رسول الله وإن واخى أحدنا في اليوم سبعين أخاً؟ قال ﷺ: «إي والذي نفسي بيده لو آخى ألفاً لزوجه الله تعالى ألفاً»^(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «طوبى لمن يآلف الناس ويألفونه على طاعة الله»^(٣).

وعن رسول الله ﷺ: «أفاضلكم أحسنكم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون وتوطأ رحالهم»^(٤).

١١: التعاطف

مسألة: يستحب التعاطف، وأن يكون الإنسان عطوفاً، وهو من مصاديق أو مقومات السلم والسلام بالمعنى الأعم.

عن رسول الله ﷺ أنه رأى ليلة الإسراء هذه الكلمات مكتوبة على الباب الثاني من الجنة: «لا إله إلا الله محمد رسول الله، علي ولي الله، لكل شيء حيلة وحيلة السرور في الآخرة أربع خصال: مسح رأس اليتامى، والتعطف على الأرمال، والسعي في حوائج المؤمنين، وتعهد الفقراء والمساكين»^(٥).

وعن سماعه عنه عليه السلام في حديث أنه قال: «ويحق على المسلمين الاجتهاد والتواصل على التعطف والمواساة لأهل الحاجة والتعطف منكم يكونون على أمر الله رحماء بينهم متراحمين مهمين لما غاب عنهم من أمرهم على ما مضى عليه الأنصار

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤١٣ ق ٦ ب ٢ ف ١ أهميتها والتحريض إليها ح ٩٤١١.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٢٢ ب ٧ ح ٩٥٥٤.

(٣) تحف العقول: ص ٢١٧ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ١٠٢ باب حسن الخلق ح ١٦.

(٥) بحار الأنوار: ج ٨ ص ١٤٤ ب ٢٣ ح ٦٧.

على عهد رسول الله ﷺ»^(١).

وعن علي عليه السلام قال - في أمر الأمراء بالعدل في رعاياهم -: «أشعر قلبك الرحمة لرعيك والمحبة لهم والتعطف عليهم والإحسان إليهم، ولا تكونن عليهم سبعا تغتنم زللهم وعثراتهم، فإنهم إخوانك في النسبة ونظراؤك في الحق»^(٢).

وعن كميل بن زياد قال: قال لي علي عليه السلام: «يا كميل حسن خلق المؤمن التواضع، وجماله التعطف، وشرفه الشفقة، وعزه ترك القول والقيام»^(٣).

وعن الإمام الرضا عليه السلام أنه كتب إليه فيما كتب من جواب مسائله: «وعلة الزكاة من أجل قوت الفقراء، وتحصين أموال الأغنياء، لأن الله تبارك وتعالى كلف أهل الصحة القيام بشأن أهل الزمانة والبلوى كما قال الله تعالى: ﴿لَتُبْلَوْنَ فِيْ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾^(٤) في أموالكم إخراج الزكاة، وفي أنفسكم توطين الأنفس على الصبر، مع ما في ذلك من أداء شكر نعم الله عزوجل والطمع في الزيادة مع ما فيه من الرأفة والرحمة لأهل الضعف والعطف على أهل المسكنة والحث لهم على المواساة وتقوية الفقراء والمعونة على أمر الدين، وهم عظة لأهل الغنى وعبرة لهم ليستدلوا على فقر الآخرة بهم، وما لهم من الحث في ذلك على الشكر لله تبارك وتعالى لما خولهم وأعطاهم، والدعاء والتضرع والخوف من أن يصيروا مثلهم في أمور كثيرة في أداء الزكاة والصدقات وصلة الأرحام واصطناع المعروف»^(٥).

وعن الإمام الكاظم الأمين أبي إبراهيم ويكنى أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام في طوال هذه المعاني (في وصيته عليه السلام لهشام وصفته للعقل) «... وكان أمير المؤمنين عليه السلام يوصي أصحابه يقول: أوصيكم بالخشية من الله في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والاكتساب في الفقر والغنى، وأن تصلوا من قطعكم، وتعفوا عمن

(١) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٥٤ ب ١٠٧ ح ١٠١٨٠.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ١٤٦ ب ٤٢ ح ١٥٠١٨.

(٣) بشارة المصطفى: ص ٢٥-٢٦.

(٤) سورة آل عمران: ١٨٦.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٨٩-٩٠ ب ٣٣ ح ١.

ظلمكم، وتعطفوا على من حرمكم، وليكن نظركم عبراً، وصمتكم فكراً، وقولكم ذكراً»^(١).

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «كان عيسى ابن مريم عليه السلام يقول لأصحابه: يا بني آدم اهربوا من الدنيا إلى الله، وأخرجوا قلوبكم عنها، فإنكم لاتصلحون لها ولا تصلح لكم، ولا تبقون فيها ولا تبقى لكم، هي الخداعة الفجاعة، المغرور من اغتربها، المغبون من اطمأن إليها، الهالك من أحبها وأرادها، فتوبوا إلى بارئكم واتقوا ربكم، واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً، أين أبأؤكم أين أمهاتكم أين إخوتكم أين أخواتكم أين أولادكم؟ دعوا فأجابوا، واستودعوا الثرى، وجاوروا الموتى، وصاروا في الهلكى، خرجوا عن الدنيا وفارقوا الأعبة واحتاجوا إلى ما قدموا واستغنوا عما خلفوا، فكم توعظون وكم تزجرون وأنتم لاهون ساهون، مثلكم في الدنيا مثل البهائم همتمكم بطونكم وفروجكم، أما تستحيون ممن خلقكم وقد أوعد من عصاه النار، ولستم ممن يقوى على النار، ووعد من أطاعه الجنة ومجاورته في الفردوس الأعلى فتنافسوا فيه وكونوا من أهله، وأنصفوا من أنفسكم، وتعطفوا على ضعفاتكم وأهل الحاجة منكم، وتوبوا إلى الله توبة نصوحاً، وكونوا عبيداً أبراراً، ولا تكونوا ملوكاً جبابة، ولا من العتاة الفراعنة، المتمردين على من قهرهم بالموت جبار الجبابة رب السماوات ورب الأرضين وإله الأولين والآخرين، مالك يوم الدين، شديد العقاب، أليم العذاب، لاينجو منه ظالم، ولا يفوته شيء، ولا يعزب عنه شيء، ولا يتوارى منه شيء، أحصى كل شيء علمه وأنزله منزلته في جنة أو نار، ابن آدم الضعيف أين يهرب من يطلبك في سواد ليلك وبياض نهارك وفي كل حال من حالاتك، قد أبلغ من وعظ، وأفلح من اتعظ»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «تزاوروا فإن في زيارتكم إحياء لقلوبكم وذكراً

(١) تحف العقول: ص ٣٩٠ وصيته عليه السلام لهشام وصفته للعقل.

(٢) الأمالي للصدوق: ص ٥٥٥-٥٥٦ المجلس ٨٢ ح ١٢.

لأحاديثنا، وأحاديثنا تعطف بعضكم على بعض، فإن أخذتم بها رشدتم ونجوتم، وإن تركتموها ضللتكم وهلكتم، فخذوا بها وأنا بنجاتكم زعيم»^(١).

وعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قال: «إن الله خلق محمدًا من طينة من جوهرة تحت العرش، وإنه كان لطينته نضح فجل طينة أمير المؤمنين عليه السلام من نضح طينة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان لطينة أمير المؤمنين عليه السلام نضح فجل طينتنا من فضل طينة أمير المؤمنين عليه السلام، وكان لطينتنا نضح فجل طينة شيعتنا من نضح طينتنا، فقلوبهم تحن إلينا وقلوبنا تعطف عليهم تعطف الوالد على الولد، ونحن خير لهم وهم خير لنا، ورسول الله صلى الله عليه وآله لنا خير ونحن له خير»^(٢).

١٢: التواضع

مسألة: يستحب التواضع، وهو من مصاديق أو مقومات السلم والسلام بالمعنى الأعم.

عن هشام بن الحكم قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: «يا هشام إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾»^(٣) - إلى أن قال -: يا هشام إن لقمان قال لابنه: تواضع للحق تكن أعقل الناس، وإن الكيس لدى الحق يسير، يا بني إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيها عالم كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وحشوها الإيمان وشرعها التوكل وقيمها العقل ودليلها العلم وسكانها الصبر، يا هشام إن لكل شيء دليلاً ودليل العقل التفكير، ودليل التفكير الصمت، ولكل شيء مطية ومطية العقل التواضع، وكفى بك جهلاً أن تركب ما نهيت عنه...

يا هشام كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ما عبد الله بشيء أفضل من العقل، وما تم عقل امرئ حتى يكون فيه خصال شتى: الكفر والشر منه مأمونان، والرشد والخير منه

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٨٦ باب تذاكر الإخوان ج ٢.

(٢) بصائر الدرجات: ص ١٤ ب ٩ ح ١.

(٣) سورة الزمر: ١٧-١٨.

مأمولان، وفضل ماله مبذول، وفضل قوله مكفوف، ونصيبه من الدنيا القوت، لا يشبع من العلم دهره، الذل أحب إليه مع الله من العز مع غيره، والتواضع أحب إليه من الشرف، يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقل كثير المعروف من نفسه، ويرى الناس كلهم خيراً منه، وأنه شرهم في نفسه وهو تمام الأمر»^(١).

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: يا طالب العلم إن العلم ذو فضائل كثيرة، فأرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النية، وعقله معرفة الأسباب والأمور، ويده الرحمة، ورجله زيارة العلماء، وهيمته السلامة، وحكمته الورع، ومستقره النجاة، وقائده العافية، ومركبه الوفاء، وسلاحه لين الكلمة، وسيفه الرضا، وقوسه المداراة، وجيشه محاورة العلماء، وماله الأدب، وذخيرته اجتناب الذنوب، ورداءه المعروف، ومأواه الموادعة، ودليله الهدى، ورفيقه محبة الأخيار»^(٢).

وعن إسماعيل الجعفي قال: دخل رجل على أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام ومعه صحيفة فيها مسائل شبه الخصومة فقال له أبو جعفر عليه السلام: «هذه صحيفة مخاصم على الدين الذي يقبل الله فيه العمل». فقال: رحمك الله هذا الذي أريد، فقال أبو جعفر عليه السلام: «اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله وتقر بما جاء من عند الله والولاية لنا أهل البيت والبراءة من عدونا والتسليم لنا، والتواضع والطمأنينة وانتظار أمرنا فإن لنا دولة إذا شاء الله جاء بها»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أرسل النجاشي إلى جعفر بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت له جالس على التراب وعليه خلقان الثياب قال عليه السلام: فقال جعفر عليه السلام: فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال فلما رأى ما بنا وتغير وجوهنا قال: الحمد لله الذي نصر محمداً وأقر عينه ألا أبشركم؟ فقلت: بلى

(١) الكافي: ج ١ ص ١٣-١٩ كتاب العقل والجهل ح ١٢.

(٢) منية المرید: ص ١٤٨ ب ١ ق ١ الأمر الثاني.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦٦ ص ٢ ب ٢٨ ح ٢.

أيها الملك، فقال: إنه جاءني الساعة من نحو أرضكم عين من عيوني هناك فأخبرني أن الله عزوجل قد نصر نبيه محمداً ﷺ وأهلك عدوه وأسر فلان وفلان وفلان التقوا بواد يقال له بدر كثير الأراك لكأني أنظر إليه حيث كنت أرعى لسيدي هناك وهو رجل من بني ضمرة، فقال له جعفر: أيها الملك فما لي أراك جالساً على التراب وعليك هذه الخلقان فقال له: يا جعفر إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى ﷺ أن من حق الله على عباده أن يحدثوا له تواضعاً عند ما يحدث لهم من نعمة فلما أحدث الله عزوجل لي نعمة بمحمد ﷺ أحدثت لله هذا التواضع، فلما بلغ النبي ﷺ قال لأصحابه: إن الصدقة تزيد صاحبها كثرة فتصدقوا يرحمكم الله، وإن التواضع يزيد صاحبه رفعة فتواضعوا يرفعكم الله، وإن العفو يزيد صاحبه عزاً فاعفوا يعزكم الله»^(١).

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: «من التواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس، وأن تسلم على من تلقى، وأن تترك المرء وإن كنت محقاً، ولا تحب أن تحمد على التقوى»^(٢).

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: «إن من التواضع أن يجلس الرجل دون شرفه»^(٣).
وعن أبي الحسن الرضا ﷺ قال: «التواضع أن تعطي الناس ما تحب أن تعطاه» - وفي حديث آخر - قال: قلت: ما حد التواضع الذي إذا فعله العبد كان متواضعاً؟ فقال: «التواضع درجات منها أن يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم، لا يجب أن يأتي إلى أحد إلا مثل ما يؤتى إليه، إن رأى سيئة درأها بالحسنة، كاظم الغيظ، عاف عن الناس، والله يحب المحسنين»^(٤).

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: «من التواضع أن تسلم على من لقيت»^(٥).
وعن الرضا ﷺ قال: «من خرج في حاجة ومسح وجهه بماء الورد لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة، ومن شرب من سؤر أخيه المؤمن يريد به التواضع أدخله الله الجنة

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٢١ باب التواضع ح ١.

(٢) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ١٩١.

(٣) وسائل الشريعة: ج ١٢ ص ١٠٨ ب ٧٥ ح ١٥٧٧٨.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ١٢٤ باب التواضع ح ١٣.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٥٧ ب ٣١ ضمن ح ٩٦٥٦.

البتة، ومن تبسم في وجه أخيه المؤمن كتب الله له حسنة، ومن كتب الله له حسنة لم يعذبه»^(١).

وعن صفوان الجمال قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن الله فضل الأرضين والمياه بعضها على بعض فمنها ما تفاخرت ومنها ما بغت، فما من أرض ولا ماء إلا عوقبت لتترك التواضع لله حتى سلط الله على الكعبة المشركين وأرسل إلى زمزم ماء مالحاً فأفسد طعمه، وإن كربلاء وماء الفرات أول أرض وأول ماء قدس الله وبارك عليه فقال لها: تكلمي بما فضلك الله، فقالت: أنا أرض الله المقدسة المباركة الشفاء في تربتي ومائي ولا فخر، بل خاضعة ذليلة لمن فعل بي ذلك ولا فخر على من دوني بل شكراً لله، فأكرمها وزادها بتواضعها وشكرها لله بالحسين عليه السلام وأصحابه - ثم قال أبو عبد الله عليه السلام -: من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «إن في السماء ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع لله رفعاه ومن تكبر وضعاه»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «فيما أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام يا داود كما أن أقرب الناس من الله المتواضعون كذلك أبعد الناس من الله المتكبرون»^(٤).

وعن الحسن بن الجهم قال: سألت الرضا عليه السلام فقلت له: جعلت فداك ما حد التوكل؟ فقال لي: «أن لا تخاف مع الله أحداً». قال: قلت: جعلت فداك فما حد التواضع؟ فقال عليه السلام: «أن تعطي الناس من نفسك ما تحب أن يعطوك مثله». قلت: جعلت فداك أشتهي أن أعلم كيف أنا عندك؟ فقال عليه السلام: «انظر كيف أنا عندك»^(٥).

وعن معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا لمن تعلمونه العلم وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم

(١) مصادقة الإخوان: ص ٥٢ باب ثواب التبسم في وجوه الإخوان.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٤ ص ٥١٥-٥١٦ ب ٦٨ ح ١٩٧٢٢.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢٩٦ ب ٢٨ ح ١٣٠٨٠.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ١٢٣-١٢٤ باب التواضع ح ١١.

(٥) الأمالي للصدوق: ص ٢٤٠ المجلس ٤٢ ح ٨.

ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم»^(١).

وعن محمد بن سنان رفعه قال: «قال عيسى بن مريم عليه السلام للحواريين: لي إليكم حاجة اقضوها لي، فقالوا: قضيت حاجتك يا روح الله، فقام فغسل أقدامهم فقالوا: كنا أحق بهذا منك، فقال عليه السلام: إن أحق الناس بالخدمة العالم، إنما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم - ثم قال عيسى عليه السلام -: بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر، وكذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أفطر رسول الله صلى الله عليه وآله عشية خميس في مسجد قبا فقال: هل من شراب، فأثابه أوس بن خولي الأنصاري بعس مخلط بعسل فلما وضعه على فيه نحاه ثم قال صلى الله عليه وآله: شرابان يكتفى بأحدهما عن صاحبه لا أشربه ولا أحرمه - ثم قال -: ولكن أتواضع لله فإنه من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر خفضه الله، ومن اقتصد في معيشته رزقه الله، ومن بذر حرمه الله، ومن أكثر ذكر الموت أحبه الله، ومن أكثر ذكر الله أظله الله في جنته»^(٣).

وعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا حسب إلا التواضع، ولا كرم إلا التقوى، ولا عمل إلا بنية»^(٤).

وعن علي عليه السلام أنه أوصى مخنف بن سليم الأزدي وقد بعثه على الصدقة بوصية طويلة أمره فيها: «بتقوى الله ربه في سرائر أموره وخفيات أعماله وأن يلقاهم ببسط الوجه ولين الجانب وأمره أن يلزم التواضع ويجتنب التكبر فإن الله يرفع المتواضعين ويضع المتكبرين»^(٥).

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لا تجلسوا إلا عند كل عالم يدعوكم من خمس إلى خمس: من الشك إلى اليقين ومن الرياء إلى الإخلاص ومن الرغبة إلى الرهبة ومن

(١) منية المرید: ص ١٦٢ ب ١ ق ١ الأمر الرابع.

(٢) وسائل الشیعة: ج ١٥ ص ٢٧٦ ب ٣٠ ح ٢٠٥٠٤.

(٣) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ١٩٠.

(٤) الأمالي للطوسي: ص ٥٩٠ المجلس ٢٥ ح ١٢٢٣.

(٥) دعائم الإسلام: ج ١ ص ٢٥٢ ذكر زكاة المواشي.

الكبر إلى التواضع ومن الغش إلى النصيحة»^(١).

وفي تفسير العسكري عليه السلام قال: «أعرف الناس بحقوق إخوانه وأشدّهم قضاء لها أعظمهم عند الله شأنًا، ومن تواضع في الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصديقين ومن شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام حقاً»^(٢).

وعن الصادق عليه السلام قال: «كمال العقل في ثلاثة: التواضع لله وحسن اليقين والصمت إلا من خير»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «بالتواضع تتم النعمة»^(٤).

وقال عليه السلام: «ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله»^(٥).

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: «لا حسب لقرشي ولا عربي إلا بتواضع»^(٦).

وقال الصادق عليه السلام: «التواضع أصل كل شرف نفيس ومرتبة رفيعة، ولو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق لنتق عن حقائق ما في مخفيات العواقب، والتواضع ما يكون لله وفي الله وما سواه مكر، ومن تواضع لله شرفه الله على كثير من عباده، ولأهل التواضع سيماء يعرفها أهل السماوات من الملائكة وأهل الأرضين من العارفين، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾^(٧)، وقال تعالى أيضاً: ﴿مَنْ يَرْزُقْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٨)، وقال تعالى أيضاً: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ

(١) أعلام الدين: ص ٢٧٢ فصل من كلام سيدنا رسول الله ﷺ.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٢٥ التواضع وفضل خدمة الضيف ح ١٧٣.

(٣) الاختصاص: ص ٢٤٤ حديث في زيارة المؤمن لله.

(٤) نهج البلاغة: قصار الحكم ٢٢٤.

(٥) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٢٣ ب ٥١ ح ٢١.

(٦) الخصال: ج ١ ص ١٨ لا حسب إلا بخصلة ح ٦٢.

(٧) سورة الأعراف: ٤٦.

(٨) سورة المائدة: ٥٤.

اللَّهُ أَنْفَاكُمْ»^(١)، وقال تعالى: «فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ»^(٢)، وأصل التواضع من جلال الله وهيبته وعظمته، وليس لله عزوجل عبادة يرضاها ويقبلها إلا وبابها التواضع، ولا يعرف ما في معنى حقيقة التواضع إلا المقربون من عباده المتصلين بوحدانيته قال الله عزوجل: «وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا»^(٣) وقد أمر الله عزوجل أعز خلقه وسيد بريته محمداً ﷺ بالتواضع فقال عزوجل: «وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»^(٤) والتواضع مزرعة الخشوع والخضوع والخشية والحياء، وإنهن لا يتبين إلا منها وفيها ولا يسلم الشرف التام الحقيقي إلا للمتواضع في ذات الله تعالى»^(٥).

وعن هشام بن الحكم عن الكاظم ﷺ أنه قال في الإنجيل: «طوبى للمتواضعين أولئك هم المرحومون يوم القيامة - إلى أن قال -: طوبى للمتواضعين في الدنيا أولئك يرتقون منابر الملك يوم القيامة»^(٦).

وعن أمير المؤمنين ﷺ قال:

«واجعل فؤادك للتواضع منزلاً إن التواضع بالشريف جميل»^(٧).

وعن الصادق ﷺ قال: «ورأس الحزم التواضع»^(٨).

وعن النبي ﷺ قال: «طوبى لمن تواضع في غير منقصة، وأذل نفسه في غير مسكنة، وأنفق مالا جمعه في غير معصية»^(٩).

١٣: الحلم

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) سورة النجم: ٣٢.

(٣) سورة الفرقان: ٦٣.

(٤) سورة الشعراء: ٢١٥.

(٥) مصباح الشريعة: ص ٧٢-٧٤ ب ٣٢.

(٦) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢٩٩ ب ٢٨ ح ١٣٠٨٨.

(٧) ديوان الإمام علي ﷺ: ص ٣١٨ إرشاد نفس به صفات عالية.

(٨) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٣٠٠ ب ٢٨ ح ١٣٠٩٤.

(٩) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ٦٥.

مسألة: يستحب الحلم، وهو من مصاديق أو مقومات السلم والسلام بالمعنى الأعم.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: يا طالب العلم إن للعالم ثلاث علامات: العلم والحلم والصمت، وللمتكلف ثلاث علامات: ينازع من فوقه بالمعصية، ويظلم من دونه بالغلبة، ويظاهر الظلمة»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «نعم وزير الإيمان العلم، ونعم وزير العلم الحلم، ونعم وزير الحلم الرفق، ونعم وزير الرفق الصبر»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله عز وجل وضع الإيمان على سبعة أسهم: على البر والصدق واليقين والرضا والوفاء والعلم والحلم»^(٣) الحديث.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثمان خصال: وقوراً عند الهزاهز، صبوراً عند البلاء، شكوراً عند الرخاء، قانعاً بما رزقه الله، لا يظلم الأعداء، ولا يتحامل للأصدقاء، بدنه منه في تعب والناس منه في راحة، إن العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل أمير جنوده، والرفق أخوه، والبر والده»^(٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنا لنحب من كان عاقلاً فهماً فقيهاً حليماً مدارياً صبوراً صدوقاً وfiaً، إن الله خص الأنبياء بمكارم الأخلاق فمن كان فيه فليحمد الله على ذلك ومن لم يكن فيه فليفرغ إلى الله وليسأله إياها». قال: قلت: جعلت فداك ما هي؟ قال عليه السلام: «الورع والقناعة والصبر والشكر والحلم والحياء والسخاء والشجاعة والغيرة وصدق الحديث والبر وأداء الأمانة»^(٥).

وعن الرضا عليه السلام يقول: «لا يكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً، وإن الرجل

(١) الكافي: ج ١ ص ٣٧ باب صفة العلماء ح ٧.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٤٨ باب النوادر ح ٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦٦ ص ١٥٩ ب ٣٢ ح ١.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ١٨٥ ب ٤ ح ٢٠٢٣.

(٥) التمهيد: ص ٦٨ ب ٩ ح ١٦٢.

كان إذا تعبد في بني إسرائيل لم يعد عابداً حتى يصمت قبل ذلك عشر سنين»^(١).
وعن أبي حمزة قال: «المؤمن خلط عمله بالحلم، يجلس ليعلم، وينطق ليفهم، لا يحدث أمانته الأصدقاء، ولا يكتفم شهادته الأعداء، ولا يفعل شيئاً من الحق رياء، ولا يتركه حياء، إن زكي خاف مما يقولون، واستغفر الله مما لا يعلمون، لا يغره قول من جهله، ويخشى إحصاء ما قد عمله»^(٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: إنه ليعجبني الرجل أن يدركه حلمه عند غضبه»^(٣).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله عز وجل يحب الحيي الحليم»^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «ما أعز الله بجهل قط ولا أذل بحلم قط»^(٥).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «كفى بالحلم ناصراً»، وقال: «إذا لم تكن حليماً فتحلم»^(٦).

وعن يزيد بن عبد الله عمن حدثه قال: كتب أبو جعفر عليه السلام إلى سعد الخير: «بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإني أوصيك بتقوى الله فإن فيها السلامة من التلف والغنيمة في المنقلب - إلى أن قال -: ثم اعلم أن إخوان الثقة ذخائر بعضهم لبعض، ولولا أن تذهب بك الظنون عني لجلت لك عن أشياء من الحق غطيها، ولنشرت لك أشياء من الحق كتمتها، ولكنني أتقيك وأستبقيك، وليس الحليم الذي لا يتقي أحداً في مكان التقوى، والحلم لباس العالم فلا تعرين منه والسلام»^(٧).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من زي الإيمان الفقه، ومن زي الفقه الحلم، ومن

(١) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٤٠٣ ب ٩٣ ح ١٢.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١١١ باب الحلم ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٢٦٥-٢٦٦ ب ٢٦ ح ٢٠٤٦٤.

(٤) مشكاة الأنوار: ص ٢١٦ ف ١١.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ١١٢ باب الحلم ح ٥.

(٦) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٤٠٤ ب ٩٣ ح ١٦.

(٧) الكافي: ج ٨ ص ٥٥ رسالة أبي جعفر عليه السلام إلى سعد الخير ح ١٦.

زي الحلم الرفق، ومن زي الرفق اللين، ومن زي اللين السهولة»^(١).

وقال النبي ﷺ: «...الحلم يغلب الغضب، والرحمة تغلب السخط، والصدقة تغلب الخطيئة»^(٢).

وقال أبو عبد الله ﷺ: «لا تمارين حليماً ولا سفيهاً، فإن الحليم يقلبك والسفيه يؤذيك»^(٣).

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: «إذا وقع بين رجلين منازعة نزل ملكان فيقولان للسفيه منهما: قلت وقلت وأنت أهل لما قلت ستجزى بما قلت، ويقولان للحليم منهما: صبرت وحلمت سيغفر لك إن أتممت ذلك، وإن رد الحليم عليه ارتفع الملكان»^(٤).

وعن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: «أول عوض الحليم من حلمه أن الناس أنصروه على الجاهل»^(٥).

وعن موسى بن جعفر ﷺ عن آبائه عليهم السلام في أسئلة الشيخ الشامي عن أمير المؤمنين ﷺ قال: فأبي الخلق أقوى؟ قال ﷺ: «الحليم»^(٦).

١٤: الحنان

مسألة: يستحب الحنان، وهو من مصاديق أو مقومات السلم والسلام بالمعنى الأعم.

قال رسول الله ﷺ: «حسن مع جميع الناس خلقك حتى إذا غبت حنوا إليك، وإذا مت بكوا عليك»^(٧).

(١) الأُمالي للطوسي: ص ١٨٩ المجلس ٧ ح ٣١٨.

(٢) تحف العقول: ص ٢٤ ومن حكمه ﷺ وكلامه.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٣٦ ب ١٣٥ ح ١٦١٨٣.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٢٦٧ ب ٢٦٠ ح ٢٠٤٧٠.

(٥) نهج البلاغة: قصار الحكم ٢٠٦.

(٦) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٨٣ ومن ألفاظ رسول الله ﷺ الموجزة ح ٥٨٣٣.

(٧) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٨٤ ومن ألفاظ رسول الله ﷺ الموجزة ح ٥٨٣٤.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «خالطوا الناس مخالطة إن متم بكوا عليكم، وإن غبتم حنوا إليكم»^(١).

وقال علي بن الحسين عليه السلام: «قلوب المؤمنين تحن إلى ما خلقوا منه»^(٢).

وقال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «إن خواتيم أعمالكم قضاء حوائج إخوانكم والإحسان إليهم ما قدرتم، وإلا لم يقبل منكم عمل، حنوا على إخوانكم وارحموهم تلحقوا بنا»^(٣).

ومن أسماء الله عز وجل: (الحنان المنان)^(٤).

وكانت (حنة) امرأة عمران و(حنانة) امرأة زكريا^(٥).

١٥: الحياء

مسألة: يستحب الحياء وقد يجب، وهو من مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم.

عن علي عليه السلام قال: «هبط جبرئيل على آدم فقال: يا آدم إني أمرت أن أخيرك واحدة من ثلاث فاختر واحدة ودع اثنتين، فقال له آدم: وما الثلاث يا جبرئيل؟ فقال: العقل والحياء والدين، قال آدم: فإني قد اخترت العقل، فقال جبرئيل: للحياء والدين انصرفا ودعاه، فقالا: يا جبرئيل إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان، قال: فشأنكما، وخرج»^(٦).

وعن أبي عبد الله عليه السلام في خطبة له خاصة يذكر فيها حال النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام وصفاتهم: «فلم يمنع ربنا لحلمه وأناته وعطفه ما كان من عظيم جرمهم وقبيح أفعالهم أن انتجب لهم أحب أنبيائه إليه وأكرمهم عليه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله في حومة

(١) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٢-١٣ ب ٢ ح ١٥٥١٤.

(٢) انظر الكافي: ج ٢ ص ٢ باب طينة المؤمن والكافر ح ١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٣٧٩ ب ٨٢ ح ٤٣.

(٤) مصباح الكفعمي: ص ٢٨٢ ف ٢٩.

(٥) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢١٤ ب ١٣ ف ١ ح ٢٧٨.

(٦) الأمالي للصدوق: ص ٦٧٢ المجلس ٩٦ ح ٣.

العز مولده، وفي دومة الكرم محتده، غير مشوب حسبه، ولا ممزوج نسبه، ولا مجهول عند أهل العلم صفته، بشرت به الأنبياء في كتبها، ونطقت به العلماء بنعتها، وتأملته الحكماء بوصفها، مهذب لا يدانى، هاشمي لا يوازي، أبطحي لا يسامى، شيمته الحياء، وطبيعته السخاء، مجبول على أوقار النبوة وأخلاقها...»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «الإسلام عريان، فلباسه الحياء، وزينته الوفاء، ومروءته العمل الصالح، وعماده الورع، ولكل شيء أساس، وأساس الإسلام حبنا أهل البيت»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «المكارم عشر فإن استطعت أن تكون فيك فلتكن، فإنها تكون في الرجل ولا تكون في ولده وتكون في الولد ولا تكون في أبيه، وتكون في العبد ولا تكون في الحر: صدق البأس، وصدق اللسان، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وإقراء الضيف، وإطعام السائل، والمكافأة على الصنائع، والتذمم للجار، والتذمم للصاحب، ورأسهن الحياء»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة»^(٤).
وقال عليه السلام: «الحياء والعفاف والعي - أعني عي اللسان لا عي القلب - من الإيمان»^(٥).

وعن معاذ بن كثير عن أحدهما عليه السلام قال: «الحياء والإيمان مقرونان في قرن، فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه»^(٦).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا إيمان لمن لا حياء له»^(٧).
وقال رسول الله ﷺ: «الحياء حياءان: حياء عقل وحياء حمق، فحياء العقل

(١) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٣٩٦ ب ١١ ح ٨٠.

(٢) المحاسن: ج ١ ص ٢٨٦ ب ٤٦ ح ٤٢٧.

(٣) الخصال: ج ٢ ص ٤٣١ عشر خصال من المكارم ح ١١.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٦٦ ب ١١٠ ح ١٥٩٧.

(٥) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ١٨٨.

(٦) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٤٦١ ب ٩٣ ح ١٠٠١٠.

(٧) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٣١ ب ٨١ ح ٥.

هو العلم، وحياء الحمق هو الجهل»^(١).

وعن علي بن أسباط رفعه إلى سلمان قال: «إذا أراد الله عزوجل هلاك عبد نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا خائناً مخوناً، فإذا كان خائناً مخوناً نزعته منه الأمانة، فإذا نزعته منه الأمانة لم تلقه إلا فظاً غليظاً، فإذا كان فظاً غليظاً نزعته منه ربة الإيمان، فإذا نزعته منه ربة الإيمان لم تلقه إلا شيطاناً ملعوناً»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله حرم الجنة على كل فحاش بذيء قليل الحياء، لا يبالي ما قال ولا ما قيل له، فإنك إن فتشته لم تجده إلا لغية أو شرك شيطان» فقيل: يا رسول الله وفي الناس شرك شيطان؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما تقرأ قول الله عزوجل: [وَسَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ]»^(٣). فقيل: وفي الناس من لا يبالي وما قال وما قيل له؟ فقال: «نعم، من تعرض للناس فقال فيهم وهو يعلم أنهم لا يتركونه فذلك الذي لا يبالي ما قال وما قيل له»^(٤).

وعن سماعة قال سمعت أبا الحسن موسى ع يقول: «لا تذهب الحشمة بينك وبين أخيك، أبق منها فإن ذهابها ذهاب الحياء»^(٥).

وعن أبي عبد الله ع قال: «خير نسائكم التي إذا خلت مع زوجها خلعت له درع الحياء وإذا لبست معه درع الحياء»^(٦).

وقال أمير المؤمنين ع: «من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه»^(٧).

وعن أبي جعفر ع: «إن الله عزوجل كريم يستحيي ويحب أهل الحياء إن أكرمكم أشدكم إكراماً لحلائهم»^(٨).

(١) تحف العقول: ص ٤٥ وروي عنه ﷺ في قصار هذه المعاني.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٢٩١ باب في أصول الكفر وأركانه ح ١٠.

(٣) سورة الإسراء: ٦٤.

(٤) كتاب سليم بن قيس: ص ٩٥٦ ح ٨٩.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٤٦ ب ١٠٢ ح ١٥٨٩٦.

(٦) الكافي: ج ٥ ص ٣٢٤ باب خير النساء ح ٢.

(٧) نهج البلاغة: قصار الحكم ٢٢٣.

(٨) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٥٠٦ باب طلاق التي لم يدخل بها ح ٤٧٧٤.

وعن النبي ﷺ: «الحياء خير كله»^(١).

وعن أبي ذر عن رسول الله ﷺ في وصيته له قال: «يا أباذر أتحب أن تدخل الجنة؟». فقلت: نعم فذاك أبي وأمي، قال ﷺ: «فاقصر الأمل واجعل الموت نصب عينك واستحي من الله حق الحياء»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «ما كان الفخر في شيء قط إلا شانه، ولا كان الحياء في شيء قط إلا زانه»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «أول ما ينزع من العبد الحياء فيصير ماقثاً ممقثاً، ثم ينزع الله منه الأمانة فيصير خائناً مخوناً، ثم ينزع الله منه الرحمة فيصير فظاً غليظاً ويخلع دين الإسلام من عنقه فيصير شيطاناً لعيناً ملعوناً»^(٤).

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «قال عيسى ابن مريم عليه السلام: إذا قعد أحدكم في منزله فليرخ عليه ستره فإن الله تبارك تعالى قسم الحياء كما قسم الرزق»^(٥).

وعن رسول الله ﷺ أنه نظر إلى رجل يغتسل بحيث يراه الناس فقال: «أيها الناس إن الله يحب من عباده الحياء والستر فأيكم اغتسل فليتوار من الناس فإن الحياء زينة الإسلام»^(٦).

وقال رسول الله ﷺ: «من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له»^(٧).

وقال رسول الله ﷺ: «رحم الله عبداً استحيا من ربه حق الحياء فحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، وذكر القبر والبلى، وذكر أن له في الآخرة معاداً»^(٨).

وعن أبي جعفر الباقر محمد بن علي عليه السلام قال: سمعته يقول: «أربع من كن فيه

(١) معاني الأخبار: ص ٤٠٩ باب نوادر المعاني ح ٩٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٣٠٤ ب ٣ ح ٧٩٩.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٦٧ ب ١١٠ ح ١٥٩٧٥.

(٤) الاختصاص: ص ٢٤٨ حديث في زيارة المؤمن لله.

(٥) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٣٤ ب ٨١ ح ١١.

(٦) مستدرک الوسائل: ج ١ ص ٤٨٨ ب ٣٧ ح ١٢٤٤، والمستدرک: ج ٨ ص ٤٦٣ ب ٩٣ ح ١٠٠٢٠.

(٧) غوالي اللآلي: ج ١ ص ٢٦٤ ف ١٠ ح ٥٦.

(٨) الاختصاص: ص ٢٢٩ حديث في زيارة المؤمن لله.

كامل إسلامه وأعين على إيمانه ومحصت عنه ذنوبه ولقي ربه وهو عنه راض ولو كان فيما بين قرنه إلى قدمه ذنوب حطها الله عنه وهي: الوفاء بما يجعل الله على نفسه، وصدق اللسان مع الناس، والحياء مما يقبح عند الله وعند الناس، وحسن الخلق مع الأهل والناس»^(١).

وقال الصادق عليه السلام: «الحياء نور جوهره صدر الإيمان، وتفسيره التثبت عند كل شيء ينكره التوحيد والمعرفة»^(٢).

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «الحياء من الإيمان فيقبل الحياء بالإيمان والإيمان بالحياء، وصاحب الحياء خير كله، ومن حرم الحياء فهو شر كله وإن تعبد وتورع، وإن خطوة يتخطاه في ساحات هيبة الله بالحياء منه إليه خير له من عبادة سبعين سنة، والوقاحة صدر النفاق والشقاق والكفر»^(٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا لم تستح فاعمل ما شئت، وقوة الحياء من الحزن والخوف، والحياء مسكن الخشية، والحياء أوله الهيبة وآخره الرؤية، وصاحب الحياء مشتغل بشأنه، معتزل من الناس، مزدجر عما هم فيه، ولو تركوا صاحب الحياء ما جالس أحداً»^(٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا أراد الله بعبد خيراً ألهاه عن محاسنه وجعل مساوئه بين عينيه وكرهه مجالسة المعرضين عن ذكر الله، والحياء خمسة أنواع حياء ذنب وحياء تقصير وحياء كرامة وحياء حب وحياء هيبة ولكل واحد من ذلك أهل ولأهله مرتبة على حدة»^(٥).

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «إن لكل دين خلقاً وخلق الإسلام الحياء»^(٦).

(١) الأمالي للمفيد: ص ١٦٦-١٦٧ المجلس ٢١ ح ١.

(٢) مصباح الشريعة: ص ١٨٩ ب ٩٠.

(٣) مصباح الشريعة: ص ١٨٩ ب ٩٠.

(٤) مصباح الشريعة: ص ١٨٩-١٩٠ ب ٩٠.

(٥) مصباح الشريعة: ص ١٩٠ ب ٩٠.

(٦) مشكاة الأنوار: ص ٢٣٤ ب ٥ ف ٥.

وقال النبي ﷺ: «قلة الحياء كفر»^(١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لولده الحسن عليه السلام: «والحياء سبب إلى كل جميل»^(٢).

١٦: الرأفة

مسألة: تستحب الرأفة وقد تجب، وهي من مصاديق أو مقومات السلم والسلام بالمعنى الأعم.

عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: «أفضل الملوك من أعطي ثلاث خصال: الرأفة والجلود والعدل»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «اتخذوا المساجد بيوتاً وعودوا قلوبكم الرأفة وأكثروا من التفكير والبكاء من خشية الله تعالى وكونوا في الدنيا أضيافاً وأكثروا من الذكر»^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق العقل من نور مخزون مكنون في سابق علمه الذي لم يطلع عليه نبي مرسل ولا ملك مقرب، فجعل العلم نفسه، والفهم روحه، والزهد رأسه، والحياء عينيه، والحكمة لسانه، والرأفة همه، والرحمة قلبه، ثم حشاه وقواه بعشرة أشياء: باليقين والإيمان والصدق والسكينة والإخلاص والرفق والعطية والقنوع والتسليم والشكر»^(٥).

وعن جعفر عن أبيه عن علي بن أبي طالب قال: «إنا أهل بيت شجرة النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وبيت الرأفة ومعدن العلم»^(٦).

وعن الإمام الرضا عليه السلام فيما كتب إليه من جواب مسأله: «وحرّم الله الدم كتحرّم الميتة لما فيه من فساد الأبدان وأنه يورث الماء الأصفر ويبخر الفم وينتثر الريح

(١) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٤٦٦ ب ٩٣ ضمن ح ١٠٠٢٧.

(٢) تحف العقول: ص ٨٤ كتابه إلى ابنه الحسن عليه السلام.

(٣) تحف العقول: ص ٣١٩ ومن كلامه عليه السلام سماه بعض الشيعة نثر الدرر.

(٤) إرشاد القلوب: ج ١ ص ٩٤ ب ٢٢.

(٥) بحار الأنوار: ج ١ ص ١٠٧ ب ٤ ح ٣.

(٦) بصائر الدرجات: ص ٥٨ ب ١ ح ٧.

ويسيء الخلق ويورث قساوة القلب وقلة الرأفة والرحمة حتى لا يؤمن أن يقتل ولده ووالده وصاحبه»^(١).

وعن علي عليه السلام في عهده إلى مالك الأشر: «فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأنقاهم جيئاً، وأفضلهم حلماً ممن يبطئ عن الغضب ويستريح إلى العذر ويرأف بالضعفاء وينبو على الأقوياء ممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف»^(٢).

وعن علي عليه السلام: «ليتأس صغيركم بكبيركم وليرأف كبيركم بصغيركم ولا تكونوا كجفأة الجاهلية لا في الدين يتفقهون ولا عن الله يعقلون كقيض بيض في أداح يكون كسرهما وزراً ويخرج حضانها شراً»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن شيعة علي كانوا خمص البطون ذبل الشفاه أهل رأفة وعلم وحلم يعرفون بالرهبانية فأعينوا على ما أنتم عليه بالورع والاجتهاد»^(٤).

وعن عبد العظيم بن عبد الله قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يخطب بهذه الخطبة: «أما بعد: فإن الله جل وعز جعل الصهر مألفة للقلوب ونسبة المنسوب أو شج به الأرحام وجعله رأفة ورحمة»^(٥).

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم من رأف بأمتي ورحمهم فاعطف عليه وارحمه»^(٦).

١٧: الرحمة

مسألة: تستحب الرحمة، وهي من مصاديق أو مقومات السلم والسلام بالمعنى الأعم.

عن أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «يا طالب العلم إن العلم ذو فضائل كثيرة، فرأسه

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٤ ص ١٠٢ ب ١ ح ٣٠٠٨٥.

(٢) نهج البلاغة: الرسائل ٥٣ ومن كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها.

(٣) نهج البلاغة: الخطب ١٦٦ ومن خطبة له عليه السلام.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٢٣٣ باب المؤمن وعلاماته وصفاته ح ١٠.

(٥) الكافي: ج ٥ ص ٣٧٣ باب خطب النكاح ح ٦.

(٦) أعلام الدين: ص ٢٧٥ فصل من كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النية، وعقله معرفة الأسباب والأمور، ويده الرحمة، ورجله زيارة العلماء، وهمته السلامة، وحكمته الورع، ومستقره النجاة، وقائده العافية، ومركبه الوفاء، وسلاحه لين الكلمة، وسيفه الرضا، وقوسه المداراة، وجيشه محاورة العلماء، وماله الأدب، وذخيرته اجتناب الذنوب، وزاده المعروف، ومأواه المواعدة، ودليله الهدى، ورفيقه محبة الأخيار»^(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إن الله خلقنا فأحسن خلقنا وصورنا فأحسن صورنا، وجعلنا عينه في عباده، ولسانه الناطق في خلقه، ويده المبسوطة على عباده بالرأفة والرحمة، ووجهه الذي يؤتى منه، وبابه الذي يدل عليه، وخزانه في سمائه وأرضه، بنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار وجرت الأنهار، وبنا ينزل غيث السماء وينبت عشب الأرض، وعبادتنا عبد الله ولو لا نحن ما عبد الله»^(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أكرم أخاه المسلم بكلمة يلطفه بها وفرج عنه كربته لم يزل في ظل الله الممدود عليه الرحمة ما كان في ذلك»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قام رجل يقال له همام - وكان عابداً ناسكاً مجتهداً - إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخطب، فقال: يا أمير المؤمنين صف لنا صفة المؤمن كأننا ننظر إليه؟ فقال عليه السلام: يا همام المؤمن هو الكيس الفطن، بشره في وجهه، وحزنه في قلبه، أوسع شيء صدرًا، وأذل شيء نفسًا، زاجر عن كل فان، حاض على كل حسن، لا حقوق ولا حسود، ولا وثاب ولا سباب، ولا غياب ولا مراتب، يكره الرفعة، ويشنأ السمعة، طويل الغم، بعيد الهم، كثير الصمت، وقور ذكور، صبور شكور، مغموم بفكره، مسرور بفقره، سهل الخليقة، لين العريكة، رصين الوفاء، قليل الأذى، لا متأفك ولا متهتك، إن ضحك لم يخرق، وإن غضب لم ينزق، ضحكه تبسم، واستفهامه تعلم، ومراجعته تفهم، كثير علمه، عظيم حلمه،

(١) منية المرید: ص ١٤٨ ب ١ ق ١ الأمر الثاني.

(٢) الكافي: ج ١ ص ١٤٤ باب النوادر ح ٥.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٠٦ باب في إطفاف المؤمن وإكرامه ح ٥.

كثير الرحمة، لا يبخل ولا يعجل، ولا يضجر ولا يبطر، ولا يحيف في حكمه ولا يجور في علمه، نفسه أصلب من الصلد، ومكادحته أحلى من الشهد، لا جشع ولا هلع، ولا عنف ولا صلف، ولا متكلف ولا متعمق، جميل المنازعة، كريم المراجعة، عدل إن غضب، رقيق إن طلب، لا يتهور ولا يتهتك ولا يتجبر، خالص الود، وثيق العهد، وفي العقد شفيق، وصول حلیم خمول، قليل الفضول، راض عن الله عزوجل، مخالف لهواه، لا يغلظ على من دونه، ولا يخوض فيما لا يعنيه، ناصر للدين، محام عن المؤمنين، كهف للمسلمين، لا يخرق الثناء سمعه، ولا ينكي الطمع قلبه، ولا يصرف اللعب حكمه، ولا يطلع الجاهل علمه، قوال عمال، عالم حازم، لا بفحاش ولا بطياش، وصول في غير عنف، بذول في غير سرف، لا بختال ولا بغدادار، ولا يقتفي أثراً، ولا يحيف بشراً، رقيق بالخلق، ساع في الأرض، عون للضعيف، غوث للملهوف، لا يهتك سترأ، ولا يكشف سرأ، كثير البلوى، قليل الشكوى، إن رأى خيراً ذكره، وإن عاين شراً ستره، يستر العيب، ويحفظ الغيب، ويقيل العثرة، ويغفر الزلة، لا يطلع على نصح فيذره، ولا يدع جنح حيف فيصلحه، أمين رصين، تقي نقي، زكي رضي، يقبل العذر، ويحمل الذكر، ويحسن بالناس الظن، ويتهم على العيب نفسه، يحب في الله بفقته وعلم، ويقطع في الله بحزم وعزم، لا يخرق به فرح، ولا يطيش به مرح، مذكر للعالم، معلم للجاهل، لا يتوقع له بائقة، ولا يخاف له غائلة، كل سعي أخلص عنده من سعيه، وكل نفس أصلح عنده من نفسه، عالم بعيبه، شاغل بغمه، لا يثق بغير ربه، غريب وحيد حزين، يحب في الله، ويجاهد في الله لاتباع رضاه، ولا ينتقم لنفسه بنفسه، ولا يوالي في سخط ربه، مجالس لأهل الفقر، مصادق لأهل الصدق، مؤازر لأهل الحق، عون للغريب، أب لليتيم، بعل للأرملة، حفي بأهل المسكنة، مرجو لكل كريمة، مأمول لكل شدة، هشاش بشاش، لا بعباس ولا بجساس، صليب كظام بسام، دقيق النظر، عظيم الحذر، لا يبخل وإن بخل عليه»^(١) الحديث، وفيه العديد من مصاديق السلم والسلام

(١) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ١٨٠-١٨٢ ب ٤ ح ١٢٦٨٧.

أو مقوماته .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «أما مؤمن عاد مؤمناً خاض الرحمة خوفاً فإذا جلس غمرته الرحمة فإذا انصرف وكل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له ويسترحمون عليه ويقولون طبت وطابت لك الجنة إلى تلك الساعة من غد، وكان له يا أبا حمزة خريف في الجنة». قلت: وما الخريف جعلت فذاك؟ قال عليه السلام: «زاوية في الجنة يسير الراكب فيها أربعين عاماً»^(١).

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: «ارحموا عزيزاً ذل وغنياً افتقر وعالمًا ضاع في زمان جهال»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان المسيح عليه السلام يقول: الناس رجلان معافى ومبتلى فاحمدوا الله على العافية وارحموا أهل البلاء»^(٣).

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»^(٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «حدثني أبي عن جدي عن آبائه عليهم السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام علم أصحابه في مجلس واحد أربعمئة باب مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه - إلى أن قال -: لا تعاجلوا الأمر قبل بلوغه فتندموا، ولا يطولن عليكم الأمد فتفسو قلوبكم، ارحموا ضعفاءكم واطلبوا الرحمة من الله عزوجل بالرحمة لهم إياكم»^(٥).

وعن علي عليه السلام: «لا تباغضوا فإنها الحالقة، وأفسوا السلام في العالم وردوا التحية على أهلها بأحسن منها، وارحموا الأرملة واليتيم، وأعينوا الضعيف والمظلوم والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب والمكاتب والمساكين،

(١) وسائل الشيعة: ج ٢ ص ٤١٥ ب ١٠ ح ٢٥١١.

(٢) قرب الإسناد: ص ٣٢.

(٣) مشكاة الأنوار: ص ٢٨ ب ١ ف ٦.

(٤) غوالي اللآلي: ج ١ ص ٣٦١ ب ١ المسلك الثاني ح ٤٢.

(٥) الخصال: ج ٢ ص ٦٢٢ علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه في مجلس واحد أربعمئة باب ح ١٠.

وانصروا المظلوم»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام يقول لأصحابه: «اتقوا الله وكونوا إخوة بررة متحابين في الله متواصلين متراحمين تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه»^(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله عز وجل رحيم يحب كل رحيم»^(٣).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «والذي نفسي بيده لا يضع الله الرحمة إلا على رحيم». قلنا: يا رسول الله كلنا رحيم؟ قال صلى الله عليه وآله: «ليس الذي يرحم نفسه وأهله خاصة ذاك الذي يرحم المسلمين»^(٤).

وقال صلى الله عليه وآله: «قال تعالى: إن كنتم تريدون رحمتي فارحموا»^(٥).

وقال صلى الله عليه وآله: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله»^(٦).

وعن علي عليه السلام أنه قال: «إذا عجز عن الضعفاء نيلك فلتسعهم رحمتك»^(٧).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»^(٨).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «تحتاج الأخوة فيما بينهم إلى ثلاثة أشياء فإن استعملوها وإلا تباينوا وتباغضوا وهي: التناصف والتراحم ونفي الحسد»^(٩).

١٨: الرفق

مسألة: يستحب الرفق، وهو من مصاديق أو مقومات السلم والسلام بالمعنى

الأعم. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نعم وزير الإيمان العلم، ونعم وزير العلم الحلم، ونعم وزير الحلم الرفق، ونعم وزير الرفق الصبر»^(١٠).

(١) تحف العقول: ص ١٥٢ خطبته عليه السلام المعروفة بالديباج.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٧٥ باب التراحم والتعاطف ح ١.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢١٦ ب ١٢٤ ح ١٦١٢٣.

(٤) غوالي اللآلي: ج ١ ص ٢٧٦ ب ١ المسلك الثاني ح ١٠٦.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٥٤ ب ١٠٧ ح ١٠١٨٢.

(٦) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٥٥ ب ١٠٧ ح ١٠١٨٣.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٧٠ ق ٥ ب ٣ ف ٧ ح ٨٣٩٢.

(٨) غوالي اللآلي: ج ١ ص ٣٦١ ب ١ المسلك الثاني ح ٤١.

(٩) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٢٣٦ ب ٢٣ ح ١٠٧.

(١٠) الكافي: ج ١ ص ٤٨ باب النوادر ح ٣.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثمان خصال: وقوراً عند الهزاهز، صبوراً عند البلاء، شكوراً عند الرخاء، قانعاً بما رزقه الله، لا يظلم الأعداء، ولا يتحامل للأصدقاء، بدنه منه في تعب والناس منه في راحة، إن العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل أمير جنوده، والرفق أخوه، والبر والده»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «مدارة الناس نصف الإيمان والرفق بهم نصف العيش»^(٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن لكل شيء قفلاً وقفل الإيمان الرفق»^(٣).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «من قسم له الرفق قسم له الإيمان»^(٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى رفيق يحب الرفق»^(٥).

وقال رسول الله ﷺ: «الرفق يمن، والخرق شؤم»^(٦).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله عز وجل رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»^(٧).

وقال رسول الله ﷺ: «إن الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه»^(٨).

وعن النبي ﷺ قال: «إن في الرفق الزيادة والبركة، ومن يحرم الرفق يحرم الخير»^(٩).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما زوي الرفق عن أهل بيت إلا زوي عنهم

(١) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ١٨٥ ب ٤ ح ٢٠٢٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٠١ ب ١٢١ ح ١٦٠٨٥.

(٣) مشكاة الأنوار: ص ١٧٩ ب ٣ ف ٢٣.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٥٦ ب ٤٢ ح ٢١.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ١١٨ باب الرفق ح ٣.

(٦) مشكاة الأنوار: ص ١٨٠ ب ٣ ف ٢٣.

(٧) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٦٠ ب ٤٢ ح ٢٤.

(٨) الكافي: ج ٢ ص ١١٩ باب الرفق ح ٦.

(٩) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٢٧١ ب ٢٧ ح ٢٠٤٨٦.

الخير»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أما أهل بيت أعطي حظهم من الرفق فقد وسع الله عليهم في الرزق»^(٢).

وعن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: «الرفق نصف العيش»^(٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو كان الرفق خلقاً يرى ما كان مما خلق الله شيء أحسن منه»^(٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إطعام الأسير حق على من أسره، وإن كان يراد

(١) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٦٠ ب ٤٢ ح ٢٧.

(٢) مشكاة الأنوار: ص ١٧٩ ب ٣ ف ٢٣.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ١٢٠ باب الرفق ح ١١.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٢٧٠ ب ٢٧ ح ٤٨٢.

من الغد قتله فإنه ينبغي أن يطعم ويسقى ويظل ويرفق به كافرًا كان أو غيره»^(١).
وقال رسول الله ﷺ: «ما اصطحب اثنان إلا كان أعظمهما أجرًا وأحبهما إلى الله عز وجل أرفقهما بصاحبه»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «من كان رفيقًا في أمره نال ما يريد من الناس»^(٣).
وعن عمر بن حنظلة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يا عمر، لا تحملوا على شيعتنا وارفقوا بهم؛ فإن الناس لا يحملون ما تحملون»^(٤).

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: «كان آخر ما أوصى به الخضر موسى بن عمران عليه السلام أن قال له: لا تعيرن أحداً بذنوبه؛ وإن أحب الأمور إلى الله عز وجل ثلاثة: القصد في الجدة والعفو في المقدرة والرفق بعباد الله، وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله عز وجل به يوم القيامة، ورأس الحكمة مخافة الله تبارك وتعالى»^(٥).

وعن علي بن يقطين قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: «إنه كان في بني إسرائيل رجل مؤمن وكان له جار كافر وكان يرفق بالمؤمن ويوليه المعروف في الدنيا، فلما أن مات الكافر بنى الله له بيتاً في النار من طين فكان يقيه حرها ويأتيه الرزق من غيرها وقيل له هذا بما كنت تدخله على جارك المؤمن فلان بن فلان من الرفق وتوليه من المعروف في الدنيا»^(٦).

وعن جعفر بن محمد عليه السلام عن آبائه عليه السلام في وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام قال: «يا علي أربع من كن فيه بنى الله له بيتاً في الجنة: من آوى اليتيم، ورحم الضعيف، وأشفق على والديه، ورفق بمملوكه»^(٧).

وعن سيد العابدين علي بن الحسين عليه السلام قال: «وأما حق الزوجة: فأن تعلم أن

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٥ باب الرفق بالأسير وإطعامه ح ٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٧٨ باب الرفقاء في السفر ح ٢٤٣٧.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٢٧٢ ب ٢٧ ح ٢٠٤٩٢.

(٤) الكافي: ج ٨ ص ٣٣٤ حديث الفقهاء والعلماء ح ٥٢٢.

(٥) الخصال: ج ١ ص ١١١ أحب الأمور إلى الله ثلاثة ح ٨٣.

(٦) ثواب الأعمال: ص ١٦٩ ثواب الكافر يصنع المعروف إلى المؤمن.

(٧) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٣٣٧-٣٣٨ ب ١٩ ح ٢١٧٠٤.

الله عزوجل جعلها لك سكناً وأنساً فتعلم أن ذلك نعمة من الله عزوجل عليك فتكرمها وترفق بها وإن كان حقك عليها أوجب فإن لها عليك أن ترحمها لأنها أسيرك وتطعمها وتسقيها وتكسوها وإذا جهلت عفوت عنها. وأما حق مملوكك: فإن تعلم أنه خلق ربك وابن أهلك وأمك ومن لحمك ودمك لم تملكه لأنك صنعته دون الله عزوجل ولا خلقت شيئاً من جوارحه ولا أخرجت له رزقاً ولكن الله عزوجل كفأك ذلك ثم سخره لك واثمنتك عليه واستودعك إياه ليحفظ لك ما تأتيه من خير إليه فأحسن إليه كما أحسن الله إليك وإن كرهته استبدلته ولا تعذب خلق الله عزوجل ولا قوة إلا بالله»^(١).

وعن النبي ﷺ في حديث المناهي قال: «ألا وأيا امرأة لم ترفق بزوجه وحملته على ما لا يقدر عليه وما لا يطيق لم يقبل الله منها حسنة وتلقى الله عزوجل وهو عليها غضبان»^(٢).

١٩: الرفق بالحيوان

مسألة: يستحب الرفق بالحيوان وعدم العنف به، وهو من مصاديق أو مقومات السلم والسلام بالمعنى الأعم. قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب الرفق ويعين عليه فإذا ركبتم الدواب العجف فأنزلوها منازلها فإن كانت الأرض مجدبة فأنجوا عنها وإن كانت مخصبة فأنزلوها منازلها»^(٣).

وعن أبي جعفر ع قال: «ترفق بالذبيحة ولا يعنف بها قبل الذبح ولا بعد، وكره أن يضرب عرقوب الشاة بالسكين»^(٤).

وعن أبي عبد الله ع قال: «قال علي ع: من سافر منكم بدابة فليبدأ حين

(١) مكارم الأخلاق: ص ٤٢١-٤٢٢ ب ١٢ ف ١.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ١٤٦-١٥١ و ١٦٠ باب ذكر جمل من مناهي النبي ﷺ ح ٤٩٦٨.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ١٢٠ باب الرفق ح ١٢.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦٢ ص ٣١٦ ب ٨ ح ١٠.

ينزل بعلفها وسقيها»^(١).

(١) المحاسن: ج ٢ ص ٣٦١ ب ٢٤ ح ٨٨.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إذا سرت في أرض مخصبة فارق بالسير وإذا سرت في أرض مجدبة فعجل السير»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: «أن النبي صلى الله عليه وآله أبصر ناقة معقولة وعليها جهازها، فقال: أين صاحبها مروه فليستعد غداً للخصومة»^(٢).

وعن حماد اللحام قال: مر قطار لأبي عبد الله عليه السلام فرأى زاملة قد مالت فقال عليه السلام: «يا غلام اعدل على هذا الحمل فإن الله يحب العدل»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «حج علي بن الحسين عليه السلام على راحلته عشر سنين ما قرعها بسوط»^(٤).

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «اضربوها على النفار ولا تضربوها على العثار»^(٥).

٢٠: السخاء

مسألة: يستحب السخاء وقد يجب، وهو من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم.

قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * إِنَّ تَقْرِيضَ اللَّهِ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفُهُ لَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾^(٦).

عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال: «سادة الناس في الدنيا الأسخياء وفي الآخرة الأتقياء»^(٧).

وعن الحسن بن أبان عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: «إن الله رضي لكم

(١) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٤٥١ ب ٥٨ ح ١٥٢٣٥.

(٢) المحاسن: ج ٢ ص ٣٦١ ب ٢٤ ح ٩٠.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٩٢ باب ما يجب من العدل على الجمل ح ٢٤٩٢.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٥٤٣ ب ٥١ ح ١٥٤٩٠.

(٥) نهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٦٤-١٦٥ ب ٧٧ ح ٧.

(٦) سورة التغابن: ١٦-١٧.

(٧) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٥٠ ب ٨٧ ح ١.

الإسلام ديناً فأحسنوا صحبته بالسخاء وحسن الخلق»^(١).

وعن الحسن بن الوشاء قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «السخي قريب من الله، قريب من الجنة، قريب من الناس، والبخل بعيد من الله، بعيد من الجنة، بعيد من الناس»^(٢).

وعن سعيد بن مسلمة عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: حدثني أبي عن أبيه عن جده (صلوات الله عليهم) عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إن السخاء شجرة من أشجار الجنة لها أغصان متدلّية في الدنيا فمن كان سخياً تعلق بغصن من أغصانها فساقه ذلك الغصن إلى الجنة، والبخل شجرة من أشجار النار لها أغصان متدلّية في الدنيا فمن كان بخيلاً تعلق بغصن من أغصانها فساقه ذلك الغصن إلى النار»^(٣).

وعن علي بن عوف الأزدي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «السخاء أن تسخو نفس العبد عن الحرام أن تطلبه، فإذا ظفر بالحلال طابت نفسه أن ينفقه في طاعة الله عز وجل»^(٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «السخاء شجرة أصلها في الجنة وهي مطلة على الدنيا من تعلق بغصن منها اجتره إلى الجنة»^(٥).

وقال رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم: «إن الله دفع عن أهلك العذاب الشديد لسخاء نفسه»^(٦).

وروي: أن جماعة من الأسارى جاءوا بهم إلى رسول الله ﷺ فأمر أمير المؤمنين عليه السلام بضرب أعناقهم ثم أمره بإفراد واحد لا يقتله. فقال الرجل: لِمَ أفردتني من أصحابي والجنّاة واحدة؟ فقال له: «إن الله تبارك وتعالى أوحى إليّ أنك سخي قومك ولا أقتلك». فقال الرجل: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله ﷺ.

(١) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٥٤ ب ١٠٤ ح ١٥٩٣٢.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٧ ص ١٦ ب ٢ ح ٧٥١٩.

(٣) الأمالي للطوسي: ص ٤٧٥ المجلس ١٧ ح ١٠٣٦.

(٤) معاني الأخبار: ص ٢٥٦ باب معنى السخاء وحده ح ٣.

(٥) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٥٣ ب ٨٧ ح ١٣.

(٦) الاختصاص: ص ٢٥٣ حديث في زيارة المؤمن لله.

قال: «فقاذه السخاء إلى الجنة»^(١).

وروي: «أن الله تبارك وتعالى يأخذ بناصية السخي إذا أعتز»^(٢).

وقال الصادق عليه السلام: «السخاء من أخلاق الأنبياء وهو عماد الإيمان، ولا يكون مؤمناً إلا سخياً، ولا يكون سخياً إلا ذو يقين وهمة عالية، لأن السخاء شعاع نور اليقين، ومن عرف ما قصد هان عليه ما بذل»^(٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الجنة دار الأسخياء»^(٤).

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «الرجال أربعة: سخي وكريم وبخيل ولئيم، فالسخي الذي يأكل ويعطي، والكريم الذي لا يأكل ويعطي، والبخيل الذي يأكل ولا يعطي، واللئيم الذي لا يأكل ولا يعطي»^(٥).

وقال الصادق عليه السلام: «جاهل سخي أفضل من ناسك بخيل»^(٦).

وعن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من صدق بالخلف جاد بالعطية»^(٧).

وعن السكوني عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «طعام السخي دواء وطعام الشحيح داء»^(٨).

٢١: الشفقة

مسألة: تستحب الشفقة وقد تجب، وهي من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم.

(١) مستدرک الوسائل: ج ٧ ص ١٤ ب ٢ ح ٧٥١٥.

(٢) فقه الرضا عليه السلام: ص ٣٦٣ ب ٩٧.

(٣) مصباح الشريعة: ص ٨٢ ب ٣٧.

(٤) جامع الأخبار: ص ١١٢ ف ٦٩.

(٥) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٥٦-٣٥٧ ب ٨٧ ضمن ح ١٨.

(٦) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٥٧ ب ٨٧ ضمن ح ٢٠، والبحار: ج ٧٥ ص ٢٢٨ ب ٢٣ ح ١٠٣.

(٧) الكافي: ج ٤ ص ٢ باب فضل الصدقة ح ٤.

(٨) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٥٨ ب ٨٧ ح ٢٢.

عن أبي حمزة الشمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أربع من كن فيه بنى الله له بيتا في الجنة: من آوى اليتيم ورحم الضعيف وأشفق على والديه وأنفق عليهما ورفق بمملوكه»^(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إن الله في خلقه نية وأحبها إليه أصلها وأرقها على إخوانه وأصفاها من الذنوب»^(٢).

وعن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «من دخل السوق فاشتري تحفة فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محاييج، وليبدأ بالإناث قبل الذكور فإنه من فرح ابنة فكأنما أعتق رقبة من ولد إسماعيل، ومن أقر عين ابن فكأنما بكى من خشية الله، ومن بكى من خشية الله أدخله جنات النعيم»^(٣).

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من كان له أنثى فلم يبدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة»^(٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كان له أختان أو بنتان فأحسن إليهما كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى»^(٥).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من ابتلي بشيء من هذه البنات فأحسن إليهن كن له ستراً من النار»^(٦).

وعن سليمان بن جعفر الجعفري عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله تبارك وتعالى على الإناث أرق منه على الذكور، وما من رجل يدخل فرحة على امرأة بينه وبينها حرمة إلا فرّحه الله يوم القيامة»^(٧).

وقال الصادق عليه السلام: «خمسة من خمسة محال: الحرمة من الفاسق محال،

(١) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٣٣٨-٣٣٩ ب ١٩ ح ٢١٧٠٧.

(٢) مصادقة الإخوان: ص ٣٢ باب الشفقة على الإخوان ح ١.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ١١٨ ب ٥ ح ١٧٧١٥.

(٤) غوالي اللآلي: ج ١ ص ١٨١ ف ٨ ح ٢٤٣.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ١١٨ ب ٥ ح ١٧٧١٧.

(٦) غوالي اللآلي: ج ١ ص ٢٥٤ ف ١٠ ح ١٠.

(٧) وسائل الشيعة: ج ٢١ ص ٣٦٧ ب ٧ ح ٢٧٣١٩.

والشفقة من العدو محال، والنصيحة من الحاسد محال، والوفاء من المرأة محال، والهيبة من الفقير محال»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام لولده الحسن عليه السلام: «يا بني إذا نزل بك كلب الزمان وقحط الدهر فعليك بذوي الأصول الثابتة والفروع النابتة من أهل الرحمة والإيثار والشفقة، فإنهم أقضى للحاجات وأمضى لدفع الملمات، وإياك وطلب الفضل واكتساب الطساسيج والقراريط من ذوي الأكف اليابسة والوجوه العابسة فإنهم إن أعطوا منوا وإن منعوا كدوا ثم أنشأ يقول:

واسأل العرف إن سألت كريماً لم يزل يعرف الغنى واليسارا
فسؤال الكريم يورث عزاً وسؤال اللئيم يورث عارا
وإذا لم تجد من الذل بدأ فالق بالذل إن لقيت كبارا
ليس إجلالك الكبير بعار إنما العار أن تجل الصغارا^(٢)

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «اطلبوا البذل من رحماء أمتي، فعليهم تنزل الرحمة من الله، ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فعليهم تنزل اللعنة من الله»^(٣).

وعن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة قال: حدثني جعفر عن أبيه عليه السلام قال: «كان علي عليه السلام يقول في دعائه وهو ساجد: فإن جعلت لي حاجة إلى أحد من خلقك فاجعلها إلى أحسنهم وجهاً وخلقاً وأسأهم بها نفساً وأطلقهم بها لساناً وأسمحهم بها كفاً وأقلهم بها علياً امتناناً»^(٤).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الحب لله والشفقة للأولاد»^(٥).

وسئل رسول الله ﷺ عن القلب السليم؟ فقال: «هذا قلب من لا يدخل الجنة بكثرة الصلاة والصيام، ولكن يدخلها برحمة الله وسلامة الصدر وسخاوة النفس

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٥٨ باب حد شرب الخمر ح ٥٠٩٢.

(٢) أعلام الدين: ص ٢٧٤ فصل من كلام سيدنا رسول الله ﷺ.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٢٢٩ ب ٣٢ ح ٨١٠٨.

(٤) قرب الإسناد: ص ٢.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ١٧١ ب ٦٥ ح ١٧٨٩٨.

والشفقة على المسلمين»^(١).

ولما جاء بابل ملجم (لعنه الله) إلى أمير المؤمنين عليه السلام التفت إلى ولده الحسن عليه السلام وقال له: «ارفق يا ولدي بأسيرك وارحمه وأحسن إليه وأشفق عليه، ألا ترى إلى عينيه قد طارتا في أم رأسه وقلبه يرجف خوفا ورعبا وفرعا». فقال له الحسن عليه السلام: «يا أباه قد قتلك هذا اللعين الفاجر وأفجعنا فيك وأنت تأمرنا بالرفق به». فقال له: «نعم يا بني نحن أهل بيت لا نزداد على المذنب إلينا إلا كرما وعفوا، والرحمة والشفقة من شيمتنا لا من شيمته، بحقي عليك فأطعمه يا بني مما تأكله واسقه مما تشرب ولا تقيد له قدماً ولا تغل له يداً، فإن أنا مت فاقتص منه بأن تقتله وتضربه ضربة واحدة وتحرقه بالنار ولا تمتل بالرجل فإني سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور وإن أنا عشت فأنا أولى بالعضو عنه وأنا أعلم بما أفعل به فإن عفوت فحن أهل بيت لا نزداد على المذنب إلينا إلا عفواً وكرماً»^(٢).

وفي وصية النبي صلى الله عليه وآله إلى عبد الله بن مسعود: «يا ابن مسعود لا تحملنك الشفقة على أهلك وولدك على الدخول في المعاصي والحرام فإن الله تعالى يقول: [يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ]^(٣)»^(٤).

وفي الدعاء المروي عن الإمام المهدي عليه السلام: «وتفضل على علمائنا بالزهد والنصيحة، وعلى المتعلمين بالجهد والرغبة، وعلى المستمعين بالاتباع والموعظة، وعلى مرضى المسلمين بالشفاء والراحة، وعلى موتاهم بالرأفة والرحمة، وعلى مشايخنا بالوقار والسكينة، وعلى الشباب بالإنابة والتوبة، وعلى النساء بالحياء والعفة، وعلى الأغنياء بالتواضع والسعة، وعلى الفقراء بالصبر والقناعة، وعلى الغزاة بالنصر والغلبة، وعلى الأسراء بالخلاص والراحة، وعلى الأمراء بالعدل

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ٢٦٠ ب ١٥٥ ح ١٨١٨٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ٢٨٧-٢٨٨ ب ١٢٧.

(٣) سورة الشعراء: ٨٨-٨٩.

(٤) مكارم الأخلاق: ص ٤٥٧ ب ٢ ف ٤.

والشفقة، وعلى الرعية بالإنصاف وحسن السيرة...»^(١).

وقال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «الإمام السحاب الماطر، والغيث الهائل، والشمس المضيئة، والسماء الظليلة، والأرض البسيطة، والعين الغزيرة، والغدير والروضة. الإمام الأنيس الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشقيق، والأم البرة بالولد الصغير، ومفزع العباد في الداهية النآد»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنما سمي الرفيق رفيقا لأنه يرفقك على صلاح دينك، فمن أعانك على صلاح دينك فهو الرفيق الشفيق»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من دعاك إلى الدار الباقية وأعانك على العمل لها فهو الصديق الشفيق»^(٤).

وقال علي عليه السلام: «كن كالطبيب الرفيق الشفيق الذي يضع الدواء بحيث ينفع»^(٥).
ومن خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام: «أما بعد، فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة وتعقب الندامة، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري، ونخلت لكم مخزون رأبي، لو كان يطاع لقصير أمر»^(٦).

٢٢: الشكر

مسألة: شكر المنعم واجب في الجملة وبعض مراتبه مستحب، وهو من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم.

قال سبحانه: [وَأَشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ] ^(٧).

وقال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

(١) البلد الأمين: ص ٣٤٩-٣٥٠ دعاء آخر مروى عن المهدي عليه السلام أيضاً.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٢٠٠ باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته ح ١.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٢٤ ق ٦ ب ٢ ف ٧ ح ٩٧٣٠.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٢٤ ق ٦ ب ٢ ف ٧ ح ٩٧٣٧.

(٥) مصباح الشريعة: ص ٢١ ب ٨.

(٦) نهج البلاغة: الخطب ٣٥ ومن خطبة له عليه السلام بعد التحكيم.

(٧) سورة النحل: ١١٤.

يَشْكُرُونَ] ^(١).

وقال سبحانه: [وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي

لَشَدِيدٌ] ^(٢).

وقال تعالى: [وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] ^(٣).

عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «الطاعم الشاكر

له من الأجر كأجر الصائم المحتسب، والمعافي الشاكر له من الأجر كأجر المبتلى

الصابر، والمعطى الشاكر له من الأجر كأجر المحروم القانع» ^(٤).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان رسول الله ﷺ عند عائشة ليلتها. قالت: يا

رسول الله، ولم تتعب نفسك وغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: يا

عائشة، ألا أكون عبدا شكورا. قال: - وكان رسول الله ﷺ يقوم على أطراف أصابع

رجليه فأنزل الله تعالى: [طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى] ^(٥) ^(٦).

وقال عليه السلام: «ما فتح الله على عبد باب شكر فخرن عنه باب الزيادة» ^(٧).

وعن عبد الله بن إسحاق الجعفري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مكتوب في

التوراة: اشكر من أنعم عليك، وأنعم على من شكرك؛ فإنه لا زوال للنعماء إذا

شكرت، ولا بقاء لها إذا كفرت، والشكر زيادة في النعم، وأمان من الغير» ^(٨).

وعن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: هل للشكر حد إذا فعله العبد كان

شاكرا؟ قال: «نعم». قلت: ما هو؟ قال: «يحمد الله على كل نعمة عليه في أهل ومال

وإن كان فيما أنعم عليه في ماله حق أداء ومنه قول الله عز وجل: [سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ

(١) سورة يونس: ٦٠.

(٢) سورة إبراهيم: ٧.

(٣) سورة النحل: ٧٨.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٩٤ باب الشكر ح ١.

(٥) سورة طه: ١-٢.

(٦) مستدرک الوسائل: ج ١ ص ١٢٨ ب ١٨ ح ١٧٣.

(٧) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٣١١ ب ٨ ح ٢١٦٢٨.

(٨) الكافي: ج ٢ ص ٩٤ باب الشكر ح ٣.

لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ^(١)، ومنه قوله تعالى: [رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ]^(٢)، ومنه قوله تعالى: [رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مَبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ]^(٣)، وقوله: [رَبِّ أَدْخُلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا]^(٤)»^(٥).

وعن معمر بن خلاد قال: سمعت أبا الحسن (صلوات الله عليه) يقول: «من حمد الله على النعمة فقد شكره، وكان الحمد أفضل من تلك النعمة»^(٦).

وعن صفوان الجمال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: «ما أنعم الله على عبد بنعمة صغرت أو كبرت فقال: الحمد لله، إلا أدى شكرها»^(٧).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من أنعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه فقد أدى شكرها»^(٨).

وعن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إن الرجل منكم ليشرب الشربة من الماء فيوجب الله له بها الجنة - ثم قال -: إنه ليأخذ الإناء فيضعه على فيه ويسمي ثم يشرب فينحيه وهو يشتهي فيحمد الله ثم يعود يشرب ثم ينحيه فيحمد الله ثم يعود فيشرب ثم ينحيه فيحمد الله فيشرب ثم ينحيه فيحمد الله فيوجب له عز وجل بها الجنة»^(٩).

وعن عمر بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني سألت الله عز وجل أن يرزقني مالا فرزقني، وإني سألت الله أن يرزقني ولدا فرزقني، وسألته أن يرزقني دارا

(١) سورة الزخرف: ١٣.

(٢) سورة القصص: ٢٤.

(٣) سورة المؤمنون: ٢٩.

(٤) سورة الإسراء: ٨٠.

(٥) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٢٩ ب ٦١ ح ٧.

(٦) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣١ ب ٦١ ح ٨.

(٧) الكافي: ج ٢ ص ٩٦ باب الشكر ح ١٤.

(٨) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٢ ب ٦١ ح ١٠.

(٩) وسائل الشيعة: ج ٢٥ ص ٢٥١ ب ١٠ ح ٣١٨٣٢.

فرزقني، وقد خفت أن يكون ذلك استدراجا؟ فقال: «أما والله مع الحمد فلا»^(١).
وعن المثني الحنيط عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ورد عليه أمر يسره قال: الحمد لله على هذه النعمة، وإذا ورد عليه أمر يغم به قال: الحمد لله على كل حال»^(٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «تقول ثلاث مرات إذا نظرت إلى المبتلى من غير أن تسمعه: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه ولو شاء فعل - قال -: من قال ذلك لم يصبه ذلك البلاء أبدا»^(٣).

وعن عبد الله بن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام «أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في سفر يسير على ناقة له إذ نزل فسجد خمس سجعات فلما ركب قالوا: يا رسول الله إنا رأيناك صنعت شيئا لم تصنعه؟ فقال: نعم استقبلني جبرئيل فبشرني ببشارات من الله عز وجل فسجدت شكرا لله لكل بشرى سجدة»^(٤).

وعن يونس بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا ذكر أحدكم نعمة الله جل وعز فليضع خده على التراب شكرا لله فإن كان راكبا فلينزل فليضع خده على التراب وإن لم يكن يقدر على النزول للشهرة فليضع خده على قربوسه فإن لم يكن يقدر فليضع خده على كفه ثم ليحمد الله على ما أنعم عليه»^(٥).

وعن هشام بن أحمد قال: كنت أسير مع أبي الحسن عليه السلام في بعض أطراف المدينة إذ ثنى رجله عن دابته فخر ساجدا فأطال وأطال ثم رفع رأسه وركب دابته، فقلت: جعلت فداك قد أطلت السجود؟ فقال: «إني ذكرت نعمة أنعم الله بها عليَّ فأحببت أن أشكر ربي»^(٦).

(١) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٢ ب ٦١ ح ١٢.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٩٧ باب الشكر ح ١٩.

(٣) مكارم الأخلاق: ص ٣٥١ ب ١٠ ف ه في البلاء.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٧ ص ١٨ - ١٩ ب ٧ ح ٨٥٩٠.

(٥) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٥ ب ٦١ ح ٢٠.

(٦) مشكاة الأنوار: ص ٢٩ ب ١ ف ٦.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: يا موسى أشكرني حق شكري. فقال: يا رب فكيف أشكرك حق شكرك وليس من شكر أشكرك به إلا وأنت أنعمت به عليّ؟ فقال: يا موسى شكرتني حق شكري حين علمت أن ذلك مني»^(١).

وقد روي هذا عن داود عليه السلام أيضاً حيث قال: «يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك. فأوحى الله تعالى إليه: إذا عرفت هذا فقد شكرتني»^(٢).

وعن إسماعيل بن الفضل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا أصبحت وأمسيت فقل عشر مرات: اللهم ما أصبحت بي من نعمة أو عافية في دين أو دنيا فمذكرك وحذك لا شريك لك، لك الحمد ولك الشكر بها عليّ يا رب حتى ترضى وبعد الرضا؛ فإنك إذا قلت ذلك كنت قد أديت شكر ما أنعم الله به عليك في ذلك اليوم وفي تلك الليلة»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان نوح عليه السلام يقول ذلك إذا أصبح وأمسى فسمي بذلك عبداً شكوراً»^(٤).

وعن عمار الدهني قال: سمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول: «إن الله يحب كل قلب حزين ويجب كل عبد شكور، يقول الله تبارك وتعالى - لعبد من عبده يوم القيامة -: أشكرت فلانا؟ فيقول: بل شكرتك يا رب. فيقول: لم تشكرني إذ لم تشكره - ثم قال -: أشكركم لله أشكركم للناس»^(٥).

وعن عبيد الله بن الوليد الوصافي قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام يقول: «ثلاث لا يضر معهن شيء: الدعاء عند الكربات، والاستغفار عن الذنب،

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٦١ ب ٨ ف ٥ ح ١٧٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٦ ب ٦١ ضمن ح ٢٢.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٩٩ باب الشكر ح ٢٨.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٧ ص ٢٢٩ ب ٤٩ ح ٩١٩٣.

(٥) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٨ ب ٦١ ح ٢٥.

والشكر عند النعمة»^(١).

وعن معاوية بن وهب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من أعطي الشكر أعطي الزيادة، يقول الله عز وجل: [لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ]»^(٢)»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما أنعم الله على عبد من نعمة فعرّفها بقلبه وحمد الله ظاهراً بلسانه فتم كلامه حتى يؤمر له بالمزيد»^(٤).

وعن ميسر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «شكر النعمة اجتناب المحارم، وتمام الشكر قول الرجل: الحمد لله رب العالمين»^(٥).

وعن عمر بن يزيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «شكر كل نعمة وإن عظمت أن تحمد الله عز وجل»^(٦).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله أنعم على قوم بالمواهب فلم يشكروا فصارت عليهم وبالاً، وابتلى قوما بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة»^(٧).

وقال النبي ﷺ: «ومن يشكر الله يزدده الله»^(٨).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «شكر كل نعمة الورع عن محارم الله»^(٩).

٢٣: الصبر

مسألة: يستحب الصبر وقد يجب، وهو من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم.

قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ

(١) الأمالي للطوسي: ص ٢٠٤ المجلس ٧ ح ٣٤٩.

(٢) سورة إبراهيم: ٧.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٩٥ باب الشكر ح ٨.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٤٠ ب ٦١ ح ٢٨.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٩٥ باب الشكر ح ١٠.

(٦) الخصال: ص ٢١ شكر كل نعمة خصلة ح ٧٣.

(٧) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٣٧٧ ب ٩٣ ح ٢٢٢.

(٨) الأمالي للصدوق: ص ٤٨٨ المجلس ٦٤ ح ١.

(٩) مشكاة الأنوار: ص ٣٥ ب ١ ف ٧.

الصَّابِرِينَ] ^(١).

وقال سبحانه: [لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مَّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ] ^(٢).

وقال تعالى: [وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا] ^(٣).

وقال سبحانه: [وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ] ^(٤).

وقال تعالى: [فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ] ^(٥).

عن حفص بن غياث قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا حفص إن من صبر صبر قليلاً، وإن من جزع جزع قليلاً - ثم قال -: عليك بالصبر في جميع أمورك فإن الله عزوجل بعث محمداً عليه السلام فأمره بالصبر والرفق فقال: [وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا * وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ] ^(٦)، وقال تبارك وتعالى: [ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ] ^(٧) فصر عليه السلام حتى نالوه بالعظام ورموه بها فضاقت صدره فأنزل الله عزوجل عليه: [وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ يَصِيقًا صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ] ^(٨) ثم كذبوه ورموه فحزن لذلك فأنزل الله عزوجل: [قَدْ نَعَلْنَا إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ

(١) سورة البقرة: ١٥٣.

(٢) سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧.

(٣) سورة الأعراف: ١٣٧.

(٤) سورة الأنفال: ٤٦.

(٥) سورة هود: ٤٩.

(٦) سورة المزمل: ١٠-١١.

(٧) سورة فصلت: ٣٤-٣٥.

(٨) سورة الحجر: ٩٧-٩٨.

فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا^(١)] فألزم النبي ﷺ نفسه الصبر فتعدوا فذكروا الله تبارك وتعالى وكذبوه فقال: قد صبرت في نفسي وأهلي وعرضي ولا صبر لي على ذكر إلهي فأنزل الله عزوجل: [وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ❖ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ]^(٢) فصبر في جميع أحواله ثم بشر في عترته بالأئمة ووصفوا بالصبر فقال جل ثناؤه: [وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ]^(٣) فعند ذلك قال ﷺ: الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد فشكر الله عزوجل ذلك له فأنزل الله عزوجل: [وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ]^(٤) فقال ﷺ: إنه بشرى وانتقام فأباح الله عزوجل له قتال المشركين فأنزل الله: [فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ واقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ]^(٥) و [اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ]^(٦) فقتلهم الله على أيدي رسول الله ﷺ وأحبابه وجعل له ثواب صبره مع ما ادخر له في الآخرة فمن صبر واحتسب لم يخرج من الدنيا حتى يقر الله عينه في أعدائه مع ما يدخر له في الآخرة^(٧).

وعن ابن أبي يعفور عن أبي عبد الله ﷺ قال: «الصبر رأس الإيمان»^(٨).
وعن حمزة بن حمران عن أبي جعفر ﷺ قال: «الجنة محفوفة بالمكاره والصبر، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات فمن أعطى نفسه لذتها وشهواتها دخل النار»^(٩).

(١) سورة الأنعام: ٣٣-٣٤.

(٢) سورة ق: ٣٨-٣٩.

(٣) سورة السجدة: ٢٤.

(٤) سورة الأعراف: ١٣٧.

(٥) سورة التوبة: ٥.

(٦) سورة البقرة: ١٩١، سورة النساء: ٩١.

(٧) الكافي: ج ٢ ص ٨٨-٨٩، باب الصبر ح ٣.

(٨) وسائل الشيعة: ج ٣ ص ٢٥٧ ب ٧٦ ح ٣٥٦٨.

(٩) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٧٢ ب ٦٢ ح ٤.

وعن عبد الله بن ميمون عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «دخل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) المسجد فإذا هو برجل على باب المسجد كئيب حزين، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ما لك؟ قال: يا أمير المؤمنين أصبت بأبي وأمي وأخي وأخشى أن أكون قد وجلت. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: عليك بتقوى الله والصبر تقدم عليه غداً والصبر في الأمور بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد، وإذا فارق الصبر الأمور فسدت الأمور»^(١).

وعن الأصبغ قال: قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «الصبر صبران: صبر عند المصيبة حسن جميل، وأحسن من ذلك الصبر عند ما حرم الله عليك. والذكر ذكران: ذكر الله عزوجل عند المصيبة وأفضل من ذلك ذكر الله عند ما حرم عليك فيكون حاجزاً»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنه سيكون زمان لا يستقيم لهم الملك إلا بالقتل والجور، ولا يستقيم لهم الغنى إلا بالبخل، ولا يستقيم لهم الصحة في الناس إلا باتباع أهوائهم والاستخراج من الدين، فمن أدرك ذلك الزمان فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى، وصبر على الذل وهو يقدر على العز، وصبر على بغضة الناس وهو يقدر على المحبة، أعطاه الله ثواب خمسين صديقاً»^(٣).

وعن أبي حمزة قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «لما حضرت علي بن الحسين عليه السلام الوفاة ضممني إلى صدره وقال: يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة وبما ذكر أن أباه أوصاه به، يا بني اصبر على الحق وإن كان مرأاً»^(٤).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «الصبر صبران: صبر على البلاء حسن جميل، وأفضل الصبرين الورع عن المحارم»^(٥).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٩٠ باب الصبر ح ٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٧٥ ب ٦٢ ح ٨.

(٣) جامع الأخبار: ص ١١٦ - ١١٧ ف ٧١.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٢٣٧ ب ١٩ ح ٢٠٣٧٠.

(٥) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٧٧ ب ٦٢ ح ١١.

وعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية. فمن صبر على المصيبة حتى يردّها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء إلى الأرض. ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش. ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش»^(١).

وعن أبي حمزة الثمالي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «من ابتلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنا صبر وشيعتنا أصبر منا». قلت: جعلت فداك كيف صار شيعتكم أصبر منكم؟ قال: «لأننا نصبر على ما نعلم وشيعتنا يصبرون على ما لا يعلمون»^(٣).

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله أنعم على قوم فلم يشكروا فصارت عليهم وبالاً، وابتلى قوما بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة»^(٤).

وعن أبان بن أبي مسافر عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا] ^(٥) قال: «اصبروا على المصائب»^(٦).

وعن جابر قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: رحمك الله ما الصبر الجميل؟ قال: «ذاك صبر ليس فيه شكوى إلى الناس»^(٧).

وعن أبي نعمان عن أبي عبد الله عليه السلام أو أبي جعفر عليه السلام قال: «من لا يعد

(١) الكافي: ج ٢ ص ٩١ باب الصبر ح ١٥.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٣ ص ٢٥٥ ب ٧٦ ح ٣٥٦٠.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٨٠ ب ٦٢ ح ١٦.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ٤٢٣ ب ٦٤ ح ٢٣٥٢.

(٥) سورة آل عمران: ٢٠٠.

(٦) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٨٢ ب ٦٢ ح ١٩.

(٧) تفسير العياشي: ج ٢ ص ١٨٨ من سورة يوسف ح ٥٧.

الصبر لنوائب الدهر يعجز»^(١).

وقال النبي ﷺ: «من يعرف البلاء يصبر عليه ومن لا يعرفه ينكره»^(٢).

وعن ابن مسكان عن أبي عبد الله ﷺ قال: «اصبروا على المصائب». وقال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الصابرون؟ فيقوم فئام من الناس ثم ينادي: أين المتصبرون؟ فيقوم فئام من الناس». قلت: جعلت فداك وما الصابرون وما المتصبرون؟ قال: «الصابرون على أداء الفرائض والمتصبرون على اجتناب المحارم»^(٣).

وفي تفسير القمي: [جَنَاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ]^(٤) قال: نزلت في الأئمة عليهم السلام وشيعتهم الذين صبروا^(٥).

وعن جعفر، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: «لا يذوق المرء من حقيقة الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال: الفقه في الدين، والصبر على المصائب، وحسن التقدير في المعاش»^(٦).

٢٤: الصدق

مسألة: يجب الصدق، وهو من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم. قال تعالى: [قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ]^(٧).

وقال سبحانه: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ]^(٨).

(١) وسائل الشيعة: ج ٣ ص ٢٥٩ ب ٧٦ ح ٣٥٧٨.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٤٠٣ ومن ألفاظ رسول الله الموجزة ح ٥٨٦٨.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٨٣ ب ٦٢ ح ٢٥.

(٤) سورة الرعد: ٢٣ - ٢٤.

(٥) تفسير القمي: ج ١ ص ٣٦٥ سورة الرعد.

(٦) قرب الإسناد: ص ٤٦.

(٧) سورة المائدة: ١١٩.

(٨) سورة التوبة: ١١٩.

وقال تعالى: [وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي أَلْزَمُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ] (١).

عن الحسين بن أبي العلاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله عزوجل لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى البر والفاجر» (٢).

وعن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من صدق لسانه زكا عمله» (٣).

وعن عمرو بن أبي المقدم قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام في أول دخلة دخلت عليه: «تعلموا الصدق قبل الحديث» (٤).

وعن ابن أبي يعفور عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كونوا دعاة للناس بالخير بغير ألسنتكم ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع» (٥).

والحسن بن زياد الصيقل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «من صدق لسانه زكا عمله، ومن حسنت نيته زيد في رزقه، ومن حسن بره بأهل بيته زيد في عمره» (٦).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده فإن ذلك شيء قد اعتاده فلو تركه استوحش لذلك ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته» (٧).

وعن أحمد بن محمد الهمداني عن أبي جعفر الثاني عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم وكثرة الحج والمعروف وطننتهم بالليل، ولكن انظروا إلى صدق الحديث وأداء الأمانة» (٨).

(١) سورة الزمر: ٣٣-٣٥.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٠٤ باب الصدق وأداء الأمانة ح ١.

(٣) الخصال: ج ١ ص ٨٨ ثلاث بثلاث ح ٢١-٢٢.

(٤) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ١٨٨.

(٥) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٧-٨ ب ٦٠ ح ٨.

(٦) الأمالي للطوسي: ص ٢٤٥ المجلس ٩ ح ٤٢٥.

(٧) الكافي: ج ٢ ص ١٠٥ باب الصدق وأداء الأمانة ح ١٢.

(٨) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٩ ب ٦٠ ح ١٣.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الزموا الصدق فإنه منجاة»^(١).

وعن السكوني عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «زينة الحديث الصدق»^(٢).

٢٥: الصفح

مسألة: يستحب الصفح، وهو من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم.

قال تعالى: [فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ]^(٣).

وقال سبحانه: [وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]^(٤).

وقال تعالى: [فَبِمَا نَفَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ]^(٥).

وقال سبحانه: [وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ]^(٦).

وقال تعالى: [وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ]^(٧).

عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ثلاث لا يزيد الله بهن المرء المسلم إلا عزا:

(١) تحف العقول: ص ١٠٤ آدابه عليه السلام لأصحابه وهي أربعمئة باب.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ١٧ ب ٦٠ ح ٣٢.

(٣) سورة الزخرف: ٨٩.

(٤) سورة البقرة: ١٠٩.

(٥) سورة المائدة: ١٣.

(٦) سورة الحجر: ٨٥.

(٧) سورة النور: ٢٢.

الصفح عمن ظلمه، وإعطاء من حرمه، والصلة لمن قطعه»^(١).

وعن علي بن الحسن بن فضال عن أبيه قال: قال الرضا عليه السلام في قول الله عزوجل: [فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ]^(٢) قال: «العفو من غير عتاب»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «عليك بمداواة الناس، وإكرام العلماء، والصفح عن زلات الإخوان، فقد أدبك سيد الأولين والآخرين بقوله والله : اعف عمن ظلمك، وصل من قطعك، وأعط من حرمك»^(٤).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «الصفح الجميل أن لا تعاقب على الذنب، والصبر الجميل الذي ليس فيه شكوى»^(٥).

وعن جراح المدائني قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «ألا أحدثك بمكارم الأخلاق: الصفع عن الناس، ومواساة الرجل أخاه في ماله، وذكر الله كثيراً»^(٦).

وقال ابن أبي الحديد في سياسة علي عليه السلام وجريها على سياسة الرسول والله: (وكان عمر مع ذلك شديد الغلظة والسياسة، وكان علي عليه السلام كثير الحلم والصفح والتجاوز فازدادت خلافة ذاك قوة وخلافة هذا لنا)^(٧).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الصفح أحسن الشيم»^(٨). وقال عليه السلام: «الصفح أن يعفو الرجل عما يجنى عليه ويحلم عما يغيظه»^(٩).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «المتورع يحتاج إلى ثلاثة أصول: الصفع عن

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٠٨-١٠٩ باب العفو ح ١٠.

(٢) سورة الحجر: ٨٥.

(٣) معاني الأخبار: ص ٣٧٣-٣٧٤ باب معنى الصفع الجميل ح ١.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٧١ ب ١٦ ح ٣٤.

(٥) تحف العقول: ص ٣٦٩ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(٦) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ١٩٩ ب ٦ ح ٢٠٢٧٣.

(٧) شرح نهج البلاغة: ج ١٠ ص ٢١٣ سياسة علي عليه السلام وجريها على سياسة الرسول والله.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٥ ق ٣ ب ٢ ف ٢ فضيلة العفو والترغيب فيه ح ٥٠٠٣.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٥ ق ٣ ب ٢ ف ٢ فضيلة العفو والترغيب فيه ح ٥٠٠٧.

عشرات الخلق أجمع، وترك خطيئته فيهم، واستواء المدح والذم»^(١).
 وقال الإمام الرضا عليه السلام في تفسير قوله تعالى: [فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ]^(٢)،
 فقال عليه السلام: «عفواً من غير عقوبة ولا تعنيف ولا عتب»^(٣).

٢٦: الصمت

مسألة: يستحب الصمت في الجملة وقد يجب، وهو من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم.

قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ * قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ]^(٤).

وسئل علي بن الحسين عليه السلام عن الكلام والسكوت أيهما أفضل؟ فقال عليه السلام:
 «لكل واحد منهما آفات فإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت». قيل:
 وكيف ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: «لأن الله عزوجل ما بعث الأنبياء والأوصياء
 بالسكوت إنما يبعثهم بالكلام، ولا استحقت الجنة بالسكوت ولا استوجبت ولاية الله
 بالسكوت، ولا توقيت النار بالسكوت، ولا تجنب سخط الله بالسكوت إنما ذلك كله
 بالكلام، وما كنت لأعدل القمر بالشمس إنك تصف فضل السكوت بالكلام ولست
 تصف فضل الكلام بالسكوت»^(٥).

وعن سليمان بن خالد عن الصادق عن آبائه عليهم السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام قال:
 «جمع الخير كله في ثلاث خصال: النظر والسكوت والكلام، فكل نظر ليس فيه
 اعتبار فهو سهو، وكل سكوت ليس فيه فكر فهو غفلة، وكل كلام ليس فيه ذكر فهو
 لغو، فطوبى لمن كان نظره عبثاً، وسكوته فكراً، وكلامه ذكراً، وبكى على خطيئته

(١) مصباح الشريعة: ص ٤٠ ب ١٨.

(٢) سورة الحجر: ٨٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٥٧ ب ٢٦ ضمن ح ١٢.

(٤) سورة المائدة: ١٠١-١٠٢.

(٥) الاحتجاج: ج ٢ ص ٣١٥ احتجابه عليه السلام في أشياء شتى من علوم الدين.

وآمن الناس شره»^(١).

وعن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام عن أبيه عن جده قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة خطبها بعد موت النبي ﷺ بتسعة أيام وذلك حين فرغ من جمع القرآن: «... ولا حافظ أحفظ من الصمت»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «أعظم الناس قدراً من ترك ما لا يعنيه»^(٣).

وقال الصادق عليه السلام قال: «النوم راحة للجسد، والنطق راحة للروح، والسكوت راحة للعقل»^(٤).

وعن عبد العظيم الحسيني عن أبي جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «المرء محبوب تحت لسانه»^(٥).

وعن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي قال: قال أبو الحسن عليه السلام: «من علامات الفقه: الحلم والعلم والصمت، إن الصمت باب من أبواب الحكمة، وإن الصمت يكسب المحبة وإنه دليل على كل خير»^(٦).

وعن مسعدة بن صدقة قال: حدثني جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام أن رسول الله ﷺ قال: «إن على لسان كل قائل رقيباً، فليتق الله العبد ولينظر ما يقول»^(٧).

وعن الحارث عن علي عليه السلام قال: «ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان»^(٨).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا يزال العبد المؤمن يكتب محسناً ما دام ساكناً،

(١) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٢٧٥ ب ٧٨ ح ٢.

(٢) الأمالي للصدوق: ص ٣٢١ المجلس ٥٢ ح ٨.

(٣) مشكاة الأنوار: ص ٨٦ ب ٢ ف ٤.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٤٠٢ ومن ألفاظ رسول الله الموجزة ح ٥٨٦.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١٨ ص ٢٦١ ب ٥٥ ح ٢٢٦٩٦.

(٦) الخصال: ج ١ ص ١٥٨ ثلاث خصال من علامات الفقه ح ٢٠٢.

(٧) قرب الإسناد: ص ٣٢.

(٨) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٩٣ ب ١١٩ ح ١٦٠٦١.

فإذا تكلم كتب محسناً أو مسيئاً»^(١).

وعن مسعدة بن صدقة قال: حدثني جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام: «أن داود قال لسليمان (عليهما جميعاً السلام): يا بني إياك وكثرة الضحك فإن كثرة الضحك تترك العبد فقيراً يوم القيامة، يا بني عليك بطول الصمت إلا من خير فإن الندامة على طول الصمت مرة واحدة خير من الندامة على كثرة الكلام مرات، يا بني لو أن الكلام كان من فضة كان ينبغي للصمت أن يكون من ذهب»^(٢).

وعن الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «إن لسان آدم يشرف كل يوم على جوارحه فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون: بخير إن تركتنا، ويقولون: الله الله فينا، ويناشدونه ويقولون: إنما نثاب بك ونعاقب بك»^(٣).

وعن السكوني عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال: «قال أبو ذر (رحمة الله عليه): اجعل الدنيا كلمتين كلمة في طلب الحلال وكلمة للأخرة، والثالثة تضر ولا تنفع فلا تردها»^(٤).

وعن سفيان الثوري عن الصادق جعفر بن محمد (صلوات الله عليه) قال: «يا سفيان أمرني والدي عليه السلام بثلاث ونهاني عن ثلاث، فكان فيما قال لي: يا بني من يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يدخل مداخل السوء يتهم، ومن لا يملك لسانه يندم ثم أنشدني فقال عليه السلام:

عود لسانك قول الخير تحظ به إن اللسان لما عودت معتاد
موكل بتقاضي ما سننت له في الخير والشر فانظر كيف تعتاد^(٥)

وعن ابن معروف عن علي بن مهزيار رفعه قال: «يأتي على الناس زمان تكون

(١) الكافي: ج ٢ ص ١١٦ باب الصمت وحفظ اللسان ح ٢١.

(٢) قرب الإسناد: ص ٣٣.

(٣) الاختصاص: ص ٢٣٠ حديث في زيارة المؤمن لله.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٢٧٨ ب ٧٨ ح ١٦.

(٥) الخصال: ج ١ ص ١٦٩ أمر الباقر عليه السلام ابنه الصادق عليه السلام بثلاث ح ٢٢٢.

العافية فيه عشرة أجزاء: تسعة منها في اعتزال الناس وواحدة في الصمت»^(١).
وفي وصية رسول الله ﷺ لأبي ذر قال: «على العاقل أن يكون بصيراً بزمانه،
مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، فإن من حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما
يعنيه»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «عليك بطول الصمت، فإنه مطردة للشيطان وعون لك
على أمر دينك»^(٣).

وعن مسعدة بن زياد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن أبيه ﷺ أن النبي ﷺ قال:
«ثلاث منجيات: تكف لسانك، وتبكي على خطيئتك، وتلزم بيتك»^(٤).

وعن علي بن أسباط والحجال أنهما سمعا الرضا ﷺ يقول: «كان العابد من
بني إسرائيل لا يتعبد حتى يصمت عشر سنين»^(٥).

وفيما أوصى به أمير المؤمنين ﷺ عند وفاته: «الزم الصمت تسلم»^(٦).

وعن الحسن بن علي (صلوات الله عليه) قال: «نعم العون الصمت في مواطن كثيرة
وإن كنت فصيحاً»^(٧).

وعن خراش مولى أنس عن أنس قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه
فقال: «من ضمن لي اثنين ضمننت له الجنة». فقال أبو هريرة: فذاك أبي وأمي يا
رسول الله ﷺ أنا أضمنهما لك، ما هما؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «من ضمن
لي ما بين لحييه وما بين رجليه ضمننت له الجنة»^(٨).

(١) بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ١٠٩-١١٠ ب ٤٩ ح ٧، والبحار: ج ٦٨ ص ٢٧٩ ب ٧٨ ح ١٨.

(٢) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٤٠ ب ٤٤.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٢٧٩ ب ٧٨ ضمن ح ١٩.

(٤) الخصال: ج ١ ص ٨٥ ثلاث درجات وثلاث كفارات ح ١٣.

(٥) عيون أخبار الرضا ﷺ: ج ٢ ص ١٢ ب ٣٠ ح ٢٨.

(٦) كشف الغمة: ج ١ ص ٥٣٦ ذكر إمامته وبيعته ﷺ.

(٧) معاني الأخبار: ص ٤٠١ باب نواذر المعاني ح ٦٢.

(٨) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٢٧٢ ب ٧٧ ح ١٨، والبحار: ج ٦٨ ص ٢٨٠-٢٨١ ب ٧٨.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «فاخزن لسانك وعد كلامك يقل كلامك إلا بخير»^(١).

٢٧: العدل

مسألة: العدل واجب، وهو من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم. قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ]^(٢).

وقال سبحانه: [وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ]^(٣).

وقال تعالى: [قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ]^(٤).

وقال تعالى: [وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ]^(٥).

وقال سبحانه: [وَأْمَرْتُ لَأَعِدِلَ بَيْنَكُمْ]^(٦).

وقال تعالى: [لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ]^(٧).

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أعدل الناس من رضي للناس ما يرضى لنفسه وكره لهم ما يكره لنفسه»^(٨).

وعن حبيب الخثعمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أحبوا للناس ما تحبون لأنفسكم»^(٩).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من أنصف الناس من نفسه رضي به حكماً

(١) الأمالي للصدوق: ص ٣٩٤ المجلس ٦٢ ح ٤.

(٢) سورة المائدة: ٨.

(٣) سورة الأنعام: ١٥٢.

(٤) سورة الأعراف: ٢٩.

(٥) سورة الأعراف: ١٨١.

(٦) سورة الشورى: ١٥.

(٧) سورة الحديد: ٢٥.

(٨) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٩٥ ومن ألفاظ رسول الله الموجزة ح ٥٨٤٠.

(٩) الكافي: ج ٢ ص ٦٣٥ باب ما يجب من المعاشرة ح ٣.

لغيره»^(١).

وعن معاوية عن أبيه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ما ناصح الله عبد في نفسه فأعطى الحق منها وأخذ الحق لها إلا أعطي خصلتين: رزقاً من الله يسعه، ورضاً عن الله يغنيه»^(٢).

وعن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ثلاثة هم أقرب الخلق إلى الله يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب: رجل لم تدعه قدرته في حال غضبه إلى أن يحيف على من تحت يديه، ورجل مشى بين اثنين فلم يمل مع أحدهما على الآخر بشعيرة، ورجل قال الحق فيما عليه وله»^(٣).

وعن الفضل بن شاذان عن الرضا عليه السلام قال: «استعمل العدل والإحسان مؤذناً بدوام النعمة»^(٤).

عن أبي مالك قال: قلت لعلي بن الحسين عليه السلام: أخبرني بجميع شرائع الدين؟ قال: «قول الحق، والحكم بالعدل، والوفاء بالعهد»^(٥).

وفيما أوصى به أمير المؤمنين عليه السلام عند وفاته: «أوصيك بالعدل في الرضا والغضب»^(٦).

وعن أبي عبيدة الحذاء عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام قال: قال: «ألا أخبرك بأشد ما افترض الله على خلقه: إنصاف الناس من أنفسهم، ومواساة الإخوان في الله عز وجل، وذكر الله على كل حال، فإن عرضت له طاعة لله عمل بها، وإن عرضت له معصيته له تركها»^(٧).

(١) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٣٠٩ ب ٣٤ ح ١٣١١٩.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٢٨٦ ب ٣٤ ح ٢٠٥٣٤.

(٣) الخصال: ج ١ ص ٨١ ثلاثة أقرب الخلق إلى الله ح ٥.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٣١٧ ب ٣٧ ح ١٣١٤٠.

(٥) الخصال: ج ١ ص ١١٣ جميع شرائع الدين ثلاثة أشياء ح ٩٠.

(٦) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٢٧ ب ٣٥ ح ١٢.

(٧) الأمالي للمفيد: ص ٣١٧ المجلس ٣٨ ح ١.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: [إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ] ^(١):
«العدل الإنصاف والإحسان التفضل» ^(٢).

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «السابقون إلى ظل العرش طوبى لهم. قلنا: يا رسول الله ومن هم؟ قال صلى الله عليه وآله: الذين يقبلون الحق إذا سمعوه، ويبدلونه إذا سألوه، ويحكمون للناس كحكمهم لأنفسهم، هم السابقون إلى ظل العرش» ^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه السلام: «يا بني اجعل نفسك ميزانا، فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واکره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم وإن قل ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك» ^(٤).

وعن يحيى بن إبراهيم بن أبي البلاد عن أبيه عن جده أبي البلاد رفعه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو يريد بعض غزواته فأخذ بغرزه راحلته. فقال: يا رسول الله علمني عملاً أدخل به الجنة؟ فقال: «ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فأتته إليهم، وما كرهت أن يأتيه الناس إليك فلا تأتته إليهم، خل سبيل الراحلة» ^(٥).

٢٨: العفو

مسألة: يستحب العفو، وهو من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم. قال تعالى: [وَالْكَافِرِينَ الْغَائِبِينَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] ^(١).

(١) سورة النحل: ٩٠.

(٢) نهج البلاغة: قصار الحكم ٢٣١.

(٣) الجعفریات: ص ١٨٣ كتاب التفسير.

(٤) نهج البلاغة: الرسائل ٣١ ومن وصية له صلى الله عليه وآله للحسن بن علي عليه السلام كتبها إليه باحضرين.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ١٤٦ باب الإنصاف والعدل ح ١٠.

(٦) سورة آل عمران: ١٣٤.

وقال سبحانه: [فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ] (١).
 وقال تعالى: [فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] (٢).
 وقال سبحانه: [خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ] (٣).
 وقال تعالى: [وَلْيُعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] (٤).

عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ في خطبة: «ألا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة: العفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، والإحسان إلى من أساء إليك، وإعطاء من حرمك» (٥).

وعن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: سمعته يقول: «إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى الأولين والآخرين في صعيد واحد ثم ينادي مناد: أين أهل الفضل؟ قال:- فيقوم عنق من الناس فتلقاهم الملائكة، فيقولون: وما كان فضلكم؟ فيقولون: كنا نصل من قطعنا ونعطي من حرمنا ونعفو عمن ظلمنا. قال:- فيقال لهم: صدقتم ادخلوا الجنة» (٦).

وعن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالعفو فإن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً فتعافوا يعزكم الله» (٧).

وعن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال: «الندامة على العفو أفضل وأيسر من الندامة على العقوبة» (٨).

وعن مغيث قال: كان أبو الحسن موسى عليه السلام في حائط له يصرم، فنظرت إلى

(١) سورة البقرة: ١٠٩.

(٢) سورة المائدة: ١٣.

(٣) سورة الأعراف: ١٩٩.

(٤) سورة النور: ٢٢.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٧٢ ب ١١٣ ح ١٥٩٩٣.

(٦) الكافي: ج ٢ ص ١٠٧-١٠٨ باب العفو ح ٤.

(٧) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٤٠١ ب ٩٣ ح ٥.

(٨) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٧٠ ب ١١٢ ح ١٥٩٨٦.

غلام له قد أخذ كارة من تمر فرمى بها وراء الحائط، فأتيته فأخذته وذهبت به إليه. فقلت له: جعلت فداك إني وجدت هذا وهذه الكارة. فقال للغلام: «فلان». فقال: لبيك. قال: «أتجوع؟». قال: لا يا سيدي. قال: «فتعري؟». قال: لا يا سيدي. قال: «فلأني شيء أخذت هذا؟». قال: اشتهيت ذلك. قال: «اذهب فهي لك خلوا عنه»^(١). وعن الحسن بن علي بن فضال قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «ما التقت فئتان قتالاً قط إلا نصر الله أعظمهما عفواً»^(٢).

وعن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن رسول الله ﷺ أتني باليهودية التي سمت الشاة للنبي ﷺ، فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟ فقالت: قلت: إن كان نبياً لم يضره، وإن كان ملكاً أرحت الناس منه. قال: فعفا رسول الله ﷺ عنها»^(٣).

وقال الصادق عليه السلام - في جواب المنصور لما طلبه وعاتبه -: «حدثني أبي عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: ينادي مناد يوم القيامة من بطنان العرش ألا فليقم كل من أجره علي فلا يقوم إلا من عفا عن أخيه»^(٤).

وعن عبد الله بن محمد قال: سمعت عبد الرزاق يقول: جعلت جارية لعلي بن الحسين عليه السلام تسكب عليه الماء ليتهياً للصلاة، فنعتت فسقط الإبريق من يد الجارية فشجه، فرفع رأسه إليها. فقالت له الجارية: إن الله يقول: [وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ] فقال: «قد كظمت غيظي». قالت: [وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ] قال لها: «عفا الله عنك». قالت: [وَاللَّهُ يُجِبُّ الْمُحْسِنِينَ]^(٥)، قال: «اذهبي فأنت حرة»^(٦).

وعن زرارة بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «إنا أهل بيت

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ١٨٨ - ١٨٩.

(٢) الأمالي للمفيد: ص ٢٠٩ - ٢١٠ المجلس ٢٣ ح ٤٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٦٥ ب ٩ في سواكه ح ٦٢.

(٤) العدد القوية: ص ١٥٦ نبذة من أحوال الإمام الصادق عليه السلام.

(٥) سورة آل عمران: ١٣٤.

(٦) الإرشاد: ج ٢ ص ١٤٦ - ١٤٧ باب ذكر طرف من الأخبار لعلي بن الحسين عليه السلام.

مروتنا العفو عن ظلمنا»^(١).

وعن ابن صدقة عن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلوات الله وسلامته عليه: «إن العفو يزيد صاحبه عزاً فاعفوا يعزكم الله»^(٢).

وعن الشمالي عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلوات الله وسلامته عليه: «أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة... وأحزم الناس أكظمهم للغيظ»^(٣).

وعن علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه قال: قال الرضا عليه السلام: في قول الله عزوجل: [فاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ]^(٤) قال: «العفو من غير عتاب»^(٥).

وقال الصادق عليه السلام: «العفو عند القدرة من سنن المرسلين وأسرار المتقين»^(٦).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه»^(٧).

٢٩: الغيرة

مسألة: الغيرة مستحبة في بعض مراتبها وواجبة في البعض الآخر، وهي من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم.

عن محمد بن عيسى بن عبيد عن الرضا عليه السلام قال: «في الديك الأبيض خمس خصال من خصال الأنبياء عليهم السلام: معرفته بأوقات الصلاة، والغيرة، والسخاء، والشجاعة، وكثرة الطروقة»^(٨).

وعن السكوني عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله

(١) الأملالي للصدوق: ص ٢٨٩ المجلس ٤٨ ح ٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٤١٩ ب ٩٣ ح ٤٩.

(٣) معاني الأخبار: ج ١ ص ١٩٦ باب معنى الغايات ح ١.

(٤) سورة الحجر: ٨٥.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٧٠ ب ١١٢ ح ١٥٩٨٨.

(٦) مصباح الشريعة: ص ١٥٨ ب ٧٥.

(٧) نهج البلاغة: قصار الحكم ١١.

(٨) مستدرک الوسائل: ج ٣ ص ٩٧ ب ١ ح ٣١٠٩.

عنه عليه السلام: «الغيرة من الإيمان والبذاء من النفاق»^(١).

وعن علي بن الحسين عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن علي عليه السلام: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى أن يدخل على النساء إلا بإذن الأولياء»^(٢).

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين عن أبيه عن علي عليه السلام قال: «أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله في البيعة على النساء ولا يحدثن من الرجال إلا إذا محرم»^(٣).

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام: «أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله استأذن عليها أعمى فحجبتة. فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: لم حجبتة وهو لا يراك؟. فقالت: يا رسول الله إن لم يكن يراني فأنا أراه وهو يشم الريح. فقال النبي صلى الله عليه وآله: أشهد أنك بضعة مني»^(٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى غيور يحب كل غيور ولغيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن»^(٥).

وعن عبد الله بن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إذا لم يغر الرجل فهو منكوس القلب»^(٦).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كان إبراهيم عليه السلام غيوراً وأنا أغير منه وجدع الله أنف من لا يغار من المؤمنين والمسلمين»^(٧).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أما تستحيون ولا تغارون نساءكم يخرجن إلى الأسواق

(١) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٤٢ ب ٨٤ ح ٢.

(٢) الجعفریات: ص ٩٥ باب فضل الغيرة.

(٣) الجعفریات: ص ٩٥ باب فضل الغيرة.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ٢٨٩ ب ١٠٠ ح ١٠٦٧٤٠.

(٥) مشكاة الأنوار: ص ٢٣٦ ب ٥ ف ٦.

(٦) وسائل الشيعة: ج ٢٠ ص ١٥٣ ب ٧٧ ح ٢٥٢٨٤.

(٧) الكافي: ج ٥ ص ٥٣٦ باب الغيرة ح ٤.

ويزاحمن العلوج»^(١).

وعن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: الشيخ الزاني، والديوث، والمرأة توطئ فراش زوجها»^(٢).

وعن عبد الله بن ميمون القداح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «حرمت الجنة على الديوث»^(٣).

وعن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام: «أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في رسالته إلى الحسن عليه السلام: إياك والتغاير في غير موضع الغيرة، فإن ذلك يدعو الصحيحة منهن إلى السقم، ولكن أحكم أمرهن فإن رأيت عيباً فعجل النكير على الصغير والكبير بأن تعاتب منهن البرية فيعظم الذنب ويهون العتب»^(٤).

٣٠: اللين

مسألة: يستحب اللين وقد يجب، وهو من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم.

قال تعالى: [فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ]^(٥).

وقال سبحانه: [وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ]^(٦).

وقال تعالى: [وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ]^(٧).

عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ألا

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٠ ص ٢٣٥-٢٣٦ ب ١٣٢ ح ٢٥٥٢١.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٢١ باب ما جاء في الزنا ح ٤٩٨٣.

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٥٣٧ باب الغيرة ح ٨.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٢٠ ص ٢٣٧ ب ١٣٤ ح ٢٥٥٢٤.

(٥) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٦) سورة الحجر: ٨٨.

(٧) سورة الشعراء: ٢١٥.

أخبركم بمن تحرم عليه النار غداً؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الهين القريب اللين السهل»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «أعقل الناس أشدهم مداراة للناس، وأذل الناس من أهان الناس»^(٢).

وعن مسعدة بن صدقة قال: حدثني جعفر بن محمد عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «نعم وزير الإيمان العلم، ونعم وزير العلم الحلم، ونعم وزير الحلم الرفق، ونعم وزير الرفق اللين»^(٣).

وعن أبي البختري رفعه قال: سمعته ﷺ يقول: «المؤمنون هينون لينون كالجمل الألوف إذا قيد انقاد وإن أنيخ على صخرة استناخ»^(٤).

وعن محمد بن عبد الرحمن العرزمي عن أبيه، عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد ﷺ قال: «من زي الإيمان الفقه، ومن زي الفقه الحلم، ومن زي الحلم الرفق، ومن زي الرفق اللين، ومن زي اللين السهولة»^(٥).

وعن علي بن علي بن دعبل أخى دعبل بن علي، عن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن هين لين سمح، له خلق حسن. والكافر فظ غليظ، له خلق سيئ وفيه جبرية»^(٦).

وعن جابر عن أبي جعفر ﷺ قال: قلت: إن قوماً إذا ذكروا شيئاً من القرآن أو حدثوا به صعق أحدهم حتى يرى أن أحدهم لو قطعت يده أو رجلاه لم يشعر بذلك. فقال: «سبحان الله ذاك من الشيطان ما بهذا نعتوا إنما هو اللين والرقعة والدمعة والوجل»^(٧).

(١) ثواب الأعمال: ص ١٧٢ ثواب الهين القريب اللين السهل.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٥٢ ب ٤٢ ح ٥.

(٣) قرب الإسناد: ص ٣٢.

(٤) أعلام الدين: ص ١١٠ باب صفة المؤمن.

(٥) الأمالي للطوسي: ص ١٨٩ المجلس ٧ ح ٣١٨.

(٦) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٥٩ ب ١٠٦ ح ١٥٩٤٦.

(٧) الكافي: ج ٢ ص ٦١٦ باب فيمن يظهر الغشبية عند قراءة القرآن ح ١.

وفي طب النبي: قال ﷺ: «ثلاث يفرح بهن الجسم ويربو: الطيب، واللباس اللين، وشرب العسل»^(١).

وقال رسول الله ﷺ مخاطباً ابن مسعود في وصف الصابرين: «يا ابن مسعود عليهم الخشوع والوقار والسكينة والتفكر واللين والعدل والتعليم والاعتبار والتدبير والتقوى والإحسان والتحرج والحب في الله والبغض في الله وأداء الأمانة والعدل في الحكمة وإقامة الشهادة ومعاونة أهل الحق على المسيء والعفو عن ظلم»^(٢).

وقال ﷺ: «إن المؤمن ليدرك بالحلم واللين درجة العابد المجتهد»^(٣).
وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «ودعائم الإيمان اللين والعدل»^(٤).

وقال النبي ﷺ في جواب شمعون بن لاوي بن يهودا من حوار عيسى عليه السلام: «وأما الحياء فيتشعب منه اللين والرافة والمراقبة لله في السر والعلانية والسلامة واجتناب الشر والبشاشة والسماحة والظفر وحسن الثناء على المرء في الناس فهذا ما أصاب العاقل بالحياء فطوبى لمن قبل نصيحة الله وخاف فضيخته»^(٥).

وكتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى بعض عماله: «فاستعن بالله على ما أهمك واخلط الشدة بضغت من اللين وارفق ما كان الرفق أرفق واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة واخفض للرعية جناحك وأبسط لهم وجهك وألن لهم جانبك وآس بينهم في اللحظة والنظرة والإشارة والتحية حتى لا يطمع العظماء في حيفك ولا ييأس الضعفاء من عدلك والسلام»^(٦).

وكتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى حذيفة بن اليمان لما ولاه المدائن: «وأمرك بالرفق في أمورك واللين والعدل على رعيتك فإنك مسئول عن ذلك»^(٧).

(١) مستدرک الوسائل: ج ١ ص ٤١٩ ب ٥٩ ح ١٠٤٩.

(٢) مكارم الأخلاق: ص ٤٤٦ ب ١٢ ف ٤.

(٣) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ٢٤٧.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٤١٩ ب ٣١ ح ١٤٤٩١.

(٥) تحف العقول: ص ١٧ ومن حكمه عليه السلام وكلامه.

(٦) نهج البلاغة: الرسائل ٤٦ ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله.

(٧) إرشاد القلوب: ج ٢ ص ٣٢١ في فضائله من طريق أهل البيت عليه السلام.

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله: «أما بعد فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقاراً وجفوة ونظرت فلم أرهم أهلاً لأن يدنوا لشركهم ولا أن يقصوا ويجفوا لعهدهم فالبس لهم جلباباً من اللين تشوبه بطرف من الشدة وداول لهم بين القسوة والرفقة وامزج لهم بين التقريب والإدناء والإبعاد والإقصاء إن شاء الله»^(١).

وجاء في رسالة الحقوق للإمام السجاد عليه السلام: «وأما حق المستشار فإن حضرك له وجه رأي جهدت له في النصيحة وأشرت عليه بما تعلم أنك لو كنت مكانه عملت به وذلك ليكون منك في رحمة ولين، فإن اللين يؤنس الوحشة، وإن الغلظ يوحش موضع الأنس، وإن لم يحضرك له رأي وعرفت له من تثق برأيه وترضى به لنفسك دللته عليه وأرشدته إليه فكنت لم تأله خيراً ولم تدخره نصحاً ولا حول ولا قوة إلا بالله»^(٢).

٣١: المداراة

مسألة: تستحب المداراة وقد تجب، وهي من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم. عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه سئل: ما العقل؟ فقال: «التجرع للغصة ومداهنة الأعداء ومداراة الأصدقاء»^(٣).

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام قوله عزوجل: [وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا]^(٤)، قال الصادق عليه السلام: «[وَقُولُوا لِلنَّاسِ] كلهم [حُسْنًا] مؤمنهم ومخالفهم. أما المؤمنون فييسط لهم وجهه وبشره، وأما المخالفون فيكلمهم بالمداراة لاجتذابهم إلى الإيمان؛ فإن ييأس من ذلك يكف شرورهم عن نفسه وعن إخوانه المؤمنين. وقال الإمام عليه السلام -: إن مداراة أعداء الله من أفضل صدقة المرء على نفسه وإخوانه. كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منزله إذ استأذن عليه عبد الله بن أبي بن سلول. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بثس أخو

(١) نهج البلاغة: الرسائل ١٩ ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ١٦٥-١٦٦ ب ٣ ح ١٢٦٦٤.

(٣) الأمالي للصدوق: ص ٢٨٣-٢٨٤ المجلس ٤٧ ح ١٧.

(٤) سورة البقرة: ٨٣.

العشيرة ائذنوا له. فائذنوا له فلما دخل أجلسه وبشر في وجهه. فلما خرج قالت له عائشة: يا رسول الله قلت فيه ما قلت وفعلت به من البشر ما فعلت! فقال رسول الله ﷺ: يا عويش يا حميراء إن شر الناس عند الله يوم القيامة من يكرم اتقاء شره»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «المداراة أحمد الخلال»^(٢).

وقال الحسن بن علي عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: «إن الأنبياء عليهم السلام إنما فضلهم الله تعالى على خلقه أجمعين لشدة مداراتهم لأعداء دين الله، وحسن تقيتهم لأجل إخوانهم في الله»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «رأس الحكمة مداراة الناس»^(٤).

وقال محمد بن علي عليه السلام: «من أطاب الكلام مع موافقيه ليؤنسهم، وبسط وجهه لمخالفه ليأمنهم على نفسه وإخوانه، فقد حوى من الخيرات والدرجات العالية عند الله ما لا يقادر قدره غيره»^(٥).

وعن الحارث بن الدلهات مولى الرضا عليه السلام قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال: سنة من ربه وسنة من نبيه وسنة من وليه. فالسنة من ربه كتمان سره قال الله عزوجل: [عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ]^(٦)، وأما السنة من نبيه ﷺ فمداراة الناس فإن الله عزوجل أمر نبيه ﷺ بمداراة الناس قال: [خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ]^(٧)، وأما السنة من وليه عليه السلام فالصبر في البأساء والضراء فإن الله عزوجل يقول: [وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ]^(٨)»^(٩).

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٥٣-٣٥٤ ح ٢٤٠ و ٢٤١.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٤ ق ٦ ب ٤ ف ٤ مدح المداراة ح ١٠١٦٤.

(٣) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٥٥ في مداراة النواصب ح ٢٤٤.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٥ ق ٦ ب ٤ ف ٤ مدح المداراة ح ١٠١٦٨.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٢٦٢ ب ٢٧ ح ١٤٠٦٥.

(٦) سورة الجن: ٢٦ - ٢٧.

(٧) سورة الأعراف: ١٩٩.

(٨) سورة البقرة: ١٧٧.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «عنوان العقل مداراة الناس»^(٢).

وعن حذيفة بن منصور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن قوماً من قريش قلت مداراتهم للناس فنفوا من قريش، وإيم الله ما كان بأحسابهم بأس. وإن قوماً من غيرهم حسنت مداراتهم فألحقوا بالبيت الرفيع». قال: ثم قال: «من كف يده عن الناس فإنما يكف عنهم يداً واحدة ويكفون عنهم أيادي كثيرة»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من لم يصلحه حسن المداراة أصلحه سوء المكافاة»^(٤).
وعن حبيب السجستاني عن أبي جعفر عليه السلام قال: «في التوراة مكتوب فيما ناجى الله عز وجل به موسى بن عمران عليه السلام: يا موسى اكنم مكتوم سري في سريرتك، وأظهر في علانيتك المداراة عني لعدوي وعدوك من خلقي، ولا تستسب لي عندهم بإظهار مكتوم سري فتشرك عدوك وعدوي في سبي»^(٥).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «مداراة الرجال من أفضل الأعمال»^(٦).

وعن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «مداراة الناس نصف الإيمان والرفق بهم نصف العيش - ثم قال أبو عبد الله عليه السلام - خالطوا الأبرار سراً، وخالطوا الفجار جهاراً ولا تميلوا عليهم فيظلموكم»^(٧).

وعن علي بن الحكم عن الحسين بن الحسن قال: سمعت جعفرًا عليه السلام يقول: «جاء جبرئيل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك: دار خلقي»^(٨). وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) الخصال: ج ١ ص ٨٢ لا يكون المؤمن مؤمناً ح ٧.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٥ ق ٦ ب ٤ ف ٤ مدح المداراة ح ١٠١٦٩.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٥٣ ب ٤٢ ح ٩، والبحار: ج ٧٢ ص ٤١٩ ب ٨٧ ح ٧٣.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٥ ق ٦ ب ٤ ف ٤ مدح المداراة ح ١٠١٧٣.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ١١٧ باب المداراة ح ٣.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٥ ق ٦ ب ٤ ف ٤ مدح المداراة ح ١٠١٧٤.

(٧) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٠١ ب ١٢١ ح ١٦٠٨٥.

(٨) الكافي: ج ٢ ص ١١٦-١١٧ باب المداراة ح ٢.

«أمرني ربي بمدارة الناس كما أمرني بأداء الفرائض»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «سلامة الدين والدنيا في مداراة الناس»^(٢).

٣٢: الاستشارة

مسألة: تستحب الاستشارة وقد تجب، وهي من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم. قال تعالى: [وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ]^(٣). وقال سبحانه: [وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ]^(٤).

عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: «إن المشورة لا تكون إلا بمحدودها، فمن عرفها بمحدودها وإلا كانت مضرتها على المستشير أكثر من منفعتها له، فأولها أن يكون الذي تشاوره عاقلاً، والثانية أن يكون حراً متديناً، والثالثة أن يكون صديقاً مؤاخياً، والرابعة أن تطلعه على شرك فيكون علمه به كعلمك بنفسك ثم يسر ذلك ويكتمه، فإنه إذا كان عاقلاً انتفعت بمشورته، وإذا كان حراً متديناً أجهد نفسه في النصيحة لك، وإذا كان صديقاً مؤاخياً كتم شركك إذا أطلعت عليه، وإذا أطلعت على شرك فكان علمه به كعلمك تمت المشورة وكملت النصيحة»^(٥).

وعن عبد العظيم الحسيني عليه السلام عن أبي جعفر الثاني عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «خاطر بنفسه من استغنى برأيه»^(٦).

وعن أبي الجارود عن أبي جعفر الباقر عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن جده عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «شاور في حديثك الذين يخافون الله، وأحبب الإخوان على قدر التقوى»^(٧).

(١) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٠٠ ب ١٢١ ح ١٦٠٨١.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٥ ق ٦ ب ٤ ف ٤ مدح المداراة ح ١٠١٧٨.

(٣) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٤) سورة الشورى: ٣٨.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٤٣ ب ٢٢ ح ١٥٥٩٧.

(٦) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٩٨ ب ٤٨ ح ١.

(٧) الأمالي للصدوق: ص ٣٠٤ المجلس ٥٠ ح ٨.

وعن الرضا عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما من قوم كانت لهم مشورة فحضر معهم من اسمه محمد أو أحمد فأدخلوه في مشورتهم إلا كان خيراً لهم»^(١).

وعن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من غش المسلمين في مشورة فقد برئت منه»^(٢).

وعن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «كان أبي عليه السلام يقول: قم بالحق ولا تعرض لما فاتك واعتزل ما لا يعينك وتجنب عدوك واحذر صديقك من الأقوام إلا الأمين والأمين من خشي الله، ولا تصحب الفاجر ولا تطلعه على سرك ولا تأمنه على أمانتك، واستشر في أمورك الذين يخشون ربهم»^(٣).

وعن محمد بن آدم عن أبيه بإسناده رفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي لاتشاور جبناً فإنه يضيق عليك المخرج، ولا تشاور البخيل فإنه يقصر بك عن غايتك، ولا تشاور حريصاً فإنه يزين لك شرهاً، واعلم يا علي أن الجبن والبخل والحرص غريزة واحدة يجمعها سوء الظن»^(٤).

وفيما كتب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن أبي بكر: «وانصح المرء إذا استشارك»^(٥). وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «بعثني النبي صلى الله عليه وآله إلى اليمن، فقال لي وهو يوصيني: يا علي ما حار من استخار، ولا ندم من استشار»^(٦).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «استرشدوا العاقل ولا تعصوه فتندموا»^(٧).

وعن ابن القداح، عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: «قيل لرسول الله

(١) مكارم الأخلاق: ص ٢٢٠ ب ٨ ف ٦ في فضل الأولاد.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٩٩ ب ٤٨ ح ٨.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٣١-٣٢ ب ١٦ ح ١٥٥٦٤.

(٤) علل الشرائع: ج ٢ ص ٥٥٩ ب ٣٥٠ ح ١.

(٥) الأمالي للطوسي: ص ٣١ المجلس ١ ح ٣١.

(٦) كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٤٥-٣٤٦ وأما مناقبه.

(٧) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٤٤ ب ٢١ ح ٩٦١٦.

عنه عليه السلام: ما الحزم؟ قال: مشاورة ذوي الرأي وأتباعهم»^(١).

وعن السري بن خالد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «فيما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام قال: لا مظاهرة أوثق من المشاورة، ولا عقل كالتديير»^(٢).

وعن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: «في التوراة أربعة أسطر: من لا يستشير يندم، والفقر الموت الأكبر، وكما تدين تدان، ومن ملك استأثر»^(٣).

وعن سماعة بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: «لن يهلك امرؤ عن مشورة»^(٤).

وعن معمر بن خلاد قال: هلك مولى لأبي الحسن الرضا عليه السلام يقال له سعد، فقال: «أشّر عليّ برجل له فضل وأمانة؟». فقلت: أنا أشير عليك! فقال شبهه الم غضب: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يستشير أصحابه ثم يعزم على ما يريد الله»^(٥).

وعن الفضيل قال: استشارني أبو عبد الله عليه السلام مرة في أمر، فقلت: أصلحك الله مثلي يشير على مثلك! قال: «نعم إذا استشير بك»^(٦).

وعن الحسن بن الجهم قال: كنا عند أبي الحسن الرضا عليه السلام فذكرنا أباه عليه السلام. فقال: «كان عقله لا يوازن به العقول، وربما شاور الأسود من سودانه، فقيل له: تشاور مثل هذا! قال: إن الله تبارك وتعالى ربما فتح على لسانه - قال -: فكانوا ربما أشاروا عليه بالشيء فيعمل به من الضيعة والبستان»^(٧).

وعن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «استشر العاقل من الرجال الورع، فإنه لا يأمر إلا بخير، وإياك والخلاف، فإن خلاف الورع العاقل

(١) المحاسن: ج ٢ ص ٦٠٠ ب ٣ ح ١٤.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٣٩ ب ٢١ ح ١٥٥٨٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٣ ص ٣٥٧ ب ١١ ح ٦٢، والبحار: ج ٧٢ ص ١٠٠ ب ٤٨ ح ١٨.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٤٠ ب ٢١ ح ١٥٥٨٥.

(٥) المحاسن: ج ٢ ص ٦٠١ ب ٣ ح ٢١.

(٦) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٠١ ب ٤٨ ح ٢٤.

(٧) المحاسن: ج ٢ ص ٦٠٢ ب ٣ ح ٢٣.

مفسدة في الدين والدنيا»^(١).

وعن منصور بن حازم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مشاورة العاقل الناصح رشد ويمن وتوفيق من الله، فإذا أشار عليك الناصح العاقل فإياك والخلاف فإن في ذلك العطب»^(٢).

وعن معلى بن خنيس قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما يمنع أحدكم إذا ورد عليه ما لا قبل له به أن يستشير رجلاً عاقلاً له دين وورع - ثم قال أبو عبد الله عليه السلام -: أما إنه إذا فعل ذلك لم يخذله الله بل يرفعه الله ورماه بخير الأمور وأقربها إلى الله»^(٣).
وعن حسين بن عمر بن يزيد عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من استشار أخاه فلم يحضه محض الرأي سلبه الله عز وجل رأيه»^(٤).

٣٣: المصافحة

مسألة: تستحب المصافحة، وهي من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم. عن أبي عبيدة الخذاء قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إن المؤمن إذا صافح المؤمن تفرقا عن غير ذنب»^(٥).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا لقيتم إخوانكم فتصافحوا وأظهروا لهم البشاشة والبشر تفرقوا وما عليكم من الأوزار قد ذهب - وقال عليه السلام -: صافح عدوك وإن كره فإنه مما أمر الله عز وجل به عباده يقول: [ادْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ] * وما يُلقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وما يُلقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ»^(٦)^(٧).

(١) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٤٢ ب ٢٢ ح ١٥٥٩٤.

(٢) المحاسن: ج ٢ ص ٦٠٢ ب ٣ ح ٢٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٠٢ ب ٤٨ ح ٢٨.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٣٦٣ باب من لم يناصح أخاه المؤمن ح ٥.

(٥) الخصال: ج ١ ص ٢١-٢٢ المؤمن إذا صافح المؤمن ح ٧٥.

(٦) سورة فصلت: ٣٤-٣٥.

(٧) بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ٢٠ ب ١٠٠ ح ٣.

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا تلاقيتهم فتلاقوا بالتسليم والتصافح، وإذا تفرقتهم فتفرقوا بالاستغفار»^(١).

وعن إسحاق بن عمار الصيرفي قال: كنت بالكوفة فيأتيني إخوان كثيرة وكرهت الشهرة فتخوفت أن أشتهر بديني فأمرت غلامي كلما جاءني رجل منهم يطلبني قال: ليس هو هاهنا. قال: فحججت تلك السنة فلقيت أبا عبد الله عليه السلام فرأيت منه ثقلاً وتغيراً فيما بيني وبينه، قال: قلت: جعلت فداك ما الذي غيرني عندك؟ قال: «الذي غيرك للمؤمنين». قلت: جعلت فداك إنما تخوفت الشهرة وقد علم الله شدة حبي لهم. فقال: «يا إسحاق لا تمل زيارة إخوانك فإن المؤمن إذا لقي أخاه المؤمن فقال له: مرحباً، كتب له (مرحباً) إلى يوم القيامة، فإذا صافحه أنزل الله فيما بين إبهاميهما مائة رحمة تسعة وتسعين لأشدهم لصاحبه حباً ثم أقبل الله عليهما بوجهه فكان على أشدهما حباً لصاحبه أشد إقبالاً، فإذا تعانقا غمرتهما الرحمة، فإذا لبثا لا يريدان إلا وجهه لا يريدان غرضاً من أغرض الدنيا قيل لهما: غفر الله لكما فاستأنفا، فإذا أقبلا على المساءلة قالت الملائكة بعضهم لبعض: تنحوا عنهما فإن لهما سرّاً وقد ستره الله عليهما».

قال إسحاق: قلت له: جعلت فداك لا يكتب علينا لفظنا فقد قال الله عز وجل: [مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ]^(٢)، قال: فتنفس ابن رسول الله صلى الله عليه وآله الصعداء ثم بكى حتى خضبت دموعه لحيته، وقال: «يا إسحاق إن الله تبارك وتعالى إنما نادى الملائكة أن يغيبوا عن المؤمنين إذا التقيا إجلالاً لهما فإذا كانت الملائكة لاتكتب لفظهما ولا تعرف كلامهما فقد عرفه الحافظ عليهما عالم السر وأخفى، يا إسحاق فخف الله كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك، فإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنه يراك ثم استترت عن المخلوقين بالمعاصي وبرزت له بها

(١) الأماي للطوسي: ص ٢١٥ المجلس ٨ ح ٣٧٤.

(٢) سورة ق: ١٨.

فقد جعلته في حد أهون الناظرين إليك»^(١).

وعن أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أنتم في تصافحكم في مثل أجور المجاهدين»^(٢).

وعن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله لا يقدر أحد قدره، كذلك لا يقدر أحد قدر نبيه عليه السلام وكما لا يقدر أحد قدر نبيه فكذلك لا يقدر أحد قدر المؤمن، إنه ليلقى أخاه فيصافحه فينظر الله لهما والذنوب تتحات عن وجوههما حتى يتفرقا كما تحت الريح الشديدة الورق عن الشجر»^(٣).

وعن السكوني عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن جابر قال: لقيت النبي صلى الله عليه وآله فسلمت عليه فغمز يدي وقال: «غمز الرجل يد أخيه قبلته»^(٤).

وعن أبي عبيدة قال: كنت زميل أبي جعفر عليه السلام وكنت أبدأ بالركوب ثم يركب هو فإذا استوتينا سلم وساءل مساءلة رجل لا عهد له بصاحبه وصافح. قال: وكان إذا نزل نزل قبلي فإذا استويت أنا وهو على الأرض سلم وساءل مساءلة من لا عهد له بصاحبه. فقلت: يا ابن رسول الله إنك لتفعل شيئاً ما يفعله من قبلنا وإن فعل مرة فكثير؟! فقال: «أما علمت ما في المصافحة، إن المؤمنين يلتقيان فيصافح أحدهما صاحبه فلا تزال الذنوب تتحات عنهما كما يتحات الورق عن الشجر والله ينظر إليها حتى يفترقا»^(٥).

وعن أبي خالد القمط عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن المؤمنين إذا التقيا وتصافحا أدخل الله يده بين أيديهما فصافح أشدهما حباً لصاحبه»^(٦).

وعن مالك بن أعين الجهني عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن المؤمنين إذا التقيا

(١) ثواب الأعمال: ص ١٤٦-١٤٧ ثواب زيارة الأخوان.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٢١ ب ١٢٦ ح ١٦١٣٨.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ٢٢ ب ١٠٠ ح ٨.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٦٤ ب ١١٠ ح ١٠٢١٣.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ١٧٩ باب المصافحة ح ١.

(٦) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢١٩ ب ١٢٦ ح ١٦١٣٢.

فتصافحا أدخل الله عزوجل يده بين أيديهما وأقبل بوجهه على أشدهما حباً لصاحبه، فإذا أقبل الله عزوجل عليهما تحاتت عنهما الذنوب كما يتحات الورق عن الشجر»^(١).

وعن أبي عبيدة الخذاء قال: زاملت أبا جعفر عليه السلام في شق محمل من المدينة إلى مكة، فنزل في بعض الطريق فلما قضى حاجته وعاد، قال: «هات يدك يا أبا عبيدة». فناولته يدي فغمزها حتى وجدت الأذى في أصابعي، ثم قال: «يا أبا عبيدة ما من مسلم لقي أخاه المسلم فصافحه وشبك في أصابعه إلا تناثرت عنهما ذنوبهما كما يتناثر الورق من الشجر في اليوم الشاتي»^(٢).

وعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن حد المصافحة؟ فقال: «دور نخلة»^(٣).

وعن أبي عبيدة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ينبغي للمؤمنين إذا توارى أحدهما عن صاحبه بشجرة ثم التقيا أن يتصافحا»^(٤).

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم وليصافحه، فإن الله عزوجل أكرم بذلك الملائكة، فاصنعوا صنع الملائكة»^(٥).

وعن رزين عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان المسلمون إذا غزوا مع رسول الله ﷺ ومروا بمكان كثير الشجر ثم خرجوا إلى الفضاء نظر بعضهم إلى بعض فتصافحوا»^(٦).

وعن مالك بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إذا صافح الرجل صاحبه فالذي يلزم التصافح أعظم أجراً من الذي يدع، ألا وإن الذنوب لتتحات فيما بينهم حتى

(١) بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ٢٤-٢٥ ب ١٠٠ ح ١٣.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٨٠ باب المصافحة ح ٥.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٢٣ ب ١٢٧ ح ١٦١٤٥.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ٢٨ ب ١٠٠ ح ١٩.

(٥) بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ٢٨ ب ١٠٠ ح ٢٠.

(٦) الكافي: ج ٢ ص ١٨١ باب المصافحة ح ١٢.

لا يبقى ذنب»^(١).

وعن أيمن بن محرز عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما صافح رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً قط فنزع يده حتى يكون هو الذي ينزع يده منه»^(٢).

وعن أبي عبيدة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إذا التقى المؤمنان فتصافحا أقبل الله بوجهه عليهما وتحتات الذنوب عن وجوههما حتى يفترقا»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «تصافحوا فإنها تذهب بالسخيمة»^(٤).

وعن ابن القداح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لقي النبي صلى الله عليه وآله حذيفة فمد النبي صلى الله عليه وآله يده فكف حذيفة يده. فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا حذيفة بسطت يدي إليك فكففت يدك عني. فقال حذيفة: يا رسول الله بيدك الرغبة ولكني كنت جنباً فلم أحب أن تمس يدي يدك وأنا جنب. فقال النبي صلى الله عليه وآله: أما تعلم أن المسلمين إذا التقيا فتصافحا تحتات ذنوبهما كما يتحات ورق الشجر»^(٥).

وعن يونس عن رفاعة قال: سمعته عليه السلام يقول: «مصافحة المؤمن أفضل من مصافحة الملائكة»^(٦).

وعن عبد الله بن محمد الجعفي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالوا: «أما مؤمن خرج إلى أخيه يزوره عارفاً بحقه كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحيت عنه سيئة ورفعت له درجة، فإذا طرق الباب فتحت له أبواب السماء، فإذا التقيا وتصافحا وتعانقا أقبل الله عليهما بوجهه ثم باهى بهما الملائكة فيقول: انظروا إلى عبيدي تزاورا وتحابا في، حق علي أن لا أعذبهما بالنار بعد ذا الموقف، فإذا انصرف شيعه ملائكة عدد نفسه وخطاه وكلامه، يحفظونه عن بلاء الدنيا وبوائق الآخرة إلى مثل تلك الليلة

(١) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٤٣ ب ١٠٠ ح ١٥٨٨٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٦٩ ب ٩ في سواكه ح ٨٢، والبحار: ج ٧٣ ص ٣٠ ب ١٠٠ ح ٢٥.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ١٨٢ باب المصافحة ح ١٧.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ٣٢ ب ١٠٠ ح ٢٨.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٢٠ ب ١٢٦ ح ١٦١٣٦.

(٦) الكافي: ج ٢ ص ١٨٣ باب المصافحة ح ٢١.

من قابل، فإن مات فيما بينهما أَعْفَى من الحساب، وإن كان المزور يعرف من حق الزائر ما عرفه الزائر من حق المزور كان له مثل أجره»^(١).

وعن مالك بن أعين الجهني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «... يا مالك إن المؤمنين ليلتقيان فيصافح كل واحد منهما صاحبه فما يزال الله تبارك وتعالى ناظراً إليهما بالحبّة والمغفرة وإن الذنوب لتحات عن وجوههما وجوارحهما حتى يفترقا»^(٢).

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: «إن المؤمن إذا لقي أخاه فصافحا لم تزل الذنوب تتحات عنهما ما داما متصافحين كتحات الورق عن الشجر، فإذا افترقا قال ملكاهما: جزاكما الله خيراً عن أنفسكما، فإن التزم كل واحد منهما صاحبه ناداهما مناد: طوبى لكما [وَحُسْنُ مَأْبٍ]^(٣) و(طوبى) شجرة في الجنة أصلها في دار أمير المؤمنين عليه السلام وفرعها في منازل أهل الجنة، فإذا افترقا ناداهما ملكان كريمان: أبشرا يا وليي الله بكرامة الله والجنة من ورائكما»^(٤).
وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «تحياتكم بينكم بالمصافحة»^(٥).

٣٤: المعانقة

مسألة: تستحب المعانقة، وهي من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم. عن علي بن رثاب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن من تمام التحية للمقيم المصافحة، وتمام التسليم على المسافر المعانقة»^(٦).

وسبق في حديث عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالوا: «أيما مؤمن خرج إلى أخيه يزوره عارفاً بحقه كتب الله له بكل خطوة حسنة... فإذا التقيا وتصافحا وتعانقا أقبل الله عليهما بوجهه ثم باهى بهما الملائكة فيقول: انظروا إلى عبدتي تزاورا وتحابا

(١) بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ٣٤ ب ١٠٠ ح ٣٢.

(٢) المحاسن: ج ١ ص ١٤٣ ب ١١ ح ٤١.

(٣) سورة الرعد: ٢٩.

(٤) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢١٢-٢١٣ من سورة الرعد ح ٤٩.

(٥) الأمالي للطوسي: ص ٦٣٩ المجلس ٣٢ ح ١٣١٩.

(٦) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٦ باب التسليم ح ١٤.

في، حق عليّ أن لا أعذبهما بالنار بعد هذا الموقف»^(١).

وعن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن المؤمنين إذا اعتنقا غمرتهما الرحمة، فإذا التزما لا يريدان بذلك إلا وجه الله ولا يريدان غرضاً من أغراض الدنيا قيل لهما: مغفوراً لكما فاستأنفا»^(٢).

وعن ابن بسطام قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فأتى رجل، فقال: جعلت فداك إني رجل من أهل الجبل، وربما لقيت رجلاً من إخواني فالتزمه فيعيب عليّ بعض الناس، ويقولون: إنه من فعل الأعاجم وأهل الشرك؟ فقال: «ولم ذاك فقد التزم رسول الله صلى الله عليه وآله جعفرًا وقبل بين عينيه»^(٣).

وعن أنس بن مالك قال: كنت ذات يوم جالساً عند النبي صلى الله عليه وآله إذ دخل عليه علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال صلى الله عليه وآله: «إليّ يا أبا الحسن». ثم اعتنقه وقبل ما بين عينيه وقال: «يا علي إن الله عز اسمه عرض ولايتك على السماوات فسبقت إليها السماء السابعة فزينها بالعرش، ثم سبقت إليها السماء الرابعة فزينها بالبيت المعمور، ثم سبقت إليها السماء الدنيا فزينها بالكواكب، ثم عرضها على الأرضين فسبقت إليها مكة فزينها بالكعبة ثم سبقت إليها المدينة فزينها بي ثم سبقت إليها الكوفة فزينها بك»^(٤).

وجاء في قصة نبي الله يوسف عليه السلام: «فلما خرجوا به من منزله لحقهم - يعقوب عليه السلام - مسرعاً فانتزعه من أيديهم فضمه إليه واعتنقه وبكى ثم دفعه إليهم وهو كاره، فانطلقوا به مسرعين مخافة أن يأخذه منهم ثم لا يدفعه إليهم»^(٥).

ولما قدم جعفر بن أبي طالب عليه السلام من أرض الحبشة حين فتح خيبر، تلقاه النبي صلى الله عليه وآله واعتنقه، وقال: «ما أدري بأيهما أنا أشد فرحاً، بقدم جعفر أم بفتح

(١) بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ٣٤ ب ١٠٠ ح ٣٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٣١ ب ١٣١ ح ١٦١٦٧.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٦٩ ب ١١٤ ح ١٠٢٢٧.

(٤) بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٢١٢ ب ٣٦ ح ٢١.

(٥) تفسير العياشي: ج ٢ ص ١٦٩ من سورة يوسف ح ٥.

«خير؟». وكان قدومه وأصحابه من أرض الحبشة في السنة السابعة من الهجرة^(١). وعن أم سلمة قالت: كنت مع النبي ﷺ في البيت، فقالت الخادم: هذا علي وفاطمة معها الحسن والحسين ﷺ قائمين بالسدة، فقال: «قومي تنحي لي عن أهل بيتي». فقامت فجلست في ناحية فأذن لهم فدخلوا فقبل فاطمة واعتنقها وقبل علياً واعتنقه وضم إليه الحسن والحسين صبيين صغيرين، ثم أغدق عليهم خميصة له سوداء ثم قال: «اللهم إليك لا إلى النار». فقلت: وأنا يا رسول الله؟ قال: «وأنت علي خير»^(٢).

وفي حلية الأولياء لأبي نعيم، عن القاسم بن جندب عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أنس اسكب لي وضوءاً». ثم قام فصلى ركعتين ثم قال: «يا أنس أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين وسيد المسلمين وقائد الغر المحجلين وخاتم الوصيين». قال أنس: قلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار وكنتمته إذ جاء علي ﷺ فقال: «من هذا يا أنس؟». فقلت: علي، فقام مستبشراً فاعتنقه ثم جعل يمسح عرق وجهه بوجهه ويمسح عرق علي بوجهه. قال علي: «يا رسول الله لقد رأيتك صنعت شيئاً ما صنعت بي من قبل!». قال: «وما يمنعني وأنت تؤدي عني وتسمعهم صوتي وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي»^(٣).

وقال أنس: بعث النبي ﷺ علياً ﷺ إلى قوم عصوه فقتل المقاتل وسبى الذرية وانصرف بها، فبلغ النبي ﷺ قدومه فتلقاها خارجاً من المدينة فلما لقيه اعتنقه وقبل بين عينيه وقال: «بأبي وأمي من شد الله به عضدي كما شد عضد موسى بهارون»^(٤).

وروى المنصور عن أبيه محمد بن علي عن جده علي بن عبد الله بن العباس قال: كنت أنا وأبي العباس بن عبد المطلب جالسين عند رسول الله ﷺ إذ دخل علي بن أبي طالب ﷺ فسلم فرد عليه رسول الله ﷺ السلام وبش به وقام إليه واعتنقه

(١) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٢٧٦ ب ٥ ح ٢٥.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ص ٣٣٢-٣٣٣ من سورة الأحزاب ح ٤٥٢.

(٣) حلية الأولياء: ج ١ ص ٦٢-٦٤.

(٤) المناقب: ج ٢ ص ٢٢٨ فصل في الاختصاص.

وقبل بين عينيه وأجلسه عن يمينه، فقال العباس: أتحب هذا يا رسول الله؟ قال: «يا عم رسول الله والله، الله أشد حباً له مني، إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب هذا»^(١).

وعن راشد بن سعد عن يعلى بن مرة قال: خرجنا مع النبي ﷺ وقد دعينا إلى طعام فإذا الحسن ﷺ يلعب في الطريق، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم ثم بسط يده فجعل يمر مرة هاهنا ومرة هاهنا يضحكه حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى بين رأسه ثم اعتنقه قبله ثم قال رسول الله ﷺ: «حسن مني وأنا منه، أحب الله من أحبه، الحسن والحسين سبطان من الأسباط»^(٢).

وروي: أن الحسن ﷺ لما دنت وفاته ونفدت أيامه وجرى السم في بدنه تغير لونه واخضر فقال له الحسين ﷺ: «ما لي أرى لونك مائلاً إلى الخضرة؟». فبكى الحسن ﷺ وقال: «يا أخي لقد صح حديث جدي فيّ وفيك». ثم اعتنقه طويلاً وبكياً كثيراً، فسئل ﷺ عن ذلك فقال: «أخبرني جدي قال: لما دخلت ليلة المعراج روضات الجنان ومررت على منازل أهل الإيمان رأيت قصرين عاليين متجاورين على صفة واحدة ألا إن أحدهما من الزبرجد الأخضر والآخر من الياقوت الأحمر، فقلت: يا جبرئيل لمن هذان القصران؟ فقال: أحدهما للحسن والآخر للحسين ﷺ. فقلت: يا جبرئيل فلم لم يكونا على لون واحد؟ فسكت ولم يرد جواباً. فقلت: لم لا تتكلم؟ قال: حياء منك. فقلت له: سألتك بالله إلا ما أخبرتني؟ فقال: أما خضرة قصر الحسن ﷺ فإنه يموت بالسم ويخضر لونه عند موته، وأما حمرة قصر الحسين ﷺ فإنه يقتل ويحمر وجهه بالدم». فعند ذلك بكيا وضج الحاضرون بالبكاء والنحيب^(٣).

ويروى: أنه في يوم عاشوراء لما خرج القاسم بن الحسن ﷺ وهو غلام صغير لم يبلغ الحلم فلما نظر الحسين ﷺ إليه قد برز اعتنقه وجعل يبكيان حتى غشي

(١) كشف الغمة: ج ١ ص ٩٤ في محبة الرسول ﷺ إياه.

(٢) بشارة المصطفى: ص ١٥٦.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ١٤٥ ب ٢٢ ح ١٣.

عليهما ثم استأذن الحسين عليه السلام في المبارزة فأبى الحسين عليه السلام أن يأذن له، فلم يزل الغلام يقبل يديه ورجليه حتى أذن له^(١).

وذكر أبان بن محمد بن أبان بن تغلب قال: سمعت أبي يقول: دخلت مع أبي إلى أبي عبد الله عليه السلام، فلما بصر به أمر بوسادة فألقيت له، وصافحه واعتنقه وساءله ورحب به^(٢).

٣٥: المواساة

مسألة: تستحب المواساة وقد تجب، وهي من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم.

وقال تعالى: [وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً]^(٣).

وقال سبحانه: [وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ]^(٤).

وعن أبي المأمون الحارثي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما حق المؤمن على المؤمن؟ قال: «إن من حق المؤمن على المؤمن المودة له في صدره، والمواساة له في ماله، والخلف له في أهله، والنصرة له على من ظلمه، وإن كان نافلة في المسلمين وكان غائباً أخذ له بنصيبه، وإذا مات الزيارة إلى قبره، وأن لا يظلمه، وأن لا يغشه، وأن لا يخونه، وأن لا يخذله، وأن لا يكذبه، وأن لا يقول له أف، وإذا قال له أف فليس بينهما ولاية، وإذا قال له أنت عدوي فقد كفر أحدهما، وإذا اتهمه اثماً الإيمان في قلبه كما ينمات الملح في الماء»^(٥).

وعن أبي المغراء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يخونه، ويحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاون على التعاطف والمواساة لأهل الحاجة وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما أمركم الله عزوجل رحماً بينكم متراحمين مغتمين لما غاب عنكم من أمرهم على ما مضى عليه

(١) بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٣٤ ب ٣٧.

(٢) رجال النجاشي: ص ١١ أبان بن تغلب بن رباح.

(٣) سورة الحديد: ٢٧.

(٤) سورة البلد: ١٧.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ١٧١ باب حق المؤمن على أخيه ح ٧.

معشر الأنصار على عهد رسول الله ﷺ»^(١).

وجاء في خطبة رسول الله ﷺ في آخر جمعة من شعبان في بيان فضل شهر رمضان قال: «وهو شهر الصبر وإن الصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة وهو شهر يزيد الله في رزق المؤمنين»^(٢).

وعن نعمان الرازي عن أبي عبد الله ﷺ قال: «انهزم الناس يوم أحد عن رسول الله ﷺ فغضب غضباً شديداً. قال -: وكان إذا غضب انحدر عن جبينه مثل اللؤلؤ من العرق. قال -: فنظر فإذا علي ﷺ إلى جنبه. فقال له: الحق بيني وأبيك مع من انهزم عن رسول الله. فقال: يا رسول الله لي بك أسوة. قال: فاكفني هؤلاء، فحمل فضرب أول من لقي منهم. فقال جبرئيل ﷺ: إن هذه لهي المواساة يا محمد. فقال: إنه مني وأنا منه. فقال جبرئيل ﷺ: وأنا منكما يا محمد». فقال أبو عبد الله ﷺ: «نظر رسول الله ﷺ إلى جبرئيل ﷺ على كرسي من ذهب بين السماء والأرض وهو يقول: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي»^(٣).

وعن مسعدة بن صدقة قال: قال رسول الله ﷺ: «للمؤمن على المؤمن سبعة حقوق واجبة من الله عز وجل عليه: الإجلال له في عينه، والود له في صدره، والمواساة له في ماله، وأن يحرم غيبته، وأن يعود في مرضه، وأن يشيع جنازته، وأن لا يقول فيه بعد موته إلا خيراً»^(٤).

وعن رزيق عن أبي عبد الله ﷺ قال: قلت له: أي الأعمال أفضل بعد المعرفة؟ قال: «ما من شيء بعد المعرفة يعدل هذه الصلاة، ولا بعد المعرفة والصلاة شيء يعدل الزكاة، ولا بعد ذلك شيء يعدل الصوم، ولا بعد ذلك شيء يعدل الحج، وفاتحة ذلك كله معرفتنا وخاتمته معرفتنا، ولا شيء بعد ذلك كبر الإخوان والمواساة ببذل الدينار والدرهم - إلى أن قال -: وما رأيت شيئاً أسرع غنى ولا أنفى للفقر من إدمان

(١) وسائل الشريعة: ج ١٢ ص ٢٠٣ ب ١٢٢ ح ١٦٠٩٢.

(٢) تهذيب الأحكام: ج ٣ ص ٥٧ ب ١ ح ٤.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١٠٧ ب ١٢ ح ٣٣.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٩٨ ومن ألفاظ رسول الله الموجزة ح ٥٨٥٠.

حج هذا البيت ، وصلاة فريضة تعدل عند الله ألف حجة وألف عمرة مبرورات متقبليات ، ولحجة عنده خير من بيت مملو ذهباً ، لا بل خير من ملء الدنيا ذهباً وفضة ينفقه في سبيل الله ، والذي بعث محمداً ﷺ بالحق بشيراً ونذيراً لقضاء حاجة امرئ مسلم وتنفيس كربته أفضل من حجة وطواف وحجة وطواف ، حتى عقد عشرة»^(١) .

وعن يونس بن ظبيان والفضل بن عمر عن أبي عبد الله ﷺ قال : «خصلتان من كانتا فيه وإلا فاعزب ثم اعزب ثم اعزب» . قيل : وما هما؟ قال : «الصلاة في مواقيتها والمحافظة عليها ، والمواساة»^(٢) .

وعن الليثي عن جعفر بن محمد ﷺ قال : «امتحنوا شيعتنا عند ثلاث : عند مواقيت الصلاة كيف محافظتهم عليها ، وعند أسرارهم كيف حفظهم لها عند عدونا ، وإلى أموالهم كيف مواساتهم لإخوانهم فيها»^(٣) .

وعن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله ﷺ قال : قلت له : إذا خرجنا إلى أبيك أفلسنا في حج؟ قال : «بلى» . قلت : فيلزمنا ما يلزم الحاج؟ قال : «من ماذا؟» . قلت : من الأشياء التي يلزم الحاج؟ قال : «يلزمك حسن الصحابة لمن يصحبك ، ويلزمك قلة الكلام إلا بخير ، ويلزمك كثرة ذكر الله ، ويلزمك نظافة الثياب ، ويلزمك الغسل قبل أن تأتي الحائر ، ويلزمك الخشوع وكثرة الصلاة والصلاة على محمد وآل محمد ، ويلزمك التوقير لأخذ ما ليس لك ، ويلزمك أن تغض بصرك ، ويلزمك أن تعود إلى أهل الحاجة من إخوانك إذا رأيت منقطعاً والمواساة ، ويلزمك التقية التي هي قوام دينك بها ، والورع عما نهيت عنه والخصومة وكثرة الأيمان والجدال الذي فيه الأيمان ، فإذا فعلت ذلك تم حجك وعمرتك واستوجبت من الذي طلبت ما عنده بنفقتك واغترابك عن أهلك ورغبتك فيما رغبت أن تنصرف بالمغفرة والرحمة والرضوان»^(٤) .

(١) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٢٧ ب ١ ح ٣٤ .

(٢) الخصال: ج ١ ص ٤٧ خصلتان من كانتا فيه ، ح ٥٠ .

(٣) بحار الأنوار: ج ٨٠ ص ٢٢ ب ٦ ح ٤٠ .

(٤) كامل الزيارات: ص ١٣٠ - ١٣١ ب ٤٨ ح ١ .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «المواساة أفضل الأعمال»^(١).
وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أحسن الإحسان مواساة الإخوان»^(٢).
وفي فقه الرضا عليه السلام: «اعلم يرحمك الله أن حق الإخوان فرض لازم، أن
تفدوهم بأنفسكم وأسماعكم وأبصاركم وأيديكم وأرجلكم وجميع جوارحكم،
وهم حصونكم التي تلجئون إليها في الشدائد في الدنيا والآخرة، لا تباطؤهم ولا
تخالفوهم ولا تغتابوهم ولا تدعوا نصرتهم ولا معاونتهم، وابدلوا النفوس والأموال
دونهم، والإقبال على الله جل وعز بالدعاء لهم ومواساتهم ومساواتهم في كل ما
يجوز فيه المساواة والمواساة، ونصرتهم ظالمين ومظلومين بالدفع عنهم - إلى أن قال -:
فبالله نستعين على حقوق الإخوان، والأخ الذي تجب له هذه الحقوق الذي لا فرق
بينك وبينه في جملة الدين وتفصيله، ثم ما يجب له بالحقوق على حسب قرب ما بين
الإخوان وبعده بحسب ذلك»^(٣).

وقال القمي رحمته الله في تفسير قوله تعالى: [وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ] ^(٤) أي:
«اختبرنا الأغنياء بالغناء لننظر كيف مواساتهم للفقراء وكيف يخرجون ما فرض الله
عليهم في أموالهم، فاختبرنا الفقراء لننظر كيف صبرهم على الفقر وعما في أيدي
الأغنياء»^(٥).

٣٦: المودة

مسألة: تستحب المودة وقد تجب كما في مودة أهل البيت عليهم السلام فإنها واجبة وقد
جعلها الله عز وجل أجر الرسالة قال تعالى: [قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي
الْقُرْبَى] ^(٦)، وهي من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم.
عن عبد الله بن عجلان عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: [قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٦ ق ٦ ب ٤ ف ٥ مدح المداراة ح ١٠٢٢٣.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٨٨ ق ٥ ب ٤ ف ٢ أفضل الإحسان ح ٨٨٨٩.

(٣) فقه الرضا عليه السلام: ص ٣٣٥ ب ٨٧.

(٤) سورة الأنعام: ٥٣.

(٥) تفسير القمي: ج ١ ص ٢٠٢ سورة الأنعام.

(٦) سورة الشورى: ٢٣.

أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى] ^(١) قال: «هم الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ» ^(٢).

وقال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «العقل غطاء ستير والفضل جمال ظاهر، فاستر خلل خلقك بفضلك، وقاتل هواك بعقلك، تسلم لك المودة وتظهر لك المحبة» ^(٣).

وعن يحيى عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لن يرغب المرء عن عشيرته وإن كان ذا مال وولد، وعن مودتهم وكرامتهم ودفاعهم بأيديهم وألسنتهم، هم أشد الناس حيلة من ورائه وأعطفهم عليه، وألمهم لشعثه إن أصابته مصيبة أو نزل به بعض مكاره الأمور، ومن يقبض يده عن عشيرته فإنما يقبض عنهم يداً واحدة ويقبض عنه منهم أيدي كثيرة، ومن يلن حاشيته يعرف صديقه منه المودة، ومن بسط يده بالمعروف إذا وجده يخلف الله له ما أنفق في دنياه ويضاعف له في آخرته، ولسان الصدق للمرء يجعله الله في الناس خيراً من المال يأكله ويورثه، لا يزدان أحدكم كبيراً وعظماً في نفسه ونأياً عن عشيرته إن كان موسراً في المال، ولا يزدان أحدكم في أخيه زهداً ولا منه بعداً إذا لم ير منه مروءة وكان معوزاً في المال، ولا يغفل أحدكم عن القرابة بها الخصاصة أن يسدها بما لا ينفعه إن أمسكه ولا يضره إن استهلكه» ^(٤).

وعن أبي المأمون الحارثي قال: قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما حق المؤمن على المؤمن؟ قال: «إن من حق المؤمن على المؤمن المودة له في صدره والمواساة له في ماله والخلف له في أهله والنصرة له على من ظلمه» ^(٥) الحديث.

وعن سليمان بن زياد التميمي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قال الحسن بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «القريب من قرينته المودة وإن بعد نسبه، والبعيد من بعدته المودة وإن قرب نسبه» ^(٦).

وعن الحسين بن زيد عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قال رسول الله ﷺ: «تهادوا

(١) سورة الشورى: ٢٣.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٤١٣ باب فيه نكت وتنف من التنزيل في الولاية ح ٧.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٢٠٧ ب ٨ ح ٢٠٢٩٢.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ١٢١ - ١٢٢ ب ٣ ح ٨٦.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ١٧١ باب حق المؤمن على أخيه ح ٧.

(٦) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٥٢ ب ٢٩ ح ١٥٦٢١.

بالنبي تحيا المودة والموالاتة»^(١).

وعن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «أيا امرأة تصدقت على زوجها بمهرها قبل أن يدخل بها إلا كتب الله لها بكل دينار عتق رقبة. قيل: يا رسول الله فكيف بالهبة بعد الدخول؟ قال: إنما ذلك من المودة والألفة»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة المعروفة بخطبة الوسيلة: «وأشرف الغنى ترك المنى، والصبر جنة من الفاقة، والحرص علامة الفقر، والبخل جلابب المسكنة، والمودة قرابة مستفادة، ووصول معدم خير من جاف مكثراً»^(٣).

وقدم قوم من خراسان على أبي الحسن الرضا عليه السلام فسألوه أن يجعلهم في حل من الخمس. فقال: «ما أحل هذا تمحضونا المودة بألستكم وتزوون عنا حقاً جعله الله لنا وجعلنا له وهو الخمس، لا نجعل أحداً منكم في حل»^(٤).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «حسد الصديق من سقم المودة»^(٥).

وعن سفيان بن عيينة قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول في مسجد الخيف: «إنما سموا إخواناً لتزاهتهم عن الخيانة وسموا أصدقاء لأنهم يصادقوا حقوق المودة»^(٦).

وعن عمرو بن أبي المقدم عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لولده الحسن عليه السلام: «ولا تعمل بالخدعة فإنها خلق لثيم» إلى أن قال: «ما أقبح القطيعة بعد الصلة، والجفاء بعد الإخاء، والعداوة بعد المودة، والخيانة لمن ائتمنك، والغدر لمن استنام إليك»^(٧).

وعن السكوني، عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الزيارة تثبت المودة»^(٨).

(١) الكافي: ج ٥ ص ١٤٤ باب الهدية ح ١٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢١ ص ٢٨٤ ب ٢٦ ح ٢٧٠٩٧.

(٣) تحف العقول: ص ٩٧ خطبته المعروفة بالوسيلة.

(٤) تهذيب الأحكام: ج ٤ ص ١٤٠ ب ٣٩ ح ١٨.

(٥) نهج البلاغة: قصار الحكم ٢١٨.

(٦) الأمالي للطوسي: ص ٦٠٩ المجلس ٢٨ ح ١٢٥٨.

(٧) مستدرك الوسائل: ج ٩ ص ٨١-٨٢ ب ١١٩ ح ١٠٢٧١.

(٨) مستدرك الوسائل: ج ١٠ ص ٣٧٤ ب ٧٧ ح ١٢٢١.

وقال رسول الله ﷺ: «يا أهل القرابة، تزاوروا ولا تتحاوروا، وتهادوا فإن الزيارة تزيد في المودة، والمحاورة تحدث القطيعة، والهدية تزيل الشحنة»^(١).

وقال ﷺ: «تصافحوا فإن المصافحة تزيد في المودة والهدية تذهب بالغل»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «المودة أشبك الأنساب، والعلم أشرف الأحساب»^(٣).

٣٧: الوفاء

مسألة: يستحب الوفاء وقد يجب، وهو من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم. قال تعالى: [وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا]^(٤).

وقال سبحانه: [وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا]^(٥).

وقال تعالى: [وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ]^(٦).

وقال سبحانه: [وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ]^(٧).

عن أبي مالك قال: قلت لعلي بن الحسين عليه السلام: أخبرني بجميع شرائع الدين؟ قال: «قول الحق، والحكم بالعدل، والوفاء بالعهد»^(٨).

وعن الحسين بن مصعب الهمداني قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ثلاثة لا عذر لأحد فيها: أداء الأمانة إلى البر والفاجر، والوفاء بالعهد إلى البر والفاجر، وبر الوالدين برين كانا أو فاجرين»^(٩).

وعن الرضا عليه السلام عن آبائه عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله

(١) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ١٢٦ ف ٣ ح ١٢٣٣.

(٢) الجعفریات: ص ١٥٣ باب فضل الهدية.

(٣) الإرشاد: ج ١ ص ٢٩٨ فصل ومن كلامه في الحكمة والموعظة.

(٤) سورة البقرة: ١٧٧.

(٥) سورة الإسراء: ٣٤.

(٦) سورة مريم: ٥٤.

(٧) سورة المؤمنون: ٨، سورة المعارج: ٣٢.

(٨) الخصال: ج ١ ص ١١٣ جميع شرائع الدين ثلاثة أشياء ح ٩٠.

(٩) الكافي: ج ٥ ص ١٣٢ باب أداء الأمانة ح ١.

عنه عليه السلام: «من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو من كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته وحرمت غيبته»^(١).

وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: «كان أبي علي بن الحسين عليه السلام يقول: أربع من كن فيه كمل إيمانه، ومحصت عنه ذنوبه، ولقي ربه وهو عنه راض: من وفى لله بما جعل على نفسه للناس، وصدق لسانه مع الناس، واستحيا من كل قبيح عند الله وعند الناس، وحسن خلقه مع أهله»^(٢).

وعن عبد الله بن بكير عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أربعة أسرع شيء عقوبة: رجل أحسنت إليه ويكافئك بالإحسان إليه إساءة، ورجل لا تبغي عليه وهو يبغي عليك، ورجل عاهدته على أمر فمن أمرك الوفاء له ومن أمره الغدر بك، ورجل يصل قرابته ويقطعونه»^(٣).

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «أربع من كن فيه فهو منافق، وإن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»^(٤).

وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «تقبلوا لي بست أتقبل لكم بالجنة: إذا حدثتم فلا تكذبوا، وإذا وعدتم فلا تخلفوا، وإذا أؤتمتم فلا تخونوا، وغضوا أبصاركم، واحفظوا فروجكم، وكفوا أيديكم وألسنتكم»^(٥).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «وأوفوا بعهد من عاهدتم»^(٦).

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أقربكم غداً مني في الموقف: أصدقكم للحديث، وأداكم للأمانة، وأوفاكم بالعهد،

(١) مستدرك الوسائل: ج ١٧ ص ٤٤٠-٤٤١ ب ٣٥ ح ٢١٨٠٨.

(٢) الأمل للمفيد: ص ٢٩٩ المجلس ٣٥ ح ٩.

(٣) الخصال: ج ١ ص ٢٣٠ أربعة أسرع شيء عقوبة ح ٧١.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٢٦١ ب ١١٤ ح ٣٤، والبحار: ج ٧٢ ص ٩٤ ب ٤٧ ح ٩.

(٥) الخصال: ج ١ ص ٣٢١ قول النبي صلى الله عليه وآله: تقبلوا لي بست ح ٥.

(٦) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ١٧٠.

وأحسنكم خلقاً، وأقربكم من الناس»^(١).

وعن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن رسول الله ﷺ وعد رجلاً إلى صخرة فقال: أنا لك هاهنا حتى تأتي. قال: فاشتدت الشمس عليه فقال له أصحابه: يا رسول الله لو أنك تحولت إلى الظل. قال: قد وعدته إلى هاهنا وإن لم يجيئ كان منه المحشر»^(٢).

وعن سليمان الجعفري عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «تدري لم سمي إسماعيل صادق الوعد؟». قال: قلت: لا أدري. قال: «وعد رجلاً فجلس له حولاً ينتظره»^(٣).

وعن شعيب العرقوفي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إن إسماعيل نبي الله وعد رجلاً بالصفاح فمكث به سنة مقيماً وأهل مكة يطلبونه لا يدرون أين هو حتى وقع عليه رجل، فقال: يا نبي الله ضعفنا بعدك وهلكنا. فقال: إن فلان الظاهر وعدني أن أكون هاهنا ولم أبرح حتى يجيء. فقال: فخرجوا إليه حتى قالوا له: يا عدو الله وعدت النبي فأخلفته، فجاء وهو يقول لإسماعيل عليه السلام: يا نبي الله ما ذكرت ولقد نسيت ميعادك. فقال: أما والله لو لم تجئني لكان منه المحشر، فأنزل الله: [وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ]^(٤)»^(٥).

وعن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله عن قول الله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ]^(٦) قال: «العهود»^(٧).

وعن موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «لا دين

(١) الأُمالي للطوسي: ص ٢٢٩ المجلس ٨ ح ٤٠٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٦٥-١٦٦ ب ١٠٩ ح ١٥٩٦٨.

(٣) علل الشرائع: ج ١ ص ٧٧ ب ٦٧ ح ١.

(٤) سورة مريم: ٥٤.

(٥) قصص الأنبياء للراوندي: ج ١ ص ١٨٩ ب ٩ ح ٢٣٦.

(٦) سورة المائدة: ١.

(٧) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٨٩ من سورة المائدة ح ٥.

لمن لا عهد له»^(١). وقال رسول الله ﷺ: «المؤمنون عند شروطهم»^(٢).
وعن الرضا عليه السلام قال: «إنا أهل بيت نرى ما وعدنا علينا ديناً كما صنع رسول
الله ﷺ»^(٣).

٣٨: الوقار

مسألة: الوقار مستحب، وهو من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى
الأعم. قال تعالى: [وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا]^(٤).
وقال سبحانه: [وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ
لَصَوْتُ الْحَمِيرِ]^(٥).

عن يحيى بن عمران الحلبي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أي الخصال بالمرء
أجمل؟ قال: «وقار بلا مهابة، وسماح بلا طلب مكافأة، وتشاغل بغير متاع
الدنيا»^(٦).

وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «أحسن زينة الرجل السكينة مع
الإيمان»^(٧).

وعن معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «اطلبوا العلم
وتزينوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه
العلم، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم»^(٨).

وعن إسحاق بن غالب عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام في خطبة له يذكر
فيها حال الأئمة عليهم السلام وصفاتهم فقال: «إن الله عز وجل أوضح بأئمة الهدى من

(١) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٩٦ ب ٤٧ ح ٢٠.

(٢) الاستبصار: ج ٣ ص ٢٣٢ ب ١٤٢ ح ٤.

(٣) مشكاة الأنوار: ص ١٧٣ ف ١٩.

(٤) سورة الفرقان: ٦٣.

(٥) سورة لقمان: ١٩.

(٦) الكافي: ج ٢ ص ٢٤٠ باب المؤمن وعلاماته وصفاته ح ٣٣.

(٧) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٤٠٣ ومن ألفاظ رسول الله الموجزة ح ٥٨٦٨.

(٨) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٢٧٦ ب ٣٠ ح ٢٠٥٠٣.

أهل بيت نبيه ﷺ عن دينه، وأبلج بهم عن سبيل منهاجه، وفتح بهم عن باطن يتابع علمه، فمن عرف من أمة محمد ﷺ واجب حق إمامه وجد طعم حلاوة إيمانه، وعلم فضل طلاوة إسلامه، لأن الله تبارك وتعالى نصب الإمام علماً لخلقه، وجعله حجة على أهل طاعته، ألبسه الله تاج الوقار، وغشاه من نور الجبار، يد بسبب إلى السماء لا ينقطع عنه مواده»^(١).

وعن مدرك بن عبد الرحمن عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الإسلام عريان فلباسه الحياء، وزينته الوقار، ومروءته العمل الصالح، وعماده الورع، ولكل شيء أساس، وأساس الإسلام حبنا أهل البيت»^(٢).

وعن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله ﷺ قال: «إذا دخلت المسجد الحرام فادخله حافياً على السكينة والوقار والخشوع - وقال -: ومن دخله بخشوع غفر الله له إن شاء الله». قلت: ما الخشوع؟ قال: «السكينة لا تدخله بتكبر»^(٣).

وعن يونس الكناسي عن أبي عبد الله ﷺ قال: «إذا أتيت قبر الحسين ﷺ فأتت الفرات واغتسل بحيال قبره وتوجه إليه وعليك السكينة والوقار حتى تدخل الحائر من جانبه الشرقي»^(٤).

وكان مما يوصي أمير المؤمنين ﷺ به عند القتال: «وإذا لقيتم هؤلاء القوم غداً فلا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم، فإن بدؤوكم فانهدوا إليهم وعليكم السكينة والوقار وعضوا على الأضراس فإنه أنبى للسيوف عن الهام وغضوا الأبصار ومدوا جباه الخيول ووجوه الرجال وأقلوا الكلام فإنه أطردهم للفشل وأذهب للويل»^(٥).

وعن إسماعيل بن مخلد السراج عن أبي عبد الله ﷺ قال: خرجت هذه الرسالة من أبي عبد الله ﷺ إلى أصحابه: «بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فاسألوا ربكم

(١) الغيبة للنعماني: ص ٢٢٤ ب ١٣ ح ٧.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٤٦ باب نسبة الإسلام ح ٢.

(٣) تهذيب الأحكام: ج ٥ ص ٩٩- ١٠٠ ب ٨ ح ١١.

(٤) كامل الزيارات: ص ٢٠١ ب ٧٩ زيارة أخرى ح ٣.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٩٦ ب ٣٤ ح ٢٠٠٥٨.

العافية وعليكم بالدعة والوقار والسكينة، وعليكم بالحياء والتزهر عما تنزه عنه الصالحون قبلكم»^(١).

وفي رسالة الحقوق لعلي بن الحسين عليه السلام: «وحي الصلاة أن تعلم أنها وفادة إلى الله عز وجل وأنت فيها قائم بين يدي الله عز وجل فإذا علمت ذلك قمت مقام العبد الذليل الحقير الراغب الراهب الراجي الخائف المستكين المتضرع المعظم لمن كان بين يديه بالسكون والوقار، وتقبل عليها بقلبك وتقيمها بحدودها وحقوقها»^(٢).

وعن أنس قال: قحل الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فأتاه المسلمون فقالوا: يا رسول الله قحط المطر ويبس الشجر وهلكت المواشي وأسنت الناس فاستسقى لنا ربك عز وجل. فقال: «إذا كان يوم كذا وكذا فاخرجوا وأخرجوا معكم بصدقات». قال: فلما كان ذلك اليوم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله والناس معه يمشي ويمشون عليهم السكينة والوقار حتى أتوا المصلى فتقدم النبي صلى الله عليه وآله فصلى بهم ركعتين يجهر فيهما بالقراءة، الحديث^(٣).

وقال العلامة الطبرسي رحمته الله في تفسير قوله تعالى: [الَّذِينَ يَمْتَشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَاً]^(٤)، أي: بالسكينة والوقار والطاعة غير أشرين ولا مرحين ولا متكبرين ولا مفسدين. وقال أبو عبد الله عليه السلام: «هو الرجل الذي يمشي بسجيته التي جبل عليها لا يتكلف ولا يتبختر»^(٥). وعن الحرث بن المغيرة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بم يعرف صاحب هذا الأمر؟ قال: «بالسكينة والوقار والعلم والوصية»^(٦).

ومن وصية لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات: «انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعن مسلماً، ولا تتجاذن عليه كارهاً، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله. فإذا قدمت على الحي فانزل بمائهم

(١) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٢١٠ ب ٢٣ ضمن ح ٩٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٦١٩-٦٢٠ باب الحقوق ح ٣٢١٤.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٢٩٩ ب ١٨.

(٤) سورة الفرقان: ٦٣.

(٥) تفسير مجمع البيان: ج ٧ ص ٢١٠.

(٦) بصائر الدرجات: ص ٤٨٩ ب ١٣ ح ٢.

من غير أن تخالط آياتهم، ثم امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم، فتسلم عليهم ولا تخدج بالتحية لهم. ثم تقول: عباد الله، أرسلني إليكم ولي الله وخليفته، لآخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه»^(١).

وفي وصية النبي ﷺ إلى عبد الله بن مسعود: «يا ابن مسعود، عليك بالسكينة والوقار، وكن سهلاً ليناً، عفيفاً مسلماً، تقياً نقياً باراً، طاهراً مطهراً، صادقاً خالصاً، سليماً صحيحاً، لبيباً صالحاً، صبوراً شكوراً، مؤمناً ورعاً، عابداً زاهداً رحيماً، عالماً فقيهاً»^(٢).

٣٩: اليسر

مسألة: يستحب اتخاذ اليسر في مختلف جوانب الحياة وقد يجب، وهو من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم.

قال تعالى: [يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ]^(٣).
وقال سبحانه: [وَأِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا]^(٤).

وقال تعالى: [وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا]^(٥).

وقال سبحانه: [وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي]^(٦).

وقال تعالى: [فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ]^(٧).

قال رسول الله ﷺ: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»^(٨).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «يسروا ولا تعسروا، وخففوا ولا تثقلوا»^(٩).

(١) نهج البلاغة: الرسائل ٢٥ ومن وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات.

(٢) مكارم الأخلاق: ص ٤٥٦ ب ١٢ ف ٤.

(٣) سورة البقرة: ١٨٥.

(٤) سورة الإسراء: ٢٨.

(٥) سورة الكهف: ٨٨.

(٦) سورة طه: ٢٦.

(٧) سورة المزمل: ٢٠.

(٨) غوالي اللآلي: ج ١ ص ٣٨١ ب ١ المسلك الثالث ح ٥.

وعن جميل بن دراج قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «خياركم سمحاؤكم»^(١).
وقال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الليل أعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه
من العسر ويسر له اليسر»^(٢).

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «[فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى] الخمس
[وَأَتَّقَى] ولاية الطواغيت [وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى] بالولاية [فَسُنِّيَسْرُهُ لِلْيُسْرَى] فلا يريد
شيئاً من الخير إلا تيسر له، [وَأَمَّا مَنْ بَخَلَ] بالخمس [وَأَسْتَعْنَى] برأيه عن أولياء الله
[وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى]^(٤) الولاية [فَسُنِّيَسْرُهُ لِلْعُسْرَى] فلا يريد شيئاً من الشر إلا تيسر
له»^(٥).

وعن أبي كلدة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «الروح
والراحة، والرحمة والنصرة، واليسر واليسار، والرضا والرضوان، والمخرج والفالج،
والقرب والمحبة من الله ومن رسوله لمن أحب علياً عليه السلام وائتم بالأوصياء من بعده،
حق عليٌّ أن أدخلهم في شفاعتي، وحق عليٌّ ربي أن يستجيب لي فيهم؛ لأنهم
أتباعي ومن تبعني فإنه مني، مثل إبراهيم جرى في ولايته مني وأنا منه، دينه ديني
وديني دينه، وسنته سنتي وسنتي سنته، وفضلي فضله وأنا أفضل منه وفضلي له فضل
وذلك تصديق قول ربي: [ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ]^(٦)»^(٧).

وفي دعاء اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان: «اللهم ارزقني فيه فضل ليلة
القدر، وصير أموري فيه من العسر إلى اليسر، واقبل معاذيري، وحط عني الوزر، يا
رؤؤفا بعباده الصالحين»^(٨).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٨٣ ق ٦ ب ٦ في الصحة والسلامة ح ٦١١٤٦.

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٤١ باب معرفة الجود والسخاء ح ١٥.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٤ ص ٣٥٩ ب ٤٤ ح ٤٩٣٠.

(٤) سورة الليل: ٩-٥.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة: ص ٧٨٢ سورة الليل وما فيها من الآيات في الأئمة الهداة.

(٦) سورة آل عمران: ٣٤.

(٧) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٩ من سورة آل عمران ح ٣٣.

(٨) بحار الأنوار: ج ٩٥ ص ٦٤ ب ٣١ فصل فيما يختص باليوم السابع والعشرين من دعاء.

وفي الدعاء: «اللهم صل على محمد وآله ويسر لي كل يسر، فإن تيسير العسير عليك سهل يسير، وأنت على كل شيء قدير»^(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من يسر على مؤمن وهو معسر، يسر الله له حوائج الدنيا والآخرة»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه»^(٣).

٤٠: بر الوالدين

مسألة: يستحب بر الوالدين وقد يجب في بعض المراتب، وهو من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم. قال تعالى: [وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا]^(٤).

وقال سبحانه: [قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ كُفْرًا بِإِلهِهِمْ وَأَلَّا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ]^(٥).

وقال تعالى: [وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَنْبَغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا]^(٦).

وقال تعالى: [وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ]^(٧).

عن محمد بن مروان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن رجلاً أتى النبي

(١) بحار الأنوار: ج ٨٤ ص ٣٢٠ ب ١٣ ح ١٣.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٤١٣ ب ٢٩ ح ١٤٤٦٥.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١ ص ١٠٨ ب ٢٥ ح ٢٦٣، والوسائل: ج ١٦ ص ٢٣٢ ب ٢٩ ح ٢١٤٤١.

(٤) سورة البقرة: ٨٣.

(٥) سورة الأنعام: ١٥١.

(٦) سورة الإسراء: ٢٣-٢٤.

(٧) سورة العنكبوت: ٨.

قال: يا رسول الله أوصني؟ فقال: لا تشرك بالله شيئاً وإن حرقت بالنار وعذبت إلا وقلبك مطمئن بالإيمان، ووالديك فأطعهما وبرهما حين كانا أو ميتين، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك فافعل فإن ذلك من الإيمان»^(١).

وروي: أن رجلاً قال: يا رسول الله أبايعك على الهجرة والجهاد؟ فقال: «هل من والديك أحد؟». قال: نعم كلاهما. قال: «أفتبتغي الأجر من الله؟». قال: نعم. قال: «فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما»^(٢).

وعن أبي ولاد الحناط قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزوجل: [وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا]^(٣) ما هذا الإحسان؟ فقال: «الإحسان أن تحسن صحبتتهما وأن لا تكلفهما أن يسألاك شيئاً مما يحتاجان إليه وإن كانا مستغنيين أليس يقول الله عزوجل: [لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ]^(٤)». قال: ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: «وأما قول الله عزوجل: [إِذَا بَلَغَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا]^(٥)». قال: إن أضجراك فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما إن ضرباك». قال: [وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا]^(٦)، قال: «إن ضرباك فقل لهما: غفر الله لكما فذلك منك قول كريم». قال: [وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ]^(٧)، قال: «لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلا برحمة ورقة، ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ولا يدك فوق أيديهما ولا تقدم قدامهما»^(٨).

وروي عن الرضا عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لو علم الله

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٥٨ باب البر بالوالدين ح ٢.

(٢) غوالي اللآلي: ج ١ ص ٤٤٢ ب ١ المسلك الثالث ح ١٦٢.

(٣) سورة البقرة: ٨٣، سورة النساء: ٣٦، سورة الأنعام: ١٥١، سورة الإسراء: ٢٣.

(٤) سورة آل عمران: ٩٢.

(٥) سورة الإسراء: ٢٣.

(٦) سورة الإسراء: ٢٣.

(٧) سورة الإسراء: ٢٤.

(٨) الكافي: ج ٢ ص ١٥٧-١٥٨ باب البر بالوالدين ح ١.

لفظة أوجز في ترك عقوق الوالدين من أف لأتى به»^(١). وسأل عمر بن يزيد أبا عبد الله عليه السلام عن إمام لا بأس به في جميع أمره عارف غير أنه يسمع أبويه الكلام الغليظ الذي يغيظهما أقرأ خلفه؟ قال: «لا تقرأ خلفه ما لم يكن عاقاً قاطعاً»^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٤٢ ب ٢ ضمن ح ٣.

(٢) تهذيب الأحكام: ج ٣ ص ٣٠ ب ٣ ح ١٨.

وعن منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أي الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة لوقتها، وبر الوالدين، والجهاد في سبيل الله»^(١).

وعن درست، عن أبي الحسن عليه السلام قال: «سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وآله: ما حق الوالد على ولده؟ قال: لا يسميه باسمه، ولا يمشي بين يديه، ولا يجلس قبله، ولا يستسب له»^(٢).

وعن محمد بن مروان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما يمنع الرجل منكم أن يبر والديه حين أو ميتين: يصلي عنهما، ويتصدق عنهما، ويحج عنهما، ويصوم عنهما، فيكون الذي صنع لهما وله مثل ذلك، فيزيده الله عز وجل ببره وصلته خيراً كثيراً»^(٣).

وعن معمر بن خلاد قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: أدعو لوالدي إذا كانا لا يعرفان الحق؟ قال: «ادع لهما، وتصدق عنهما، وإن كانا حين لا يعرفان الحق فدارهما، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الله بعثني بالرحمة لا بالعقوب»^(٤).

وعن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال: يا رسول الله، إني راغب في الجهاد نشيط؟ قال: فقال له النبي صلى الله عليه وآله: فجاهد في سبيل الله فإنك إن تقتل كنت حياً عند الله ترزق، وإن مت فقد وقع أجرك على الله، وإن رجعت خرجت من الذنوب كما ولدت. فقال: يا رسول الله، إن لي والدين كبيرين يزعمان أنهما يأنسان بي ويكرهان خروجي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أقم مع والديك فوالذي نفسي بيده لأنسهما بك يوماً وليلة خير من جهاد سنة»^(٥).

وعن عمار بن حيان قال: خبرت أبا عبد الله عليه السلام ببر إسماعيل ابني بي. فقال: «لقد كنت أحبه وقد ازددت له حباً، إن رسول الله صلى الله عليه وآله أتته أخت له من الرضاعة

(١) المحاسن: ج ١ ص ٢٩٢ ب ٤٧ ح ٤٤٥.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢١ ص ٥٠٥ ب ١٠٦ ح ٢٧٧٠٥.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ١٥٩ باب البر بالوالدين ح ٧.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٤٧ ب ٢ ح ٨.

(٥) الأمالي للصدوق: ص ٤٦١ - ٤٦٢ المجلس السبعون ح ٨.

فلما نظر إليها سر بها وبسط ملحفته لها فأجلسها عليها ثم أقبل يحدثها ويضحك في وجهها، ثم قامت فذهبت وجاء أخوها فلم يصنع به ما صنع بها، فقيل له: يا رسول الله صنعت بأخته ما لم تصنع به وهو رجل؟ فقال: لأنها كانت أبر بوالديها منه»^(١).

وعن إبراهيم بن شعيب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن أبي قد كبر جداً وضعف فنحن نحمله إذا أراد الحاجة. فقال: «إن استطعت أن تلي ذلك منه فافعل ولقمه بيدك فإنه جنة لك غداً»^(٢).

وعن أبي الصباح عن جابر قال: سمعت رجلاً يقول لأبي عبد الله عليه السلام: إن لي أبوين مخالفين. فقال: «برهما كما تبر المسلم من يتولانا»^(٣).

وعن عنبة بن مصعب عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ثلاث لم يجعل الله عزوجل لأحد فيهن رخصة: أداء الأمانة إلى البر والفاجر، والوفاء بالعهد للبر والفاجر، وبر الوالدين برين كانا أو فاجرين»^(٤).

وعن المعلى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «جاء رجل وسأل النبي صلى الله عليه وآله عن بر الوالدين؟ فقال: ابرر أمك، ابرر أمك، ابرر أبك، ابرر أبك، ابرر أبك، وبدأ بالأب قبل الأم»^(٥).

وعن أبي خديجة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «جاء رجل النبي صلى الله عليه وآله قال: إني ولدت بنتاً وربيتها حتى إذا بلغت فألبستها وحليتها ثم جئت بها إلى قلب فدفعتها في جوفه وكان آخر ما سمعت منها وهي تقول: يا أبتاه، فما كفارة ذلك؟ قال: ألك أم حية؟ قال: لا. قال: فلك خالة حية؟ قال: نعم. قال: فابريها فإنها بمنزلة الأم تكفر عنك ما صنعت». قال أبو خديجة: فقلت لأبي عبد الله عليه السلام: متى كان هذا؟ قال: «كان في الجاهلية وكانوا يقتلون البنات مخافة أن يسبين فيلدن في قوم آخرين»^(٦).

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٦١ باب البر بالوالدين ح ١٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢١ ص ٥٠٥-٥٠٦ ب ١٠٦ ح ٢٧٧٠٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٥٦ ب ٢ ح ١٤، والبحار: ج ٧١ ص ٨٢ ب ٢ ح ٩٠.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ١٦٢ باب البر بالوالدين ح ١٥.

(٥) وسائل الشيعة: ج ٢١ ص ٤٩١ ب ٩٤ ح ٢٧٦٧٢.

(٦) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ١٧٢-١٧٣ ب ١ ح ٩٩، والبحار: ج ٧١ ص ٥٨ ب ٢ ح ١٨.

وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن العبد ليكون باراً بوالديه في حياتهما ثم يموتان فلا يقضى عنهما الدين، ولا يستغفر لهما، فيكتبه الله عزوجل عاقاً. وإنه ليكون عاقاً في حياتهما، غير بار لهما، فإذا ماتا قضى عنهما الدين، واستغفر لهما، فيكتبه الله تبارك وتعالى باراً»^(١).

وعن عبد الله بن المغيرة عن أبي الحسن عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كن باراً واقتصر على الجنة، وإن كنت عاقاً فظاً فاقصر على النار»^(٢).

وعن يعقوب بن شعيب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة كشف غطاء من أغطية الجنة فوجد ريحها من كانت له روح من مسيرة خمسمائة عام إلا صنف واحد». قلت: من هم؟ قال: «العاق لوالديه»^(٣).

وعن السكوني عن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «فوق كل ذي بر حتى يقتل في سبيل الله فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه بر، وفوق كل ذي عقوق حتى يقتل أحد والديه فإذا قتل أحد والديه فليس فوقه عقوق»^(٤).

وعن سيف بن عميرة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من نظر إلى أبويه نظر ماقت وهما ظالمان له لم يقبل الله له صلاة»^(٥).

وعن محمد بن فرات عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في كلام له: «إياكم وعقوق الوالدين! فإن ریح الجنة توجد من مسيرة ألف عام، ولا يجدها عاق، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان، ولا جار إزاره خيلاء، إنما الكبرياء لله رب العالمين»^(٦).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لما تلقى يوسف يعقوب ترجل له يعقوب ولم يترجل له يوسف، فلم ينفصلا من العناق حتى أتاه جبرئيل. فقال له: يا يوسف ترجل لك الصديق ولم يترجل له ابسط يدك فبسطها، فخرج نور من راحته. فقال له

(١) الزهد: ص ٣٣ ب ٥ ح ٨٧.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٤٨ باب العقوق ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٢١ ص ٥٠١ ب ١٠٤ ح ٢٧٦٩٤.

(٤) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٢٢ ب ٥٤ ح ٤.

(٥) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ٢٠٨.

(٦) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٦١-٦٢ ب ٢٧ ح ٢٧.

يوسف: ما هذا؟ قال: هذا آية لا يخرج من عقبك نبي عقوبة»^(١).

٤١: حسن التعامل مع الأقليات الدينية

مسألة: يستحب حسن التعامل مع الأقليات الدينية وقد يجب، وهو من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم.

جاء في رسالة الحقوق للإمام السجاد عليه السلام: «وأما حق أهل الذمة، فالحكم فيهم أن تقبل منهم ما قبل الله، وتفي بما جعل الله لهم من ذمته وعهده، وتكلهم إليه فيما طلبوا من أنفسهم وأجبروا عليه، وتحكم فيهم بما حكم الله به على نفسك فيما جرى بينك وبينهم من معاملة، وليكن بينك وبين ظلمهم من رعاية ذمة الله والوفاء بعهده وعهد رسول الله ﷺ حائل، فإنه بلغنا أنه ﷺ قال: من ظلم معاهداً كنت خصمه، فاتق الله ولا حول ولا قوة إلا بالله»^(٢).

وجاء في عهد أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر: «هذا ما عهد عبد الله علي أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر، أمره بتقوى الله في السر والعلانية وخوف الله تعالى في المغيب والمشهد، وباللين للمسلم وبالغلظة على الفاجر، وبالعدل على أهل الذمة وبالإنصاف للمظلوم وبالشدّة على الظالم وبالعفو عن الناس وبالإحسان ما استطاع والله يجزي المحسنين»^(٣).

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: «يا أبا محمد كأنني أرى نزول القائم عليه السلام في مسجد السهلة بأهله ووعيله... إلى أن قال:- قلت: فما يكون من أهل الذمة عنده؟ قال: «يسألهم كما سألهم رسول الله ﷺ ويؤدون [الْجَزِيَّةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ]»^(٤)»^(٥).

وروي: أن النبي ﷺ قال: «من قتل رجلاً من أهل الذمة حرم الله عليه الجنة

(١) علل الشرائع: ج ١ ص ٥٥ ب ٤٧ ح ١.

(٢) تحف العقول: ص ٢٧١-٢٧٢ رسالته عليه السلام المعروفة برسالة الحقوق.

(٣) الغارات: ج ١ ص ١٤١ خبر قدوم محمد بن أبي بكر مصر.

(٤) سورة التوبة: ٢٩.

(٥) بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ٣٧٦ ب ٢٧ ح ١٧٧، والبحار: ج ٥٢ ص ٣٧١ ب ٢٧ ح ١٩١.

التي توجد ريجها من مسيرة اثني عشر عاماً»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ليس بين أهل الذمة معاقلة فيما يجنون من قتل أو جراحة، إنما يؤخذ ذلك من أموالهم فإن لم يكن لهم مال رجعت الجناية على إمام المسلمين لأنهم يؤدون إليه الجزية كما يؤدي العبد الضريبة إلى سيده»^(٢).

وعن علي بن الحسين عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن علي عليه السلام قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أخذ شيئاً من أموال أهل الذمة ظلماً فقد خان الله ورسوله وجميع المؤمنين»^(٣).

وعن علي بن الحسين عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا على نساء أهل الذمة إلا بإذن»^(٤).

وعن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: «ومن استعين به من أهل الذمة على حرب المشركين طرحت عنه الجزية»^(٥).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «الجزية على أحرار أهل الذمة الرجال البالغين، وليس على العبيد منهم، ولا على الأطفال، ولا على النساء جزية. وتؤخذ من الدهاقين وأمثالهم من أهل السعة في المال، عن كل رجل منهم ثمانية وأربعون درهماً في كل عام، ومن الطبقة الوسطى أربعة وعشرون درهماً، ومن الطبقة السفلى اثنا عشر درهماً، وعليهم مع ذلك الخراج في أرضهم لمن كانت في الأرض منهم من صغير أو كبير أو امرأة أو رجل فالخراج عليها. ومن أسلم وضعت عنه الجزية ولم يوضع عنه الخراج؛ لأن الخراج عن الأرض وإن باعوها فصارت للمسلمين بقي الخراج عليها بحاله، والمستأمن يؤخذ مما دخل به العشر إذا بلغ مائتي درهم فصاعداً أو قيمتها»^(٦).

(١) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ١٣١ ب ٦١ ح ١٢٦٣٠.

(٢) الكافي: ج ٧ ص ٣٦٤ باب المعاقلة ح ١.

(٣) الجعفریات: ص ٨١ باب من ظلم ذمياً وأخذ شيئاً من أموالهم.

(٤) الجعفریات: ص ٨١-٨٢ باب الاستئذان على أهل الذمة.

(٥) دعائم الإسلام: ج ١ ص ٣٨٠ ذكر الصلح والموادعة والجزية.

(٦) دعائم الإسلام: ج ١ ص ٣٨٠-٣٨١ ذكر الصلح والموادعة والجزية.

وعن عبد الله بن قعين قال: كنت أنا وأخي كعب بن قعين في ذلك الجيش مع معقل بن قيس فلما أراد الخروج أتى علياً عليه السلام فودعه. فقال له علي عليه السلام: «يا معقل بن قيس، اتق الله ما استطعت فإنها وصية الله للمؤمنين، لا تبغ على أهل القبلة، ولا تظلم أهل الذمة، ولا تتكبر فإن الله لا يحب المتكبرين». فقال معقل: الله المستعان. فقال: «خير مستعان»^(١). وقال رسول الله ﷺ في قصة اليهودي الذي حبسه: «نهى تبارك وتعالى أن أظلم معاهداً ولا غيره»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام لجارية بن قدامة لما ودعه: «ولا تحتقر مسلماً ولا معاهداً»^(٣). ومن كتاب له عليه السلام كتبه لجارية بن قدامة: «ولا تظلم معاهداً ولا معاهدة»^(٤). وقال عليه السلام: «لا إيمان لمن يقتل مسلماً أو معاهداً»^(٥).

وفي البحار: عن جعفر عليه السلام عن أبيه عليه السلام: «أن علياً عليه السلام صاحب رجلاً ذمياً. فقال له الذمي: أين تريد يا عبد الله؟ قال: أريد الكوفة، فلما عدل الطريق بالذمي عدل معه علي عليه السلام. فقال له الذمي: أليس زعمت تريد الكوفة؟! قال: بلى. فقال له الذمي: فقد تركت الطريق. فقال: قد علمت. فقال له: فلم عدلت معي وقد علمت ذلك؟! فقال له علي عليه السلام: هذا من تمام حسن الصحبة أن يشيع الرجل صاحبه هنيئة إذا فارقه، وكذلك أمرنا نبينا ﷺ. فقال له: هكذا. قال: نعم. فقال له الذمي: لا جرم أنما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة، وأنا أشهدك أني على دينك. فرجع الذمي مع علي عليه السلام فلما عرفه أسلم»^(٦).

وعن سعد بن طريف عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «صانع المنافق بلسانك، وأخلص ودك للمؤمن، وإن جالسك يهودي فأحسن مجالسته»^(٧).

(١) الغارات: ج ١ ص ٢٣٦ خبر بني ناجية.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ١٣ ص ٤٠٧ ب ١٧ ح ١٥٧٤١.

(٣) الغارات: ج ٢ ص ٤٢٨ مسير جارية بن قدامة رضي الله عنه.

(٤) الغارات: ج ٢ ص ٤٣١ مسير جارية بن قدامة رضي الله عنه.

(٥) غوالي اللآلي: ج ٢ ص ٢٤١ ب ٢ باب الجهاد ح ٨.

(٦) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٥٣ ب ١٠٤ ح ٥، والبحار: ج ٧١ ص ١٥٧ ب ١٠ ح ٤.

(٧) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٣١٦ ب ٢ ح ٩٥٣٧.

٤٢: حسن الجوار

مسألة: يستحب حسن الجوار وقد يجب في بعض مراتبه، وهو من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم. قال تعالى: [وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَأَجِبُ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا] (١).

وعن أبي أسامة زيد الشحام قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «اقرأ على من ترى أنه يطيعني منهم ويأخذ بقولي: السلام، وأوصيكم بتقوى الله عز وجل، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وطول السجود، وحسن الجوار، فهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله. أدوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها براً أو فاجراً، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأمر بأداء الخيط والمخيطة. صلوا عشائركم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم. فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث، وأدى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا جعفري، فيسرنى ذلك ويدخل عليّ منه السرور، وقيل: هذا أدب جعفر. وإذا كان على غير ذلك دخل عليّ بلاؤه وعاره، وقيل: هذا أدب جعفر. والله لحدثني أبي عليه السلام: أن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي عليه السلام فيكون زينها، آداهم للأمانة، وأقضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث، إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول: من مثل فلان إنه آداننا للأمانة، وأصدقنا للحديث» (٢).

وعن القاسم بن محمد عن حبيب الخثعمي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «عليكم بالورع والاجتهاد، واشهدوا الجنائز، وعودوا المرضى، واحضروا مع قومكم مساجدكم، وأحبوا للناس ما تحبون لأنفسكم. أما يستحيي الرجل منكم أن يعرف جاره حقه ولا يعرف حق جاره» (٣).

(١) سورة النساء: ٣٦.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٦٣٦ باب ما يجب من المعاشرة ح ٥.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٦ ب ١ ح ١٥٤٩٨.

وعن مرزم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «عليكم بالصلاة في المساجد، وحسن الجوار للناس، وإقامة الشهادة، وحضور الجنائز. إنه لا بد لكم من الناس، إن أحداً لا يستغني عن الناس بجنائزته»^(١).

وعن كثير بن علقمة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أوصني. فقال: «أوصيك بتقوى الله والورع، والعبادة، وطول السجود، وأداء الأمانة، وصدق الحديث، وحسن الجوار، فهذا جاءنا محمد صلى الله عليه وآله. صلوا في عشائركم، وعودوا مرضاكم، واشهدوا جنائزكم، وكونوا لنا زيناً، ولا تكونوا علينا شيناً. حبيبونا إلى الناس، ولا تبغضونا إليهم، فجروا إلينا كل مودة، وادفعوا عنا كل قبيح»^(٢).

وعن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حسن الجوار يعمر الديار وينسى في الأعمار»^(٣).

وعن إبراهيم بن أبي رجا قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «حسن الجوار يزيد في الرزق»^(٤).

وعن أبي مسعود قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «حسن الجوار زيادة في الأعمار وعمارة الديار»^(٥).

وعن أبي الربيع الشامي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال - والبيت خاص بأهله -: «اعلموا أنه ليس منا من لم يحسن مجاورة من جاوره»^(٦).

وقال أبو عبد الله عليه السلام يوماً لبعض أصحابه يوصيهم: «اتقوا الله وأحسنوا صحبة من تصاحبونه، وجوار من تجاورونه، وأدوا الأمانات إلى أهلها، ولا تسموا الناس خنازير، إن كنتم شيعتنا تقولون ما نقول. واعملوا بما نأمركم به تكونوا لنا شيعة، ولا تقولوا فينا ما لا نقول في أنفسنا فلا تكونوا لنا شيعة. إن أبي حدثني: أن الرجل من

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٤١١-٤١٢ ب ٣ ح ٢١٦٩٥.

(٢) الحكايات: ص ٩٣ من أحاديث أهل البيت في الوصية بالورع.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٦٦٧-٦٦٨ باب حق الجوار ح ١٠.

(٤) الزهد: ص ٤٣ ب ٦ ح ١١٥.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٢٩ ب ٨٧ ح ١٥٨٤٦.

(٦) الكافي: ج ٢ ص ٦٦٨ باب حق الجوار ح ١١.

شيعتنا كان يكون في الحي فتكون ودائعهم عنده، ووصاياهم إليه، فكذلك أنتم فكونوا»^(١).

وعن مرزم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «عليكم بالصلاة في المسجد وحسن الجوار للناس»^(٢).

وفي فقه الرضا عليه السلام قال: «عليكم بتقوى الله، والورع، والاجتهاد، وأداء الأمانة، وصدق الحديث، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله. صلوا في عشائركم، وصلوا أرحامكم، وعودوا مرضاكم، واحضروا جنازكم. وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، حبيونا إلى الناس ولا تبغضونا، جروا إلينا كل مودة، وادفعوا عنا كل قبيح»^(٣).

وعن عبد الله بن طلحة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «البر وحسن الجوار، زيادة في الرزق، وعمارة في الديار»^(٤).

وعن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن جده عليه السلام عن الحسين بن علي عليه السلام قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لي: ... وأحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمناً، وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مسلماً»^(٥).

وفي فقه الرضا عليه السلام قال: «وأحسن مجاورة من جاورك فإن الله يسألك عن الجار»^(٦).

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «إن الله تبارك وتعالى أوصاني بالجار حتى ظننت أنه يرثني»^(٧).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال له رجل من المسلمين: يا رسول الله إن لي جارين

(١) دعائم الإسلام: ج ١ ص ٦١ ذكر وصايا الأئمة عليهم السلام.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ١٦٢ ب ١٠ ح ٢٤.

(٣) فقه الرضا عليه السلام: ص ٣٥٦ ب ٩٥.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٤٢٥-٤٢٦ ب ٧٣ ح ٩٨٨٤، والمستدرک: ج ١٢ ص ٤٢٤ ب ٣٢ ح ١٤٥٠٧.

(٥) الأمالي للصدوق: ص ٢٠١ المجلس ٣٦ ح ١٣.

(٦) فقه الرضا عليه السلام: ص ٤٠١ ب ١١٥.

(٧) فقه الرضا عليه السلام: ص ٤٠١ ب ١١٥.

إلى أيهما أهدي هديتي أولاً؟ فقال: «إلى أقربهما منك باباً وأوجهما عندك رحماً، فإن استويا في ذلك فإلى أحسنهما مجاورة»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره فوق ما يكرم به غيره»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «من غلق بابه خوفاً من جاره على أهله وماله فليس جاره بمؤمن». فقيل له: يا رسول الله فما حق الجار على الجار؟ فقال: «من أدنى حقوقه عليه: إن استقرضه أقرضه، وإن استعانه أعانه، وإن استعار منه أعاره، وإن احتاج إلى رفده رفده، وإن دعاه أجابه، وإن مرض عاده، وإن مات شيع جنازته، وإن أصاب خيراً فرح به ولم يحسده عليه، وإن أصاب مصيبةً حزن لحزنه، ولا يستطيل عليه ببناء سكنه فيؤذيه بإشرافه عليه وسده منافذ الريح عنه، وإن أهدي إلى منزله طرفة أهدي له منها إذا علم أنه ليس عنده مثلها، أو فليسترها عنه وعن عياله إن شحت نفسه بها - ثم قال -: اسمعوا ما أقول لكم: لم يؤد حق الجار إلا قليل ممن رحمه الله، ولقد أوصاني الله بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»^(٣).

٤٣: حسن الخلق

مسألة: يستحب حسن الخلق وقد يجب، وهو من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم.

عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر ع قال: «إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»^(٤).

وعن علي بن الحسين ع قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق»^(٥).

(١) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٤٢٦ ب ٧٣ ح ٩٨٨٧.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٤٢٦ - ٤٢٧ ب ٧٣ ح ٩٨٨٨.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٤٢٧ ب ٧٣ ح ٩٨٨٩.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٩٩ باب حسن الخلق ح ١.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٥١ ب ١٠٤ ح ١٥٩١٦.

وعن أبي ولاد الحناط، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام قال: «أربع من كن فيه كمل إيمانه، وإن كان من قرنه إلى قدمه ذنوب لم ينقصه ذلك، وهي: الصدق، وأداء الأمانة، والحياء، وحسن الخلق»^(١).

وعن عنبسة العابد قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «ما يقدم المؤمن على الله عزوجل بعمل بعد الفرائض أحب إلى الله تعالى من أن يسع الناس بخلقه»^(٢).

وعن ذريح المحاربي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن صاحب الخلق الحسن له أجر الصائم القائم»^(٣).

وعن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أكثر ما تلج به أمتي الجنة: تقوى الله، وحسن الخلق»^(٤).

وعن حسين الأحمسي وعبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الخلق الحسن يميث الخطيئة كما تميث الشمس الجليد»^(٥).

وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن البر وحسن الخلق يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار»^(٦).

وعن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «أوحى الله تبارك وتعالى إلى بعض أنبيائه عليه السلام: الخلق الحسن يميث الخطيئة كما تميث الشمس الجليد»^(٧).

وعن علي بن أبي علي اللهبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يغدو عليه ويروح»^(٨).

(١) الأمالي للطوسي: ص ٤٤ المجلس ٢ ح ٥١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٧٥ ب ٩٢ ح ٤.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٤٤٢ - ٤٤٣ ب ٨٧ ح ٩٩٤٠.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ١٠٠ باب حسن الخلق ح ٦.

(٥) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٧٥ ب ٩٢ ح ٧.

(٦) الزهد: ص ٢٩ ب ٣ ح ٧٢.

(٧) الكافي: ج ٢ ص ١٠٠ باب حسن الخلق ح ٩.

(٨) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٧٧ ب ٩٢ ح ١٠.

وعن العلاء بن كامل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا خالطت الناس فإن استطعت أن لا تخالط أحداً من الناس إلا كانت يدك العليا عليه فافعل؛ فإن العبد يكون فيه بعض التقصير من العبادة، ويكون له حسن خلق فيبلغه الله بحسن خلقه درجة الصائم القائم»^(١).

وعن بحر السقاء قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا بحر حسن الخلق يسر» ثم قال: «ألا أخبرك بحديث ما هو في يد أحد من أهل المدينة؟». قلت: بلى. قال: «بيننا رسول الله ﷺ ذات يوم جالس في المسجد، إذ جاءت جارية لبعض الأنصار وهو قائم، فأخذت بطرف ثوبه فقام لها النبي ﷺ فلم تقل شيئاً ولم يقل لها النبي ﷺ شيئاً، حتى فعلت ذلك ثلاث مرات. فقام النبي ﷺ في الرابعة وهي خلفه فأخذت هدبة من ثوبه ثم رجعت. فقال لها الناس: فعل الله بك وفعل، حبست رسول الله ﷺ ثلاث مرات لا تقولين له شيئاً، ولا هو يقول لك شيئاً، ما كانت حاجتك إليه؟. قالت: إن لنا مريضاً فأرسلني أهلي لآخذ هدبة من ثوبه يشتفي بها، فلما أردت أخذها رأني فقام فاستحييت أن أخذها وهو يراني، وأكره أن أستأمره في أخذها حتى أخذتها»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «أفاضلكم أحسنكم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، وتوطأ رحالهم»^(٣). وعن إبراهيم بن عبد الحميد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «أكمل الناس عقلاً أحسنهم خلقاً»^(٤).

وعن الحسين بن خالد عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «نزل عليّ جبرئيل من رب العالمين، فقال: يا محمد، عليك بحسن الخلق؛ فإنه ذهب بخير الدنيا والآخرة، ألا وإن أشبهكم بي أحسنكم خلقاً»^(٥).

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٠١-١٠٢ باب حسن الخلق ح ١٤.

(٢) مشكاة الأنوار: ص ٢٢٢ ب ٥ ف ١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٨٠ ب ٩٢ ح ١٤.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٥٠ ب ١٠٤ ح ١٥٩١٢.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٥١-١٥٢ ب ١٠٤ ح ١٥٩١٩.

وقال علي بن موسى الرضا عليه السلام بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «عليكم بحسن الخلق فإن حسن الخلق في الجنة لا محالة، وإياكم وسوء الخلق فإن سيئ الخلق في النار لا محالة»^(١).

٤٤: حسن المعاشرة

مسألة: يستحب حسن المعاشرة وقد يجب، وهو من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم.

عن أبي الربيع الشامي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام والبيت غاص بأهله، فيه الخراساني والشامي ومن أهل الآفاق، فلم أجد موضعاً أقعد فيه. فجلس أبو عبد الله عليه السلام وكان متكئاً ثم قال: «يا شيعة آل محمد، اعلموا أنه ليس منا من لم يملك نفسه عند غضبه، ومن لم يحسن صحبة من صحبه، ومخالقة من خالقه، ومرافقة من رافقه، ومجاورة من جاوره، ومخالحة من مالحه. يا شيعة آل محمد، اتقوا الله ما استطعتم ولا حول ولا قوة إلا بالله»^(٢).

وعن العلاء بن الفضل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أبو جعفر عليه السلام يقول: عظموا أصحابكم ووقروهم، ولا يتهجم بعضكم بعضاً، ولا تضادوا ولا تحاسدوا، وإياكم والبخل، كونوا عباد الله المخلصين»^(٣).

وعن معاوية بن عمار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «وطن نفسك على حسن الصحابة لمن صحبت في حسن خلقك، وكف لسانك، واكظم غيظك، وأقل لغوك، وتغرس عفوك، وتسخو نفسك»^(٤).

وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ما يعبأ بمن سلك هذا الطريق إذا لم يكن فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يملك به غضبه، وحسن الصحبة لمن صحبه»^(٥).

(١) جامع الأخبار: ص ١٠٧ ف ٦٤.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٦٣٧ باب حسن المعاشرة ح ٢.

(٣) كشف الريبة: ص ٩٦-٩٧ ف ٥.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٩-١٠ ب ٢ ح ١٥٥٠٦.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٠ ب ٢ ح ١٥٥٠٨.

وقال الصادق عليه السلام: «ليس من المروءة أن يحدث الرجل بما يلقى في السفر من خير أو شر»^(١).

وعن عمار بن مروان الكلبي قال: أوصاني أبو عبد الله عليه السلام فقال: «أوصيك بتقوى الله وأداء الأمانة، وصدق الحديث، وحسن الصحابة لمن صحبت، ولا قوة إلا بالله»^(٢).

وعن المفضل بن عمر قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: «من صحبتك؟». فقلت له: رجل من إخواني. قال: «فما فعل؟». قلت: منذ دخلت المدينة لم أعرف مكانه. فقال لي: «أما علمت أن من صحب مؤمناً أربعين خطوة سأل الله عنه يوم القيامة»^(٣).

وعن جابر بن يزيد عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: لما احتضر أمير المؤمنين عليه السلام جمع بنيه حسناً وحسيناً عليهما السلام وابن الحنفية والأصغر من ولده فوصاهم وكان في آخر وصيته: «يا بني، عاشروا الناس عشرة إن غبتم حنوا إليكم، وإن فقدتم بكوا عليكم»^(٤).

وعن موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال لهشام بن الحكم في وصيته إليه: «يا هشام، وإن خالطت الناس فإن استطعت أن لا تخالط أحداً منهم إلا من كانت يدك عليه العليا فافعل»^(٥).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «ما من رجلين يصطحبان إلا والله مسائل كل واحد منهما عن الآخر كيف كان صحبته إياه»^(٦).

وقال الصادق عليه السلام: «حسن المعاشرة مع خلق الله تعالى في غير معصية من مزيد فضل الله عزوجل عند عبده، ومن كان خاضعاً في السر كان حسن المعاشرة في

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٧٤ باب ما يجب على المسافر في الطريق ح ٢٤٢٥.

(٢) المحاسن: ج ٢ ص ٣٥٨ ب ١٦ ح ٧١.

(٣) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ٢١.

(٤) الأمالي للطوسي: ص ٥٩٥ المجلس ٢٦ ح ١٢٣٢.

(٥) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٣١٧ ب ٢ ح ٩٥٣٩.

(٦) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٣١٧ ب ٢ ح ٩٥٤٠.

العلائية. فعاشر الخلق لله ولا تعاشرهم لنصيبك من الدنيا، ولطلب الجاه والرياء والسمعة، ولا تستقطن بسببها عن حدود الشريعة من باب المماثلة والشهرة؛ فإنهم لا يغنون عنك شيئاً وتفوتك الآخرة بلا فائدة. واجعل من هو أكبر منك بمنزلة الأب، والأصغر بمنزلة الولد، والمثل بمنزلة الأخ، ولا تدع ما تعمله يقيناً من نفسك بما تشك فيه من غيرك. وكن رفيقاً في أمرك بالمعروف، شفيقاً في نهيك عن المنكر، ولا تدع النصيحة في كل حال قال الله عزوجل: [وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا] (١)» (٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «وخالطوا الناس وأتوهم، وأعينوهم ولا تجانبوهم، وقولوا لهم كما قال الله تعالى: [وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا]» (٣)» (٤).

وعن معاوية بن وهب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف ينبغي لنا أن نضع فيما بيننا وبين قومنا، وفيما بيننا وبين خلطائنا من الناس؟. فقال: «تؤدون الأمانة إليهم، وتقيمون الشهادة لهم وعليهم، وتعودون مرضاهم، وتشهدون جنائزهم» (٥).

وعن خيشمة الجعفي قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمد عليه السلام وأنا أريد الشخوص، فقال: «أبلغ موالينا السلام وأوصهم بتقوى الله، وأن يعود غنيهم فقيرهم، وقويهم ضعيفهم، وأن يعود صحيحهم مريضهم، وأن يشهد حيهم جنازة ميتهم، وأن يتلاقوا في بيوتهم؛ فإن لقاء بعضهم بعضاً حياة لأمرنا، رحم الله امرأً أحيا أمرنا. يا خيشمة، إنا لا نغني عنكم من الله شيئاً إلا بالعمل، وإن ولايتنا لا تنال إلا بالورع، وإن أشد الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم يخالفه إلى غيره» (٦).

وعن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام: أن نفرًا أتوه من الكوفة من شيعة يسمعون منه ويأخذون عنه، فأقاموا بالمدينة ما أمكنهم المقام، وهم يختلفون إليه ويترددون عليه، ويسمعون منه، ويأخذون عنه، فلما حضرهم الانصراف وودعوه،

(١) سورة البقرة: ٨٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ١٦٠ ب ١٠ ح ١٧.

(٣) سورة البقرة: ٨٣.

(٤) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٣١٨ ب ٢ ح ٩٥٤٢.

(٥) مشكاة الأنوار: ص ١٨٩ ب ٤ ف ٢.

(٦) بشارة المصطفى: ص ١٣٢.

قال له بعضهم: أوصنا يا ابن رسول الله. فقال: «أوصيكم بتقوى الله والعمل بطاعته، واجتناب معاصيه، وأداء الأمانة لمن ائتمنكم، وحسن الصحابة لمن صحبتموه، وأن تكونوا لنا دعاة صامتين». فقالوا: يا ابن رسول الله، وكيف ندعو إليكم ونحن صموت؟. قال: «تعملون ما أمرناكم به من العمل بطاعة الله، وتتناهون عما نهيناكم عنه من ارتكاب محارم الله، وتعاملون الناس بالصدق والعدل، وتؤدبون الأمانة، وتأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، ولا يطلع الناس منكم إلا على خير، فإذا رأوا ما أنتم عليه قالوا: هؤلاء الفلانية، رحم الله فلاناً ما كان أحسن ما يؤدب أصحابه، وعلموا فضل ما كان عندنا فسارعوا إليه. أشهد على أبي محمد بن علي (رضوان الله عليه ورحمته وبركاته) لقد سمعته يقول: كان أولياؤنا وشيعتنا فيما مضى خير من كانوا فيه، إن كان إمام مسجد في الحي كان منهم، وإن كان مؤذن في القبيلة كان منهم، وإن كان صاحب ودیعة كان منهم، وإن كان صاحب أمانة كان منهم، وإن كان عالم من الناس يقصدونه لدينهم ومصالح أمورهم كان منهم. فكونوا أنتم كذلك حبيونا إلى الناس ولا تبغضونا إليهم»^(١).

وعن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام أنه أوصى رجلاً من أصحابه أنفذه إلى قوم من شيعته فقال له: «بلغ شيعتنا السلام وأوصهم بتقوى الله العظيم وبأن يعود غنيهم على فقيرهم ويعود صحيحهم عليهم ويحضر حيهم جنازة ميتهم ويتلاقوا في بيوتهم فإن لقاء بعضهم بعضاً حياة لأمرنا رحم الله امرأً أحيا أمرنا وعمل بأحسنه، قل لهم إنا لا نغني عنكم من الله شيئاً إلا بعمل صالح، ولن تنالوا ولايتنا إلا بالورع، وإن أشد الناس حسرة يوم القيامة لمن وصف عملاً ثم خالف إلى غيره»^(٢).

وعن عبد الله بن زياد قال: سلمنا على أبي عبد الله عليه السلام بمنى. ثم قلت: يا ابن رسول الله، إنا قوم مجتازون لسنا نطبق هذا المجلس منك كلما أردناه فأوصنا. قال: «عليكم بتقوى الله وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وحسن الصحبة لمن صحبتكم، وإفشاء السلام، وإطعام الطعام. صلوا في مساجدهم، وعودوا مرضاهم، واتبعوا

(١) دعائم الإسلام: ج ١ ص ٥٦-٥٧ ذكر وصايا الأنمة عليه السلام.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣١١ ب ١ ح ٩٥٢٣.

جنازتهم؛ فإن أبي حدثني: أن شيعتنا أهل البيت كانوا خيار من كانوا منهم، إن كان فقيه كان منهم، وإن كان مؤذن كان منهم، وإن كان إمام كان منهم، وإن كان صاحب أمانة كان منهم، وإن كان صاحب وداعة كان منهم، وكذلك كونوا. حببونا إلى الناس ولا تبغضونا إليهم»^(١).

٤٥: صلة الرحم

مسألة: صلة الرحم واجبة، وفي بعض مراتبها مستحبة، وهو من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم.

قال تعالى: [وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ] ^(٢).

عن جميل بن دراج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله جل ذكره: [وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا] ^(٣) قال: فقال: «هي أرحام الناس إن الله عز وجل أمر بصلتها وعظمتها، ألا ترى أنه جعلها منه» ^(٤).

وعن إسحاق بن عمار قال: قال: بلغني عن أبي عبد الله عليه السلام: «أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، إن أهل بيتي أبوا إلا توثباً عليّ وقطيعة لي فأرفضهم؟ قال: إذا يرفضكم الله جميعاً. قال: فكيف أصنع؟ قال: تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك؛ فإنك إذا فعلت ذلك كان لك من الله عز وجل عليهم ظهير» ^(٥).

وعن محمد بن عبيد الله قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: «يكون الرجل يصل رحمه، فيكون قد بقي من عمره ثلاث سنين فيصيرها الله ثلاثين سنة، ويفعل الله ما

(١) صفات الشيعة: ص ٢٨ ح ٣٩.

(٢) سورة البقرة: ٨٣.

(٣) سورة النساء: ١.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ١٥٠ باب صلة الرحم ح ١.

(٥) وسائل الشيعة: ج ٢١ ص ٥٣٨ ب ١٨ ح ٢٧٨٠٠.

يشاء»^(١).

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أوصي الشاهد من أمتي، والغائب منهم، ومن في أصلاب الرجال، وأرحام النساء إلى يوم القيامة: أن يصل الرحم وإن كانت منه على مسيرة سنة؛ فإن ذلك من الدين»^(٢).

وعن أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «صلة الأرحام تحسن الخلق، وتسمح الكف، وتطيب النفس، وتزيد في الرزق، وتنسى في الأجل»^(٣).

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «إن الرحم معلقة بالعرش، يقول: اللهم صل من وصلني، واقطع من قطعني، وهي رحم آل محمد، وهو قول الله عزوجل: [الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ]^(٤)، ورحم كل ذي رحم»^(٥).

وعن يونس بن عمار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «أول ناطق من الجوارح يوم القيامة الرحم تقول: يا رب من وصلني في الدنيا فصل اليوم ما بينك وبينه، ومن قطعني في الدنيا فاقطع اليوم ما بينك وبينه»^(٦).

وعن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «صل رحمك ولو بشربة من ماء، وأفضل ما توصل به الرحم كف الأذى عنها، وصلة الرحم منسأة في الأجل محببة في الأهل»^(٧).

وعن سدير عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أبو ذر رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «حافتا الصراط يوم القيامة الرحم والأمانة؛ فإذا مر الوصول للرحم المؤدي للأمانة يفتد إلى الجنة، وإذا مر الخائن للأمانة القطوع للرحم لم ينفعه معهما عمل،

(١) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ١٠٨ ب ٣ ح ٧٠.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٥١ باب صلة الرحم ح ٥.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٢١ ص ٥٣٤ ب ١٧ ح ٢٧٧٨٨، وص ٥٣٥ ح ٢٧٧٩٣.

(٤) سورة الرعد: ٢١.

(٥) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ١١٥ ب ٣ ح ٧٥.

(٦) وسائل الشيعة: ج ٢١ ص ٥٣٤ ب ١٧ ح ٢٧٧٨٩.

(٧) الكافي: ج ٢ ص ١٥١ باب صلة الرحم ح ٩.

وتكفأ به الصراط في النار»^(١).

وعن أبي حمزة قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «صلة الأرحام تزكي الأعمال، وتدفع البلوى، وتنمي الأموال، وتنسئ له في عمره، وتوسع له في رزقه، وتحبب في أهل بيته، فليتيق الله وليصل رحمه»^(٢).

وعن الحكم الحنات قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «صلة الرحم وحسن الجوار، يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار»^(٣).

وعن أبي عبيدة الخذاء عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أعجل الخير ثواباً صلة الرحم»^(٤).

وعن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره النساء في الأجل والزيادة في الرزق فليصل رحمه»^(٥).

وعن إسحاق بن عمار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما نعلم شيئاً يزيد في العمر إلا صلة الرحم، حتى إن الرجل يكون أجله ثلاث سنين فيكون وصولاً للرحم، فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة فيجعلها ثلاثاً وثلاثين سنة. ويكون أجله ثلاثاً وثلاثين سنة فيكون قاطعاً للرحم، فينقصه الله ثلاثين سنة ويجعل أجله إلى ثلاث سنين»^(٦).

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لما خرج أمير المؤمنين عليه السلام يريد البصرة نزل بالربذة. فأتاه رجل من محارب، فقال: يا أمير المؤمنين، إني تحملت في قومي حمالة، وإني سألت في طوائف منهم المواساة والمعونة، فسبقت إليّ ألسنتهم بالنكد، فمرهم يا أمير المؤمنين بمعونتي وحثهم على مواساتي. فقال: أين هم؟ فقال: هؤلاء فريق منهم حيث ترى. قال: فنص راحلته فأدلفت كأنها ظليم، فأدلف بعض أصحابه

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ١٩٦-١٩٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ١١٨ ب ٣ ح ٨١.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ١٥٢ باب صلة الرحم ح ١٤.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٢١ ص ٥٣٥-٥٣٦ ب ١٧ ح ٢٧٧٩٥.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ١٥٢ باب صلة الرحم ح ١٦.

(٦) وسائل الشيعة: ج ٢١ ص ٥٣٦ ب ١٧ ح ٢٧٧٩٦.

في طلبها، فلاياً بلأبي ما لحقت. فانتهى إلى القوم فسلم عليهم وسألهم: ما يمنعهم من مواساة صاحبهم؟ فشكوه وشكاهم. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وصل امرؤ عشيرته؛ فإنهم أولى بيره وذات يده. ووصلت العشيرة أخاها إن عثر به دهر، وأدبرت عنه دنيا؛ فإن المتواصلين المتبازلين مأجورون، وإن المتقاطعين المتدابرين موزورون. قال: ثم بعث راحلته وقال: حل^(١).

وعن سليمان بن هلال قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن آل فلان يبر بعضهم بعضاً ويتواصلون. فقال: «إذا تنمي أموالهم وينمون، فلا يزالون في ذلك حتى يتقاطعوا؛ فإذا فعلوا ذلك انقشع عنهم»^(٢).

وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن القوم ليكونون فجرة، ولا يكونون بررة، فيصلون أرحامهم، فتنمي أموالهم، وتطول أعمارهم، فكيف إذا كانوا أبراراً بررة»^(٣).

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «صلوا أرحامكم ولو بالتسليم، إن الله يقول: [أَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْأَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً]^(٤)»^(٥).

وعن صفوان الجمال قال: وقع بين أبي عبد الله عليه السلام وبين عبد الله بن الحسن كلام حتى وقعت الضوضاء بينهم واجتمع الناس فافترقا عشيتهما بذلك وغدوت في حاجة فإذا أنا بأبي عبد الله عليه السلام على باب عبد الله بن الحسن وهو يقول: «يا جارية قولي لأبي محمد يخرج». قال: فخرج. فقال: يا أبا عبد الله ما بكر بك؟ فقال: «إني تلوت آية من كتاب الله عزوجل البارحة فأقلقنتني». قال: وما هي؟ قال: «قول الله

(١) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ١٣٢ ب ١ ح ١٠٦، والبحار: ج ٧١ ص ١٠٥ ب ٣ ح ٦٩.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٥٤-١٥٥ باب صلة الرحم ح ٢٠.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ١٢٥ ب ٣ ح ٨٨.

(٤) سورة النساء: ١.

(٥) وسائل الشيعة: ج ٢١ ص ٥٣٩ ب ١٩ ح ٢٧٨٠٣.

جل وعز ذكره [الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ] ^(١). فقال: صدقت لكأنني لم أقرأ هذه الآية من كتاب الله جل وعز قط، فاعتنقا وبكيا ^(٢).

وعن عبد الله بن سنان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن لي ابن عم أصله فيقطعني حتى هممت لقطيعته إياي أن أقطعه؟ قال: «إنك إن وصلته وقطعتك وصلكما الله جميعاً، وإن قطعتك وقطعتك قطعكما الله» ^(٣).

وعن داود بن فرقد قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «إني أحب أن يعلم الله أنني قد أذلت رقبتي في رحمي، وأني لأبادر أهل بيتي أصلهم قبل أن يستغنوا عني» ^(٤).
وعن عمر بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: [الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ] ^(٥). قال: «نزلت في رحم آل محمد عليه وآله السلام وقد تكون في قرابتك - ثم قال - فلا تكونن ممن يقول للشيء إنه في شيء واحد» ^(٦).

وعن الوصافي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من سره أن يمد الله في عمره، ويبسط له في رزقه، فليصل رحمه؛ فإن الرحم لها لسان يوم القيامة ذلق يقول: يا رب، صل من وصلني، واقطع من قطعني، والرجل ليرى بسبيل خير إذا أتهت الرحم التي قطعها، فتهوي به إلى أسفل قعر في النار» ^(٧).

٤٦: إكرام الأب والأخ

مسألة: يستحب إكرام الأب والأخ، وقد يجب، وهو من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم.

(١) سورة الرعد: ٢١.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٥٥ باب صلة الرحم ح ٢٣.

(٣) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ١٩٧.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ١٢٩ ب ٣ ح ٩٢.

(٥) سورة الرعد: ٢١.

(٦) الكافي: ج ٢ ص ١٥٦ باب صلة الرحم ح ٢٨.

(٧) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ١٣٠ ب ٣ ح ٩٩.

قال تعالى: [وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفًّا وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا]^(١).

وقال سبحانه: [وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ]^(٢).

وقال تعالى: [وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا]^(٣).

في فقه الرضا عليه السلام: «عليك بطاعة الأب وبره، والتواضع والخضوع والإعظام والإكرام له، وخفض الصوت بحضرتة؛ فإن الأب أصل الابن، والابن فرعه، لولاه لم يكن بقدره الله. ابدلوا لهم الأموال والجاه والنفس. وقد أروي: أنت ومالك لأبيك، فجعلت له النفس والمال. تابعوهم في الدنيا أحسن المتابعة بالبر، وبعد الموت بالدعاء لهم، والرحم عليهم؛ فإنه روي: أن من بر أباه في حياته، ولم يدع له بعد وفاته، سماه الله عاقاً. ومعلم الخير والدين يقوم مقام الأب، ويجب مثل الذي يجب له فاعرفوا حقه»^(٤).

وعن أبي خديجة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، إني جئتك أبايعك على الإسلام. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أبايعك على أن تقتل أباك. فقبض الرجل يده فانصرف ثم عاد، فقال: يا رسول الله، إني جئت على أن أبايعك على الإسلام. فقال له: على أن تقتل أباك. قال: نعم. فقال له رسول الله: إنا والله لا نأمركم بقتل آبائكم، ولكن الآن علمت منك حقيقة الإيمان، وأنتك لن تتخذ من دون الله وليجة، أطيعوا آباءكم فيما أمروكم، ولا تطيعوهم في

(١) سورة الإسراء: ٢٣ - ٢٤.

(٢) سورة العنكبوت: ٨.

(٣) سورة لقمان: ١٥.

(٤) فقه الرضا عليه السلام: ص ٣٣٤ ب ٨٦.

معاصي الله»^(١).

وروي: أن رجلاً قال: يا رسول الله، هل بقي من البر بعد موت الأبوين شيء؟ قال: «نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، والوفاء بعهدهما، وإكرام صديقيهما، وصلة رحمهما»^(٢).

وعن إبراهيم بن شعيب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن أبي قد كبر جداً وضعف، فنحن نحمله إذا أراد الحاجة. فقال: «إن استطعت أن تلي ذلك منه فافعل ولقمه بيدك فإنه جنة لك غداً»^(٣).

وعن الحسين بن أبي العلاء قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما يحل للرجل من مال ولده؟ قال: «قوته بغير سرف إذا اضطر إليه». قال: فقلت له: فقول رسول الله صلى الله عليه وآله للرجل الذي أتاه فقدم أباه فقال: أنت ومالك لأبيك؟ فقال: «إنما جاء بأبيه إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال له: يا رسول الله، هذا أبي قد ظلمني ميراثي من أمي. فأخبره الأب أنه قد أنفق عليه وعلى نفسه. فقال: أنت ومالك لأبيك. ولم يكن عند الرجل شيء، أفكان رسول الله صلى الله عليه وآله يجبس الأب للابن؟»^(٤).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «قم عن مجلسك لأبيك ومعلمك ولو كنت أميراً»^(٥).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الوالد وسط أبواب الجنة، فإن شئت فاحفظه، وإن شئت فضيعه»^(٦).

وروي عن أحدهم عليه السلام أنه قال: «وقر أباك يطل عمرك، ووقر أمك ترى

(١) المحاسن: ج ١ ص ٢٤٨ ب ٢٩ ح ٢٥٣.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ١١٤ ب ٢٠ ح ١٥٧٥، والمستدرک: ج ١٥ ص ٢٠١ ب ٧٧.

ح ١٨٠٠٦.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ١٦٢ باب البر بالوالدين ح ١٣.

(٤) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٣٤٤ ب ٩٣ ح ٨٧.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٣٥ ق ٦ ب ٣ ف ٣ بعض آداب المعاشرة ح ٩٩٧٠.

(٦) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ٢٠٤ ب ٧٧ ح ١٨٠١٩.

لبنيك بنين»^(١).

وعن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام - وهو يقول لرجل كان يأكل -: «أما علمت أنه يعرف حب الرجل أخاه بكثرة أكله عنده»^(٢).

وعن عبد الله بن سليمان الصيرفي قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقدم إلينا طعاماً فيه شواء وأشياء بعده، ثم جاء بقصعة من أرز فأكلت معه. فقال: «كل؛ فإنه يعتبر حب الرجل لأخيه بانبساطه في طعامه». ثم أحاز لي حوزاً بإصبعه من القصعة، وقال لي: «لتأكلن ذا بعد ما قد أكلت». فأكلته^(٣).

وعن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا أحب أحدكم أخاه المسلم، فليسأله عن اسمه واسم أبيه واسم قبيلته وعشيرته؛ فإن من حقه الواجب وصدق الإخاء أن يسأله عن ذلك، وإلا فإنها معرفة حمق»^(٤).

٤٧: قضاء الحوائج

مسألة: يستحب قضاء حوائج الناس وقد يجب، وهو من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم.

عن محمد بن مروان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من سعادة المؤمن دابة يركبها في حوائجه، ويقضي عليها حقوق إخوانه»^(٥).

وعن سماعة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أيا مؤمن مشى مع أخيه المؤمن في حاجة فلم يناصره فقد خان الله ورسوله»^(٦).

وعن جعفر بن محمد بن مالك رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام عن بعض أصحابنا قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إخواننا يتولون عمل السلطان أفندعو لهم؟ فقال أبو

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ٢٠٤ ب ٧٧ ح ١٨٠٢٢.

(٢) المحاسن: ج ٢ ص ٤١٢ ب ١٩ ح ١٥٥.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٢٤ ص ٢٨٥ ب ٢٥ ح ٣٠٥٥٦.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٦٧١ باب النوادر ح ٣.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٤٦٤ ب ١ ح ١٥٢٦٥.

(٦) الكافي: ج ٢ ص ٣٦٣ باب من لم يناصر أخاه المؤمن ح ٦.

عبد الله عليه السلام: «هل ينفعونكم؟». قلت: لا. فقال: «ابروا منهم برئ الله منهم»^(١).
وعن صفوان الجمال قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «من سأله أخوه المؤمن حاجة من ضره، فمنعه من سعة، وهو يقدر عليها من عنده أو من عند غيره، حشره الله يوم القيامة مقرونة يده إلى عنقه حتى يفرغ الله من حساب الخلق»^(٢).

وعن إسحاق بن عمار قال: لما كثر مالي أجلس على بابي بواباً يرد عني فقراء الشيعة، قال: فخرجت إلى مكة في تلك السنة، فسلمت على أبي عبد الله عليه السلام فرد عليّ بوجه قاطب غير مسرور. فقلت: جعلت فداك ما الذي غير حالي عندك؟. قال: «الذي غيرك للمؤمنين». قلت: جعلت فداك والله إني لأعلم أنهم على دين الله، ولكنني خشيت الشهرة على نفسي. قال: «يا إسحاق، أما علمت أن المؤمنين إذا التقيا فتصافحا بين إبهاميهما مائة رحمة تسعة وتسعون منها لأشدهما حباً لصاحبه، فإذا اعتنقا غمرتاهما الرحمة»^(٣).

وعن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني رجل مشهور، وإن أناساً من أصحابنا يأتوني ويغشوني وقد اشتهرت بهم، أفأمنعهم أن يأتوني؟. فقال: «يا إسحاق، لا تمنعهم خلطتك فإن ذلك لن يسعك». فجهدت به أن يجعل لي رخصة في منع خلطتهم فأبى عليّ^(٤).

وعن الإمام الجواد عليه السلام قال: «إن لله عبداً يخصهم بالنعمة ويقرها فيهم ما بذلوا؛ فإذا منعوها نزعها عنهم وحولها إلى غيرهم. وقال: ما عظمت نعمة الله على عبد إلا عظمت عليه مئونة الناس، فمن لم يحتمل تلك المئونة فقد عرض النعمة للزوال»^(٥).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن لله عبداً من خلقه يفرع

(١) مشكاة الأنوار: ص ١٨٧ ب ٤ ف ١.

(٢) مشكاة الأنوار: ص ١٠١ ب ٢ ف ٧.

(٣) رجال الكشي: ص ٤٠٩ في إسحاق وإسماعيل ابني عمار ح ٧٦٩.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٦٧ ب ١١٧ ح ١٠٢٢٣.

(٥) كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٤٦ - ٣٤٧ وأما مناقبه.

الناس إليهم في حوائجهم أولئك هم الآمنون من عذاب الله عزوجل»^(١).

وقال الصادق عليه السلام: «إن لله عزوجل أبواب الجبارين خلقاً من خلقه يدفع بهم عن أوليائه أولئك عتقاء الله من النار»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أما رجل ولي شيئاً من أمور المسلمين، فأغلق بابه دونهم وأرعى ستره، فهو في مقت من الله عزوجل ولعنته حتى يفتح بابه، فيدخل إليه ذو الحاجة ومن كانت له مظلمة»^(٣).

وعن أبي علي الحراني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «من ذهب مع أخيه في حاجة قضاها أو لم يقضها كان كمن عبد الله عمره». فقال له رجل: أخرج مع أخي في حاجة وأقطع الطواف؟. فقال: «نعم»^(٤).

وعن المفضل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: «يا مفضل، اسمع ما أقول لك، واعلم أنه الحق وافعله، وأخبر به عليه إخوانك». قلت: وما عليه إخواني؟. قال: «الراغبون في قضاء حوائج إخوانهم». قال: ثم قال: «ومن قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله عزوجل له يوم القيامة مائة ألف حاجة، من ذلك أولها الجنة، ومن ذلك أن يدخل قرابته ومعارفه وإخوانه الجنة بعد أن لا يكونوا نصاباً». وكان المفضل إذا سأل الحاجة أحياناً من إخوانه، قال له: أما تشتهي أن تكون من عليه الإخوان؟»^(٥).

وعن صدقة الأحذب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قضاء حاجة المؤمن خير من عتق ألف رقبة، وخير من حملان ألف فرس في سبيل الله»^(٦).

وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من قضى لمسلم حاجة كتب الله له عشر حسنات ومحاه عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وأظله الله في ظل يوم

(١) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٤٦ ب ٤٦.

(٢) مشكاة الأنوار: ص ٣١٦ ب ٨ ف ٦.

(٣) مشكاة الأنوار: ص ٣١٦ ب ٨ ف ٦.

(٤) مصادقة الإخوان: ص ٦٨ باب السعي في حوائج الإخوان ح ٦.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ١٩٢-١٩٣ باب قضاء حاجة المؤمن ح ١.

(٦) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٣٦٣ ب ٢٦ ب ٢١٧٦٨.

لا ظل إلا ظله»^(١).

وعن الحسين بن زيد عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمنون إخوة يقضي بعضهم حوائج بعض، فبقضاء بعضهم حوائج بعض يقضي الله حوائجهم يوم القيامة»^(٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عبداً يحكمهم في جنته». قيل: ومن هم؟ قال: «من قضى لمؤمن حاجة بنية»^(٣).

٤٨: أداء الأمانة

مسألة: أداء الأمانة واجب، وهو من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم. قال تعالى: [وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ]^(٤). وقال سبحانه: [إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا]^(٥). وقال تعالى: [فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ]^(٦).

وقال سبحانه: [إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا]^(٧).

وعن الحسين بن أبي العلاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البر والفاجر»^(٨).

وعن إسحاق بن عمار وغيره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم؛ فإن الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن

(١) مصادقة الإخوان: ص ٥٤ باب ثواب قضاء حوائج الإخوان ح ٤.

(٢) الأمالي للمفيد: ص ١٥٠ المجلس ١٨ ح ٨.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٣٦٢ ب ٢٥ ب ٢١٧٦٧.

(٤) سورة المؤمنون: ٨، سورة المعارج: ٣٢.

(٥) سورة الأحزاب: ٧٢.

(٦) سورة البقرة: ٢٨٣.

(٧) سورة النساء: ٥٨.

(٨) الكافي: ج ٢ ص ١٠٤ باب الصدق وأداء الأمانة ح ١.

اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة»^(١).

وعن أبي كهمس قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: عبد الله بن أبي يعفور يقرؤك السلام. قال: «وعليك وعليه السلام، إذا أتيت عبد الله فأقرئه السلام، وقل له: إن جعفر بن محمد يقول لك: انظر ما بلغ به علي عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله فالزمه؛ فإن علياً عليه السلام إنما بلغ ما بلغ به عند رسول الله صلى الله عليه وآله بصدق الحديث، وأداء الأمانة»^(٢).

وعن الحسين بن مصعب الهمداني قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ثلاثة لا عذر لأحد فيها: أداء الأمانة إلى البر والفاجر، والوفاء بالعهد للبر والفاجر، وبر الوالدين برين كانا أو فاجرين»^(٣).

وعن الحسين الشيباني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إن رجلاً من مواليك يستحل مال بني أمية ودماءهم، وإنه وقع لهم عنده ودیعة؟ فقال: «أدوا الأمانات إلى أهلها وإن كانوا مجوساً؛ فإن ذلك لا يكون حتى يقوم قائمنا أهل البيت عليهم السلام فيحل ويحرم»^(٤).

وعن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أدوا الأمانة ولو إلى قاتل ولد الأنبياء»^(٥).

وعن عمر بن يزيد قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول: «اتقوا الله وعليكم بأداء الأمانة إلى من ائتمنكم، فلو أن قاتل أمير المؤمنين عليه السلام ائتمني على أمانة لأديتها إليه»^(٦).

وعن حفص بن قرط قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: امرأة بالمدينة كان الناس يضعون عندها الجواري فيصلحن، وقلنا ما رأينا مثل ما صب عليها من الرزق. فقال:

(١) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٢ ب ٦٠ ح ٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٩ ص ٦٧ ب ١ ح ٢٤١٦٦.

(٣) الخصال: ج ١ ص ١٢٣-١٢٤ ثلاث خصال لا عذر فيها لأحد ح ١١٨.

(٤) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٣٥١ ب ٩٣ ح ١١٤.

(٥) الكافي: ج ٥ ص ١٣٣ باب أداء الأمانة ح ٣.

(٦) الأمالي للصدوق: ص ٢٤٥ المجلس ٤٣ ح ٥.

«إنها صدقت الحديث ، وأدت الأمانة ، وذلك يجلب الرزق»^(١).

وعن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من أخلف بالأمانة»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «الأمانة تجلب الرزق، والخيانة تجلب الفقر»^(٣).

وعن محمد بن القاسم قال: سألت أبا الحسن موسى عليه السلام عن رجل استودع رجلاً مالاً له قيمة، والرجل الذي عليه المال رجل من العرب يقدر على أن لا يعطيه شيئاً ولا يقدر له على شيء، والرجل الذي استودعه خبيث خارجي، فلم أدع شيئاً؟ فقال لي: «قل له: يرد ماله عليه؛ فإنه ائتمنه عليه بأمانة الله عزوجل»^(٤).

وعن عبد الرحمن بن سيابة قال: لما هلك أبي سيابة جاء رجل من إخوانه إليّ، فضرب الباب عليّ فخرجت إليه فعزاني، وقال لي: هل ترك أبوك شيئاً؟ فقلت له: لا، فدفعت إليّ كيساً فيه ألف درهم، وقال لي: أحسن حفظها وكل فضلها. فدخلت إلى أمي وأنا فرح فأخبرتها. فلما كان بالعشي أتيت صديقاً كان لأبي فاشترى لي بضائع سابري، وجلست في حانوت فرزق الله جل وعز فيها خيراً كثيراً، وحضر الحج فوقع في قلبي، فجئت إلى أمي وقلت لها: إنها قد وقع في قلبي أن أخرج إلى مكة. فقالت لي: فرد دراهم فلان عليه فهاتها، وجئت بها إليه فدفعتها إليه، فكأنني وهبتها له. فقال: لعلك استقللتها فأزيدك؟ قلت: لا، ولكن قد وقع في قلبي الحج، فأحببت أن يكون شيئك عندك. ثم خرجت فقضيت نسكي، ثم رجعت إلى المدينة، فدخلت مع الناس على أبي عبد الله عليه السلام. وكان يأذن إذناً عاماً، فجلست في مواخير الناس وكنت حدثاً، فأخذ الناس يسألونه ويجيبهم، فلما خف الناس عنه أشار إليّ فدنوت إليه. فقال لي: «ألك حاجة؟». فقلت: جعلت فداك أنا عبد الرحمن بن

(١) وسائل الشريعة: ج ١٩ ص ٦٨ ب ١ ح ٢٤١٧٠.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ١٣٣ باب أداء الأمانة ح ٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ١٥١ ب ٧ ح ٧٨.

(٤) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٣٥١ ب ٩٣ ح ١١٧.

سيابة. فقال لي: «ما فعل أبوك؟». فقلت: هلك. قال: فتوجع وترحم. قال: ثم قال لي: «أفترك شيئاً؟». قلت: لا. قال: «فمن أين حججت؟». قال: فابتدأت فحدثته بقصة الرجل، قال: فما تركني أفرغ منها حتى قال لي: «فما فعلت في الألف؟». قال: قلت: رددتها على صاحبها. قال: فقال لي: «قد أحسنت». وقال لي: «ألا أوصيك؟». قلت: بلى جعلت فداك. فقال: «عليك بصدق الحديث وأداء الأمانة، تشرك الناس في أموالهم هكذا» وجمع بين أصابعه، قال: فحفظت ذلك عنه فزكيت ثلاثمائة ألف درهم^(١).

٤٩: الإنفاق

مسألة: يستحب الإنفاق وقد يجب، وهو من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم.

قال تعالى: [وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا]^(٢).

وقال سبحانه: [وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]^(٣).

عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الشمس لتطلع ومعها أربعة أملاك، ملك ينادي: يا صاحب الخير أتم وأبشر، وملك ينادي: يا صاحب الشر انزع وأقصر، وملك ينادي: أعط منفقاً خلفاً وآت ممسكاً تلفاً، وملك ينضحها بالماء ولولا ذلك اشتعلت الأرض»^(٤).

وعن عثمان بن عيسى عن حدثه عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى:

(١) الكافي: ج ٥ ص ١٣٤ باب أداء الأمانة ح ٩.

(٢) سورة الإسراء: ٢٩.

(٣) سورة الحشر: ٩.

(٤) الكافي: ج ٤ ص ٤٢ باب الإنفاق ح ١.

[كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ] ^(١)، قال: «هو الرجل يدع ماله لا ينفقه في طاعة الله بخلاً، ثم يموت فيدعه لمن يعمل فيه بطاعة الله أو في معصية الله؛ فإن هو عمل به في طاعة الله رآه في ميزان غيره فرآه حسرة وقد كان المال له، فإن كان عمل به في معصية الله فواه بذلك المال حتى عمل به في معصية الله عزوجل» ^(٢).

وعن سماعة عن أبي الحسن عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من أيقن بالخلف سخت نفسه بالنفقة» ^(٣).

وعن عثمان بن عيسى عن بعض من حدثه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في كلام له: «ومن يبسط يده بالمعروف إذا وجده يخلف الله عليه ما أنفق في دنياه ويضاعف له في آخرته» ^(٤).

وعن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي قال: قرأت كتاب أبي الحسن الرضا عليه السلام إلى أبي جعفر عليه السلام: «يا أبا جعفر، بلغني أن الموالي إذا ركبت أخرجوك من الباب الصغير؛ فإنما ذلك من بخل منهم لئلا ينال منك أحد خيراً، فأسألك بحقي عليك لا يكن مدخلك ومخرجك إلا من الباب الكبير، وإذا ركبت فليكن معك ذهب وفضة، ثم لا يسألك أحد إلا أعطيته، ومن سألك من عمومك أن تبره فلا تعطه أقل من خمسين ديناراً والكثير إليك، ومن سألك من عماتك فلا تعطها أقل من خمسة وعشرين ديناراً والكثير إليك، إنني أريد بذلك أن يرفعك الله، فأنفق ولا تحش من ذي العرش إقتاراً» ^(٥).

وعن إسماعيل بن أبي زياد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «الأيدي ثلاثة: سائلة ومنفقة وممسكة، وخير الأيدي المنفقة» ^(٦).

(١) سورة البقرة: ١٦٧.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢١ ص ٥٤٧ ب ٢٣ ح ٢٧٨٣٠.

(٣) الكافي: ج ٤ ص ٤٣ باب الإنفاق ح ٣.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٢١ ص ٥٤٨ ب ٢٣ ح ٢٧٨٣٢.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٨ ب ٣٠ ح ٢٠.

(٦) الكافي: ج ٤ ص ٤٣ باب الإنفاق ح ٦.

وعن الحسين بن أبي حمزة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أنفق وأيقن بالخلف، واعلم أنه من لم ينفق في طاعة الله ابتلي بأن ينفق في معصية الله عزوجل»^(١).
وعن عمر بن أذينة رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام أو أبي جعفر عليه السلام قال: «ينزل الله المعونة من السماء إلى العبد بقدر المثونة، فمن أيقن بالخلف سخت نفسه بالنفقة»^(٢).
وعن صفوان بن يحيى عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: دخل عليه مولى له فقال له: «هل أنفقت اليوم شيئاً؟». قال: لا والله. فقال أبو الحسن عليه السلام: «فمن أين يخلف الله علينا، أنفق ولو درهماً واحداً»^(٣).
وعن معاوية بن وهب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من يضمن لي أربعة بأربعة آيات في الجنة: من أنفق ولم يخف فقراً، وأنصف الناس من نفسه، وأفشى السلام في العالم، وترك المرء وإن كان محقاً»^(٤).

٥٠: حب الآخرين

مسألة: يستحب حب الناس وقد يجب، وهو من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم. وفي بعض الروايات: (أحبوا أعداءكم)^(٥).
قال سبحانه: [يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ]^(٦).
عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً فانظر إلى قلبك؛ فإن كان يحب أهل طاعة الله عزوجل، ويبغض أهل معصيته، ففك خير والله يحبك. وإن كان يبغض أهل طاعة الله، ويحب أهل معصيته، فليس فيك خير والله يبغضك. والمرء مع من أحب»^(٧).
وعن عمر بن مدرك أبي علي الطائي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «أي عرى

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٤١٢ ومن ألفاظ رسول الله ﷺ الموجزة ٥٨٩٦.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢١ ص ٥٤٨ ب ٢٣ ح ٢٧٨٣٥.

(٣) الكافي: ج ٤ ص ٤٤ باب الإنفاق ح ٩.

(٤) الخصال: ج ١ ص ٢٢٣ أربعة خصال بأربعة خصال في الجنة ح ٥٢.

(٥) كلام النبي عيسى ﷺ في الإنجيل. انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠ ص ١٥٩.

(٦) سورة الحشر: ٩.

(٧) علل الشرائع: ج ١ ص ١١٧ ب ٩٦ ح ١٦.

الإيمان أوثق؟». فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال: «قولوا». فقالوا: يا ابن رسول الله الصلاة. فقال: «إن للصلاة فضلاً ولكن ليس بالصلاة». قالوا: الزكاة. قال: «إن للزكاة فضلاً وليس بالزكاة». فقالوا: صوم شهر رمضان. فقال: «إن لرمضان فضلاً وليس برمضان». قالوا: فالحج والعمرة. قال: «إن للحج والعمرة فضلاً وليس بالحج والعمرة». قالوا: فالجهاد في سبيل الله. قال: «إن للجهاد في سبيل الله فضلاً وليس بالجهاد». قالوا: فالله ورسوله وابن رسوله أعلم.

فقال: «قال رسول الله ﷺ: إن أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله، توالي ولي الله، وتعادي عدو الله»^(١).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «المتحابون في الله يوم القيامة، على أرض زبرجدة خضراء، في ظل عرشه عن يمينه وكلتا يديه يمين، وجوههم أشد بياضاً من الثلج، وأضوأ من الشمس الطالعة، يغطهم بمنزلتهم كل ملك مقرب ونبي مرسل، يقول الناس: من هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء المتحابون في الله»^(٢).

وعن صفوان الجمال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما التقى مؤمنان قط إلا كان أحدهما أشدهما حباً لأخيه»^(٣).

وعن عمار بن موسى قال: قال أبي عبد الله عليه السلام: «حب الأبرار للأبرار ثواب للأبرار، وحب الفجار للأبرار فضيلة للأبرار، وبغض الفجار للأبرار زين للأبرار، وبغض الأبرار للفجار خزي على الفجار»^(٤).

وعن بريد بن معاوية قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام في فسطاطه بمنى، فنظر إلى زياد الأسود منقلع الرجلين فرثى له، وقال: «ما لرجليك هكذا؟». قال: جئت على

(١) المحاسن: ج ١ ص ١٦٥ ب ٣٣ ح ١٢١.

(٢) مشكاة الأنوار: ص ١٢١ ب ٣ ف ٥.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ١٧٦ ب ١٧ ح ٢١٢٨٢.

(٤) الاختصاص: ص ٢٣٩-٢٤٠ حديث في زيارة المؤمن لله.

بكر لي نضو، وكنت أمشي عنه عامة الطريق فرثي له. فقال عند ذلك زياد: إني ألم بالذنوب فإذا ظننت إني قد هلكت ذكرت حبكم فإذا ذكرته رجوت النجاة وتجلي عني. فقال أبو جعفر عليه السلام: «وهل الدين إلا الحب، قال الله تعالى: [حَبَبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ]»^(١)، وقال: [إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ]^(٢)، وقال: [يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ]^(٣). إن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أحب المصلين ولا أصلي، وأحب الصوامين ولا أصوم. فقال رسول الله ﷺ: أنت مع من أحببت، ولك ما اكتسبت. ثم قال عليه السلام: ما تبتغون وما تريدون، أما إنها لو كانت فزعة من السماء فرع كل قوم إلى مأمنهم، وفزعنا إلى نبينا ﷺ وفزعتم إلينا»^(٤).

وعن صالح بن الحكم قال: سمعت رجلاً يسأل أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يقول: أودك فكيف أعلم أنه يودني؟. فقال: «امتحن قلبك، فإن كنت توده فإنه يودك»^(٥).

وعن عبد الله بن القاسم الجعفري قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من وضع حبه في غير موضعه فقد تعرض للقطيعة»^(٦).

وقال الباقر عليه السلام: «إنا لنحب أن نتمتع بالأهل واللحمة والخول ولنا أن ندعو بما لم ينزل أمر الله فإذا نزل أمر الله لم يكن لنا أن نحب ما لم يحبه الله»^(٧).

وعن يونس بن ظبيان قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: «إن الناس يعبدون الله عزوجل على ثلاثة أوجه، فطبقة يعبدونه رغبة في ثوابه فتلك عبادة

(١) سورة الحجرات: ٧.

(٢) سورة آل عمران: ٣١.

(٣) سورة الحشر: ٩.

(٤) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ٥٠ - ٥١.

(٥) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ١٨٢ ب ١٢ ح ٤.

(٦) المحاسن: ج ١ ص ٢٦٦ ب ٣٥ ح ٣٤٦.

(٧) مشكاة الأنوار: ص ١٢٢ ب ٣ ف ٥، وص ٣٠٣ ب ٧ ف ٨.

الحرصاء وهو الطمع، وآخرون يعبدونه فرقاً من النار فتلك عبادة العبيد وهي الرهبة، ولكني أعبده حباً له عزوجل فتلك عبادة الكرام وهو الأمان، لقوله عزوجل: [وَهُمْ مِنْ فَرَعِ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ] (١)، ولقوله عزوجل: [قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ] (٢) فمن أحب الله أحبه الله عزوجل، ومن أحبه الله عزوجل كان من الآمنين» (٣).

وقال رسول الله ﷺ: «من أحبنا كان معنا يوم القيامة، ولو أن رجلاً أحب حجراً لحشره الله معه» (٤).

وقال النبي ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد طعم الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله، ومن كان يلقي في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه» (٥).

وقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم - وقال -: إذا الناس أظهروا العلم، وضيعوا العمل، وتحابوا بالألسن، وتباغضوا بالقلوب، وتقاطعوا في الأرحام، لعنهم الله عند ذلك وأصمهم وأعمى أبصارهم» (٦).

وعن علي بن محمد بن سيار عن أبيهما عن الحسن بن علي العسكري عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: «أن رسول الله ﷺ قال لبعض أصحابه ذات يوم: يا عبد الله، أحب في الله، وأبغض في الله، ووال في الله، وعاد في الله، فإنه لن تنال ولاية الله إلا بذلك، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلواته وصيامه حتى يكون كذلك، وقد صارت

(١) سورة النمل: ٨٩.

(٢) سورة آل عمران: ٣١.

(٣) الخصال: ج ١ ص ١٨٨ الناس يعبدون الله عز وجل على ثلاثة أوجه ح ٢٥٩.

(٤) روضة الواعظين: ج ٢ ص ٤١٧ مجلس في ذكر محبة الله.

(٥) مشكاة الأنوار: ص ١٢٣ ب ٣ ف ٥.

(٦) روضة الواعظين: ج ٢ ص ٤١٨ مجلس في ذكر محبة الله.

مؤاخاة الناس يومكم هذا أكثرها في الدنيا، عليها يتوادون، وعليها يتباغضون، وذلك لا يغني عنهم من الله شيئاً. فقال الرجل: يا رسول الله، فكيف لي أن أعلم أنني قد واليت في الله، وعاديت في الله، ومن ولي الله حتى أواليه، ومن عدوه حتى أعاديه؟ فأشار له رسول الله ﷺ إلى علي عليه السلام، فقال: أترى هذا؟ قال: بلى. قال: ولي هذا ولي الله فواله، وعدو هذا عدو الله فعاده، وال ولي هذا ولو أنه قاتل أبيك وولدتك، وعاد عدو هذا ولو أنه أبوك أو ولدك»^(١).

وعن مسعدة بن صدقة، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عزوجل إذا رأى أهل قرية قد أسرفوا في المعاصي، وفيها ثلاث نفر من المؤمنين ناداهم جل جلاله وتقدست أسماؤه: يا أهل معصيتي، لولا فيكم من المؤمنين المتحابين بجلالي، العامرين بصلاتهم أرضي ومساجدي، والمستغفرين بالأسحار خوفاً مني لأنزلت بكم عذابي ثم لا أبالي»^(٢).

وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: هل عملت لي عملاً قط؟

قال: إلهي صليت لك، وصمت وتصدقت، وذكرتك لك.

فقال: إن الصلاة لك برهان، والصوم جنة، والصدقة ظل، والذكر نور، فأني

عمل عملت لي!!

فقال موسى عليه السلام: دلني على عمل هو لك؟

فقال: يا موسى هل واليت لي ولياً، وهل عاديت لي عدواً قط؟

فعلم موسى أن أحب الأعمال الحب في الله والبغض في الله»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما ضرك - إن أحببت الله ورسوله وأحبك الله ورسوله -

من أبغضك؛ فإنه ليس أحد من أولياء الله يبغض أحباء الله، ولا أحد من غيره يحبك

فينفَعك حبه»..

ثم قال:

(١) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ١٧٨ ب ١٧ ح ٢١٢٨٧.

(٢) علل الشرائع: ج ١ ص ٢٤٦ ب ١٨٠ ح ١.

(٣) جامع الأخبار: ص ١٢٨ ف ٨٦.

«قال رسول الله ﷺ: لا يستوحش من كان الله أنيسه..
 ولا يذل من كان الله أعزه..
 ولا يفتقر من كان بالله غناؤه..
 فمن استأنس بالله أنسه الله بغير أنيس..
 ومن اعتز بالله أعزه الله بغير عدد ولا عشيرة..
 ومن يستغني بالله أغناه الله بغير دنياه»^(١).

(١) مشكاة الأنوار: ص ١٢٥ ب ٣ ف ٥.

فصل: من مصاديق العنف

- ١ : أكل مال اليتيم
- ٢ : إيذاء الجار
- ٣ : إيذاء المؤمن
- ٤ : إيذاء المرأة
- ٥ : الإساءة
- ٦ : الاستبداد
- ٧ : الانتقام
- ٨ : البخل
- ٩ : البهتان
- ١٠ : تخويف الناس
- ١١ : التفرق
- ١٢ : التكبر
- ١٣ : الجزع
- ١٤ : الجور
- ١٥ : الحسد
- ١٦ : الحقد
- ١٧ : الحشونة
- ١٨ : الخفة
- ١٩ : السب
- ٢٠ : السخط
- ٢١ : البطش
- ٢٢ : الضرب
- ٢٣ : التعذيب
- ٢٤ : الظلم

- ٢٥: العداوة
٢٦: العسر
٢٧: الغدر
٢٨: الغش
٢٩: الغضب
٣٠: الغلظة والفضاضة
٣١: الغيبة
٣٢: الهمز واللمز
٣٣: القتل
٣٤: القحة
٣٥: القسوة
٣٦: الكذب
٣٧: النفاق
٣٨: النميمة
٣٩: سفك الدماء
٤٠: سوء الخلق
٤١: عقوق الوالدين
٤٢: قطع الرحم
٤٣: قول الزور
٤٤: المن
٤٥: مصاحبة الأشرار
٤٦: الخيانة
٤٧: الإسراف
٤٨: التبذير
٤٩: إيذاء الحيوان
٥٠: العدوان

١: أكل مال اليتيم

مسألة: يحرم أكل مال اليتيم بالباطل، وهو من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم.

قال تعالى: [وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا] (١).

وقال سبحانه: [وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْعَفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ] (٢).

وقال تعالى: [وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا] (٣).

وقال سبحانه: [وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ] (٤).

عن سماعة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «أوعد الله عزوجل في مال اليتيم بعقوبتين إحداهما عقوبة الآخرة النار، وأما عقوبة الدنيا فقوله عز وجل: [وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ] (٥) الآية يعني: ليخش أن أخلفه في ذريته كما صنع بهؤلاء اليتامى» (٦).

وعن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن رجل يكون في يده مال لأيتام فيحتاج إليه، فيمد يده فيأخذه وينوي أن يرده؟ قال: «لا ينبغي له أن يأكل إلا القصد ولا يسرف، فإن كان من نيته أن لا يرده عليهم، فهو بالمنزل الذي قال

(١) سورة النساء: ٢.

(٢) سورة النساء: ٦.

(٣) سورة النساء: ٩-١٠.

(٤) سورة الأنعام: ١٥٢، سورة الإسراء: ٣٤.

(٥) سورة النساء: ٩.

(٦) الكافي: ج ٥ ص ١٢٨ باب أكل مال اليتيم ح ١.

الله عزوجل: [إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا] ^(١) ^(٢).

وعن عبد الله بن يحيى الكاهلي قال: قيل لأبي عبد الله عليه السلام: إنا ندخل على أخ لنا في بيت أيتام ومعه خادم لهم، فنقعد على بساطهم، ونشرب من مائهم، ويخدمنا خادمهم، وربما طعمنا فيه الطعام من عند صاحبنا وفيه من طعامهم، فما ترى في ذلك؟ فقال: «إن كان في دخولكم عليهم منفعة لهم فلا بأس، وإن كان فيه ضرر فلا». وقال عليه السلام: [بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ] ^(٣)، فأنتم لا يخفى عليكم وقد قال الله عزوجل: [وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ] ^(٤) ^(٥).

وعن علي بن المغيرة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن لي ابنة أخ يتيمة، فربما أهدي لها الشيء فأكل منه ثم أطعمها بعد ذلك شيئاً من مالي، فأقول: يا رب هذا بهذا؟ فقال عليه السلام: «لا بأس» ^(٦).

وعن محمد بن علي بن الحسين قال: «من أفاض رسول الله ﷺ: شر المأكّل أكل مال اليتيم ظلماً» ^(٧).

وعن محمد بن سنان عن أبي الحسن الرضا عليه السلام فيما كتب إليه من جواب مسأله: «وحرّم أكل مال اليتيم ظلماً لعلّ كثيرة من وجوه الفساد، أول ذلك أنه إذا أكل الإنسان مال اليتيم ظلماً فقد أعان على قتله، إذ اليتيم غير مستغن ولا محتمل لنفسه، ولا عليم بشأنه، ولا له من يقوم عليه ويكفيه كقيام والديه؛ فإذا أكل ماله فكأنه قد قتله وصيره إلى الفقر والفاقة، مع ما خوف الله عزوجل وجعل من العقوبة في قوله عزوجل: [وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ

(١) سورة النساء: ١٠.

(٢) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٣٣٩ ب ٩٣ ح ٦٧.

(٣) سورة القيامة: ١٤.

(٤) سورة البقرة: ٢٢٠.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٢٤٨-٢٤٩ ب ٧١ ح ٢٢٤٤٦.

(٦) بحار الأنوار: ج ٧٦ ص ٢٧٢ ب ١٠٣ ح ١٩.

(٧) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٢٤٥ ب ٧٠ ح ٢٢٤٤٠.

فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ^(١)، ولقول أبي جعفر عليه السلام: إن الله عزوجل وعد في أكل مال اليتيم عقوبتين: عقوبة في الدنيا، وعقوبة في الآخرة. ففي تحريم مال اليتيم استبقاء اليتيم، واستقلاله بنفسه، والسلامة للعقب أن يصيبه ما أصابه، لما وعد الله فيه من العقوبة، مع ما في ذلك من طلب اليتيم بثأره إذا أدرك، ووقوع الشحاء والعداوة والبغضاء حتى يتفانوا^(٢).

وعن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن في كتاب علي بن أبي طالب عليه السلام: أن أكل مال اليتيم ظلماً سيدركه وبال ذلك في عقبه من بعده ويلحقه - وقال عليه السلام -: ذلك إما في الدنيا فإن الله قال: [وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ]^(٣)، وإما في الآخرة فإن الله يقول: [إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْلُونَ سَعِيرًا]^(٤)»^(٥).

وعن المعلى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «دخلنا عليه فابتدأ فقال: من أكل مال اليتيم سلط الله عليه من يظلمه وعلى عقبه؛ فإن الله عزوجل يقول: [وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا]^(٦)»^(٧).

وعن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أسري بي إلى السماء رأيت قوماً تقذف في أجوافهم النار وتخرج من أديبارهم، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً»^(٨).

وعن سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن رجل أكل مال اليتيم، هل له

(١) سورة النساء: ٩.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٩٢ ب ٣٣ ح ١.

(٣) سورة النساء: ٩.

(٤) سورة النساء: ١٠.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ١٩٠-١٩١ ب ٥٨ ح ١٥٠٦٦.

(٦) سورة النساء: ٩.

(٧) ثواب الأعمال: ص ٢٣٤ عقاب أكل مال اليتيم.

(٨) تفسير القمي: ج ١ ص ١٣٢ سورة النساء.

توبة؟ فقال: «يؤدي إلى أهله؛ لأن الله يقول: [إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا]^(١)، وقال: [إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا]^(٢)»^(٣).

وعن عبيد بن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الكبائر؟ فقال: «منها أكل مال اليتيم ظلماً»^(٤).

وعن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يبعث أناس من قبورهم يوم القيامة تاجج أفواههم ناراً. فقيل له: يا رسول الله من هؤلاء؟ قال: [الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا]^(٥)»^(٦).

وفي فقه الرضا عليه السلام قال: «من أكل مال اليتيم درهماً واحداً ظلماً من غير حق خلده الله في النار»^(٧).

وروي: «ياكم وأموال اليتامى! لا تعرضوا لها، ولا تلبسوا بها، فمن تعرض لمال اليتيم فأكل منه شيئاً كأنما أكل جذوة من النار»^(٨).

وروي: «اتقوا الله ولا يعرض أحدكم لمال اليتيم؛ فإن الله جل ثناؤه يلي حسابه بنفسه مغفوراً له أو معذباً»^(٩).

وعن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن جده عليه السلام عن علي بن الحسين عليه السلام عن أبيه عليه السلام: «أن علياً عليه السلام اشتكى عينيه، فعاده رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا علي

(١) سورة النساء: ١٠.

(٢) سورة النساء: ٢.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢١٧-٢١٨ من سورة النساء ح ١٢.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ١٩١ ب ٥٨ ح ١٥٠٦٨.

(٥) سورة النساء: ١٠.

(٦) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٢٥ من سورة النساء ح ٤٧.

(٧) فقه الرضا عليه السلام: ص ٣٣٢ ب ٨٥.

(٨) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٥ ب ٣١ ضمن ح ١٣.

(٩) فقه الرضا عليه السلام: ص ٣٣٢ ب ٨٥.

عليه السلام يصيح. فقال له النبي ﷺ: أجزعاً أم وجعاً؟. فقال علي عليه السلام: يا رسول الله، ما وجعت وجعاً قط أشد منه. فقال: يا علي، إن ملك الموت إذا نزل لقبض روح الفاجر، نزل معه بسفود من نار، فنزع روحه فتصيح جهنم. فاستوى علي عليه السلام جالساً، فقال: يا رسول الله، فهل يصيب ذلك أحد من أمتك؟. فقال ﷺ: نعم، حاكم جائر، وأكل مال اليتيم، وشاهد الزور»^(١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من ظلم يتيماً عق أولاده»^(٢).

٢: إيذاء الجار

مسألة: يجرم إيذاء الجار، وهو من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم. عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «جاءت فاطمة عليها السلام تشكو إلى رسول الله ﷺ بعض أمرها، فأعطها رسول الله ﷺ كريمة وقال: تعلمي ما فيها. فإذا فيها: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت»^(٣). وعن النبي ﷺ أنه قال: «إن من تمسك في شهر رمضان بست خصال غفر الله له ذنوبه: أن يحفظ دينه، ويصون نفسه، ويصل رحمه، ولا يؤذي جاره، ويرعى إخوانه، ويحزن لسانه. أما الصيام فلا يعلم ثواب عامله إلا الله»^(٤). وقال رسول الله ﷺ: «ليس يدخل الجنة من يؤذي جاره، ومن لم يأمن جاره بوائقه»^(٥).

وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره»^(٦).

وقال ﷺ: «من آذى جاره بقتار قدره فليس منا»^(٧).

(١) الجعفریات: ص ١٤٦ باب في الشهادة.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٠٩ ق ٦ ب ١ ف ٦ ح ٩٤٠٢.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٦٦٧ باب حق الجوار ح ٦.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ٧ ص ٣٧٠ ب ١٠ ح ٨٤٤٣.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٤٢١ ب ٧٢ ح ٩٨٦٦.

(٦) مشكاة الأنوار: ص ٢١٤ ف ٤ ب ١٠.

وقال عليه السلام: «ومن خان جاره شبراً من الأرض جعله الله طوقاً في عنقه من تخوم الأرض السابعة حتى يلقي الله يوم القيامة مطوقاً إلا أن يتوب ويرجع»^(١).

وقال عليه السلام: «ومن منع الماعون من جاره إذا احتاج إليه، منعه الله فضله ووكله إلى نفسه»^(٢).

وقال عليه السلام: «إذا ضربت كلب جارك فقد آذيت»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «شكا رجل إلى رسول الله عليه السلام جاره فأعرض عنه، ثم عاد فأعرض عنه، ثم عاد فقال رسول الله عليه السلام لعلي وسلمان ومقداد: اذهبوا ونادوا: لعنة الله والملائكة على من آذى جاره»^(٤).

وقال عليه السلام في غزوة تبوك: «لا يصحبنا رجل آذى جاره»^(٥).

وقالوا لرسول الله عليه السلام: فلانة تصوم النهار، وتقوم الليل، وتتصدق، وتؤذي جارها بلسانها. قال: «لا خير فيها، هي من أهل النار». قالوا: وفلانة تصلي المكتوبة، وتصوم شهر رمضان، ولا تؤذي جارها. فقال رسول الله عليه السلام: «هي من أهل الجنة»^(٦).

وقال رسول الله عليه السلام: «هل تدرون ما حق الجار؟ ما تدرون من حق الجار إلا قليلاً، ألا لا يؤمن بالله واليوم الآخر من لا يؤمن جاره بوائقه، وإذا استقرضه أن يقرضه، وإذا أصابه خير هنأه، وإذا أصابه شر عزاه، ولا يستطيل عليه في البناء يجب عنه الريح إلا بإذنه، وإذا اشترى فاكهة فليهد له، وإن لم يهد له فليدخلها سراً، ولا يعطي صبيانه منه الشيء يغايظون صبيانه. ثم قال رسول الله عليه السلام: الجيران ثلاثة فمنهم من له ثلاثة حقوق: حق الإسلام، وحق الجوار، وحق القرابة. ومنهم من له

(١) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٤٢٢ ب ٧٢ ح ٩٨٧١.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ١٢ باب ذكر جمل من مناهي النبي عليه السلام ح ٤٩٦٨.

(٣) أعلام الدين: ص ٤١٤ باب ما جاء من عقاب الأعمال.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٤٢٣ ب ٧٢ ح ٩٨٧٤.

(٥) مشكاة الأنوار: ص ٢١٣-٢١٤ ب ٤ ف ١٠.

(٦) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٤٢٣ ب ٧٢ ضمن ح ٩٨٧٦.

(٧) مشكاة الأنوار: ص ٢١٤ ب ٤ ف ١٠.

حقان: حق الإسلام، وحق الجوار. ومنهم من له حق واحد: الكافر له حق الجوار»^(١).

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من آذى جاره فقد آذاني، ومن حاربه فقد حاربني»^(٢).

وعن جعفر بن محمد عيسى عن أبيه عيسى عن جده علي بن الحسين عيسى عن أبيه عيسى عن علي بن أبي طالب عيسى قال: قال رسول الله ﷺ: «ملعون من اطلع على جاره»^(٣).

وعن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بواقته»^(٤).
وقال رسول الله ﷺ في حديث أبي ذر: «إذا طبخت فأكثر من المرق وتعاهد جيرانك، ومن آذى جاره فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»^(٥).

وعن أبي عبد الله عيسى قال: «ملعون ملعون من آذى جاره»^(٦).
وعن النبي ﷺ قال: «من مات وله جيران ثلاثة كلهم راضون عنه غفر له»^(٧).
وعن إسحاق بن عمار قال: قال أبو عبد الله عيسى: قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بالله من جار سوء في دار إقامة، تراك عيناه ويرعاك قلبه، إن رآك بخير ساءه، وإن رآك بشر سره»^(٨).

وقال رسول الله ﷺ: «ليس من المؤمنين الذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه»^(٩).

(١) روضة الواعظين: ج ٢ ص ٣٨٨-٣٨٩ مجلس في ذكر حقوق الإخوان والأقرباء والجار.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٤٢٤ ب ٧٢ ح ٩٨٧٩.

(٣) الجعفریات: ص ١٦٤ باب سوء الجوار.

(٤) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٤٢٥ ب ٧٢ ح ٩٨٨٢.

(٥) غوالي اللآلي: ج ١ ص ٢٥٦ ف ١٠ ح ٢٣.

(٦) كنز الفوائد: ج ١ ص ١٥٠.

(٧) مشكاة الأنوار: ص ٢١٤ ب ٤ ف ١٠.

(٨) الزهد: ص ٤٣ ح ٦٤ ح ١١٤.

(٩) روضة الواعظين: ج ٢ ص ٣٨٩ مجلس في ذكر حقوق الإخوان والأقرباء والجار.

وقال عليه السلام: «من أذى جاره حرم الله عليه ريح الجنة ومأواه جهنم وبئس المصير، ومن ضيع حق جاره فليس منا»^(١).

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من كف أذاه عن جاره أقاله الله عزوجل عثرته يوم القيامة، ومن عف بطنه وفرجه كان في الجنة ملكاً مجبوراً، ومن أعتق نسمة مؤمنة بنى الله عزوجل له بيتاً في الجنة»^(٢).

وعن الحسن بن عبد الله، عن عبد صالح عليه السلام قال: قال: «ليس حسن الجوار كف الأذى، ولكن حسن الجوار صبرك على الأذى»^(٣).

وعن أبي حمزة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «المؤمن من آمن جاره بوائقه». قلت: ما بوائقه؟ قال: «ظلمه وغشمه»^(٤).

وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام وسلمان ومقداد وأبا ذر أن يتفرقوا ويأخذ كل واحد منهم في ناحية وينادي: «ألا إن حق الجوار من أربعين داراً»^(٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما كان ولا يكون إلى يوم القيامة نبي ولا مؤمن إلا وله جار يؤذيه»^(٦).

وعن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما أفلت المؤمن من واحدة من ثلاث، وربما اجتمعت الثلاث عليه: إما أن يكون معه في الدار من يغلق عليه الباب يؤذيه، أو جار يؤذيه، أو شيء في طريقه وحوائجه يؤذيه. ولو أن مؤمناً على قلة جبل لبعث الله عليه شيطاناً يؤذيه، ويجعل الله له من إيمانه أنساً لا يستوحش إلى أحد»^(٧).

وعن الكاهلي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن يعقوب لما ذهب منه ابن يامين نادى: يا رب، أما ترحمني أذهبت عيني وأذهبت ابني!. فأوحى الله تبارك

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ١٣ باب ذكر جمل من مناهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ح ٤٩٦٨.

(٢) الأمالي للصدوق: ص ٥٥٢ المجلس ٨٢ ح ٤.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٦٦٧ باب حق الجوار ح ٩.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٢٦ ب ٨٦ ح ١٥٨٤٠.

(٥) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٤٣١ ب ٧٦ ح ٩٩٠٥.

(٦) مشكاة الأنوار: ص ٢١٤ ب ٤ ف ١٠.

(٧) التمهيد: ص ٣٥ ب ١ ح ٢٨.

وتعالى إليه : لو أمتها لأحييتهما حتى أجمع بينك وبينهما ، ولكن أما تذكر الشاة التي ذبحتها وشويتها وأكلت وفلان إلى جنبك صائم لم تنله منها شيئاً^(١) .
وعن سعد بن طريف عن أبي جعفر عليه السلام قال : «من القواصم الفواقر التي تقصم الظهر : جار السوء ، إن رأى حسنة أخفاها ، وإن رأى سيئة أفشاها»^(٢) .

٣: إيذاء المؤمن

مسألة: يجرم إيذاء المؤمن ، وهو من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم .
قال تعالى : [وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثماً مُّبِيناً]^(٣) .
وقال سبحانه : [إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ]^(٤) .
وقال تعالى : [إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ]^(٥) .
عن هشام بن سالم قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «قال الله عزوجل : ليأذن بحرب مني من آذى عبدي المؤمن ، وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن»^(٦) .
وعن الفضل بن عمر قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : «إذا كان يوم القيامة نادى مناد : أين الصدود لأوليائي؟ . قال : فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم ، قال : فيقول : هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ، ونصبوا لهم ، وعادوهم وعنفوهم في دينهم» قال : «ثم يؤمر بهم إلى جهنم»^(٧) .

(١) بحار الأنوار: ج ١٢ ص ٢٦٤ ب ٩ ح ٢٨ .

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٦٦٨ باب حق الجوار ح ١٥ .

(٣) سورة الأحزاب: ٥٨ .

(٤) سورة النور: ١٩ .

(٥) سورة البروج: ١٠ .

(٦) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ٢٠٨ .

(٧) جامع الأخبار: ص ١٦٢ ف ١٢٧ .

وعن شعيب بن واقد عن الحسين بن زيد، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله ﷺ في حديث المناهي قال: «ألا ومن استخف بفقير مسلم فقد استخف بحق الله، والله يستخف به يوم القيامة، إلا أن يتوب»^(١).

وعن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من استذل مؤمناً، أو حقره لفقره وقلة ذات يده، شهره الله يوم القيامة»^(٢).

وعن المثني عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا تحقروا مؤمناً فقيراً؛ فإنه من حقر مؤمناً فقيراً واستخف به حقره الله تعالى، ولم يزل ماقتاً له حتى يرجع عن تحقيره أو يتوب»، قال: «ومن استذل مؤمناً وحقره لقلته ذات يده ولفقره، شهره الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من حقر مؤمناً مسكيناً أو غير مسكين، لم يزل الله عز وجل حاقراً له ماقتاً حتى يرجع عن محقرته إياه»^(٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: قد نابذني من أذل عبدي المؤمن»^(٥).

وعن منصور الصيقل والمعلی بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام قالوا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: إني لحرب لمن استذل عبدي المؤمن، وإني أسرع إلى نصرته أوليائي»^(٦).

وعن صالح بن عقبة عن أبي هارون عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال - لنفر عنده وأنا حاضر -: «ما لكم تستخفون بنا؟». قال: فقام إليه رجل من خراسان، فقال: معاذ لوجه الله أن نستخف بك أو بشيء من أمرك! فقال: «بلى، إنك أحد من

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ١٣ باب ذكر جمل من مناهي النبي ﷺ ح ٤٩٦٨.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٦٦-٢٦٧ ب ١٤٦ ح ١٦٢٧١.

(٣) ثواب الأعمال: ص ٢٥٠ عقاب من حقر مؤمناً واستخف به وأذله.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٣٥١ باب من آذى المسلمين واحقرهم ح ٤.

(٥) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٥٨ ب ٥٧ ح ٢٨.

(٦) مصادقة الإخوان: ص ٧٤ باب استدلال المؤمن ح ١.

استخف بي». فقال: معاذ لوجه الله أن أستخف بك! فقال له: «ويحك، ألم تسمع فلاناً ونحن بقرب الجحفة وهو يقول لك: احملني قدر ميل فقد والله عييت، والله ما رفعت به رأساً لقد استخففت به، ومن استخف بمؤمن فبنا استخف، وضيع حرمة الله عزوجل»^(١).

وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من غير مؤمناً بذنب لم يمت حتى يركبه»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من أنب مؤمناً أنه الله في الدنيا والآخرة»^(٣).
وقال رسول الله ﷺ: «من آذى مؤمناً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فهو ملعون في التوراة والإنجيل والزيبور والفرقان»، وفي خبر آخر: «فعلية لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»^(٤).

وقال عليه السلام: «من أحزن مؤمناً ثم أعطاه الدنيا لم يكن ذلك كفارته ولم يؤجر عليه»^(٥).

وعن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «من أدخل على رجل من شيعتنا سروراً فقد أدخله على رسول الله ﷺ، وكذلك من أدخل عليه أذى أو غماً»^(٦).
وقال رسول الله ﷺ: «من آذى مؤمناً بغير حق فكأنما هدم مكة وبيت الله المعمور عشر مرات، وكأنما قتل ألف ملك من المقربين»^(٧).

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «من آذى مؤمناً آذاه الله، ومن أحزنه أحزنه الله، ومن نظر إليه بنظرة تخيفه بغير حق أو بجفاء يخيفه الله يوم القيامة»^(٨).

(١) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٧٢ ب ١٤٨ ح ١٦٢٨٦.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٥٦ باب التعبير ح ٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٣٨٤ ب ١٤٠ ح ١.

(٤) جامع الأخبار: ص ١٤٧ ف ١١٠.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٩٩ ب ١٢٥ ح ١٠٣٣٦.

(٦) المؤمن: ص ٦٩ ب ٨ ح ١٨٩.

(٧) غوالي اللآلي: ج ١ ص ٣٦١ ب ١ المسلك الثاني ح ٤٠.

(٨) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ١٠٠ ب ١٢٥ ح ١٠٣٤١.

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تحقروا ضعفاء إخوانكم؛ فإنه من احتقر مؤمناً لم يجمع الله بينهما في الجنة إلا أن يتوب»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من أذل لنا ولياً أوقفه الله يوم القيامة في طينة خبال إلى أن يفرغ الله عزوجل من حساب الخلائق». فقيل له: وما طينة خبال؟ فقال: «صديد أهل جهنم»^(٢).

وعن إسحاق بن عمار قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا إسحاق، كيف تصنع بزكاة مالك إذا حضرت؟». قال: «يأتوني إلى المنزل فأعطيهم». فقال لي: «ما أراك يا إسحاق إلا قد أذلت المؤمنين فياك إياك، إن الله تعالى يقول: من أذل لي ولياً فقد أَرصد لي بالمحاربة»^(٣).

٤: إيذاء المرأة

مسألة: يحرم إيذاء المرأة، سواء كانت زوجة أم بنتاً أم أختاً أم غيرها، وهو من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم. قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَجْلُ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا]^(٤).

قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الله في الضعيفين: النساء واليتيم»^(٥).

وقال عليه السلام: «حق المرأة على زوجها: أن يسد جوعتها، وأن يستر عورتها، ولا يقبح لها وجهاً؛ فإذا فعل ذلك فقد أدى والله حقها»^(٦).

وعن محمد بن أبي عمير عن غير واحد عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن

(١) بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ١٥١ ب ٥٧ ضمن ح ١٦.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ١٠٥ ب ١٢٧ ح ١٠٣٥٩.

(٣) الأمالي للطوسي: ص ١٩٥ المجلس ٧ ح ٣٣٢.

(٤) سورة النساء: ١٩.

(٥) بحار الأنوار: ج ١٠٠ ص ٢٥٤ ب ٤ ح ٥٩.

(٦) عدة الداعي: ص ٩١ ق ٦.

أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: «قال شكنا رجل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام نساءه. فقام عليه السلام خطيباً فقال: معاشر الناس - إلى أن قال -: فداروهن على كل حال، وأحسنوا لهن المقال، لعلهن يحسن الفعال»^(١).

وعن مسعدة بن صدقة قال: حدثني جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: «... ومن اتخذ امرأة فليكرمها؛ فإنما امرأة أحدكم لعبة، فمن اتخذها فليضعها»^(٢).

وعن ابن علوان عن الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الله، اتقوا الله في الضعيفين: اليتيم، والمرأة؛ فإن خياركم خياركم لأهله»^(٣).

وعن مثنى الحناط ومحمد بن مسلم قالوا: قال أبو عبد الله عليه السلام: «من صدق لسانه زكا عمله، ومن حسنت نيته زاد الله عز وجل في رزقه، ومن حسن بره بأهله زاد الله في عمره»^(٤).

وعن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله ﷺ في حديث المناهي قال: «ألا ومن صبر على خلق امرأة سيئة الخلق واحتسب في ذلك الأجر أعطاه الله ثواب الشاكرين»^(٥).

وقال عليه السلام: «لا يقذف امرأته إلا ملعون - أو قال: منافق - فإن القذف من الكفر، والكفر في النار. لا تقذفوا نساءكم؛ فإن في قذفهن ندامة طويلة، وعقوبة شديدة»^(٦).

وقال النبي ﷺ: «إني أتعجب ممن يضرب امرأته وهو بالضرب أولى منها. لا تضربوا نساءكم بالخشب؛ فإن فيه القصاص، ولكن اضربوهن بالجوع والعري، حتى ترهبوا في الدنيا والآخرة»^(٧).

وعن أبي مريم عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «أيضرب أحدكم

(١) الأُمالي للصدوق: ص ٢٠٦ المجلس ٣٧ ح ٦.

(٢) قرب الإسناد: ص ٣٤.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٠٠ ص ٢٢٤ ب ٢ ح ٧.

(٤) الكافي: ج ٨ ص ٢١٩ حديث الصيحة ح ٢٦٩.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ١٦ باب ذكر جمل من مناهي النبي ﷺ ح ٤٩٦٨.

(٦) جامع الأخبار: ص ١٥٨ ف ١٢٠.

(٧) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ٢٥٠ ب ٦٦ ح ١٦٦١٨.

المرأة ثم يظل معانقها»^(١).

وعن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما حق المرأة على زوجها الذي إذا فعله كان محسناً؟ قال: «يشبعها ويكسوها وإن جهلت غفر لها - وقال أبو عبد الله عليه السلام: كانت امرأة عند أبي عليه السلام تؤذيه فيغفر لها»^(٢).

وعن يونس بن عمار قال: زوجني أبو عبد الله عليه السلام جارية كانت لإسماعيل ابنه. فقال: «أحسن إليها». فقلت: وما الإحسان إليها؟ فقال: «أشبع بطنها، واكس جثتها، واغفر ذنبها». ثم قال: «اذهبي، وسطك الله ماله»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «ملعون ملعون من ضيع من يعول»^(٤).

٥: الإساءة

مسألة: الإساءة محرمة، وهي من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم. قال تعالى: [مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ]^(٥).

وقال سبحانه: [وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ]^(٦).

عن إسماعيل بن مخلد السراج عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرجت هذه الرسالة من أبي عبد الله عليه السلام إلى أصحابه: «بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فاسألوا ربكم العافية، وعليكم بالدعة والوقار والسكينة، وعليكم بالحياء» إلى أن قال: «وياكم ومعاصي الله أن تركبوها؛ فإنه من انتهك معاصي الله فركبها فقد أبلغ في الإساءة إلى نفسه، وليس بين الإحسان والإساءة منزلة، فلأهل الإحسان عند ربهم الجنة، ولأهل الإساءة عند ربهم النار، فاعملوا بطاعة الله واجتنبوا معاصيه»^(٧).

(١) الكافي: ج ٥ ص ٥٠٩ باب إكرام الزوجة ح ١.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢٠ ص ١٦٩ ب ٨٨ ح ٢٥٣٣٠.

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٥١١ باب حق المرأة على الزوج ح ٤.

(٤) غوالي اللآلي: ج ٣ ص ١٩٣ باب التجارة ح ١.

(٥) سورة الجاثية: ١٥.

(٦) سورة فصلت: ٣٤.

(٧) الكافي: ج ٨ ص ١١٢ كتاب الروضة ح ١.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يكن المحسن والمسيء عندك سواء، فإن ذلك يزهده المحسن في الإحسان ويتابع المسيء إلى الإساءة»^(١).

وقال عليه السلام: «لا تسمى الخطاب فيسوؤك الجواب»^(٢).

وخطب أمير المؤمنين عليه السلام يوم الفطر فقال: «أيها الناس إن يومكم هذا يوم يثاب فيه المحسنون ويحسر فيه المسيئون، وهو أشبه يوم بقيامتكم، فاذكروا بخروجكم عن منازلكم إلى مصالكم خروجكم من الأجداث إلى ربكم، واذكروا بوقوفكم في مصالكم وقوفكم بين يدي ربكم، واذكروا برجوعكم إلى منازلكم رجوعكم إلى منازلكم في الجنة والنار»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «سوء الخلق شؤم، والإساءة إلى المحسن لؤم»^(٤).

وقال عليه السلام في العهد الذي كتبه للأشتر لما ولاه مصر وأعمالها: «ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء؛ فإن في ذلك تزهداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة»^(٥).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «الإساءة من فعل الظلمة»^(٦).

وعن حماد بن عثمان قال: دخل على أبي عبد الله عليه السلام رجل من أصحابه فشكا إليه رجلاً من أصحابه. فلم يلبث أن جاء المشكو، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «ما لأخيك فلان يشكوك؟». فقال له: يشكوني أن استقضيت حقي! قال: فجلس مغضباً فقال: «كأنك إذا استقضيت حقلك لم تسمى، أرايتك ما حكاه الله تعالى فقال: [وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ]^(٧)، إنما خافوا أن يجور الله عليهم، لا والله ما خافوا إلا الاستقضاء فسماه الله سوء الحساب، فمن استقضى فقد أساء»^(٨).

(١) غرر الحكم: ص ٤٣٩ ق ٦ ب ٣ ف ٦ مواعظ في المعاشرة ح ١٠٠٤٢.

(٢) غرر الحكم: ص ٤٣٩ ق ٦ ب ٣ ف ٦ مواعظ في المعاشرة ح ١٠٠٤١.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٧ ص ٤٨١ ب ٣٨ ح ٩٩١٢.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٦٤ ق ٣ ب ٢ ف ٣ ذم سوء الخلق ح ٥٦٩٦.

(٥) نهج البلاغة: الرسائل ٥٣ ومن كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه مصر وأعمالها.

(٦) الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٤٥ احتجاج أبي عبد الله الصادق عليه السلام في أنواع شتى من العلوم الدينية.

(٧) سورة الرعد: ٢١.

(٨) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٩٤ ب ٨١ ح ٥٠.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال - تقول عند حضور شهر رمضان -: «اللهم إني أعوذ بك أن يكون جزاء إحسانك الإساءة مني»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «قديم الحرمة، وحديث التوبة يحقان ما بينهما من الإساءة»^(٢).

وقال عليه السلام: «إياك والإساءة! فإنها خلق اللئام، وإن المسيء لمرتد في جهنم بإساءته»^(٣).

وقال عليه السلام: «الإحسان غريزة الأخيار، والإساءة غريزة الأشرار»^(٤).

وقال عليه السلام: «سوء الجوار والإساءة إلى الأبرار من أعظم اللؤم»^(٥).

وقال عليه السلام: «من علامات الشقاء الإساءة إلى الأخيار»^(٦).

٦: الاستبداد

مسألة: الاستبداد محرم، وهو من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها»^(٧).

وقال الصادق عليه السلام: «المستبد برأيه موقوف على مداحض الزلل»^(٨).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الاستبداد برأيك يزلك ويهورك في المهاوي»^(٩).

وقال عليه السلام: «حق على العاقل أن يستديم الاسترشاد ويترك الاستبداد»^(١٠).

(١) بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ٣٢٧ ب ٢ ح ١.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ٢٠ ص ٢٩٧ الحكم المنسوبة ٣٩٩.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٦٥ ق ٣ ب ٢ ف ٣ الإساءة والملق ح ٥٧٢٤.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٨٢ ق ٥ ب ٤ ف ٢ الإحسان والتحريض إليه ح ٨٦٨١.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٣٧ ق ٦ ب ٣ ف ٤ ح ١٠٠٠٦.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٨٢ ق ٦ ب ٦ متفرقات اجتماعي ح ١١١٢٧.

(٧) نهج البلاغة: قصار الحكم ١٦١.

(٨) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٤٢ ب ٢٠ ضمن ح ٩٦١٠.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٦٥ ق ١ ب ١ ف ١٢ الموانع المتفرقة ح ٨٦٥.

(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٥٥ ق ١ ب ١ ف ٤ العاقل صفاته وعلاماته ح ٤٨٣.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «بئس الاستعداد الاستبداد»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من استبد برأيه خفت وطأته على أعدائه»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من استبد برأيه فقد خاطر وغر»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «المستبد متهور في الخطاء والغلط»^(٤).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «قد أخطأ المستبد»^(٥).

وجاء في صحيفة علي بن الحسين عليه السلام وكلامه في الزهد: «واعلموا أنه من خالف أولياء الله، ودان بغير دين الله، واستبد بأمره دون أمر ولي الله، كان في نار تلتهب، تأكل أبداناً قد غابت عنها أرواحها، وغلبت عليها شقوتها»^(٦).

وعن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «اعلموا أن الله تعالى يبغض من خلقه المتلون، فلا تزولوا عن الحق وأهله؛ فإن من استبد بالباطل وأهله هلك وفاته الدنيا، وخرج منها صاغراً»^(٧).

٧: الانتقام

مسألة: الانتقام من الرذائل، وهو من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مرارة الحلم أعذب من مرارة الانتقام»^(٨).

وعن جابر قال: سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً يشتم قبراً، وقد رام قبراً أن يرد عليه، فناده أمير المؤمنين عليه السلام: «مهلاً يا قبر، دع شاتمك مهاناً، ترضي الرحمن، وتسخط الشيطان، وتعاقب عدوك. فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أَرْضَى المؤمن ربه بمثل الحلم، ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت، ولا عوقب الأحمق بمثل

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٧ ق ٤ ب ٢ ف ٧ الاستبداد ح ٧٩٨٥.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٧ ق ٤ ب ٢ ف ٧ الاستبداد ح ٧٩٩١.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٧ ق ٤ ب ٢ ف ٧ الاستبداد ح ٧٩٩٢.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٦٥ ق ١ ب ١ ف ١٢ الموانع المتفرقة ح ٨٦٤.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٦٦ ق ١ ب ١ ف ١٢ الموانع المتفرقة ح ٨٦٦.

(٦) الكافي: ج ٨ ص ١٦ صحيفة علي بن الحسين عليه السلام وكلامه في الزهد ح ٢.

(٧) الأمالي للمفيد: ص ١٣٧ المجلس ١٦ ح ٦.

(٨) إرشاد القلوب: ج ١ ص ٧٤ ب ١٨.

السكوت عنه»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «من لم يكن فيه ثلاث لم يجد طعم الإيمان: حلم يرد به جهل الجاهل، وورع يمجزه عن المحارم، وخلق يداري به الناس»^(٢).

وقال ﷺ: «احتمل ممن هو أكبر منك، وممن هو أصغر منك، وممن هو خير منك، وممن هو شر، وممن هو فوقك، وممن هو دونك؛ فإن كنت كذلك باهى الله بك الملائكة»^(٣).

وقال أمير المؤمنين ع: «دع الانتقام؛ فإنه من أسوء أفعال المقتدر. ولقد أخذ بجوامع الفضل من رفع نفسه عن سوء المجازاة»^(٤).

وقال ع: «أقبح أفعال المقتدر الانتقام»^(٥).

وقال ع: «المبادرة إلى الانتقام من شيم اللثام»^(٦).

وقال ع: «سوء العقوبة من لؤم الظفر»^(٧).

وقال ع: «من انتقم من الجاني أبطل فضله في الدنيا وفاته ثواب الآخرة»^(٨).

وقال ع: «لا سؤدد مع انتقام»^(٩).

وقال ع: «قوة الحلم عند الغضب أفضل من القوة على الانتقام»^(١٠).

وكان ع يقول: «متى أشفي غيظي إذا غضبت، أحين أعجز عن الانتقام

فيقال لي: لو صبرت، أم حين أقدر عليه فيقال لي: لو عفوت»^(١١).

(١) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٤٢٤ ب ٩٣ ح ٦٤.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢٩١ ب ٢٦ ح ١٣٠٥٩.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢٩٢ ب ٢٦ ح ١٣٠٦٠.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٦ ق ٤ ب ٢ ف ٧ الانتقام ح ٧٩٥١.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٦ ق ٤ ب ٢ ف ٧ الانتقام ح ٧٩٥٢.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٦ ق ٤ ب ٢ ف ٧ الانتقام ح ٧٩٥٣.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٦ ق ٤ ب ٢ ف ٧ الانتقام ح ٧٩٥٤.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٦ ق ٤ ب ٢ ف ٧ الانتقام ح ٧٩٥٥.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٦ ق ٤ ب ٢ ف ٧ الانتقام ح ٧٩٥٦.

(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٨٥ ق ٣ ب ٢ ف ٧ فضيلة الحلم وحيقيقته ح ٦٣٩٧.

(١١) نهج البلاغة: قصار الحكم ١٩٤.

وقال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: «ما أقبح الانتقام بأهل الأقدار»^(١).

وكان من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام إذا أعتدي عليه أو رأى من الظالمين ما لا يحب: «اللهم وإن كانت الخيرة لي عندك في تأخير الأخذ لي وترك الانتقام ممن ظلمني إلى يوم الفصل ومجمع الخصم فصل على محمد وآله، وأيدني منك بنية صادقة وصبر دائم»^(٢).

وقالت الحكماء: (لذة العفو أطيب من لذة التشفي والانتقام؛ لأن لذة العفو يشفعها حميد العاقبة، ولذة الانتقام يلحقها ألم الندم)^(٣).

وقالوا: (العقوبة ألام حالات ذي القدرة وأدناها، وهي طرف من الجزع. ومن رضي ألا يكون بينه وبين الظالم إلا ستر رقيق فلينتصف)^(٤).

وكان يقال: (أحسن أفعال القادر العفو وأقبحها الانتقام)^(٥).

وكان يقال: (ظفر الكريم عفو، وعفو اللئيم عقوبة)^(٦).

٨: البخل

مسألة: البخل من الرذائل وقد يكون محرماً، وهو من مقومات أو مصاديق العنف بالمنى الأعم. قال تعالى: [وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ]^(٧).

وقال سبحانه: [الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا]^(٨).

(١) تحف العقول: ص ٣٥٩ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(٢) الصحيفة السجادية: الدعاء ١٤ وكان من دعائه عليه السلام إذا أعتدي عليه أو رأى من الظالمين ما لا يحب.

(٣) شرح نهج البلاغة: ج ١٨ ص ١٨٣.

(٤) شرح نهج البلاغة: ج ١٨ ص ١٨٣.

(٥) شرح نهج البلاغة: ج ١٨ ص ١١٠.

(٦) شرح نهج البلاغة: ج ١٨ ص ١١٠.

(٧) سورة آل عمران: ١٨٠.

(٨) سورة النساء: ٣٧.

وقال تعالى: [وَإِنْ تُوْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ * إِنْ يَسْأَلْكُمْوَهَا فَيَحْفَكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ * هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ] (١).

وقال سبحانه: [الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ] (٢).

وقال تعالى: [مَنَّاغٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ] (٣).

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن كان الخلف من الله عز وجل حقاً، فالبخل لماذا؟!» (٤).

وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «أقل الناس راحة البخل، وأبخل الناس من بخل بما افترض الله تعالى عليه» (٥).

وعن مالك بن أنس قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: «أعجب لمن يبخل بالدنيا وهي مقبلة عليه، أو يبخل عليها وهي مدبرة عنه، فلا الإنفاق مع الإقبال يضره، ولا الإمساك مع الإدبار ينفعه» (٦).

وعن ابن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن أحق الناس أن يتمنى للناس الغنى البخلاء؛ لأن الناس إذا استغنوا كفوا عن أموالهم» (٧).

وفي خبر مناهي النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: حرمت الجنة على المنان، والبخل، والقتات» (٨).

(١) سورة محمد: ٣٦-٣٨.

(٢) سورة الحديد: ٢٤.

(٣) سورة القلم: ١٢.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٩٣ ومن ألفاظ رسول الله ﷺ الموجزة ح ٥٨٣٦.

(٥) معاني الأخبار: ص ١٩٥ باب معنى الأخبار ح ١.

(٦) الأمالي للصدوق: ص ١٦٩-١٧٠ المجلس ٣٢ ح ٤.

(٧) الخصال: ج ١ ص ١٥٢ أحق الناس بأن يتمنوا ثلاثة أشياء ح ١٨٨.

(٨) مكارم الأخلاق: ص ٤٣٢ ب ١٢ ف ٢.

وعن المفضل بن أبي قره قال: رأيت أبا عبد الله عليه السلام يطوف من أول الليل إلى الصباح وهو يقول: «اللهم قني شح نفسي». فقلت: جعلت فداك ما سمعتك تدعو بغير هذا الدعاء! قال: «وأي شيء أشد من شح النفس، إن الله يقول: [وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]»^(١).

وعن ابن صدقة عن جعفر عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما محق الإيمان محق الشح شيء - ثم قال -: إن لهذا الشح ديباً كديب النمل، وشعباً كشعب الشرك»^(٢).

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «خلصتان لا تجتمعان في مسلم: البخل وسوء الخلق»^(٣).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً»^(٤).
وعن سعد بن طريف عن أبي جعفر عليه السلام قال: «الموبقات ثلاث: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»^(٥).

وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «الشح المطاع سوء الظن بالله عزوجل»^(٦).
وعن الجازي عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: «لا يؤمن رجل فيه الشح والحسد والجبن. ولا يكون المؤمن جباناً، ولا حريصاً، ولا شحيحاً»^(٧).

وعن مسعدة عن جعفر عليه السلام عن أبيه عليه السلام: «أن علياً عليه السلام سمع رجلاً يقول: الشحيح أعذر من الظالم. فقال: كذبت، إن الظالم يتوب، ويستغفر، ويرد الظلامة على أهلها. والشحيح إذا شح منع الزكاة، والصدقة، وصلة الرحم، وإقراء الضيف،

(١) سورة الحشر: ٩، سورة التغابن: ١٦.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٧ ص ٣٠-٣١ ب ٥ ح ٧٥٦٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٣٠١ ب ١٣٦ ح ٨.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٩ ص ٣٩-٤٠ ب ٥ ح ١١٤٧١.

(٥) مشكاة الأنوار: ص ٢٣١ ب ٥ ف ٤.

(٦) بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٣١٤ ب ١١٧ ح ١٣.

(٧) معاني الأخبار: ص ٣١٤ باب معنى الدرجات والكفارات.

(٨) وسائل الشيعة: ج ٩ ص ٤٠ ب ٥ ح ١١٤٧٣.

والنفقة في سبيل الله، وأبواب البر. وحرام على الجنة أن يدخلها شحيح»^(١).

وعن ابن علوان، عن جعفر عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ:
«السَّخَاءُ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ أَغْصَانُهَا فِي الدُّنْيَا، مِنْ تَعَلَّقَ بِغَضَنٍ مِنْهَا قَادَهُ ذَلِكَ الْغَضَنُ إِلَى
الْجَنَّةِ. وَالْبَخْلُ شَجَرَةٌ فِي النَّارِ أَغْصَانُهَا فِي الدُّنْيَا، مِنْ تَعَلَّقَ بِغَضَنٍ مِنْهَا قَادَهُ ذَلِكَ
الْغَضَنُ إِلَى النَّارِ»^(٢).

وعن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ أنه قال: «إياكم والشح! فإنما هلك من
كان قبلكم بالشح. أمرهم بالكذب فكذبوا، وأمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم
بالقطيعة فقطعوا»^(٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «خمس هن كما أقول: ليست لبخيل راحة،
ولا لحسود لذة، ولا للملوك وفاء، ولا للكذاب مروءة، ولا لیسود سفیه»^(٤).

٩: البهتان

مسألة: البهتان محرم، وهو من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم.

قال تعالى: [وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا
وَإِثْمًا مُبِينًا]^(٥). وقال سبحانه: [وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَالْأَفْوَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا]^(٦).

وقال تعالى: [إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ
وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ
نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ]^(٧).

(١) قرب الإسناد: ص ٣٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٣٠٣ ب ١٣٦ ح ١٤.

(٣) الخصال: ج ١ ص ١٧٦ الشح يولد ثلاث خصال مذمومة ح ٢٣٤.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ٧ ص ٢٩ ب ٥ ح ٧٥٦١.

(٥) سورة النساء: ١١٢.

(٦) سورة الإسراء: ٣٦.

(٧) سورة النور: ١٥ - ١٦.

عن الإمام الصادق عليه السلام ناقلاً عن حكيم: «البهتان على البري أثقل من الجبال الراسيات»^(١).

وعن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من بهت مؤمناً أو مؤمنة، أو قال فيه ما ليس فيه، أقامه الله تعالى يوم القيامة على تل من نار حتى يخرج مما قال فيه»^(٢).

وعن ابن أبي يعفور عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من باهت مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيهما، حبسه الله عز وجل يوم القيامة في طينة خبال حتى يخرج مما قال». قلت: وما طينة خبال؟ قال: «صديد يخرج من فروج المومسات يعني الزواني»^(٣).

وعن ميسر بن عبد العزيز قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام وهو يقول: «سئل أمير المؤمنين عليه السلام: كم بين الحق والباطل؟ فقال: أربع أصابع، ووضع أمير المؤمنين عليه السلام يده على أذنه وعينه. فقال: ما رأته عينك فهو الحق، وما سمعته أذنك فأكثره باطل»^(٤).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: «أيها الناس، من عرف من أخيه وثيقة دين، وسداد طريق، فلا يسمع فيه أقاويل الناس. أما إنه قد يرمي الرامي وتخطئ السهام، ويحيل الكلام، وباطل ذلك يبور، والله سميع وشهيد. أما إنه ليس بين الحق والباطل إلا أربع أصابع». فسئل عن معنى قوله هذا، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه. ثم قال: «الباطل أن تقول: سمعت، والحق أن تقول: رأيت»^(٥).

وروى أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «خمسة لا ينامون: الهام بدم يسفكه، وذو المال الكثير لا أمين له، والقائل في الناس الزور والبهتان عن عرض من

(١) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٩٤ ب ٦٢ ح ٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٨٨ ب ١٥٣ ح ١٦٣٢٣.

(٣) معاني الأخبار: ص ١٦٤ باب معنى طينة خبال ح ١.

(٤) الخصال: ج ١ ص ٢٣٦ بين الحق والباطل أربع أصابع ح ٧٨.

(٥) نهج البلاغة: الخطب ١٤١ ومن كلام له عليه السلام في النهي عن سماع الغيبة وفي الفرق بين الحق والباطل.

الدنيا يناله، والمأخوذ بالمال الكثير ولا مال له، والمحب حببياً يتوقع فراقه»^(١).
وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «البهتان على البري أعظم من السماء، والحق أوسع من الأرض، ونمائم الوشاة أضعف من اليتيم، والحرص أحر من النار، وحاجتك إلى البخيل أبرد من الزمهرير»^(٢).

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «من الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه. فأما الأمر الظاهر منه مثل: الحدة، والعجلة فلا بأس أن تقوله. وإن البهتان أن تقول في أخيك ما ليس فيه»^(٣).

وقال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام في الرسالة التي خرجت منه إلى أصحابه: «فاتقوا الله وكفوا ألسنتكم إلا من خير. وإياكم أن تزلقوا ألسنتكم بقول الزور والبهتان والإثم والعدوان؛ فإنكم إن كففتهم ألسنتكم عما يكرهه الله مما نهاكم عنه كان خيراً لكم عند ربكم من أن تزلقوا ألسنتكم به، فإن زلق اللسان فيما يكره الله وما ينهى عنه مرداة للعبد عند الله ومقت من الله»^(٤).

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من صام شهر رمضان فاجتنب فيه الحرام والبهتان رضي الله عنه وأوجب له الجنان»^(٥).

١٠: تخويف الناس

مسألة: تخويف الناس من المحرمات، وهو من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم. عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً»^(٦).

وعن عبد الله بن يحيى الكاهلي عن محمد بن عبيد بن مدرك الحارثي قال: دخلت مع عمي عامر بن مدرك على أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فسمعتة يقول: «من

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٥٠٣ باب كراهية النوم بعد الغداة ح ١٤٤٦.

(٢) جامع الأخبار: ص ١٣٨ ف ٩٦.

(٣) تحف العقول: ص ٢٩٨ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(٤) الكافي: ج ٨ ص ٣ كتاب الروضة ح ١.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ٧ ص ٤٢٣ ب ١١ ح ٨٥٨٧.

(٦) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٧١ ب ٣١ ح ٣٢٧.

أعان على مؤمن بشرط كلمة لقي الله وبين عينيه مكتوب آيس من رحمة الله»^(١).
وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من روع مؤمناً بسطان ليصيب منه مكروه فلم
يصبه فهو في النار، ومن روع مؤمناً بسطان ليصيب منه مكروه فأصابه فهو مع فرعون
وآل فرعون في النار»^(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من نظر إلى مؤمن نظرة يخيفه بها أخافه الله تعالى يوم لا
ظل إلا ظله، وحشره في صورة الذر بلحمه وجسمه وجميع أعضائه وروحه حتى
يورده مورده»^(٣).

وقال عليه السلام: «من أحزن مؤمناً ثم أعطاه الدنيا لم يكن ذلك كفارته ولم يؤجر
عليه»^(٤).

١١: التفرق

مسألة: التفرق والتشتت من الرذائل وهو محرم في بعض مراتبه، وهو من مقومات
أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم.

قال تعالى: [وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا]^(٥).
وقال سبحانه: [وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ
الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ]^(٦).

وقال تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِبَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ]^(٧).
وقال سبحانه: [وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ
...]^(٨).

(١) الأمالي للطوسي: ص ١٩٨ المجلس ٧ ح ٣٣٨.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٦٨ باب من أخاف مؤمناً ح ٢.

(٣) جامع الأخبار: ص ١٤٧ ف ١٠.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٥٠ ب ٥٧ ضمن ح ١٣.

(٥) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٦) سورة آل عمران: ١٠٥.

(٧) سورة الأنعام: ١٥٩.

(٨) سورة التوبة: ٥٦.

وقال تعالى: [شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ] (١).

وقال سبحانه: [وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ] (٢).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «بئس السعي التفرقة بين الأليفين» (٣).

وعن معاوية بن عمار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أتي رسول الله صلى الله عليه وآله بسبي من اليمن، فلما بلغوا الجحفة نفذت نفقاتهم، فباعوا جارية من السبي كانت أمها معهم، فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وآله سمع بكاءها. فقال: ما هذه؟ قالوا: يا رسول الله، احتجنا إلى نفقة فبعنا ابنتها. فبعث بثمنها فأتي بها، وقال: بيعوهما جميعاً أو أمسكوهما جميعاً» (٤).

وعن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام أنه اشترت له جارية من الكوفة قال: فذهبت لتقوم في بعض الحاجة. فقالت: يا أماء. فقال لها أبو عبد الله عليه السلام: «ألك أم؟». قالت: نعم. فأمر بها فردت، وقال: «ما آمنت لو حبستها أن أرى في ولدي ما أكره» (٥).

وفي وصية أمير المؤمنين عليه السلام لما ضربه ابن ملجم (لعنه الله): «إني أوصيك يا حسن، وجميع ولدي وأهل بيتي، ومن بلغه كتابي من المؤمنين: بتقوى الله ربكم، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصوم، وأن البغضة حالقة الدين، وفساد ذات البين، ولا قوة إلا بالله» (٦).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «عباد الله عليكم باعتقاد ولايتنا أهل البيت ولا تفرقوا بيننا

(١) سورة الشورى: ١٣.

(٢) سورة الشورى: ١٤.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤١٩ ق ٦ ب ٢ ف ٣ جملة من علانم شر الإخوان ح ٩٥٩٣.

(٤) تهذيب الأحكام: ج ٧ ص ٧٣ ب ٦ ح ٢٨.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٨ ص ٢٦٤ ب ١٣ ح ٢٣٦٣٩.

(٦) كتاب سليم بن قيس: ص ٩٢٥ ح ٦٩.

وانظروا كيف وسع الله عليكم حيث أوضح لكم الحجة ليسهل عليكم معرفة الحق»^(١).
وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: [وَلَا تَفَرُّقُوا]^(٢) قال: «إن الله تبارك وتعالى علم أنهم سيفترقون بعد نبههم ويختلفون. فنهاهم الله عن التفرق كما نهى من كان قبلهم، فأمرهم أن يجتمعوا على ولاية آل محمد عليهم السلام ولا يتفرقوا»^(٣).
وعن يحيى البكا عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية والباقيون هالكة، والناجية الذين يتمسكون بولائتكم، ويقتبسون من علمكم، ولا يعملون برأيهم، فأولئك ما عليهم من سبيل»^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «ستفترق أمتي على بعض وسبعين فرقة، أعظمها فتنة على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم، فيحرمون الحلال ويحللون الحرام»^(٥).
وقال عليه السلام: «كلوا جميعاً ولا تفرقوا؛ فإن البركة في الجماعة»^(٦).
وعن صفوان بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ:
«تزوجوا وزوجوا، ألا فمن حظ امرئ مسلم إنفاق قيمة أمة. وما من شيء أحب إلى الله عزوجل من بيت يعمر في الإسلام بالنكاح، وما من شيء أبغض إلى الله عزوجل من بيت يخرب في الإسلام بالفرقة يعني الطلاق - ثم قال أبو عبد الله عليه السلام -: إن الله عزوجل إنما وكد في الطلاق وكرر فيه القول من بغضه الفرقة»^(٧).

عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: بعث إليَّ أبو الحسن موسى عليه السلام بوصية أمير المؤمنين عليه السلام وهي: «بسم الله الرحمن الرحيم - إلى أن قال -: وإياكم والتقاطع

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٥٩ ارتفاع القتل عن بني إسرائيل بتوسلهم بمحمد وآله ح ١٢٦.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٣) تفسير القمي: ج ١ ص ١٠٨ رفع عيسى.

(٤) كفاية الأثر: ص ١٥٥ باب ما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٥) كنز الفوائد: ج ٢ ص ٢٠٩ ذكر مجلس.

(٦) طب النبي: ص ٢١.

(٧) الكافي: ج ٥ ص ٣٢٨ باب في الحض على النكاح ح ١.

والتدابير والفرق وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب»^(١).

ومن وصية لأمر المؤمنين ﷺ وصى بها جيشاً بعثه إلى العدو: «وإياكم والفرق! فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً، وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً»^(٢).

ومن كلام لأمر المؤمنين ﷺ وفيه يبين بعض أحكام الدين: «والزموا السواد الأعظم؛ فإن يد الله مع الجماعة. وإياكم والفرقة! فإن الشاذ من الناس للشيطان، كما أن الشاذ من الغنم للذئب»^(٣).

وقال ﷺ: «من نكد الدنيا تنغيص الاجتماع بالفرقة والسرور بالغصة»^(٤).

وقال ﷺ: «سبب الفرقة الاختلاف»^(٥).

وقال ﷺ: «الزموا الجماعة واجتنبوا الفرقة»^(٦).

وعن عاصم بن حميد رفعه قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين ﷺ فقال: أخبرني عن السنة والبدعة، وعن الجماعة، وعن الفرقة؟ فقال أمير المؤمنين ﷺ: «السنة ما سن رسول الله ﷺ، والبدعة ما أحدث من بعده، والجماعة أهل الحق وإن كانوا قليلاً، والفرقة أهل الباطل وإن كانوا كثيراً»^(٧).

١٢: التكبر

مسألة: الكبر حرام، وهو من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم.
قال تعالى: [وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهَا جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ

(١) بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ٢٤٩ ب ١٢٧ ح ٥١.

(٢) نهج البلاغة: الرسائل ١١ ومن وصية له ﷺ وصى بها جيشاً بعثه إلى العدو.

(٣) نهج البلاغة: الخطب ١٢٧ ومن كلام له ﷺ وفيه يبين بعض أحكام الدين.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٦٦ ق ٦ ب ٥ ف ١٣ ح ١٠٧٢٢.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٦٦ ق ٦ ب ٥ ف ١٣ ح ١٠٧١٩.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٦٦ ق ٦ ب ٥ ف ١٣ ح ١٠٧١٥.

(٧) معاني الأخبار: ص ١٥٤-١٥٥ باب معنى الجماعة والفرقة والسنة والبدعة ح ٣.

المهادُ] (١).

وقال سبحانه: [إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا] (٢).

وقال تعالى: [وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا

(١) سورة البقرة: ٢٠٦.

(٢) سورة النساء: ٣٦.

أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ^(١).

وقال سبحانه: [فَأَسْتَكْبِرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ]^(٢).

وقال تعالى: [سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ]^(٣).

وقال سبحانه: [فَلْبئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ]^(٤).

وقال تعالى: [وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَأَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا]^(٥).

وقال سبحانه: [الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوَى لِلْمُتَكَبِّرِينَ]^(٦).

وقال تعالى: [كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارًا]^(٧).

قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة يوم الغدير: «أفتدرون الاستكبار ما هو؟ هو ترك الطاعة لمن أمروا بطاعته، والترفع على من ندبوا إلى متابعتة»^(٨).

وعن مسعدة بن صدقة قال: مر الحسين بن علي عليه السلام بمساكين قد بسطوا كساءً لهم فألقوا عليه كسراً. فقالوا: هلم يا ابن رسول الله، فثنى وركه فأكل معهم. ثم تلا: [إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ]^(٩) «^(١٠).

وروى علي بن إبراهيم عن الصادق عليه السلام قال: «إن في جهنم لوادياً للمتكبرين يقال له: سقر، شكا إلى الله شدة حره، سأله أن يتنفس فأذن له فتنفس فأحرق

(١) سورة الأعراف: ٤٨.

(٢) سورة الأعراف: ١٣٣، سورة يونس: ٧٥.

(٣) سورة الأعراف: ١٤٦.

(٤) سورة النحل: ٢٩.

(٥) سورة الإسراء: ٣٧.

(٦) سورة الزمر: ٦٠.

(٧) سورة غافر: ٣٥.

(٨) مصباح المجتهد: ص ٧٥٦ خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير.

(٩) سورة النحل: ٢٣.

(١٠) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢٥٧ من سورة النحل ح ١٥.

جهنم»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول: الكبرياء رداي، والعظمة إزاري، فمن نازعني في واحد منهما ألقيته في النار»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «لن يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من الكبر». فقالوا: يا رسول الله، إن أحدنا يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسناً؟ فقال: «إن الله جميل يحب الجمال، ولكن الكبر بطر الحق وغمض الناس»^(٣).

وقال النبي ﷺ: «أعوذ بك من نفخة الكبرياء»^(٤).

وقال ﷺ: «آفة العلم الخيلاء»^(٥).

وروي: أن رجلاً في بني إسرائيل يقال له: خليع بني إسرائيل - لكثرة فساده - مر برجل يقال له: عابد بني إسرائيل، وكانت على رأس العابد غمامة تظله لما مر الخليع به. فقال الخليع في نفسه: أنا خليع بني إسرائيل كيف أجلس بجنبه! وقال العابد: هو خليع بني إسرائيل كيف يجلس إلي! فأنف منه وقال له: قم عني. فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان: مرهما فليستأنفا العمل، فقد غفرت للخليع، وأحببت عمل العابد. وفي حديث آخر: فتحولت الغمامة إلى رأس الخليع»^(٦).

وقال علي (صلوات الله عليه): «ومن أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار، فلينظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام»^(٧).

وقال أنس: لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لا يقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك»^(٨).

(١) تفسير القمي: ج ٢ ص ٢٥١ ماذا يعطي الله وليه في الجنان.

(٢) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٨٩ ب ٥٢.

(٣) غوالي اللآلي: ج ١ ص ٤٣٦-٤٣٧ ب ١ المسلك الثالث ح ١٥٠.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ١٩٣ ب ١٣٠.

(٥) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ١٩٦ ب ١٣٠.

(٦) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ١٩٨ ب ١٣٠.

(٧) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٠٦ ب ١٣٠.

(٨) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٠٦ ب ١٣٠.

وقال أبو الدرداء: لا يزال العبد يزداد من الله بعداً ما مشى خلفه. وكان رسول الله ﷺ في بعض الأوقات يمشي مع الأصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم^(١).

وقال أنس: كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله ﷺ ولا ينزع منها يده حتى تذهب به حيث شاءت^(٢).

ودخل رجل على رسول الله ﷺ وعليه جدري قد يقشر، وعنده أصحابه يأكلون فما جلس عند أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي ﷺ بجنبه^(٣).

وكان رسول الله ﷺ يعالج في بيته، كان يعلف الناضح، ويعقل البعير، ويقم البيت، ويحلب الشاة، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويأكل مع خادمه، ويطحن عنه إذا أعيأ، ويشترى الشيء من السوق ولا يمنعه الحياء أن يعلقه بيده أو يجعله في طرف ثوبه فينقلبه إلى أهله، يصافح الغني والفقير والصغير والكبير، ويسلم مبتدئاً على كل من استقبله من صغير أو كبير، أسود أو أحمر، حر أو عبد من أهل الصلاة. ليس له حلة لمدخله وحلة لمخرجه، لا يستحيي من أن يجيب إذا دعى وإن كان أشعث أغبر، ولا يحقر ما دعى إليه وإن لم يجد إلا حشف الدقل، لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء، هين المقولة، لين الخلق، كريم الطبيعة، جميل المعاشرة، طلق الوجه، بساماً من غير ضحك، محزوناً من غير عبوس، شديداً من غير عنف، متواضعاً من غير مذلة، جواداً من غير سرف، رحيماً بكل ذي قرى، قريباً من كل ذمي ومسلم، رقيق القلب، دائم الإطراق، لم ييشم قط من شبع، ولا يمد يده إلى طمع^(٤).

١٣: الجزع

مسألة: الجزع من الرذائل، وقد يكون محرماً في بعض مراتبه، وهو من مقومات أو

(١) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٠٦ ب ١٣٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٠٦ ب ١٣٠.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٠٦ ب ١٣٠.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٠٨ ب ١٣٠.

مصاديق العنف بالمعنى الأعم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إياك والجزع! فإنه يقطع الأمل، ويضعف العمل، ويورث الهم. واعلم أن المخرج في أمرين: ما كانت فيه حيلة فالاحتيا، وما لم تكن فيه حيلة فالاصطبار»^(١).

وعن عبد الرحمن بن سيابة قال: أعطاني أبو عبد الله عليه السلام هذا الدعاء: «الحمد لله ولي الحمد وأهله ومنتهاه - إلى أن قال -: وأعوذ بك من أن أشترى الجهل بالعلم، والجفاء بالحلم، والجور بالعدل، والقطيعة بالبر، والجزع بالصبر، والهدى بالضلالة، والكفر بالإيمان»^(٢).

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: ما الجزع؟ قال: «أشد الجزع: الصراخ بالويل والوعويل، ولطم الوجه والصدر، وجز الشعر من النواصي. ومن أقام النواحة فقد ترك الصبر، وأخذ في غير طريقه. ومن صبر واسترجع وحمد الله عز وجل فقد رضي بما صنع الله، ووقع أجره على الله. ومن لم يفعل ذلك جرى عليه القضاء وهو ذميم، وأحبط الله تعالى أجره»^(٣).

وعن ربعي بن عبد الله عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الصبر والبلاء يستبقان إلى المؤمن، فيأتيه البلاء وهو صبور. وإن الجزع والبلاء يستبقان إلى الكافر، فيأتيه البلاء وهو جزوع»^(٤).

وعن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ضرب المسلم يده على فخذه عند المصيبة إحباط لأجره»^(٥).

وعن قتيبة الأعشى قال: أتيت أبا عبد الله عليه السلام أعود ابناً له، فوجدته على الباب فإذا هو مهتم حزين. فقلت: جعلت فداك كيف الصبي؟ فقال: «والله إنه لما به». ثم

(١) دعائم الإسلام: ج ١ ص ٢٢٣ ذكر التعازي والصبر.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٥٩٠ و ٥٩٢ باب دعوات موجزات لجميع الحوائج ح ٣١.

(٣) الكافي: ج ٣ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ باب الصبر والجزع والاسترجاع ح ١.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٣ ص ٢٥٦ ب ٧٦ ح ٣٥٦٥.

(٥) بحار الأنوار: ج ٧٩ ص ٨٥ ب ١٦ ضمن ح ١٦.

دخل فمكث ساعة، ثم خرج إلينا وقد أسفر وجهه وذهب التغيير والحزن. قال: فطمعت أن يكون قد صلح الصبي. فقلت: كيف الصبي جعلت فداك؟. فقال: «وقد مضى لسبيله». فقلت: جعلت فداك لقد كنت وهو حي مهتماً حزناً، وقد رأيت حالك الساعة وقد مات غير تلك الحال، فكيف هذا؟. فقال: «إنا أهل البيت إنما نجزع قبل المصيبة، فإذا وقع أمر الله رضينا بقضائه وسلمنا لأمره»^(١).

وكان قوم أتوا أبا جعفر عليه السلام فوافقوا صبياً له مريضاً، فرأوا منه اهتماماً وغماً وجعل لا يقر. قال: فقالوا: والله لئن أصابه شيء إنا لتتخوف أن نرى منه ما نكره. قال: فما لبثوا أن سمعوا الصياح عليه، فإذا هو قد خرج عليهم منبسطة الوجه في غير الحال التي كان عليها. فقالوا له: جعلنا الله فداك لقد كنا نخاف مما نرى منك أن لو وقع أن نرى منك ما يغمنا؟ فقال لهم: «إنا لنحب أن نعافى فيمن نحب، فإذا جاء أمر الله سلمنا فيما أحب»^(٢).

ولما سير عثمان أبا ذر إلى الربذة شيعه أمير المؤمنين وعقيل والحسن والحسين عليهم السلام وعمار بن ياسر رضي الله عنه. وكان مما تكلم به عقيل عند الوداع أن قال: (واعلم أن استعفاءك البلاء من الجزع، واستبطائك العافية من اليأس، فدع اليأس والجزع وقل حسبي الله ونعم الوكيل)^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع»^(٤).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الصبر يناضل الحدثان، والجزع من أعوان الزمان»^(٥).

وقال الإمام العسكري عليه السلام: «ولا تجزع فيحبط أجرك»^(٦).

(١) الكافي: ج ٣ ص ٢٢٥ باب الصبر والجزع والاسترجاع ح ١١.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٣ ص ٢٧٦ ب ٨٥ ح ٣٦٤١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٤٣٦ ب ١٢ ح ٥١.

(٤) نهج البلاغة: قصار الحكم ١٨٩.

(٥) نهج البلاغة: قصار الحكم ٢١١.

(٦) المناقب: ج ٤ ص ٤٣٣ فصل في معجزاته عليه السلام.

هذا والمستثنى من مرجوحية الجزع ما ورد في مثل حديث معاوية بن وهب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كل الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين عليه السلام»^(١).

١٤: الجور

مسألة: الجور حرام، وهو من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم.

وعن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إن أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله والحق قد ضلوا بأعمالهم التي يعملونها ﴿كِرْمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾»^(٢)^(٣).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا فشا أربعة ظهرت أربعة: إذا فشا الزنا ظهرت الزلزلة، وإذا فشا الجور في الحكم احتبس القطر، وإذا خفرت الذمة أديل لأهل الشرك من أهل الإسلام، وإذا منعت الزكاة ظهرت الحاجة»^(٤).

وكان أبو عبد الله عليه السلام يدعو عند قراءة كتاب الله عز وجل: «...اللهم إنا نعوذ بك من الشقوة في حمله، والعمى عن عمله، والجور عن حكمه، والعلو عن قصده، والتقصير دون حقه»^(٥).

وعن أبي مخنف الأزدي قال: أتى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) رهط من الشيعة. فقالوا: يا أمير المؤمنين، لو أخرجت هذه الأموال ففرقتها في هؤلاء الرؤساء والأشراف، وفضلتهم علينا حتى إذا استوسقت الأمور عدت إلى أفضل ما عودك الله من القسم بالسوية، والعدل في الرعية. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ويحكم أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه من أهل الإسلام، لا والله لا يكون ذلك ما سمر

(١) الأمالي للطوسي: ص ١٦٢ المجلس ٦ ح ٢٦٨.

(٢) سورة إبراهيم: ١٨.

(٣) المحاسن: ج ١ ص ٩٣ ب ١٨ ح ٤٨.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٤٤٨ باب تفسير الذنوب ح ٣.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ٤ ص ٣٧٥ ب ٤٥ ح ٤٩٧٩.

السمير، وما رأيت في السماء نجماً، والله لو كانت أموالهم مالي لساويت بينهم فكيف وإنما هي أموالهم»^(١).

وعن محمد بن هارون الحلاب قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «إذا كان الجور أغلب من الحق، لم يحل لأحد أن يظن بأحد خيراً حتى يعرف ذلك منه»^(٢).
وروي: أن أمير المؤمنين عليه السلام ألقى صبيان الكتاب ألواحهم بين يديه ليخير بينهم. فقال: «أما إنها حكومة والجور فيها كالجور في الحكم، أبلغوا معلمكم إن ضربكم فوق ثلاث ضربات في الأدب اقتص منه»^(٣).

وعن أبي خديجة سالم بن مكرم الجمال قال: قال أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «إياكم أن يحاكم بعضكم بعضاً إلى أهل الجور، ولكن انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئاً من قضايانا فاجعلوه بينكم؛ فإني قد جعلته قاضياً فتحاكموا إليه»^(٤).
وعن محمد الحلبي أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: [اعلموا أن الله يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا] ^(٥)؟ قال: «العدل بعد الجور»^(٦).

وعن عبد الملك بن عمير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أربعة لا تقبل لهم صلاة: الإمام الجائر، والرجل يؤم القوم وهم له كارهون، والعبد الآبق من مولاه من غير ضرورة، والمرأة تخرج من بيت زوجها بغير إذنه»^(٧).

وعن أبي البخترى عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام: «ثلاثة ليس لهم حرمة: صاحب هوى مبتدع، والإمام الجائر، والفاسق المعلن بالفسق»^(٨).

(١) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١٢٢ ب ١٠٧ ح ٢٩.

(٢) وسائل الشريعة: ج ١٩ ص ٨٧ ب ٩ ح ٢٤٢١٦.

(٣) تهذيب الأحكام: ج ١٠ ص ١٤٩-١٥٠ ب ١٠ ح ٣٠.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٢-٣ باب من لا يجوز التحاكم إليه ومن لا يجوز ح ٣٢١٦.

(٥) سورة الحديد: ١٧.

(٦) الكافي: ج ٨ ص ٢٦٧ حديث القباب ح ٣٩٠.

(٧) وسائل الشريعة: ج ٨ ص ٣٤٩ ب ٢٧ ح ١٠٨٧٣.

(٨) قرب الإسناد: ص ٨٢.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «السلطان الجائر يخيف البريء»^(١).
 وقال عليه السلام: «السلطان الجائر والعالم الفاجر أشد الناس نكايه»^(٢).
 وقال عليه السلام: «الجائر ممقوت مذموم»^(٣).
 وقال عليه السلام: «زمان الجائر شر الأزمنة»^(٤).
 وقال عليه السلام: «إياك والجور فإن الجائر لا يريح رائحة الجنة»^(٥).
 وعن حبيب السجستاني عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال الله تبارك وتعالى:
 لأعذبن كل رعية في الإسلام دانت بولاية كل إمام جائر ليس من الله»^(٦).
 وعن النبي صلى الله عليه وآله: «إن أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر»^(٧).
 وعن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله عليه السلام: أن أباه عليه السلام كان يقول: «من دخل
 على إمام جائر فقرأ عليه القرآن يريد بذلك عرضاً من عرض الدنيا، لعن القارئ بكل
 حرف عشر لعنات، ولعن المستمع بكل حرف لعنة»^(٨).

١٥: الحسد

مسألة: الحسد من الرذائل وهو محرم في بعض مراتبه، وهو من مقومات أو
 مصاديق العنف بالمعنى الأعم.
 قال تعالى: [وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا
 حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ]^(٩).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٦ ق ٤ ب ٢ ف ٧ الظلم والجور ح ٧٩٨٠.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٧ ق ٤ ب ٢ ف ٨ ذم الحكومة الجائرة ح ٨٠٠٥.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٧ ق ٤ ب ٢ ف ٨ ذم الحكومة الجائرة ح ٨٠٠٦.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٧ ق ٤ ب ٢ ف ٨ ذم الحكومة الجائرة ح ٨٠١٤.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٥٧ ق ٤ ب ٦ ف ١ الظلم يوجب النار ح ١٠٤٣٩.

(٦) الكافي: ج ١ ص ٣٧٦ باب فيمن دان الله عز وجل بغير إمام ح ٤.

(٧) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٧٨ ب ٨٠ ح ٩.

(٨) مستدرک الوسائل: ج ٤ ص ٢٥٠ ب ٧ ح ٤٦١٩.

(٩) سورة البقرة: ١٠٩.

وقال سبحانه: [أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ] (١).

وقال تعالى: [وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ] (٢).

وعن محمد بن مسلم قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إن الرجل ليأتي بأي بادرة

فيكفر، وإن الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب» (٣).

(١) سورة النساء: ٥٤.

(٢) سورة الفلق: ٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٣٧ ب ١٣١ ح ١.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله»^(١).
وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب»^(٢).
وعن داود الرقي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «اتقوا الله و لا يحسد بعضكم بعضاً. إن عيسى ابن مريم كان في شرائعه السيح في البلاد، فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير، وكان كثير اللزوم لعيسى ابن مريم عليه السلام. فلما انتهى عيسى إلى البحر، قال: بسم الله، بصحة يقين منه فمشى على ظهر الماء. فقال الرجل القصير - حين نظر إلى عيسى جازه -: بسم الله، بصحة يقين منه فمشى على الماء. فلحق بعيسى فدخله العجب بنفسه، فقال: هذا عيسى روح الله يمشي على الماء، وأنا أمشي على الماء فما فضله عليّ! قال: فرمس في الماء، فاستغاث بعيسى فتناوله من الماء فأخرجه. ثم قال له: ما قلت يا قصير؟ قال: قلت: هذا روح الله يمشي على الماء، وأنا أمشي على الماء فدخلني من ذلك عجب. فقال له عيسى عليه السلام: لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله به، فمقتك الله على ما قلت، فتب إلى الله عزوجل. قال: فتاب الرجل ورجع إلى مرتبته التي وضعه الله. فاتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً»^(٣).

وعن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «كاد الفقر أن يكون كفراً، وكاد الحسد أن يغلب القدر»^(٤).
وعن معاوية بن وهب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «آفة الدين: الحسد، والعجب، والفخر»^(٥).

وعن داود الرقي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عزوجل لموسى بن عمران: يا ابن عمران، لا تحسدن الناس على ما آتيتهم من

(١) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٢٩ ب ٤٠.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٠٦ باب الحسد ح ٢.

(٣) قصص الأنبياء للجزائري: ص ٤١١ باب في قصص عيسى وأمه عليهما السلام ف ٢.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٣٦٥ - ٣٦٦ ب ٥٥٧ ح ٢٠٧٥٧.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٣٠٧ باب الحسد ح ٥.

فضلي، ولا تمدن عينيك إلى ذلك، ولا تتبعه نفسك؛ فإن الحاسد ساخط لنعمي، صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي، ومن يك كذلك فلست منه وليس مني»^(١).
وعن الفضيل بن عياض عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن المؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط»^(٢).

وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «أقل الناس لذة الحسود»^(٣).
وعن الحارثي عن أبي عبد الله عن أبيه عليه السلام قال: «لا يؤمن رجل فيه: الشح، والحسد، والجبن»^(٤).

وعن حماد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال لقمان لابنه: للحاسد ثلاث علامات: يفتاب إذا غاب، ويتملق إذا شهد، ويشمت بالمصيبة»^(٥).
وأوصى رسول الله ﷺ علياً عليه السلام فقال له: «يا علي، أنهاك عن ثلاث خصال عظام: الحسد، والحرص، والكذب»^(٦).
وفيما أوصى به الصادق عليه السلام قوله: «لا راحة لحسود»^(٧).

١٦: الحقد

مسألة: الحقد من الرذائل وهو محرم في بعض مراتبه، وهو من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم.

قال تعالى: [وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا]^(٨).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الحقود لا راحة له»^(٩).

(١) بحار الأنوار: ج ١٣ ص ٣٥٨ ب ١١ ح ٦٧، والبحار: ج ٧٠ ص ٢٤٩ ب ١٣١ ح ٦.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٣٦٦ ب ٥٥٥ ح ٢٠٧٦٠.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٩٥ ومن ألفاظ رسول الله ﷺ الموجزة ح ٥٨٤٠.

(٤) الخصال: ج ١ ص ٨٣ ثلاث خصال لا تكون في المؤمن ح ٨.

(٥) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٥١ ب ١٣١ ح ١١.

(٦) أعلام الدين: ص ١٣٣ باب صفة المؤمن.

(٧) الخصال: ج ١ ص ١٦٩ أمر الباقر عليه السلام ابنه الصادق عليه السلام بثلاث ح ٢٢٢.

(٨) سورة الحشر: ١٠.

وعن النبي ﷺ قال: «ألا أنبئكم بشر الناس؟». قالوا: بلى يا رسول الله ﷺ. قال: «من أبغض الناس وأبغضه الناس»^(٢).

وعن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: «... لا يقبل الله من مؤمن عملاً، وهو يضمن على المؤمن سوء»^(٣).

وعن السكوني عن جعفر بن محمد ﷺ عن أبيه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزيكهم ولهم عذاب أليم: المرخي ذيله من العظمة، والمزكي سلعته بالكذب، ورجل استقبلك بود صدره فيواري قلبه ممتلئ غشا»^(٤).

وعن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله ﷺ: «حقد المؤمن مقامه ثم يفارق أخاه فلا يجد عليه شيئاً، وحقد الكافر دهره»^(٥).

وقال أمير المؤمنين ﷺ: «احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك»^(٦).

وقال أمير المؤمنين ﷺ لرجل رآه يسعى على عدو له بما فيه إضرار بنفسه: «إنما أنت كالطاعن نفسه ليقتل ردفه»^(٧).

وقال أمير المؤمنين ﷺ: «دع الحسد، والكذب، والحقد؛ فإنهن ثلاثة تشين الدين، وتهلك الرجل»^(٨).

وعن النبي ﷺ قال: «لا تقبل شهادة الخائن ولا الخائنة، ولا الزاني ولا الزانية، ولا ذي غمز على أخيه. والغمز: الحقد»^(٩).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٩ ق ٣ ب ٣ ف ٤ بعض آثار الحقد ح ٦٧٧٧.

(٢) الأمالي للصدوق: ص ٣٠٥ المجلس ٥٠ ح ١١.

(٣) المحاسن: ج ١ ص ٩٩ ب ٣٠ ح ٦٧.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٩ من سورة آل عمران ح ٦٩.

(٥) مستطرفات السرائر: ص ٦٣٤.

(٦) نهج البلاغة: قصار الحكم ١٧٨.

(٧) نهج البلاغة: قصار الحكم ٢٩٦.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٩ ق ٣ ب ٣ ف ٤ بعض آثار الحقد ح ٦٧٨٠.

(٩) غوالي اللآلي: ج ١ ص ٢٤٢ ف ٩ ح ١٦٣.

وقال أبو الحسن الثالث عليه السلام: «العتاب مفتاح المقال، والعتاب خير من الحقد»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الغضب يثير كامن الحقد، ومن عرف الأيام لم يغفل الاستعداد، ومن أمسك عن الفضول عدلت رأيه العقول»^(٢).

وعن ابن مسعود أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل شيء حيلة، وحيلة العيش أربع خصال: القناعة، ونبذ الحقد، وترك الحسد، ومجالسة أهل الخير»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الحقد ألام العيوب»^(٤).

وقال علي عليه السلام: «من كثر مزاحه لم يخل من حاقد عليه ومستخف به»^(٥).

وقال علي عليه السلام: «الحقد خلق دني ومرض مردي»^(٦).

وقال علي عليه السلام: «الحقد داء دوي ومرض موبئ»^(٧).

وقال علي عليه السلام: «الحقد من طبائع الأشرار»^(٨).

وقال علي عليه السلام: «الأم الخلق الحقد»^(٩).

وقال علي عليه السلام: «أشد القلوب غلا قلب الحقود»^(١٠).

وقال علي عليه السلام: «رأس العيوب الحقد»^(١١).

وقال علي عليه السلام: «سلاح الشر الحقد»^(١٢).

وقال علي عليه السلام: «شر ما سكن القلب الحقد»^(١).

(١) أعلام الدين: ص ٣١١ من كلام الإمام أبي الحسن علي بن محمد بن الرضا عليه السلام.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ٢٠ ص ٢٥٩ الحكم المنسوبة ٣٥.

(٣) الفضائل: ص ١٥٢ وفي ذكر اللوح المحفوظ الذي نزل به جبرئيل على النبي ﷺ.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٩ ق ٣ ب ٣ ف ٤ ذم الحقد ح ٦٧٦٣.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٢٢ ق ٣ ب ١ ف ٦ ذم المزح وكثرة الضحك وأثارهما ح ٤٤٨٢.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٩ ق ٣ ب ٣ ف ٤ ذم الحقد ح ٦٧٦٤.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٩ ق ٣ ب ٣ ف ٤ ذم الحقد ح ٦٧٦٥.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٩ ق ٣ ب ٣ ف ٤ ذم الحقد ح ٦٧٦٧.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٩ ق ٣ ب ٣ ف ٤ ذم الحقد ح ٦٧٦٨.

(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٩ ق ٣ ب ٣ ف ٤ ذم الحقد ح ٦٧٦٩.

(١١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٩ ق ٣ ب ٣ ف ٤ ذم الحقد ح ٦٧٧٠.

(١٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٩ ق ٣ ب ٣ ف ٤ ذم الحقد ح ٦٧٧١.

وقال علي عليه السلام: «من أطرَح الحقد استراح قلبه ولبه»^(٢).
 وقال علي عليه السلام: «طهروا قلوبكم من الحقد فإنه داء موبئ»^(٣).
 وقال علي عليه السلام: «الحقد يذري»^(٤).
 وقال علي عليه السلام: «الحقد مثار الغضب»^(٥).
 وقال علي عليه السلام: «الحقود معذب النفس متضاعف الهم»^(٦).
 وقال علي عليه السلام: «ثلاث لا يهنأ لصاحبهن عيش: الحقد، والحسد، وسوء الخلق»^(٧).

وقال علي عليه السلام: «سبب الفتن الحقد»^(٨).
 وقال علي عليه السلام: «من زرع الإحن حصد المحن»^(٩).
 وقال علي عليه السلام: «ما أنكد عيش الحقود»^(١٠).
 وقال علي عليه السلام: «لا مودة لحقود»^(١١).
 وقال علي عليه السلام: «لا يكون الكريم حقوداً»^(١٢).
 وقال علي عليه السلام: «شدة الحقد من شدة الحسد»^(١٣).
 وقال علي عليه السلام: «الحقد شيمة الحسدة»^(١).

- (١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٩ ق ٣ ب ٣ ف ٤ ذم الحقد ح ٦٧٧٢.
 (٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٩ ق ٣ ب ٣ ف ٤ ذم الحقد ح ٦٧٧٤.
 (٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٩ ق ٣ ب ٣ ف ٤ ذم الحقد ح ٦٧٧٣.
 (٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٩ ق ٣ ب ٣ ف ٤ بعض آثار الحقد ح ٦٧٧٥.
 (٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٩ ق ٣ ب ٣ ف ٤ بعض آثار الحقد ح ٦٧٧٦.
 (٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٩ ق ٣ ب ٣ ف ٤ بعض آثار الحقد ح ٦٧٧٨.
 (٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٩ ق ٣ ب ٣ ف ٤ بعض آثار الحقد ح ٦٧٧٩.
 (٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٩ ق ٣ ب ٣ ف ٤ بعض آثار الحقد ح ٦٧٨١.
 (٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٩ ق ٣ ب ٣ ف ٤ بعض آثار الحقد ح ٦٧٨٣.
 (١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٩ ق ٣ ب ٣ ف ٤ بعض آثار الحقد ح ٦٧٨٤.
 (١١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٩ ق ٣ ب ٣ ف ٤ بعض آثار الحقد ح ٦٧٨٥.
 (١٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٩ ق ٣ ب ٣ ف ٤ بعض آثار الحقد ح ٦٧٨٦.
 (١٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٩ ق ٣ ب ٣ ف ٤ رابطة الحقد والحسد ح ٦٧٨٨.

١٧: الخشونة

مسألة: الخشونة من الرذائل وهي محرمة في بعض مراتبها، وهي من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم. قال تعالى: [فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ] (١).

وقال سبحانه: [وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا] (٢).

عن معاذ بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «الرفق يمن والخرق شؤم» (٣).

وعن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي جعفر عليه السلام قال: «من قسم له الخرق حجب عنه الإيمان» (٤).

وقال رسول الله ﷺ: «إن الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه، ولا نزع عن شيء إلا شانه» (٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «المسلم من سلم الناس من يده ولسانه، والمؤمن من أئتمنه الناس على أموالهم وأنفسهم» (٦).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ومن خشن عنصره غلظ كبده» (٧).

وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غداً؟». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «البهين القريب،

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٩ ق ٣ ب ٣ ف ٤ رابطة الحقد والحسد ح ٦٧٨٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٣) سورة الإسراء: ٥٣.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ١١٩ باب الرفق ح ٤.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٢٦ ب ٦٨ ح ٢٠٨٧٣.

(٦) مشكاة الأنوار: ص ١٧٩ ب ٣ ف ٢٣.

(٧) معاني الأخبار: ص ٢٣٩ باب معنى المسلم والمؤمن ح ١.

(٨) الكافي: ج ١ ص ٢٧ كتاب العقل والجهل ج ٢٩.

اللين السهل»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «أعقل الناس أشدهم مداراة للناس، وأذل الناس من أهان الناس»^(٢).

وعن حذيفة بن منصور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن قوماً من قريش قلت مداراتهم للناس فنفوا من قريش، وإيم الله ما كان بأحسابهم بأس. وإن قوماً من غيرهم حسنت مداراتهم فألحقوا بالبيت الرفيع». قال: ثم قال: «من كف يده عن الناس فإنما يكف عنهم يداً واحدة ويكفون عنه أيادي كثيرة»^(٣).

وعن جميل بن صالح عن أبي عبد الله عن آبائه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بشر الناس؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: من أبغض الناس وأبغضه الناس. ثم قال: ألا أنبئكم بشر من هذا؟ قالوا: بلى يا رسول الله ﷺ. قال: الذي لا يقبل عثرة، ولا يقبل معذرة، ولا يغفر ذنباً. ثم قال: ألا أنبئكم بشر من هذا؟ قالوا: بلى يا رسول الله ﷺ. قال: من لا يؤمن شره، ولا يرجى خيره»^(٤).

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق يعطي الثواب ويحب كل رفيق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»^(٥).

نعم، ينبغي للوالي والحاكم أن يخشن على نفسه، أما الخشونة على الرعية فمن المحرمات.

قال عاصم بن زياد: يا أمير المؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك، وجشوبة مأكلك؟ قال: ويحك، إني لست كأنت، إن الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس؛ كيلا يتبيغ بالفقير فقره»^(٦).

(١) ثواب الأعمال: ص ١٧٢ ثواب الهين القريب، اللين السهل.

(٢) الأمالي للصدوق: ص ٢١ المجلس ٦ ح ٤.

(٣) الخصال: ج ١ ص ١٧ خصلة نافية وخصلة مثبتة ح ٦٠.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٤٠٠ ومن ألفاظ رسول الله ﷺ الموجزة ح ٥٨٥٨.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢٩٣ ب ٢٧ ح ١٣٠٦٦.

(٦) نهج البلاغة: الخطب ٢٠٩ ومن كلام له عليه السلام بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد

الحرثي.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام لعقبة بن علقمة: «يا أبا الجنوب، أدركت رسول الله صلى الله عليه وآله يأكل أيبس من هذا، ويلبس أخشن من هذا؛ فإن أنا لم آخذ به خفت أن لا ألحق به»^(١).

١٨: الخفة

مسألة: الخفة من الرذائل وقد تكون محرمة في بعض مصاديقها، وهي من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم. قال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾^(٢).

وقال سبحانه: [وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ]^(٣).

وقال تعالى: [فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ]^(٤).

وقال سبحانه: [فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ]^(٥).

وقال تعالى: [وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ * نَارٌ حَامِيَةٌ]^(٦).

وعن أبي حمزة عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «وددت والله أني افتديت خصلتين في الشيعة لنا ببعض لحم ساعدي: النزق، وقلة الكتمان»^(٧).

النزق: أي الخفة والطيش.

وروي: أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام سأل ابنه الحسن عليه السلام عن أشياء من أمر

(١) المناقب: ج ٢ ص ٩٨ فصل في المسابقة بالزهد والقناعة.

(٢) سورة الأعراف: ٩.

(٣) سورة المؤمنون: ١٠٣.

(٤) سورة الروم: ٦٠.

(٥) سورة الزخرف: ٥٤.

(٦) سورة الفارعة: ٨-١١.

(٧) الكافي: ج ٢ ص ٢٢١-٢٢٢ باب الكتمان ح ١.

المروة. قال: «فما العي؟». قال: العيب باللحية، وكثرة النزق عند المخاطبة»^(١).
 وخطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «سلوني فإني لا أسأل عن شيء دون العرش إلا أجبت فيه، لا يقولها بعدي إلا جاهل مدع أو كذاب مفتر». فقام رجل من جانب مسجده، في عنقه كتاب كأنه مصحف، وهو رجل آدم ضرب طوال جعد الشعر كأنه من مهودة العرب. فقال - رافعاً صوته لعلي -: أيها المدعي ما لا يعلم، والمقلد ما لا يفهم، أنا السائل فأجب. فوثب به أصحاب علي وشيعته من كل ناحية فهموا به، فنهزم علي عليه السلام فقال لهم: «دعوه ولا تعجلوه؛ فإن الطيش لا تقوم به حجج الله، ولا به تظهر براهين الله - ثم التفت إلى الرجل وقال له -: سل بكل لسانك، وما في جوانحك؛ فإني أجيبك إن الله تعالى لا تعتلج عليه الشكوك، ولا يهيجه وسن»^(٢).
 وقال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: «ثلاثة تزي بالمرء: الحسد، والنميمة، والطيش»^(٣).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «تسعة أشياء قبيحة، وهي من تسعة أنفس أقبح منها من غيرهم: ضيق الذرع من الملوك، والبخل من الأغنياء، وسرعة الغضب من العلماء، والصبأ من الكهول، والقطيعة من الرؤوس، والكذب من القضاة، والزمانة من الأطباء، والبذاء من النساء، والطيش من ذوي السلطان»^(٤).
 وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أشد الناس ندامة وأكثرهم ملامة، العجل النزق، الذي لا يدركه عقله إلا بعد فوت أمره»^(٥).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الطيش ينكد العيش»^(٦).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ملازمة الوقار تؤمن دناءة الطيش»^(١).

(١) كشف الغمة: ج ١ ص ٥٦٨ التاسع في كلامه عليه السلام ومواعظه وما يجري معها.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥٤ ص ٢٣١-٢٣٢ ب ١ ح ١٨٨.

(٣) تحف العقول: ص ٣١٦ ومن كلامه عليه السلام سماه بعض الشيعة نثر الدرر.

(٤) دعائم الإسلام: ج ١ ص ٨٣ ذكر الرغائب في العلم والحض عليه.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٦٦ ق ٣ ب ٢ ف ٤ ذم العجلة ح ٥٧٦٩.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٧٧ ق ١ ب ١ ف ٧ علائم الحمق والسفه ح ١٤٢٥.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «السيئ الخلق كثير الطيش منغص العيش»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الغضب مركب الطيش»^(٢).

١٩: السب

مسألة: السب من الرذائل وهو محرم في الجملة، وهو من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم. قال تعالى: [وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ]^(٤).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حرمت الجنة على: من ظلم أهل بيتي، وقتلهم، والمعين عليهم، ومن سبهم، [أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم]»^(٥)^(٦).

وعن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية، وحرمة ماله كحرمة دمه»^(٧).

وعن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «سباب المؤمن كالمشرف على الهلكة»^(٨).

وعن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن رجلاً من بني تميم أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: أوصني. فكان فيما أوصاه أن قال: لا تسبوا الناس فتكتسبوا العداوة بينهم»^(٩).
وعبد الرحمن بن الحجاج عن أبي الحسن موسى عليه السلام في رجلين يتسابان. قال:

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٠ ق ٣ ب ٢ ف ٢ في السكينة والوقار وأثارهما ح ٥٢٠٠.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٦٤ ق ٣ ب ٢ ف ٣ بعض آثار سوء الخلق ح ٥٧٠٨.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٠٢ ق ٣ ب ٣ ف ٥ آثار أخرى للغضب ح ٦٨٨٨.

(٤) سورة الأنعام: ١٠٨.

(٥) سورة آل عمران: ٧٧.

(٦) جامع الأخبار: ص ١٦٠ ف ١٢٥.

(٧) الكافي: ج ٢ ص ٣٦٠ باب السباب ح ٢.

(٨) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٩٨ ب ١٥٨ ح ١٦٣٥٠.

(٩) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٦٣ ب ٥٧ ح ٣٤.

«البادي منهما أظلم، ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم يعتذر إلى المظلوم»^(١).

وعن عبد الله بن سنان عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إن اللعنة إذا خرجت من في صاحبها ترددت بينهما، فإن وجدت مساغاً وإلا رجعت على صاحبها»^(٢).

وعن أبي حمزة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إذا قال الرجل لأخيه المؤمن أف، خرج من ولايته. وإذا قال: أنت عدوي، كفر أحدهما. ولا يقبل الله من مؤمن عملاً وهو مضمراً على أخيه المؤمن سوءاً»^(٣).

وعن عبد الله بن يونس عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له في صفات المؤمن: «لا وثاب، ولا سباب، ولا عياب، ولا مغتاب»^(٤).
وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا يكمل إيمان مؤمن حتى يحتوي على مائة وثلاث خصال - إلى أن ذكر منها -: لا لعان، ولا نمام، ولا كذاب، ولا مغتاب، ولا سباب»^(٥).

وكان رجل عند رسول الله صلى الله عليه وآله من أهل اليمن وأراد الانصراف إلى أهله فقال: يا رسول الله أوصني. فقال: «أوصيك أن لا تشرك بالله شيئاً، ولا تعص والديك، ولا تنسب الناس»^(٦).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إن الله يبغض من عباده: اللعان، السباب، الطعان، الفاحش، المستخف، السائل، الملحف. ويجب من عباده: الحبي، الكريم، السخي»^(٧).

٢٠: السخط

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٦٠ باب السباب ح ٤.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٣٠١ ب ١٦٠ ح ١٦٣٥٨.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٦٦ ب ٥٧ ح ٣٨.

(٤) أعلام الدين: ص ١١٥ باب صفة المؤمن.

(٥) مستدرك الوسائل: ج ٩ ص ١٣٨-١٣٩ ب ١٣٨ ح ١٠٤٨٥.

(٦) مستدرك الوسائل: ج ٩ ص ١٣٩ ب ١٣٨ ح ١٠٤٨٦.

(٧) مستدرك الوسائل: ج ٩ ص ١٣٩ ب ١٣٨ ح ١٠٤٨٧.

مسألة: السخط محرم في بعض مراتبه، وهو من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم. قال تعالى: [أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمَصِيرُ] (١).

وقال سبحانه: [تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ] (٢).

وقال تعالى: [وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ] (٣).

وقال سبحانه: [ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَبَتْ أَعْمَالُهُمْ] (٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عظيم البلاء يكافأ به عظيم الجزاء، وإذا أحب الله عبداً ابتلاه بعظيم البلاء، فمن رضي فله عند الله الرضا، ومن سخط البلاء فله السخط» (٥).

وعن السكوني عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليه السلام عن رسول الله ﷺ قال: «أركان الكفر أربعة: الرغبة، والرغبة، والسخط، والغضب» (٦).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبي ﷺ: «والحلم يغلب الغضب، والرحمة تغلب السخط، والصدقة تغلب الخطيئة» (٧).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أيها الناس، إنما يجمع الناس الرضا والسخط، وإنما عقر ناقة ثمود رجل واحد، فعمهم الله بالعذاب لما عموه بالرضا، فقال سبحانه:

(١) سورة آل عمران: ١٦٢.

(٢) سورة المائدة: ٨٠.

(٣) سورة التوبة: ٥٨.

(٤) سورة محمد: ٢٨.

(٥) التمهيد: ص ٣٣-٣٤ ب ١ ح ٢٠.

(٦) الأمالي للصدوق: ص ٤١٩ المجلس ٦٥ ح ٨.

(٧) بحار الأنوار: ج ٥٤ ص ٩٩-١٠٠ ب ١ ح ٨٤.

[فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ] ^(١)، فما كان إلا أن خارت أرضهم بالخشفة، خوار السكة المحماة في الأرض الخوارة ^(٢).

وروي: «إن الزنا يسود الوجه، ويورث الفقر، ويبتتر العمر، ويقطع الرزق، ويذهب بالبهاء، ويقرب السخط، وصاحبه مخذول مشثوم» ^(٣).

وعن زينب بنت علي عليه السلام عن فاطمة عليها السلام في خطبتها في معنى فدك: «وبر الوالدين وقاية عن السخط» ^(٤).

وعن سعد بن طريف عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: «ثلاث درجات، وثلاث كفارات، وثلاث موبقات، وثلاث منجيات. فأما الدرجات: إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام. والكفارات: إسباغ الوضوء في السبرات، والمشي بالليل والنهار إلى الصلوات، والمحافظة على الجماعات. وأما الثلاث الموبقات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه. وأما المنجيات: فخوف الله في السر والعلانية، والقصد في الغنى والفقر، وكلمة العدل في الرضا والسخط» ^(٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لقي الحسن بن علي عليه السلام عبد الله بن جعفر. فقال: يا عبد الله، كيف يكون المؤمن مؤمناً وهو يسخط قسمه، ويحقر منزلته، والحاكم عليه الله، فأنا الضامن لمن لم يهجس في قلبه إلا الرضا أن يدعو الله فيستجاب له» ^(٦).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الروح والراحة في الرضا واليقين، والهم والحزن في الشك والسخط» ^(٧).

(١) سورة الشعراء: ١٥٧.

(٢) نهج البلاغة: الخطب ٢٠١ ومن كلام له عليه السلام يعظ به بسلوك الطريق الواضح.

(٣) فقه الرضا عليه السلام: ص ٢٧٥ ب ٤٤.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٥٦٨ باب معرفة الكبائر ح ٤٩٤٠.

(٥) وسائل الشيعة: ج ٩ ص ٤٠-٤١ ب ٥ ح ١١٤٧٤.

(٦) الكافي: ج ٢ ص ٦٢ باب الرضا بالقضاء ح ١١.

(٧) مشكاة الأنوار: ص ٣٤ ب ١ ف ٧.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أجري القلم في محبة الله، فمن أصفاه الله بالرضا فقد أكرمه، ومن ابتلاه بالسخط فقد أهانه. والرضا والسخط خلقان من خلق الله، والله يزيد في الخلق ما يشاء»^(١).

وجاء في دعاء اليوم الحادي عشر من شهر رمضان: «اللهم حبب إليّ فيه الإحسان، وكره إليّ فيه الفسوق العصيان، وحرّم عليّ فيه السخط والنيران، بعونك يا غوث المستغيثين، برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم صل على محمد وآل محمد»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «شر الأمور السخط (التسخط) للقضاء»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الزم الإخلاص في السر والعلانية، والخشية في الغيب والشهادة، والقصد في الفقر والغنى، والعدل في الرضا والسخط»^(٤).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أقبح السخط وأحسن الرضا»^(٥).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الرضا غناء والسخط عناء»^(٦).

وعن إسحاق بن غالب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا إسحاق، كم ترى أهل هذه الآية: [فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ]؟». قلت: لا أدري. قال: «هم أكثر من ثلثي الناس»^(٧).

وفي تفسير القمي: وقوله: [وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمُزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ]^(٨)، فإنها نزلت لما جاءت الصدقات وجاء الأغنياء، وظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله يقسمها بينهم، فلما وضعها في الفقراء

(١) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ١٥٩ ب ٦٣.

(٢) الإقبال: ص ١٤٠ ب ١٥٤ دعاء آخر في اليوم الحادي عشر.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٠٣ ق ١ ب ٣ ف ٣ فضيلة الرضا بالقضاء ح ١٨١٣.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ق ٢ ب ٢ ف ٧ في أهمية الإخلاص ح ٣٩٠١.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٠٢ ق ٣ ب ٣ ف ٥ ذم الغضب ح ٦٨٧٦.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٩٧ ق ٥ ب ٤ ف ٨ ح ٩٢١٤.

(٧) سورة التوبة: ٥٨.

(٨) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٨٩-٩٠ من سورة البراءة ح ٦٢.

(٩) سورة التوبة: ٥٨.

تغامزوا رسول الله ﷺ ولزوه، وقالوا: نحن الذين نقوم في الحرب ونغزو معه ونقوي أمره، ثم يدفع الصدقات إلى هؤلاء الذين لا يعينونه، ولا يغنون عنه شيئاً، فأنزل الله: [وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ] (١) « (٢).

٢١: البطش

مسألة: البطش بين محرم ومكروه، وهو الأخذ بالعنف، وقد ورد النهي عنه في قوله تعالى: [وإذا بطشتم ببطشتم جبارين] (٣).

وقال سبحانه: [اللَّهُمَّ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ] (٤).

وقال تعالى: [فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ] (٥).

وقال سبحانه: [وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ] (٦).

وقال رسول الله ﷺ: «لكل عضو من ابن آدم حظ من الزنا، فالعين زناه النظر، واللسان زناه الكلام، والأذنان زناهما السمع، واليدان زناهما البطش، والرجلان زناهما المشي، والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه» (٧).

وقال أمير المؤمنين ع: «قدم العدل على البطش تظفر بالحجة، ولا تستعمل الفعل حيث ينجع القول» (٨).

(١) سورة التوبة: ٥٩.

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ٢٩٨ توبة المتخلفين عن القتال.

(٣) سورة الشعراء: ١٣٠.

(٤) سورة الأعراف: ١٩٥.

(٥) سورة الزخرف: ٨.

(٦) سورة ق: ٣٦.

(٧) بحار الأنوار: ج ١٠١ ص ٣٨ ب ٣٤ ح ٣٥.

(٨) شرح نهج البلاغة: ج ٢٠ ص ٢٧٨ الحكم المنسوبة ٢٠٧.

وجاء في صحيفة علي بن الحسين عليه السلام وكلامه في الزهد: «بسم الله الرحمن الرحيم، كفانا الله وإياكم كيد الظالمين، وبغي الحاسدين، وبطش الجبارين. أيها المؤمنون، لا يفتننكم الطواغيت وأتباعهم من أهل الرغبة في هذه الدنيا»^(١).
وروي: إن عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذر أو يكلموه، فمكث كذلك أياماً ثم أتى به فوقف بين يديه. فقال أبو ذر: ويحك يا عثمان، أما رأيت رسول الله ﷺ ورأيت أبا بكر وعمر، هل هديك كهديهم! أما إنك لتبتطش بي بطش جبار. فقال عثمان: اخرج عنا من بلادنا. فقال أبو ذر: ما أبغض إليَّ جوارك فإلى أين أخرج؟^(٢).

٢٢: الضرب

مسألة: ضرب الآخرين من المحرمات، وهو من مصاديق العنف.
عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أعتى الناس على الله عز وجل من قتل غير قاتله، ومن ضرب من لم يضربه»^(٣).
وعن مثنى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «وجد في قائم سيف رسول الله ﷺ صحيفة: أن أعتى الناس على الله القاتل غير قاتله، والضارب غير ضاربه، ومن ادعى لغير أبيه فهو كافر بما أنزل على محمد ﷺ»^(٤).
وعن الوشاء قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله من قتل غير قاتله، أو ضرب غير ضاربه. وقال رسول الله ﷺ: لعن الله من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً». قلت: وما المحدث؟ قال: «من قتل»^(٥).
وفي رواية العلاء عن الثمالي قال: «لو أن رجلاً ضرب رجلاً سوطاً لضربه الله سوطاً من النار»^(٦).

(١) الكافي: ج ٨ ص ١٥ صحيفة علي بن الحسين عليه السلام وكلامه في الزهد ح ٢.
(٢) شرح نهج البلاغة: ج ٨ ص ٢٥٩-٢٦٠ أخبار أبي ذر الغفاري حين خروجه إلى الربذة.
(٣) الكافي: ج ٧ ص ٢٧٤ باب آخر منه ح ٢.
(٤) وسائل الشيعة: ج ٢٩ ص ٢١ ع ٤ ح ٣٥٠٥٠.
(٥) الكافي: ج ٧ ص ٢٧٤ باب آخر منه ح ٣.
(٦) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٩٣ باب تحريم الدماء والأموال بغير حقها ح ٥١٥٥.

وعن الحسين بن زيد عن الصادق عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث المناهي قال: «ومن لطم خد امرئ مسلم أو وجهه بدد الله عظامه يوم القيامة، وحشر مغلولاً حتى يدخل جهنم إلا أن يتوب»^(١).

وعن الحسن بن صالح بن حي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن علياً أمير المؤمنين عليه السلام أمر قنبر أن يضرب رجلاً حداً، فغلط قنبر فزاده على ثمانين ثلاثة أسواط، فأقاده أمير المؤمنين عليه السلام من قنبر فجلد قنبر ثلاثة أسواط»^(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من أقر بجد على تخويف، أو حبس، أو ضرب، لم يجر ذلك عليه ولم يحد»^(٣). وعن علي عليه السلام قال: «أبغض الخلق إلى الله عزوجل من جرد ظهر مسلم بغير حق»^(٤).

٢٣: التعذيب والتمثيل

مسألة: التعذيب والتمثيل من أشد المحرمات، فإنه من عمل الجاهليين، وهو من مصاديق العنف.

في تهذيب الأحكام عن أبي جعفر عليه السلام عن أبيه عليه السلام: أن علياً عليه السلام كان يقول: «لا قطع على أحد تخوف من ضرب، ولا قيد، ولا سجن، ولا تعنيف، إلا أن يعترف؛ فإن اعترف قطع، وإن لم يعترف سقط عنه لمكان التخويف»^(٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا بعث سرية دعا بأميرها، فأجلسه إلى جنبه وأجلس أصحابه بين يديه، ثم قال صلى الله عليه وآله: سيروا بسم الله وبالله، وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله. لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقطعوا شجرة إلا أن تضطروا إليها، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا صبياً، ولا امرأة. وأما

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٩ ص ٢٣ ب ٤ ح ٣٥٠٥٦.

(٢) تهذيب الأحكام: ج ١٠ ص ٢٧٨ ب ٢٤ ح ١١.

(٣) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٤٦٦ ب ٥ ح ١٦٥٥.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٨ ص ٢١٥-٢١٦ ب ٤ ح ٢٢٥٤٢.

(٥) تهذيب الأحكام: ج ١٠ ص ١٢٨ ب ٨ ح ١٢٨.

رجل من أدنى المسلمين وأفضلهم نظر إلى أحد من المشركين فهو جار حتى يسمع كلام الله، فإذا سمع كلام الله عز وجل؛ فإن تبعكم فأخوكم في دينكم، وإن أبي فاستعينوا بالله عليه، وأبلغوه مأمته»^(١).

وعن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يأمر في كل موطن لقينا فيه عدونا فيقول: «لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم؛ فإنكم بحمد الله على حجة، وترككم إياهم حتى يبدءوكم حجة لكم أخرى؛ فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل»^(٢).

ومن وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام قال: «يا بني عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوفاً، تقولون: قتل أمير المؤمنين، ألا لا تقتلن بي إلا قاتلي. انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه، فاضربوه ضربة بضربة، ولا تمثلوا بالرجل؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إياكم والمثلة! ولو بالكلب العقور»^(٣).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن أول من استحل الأمراء العذاب، لكذبة كذبها أنس بن مالك على رسول الله صلى الله عليه وآله: سمر يد رجل إلى الحائط، ومن ثم استحل الأمراء العذاب»^(٤).

وروي: أن النبي صلى الله عليه وآله قد نهى عن تعذيب الحيوان بالنار، وقال: «لا يعذب بالنار إلا الله تعالى»^(٥).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إن من ورائكم قوماً يلقون في من الأذى والتشديد والقتل والتنكيل ما لم يلقه أحد في الأمم السابقة»^(٦). وعن الصادق عليه السلام قال: «أعنى

(١) الكافي: ج ٥ ص ٣٠ باب وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام في السرايا ح ٩.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٢٨ باب ما كان يوصي أمير المؤمنين عليه السلام به عند القتال ح ٣.

(٣) نهج البلاغة: الرسائل ٤٧ ومن وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم (لعنه الله).

(٤) علل الشرائع: ج ٢ ص ٥٤١ ب ٣٢٦ ح ١٨.

(٥) بحار الأنوار: ج ٦١ ص ٢٤٤ ب ١٠.

(٦) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢٨٤ ب ٢٥ ح ١٣٠٣٢.

الناس من قتل غير قاتله أو ضرب غير ضاربه»^(١).

وعن ابن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن دفع مؤمناً دفعة ليزله بها، أو لطمه لطمه، أو أتى إليه أمراً يكرهه، لعنته الملائكة حتى يرضيه من حقه ويتوب ويستغفر. فإياكم والعجلة إلى أحد! فلعله مؤمن وأنتم لا تعلمون. وعليكم بالأناة واللين والتسرع من سلاح الشياطين، وما من شيء أحب إلى الله من الأناة واللين»^(٢).

وفي مناهي النبي ﷺ: «ألا ومن لطم خد مسلم أو وجهه، بدد الله عظامه يوم القيامة، وحشر مغلولاً حتى يدخل جهنم إلا أن يتوب»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «من آذى مؤمناً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فهو ملعون في التوراة والإنجيل والزيور والفرقان»^(٤).

وعن معلى بن خنيس عن أبي عبد الله ع^{عليه السلام} قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عزوجل: قد نابذني من أذل عبدي المؤمن»^(٥).

٢٤: الظلم

مسألة: الظلم حرام، وهو من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم. قال تعالى: [وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ]^(١). وقال سبحانه: [وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ]^(٢).

(١) معاني الأخبار: ص ١٩٦ باب معنى الغايات ح ١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٤٨ ب ٥٧ ح ٤.

(٣) مكارم الأخلاق: ص ٤٣٠ ب ١٢ ف ٢.

(٤) جامع الأخبار: ص ١٤٧ ف ١١٠.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٣٥٢ باب من آذى المسلمين واحتقرهم ح ٦.

(٦) سورة البقرة: ٢٠٥.

(٧) سورة البقرة: ٢٥٨، سورة آل عمران: ٨٦، سورة التوبة: ١٩ و ١٠٩، سورة الصف:

٧، سورة الجمعة: ٥.

وقال تعالى: [إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ] (١).

وقال سبحانه: [فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ] (٢).

عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لما حضرت علي بن الحسين عليه السلام الوفاة ضممني إلى صدره، ثم قال: يا بني، أوصيك بما أوصاني به أبي عليه السلام حين حضرته الوفاة، وبما ذكر أن أباه أوصاه به، قال: يا بني، إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلا الله» (٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من خاف ربه كف ظلمه» (٤).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد» (٥).

وعن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والفحش! فإن الله عز وجل لا يحب الفاحش المتفحش. وإياكم والظلم! فإن الظلم عند الله هو الظلمات يوم القيامة» (٦).

وعن حماد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال لقمان لابنه: يا بني للظالم ثلاث علامات: يظلم من فوقه بالمعصية، ومن دونه بالغلبة، ويعين الظلمة» (٧).

وعن الحارث عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصرًا غيري» (٨).

وعن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله قال: «كان علي عليه السلام يقول: العامل بالظلم، والمعين له، والراضي به، شركاء فيه» (٩).

وعن علي بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «قال الله تبارك

(١) سورة الأنعام: ١٣٥ و٢١، سورة يوسف: ٢٣، سورة القصص: ٣٧.

(٢) سورة يونس: ٣٩، سورة القصص: ٤٠.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٤٨ ب ٧٧ ح ٢٠٩٤٥.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٤٠٧ ومن ألفاظ رسول الله ﷺ الموجزة ح ٥٨٨٠.

(٥) نهج البلاغة: قصار الحكم ٢٢١.

(٦) الخصال: ج ١ ص ١٧٦ الشح يولد ثلاث خصال منمومة ح ٢٣٥.

(٧) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٣١٠ ب ٧٩ ح ٨.

(٨) الأمالي للطوسي: ص ٤٠٥ المجلس ١٤ ح ٩٠٨.

(٩) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ١ ص ١٧.

وتعالى: وعزتي وجلالي لا أجيب دعوة مظلوم في مظلمة ظلمها ولأحد عنده مثل تلك المظلمة»^(١).

وعن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عليه السلام قال: «يأخذ المظلوم من دين الظالم أكثر مما يأخذ الظالم من دنيا المظلوم»^(٢).

وعن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ما أحد يظلم بمظلمة إلا أخذه الله بها في نفسه وماله، فأما الظلم الذي بينه وبين الله عز وجل فإذا تاب غفر الله له»^(٣).

وعن محمد بن عبد الله الأرقط عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: «من ارتكب أحداً بظلم، بعث الله من ظلمه مثله، أو على ولده، أو على عقبه من بعده»^(٤).

وعن الفضيل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «من أكل من مال أخيه ظلماً ولم يرده عليه أكل جذوة من النار يوم القيامة»^(٥).

٢٥: العداوة

مسألة: العداوة والعداوة من الرذائل وهي محرمة في بعض مراتبها، وهي من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم.

قال تعالى: [وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ]^(٦).

وقال سبحانه: [وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ]^(٧).

وقال تعالى: [وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُذْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً]^(٨).

(١) مستدرک الوسائل: ج ٥ ص ٢٧٠ ب ٦١ ح ٥٨٤٣.

(٢) ثواب الأعمال: ص ٢٧٢ عقاب من ظلم.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٣١٣ ب ٧٩ ح ٢٢.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٥٠ ب ٧٧ ح ٢٠٩٥٢.

(٥) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٣١٣ ب ٧٩ ح ٢٤.

(٦) سورة البقرة: ١٩٠، سورة المائدة: ٨٧.

(٧) سورة النساء: ١٤.

(٨) سورة النساء: ٣٠.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إياكم والمرء والخصومة! فإنهما يمرضان القلوب على الإخوان، وينبت عليهما النفاق»^(١).

وعن عمر بن يزيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما كاد جبرئيل يأتيني إلا قال: يا محمد، اتق شحناء الرجال وعداوتهم»^(٢).

وعن الحسن بن الحسين الكندي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال جبرئيل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله: إياك وملاحاة الرجال»^(٣).

وعن عنبة العابد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إياكم والخصومة! فإنها تشغل القلب، وتورث النفاق، وتكسب الضغائن»^(٤).

وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما أتاني جبرئيل قط إلا وعظني، فأخر قوله لي: إياك ومشاركة الناس! فإنها تكشف العورة، وتذهب بالعز»^(٥).

وعن الوليد بن صبيح قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما عهد إليَّ جبرئيل عليه السلام في شيء ما عهد إليَّ في معاداة الرجال»^(٦).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «من زرع العداوة حصد ما بذر»^(٧).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أقبح الشيم العدوان»^(٨).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أوهن الأعداء كيداً من أظهر عداوته»^(٩).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنما سمي العدو عدواً؛ لأنه يعدو عليك. فمن داهنك

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٠٠ باب المرء والخصومة ومعاداة الرجال ح ١.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٣٨ ب ١٣٦ ح ١٦١٨٩.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣٠١ باب المرء والخصومة ومعاداة الرجال ح ٦.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٤٠٨ ب ١٤٥ ح ١٢.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٣٩ ب ١٣٦ ح ١٦١٩٤.

(٦) الكافي: ج ٢ ص ٣٠٢ باب المرء والخصومة ومعاداة الرجال ح ١١.

(٧) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٤٠٩ ب ١٤٥ ح ١٥.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٠٦ ق ٦ ب ٥ ف ٥ ح ١٠٥٦٦.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٠٦ ق ٦ ب ٥ ف ٥ ح ١٠٥٦٧.

في معايبك، فهو العدو العادي عليك»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من زرع العدوان حصد الخسران»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «رأس الجهل معادة الناس»^(٣).

وروي: أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لبنينه: «يا بني، إياكم ومعادة الرجال! فإنهم لا يخلون من ضربين: من عاقل يكرر بكم، أو جاهل يجعل عليكم. والكلام ذكر والجواب أنثى، فإذا اجتمع الزوجان فلا بد من التناج. ثم أنشأ يقول:

سليم العرض من حذر الجوابا ومن دارى الرجال فقد أصابا

ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا»^(٤).

وعن محمد بن الحسن الوشاء عن أبيه، عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال:

قال رسول الله ﷺ: «إياكم ومشاجرة الناس! فإنها تظهر الغرة، وتدفن العزة»^(٥).

وعن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول

الله ﷺ: «من كثر همه سقم بدنه، ومن ساء خلقه عذب نفسه، ومن لاحى الرجال

سقطت مروته، ثم قال رسول الله ﷺ: لم يزل جبرئيل عليه السلام ينهاني عن ملاحظات

الرجال كما ينهاني عن شرب الخمر، وعبادة الأوثان»^(٦).

٢٦: العسر

مسألة: العسر والتعسير من الرذائل وهو محرم في بعض مراتبه، وهو من مقومات

أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم.

قال تعالى: [يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ]^(٧).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٠٦ ق ٦ ب ٥ ف ٥ نمها ح ١٠٥٦٩.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٠٦ ق ٦ ب ٥ ف ٥ نمها ح ١٠٥٧٢.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٠٦ ق ٦ ب ٥ ف ٥ نمها ح ١٠٥٧٠.

(٤) الخصال: ج ١ ص ٧٢-٧٣ معادة الرجال لا يخلو صاحبها من خصلتين ح ١١١.

(٥) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٢١٠ ب ٦٤ ح ٣.

(٦) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٤٠ ب ١٣٦ ح ١٦١٩٦.

(٧) سورة البقرة: ١٨٥.

وقال سبحانه: [وَلَا تُزْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا] (١).

وقال تعالى: [سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا] (٢).

وقال سبحانه: [فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا] (٣).

قال رسول الله ﷺ: «إن الدين يسر، لن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا

وقاربوا» (٤). وقال ﷺ: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا» (٥).

وعن الباقر عليه السلام: سئل عن رجل خبيث قد لقي منه جهداً، هل ترى مكاشفته أم

مداراته؟. فكتب إليه: «المدارة خير لك من المكاشفة، وإن مع العسر يسراً؛ فإن

العاقبة للمتقين» (٦).

وعن بكر بن صالح قال: كتب صهر لي إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام: إن أبي

ناصر خبيث الرأي، وقد لقيت منه شدة وجهداً، فأريك جعلت فداك في الدعاء لي،

وما ترى جعلت فداك أفترى أن أكشفه أم أداريه؟. فكتب عليه السلام: «قد فهمت كتابك،

وما ذكرت من أمر أبيك، ولست أدع الدعاء لك إن شاء الله. والمدارة خير لك من

المكاشفة، ومع العسر يسر، فاصبر إن العاقبة للمتقين. ثبتك الله على ولاية من

توليت، نحن وأنتم في وديعة الله الذي لا تضيع ودائعه». قال بكر: فعطف الله بقلب

أبيه حتى صار لا يخالفه في شيء» (٧).

وفي الدعاء: «ولا تعسر علينا سعينا» (٨).

وفي دعاء الاستخارة: «فأسألك يا رب أن تسهل لي ما تعسر، وأن تعجل من

(١) سورة الكهف: ٧٣.

(٢) سورة الطلاق: ٧.

(٣) سورة الشرح: ٥ - ٦.

(٤) غوالي اللآلي: ج ١ ص ٣٨١ ب ١ المسلك الثالث ح ٤.

(٥) غوالي اللآلي: ج ١ ص ٣٨١ ب ١ المسلك الثالث ح ٥.

(٦) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٣٥ ب ١٠٤ ح ١٠١٣٥.

(٧) الأمالي للمفيد: ص ١٩١ المجلس ٢٣ ح ٢٠.

(٨) مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ٢٣٥ ب ٢٨ ح ١٨٧٧.

ذلك ما تيسر»^(١).

وفي دعاء صلاة قضاء الدين: «اللهم إني أسألك التيسير في كل عسير، فإن تيسير العسير عليك يسير»^(٢).

وفي رسالة الحقوق قال زين العابدين عليه السلام: «واعلم أن الله يراد باليسير ولا يراد بالعسير، كما أراد بخلق التيسير ولم يرد بهم التعسير»^(٣).

وفي زيارة أمير المؤمنين عليه السلام: «اعتدل بك الدين وسهل بك العسير واطفئت بك النيران»^(٤).

وقال الباقر عليه السلام: «من تيسر مما فاته أراح بدنه»^(٥).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «العسر يفسد الأخلاق»^(٦).

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سته لا تكون في مؤمن». قيل: وما هي؟

قال: «العسر، والنكد، واللجاجة، والكذب، والحسد، والبغي. وقال: لا يكون المؤمن مجازفاً»^(٧).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «العسر يشين الأخلاق ويوحش الرفاق»^(٨).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «العسر لؤم»^(٩).

وعن بعض الصحابة في قول الله عز وجل: [يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ

الْعُسْرَ] ^(١٠)، اليسر: الولاية، والعسر: الخلاف وموالات أعداء الله ^(١١).

(١) مستدرك الوسائل: ج ٦ ص ٢٣٨ ب ١ ح ٦٧٩٧.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ٦ ص ٣٠٨ ب ١٨ ح ٦٨٨٤.

(٣) مستدرك الوسائل: ج ١١ ص ١٥٨ ب ٣ ح ١٢٦٦٤.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٥٩٢ ح ٣١٩٩ زيارة أخرى لأمر المؤمنين عليه السلام.

(٥) مشكاة الأنوار: ص ١٨٤.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٦٥ ق ٥ ب ٣ ف ١ ح ٨٢٢١.

(٧) المحاسن: ج ١ ص ١٥٨-١٥٩ ب ٢٦ ح ٩٦.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٦٥ ق ٥ ب ٣ ف ١ ح ٨٢٢٢.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧٩ ق ٦ ب ٦ متفرقات اجتماعي ح ١١٠٠٢.

(١٠) سورة البقرة: ١٨٥.

(١١) بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٢٠ ب ٥٧ ح ١٨.

٢٧: الغدر

مسألة: الغدر من الرذائل وهو محرم، وهو من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم.

عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «أربع من كن فيه فهو منافق، وإن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»^(١).

وعن السكوني عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء كل غادر يوم القيامة بإمام، مائل شدقه حتى يدخل النار. ويجيء كل ناكث بيعة إمام، أجزم حتى يدخل النار»^(٢).

وعن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله ﷺ قال: سألت عن قريتين من أهل الحرب، لكل واحدة منهما ملك على حدة، اقتتلوا ثم اصطلحوا، ثم إن أحد الملكين غدر بصاحبه، فجاء إلى المسلمين فصالحهم على أن يغزوا تلك المدينة؟ فقال أبو عبد الله ﷺ: «لا ينبغي للمسلمين أن يغدروا، ولا يأمروا بالغدر، ولا يقاتلوا مع الذين غدروا، ولكنهم يقاتلون المشركين حيث وجدوهم، ولا يجوز عليهم ما عاهد عليه الكفار»^(٣).

وعن علي ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال له - فيما عهد إليه -: «وإياك والغدر بعهد الله والإخفار لذمته! فإن الله جعل عهده وذمته أماناً أمضاه بين العباد برحمته. والصبر على ضيق ترجو انفراجه خير من غدر تخاف تبعه نقمته، وسوء عاقبته»^(٤).

وعن أمير المؤمنين ﷺ قال: «أسرع الأشياء عقوبة، رجل عاهدته على أمر وكان من نيتك الوفاء به، ومن نيته الغدر بك»^(٥).

(١) الخصال: ج ١ ص ٢٥٤ أربع من كن فيه فهو منافق ح ١٢٩.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٣٧ باب المكر والغدر والخديعة ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٦٩ ب ٢١ ح ٢٠٠٣.

(٤) دعائم الإسلام: ج ١ ص ٣٦٨ ذكر ما يجب للأمرء وما يجب عليهم.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٣٧ ق ٦ ب ٣ ف ٦ ح ١٠٠٢.

ومن الأخبار النبوية المرفوعة في ذم الغدر: «ذمة المسلمين واحدة فإن جارت عليهم أمة منهم فلا تخفروا جوارها، فإن لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة»^(١).
ومن خطبة لأmir المؤمنين عليه السلام وفيها ينهى عن الغدر ويحذر منه: «أيها الناس، إن الوفاء توأم الصدق. ولا أعلم جنة أوقى منه، وما يغدر من علم كيف المرجع. ولقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيساً، ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة. ما لهم قاتلهم الله قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيه، فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها، وينتهاز فرصتها من لا حريجة له في الدين»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «جانبوا الغدر فإنه بجانب القرآن»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا إيمان لغدور»^(٤).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الغدر يعظم الوزر ويزري بالقدر»^(٥).

٢٨: الغش

مسألة: الغش من الرذائل وهو محرم، وهو من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم.

عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ليس منا من غشنا»^(٦).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لرجل يبيع التمر: «يا فلان،

أما علمت أنه ليس من المسلمين من غشهم»^(٧).

(١) شرح نهج البلاغة: ج ٢ ص ٣١٥ الأخبار والأحاديث والآيات الواردة في مدح الوفاء وذم الغدر.

(٢) نهج البلاغة: الخطب ٤١ ومن خطبة له عليه السلام وفيها ينهى عن الغدر ويحذر منه.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٢ ق ٣ ب ٣ ف ١ الغدر ح ٦٥٠٧.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٢ ق ٣ ب ٣ ف ١ الغدر ح ٦٥١٠.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٢ ق ٣ ب ٣ ف ١ الغدر ح ٦٥٠٤.

(٦) تهذيب الأحكام: ج ٧ ص ١٢ ب ١ ح ٤٨.

(٧) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٢٧٩ ب ٨٦ ح ٢٢٥٢.

وعن موسى بن بكر قال: كنا عند أبي الحسن عليه السلام فإذا دنائير مصبوبة بين يديه، فنظر إلى دينار فأخذه بيده ثم قطعه بنصفين، ثم قال لي: «ألقه في البالوعة حتى لا يباع شيء فيه غش»^(١).

وروى إسماعيل بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يشاب اللبن بالماء للبيع»^(٢).

وعن هشام بن الحكم قال: كنت أبيع السابري^(٣) في الظلال، فمر بي أبو الحسن موسى عليه السلام، فقال لي: «يا هشام، إن البيع في الظل غش، والغش لا يحل»^(٤).

وعن سعد الإسكاف عن أبي جعفر عليه السلام قال: «مر النبي صلى الله عليه وآله في سوق المدينة بطعام، فقال لصاحبه: ما أرى طعامك إلا طيباً وسأله عن سعره. فأوحى الله عزوجل إليه أن يدس يديه في الطعام، ففعل فأخرج طعاماً ردياً. فقال لصاحبه: ما أراك إلا وقد جمعت خيانة وغشاً للمسلمين»^(٥).

وعن علي بن سويد قال: كتبت إلى أبي الحسن موسى عليه السلام وهو في الحبس كتاباً أسأله عن حاله وعن مسائل كثيرة، فاحتبس الجواب عليّ أشهراً، ثم أجابني بجواب هذه نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله العلي العظيم - إلى أن قال -: ليس من أخلاق المؤمنين الغش، ولا الأذى، ولا الخيانة، ولا الكبر، ولا الخنا، ولا الفحش، ولا الأمر به»^(٦).

وروى عبيس بن هشام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخل عليه رجل يبيع الدقيق. فقال: «إياك والغش! فإنه من غش غش في ماله، فإن لم يكن له مال غش في

(١) الكافي: ج ٥ ص ١٦٠ باب الغش ح ٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٢٧٢ باب بيع اللبن المشاب بالماء ح ٣٩٨١.

(٣) السابري من الثياب: الرقاق، والسابري: ضرب من التمر. يقال: أجود تمر الكوفة

النرسيان والسابري. (راجع لسان العرب: ج ٤ ص ٣٤٢ مادة سبر).

(٤) تهذيب الأحكام: ج ٧ ص ١٣ ب ١ ح ٥٤.

(٥) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٨٦ ب ٣٧ ح ٣٧.

(٦) الكافي: ج ٨ ص ١٢٤ و ١٢٦ حديث أبي الحسن موسى عليه السلام ح ٩٥.

أهله»^(١).

وعن الحسين بن زيد الهاشمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «جاءت زينب العطاراة الحولاء إلى نساء رسول الله ﷺ وبناته، وكانت تبيع منهن العطر. فدخل رسول الله ﷺ وهي عندهن، فقال لها: إذا أتيتنا طابت بيوتنا. فقالت: بيوتك بريحك أطيب يا رسول الله. قال: إذا بعت فأحسني ولا تغشي؛ فإنه أتقى وأبقى للمال»^(٢).

وعن الحسين بن المختار القلانسي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنا نعمل القلانس، فنجعل فيها القطن العتيق، فنبيعها ولا نبين لهم ما فيها؟ قال: «إني لأحب لك أن تبين لهم ما فيها»^(٣).

وعن رسول الله ﷺ قال في حديث: «ومن غش مسلماً في بيع أو في شراء فليس منا، ويحشر مع اليهود يوم القيامة؛ لأن من غش الناس فليس بمسلم. وقال: ومن بات وفي قلبه غش لأخيه المسلم، بات في سخط الله تعالى وأصبح كذلك، وهو في سخط الله حتى يتوب ويرجع، وإن مات كذلك مات على غير دين الإسلام. ثم قال رسول الله ﷺ: - ألا ومن غشنا فليس منا، قالها ثلاث مرات. وقال: ومن غش أخاه المسلم نزع الله منه بركة رزقه، وأفسد عليه معيشته، ووكله إلى نفسه»^(٤).

ومن عهد لأمير المؤمنين عليه السلام إلى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة: «أمره بتقوى الله في سرائر أمره وخفيات عمله، حيث لا شهيد غيره، ولا وكيل دونه. وأمره ألا يعمل بشيء من طاعة الله فيما ظهر، فيخالف إلى غيره فيما أسر، ومن لم يختلف سره وعلايته، وفعله ومقاتته، فقد أدى الأمانة، وأخلص العبادة. وأمره ألا يجبههم، ولا يعضههم، ولا يرغب عنهم تفضلاً بالإمارة عليهم؛ فإنهم الإخوان في الدين، والأعوان على استخراج الحقوق. وإن لك في هذه الصدقة نصيباً مفروضاً، وحقاً معلوماً، وشركاء أهل مسكنة، وضعفاء ذوي فاقة، وإنا موفوك حقك فوفهم

(١) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٢٨١ ب ٨٦ ح ٢٢٥٢٥.

(٢) التوحيد: ص ٢٧٥-٢٧٦ ب ٣٨ ح ١.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ١٧٢-١٧٣ باب المعاش والمكاسب ح ٣٦٥١.

(٤) ثواب الأعمال: ص ٢٨٤ و٢٨٦ عقاب مجمع عقوبات الأعمال.

حقوقهم، وإلا تفعل فإنك من أكثر الناس خصوماً يوم القيامة. ويؤسى لمن خصمه عند الله الفقراء، والمساكين، والسائلون، والمدفوعون، والغارمون، وابن السبيل. ومن استهان بالأمانة، وترع في الخيانة، ولم ينزه نفسه ودينه عنها، فقد أحل بنفسه الذل والخزي في الدنيا، وهو في الآخرة أذل وأخزى. وإن أعظم الخيانة خيانة الأمة، وأفظع الغش غش الأئمة. والسلام»^(١).

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام: «إنه لا أحد من محبي علي عليه السلام وقد نظف قلبه من قدر الغش، والدغل، والغل، ونجاسات الذنوب؛ إلا كان أظهر وأفضل من الملائكة»^(٢).

٢٩: الغضب

مسألة: الغضب من الرذائل وقد يكون محرماً، وهو من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم.

عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين بن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث خصال من كن فيه استكمل خصال الإيمان: إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، وإذا غضب لم يخرج به الغضب من الحق، وإذا قدر لم يتعاط ما ليس له»^(٣).

وعن السكوني عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله ﷺ قال: «أركان الكفر أربعة: الرغبة، والرغبة، والسخط، والغضب»^(٤).

وعن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «الغضب يفسد

(١) نهج البلاغة: الرسائل ٢٦ ومن عهد له عليه السلام إلى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٨٣ إشارة إلى أن محبي علي عليه السلام أفضل من الملائكة.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٣٩ باب المؤمن وعلاماته وصفاته ح ٢٩.

(٤) الأمالي للصدوق: ص ٤١٩ المجلس ٦٥ ح ٨.

الإيمان كما يفسد الخُل العسل»^(١).

وعن ميسر قال: ذكر الغضب عند أبي جعفر عليه السلام فقال: «إن الرجل ليغضب فما يرضى أبداً حتى يدخل النار، فأما رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك؛ فإنه سيذهب عنه رجز الشيطان. وأما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسه؛ فإن الرحم إذا مست سكنت»^(٢).

وعن داود بن فرقد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «الغضب مفتاح كل شر»^(٣).
وعن القاسم بن سليمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمعت أبي عليه السلام يقول: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله رجل بدوي. فقال: إني أسكن البادية، فعلمني جوامع الكلام؟. فقال: أمرك أن لا تغضب. فأعاد عليه الأعرابي المسألة ثلاث مرات، حتى رجع الرجل إلى نفسه. فقال: لا أسأل عن شيء بعد هذا، ما أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله إلا بالخير. قال: وكان أبي يقول: أي شيء أشد من الغضب، إن الرجل ليغضب فيقتل النفس التي حرم الله، ويقذف المحصنة»^(٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «من كف غضبه ستر الله عورته»^(٥).
وعن حبيب السجستاني عن أبي جعفر عليه السلام قال: «مكتوب في التوراة فيما ناجى الله عز وجل به موسى عليه السلام: يا موسى، أمسك غضبك عمن ملكتك عليه أكف عنك غضبي»^(٦).

وعن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «أوحى الله عز وجل إلى بعض أنبيائه: يا ابن آدم اذكرني في غضبك أذكرك في غضبي، لا أحقك فيمن أحق

(١) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٣٥٨ ب ٥٣ ح ٢٠٧٣٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٧٠ ب ١٣٢ ح ٢٣.

(٣) الخصال: ج ١ ص ٧ مفتاح كل شر خصلة ح ٢٢.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٣٠٣ باب الغضب ح ٤.

(٥) ثواب الأعمال: ص ١٣٣ ثواب من كف نفسه عن أعراض الناس ومن كف غضبه.

(٦) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٣٦٠ ب ٥٣ ح ٢٠٧٤٠.

وارض بي منتصراً؛ فإن انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك»^(١).

وعن معلى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله: يا رسول الله علمني؟ قال: اذهب ولا تغضب. فقال الرجل: قد اكتفيت بذلك. فمضى إلى أهله، فإذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفاً ولبسوا السلاح. فلما رأى ذلك لبس سلاحه ثم قام معهم، ثم ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تغضب. فرمى السلاح ثم جاء يمشي إلى القوم الذين هم عدو قومه. فقال: يا هؤلاء، ما كانت لكم من جراحة أو قتل أو ضرب ليس فيه أثر فعلي في مالي أنا أوفيكموه. فقال القوم: فما كان فهو لكم نحن أولى بذلك منكم. قال: فاصطلح القوم وذهب الغضب»^(٢).

وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم. وإن أحدكم إذا غضب احمرت عيناه، وانتفخت أوداجه، ودخل الشيطان فيه. فإذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليلزم الأرض؛ فإن رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذلك»^(٣).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «الغضب محقة لقلب الحكيم»^(٤).

وقال عليه السلام: «من لم يملك غضبه لم يملك عقله»^(٥).

وعن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «من كف غضبه عن الناس، كف الله عنه عذاب يوم القيامة»^(٦).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الوشيك الرضا، البعيد الغضب، من أحسن الخلق خلقاً»^(٧).

ومن وصية لأمير المؤمنين عليه السلام لعبد الله بن العباس عند استخلافه إياه على

(١) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٧٦ ب ١٣٢ ح ٢٩.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٠٤ باب الغضب ح ١١.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٣٦٠-٣٦١ ب ٥٣ ح ٢٠٧٤٢.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٧٨ ب ١٣٢ ح ٣٣.

(٥) تحف العقول: ص ٣٧١ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(٦) الكافي: ج ٢ ص ٣٠٥ باب الغضب ح ١٥.

(٧) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٤٤٨ - ص ٤٤٩ ب ٨٧ ح ٩٩٦٥.

البصرة: «سع الناس بوجهك، ومجلسك، وحكمك. وإياك والغضب! فإنه طيرة من الشيطان، واعلم أن ما قربك من الله يباعدك من النار، وما باعدك من الله يقربك من النار»^(١).

٣٠: الغلظة والفظاظة

مسألة: الغلظة والفظاظة من الرذائل وهي محرمة في بعض مراتبها، وهي من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم.

قال تعالى: [وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ]^(٢).

وقال سبحانه: [وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا]^(٣).

وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غداً؟». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «الهيبن القريب، اللين السهل»^(٤).

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج: (كان عمر شديد الغلظة، وعر الجانب، خشن الملمس، دائم العبوس)^(٥).

وروي: دخل المهاجرون على أبي بكر لما بلغهم أنه يستخلف عمر، وقالوا: (نراك مستخلفاً عمر علينا، وقد عرفته وبوائقه إلينا)^(٦).

وروي: دخل رجل على عمر لما ولى وقال: بغضك الناس للسانك وعصاك^(٧).

وروي: دخل رجل شامي عليه فسأله عن أهل الشام. فقال: سالمون، ولولايتك

(١) نهج البلاغة: الرسائل ٧٦ ومن وصية له عليه السلام لعبد الله بن العباس عند استخلافه إياه على البصرة.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٣) سورة الإسراء: ٥٣.

(٤) ثواب الأعمال: ص ١٧٢ ثواب الهيبن القريب، اللين السهل.

(٥) شرح نهج البلاغة: ج ٦ ص ٣٢٧ فصل في ما نسب إلى علي من الدعابة.

(٦) الصراط المستقيم: ج ٣ ص ٩٤.

(٧) الصراط المستقيم: ج ٣ ص ٩٤.

ومن شرك مشفقون^(١).

ومن كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام إلى عبد الله بن عباس وهو عامله على البصرة: «واعلم أن البصرة مهبط إبليس، ومغرس الفتن، فحادث أهلها بالإحسان إليهم، واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم، وقد بلغني تنمرك لبني تميم وغلظتك عليهم. وإن بني تميم لم يغب لهم نجم إلا طلع لهم آخر، وإنهم لم يسبقوا بوغم في جاهلية ولا إسلام، وإن لهم بنا رحماً ماسة، وقراة خاصة، نحن مأجورون على صلتها، ومأزورون على قطيعتها. فاربع أبا العباس رحمك الله، فيما جرى على يدك ولسانك من خير وشر؛ فإننا شريكان في ذلك، وكن عند صالح ظني بك، ولا يفيلن رأبي فيك. والسلام»^(٢).

وقيل: (إنه وجد في التوراة صفة خلق آدم عليه السلام حين خلقه الله عز وجل وابتدعه - إلى أن قال -: وإذا ترك الرفق ظهر الغش، وجاءت الفظاظة، واشتدت الغلظة، وكثر الغشم، وترك العدل، وفشا المنكر، وترك المعروف)^(٣).

وعن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي جعفر عليه السلام قال: «من قسم له الخرق حجب عنه الإيمان»^(٤).

وعن جميل بن صالح عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ألا أنبئكم بشر الناس؟. قالوا: بلى يا رسول الله. قال: من أبغض الناس وأبغضه الناس. ثم قال: ألا أنبئكم بشر من هذا؟. قالوا: بلى يا رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: الذي لا يقبل عثرة، ولا يقبل معذرة، ولا يغفر ذنباً. ثم قال: ألا أنبئكم بشر من هذا؟. قالوا: بلى يا رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: من لا يؤمن شره، ولا يرجي

(١) الصراط المستقيم: ج ٣ ص ٩٤.

(٢) نهج البلاغة: الرسائل ١٨ ومن كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن عباس وهو عامله على البصرة.

(٣) علل الشرائع: ج ١ ص ١١٠ و ١١٢ ب ٩٦ ح ٩.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٢٦ ب ٦٨ ح ٢٠٨٧٣.

خير»^(١).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «من قسم له الرفق قسم له الإيمان»^(٢).
وعن موسى بن بكر عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: «الرفق نصف العيش»^(٣).
وقيل: إنه رفع إلى المعتضد العباسي أن طائفة من الناس يجتمعون بباب الطاق،
ويجلسون في دكان رجل تبان، ويخوضون في الفضول والأراجيف، وفنون من
الأحاديث، وفيهم قوم سراة وكتاب وأهل بيوتات، سوى من يسترق السمع منهم من
زامة الناس، وقد تفاقم فسادهم. فلما عرف المعتضد ذلك ضاق ذرعاً بالرفيعة،
وخرج معها وامتلاً غيظاً، ودعا بعبد الله بن سليمان ورمى بالرفيعة إليه، وقال: انظر
فيها وتفهم. ففعل وشاهد من تربد وجهه، ما أزعج ساكن صدره، وشرذ آلف صبره.
وقال: قد فهمت يا أمير. قال: فما الدواء؟ قال: تتقدم بأخذهم، وصلب بعضهم،
وإحراق بعضهم؛ فإن العقوبة إذا اختلفت كان الهول أشد، والهيبه أفسى، والزجر
أنجع، والعامه أخوف. فقال المعتضد: وكان أعقل من الوزير -: والله، لقد بردت لهيب
غضبي بقسوتك، ونقلتني إلى اللين بعد الغلظة، ودفعتني إلى الرفق من حيث أشرت
بالحرق. وما علمت أنك تستخير مثل هذا في دينك وهديك ومروتك، ولو أمرتك
ببعض ما رأيت بعقلك، لكان من حسن الموازنة، ومبذول النصيحة، والنظر للرعية
الضعيفة الجاهلة، أن تسألني الكف، وتبعثني على الحلم، وتحبب إليَّ الصفح،
وترغبني في فضل الإعفاء على هذه الأشياء. ولقد ساءني جهلك بحدود العقاب، وبما
يقابل به الجرائر، وبما يكون كفاء للذنوب. ولقد عصيت الله بهذا الرأي، ودللت على
قسوة القلب، وقلة الرحم، وبيس الطينة، ورقة الديانة. أما تعلم أن الرعية وديعة الله
عند سلطانها، وأن الله سائله عنها كيف ساسها، ولعله يسألها عنه فإن سألها فلتوكيد
الحجة عليه منها. ألا تدري أن أحداً من الرعية لا يقول ما يقول إلا لظلم قد لحقه أو
لحق جاره، وداهية نالت صاحباً له. وكيف تقول لهم: كونوا صالحين أتقياء، مقبلين

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٤٠٠ ومن ألفاظ رسول الله ﷺ الموجزة ٥٨٥٨.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١١٨ باب الرفق ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٢٧٠ ب ٢٧٠ ح ٢٠٤٨٣.

على معاشكم، غير خائضين في حديثنا، ولا سائلين عن أمرنا، والعرب تقول في كلامها: غلبنا السلطان فلبس فروتنا، وأكل خضرتنا. وحق المملوك على المالك معروف، وإنما يحتمل السيد على ضروب تكاليفه، ومكاره تصاريفه، إذا كان العيش في كنفه رافعاً، والأمل فيه قوياً، والصدر عليه بارداً، والقلب معه ساكناً. أ تظن أن العمل بالجهل ينفع، والعذر به يقنع، لا والله ما الرأي ما رأيت، وما الصواب ما ذكرت. وجه صاحبك ولتكن ذا خيرة ورفق، ومعروف وتخبّر وصدق، حتى تعرف حال هذه الطائفة، وتقف على شأن كل واحد منهم في معاشه ودخلته، وقدر ما هو متقلب فيه ومنقلب إليه. فمن كان منهم يصلح لعمل فلعله به، ومن كان سيئ الحال فصله من بيت المال، ما يفيق بصرة حاله، ويفيده طمأنينة باله، ومن لم يكن من هذا الرهط، وهو غني مكفي، إنما يخرج به إلى دكان هذا التبان البطر والزهو، فادع به وانصح له ولاطفه، وقل له: إن نطقك مسموع، وكلامك مرفوع، ومتى وقف الأمير على كنه ذلك منك، لم يجدهك إلا في عرصة المقابر، واستأنف لنفسك سيرة تسلم بها على سلطانك، وتحمد بها عند إخوانك. فإياك أن تجعل نفسك عرضة للسلطان! عظ لغيرك بعد ما كان وعظه لك. ولو أن الأخذ بالجريرة الأولى، مخالف للسيرة المثلى، لكان هذا الذي تسمعه ما تراه، وما تراه لو أنك سمعته قبل أن تراه، فإنك يا عبد الله إذا فعلت ذلك فقد بالغت في العقوبة، وملكت طرفي المصلحة، وقمت على سوء السياسة، ونجوت من الخوف والمأثم في العاقبة. قال: وفارق الوزير الحاكم، وعمل ما أمر به على الوجه اللطيف، فعادت الحال برأيه بالسلامة العامة، والعافية التامة، وتقدم إلى الشيخ التبان، برفع حال من يقعد عنده، حتى يواسي إن كان محتاجاً، أو يصرف إن كان متعطلاً، وينصح إن كان غافلاً^(١).

وهذا يدل على أن ما وقع من ظلم هؤلاء الحكام لشعوبهم كان عن علم وعمد، وإلا فهم كانوا يعرفون بسوء عواقب الفظاظة والغلظة.

٣١: الغيبة

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ٢٩٢ - ٢٩٤.

مسألة: الغيبة من الرذائل وهي محرمة، وهي من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم. قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْنَاهُ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ] (١).

عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الأكلة في جوفه» (٢).

وقال عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الجلوس في المسجد انتظاراً للصلاة عبادة ما لم يحدث». فقيل: يا رسول الله وما الحدث؟ قال: «الاغتيال» (٣).

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «هل تدرون ما الغيبة؟». فقالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذكرك أخاك بما يكره» (٤).

وعن جابر وأبي سعيد الخدري قالوا: قال النبي صلى الله عليه وآله: «إياكم والغيبة! فإن الغيبة أشد من الزنا. إن الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه» (٥).

وقال أنس: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مررت ليلة أسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظفارهم. فقلت: يا جبرئيل من هؤلاء؟. فقال: هؤلاء الذين يغتابون الناس، ويقعون في أعراضهم» (٦).

وعن أنس قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فذكر الربا وعظم شأنه. فقال: «إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا، أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل، وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم. وأوحى الله عز وجل إلى موسى بن

(١) سورة الحجرات: ١٢.

(٢) وسائل الشريعة: ج ١٢ ص ٢٨٠ ب ١٥٢ ح ١٦٣٠٦.

(٣) كشف الريبة: ص ١١ المقدمة.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٢٢٢ ب ٦٦.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ١١٨-١١٩ ب ١٣٢ ح ١٠٤٠٩.

(٦) تنبيه الخواطر وتزهة النواظر: ج ١ ص ١١٥ باب الغيبة.

عمران: أن المغتاب إذا تاب فهو آخر من يدخل الجنة، وإن لم يتب فهو أول من يدخل النار»^(١).

وروي: أن عيسى عليه السلام مر والحواريون على جيفة كلب. فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا! فقال عيسى عليه السلام: «ما أشد بياض أسنانه». كأنه ينهاهم عن غيبة الكلب، وينبههم على أنه لا يذكر من خلق الله إلا أحسنه^(٢).

ومن ذلك ما روي عن عائشة أنها قالت: دخلت علينا امرأة، فلما ولت أومأت بيدي، أي قصيرة. فقال عليه السلام: «اغتبتها»^(٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المستمع أحد المغتابين»^(٤).

وقال علي عليه السلام: «السامع للغيبة أحد المغتابين»^(٥).

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «من أذل عنده مؤمن ولم ينصره، وهو قادر على نصره، أذله الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة»^(٦).

وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من رد عن عرض أخيه بالغيب،

كان حقاً على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة»^(٧).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من رد عن عرض أخيه بالغيب، كان حقاً على الله أن

يعتقه من النار»^(٨).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من تطول على أخيه في غيبة سمعها فيه في مجلس

فردها عنه، رد الله عنه ألف باب من الشر في الدنيا والآخرة. فإن هو لم يردها وهو

(١) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٢٢٢ ب ٦٦.

(٢) كشف الريبة: ص ١١ المقدمة.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٢٢٤ ب ٦٦.

(٤) تنبيه الخواطر وتزهة النواظر: ج ١ ص ١١٩ باب الغيبة.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٢١ ق ٣ ب ١ ف ٥ سامع الغيبة ح ٤٤٤٤.

(٦) أعلام الدين: ص ٣٥٤ باب عدد أسماء الله تعالى وهي تسعة وتسعون ح ١٢.

(٧) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٢٢٦ ب ٦٦.

(٨) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٢٢٦ ب ٦٦.

قادر على ردها، كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرة»^(١).

وعن أبي الورد عن أبي جعفر عليه السلام قال: «من اغتاب عنده أخوه المؤمن فنصره وأعانه، نصره الله في الدنيا والآخرة. ومن لم ينصره، ولم يدفع عنه، وهو يقدر على نصرته وعونه، خفضه الله في الدنيا والآخرة»^(٢).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد»^(٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس»^(٤).

وعن سماعة بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، كان ممن حرمت غيبته، وكملت مروءته، وظهر عدله، ووجبت أخوته»^(٥).

وروى حفص بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سئل النبي صلى الله عليه وآله: ما كفارة الاغتياب؟ قال: تستغفر الله لمن اغتابته كلما ذكرته»^(٦).

٣٢: الهمز واللمز

مسألة: الهمز واللمز والسخرية من الرذائل، وهي من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم.

قال تعالى: [وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ] ^(٧).

وقال سبحانه: [وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هُمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ] ^(٨).

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ١٥ باب ذكر جمل من مناهي النبي صلى الله عليه وآله ح ٤٩٦٨.

(٢) المحاسن: ج ١ ص ١٠٣ ب ٤١ ح ٨١.

(٣) كشف الريبة: ص ٢٧ ف ٢.

(٤) تنبيه الخواطر وتزهة النواظر: ج ١ ص ١٢٠ باب الغيبة.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٢٣٩ باب المؤمن وعلاماته وصفاته ح ٢٨.

(٦) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٣٧٧ باب الأيمان والنذور والكفارات ح ٤٣٢٧.

(٧) سورة الهمزة: ١.

(٨) سورة القلم: ١٠-١١.

وقال تعالى: [الَّذِينَ يَلْمُزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ]^(١).
وقال تعالى: [وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمُزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ]^(٢).

وفي صحيفة الرضا عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن موسى بن عمران عليه السلام سأل ربه ورفع يديه. فقال: يا رب، أين ذهبت أوديت؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى، إن في عسكريك غمازاً. فقال: يا رب، دلني عليه؟ فأوحى الله تعالى إليه: أني أبغض الغماز، فكيف أغمز»^(٣).

وعن محمد بن سليمان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما معنى قوله تعالى: [وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ]^(٤)؟ قال: «الذين همزوا آل محمد حقهم ولزوهم، وجلسوا مجلساً كان آل محمد أحق به منهم»^(٥). وروي في تفسير قوله تعالى: [وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ]^(٦): «أن الهمزة الطعن في الناس واللمزة أكل لحومهم»^(٧).

وروي: «أن حكيماً من الحكماء زاره بعض إخوانه، وأخبره بخبر عن غيره. فقال له الحكيم: قد أبطأت في الزيارة، وأتيتني بثلاث خيانات، بغضت إليّ أخي، وشغلت قلبي الفارغ، واتهمت نفسك الأمانة»^(٨).

وروي: (أن بعض الحكام قال لرجل: بلغني أنك قلت في كذا وكذا. فقال الرجل: ما قلت وما فعلت؟. فقال: إن الذي أخبرني صادق. فقال الزهري - وكان

(١) سورة التوبة: ٧٩.

(٢) سورة التوبة: ٥٨.

(٣) صحيفة الرضا عليه السلام: ص ٥٥ متن الصحيفة ح ٦٧.

(٤) سورة الهمزة: ١.

(٥) بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ٣١٠ ب ٦٧ ح ١٣.

(٦) سورة الهمزة: ١.

(٧) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١١٧ ب ٣٣.

(٨) كشف الريبية: ص ٤٥ ف ٤.

جالسا - لا يكون النمام صادقا. قال: صدقت اذهب بسلامة^(١).
وقال بعضهم: (أدركنا السلف لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة، ولكن في الكف عن أعراض الناس)^(٢).
وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بشراركم؟». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبراء المعائب»^(٣).
وعن محمد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال: «محرمة الجنة على القتاتين، المشائين بالنميمة»^(٤).

وقال رجل لعلي بن الحسين عليه السلام: إن فلانا يقول فيك ويقول. فقال له: «والله ما حفظت حق أخيك إذا خنته وقد استأمنك، ولا حفظت حرمتنا إذا سمعتنا ما لم يكن لنا حجة بسماعه، أما علمت أن نقلة النميمة هم كلاب النار. قل لأخيك: إن الموت يعمنا، والقبر يضمننا، والقيامة موعدنا، والله يحكم بيننا»^(٥).
وفي تفسير القمي: وقوله: [وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمُزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ]^(٦)، فإنها نزلت لما جاءت الصدقات وجاء الأغنياء، وظنوا أن رسول الله ﷺ يقسمها بينهم، فلما وضعها في الفقراء تغامزوا رسول الله ﷺ ولزوه، وقالوا: نحن الذين نقوم في الحرب ونغزو معه ونقوي أمره، ثم يدفع الصدقات إلى هؤلاء الذين لا يعينونه ولا يغنون عنه شيئا، فأنزل الله: [وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ

(١) كشف الريبية: ص ٤٥ ف ٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٢٢٢ ب ٦٦.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣٦٩ باب النميمة ح ١.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٢٦٧ ب ٦٧ ح ١٨.

(٥) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١١٨ ب ٣٣.

(٦) سورة التوبة: ٥٨.

وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ^(١)»^(٢).

وعن أبي الجارود عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله جل اسمه: [الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ]^(٣)؟ قال: «ذهب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فأجر نفسه على أن يستقي كل دلو بتمرة مختارها فجمع مداً. فأتى به النبي صلى الله عليه وآله وعبد الرحمن بن عوف على الباب فلمزه ووقع فيه، فأنزلت فيه هذه الآية إلى قوله: [اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ]^(٤) الآية^(٥).

وذكر القمي في تفسيره: وأما قوله: [الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ]^(٦) فجاء سالم بن عمير الأنصاري بصاع من تمر فقال: يا رسول الله، كنت ليلتي أجيراً لجرير حتى نلت صاعين تمراً، أما أحدهما فأمسكته وأما الآخر فأقرضه ربي. فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يثره في الصدقات، فسخر منه المنافقون وقالوا: والله إن الله يغني عن هذا الصاع، ما يصنع الله بصاعه شيئاً، ولكن أبا عقيل أراد أن يذكر نفسه ليعطى من الصدقات. فقال: [سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ]^(٧)»^(٨).

٣٣: القتل

مسألة: القتل من أشد المحرمات، وهو من أبرز مصاديق العنف.

قال تعالى: [مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا]^(٩). وقال سبحانه: [فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ

(١) سورة التوبة: ٥٩.

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ٢٩٨ توبة المتخلفين عن القتال.

(٣) سورة التوبة: ٧٩.

(٤) سورة التوبة: ٨٠.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ٢٨ ب ٢ ح ١٦٠١٥.

(٦) سورة التوبة: ٧٩.

(٧) سورة التوبة: ٧٩.

(٨) تفسير القمي: ج ١ ص ٣٠٢ مصرف الصدقات.

(٩) سورة المائدة: ٣٢.

الْخَاسِرِينَ»^(١).

وقال تعالى: «وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُزِدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ»^(٢).

وقال سبحانه: «وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا»^(٣).

عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أعتى الناس على الله عزوجل من قتل غير قاتله، ومن ضرب من لم يضربه»^(٤).

وعن عبد العظيم الحسيني عليه السلام عن أبي الحسن الثالث عليه السلام قال: «لما كلم الله عزوجل موسى بن عمران عليه السلام قال: إلهي ما جزاء من قتل مؤمناً متعمداً؟ قال: لا أنظر إليه يوم القيامة، ولا أقبل عثرته»^(٥).

وعن أبي محمد العسكري عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن علي بن الحسين عليه السلام في تفسير قوله تعالى: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ»^(٦) الآية: «قال الله عزوجل: [وَلَكُمْ] يا أمة محمد [في القصاص حياة]؛ لأن من هم بالقتل فعرف أنه يقتص منه، فكف لذلك عن القتل كان حياة للذي كان هم بقتله، وحياة لهذا الجاني الذي أراد أن يقتل، وحياة لغيرهما من الناس إذا علموا أن القصاص واجب لا يجرون على القتل مخافة القصاص [يا أولي الألباب] أولي العقول [لعلكم تتقون]. ثم قال عليه السلام: عباد الله، هذا قصاص قتلكم لمن تقتلونه في الدنيا وتفنون روحه. أو لا أنبئكم بأعظم من هذا القتل، وما يوجب الله على قاتله مما هو أعظم من هذا القصاص؟». قالوا: بلى يا ابن رسول الله. قال: «أعظم من هذا القتل أن تقتله قتلاً لا ينجبر، ولا يجبي بعده

(١) سورة المائدة: ٣٠.

(٢) سورة الأنعام: ١٣٧.

(٣) سورة الإسراء: ٣٣.

(٤) الكافي: ج ٧ ص ٢٧٤ باب آخر منه ح ٢.

(٥) بحار الأنوار: ج ١٠١ ص ٣٦٩ ب ١ ح ٢.

(٦) سورة البقرة: ١٧٩.

أبدأ». قالوا: ما هو؟ قال: «أن تضله عن نبوة محمد، وعن ولاية علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه)، وتسلك به غير سبيل الله، وتغريه بإتباع طريق أعداء علي عليه السلام، والقول بإمامتهم، ودفع علي عن حقه، وجحد فضله، ولا تبالي بإعطائه واجب تعظيمه. فهذا هو القتل الذي هو تخليد هذا المقتول في نار جهنم خالداً مخلداً أبداً، فجزاء هذا القتل مثل ذلك الخلود في نار جهنم»^(١).

وعن عبد العظيم بن عبد الله قال حدثني محمد بن علي عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن جده عليه السلام قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «قتل النفس من الكبائر لأن الله تعالى يقول: [وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَةُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا]»^(٢).

وعن سليمان بن حفص البصري عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ما عجت الأرض إلى ربها عز وجل كعجيجها من ثلاثة: من دم حرام يسفك عليها، أو اغتسال من زنا، أو النوم عليها قبل طلوع الشمس»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: السفاك للدم، وشارب الخمر، ومشاء بنميمة»^(٤).

وعن الرضا عليه السلام عن آبائه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ورثت عن رسول الله ﷺ كتابين: كتاب الله عز وجل، وكتاباً في قراب سيفي». قيل: يا أمير المؤمنين وما الكتاب الذي في قراب سيفك؟ قال: «من قتل غير قاتله، أو ضرب غير ضاربه فعليه لعنة الله»^(٥).

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ص ٥٩٥-٥٩٦ في عقاب من كنتم شيئاً من فضائلهم

ح ٣٥٥ و ٣٥٥.

(٢) سورة النساء: ٩٣.

(٣) علل الشرائع: ج ٢ ص ٤٧٨-٤٧٩ ب ٢٢٨ ح ٢.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٦ ص ٤٩٧ ب ٣٦ ح ٨٥٣.

(٥) روضة الواعظين: ج ٢ ص ٤٦٣ مجلس في ذكر الخمر والربا.

(٦) صحيفة الرضا عليه السلام: ص ٧١ متن الصحيفة ح ١٣٩.

وعن أبي ولاد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من قتل نفسه متعمداً فهو في نار جهنم خالداً فيها»^(١).

وعن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أول ما يحكم الله فيه يوم القيامة الدماء، فيوقف ابني آدم فيفصل بينهما، ثم الذين يلونهما من أصحاب الدماء حتى لا يبقى منهم أحد، ثم الناس بعد ذلك. حتى يأتي المقتول بقاتله، فيتشخب في دمه وجهه فيقول: هذا قتلني. فيقول: أنت قتلتني؟ فلا يستطيع أن يكتم الله حديثاً»^(٢).

وعن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ما من نفس تقتل برة ولا فاجرة إلا وهي تحشر يوم القيامة متعلقة بقاتله بيده اليمنى، ورأسه بيده اليسرى، وأوداجه تشخب دماً، يقول: يا رب، سل هذا فيم قتلني؟. فإن كان قتله في طاعة الله أثيب القاتل الجنة، وأذهب بالمقتول إلى النار. وإن قال في طاعة فلان، قيل له: اقتله كما قتلك. ثم يفعل الله فيهما بعد مشيئته»^(٣).

وعن سعيد الأزرق عن أبي عبد الله عليه السلام: في رجل قتل رجلاً مؤمناً؟. قال: «يقال له: مت أي مية شئت: إن شئت يهودياً، وإن شئت نصرانياً، وإن شئت مجوسياً»^(٤).

وعن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه السلام: أن يا موسى، قل للملأ من بني إسرائيل إياكم وقتل النفس الحرام بغير حق؛ فإن من قتل منكم نفساً في الدنيا قتلت في النار مائة ألف قتلة مثل قتلة صاحبه»^(٥).

وعن عبد الرحمن بن أسلم عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: «من قتل مؤمناً

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٩٥ باب تحريم الدماء والأموال بغير حقها ح ٥١٦٣.

(٢) الكافي: ج ٧ ص ٢٧١ باب القتل ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٢٩ ص ١٢-١٣ ب ١ ح ٣٥٠٢٧.

(٤) بحار الأنوار: ج ١٠١ ص ٣٧٧ ب ١ ح ٣٨.

(٥) ثواب الأعمال: ص ٢٧٨ عقاب من قتل نفساً متعمداً.

متعمداً أثبت الله على قاتله جميع الذنوب وبرأ المقتول منها وذلك قول الله تبارك وتعالى: [إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ] (١) (٢).

٣٤: القحة

مسألة: القحة (٣) من الرذائل وقد تحرم في بعض مراتبها، وهي من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم.

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «القحة عنوان الشر» (٤).

وعن هشام بن الحكم قال: قال الكاظم عليه السلام: «إن الله حرم الجنة على كل فاحش بذيء، قليل الحياء، لا يبالي ما قال، ولا ما قيل فيه» (٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إذا رأيت المرء لا يستحي مما قال ولا مما قيل له، فاعلموا أنه لعنة، أو شرك شيطان» (٦).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إياك والقحة! فإنها تحدوك على ركوب القبائح، والتهجم على السيئات» (٧).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «بئس الوجه الوقاح» (٨).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «رأس كل شر القحة» (٩).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أبعد الصلاح من ذي الشر الوقاح» (١٠).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «وقاحة الرجل تشينه» (١).

(١) سورة المائدة: ٢٩.

(٢) المحاسن: ج ١ ص ١٠٥ ب ٤٥ ح ٨٧.

(٣) القحة: كعدة الوقاحة وقلة الحياء.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٧ ق ٣ ب ٢ ف ٢ ذم الوقاحة ح ٥٤٦٠.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٨٣ ب ٧٢ ح ١٣٥٧٩.

(٦) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٤٥٨ ف ٣ ح ١٦١٣.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٧ ق ٣ ب ٢ ف ٢ ذم الوقاحة ح ٥٤٦١.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٧ ق ٣ ب ٢ ف ٢ ذم الوقاحة ح ٥٤٦٢.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٧ ق ٣ ب ٢ ف ٢ ذم الوقاحة ح ٥٤٦٣.

(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٧ ق ٣ ب ٢ ف ٢ ذم الوقاحة ح ٥٤٧٠.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من قل حياؤه قل ورعه»^(٢).

وقال عليه السلام: «خمس يستقبحن من خمس: كثرة الفجور من العلماء، والحرص في الحكماء، والبخل في الأغنياء، والقحة في النساء، ومن المشايخ الزناء»^(٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الوقاحة صدر النفاق»^(٤).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «علامة النفاق: قلة المبالاة بالكذب، والخيانة، والوقاحة، والدعوى بلا معنى، واستخانة العين، والسفه، والغلط، وقلة الحياء»^(٥).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قلة الحياء كفر»^(٦).

وقيل له صلى الله عليه وآله: أوصني؟ قال: «استحي من الله كما تستحي من الرجل الصالح من قومك»^(٧).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا لم تستح فافعل ما شئت»^(٨).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما كان الحياء في شيء قط إلا زانه، ولا كان الفحش في شيء قط إلا شانته»^(٩).

وقال الصادق عليه السلام: «ثلاث من لم تكن فيه فلا يرجى خيره أبداً: من لم يخش الله في الغيب، ولم يروع عند الشيب، ولم يستح من العيب»^(١٠).

وعن هشام بن الحكم عن موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال له: «يا هشام، رحم الله من استحيا من الله حق الحياء، فحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، وذكر

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٧ ق ٣ ب ٢ ف ٢ ذم الوقاحة ح ٥٤٧١.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٧ ق ٣ ب ٢ ف ٢ ذم الوقاحة ح ٥٤٦٦.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٧ ق ٥ ب ٣ ف ٧ ح ٨٣٩٧.

(٤) مصباح الشريعة: ص ١٨٩ ب ٩٠.

(٥) مصباح الشريعة: ص ١٤٤ ب ٦٨.

(٦) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٤٦٦ ب ٩٣ ضمن ح ١٠٠٢٧.

(٧) روضة الواعظين: ج ٢ ص ٤٦٠ مجلس في ذكر الحياء.

(٨) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٤٦٦ ب ٩٣ ضمن ح ١٠٠٣٠.

(٩) مشكاة الأنوار: ص ٢٣٤ ب ٥ ف ٥.

(١٠) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٥٥٨ باب النوادر ح ٤٩١٨.

الموت والبلى، وعلم أن الجنة محفوفة بالمكاره، والنار محفوفة بالشهوات»^(١).
وقال رسول الله ﷺ: «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والجفاء من البذاء،
والبذاء في النار»^(٢).

وعن أبي ذر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يا أبا ذر، أتحب أن تدخل الجنة؟». قلت: نعم فذاك أبي. قال ﷺ: «فاقصر من الأمل، واجعل الموت نصب عينيك، واستح من الله حق الحياء». قال: قلت: يا رسول الله، كلنا نستحيي من الله. قال: «ليس ذلك الحياء، ولكن الحياء من الله أن لا تنسى المقابر والبلى، والجوف وما وعى، والرأس وما حوى»^(٣).

وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي ع السلام قال: سمعته يقول: «أربع من كن فيه كمل إسلامه، وأعين على إيمانه، ومحصت عنه ذنوبه، ولقي ربه وهو عنه راض، ولو كان فيما بين قرنه إلى قدمه ذنوب حطها الله عنه وهي: الوفاء بما يجعل لله على نفسه، وصدق اللسان مع الناس، والحياء مما يقبح عند الله وعند الناس، وحسن الخلق مع الأهل والناس»^(٤).

٣٥: القسوة

مسألة: القسوة من الرذائل وهي محرمة في بعض مراتبها، وهي من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم. قال تعالى: [ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً]^(٥). وقال سبحانه: [وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ]^(٦). وقال تعالى: [فَوَيْلٌ لِلْفَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ

(١) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٤٦٤ - ٤٦٥ ب ٩٣ ح ١٠٠٢٢.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٤٦٣ ب ٩٣ ح ١٠٠١٩.

(٣) مكارم الأخلاق: ص ٤٦٥ ب ١٢ ف.

(٤) الأمالي للمفيد: ص ١٦٦ - ١٦٧ المجلس ٢١ ح ١.

(٥) سورة البقرة: ٧٤.

(٦) سورة الأنعام: ٤٣.

أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ] (١).

عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لتان: لمة من الشيطان، ولمة من الملك. فلمة الملك الرقة والفهم، ولمة الشيطان السهو والقسوة» (٢).

وعن علي بن عيسى رفعه قال: «فيما ناجى الله عز وجل به موسى: يا موسى، لا تطول في الدنيا أملك، فيقسو قلبك، والقاسي القلب مني بعيد» (٣).

وعن عبيد بن زرارة قال: مات لبعض أصحاب أبي عبد الله عليه السلام ولد فحضر أبو عبد الله عليه السلام، فلما أُلحِد تقدم أبوه فطرح عليه التراب، فأخذ أبو عبد الله عليه السلام بكفيه، وقال: «لا تطرح عليه التراب، ومن كان منه ذا رحم فلا يطرح عليه التراب؛ فإن رسول الله ﷺ نهى أن يطرح الوالد أو ذو رحم على ميتة التراب». فقلنا: يا ابن رسول الله، أتنهانا عن هذا وحده؟ فقال: «أنهاكم من أن تطرحوا التراب على ذوي أرحامكم؛ فإن ذلك يورث القسوة في القلب، ومن قسا قلبه بعد من ربه» (٤).

وكان علي بن الحسين عليه السلام يدعو بهذا الدعاء في شهر رمضان: «اللهم إن هذا شهر رمضان - إلى أن يقول -: اللهم أذهب عني فيه النعاس والكسل والسامة والفترة والقسوة والغفلة والغرة» (٥).

وعن مفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني جعلت فداك لِمَ حرم الله الخمر والميتة والدم ولحم الخنزير؟ فقال: «... وأما الدم؛ فإنه يورث آكله الماء الأصفر، ويبخر الفم، وينتن الريح، ويسيء الخلق، ويورث الكلب، وقسوة القلب، وقلة الرأفة والرحمة، حتى لا يؤمن أن يقتل ولده ووالده، ولا يؤمن على حميمه، ولا يؤمن على من يصحبه» (٦).

(١) سورة الزمر: ٢٢.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٣٠ باب القسوة ح ٣.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٤٥ ب ٧٦ ح ٢٠٩٣٦.

(٤) الكافي: ج ٣ ص ١٩٩ باب من حثا على الميت وكيف يحثى ح ٥.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ١٠٥ باب ما يقال في أول يوم من شهر رمضان ح ١٨٤٩.

(٦) تهذيب الأحكام: ج ٩ ص ١٢٨ ب ٢٨٨.

وجاء في وصية أمير المؤمنين عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية: «ما أقبح الأشر عند الظفر، والكآبة عند النائبة المعضلة، والقسوة على الجار، والخلاف على صاحب»^(١).
 وقال عيسى ابن مريم: «ما أمرض قلب بأشد من القسوة»^(٢).
 وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ضادوا القسوة بالركة»^(٣).
 وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من اللثام تكون القسوة»^(٤).
 وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا لؤم أشد من القسوة»^(٥).
 وكان الإمام الحسين عليه السلام يقول: «شر خصال الملوك: الجبن من الأعداء، والقسوة على الضعفاء، والبخل عند الإعطاء»^(٦).

٣٦: الكذب

مسألة: الكذب من الرذائل وهو محرم، وهو من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم.

قال تعالى: [فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ] ^(٧).
 وقال سبحانه: [إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ] ^(٨).
 وقال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ] ^(٩).
 عن أبي النعمان قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يا أبا النعمان، لا تكذب علينا كذبة فتسلب الحنيفية، ولا تطلبن أن تكون رأساً فتكون ذنباً، ولا تستأكل الناس بنا فتفتقر.

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٩٠ ومن أفاض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الموجزة ح ٥٨٣.

(٢) مصباح الشريعة: ص ٧٨ ب ٣٤.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٢٥ ق ٣ ب ٤ متفرقات أخلاقي ح ٧٥٧٢.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٦١ ق ٣ ب ٢ ف ٢ الووم واللنيم ح ٥٦٠٥.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٦٢ ق ٣ ب ٢ ف ٢ الووم واللنيم ح ٥٦١٤.

(٦) المناقب: ج ٤ ص ٦٥ فصل في مكارم أخلاقه عليه السلام.

(٧) سورة الزمر: ٣٢.

(٨) سورة الزمر: ٣.

(٩) سورة غافر: ٢٨.

فإنك موقوف لا محالة ومستول؛ فإن صدقت صدقتك، وإن كذبت كذبتك»^(١).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان علي بن الحسين عليه السلام يقول لولده: اتقوا الكذب الصغير منه والكبير في كل جد وهزل؛ فإن الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير. أما علمتم أن رسول الله ﷺ قال: ما يزال العبد يصدق حتى يكتبه الله صديقاً، وما يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذاباً»^(٢).

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال لأبي ذر: «يا أبا ذر، ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك القوم، ويل له، ويل له، ويل له»^(٣).

وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله عز وجل جعل للشر أقفالاً، وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شر من الشراب»^(٤).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الكذب هو خراب الإيمان»^(٥).

وعن عمر بن يزيد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن الكذاب يهلك بالبينات، ويهلك أتباعه بالشبهات»^(٦).

وعن الأصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب هزله وجده»^(٧).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال عيسى ابن مريم (صلوات الله عليه): «من كثر كذبه ذهب بهأؤه»^(٨). إلى غيرها من الروايات الكثيرة.

٣٧: النفاق

(١) بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٢٣٣ ب ١١٤ ح ١.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٣٨ باب الكذب ح ٢.

(٣) الأمالي للطوسي: ص ٥٣٧ المجلس ١٩ ح ١١٦٢.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٤٤ ب ١٣٨ ح ١٦٢٠٦.

(٥) بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٢٤٧ ب ١١٤ ح ٨.

(٦) الكافي: ج ٢ ص ٣٣٩ باب الكذب ح ٧.

(٧) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٥٠ ب ١٤٠ ح ١٦٢٢٦.

(٨) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٧٤ ب ١٨ ف ٦ ح ٣٢٩.

مسألة: النفاق من الرذائل وهو محرم، ومن مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم.

قال تعالى: [بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا]^(١).

وقال سبحانه: [إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا]^(٢).

وقال تعالى: [إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا]^(٣).

وقال سبحانه: [الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا]^(٤).

وعن محمد بن جعفر عليه السلام عن أبيه جعفر بن محمد عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «خلتان لا تجتمعان في منافق: فقه في الإسلام، وحسن سمت في الوجه»^(٥).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أربع من علامات النفاق: قساوة القلب، وجمود العين، والإصرار على الذنب، والحرص على الدنيا»^(٦).

ومن خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام يصف فيها المنافقين: «أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحذركم أهل النفاق؛ فإنهم الضالون المضلون، والزالون المزلون، يتلونون ألواناً، ويفتنون افتناناً، ويعمدونكم بكل عماد، ويرصدونكم بكل مرصاد، قلوبهم دوية، وصفاحهم نقية، يمشون الخفاء، ويدبون الضراء، وصفهم دواء، وقولهم شفاء، وفعلهم الداء العياء، حسدة الرخاء، ومؤكدو البلاء، ومقنطو الرجاء، لهم

(١) سورة النساء: ١٣٨.

(٢) سورة النساء: ١٤٠.

(٣) سورة النساء: ١٤٥.

(٤) سورة التوبة: ٦٧-٦٨.

(٥) الأملاني للمفيد: ص ٢٧٤ المجلس ٣٢ ح ٥.

(٦) الاختصاص: ص ٢٢٨ حديث في زيارة المؤمن لله.

بكل طريق صريع، وإلى كل قلب شفيح، ولكل شجو دموع، يتقارضون الشاء، ويتراقبون الجزاء، إن سألوا ألحفوا، وإن عدلوا كشفوا، وإن حكموا أسرفوا، قد أعدوا لكل حق باطلاً، ولكل قائم مائلاً، ولكل حي قاتلاً، ولكل باب مفتاحاً، ولكل ليل مصباحاً، يتوصلون إلى الطمع باليأس ليقيموا به أسواقهم، وينفقوا به أعلاقهم، يقولون فيشبهون، ويصفون فيموهون، قد هونوا الطريق، وأضلعوا المضيق، فهم لمة الشيطان، وحممة النيران، [أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ] (١)» (٢).

وعن ابن مسكان عن أبي حمزة عن علي بن الحسين عليه السلام قال: قال: «إن المنافق ينهى ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي، وإذا قام إلى الصلاة اعترض». قلت: يا ابن رسول الله وما الاعتراض؟ قال: «الالتفات، وإذا ركع ربح، يمسي وهمه العشاء وهو مفطر، ويصبح وهمه النوم ولم يسهر، إن حدثك كذبتك، وإن اتتمنته خانك، وإن غبت اغتابك، وإن وعدك أخلفك» (٣).

وعن مسمع عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما زاد خشوع الجسد على ما في القلب فهو عندنا نفاق» (٤).

وعن علي بن أبان عن الأصعب بن نباتة قال: كنت جالساً عند أمير المؤمنين عليه السلام فأتاه رجل. فقال: يا أمير المؤمنين، إني لأحبك في السر كما أحبك في العلانية. قال: فنكت أمير المؤمنين عليه السلام الأرض بعود كان في يده ساعة ثم رفع رأسه. فقال: «كذبت والله، ما أعرف وجهك في الوجوه، ولا اسمك في الأسماء». قال الأصعب: فعجبت من ذلك عجباً شديداً، فلم أبرح حتى أتاه رجل آخر. فقال: والله يا أمير المؤمنين، إني لأحبك في السر كما أحبك في العلانية. قال: فنكت بعوده ذلك في الأرض طويلاً ثم رفع رأسه. فقال: «صدقت، إن طينتنا طينة مرحومة، أخذ الله ميثاقها يوم أخذ

(١) سورة المجادلة: ١٩.

(٢) نهج البلاغة: الخطب ١٩٤ ومن خطبة له عليه السلام يصف فيها المنافقين.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣٩٦ باب النفاق والمنافق ح ٣.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٦٦ ب ١١ ح ١٤٤.

الميثاق، فلا يشذ منها شاذ، ولا يدخل فيها داخل إلى يوم القيامة، أما إنه فاتخذ للفاقة جلباباً، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: الفاقة إلى محبيك أسرع من السيل المنحدر من أعلى الوادي إلى أسفله»^(١).

وعن موسى المروزي عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع يفسدن القلب، وينبتن النفاق في القلب كما ينبت الماء الشجر: استماع اللهو، والبذاء، وإتيان باب السلطان، وطلب الصيد»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «بالكذب يتزين أهل النفاق»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «شر الأخلاق الكذب والنفاق»^(٤).

وقال عليه السلام: «تجنبوا البخل والنفاق فهما من أذل الأخلاق»^(٥).

وقال عليه السلام: «النفاق شين الأخلاق»^(٦).

وقال عليه السلام: «النفاق يفسد الإيمان»^(٧).

وقال عليه السلام: «إياك والنفاق، فإن ذا الوجهين لا يكون وجيهاً عند الله»^(٨).

وقال عليه السلام: «النفاق أخو الشرك»^(٩).

وقال عليه السلام: «النفاق توأم الكفر»^(١٠).

وقال عليه السلام: «المنافق لسانه يسر وقلبه يضرب»^(١١).

وقال عليه السلام: «إني أخاف عليكم كل عليم اللسان، منافق الجنان، يقول ما

(١) الأملالي للطوسي: ص ٤٠٩-٤١٠ المجلس ١٤ ح ٩٢١.

(٢) الخصال: ج ١ ص ٢٢٧ أربع يفسدن القلب وينبتن النفاق ح ٦٣.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١٩ ق ٣ ب ١ ف ٤ ذم الكذب ح ٤٣٧١.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١٩ ق ٣ ب ١ ف ٤ ذم الكذب ح ٤٣٧٣.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٢ ق ٣ ب ٣ ف ٢ في ذم البخل والبخيل ح ٦٥٢١.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٥٨ ق ٦ ب ٥ ف ٢ ذم النفاق ومنشؤه ح ١٠٤٧٤.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٥٨ ق ٦ ب ٥ ف ٢ ذم النفاق ومنشؤه ح ١٠٤٧٥.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٥٨ ق ٦ ب ٥ ف ٢ ذم النفاق ومنشؤه ح ١٠٤٨٠.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٥٨ ق ٦ ب ٥ ف ٢ ذم النفاق ومنشؤه ح ١٠٤٨٣.

(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٥٨ ق ٦ ب ٥ ف ٢ ذم النفاق ومنشؤه ح ١٠٤٨٤.

(١١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٥٨ ق ٦ ب ٥ ف ٢ صفات المنافق ح ١٠٤٩٠.

تعلمون ، ويفعل ما تنكرون»^(١).

وقال عليه السلام: «من كثر نفاقه لم يعرف وفاقه»^(٢).

٣٨: النميمة

مسألة: النميمة من الرذائل وهي محرمة ، وهي من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم. قال تعالى: [وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا]^(٣).

وقال تعالى: [وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ❖ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ]^(٤).

عن أبي سعيد هاشم عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «أربعة لا يدخلون الجنة: الكاهن ، والمنافق ، ومدمن الخمر ، والقتات وهو النمام»^(٥).

وعن ابن ظبيان عن الصادق عليه السلام قال: «بيننا موسى بن عمران عليه السلام يناجي ربه عزوجل إذ رأى رجلاً تحت ظل عرش الله عزوجل. فقال: يا رب ، من هذا الذي قد أظله عرشك؟. فقال: هذا كان باراً بوالديه ، ولم يمش بالنميمة»^(٦).

وعن الربيع صاحب المنصور قال: إن الصادق عليه السلام قال للمنصور: «لا تقبل في ذي رحمك وأهل الرعاية من أهل بيتك قول من حرم الله عليه الجنة ومأواه النار فإن النمام شاهد زور وشريك إبليس في الإغراء بين الناس وقد قال الله تبارك وتعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ]^(٧)»^(٨).

وفي مناهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه نهى عن النميمة والاستماع إليها وقال: «لا يدخل الجنة قتات ، يعني نماماً» وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يقول الله عزوجل: حرمت الجنة على المنان

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٥٩ ق ٦ ب ٥ ف ٢ صفات المنافق ح ١٠٤٩٧.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٥٩ ق ٦ ب ٥ ف ٢ صفات المنافق ح ١٠٥٠٦.

(٣) سورة النساء: ٨٥.

(٤) سورة القلم: ١٠-١١.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٣٠٩ ب ١٦٤ ح ١٦٣٧٩.

(٦) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٦٥ ب ٢ ح ٣٠، والبحار: ج ٧٢ ص ٢٦٣ ب ٦٧ ح ٢.

(٧) سورة الحجرات: ٦.

(٨) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٣٠٩ ب ١٦٤ ح ١٦٣٧٨.

والبخيل والقتات وهو المنام»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: السفاك للدم، وشارب الخمر، ومشاء بنميمة»^(٢).

وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بشراركم؟». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبراء المعائب»^(٣).

وعن عبد العظيم الحسيني عليه السلام عن أبي جعفر الثاني عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبي ﷺ: «لما أسري بي رأيت امرأة رأسها رأس خنزير، وبدنها بدن الحمار، وعليها ألف ألف لون من العذاب، فسئل ما كان عملها؟. فقال: إنها كانت نمامة كذابة»^(٤).

وعن حذيفة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قتات»^(٥).

وعن حسين بن زيد عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن جده عليه السلام عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المؤمن غر كريم، والمنافق خب لئيم، وخير المؤمنين من كان مألفة للمؤمنين، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤالف - قال -: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: شرار الناس من يبغض المؤمنين، وتبغضه قلوبهم، المشاؤون بالنميمة، والمفرقون بين الأحبة، الباغون للناس العيب، أولئك لا ينظر الله إليهم، ولا يزيهم يوم القيامة، ثم تلا ﷺ: [هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلْفَ بَيْنٍ قُلُوبِهِمْ]»^(٦)^(٧).

وعن زيد بن علي عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن جده عليه السلام عن علي عليه السلام قال:

(١) الأملالي للصدوق: ص ٤٢٤ و ٤٣٢ المجلس ٦٦ ح ١.

(٢) الخصال: ج ١ ص ١٨٠ ثلاثة لا يدخلون الجنة ح ٢٤٤.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣٦٩ باب النميمة ح ١.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٢٦٤ ب ٦٧ ح ٧.

(٥) الأملالي للطوسي: ص ٣٨٣ المجلس ١٣ ح ٨٢٥.

(٦) سورة الأنفال: ٦٢ - ٦٣.

(٧) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٨ ح ٧ ب ١٥٥٢٨.

«عذاب القبر يكون من النميمة، والبول، وعزب الرجل عن أهله»^(١).
وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا يدخل الجنة: سفك الدم، ولا مدمن الخمر،
ولا مشاء بنميم»^(٢).
وعن علي بن جعفر عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: «حرمت الجنة
على ثلاثة: النمام، ومدمن الخمر، والديوث وهو الفاجر»^(٣).
ورفع رجل إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كتاباً فيه سعاية، فنظر إليه
أمير المؤمنين عليه السلام. ثم قال: «يا هذا، إن كنت صادقاً مقتناً، وإن كنت كاذباً
عاقبناً، وإن أحببت القيلة أقلناك». قال: بل تقيلني يا أمير المؤمنين^(٤).
وقال رسول الله ﷺ: «إن شر الناس يوم القيامة المثلث». قيل: يا رسول الله،
وما المثلث؟ قال: «الرجل يسعى بأخيه إلى إمامه فيقتله، فيهلك نفسه وأخاه
وإمامه»^(٥).

٣٩: سفك الدماء

مسألة: سفك الدماء من أشد المحرمات ومن أبرز مصاديق العنف.
قال تعالى: [وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ
جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً]^(١).
وقال سبحانه: [وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي
حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ]^(٢).
وقال تعالى: [مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ

(١) علل الشرائع: ج ١ ص ٣٠٩ ب ٢٦٢ ح ٢.

(٢) ثواب الأعمال: ص ٢٧٠ عقاب سفك الدماء وإدمان الخمر والمشى بالنميمة.

(٣) مسائل علي بن جعفر عليه السلام: ص ٣٤٩ الأخلاقيات ح ٨٦٣.

(٤) الاختصاص: ص ١٤٢ ثمانية لا يقبل الله صلاتهم.

(٥) قرب الإسناد: ص ١٥.

(٦) سورة الإسراء: ٣٣.

(٧) سورة الفرقان: ٦٨.

جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً^(١).

وقال سبحانه: [وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا]^(٢).

وقال تعالى: [وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً]^(٣).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: السفاك للدم، وشارب الخمر، ومشاء بنميمة»^(٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا يدخل الجنة: سفاك الدم، ولا مدمن الخمر، ولا مشاء بنميم»^(٥).

وعن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إن في جهنم وادياً يقال له: السعير، إذا فتح ذلك الوادي ضجت النيران منه، أعده الله للقاتلين»^(٦).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه خطب الناس يوم النحر بمنى فقال: «أيها الناس، لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فإنما أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلى يوم يلقون ربهم فيحاسبهم، ألا هل بلغت». قالوا: نعم. قال: «اللهم اشهد»^(٧).

وعن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله عزوجل أوحى إلى نبي من أنبيائه في مملكة جبار من الجبارين: أن ائت هذا الجبار، فقل له: إنني لم أستعملك على سفك الدماء، واتخاذ الأموال، وإنما استعملتك لتكف عني أصوات

(١) سورة المائدة: ٣٢.

(٢) سورة النساء: ٢٩-٣٠.

(٣) سورة النساء: ٩٣.

(٤) روضة الواعظين: ج ٢ ص ٤٦٣ مجلس في ذكر الخمر والربا.

(٥) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٢٦٥ ب ٦٧ ح ١١، والبحار: ج ٧٦ ص ١٣٨ ب ٨٦ ح ٣٧.

(٦) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٤٠١-٤٠٢ ف ١ ح ١٤٠٥.

(٧) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٤٠٢ ف ١ ح ١٤٠٩.

المظلومين؛ فإنني لم أدع ظلامتهم، وإن كانوا كفارا»^(١).

وجاء في الخبر الذي رواه المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام عندما سأله عن علة تحريم الخمر؟ فقال عليه السلام: «وأما الخمر؛ فإنه حرمها لفعالها وفسادها - وقال -: إن مدمن الخمر كعابد وثن، ويورثه ارتعاشاً، ويذهب بنوره، ويهدم مروته، ويحملة على أن يجسر على المحارم من سفك الدماء، وركوب الزنى، ولا يؤمن إذا سكر أن يشب على حرمه وهو لا يعقل ذلك، والخمر لن تزيد شاربها إلا كل شر»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في عهده إلى مالك الأشر: «إياك والدماء! وسفكها بغير حلها؛ فإنه ليس شيء أدعى لنتمة، ولا أعظم لتبعة، ولا أحرى بزوال نعمة، وانقطاع مدة، من سفك الدماء بغير حقها، والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة. فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام؛ فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله، ولا عذر لك عند الله، ولا عندي في قتل العمد؛ لأن فيه قود البدن. وإن ابتليت بخطأ، وأفرت عليك سوطك، أو سيفك، أو يدك بالعقوبة؛ فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة، فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم»^(٣).

وعن علي عليه السلام: أن رسول الله ﷺ قال له - فيما عهد إليه -: «إياك والتسرع إلى سفك الدماء بغير حلها؛ فإنه ليس شيء أعظم من ذلك تباعة»^(٤).
وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «سفك الدماء بغير حقها يدعو إلى حلول النعمة وزوال النعمة»^(٥).

وقال رسول الله ﷺ: «ألا إني أخاف عليكم ستة أشياء: إمارة السفهاء،

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٣٣ باب الظلم ح ١٤.

(٢) تهذيب الأحكام: ج ٩ ص ١٢٨ ب ٢ ح ٢٨٨.

(٣) نهج البلاغة: الرسائل ٥٣ ومن كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه مصر وأعمالها.

(٤) دعائم الإسلام: ج ١ ص ٣٦٨ ذكر ما يجب للأمرء وما يجب عليهم.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٦٤ ق ٦ ب ٥ ف ٩ ح ١٠٦٧٣.

والرشوة في الحكم، وسفك الدماء...»^(١).

وعن أبي حمزة عن أحدهما عليهما السلام قال: «أتي رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل له: يا رسول الله قتيل في جهينة. فقام رسول الله صلى الله عليه وآله يمشي حتى انتهى إلى مسجدهم. قال: وتسامع الناس فأتوه. فقال: من قتل ذا؟ قالوا: يا رسول الله ما ندري. فقال: قتيل بين المسلمين لا يدري من قتله والذي بعثني بالحق لو أن أهل السماء والأرض شركوا في دم امرئ مسلم ورضوا به لأكبهم الله على مناخرهم في النار» أو قال: «على وجوههم»^(٢).

وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الرجل ليأتي يوم القيامة ومعه قدر محجمة من دم. فيقول: والله ما قتلت ولا شركت في دم! فيقال: بلى، ذكرت عبدي فلاناً فترقى ذلك حتى قتل فأصابك من دمه»^(٣).

وعن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ما من نفس تقتل برة ولا فاجرة إلا وهي تحشر يوم القيامة متعلقة بقاتله بيده اليمنى، ورأسه بيده اليسرى، وأوداجه تشخب دماً، يقول: يا رب، سل هذا فيم قتلني؟. فإن كان قتله في طاعة الله أثيب القاتل الجنة، وأذهب بالمقتول إلى النار. وإن قال في طاعة فلان، قيل له: اقتله كما قتلك. ثم يفعل الله فيهما بعد مشيئته»^(٤).

وعن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً، وقال: لا يوفق قاتل المؤمن متعمداً للتوبة»^(٥).

٤٠: سوء الخلق

مسألة: سوء الخلق من الرذائل وهو محرم في بعض مراتبه، وهو من مقومات أو

(١) معدن الجواهر: ص ٥٣ باب كر ما جاء في سنة.

(٢) الكافي: ج ٧ ص ٢٧٢-٢٧٣ باب القتل ح ٨.

(٣) وسائل الشريعة: ج ٢٩ ص ١٧ ب ٢ ح ٣٥٠٤١.

(٤) وسائل الشريعة: ج ٢٩ ص ١٢-١٣ ب ١ ح ٣٥٠٢٧.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٩٣ باب تحريم الدماء والأموال بغير حقها ح ٥١٥٣.

مصاديق العنف بالمعنى الأعم.

قال تعالى: [وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ] (١).

وقال سبحانه: [عُتِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمًا] (٢).

عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل» (٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من أساء خلقه عذب نفسه» (٤).

وعن مسعدة بن صدقة عن الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: «قال علي عليه السلام لأبي أيوب الأنصاري: يا أبا أيوب، ما بلغ من كرم أخلاقك؟. قال: لا أؤذي جاراً فمن دونه، ولا أمتعه معروفاً أقدر عليه - ثم قال عليه السلام -: ما من ذنب إلا وله توبة، وما من تائب إلا وقد تسلم له توبته، ما خلا سيئ الخلق لا يكاد يتوب من ذنب إلا وقع في غيره أشد منه» (٥).

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «خصلتان لا تجتمعان في مسلم: البخل وسوء الخلق» (٦).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه محمد بن الحنفية: «إياك والعجب، وسوء الخلق، وقلة الصبر؛ فإنه لا يستقيم لك على هذه الخصال الثلاث صاحب، ولا يزال لك عليها من الناس مجانب، وألزم نفسك التودد» (٧).

وقال الإمام الصادق عليه السلام للثوري: «يا سفيان، لا مروءة لكذوب، ولا أخ

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٢) سورة القلم: ١٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٩٦ ب ١٣٥ ح ١.

(٤) الأمالي للصدوق: ص ٢٠٥ المجلس ٣٧ ح ٣.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٧٥ ب ٦٩ ح ١٣٥٥١.

(٦) وسائل الشيعة: ج ٩ ص ٣٩-٤٠ ب ٥ ح ١١٤٧١.

(٧) الخصال: ج ١ ص ١٤٧ النهي عن ثلاث خصال ح ١٧٨.

للمل، ولا راحة لحسود، ولا سؤدد لسيئ الخلق»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أبى الله تعالى لصاحب الخلق السيئ بالتوبة». قيل: وكيف ذلك؟ قال: «لأنه لا يخرج من ذنب حتى يقع فيما هو أعظم منه»^(٢).

وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: «أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل له: إن سعد بن معاذ قد مات. فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه معه. فأمر بغسل سعد وهو قائم على عضادة الباب، فلما أن حنط وكفن وحمل على سريره، تبعه رسول الله صلى الله عليه وآله بلا حذاء ولا رداء. ثم كان يأخذ يمينة السرير مرة، ويسرة السرير مرة، حتى انتهى به إلى القبر. فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله حتى لحده وسوى اللبن عليه، وجعل يقول: ناولوني حجراً، ناولوني تراباً رطباً، يسد به ما بين اللبن. فلما أن فرغ وحثا التراب عليه وسوى قبره. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني لأعلم أنه سيلى، ويصل البلى إليه، ولكن الله يحب عبداً إذا عمل عملاً أحكمه. فلما أن سوى التربة عليه، قالت أم سعد: يا سعد، هنيئاً لك الجنة. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أم سعد، مه لا تجزمي على ربك؛ فإن سعداً قد أصابته ضمة. قال: فرجع رسول الله صلى الله عليه وآله ورجع الناس. فقالوا له: يا رسول الله، لقد رأيناك صنعت على سعد ما لم تصنعه على أحد، إنك تبعت جنازته بلا رداء ولا حذاء؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الملائكة كانت بلا رداء ولا حذاء، فتأسيت بها. قالوا: وكنت تأخذ يمينة السرير مرة، ويسرة السرير مرة؟ قال: كانت يدي في يد جبرئيل أخذ حيث يأخذ. قالوا: أمرت بغسله، وصليت على جنازته، ولحدته في قبره، ثم قلت: إن سعداً قد أصابته ضمة؟ قال: فقال: نعم، إنه كان في خلقه مع أهله سوء»^(٣).

وعن موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أبى الله لصاحب الخلق السيئ بالتوبة». فقيل: يا رسول الله، وكيف ذلك؟ قال: «لأنه إذا

(١) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٩٧ ب ١٣٥ ح ٧.

(٢) علل الشرائع: ج ٢ ص ٤٩٢ ب ٢٤٢ ح ١.

(٣) الأمالي للصدوق: ص ٣٨٤-٣٨٥ المجلس ٦١ ح ٢.

تاب عن ذنب وقع في ذنب أعظم من الذنب الذي تاب منه»^(١).

وعن جعفر بن محمد عليه السلام عن آبائه عليهم السلام في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «يا علي، ليس على النساء جمعة» إلى أن قال: «ولا تولي القضاء ولا تستشار. يا علي، سوء الخلق شؤم، وطاعة المرأة ندامة. يا علي، إن كان الشؤم في شيء ففي لسان المرأة»^(٢).

وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «أنا أديب الله، وعلي عليه السلام أديبي. أمرني ربي بالسخاء والبر، ونهاني عن البخل والجفاء. وما شيء أبغض إلى الله عزوجل من البخل وسوء الخلق، وإنه ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل»^(٣).

وقال صلى الله عليه وآله: «من سعادة المرء حسن الخلق، ومن شقاوته سوء الخلق»^(٤).

وعن حماد بن عيسى عن الصادق عليه السلام قال: «قال لقمان: يا بني، احذر الحسد! فلا يكون من شأنك. واجتنب سوء الخلق، ولا يكون من طبعك؛ فإنك لاتضر بهما إلا نفسك. وإذا كنت أنت الضار لنفسك كفيت عدوك أمرك؛ لأن عداوتك لنفسك أضر عليك من عداوة غيرك»^(٥).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال في حديث: «وسوء الخلق زمام من عذاب الله في أنف صاحبه، والزمام بيد الشيطان يجره إلى الشر، والشر يجره إلى النار»^(٦).

٤١: عقوق الوالدين

مسألة: عقوق الوالدين من الرذائل وهو محرم، ومن مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم. قال تعالى: [وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٧٥ ب ٦٩ ح ١٣٥٥٠.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٤٦ ب ٢٥ ح ١٥٦٠٥.

(٣) مكارم الأخلاق: ص ١٧ ب ١ ف ٢ في جوده صلى الله عليه وآله.

(٤) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ٢٥٠.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٢٠ ب ٥٥ ح ١٣٣٩٩.

(٦) جامع الأخبار: ص ١٠٧ ف ٦٤.

قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا^(١).

وقال سبحانه: [وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ]^(٢).

عن ابن محبوب قال: كتب معي بعض أصحابنا إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الكبائر كم هي، وما هي؟. فكتب: «الكبائر من اجتنب ما وعد الله عليه النار، كفر عنه سيئاته إذا كان مؤمناً. والسبع الموجبات: قتل النفس الحرام، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، والتعرب بعد الهجرة، وقذف المحصنات، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف»^(٣).

وعن حديد بن حكيم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أدنى العقوق أف، ولو علم الله شيئاً أهون منه لنهى عنه»^(٤).

وعن عبد الله بن المغيرة عن أبي الحسن عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كن باراً واقتصر على الجنة، وإن كنت عاقاً فظاً فاقصر على النار»^(٥).

وعن يعقوب بن شعيب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة كشف غطاء من أغطية الجنة، فوجد ريحها من كانت له روح من مسيرة خمسمائة عام إلا صنف واحد». قلت: من هم؟. قال: «العاق لوالديه»^(٦).

وعن السكوني عن جعفر عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «فوق كل ذي بر بر، حتى يقتل في سبيل الله؛ فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه بر. وفوق كل ذي عقوق عقوق، حتى يقتل أحد والديه؛ فإذا قتل أحد والديه فليس

(١) سورة الإسراء: ٢٣.

(٢) سورة العنكبوت: ٨.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٧٦-٢٧٧ باب الكبائر ح ٢.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٢١ ص ٥٠٠ ب ١٠٤ ح ٢٧٦٩٣.

(٥) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٦٠ ب ٢ ح ٢٣.

(٦) الكافي: ج ٢ ص ٣٤٨ باب العقوق ح ٣.

فوقه عقوق»^(١).

وعن سيف بن عميرة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من نظر إلى أبويه نظر ماقت وهما ظالمان له، لم يقبل الله له صلاة»^(٢).

وعن محمد بن فرات عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلواته في كلام له: «إياكم وعقوق الوالدين! فإن ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام، ولا يجدها عاق، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان، ولا جار إزاره خيلاء، إنما الكبرياء لله رب العالمين»^(٣).

وعن إبراهيم بن أبي البلاد عن أبيه عن جده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لو علم الله شيئاً أدنى من أف لنهى عنه، وهو من العقوق وهو أدنى العقوق. ومن العقوق أن ينظر الرجل إلى أبويه يحد النظر إليهما»^(٤).

وعن عبد الله بن سليمان عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن أبي نظر إلى رجل ومعه ابنه يمشي والابن متكئ على ذراع الأب - قال -: فما كلمه أبي مقتاً له حتى فارق الدنيا»^(٥).

وعن مجاهد عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الذنوب التي تغير النعم: البغي، والذنوب التي تورث الندم: القتل، والتي تنزل النقم: الظلم، والتي تهتك الستور: شرب الخمر، والتي تحبس الرزق: الزناء، والتي تعجل الفناء: قطيعة الرحم، والتي ترد الدعاء وتظلم الهواء: عقوق الوالدين»^(٦).

وعن أبي إسحاق الهمداني عن أبيه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلواته: «ثلاث من الذنوب تعجل عقوبتها ولا تؤخر إلى الآخرة: عقوق الوالدين، والبغي على الناس، وكفر الإحسان»^(٧).

(١) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٢٢ ب ٥٤٤ ع ٤.

(٢) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ٢٠٨.

(٣) وسائل الشريعة: ج ٢١ ص ٥٠١ - ٥٠٢ ب ١٠٤ ح ٢٧٦٩٧.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ١٩٢ ب ٧٥ ح ١٧٩٧٣.

(٥) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٦٤ - ٦٥ ب ٢ ح ٢٩.

(٦) علل الشرائع: ج ٢ ص ٥٨٤ ب ٣٨٥ ح ٢٧.

(٧) الأمالي للطوسي: ص ١٤ المجلس ١ ح ١٧.

٤٢: قطيعة الرحم

مسألة: قطيعة الرحم من الرذائل المحرمة، وهي من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم. قال تعالى: [فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ] (١).

وقال سبحانه: [وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ] (٢).

وقال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى] (٣).

عن حذيفة بن منصور قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «اتقوا الحالقة فإنها تميم الرجال». قلت: وما الحالقة؟ قال: «قطيعة الرحم» (٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إن إختوتي وبني عمي قد ضيقوا عليَّ الدار، وأجئتوني منها إلى بيت، ولو تكلمت أخذت ما في أيديهم. قال: فقال لي: «اصبر فإن الله سيجعل لك فرجاً». قال: فانصرفت ووقع الوباء في سنة إحدى وثلاثين ومائة، فماتوا والله كلهم فما بقي منهم أحد. قال: فخرجت فلما دخلت عليه. قال: «ما حال أهل بيتك؟». قال: قلت: قد ماتوا والله كلهم فما بقي منهم أحد. فقال: «هو بما صنعوا بك، وبعقوقهم إياك، وقطع رحمهم بتروا. أتحب أنهم بقوا وأنهم ضيقوا عليك؟». قال: قلت: إي والله (٥).

وعن أبي عبيدة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «في كتاب علي عليه السلام: ثلاث خصال لا يموت صاحبهن أبداً حتى يرى وبالهن: البغي، وقطيعة الرحم، واليمين الكاذبة يبارز الله بها. وإن أعجل الطاعة ثواباً لصلة الرحم، وإن القوم ليكونون فجاراً فيتواصلون فتنمى أموالهم، ويبرون فتزداد أعمارهم. وإن اليمين الكاذبة، وقطيعة

(١) سورة محمد: ٢٢.

(٢) سورة الرعد: ٢٥.

(٣) سورة النحل: ٩٠.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٣٤٦ باب قطيعة الرحم ح ٢.

(٥) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ١٣٣ ب ٣ ح ١٠٣.

الرحم لتذران الديار بلاقع من أهلها ويثقلان الرحم. وإن تثقل الرحم انقطاع النسل»^(١).

وعن عنيسة العابد قال: جاء رجل فشكا إلى أبي عبد الله عليه السلام أقاربه. فقال له: «اكظم غيظك وافعل». فقال: إنهم يفعلون ويفعلون. فقال: «أتريد أن تكون مثلهم، فلا ينظر الله إليكم»^(٢).

وعن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقطع رحمك وإن قطعتك»^(٣).

وعن أبي حمزة الثمالي قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: «أعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء». فقام إليه عبد الله بن الكواء الشكري، فقال: يا أمير المؤمنين، أو يكون ذنوب تعجل الفناء؟ فقال: «نعم، ويلك قطيعة الرحم. إن أهل البيت ليجتمعون ويتواسون وهم فجرة، فيرزقهم الله عزوجل. وإن أهل البيت ليتفرون، ويقطع بعضهم بعضاً، فيحرمهم الله وهم أتقياء»^(٤).

وعن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا قطعوا الأرحام؛ جعلت الأموال في أيدي الأشرار»^(٥).

وعن أبي عبيدة الحذاء عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن في كتاب علي عليه السلام: أن اليمين الكاذبة، وقطيعة الرحم تذران الديار بلاقع من أهلها، وتنغل الرحم يعني انقطاع النسل»^(٦).

وعن عبد الله بن محمد بن طلحة عن أبي عبد الله عليه السلام: «أن رجلاً من خثعم جاء إلى رسول الله ﷺ. فقال: يا رسول الله، أخبرني ما أفضل الإسلام؟. قال: الإيمان

(١) الخصال: ج ١ ص ١٢٤ ثلاث خصال لا يموت صاحبهن حتى يرى وبالهن ح ١١٩.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٤٧ باب قطيعة الرحم ح ٥.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٧٣ ب ١٤٩ ح ١٦٢٩٠، والوسائل: ج ٢١ ص ٤٩٣ ب ٩٥ ح ٢٧٦٧٦.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ١٣٧-١٣٨ ب ٣ ح ١٠٧.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٣٤٨ باب قطيعة الرحم ح ٨.

(٦) الكافي: ج ٧ ص ٤٣٦ باب اليمين الكاذبة ح ٩.

بالله. قال: ثم ماذا؟ قال: صلة الرحم. قال: ثم ماذا؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال: فقال الرجل: فأبي الأعمال أبغض إلى الله عزوجل؟ قال: الشرك بالله. قال: ثم ماذا؟ قال: قطيعة الرحم. قال: ثم ماذا؟ قال: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف»^(١).

وعن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن علي عليه السلام قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أخاف عليكم استخفافاً بالدين، وبيع الحكم، وقطيعة الرحم، وأن تتخذوا القرآن مزامير، تقدمون أحدكم وليس بأفضلكم في الدين»^(٢).

٤٣: قول الزور

مسألة: قول الزور من الرذائل وهو محرم، وهو من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم. قال تعالى: [وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ]^(٣).

وقال سبحانه: [وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا]^(٤).

وقال تعالى: [وَأِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا]^(٥).

عن سماعة بن مهران عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزوجل: [فَأَجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ]^(٦)؟ قال: «الغناء»^(٧).

وعن أبي أسامة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الغناء عيش النفاق»^(٨).

وعن سماعة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لما مات آدم عليه السلام وشمته به إبليس

(١) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٧٦ ب ٨٠ ح ٤.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٣٠٨ ب ٩٩ ح ٢٢٦١١.

(٣) سورة الحج: ٣٠.

(٤) سورة الفرقان: ٧٢.

(٥) سورة المجادلة: ٢.

(٦) سورة الحج: ٣٠.

(٧) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٣٠٥ ب ٩٩ ح ٢٢٦٠٢.

(٨) الكافي: ج ٦ ص ٤٣١ باب الغناء ح ٢.

وقابيل. فاجتمعوا في الأرض، فجعل إبليس وقابيل المعازف والملاهي شماتة بآدم عليه السلام. فكل ما كان في الأرض من هذا الضرب الذي يتلذذ به الناس فإنما هو من ذلك»^(١).

وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «الغناء مما وعد الله عزوجل عليه النار، وتلا هذه الآية: [وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ]»^(٢).

وعن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنهاكم عن الزفن، والمزمار، وعن الكوبات والكبرات»^(٣).

وعن أبي أيوب الخزاز قال: نزلنا المدينة فأتينا أبا عبد الله عليه السلام. فقال لنا: «أين نزلتم؟». فقلنا: على فلان صاحب القيان. فقال: «كونوا كراماً». فوالله ما علمنا ما أراد به، وظننا أنه يقول: تفضلوا عليه فعدنا إليه. فقلنا: إنا لا ندرى ما أردت بقولك: كونوا كراماً؟! فقال: «أما سمعتم قول الله عزوجل في كتابه: [وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا]»^(٤).

وعن مسعدة بن زياد قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال له رجل: بأبي أنت وأمي، إنني أدخل كنيفاً لي، ولي جيران عندهم جوار يتغنين ويضربن بالعود، وربما أطلت الجلوس استماعاً مني لهن. فقال: «لا تفعل». فقال الرجل: والله ما آتيهن إنما هو سماع أسمع به أذني. فقال: «لله أنت أما سمعت الله عزوجل يقول: [إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُورًا]»^(٥). فقال: بلى، والله لكأني لم أسمع بهذه الآية من كتاب الله من أعجمي ولا عربي، لا جرم أنني لا أعود إن شاء

(١) الكافي: ج ٦ ص ٤٣١ باب الغناء ح ٣.

(٢) سورة لقمان: ٦.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٣٠٤ - ٣٠٥ ب ٩٩ ح ٢٢٥٩٩.

(٤) الكافي: ج ٦ ص ٤٣٢ باب الغناء ح ٧.

(٥) سورة الفرقان: ٧٢.

(٦) الكافي: ج ٦ ص ٤٣٢ باب الغناء ح ٩.

(٧) سورة الإسراء: ٣٦.

الله، وأني أستغفر الله. فقال له: «قم فاغتسل، وسل ما بدا لك؛ فإنك كنت مقيماً على أمر عظيم، ما كان أسوأ حالك لو مت على ذلك، احمد الله وسله التوبة من كل ما يكره؛ فإنه لا يكره إلا كل قبيح، والقبيح دعه لأهله؛ فإن لكل أهلاً»^(١).
وعن عمر الزعفراني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من أنعم الله عليه بنعمة، فجاء عند تلك النعمة بمزمار فقد كفرها. ومن أصيب بمصيبة، فجاء عند تلك المصيبة بنائحة فقد كفرها»^(٢).

وعن عبد الأعلى قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الغناء، وقلت: إنهم يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله رخص في أن يقال: جئناكم جئناكم، حيونا حيونا، نحكم؟ فقال: «كذبوا إن الله عزوجل يقول: [وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ * بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ]»^(٣). ثم قال: - ويل لفلان مما يصف، رجل لم يحضر المجلس»^(٤).

وعن إسحاق بن جرير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن شيطاناً يقال له: القفندر، إذا ضرب في منزل الرجل أربعين يوماً بالبربط، ودخل عليه الرجال، وضع ذلك الشيطان كل عضو منه على مثله من صاحب البيت، ثم نفخ فيه نفخة، فلا يغار بعدها حتى تؤتى نساؤه فلا يغار»^(٥).

وعن زيد الشحام قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «بيت الغناء لا تؤمن فيه الفجعية، ولا تجاب فيه الدعوة، ولا يدخله الملك»^(٦).

وعن الحسن بن هارون قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «الغناء مجلس

(١) الكافي: ج ٦ ص ٤٣٢ باب الغناء ح ١٠.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ١٢٧ ب ١٧ ح ٢٢١٦٠.

(٣) سورة الأنبياء: ١٦-١٨.

(٤) الكافي: ج ٦ ص ٤٣٣ باب الغناء ح ١٢.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٣١٢ ب ١٠٠ ح ٢٢٦٢٦، والوسائل: ج ٢٠ ص ١٥٣-١٥٤ ب ٧٧ ح ٢٥٢٨٦.

(٦) الكافي: ج ٦ ص ٤٣٣ باب الغناء ح ١٥.

لا ينظر الله إلى أهله وهو مما قال الله عزوجل: [وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ] (١) (٢).

٤٤: المن

مسألة: المن من الرذائل وهو محرم في بعض مراتبه ، وهو من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم.

قال تعالى: [الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ] (٣).

وقال سبحانه: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ] (٤).

وقال تعالى: [وَلَا تَمُنُّنَ تَسْتَكْبِرُونَ] (٥).

جاء في عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى الأشر: «وإياك والمن على رعيتك بإحسانك أو التزيد فيما كان من فعلك أو أن تعدهم فتتبع موعودك بخلفك، فإن المن يبطل الإحسان والتزيد يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الله وعند الناس قال الله تعالى: [كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ] (٦)» (٧).

عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله كره لي ست خصال، وكرههن للأوصياء من ولدي، وأتباعهم من بعدي: العبث في الصلاة، والرقت في الصوم، والمن بعد الصدقة، وإتيان المساجد جنباً، والتطلع في

(١) سورة لقمان: ٦.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٣٠٧ ب ٩٩ ح ٢٢٦٠٩.

(٣) سورة البقرة: ٢٦٢.

(٤) سورة البقرة: ٢٦٤.

(٥) سورة المدثر: ٦.

(٦) سورة الصف: ٣.

(٧) نهج البلاغة: الرسائل ٥٣ ومن كتاب له عليه السلام كتبه للأشر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها.

الدور، والضحك بين القبور»^(١). وقال الصادق عليه السلام: «المن يهدم الصنعة»^(٢).

وعن الحسين بن زيد عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله ﷺ في حديث المناهي قال: «ومن اصطنع إلى أخيه معروفاً فامتن به أحبط الله عمله، وثبت وزره، ولم يشكر له سعيه. - ثم قال عليه السلام: يقول الله عز وجل: حرمت الجنة على المناف، والبخيل، والقنات وهو النمام. ألا ومن تصدق بصدقة فله بوزن كل درهم مثل جبل أحد من نعيم الجنة، ومن مشى بصدقة إلى محتاج، كان له كأجر صاحبها من غير أن ينقص من أجره شيء»^(٣).

وعن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله: المناف الذي لا يعطي شيئاً إلا بمنة، والمسبل إزاره، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر»^(٤).

وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من أسدى إلى مؤمن معروفاً، ثم آذاه بالكلام، أو من عليه، فقد أبطل الله صدقته، ثم ضرب الله فيه مثلاً فقال: [كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ]»^(٥)^(٦).

وعن مسعدة بن زياد قال: حدثني جعفر عليه السلام قال: «لا يدخل الجنة: العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان بالفعال الخير إذا عمله»^(٧).

وقال رسول الله ﷺ: «الجنة دار الأسخياء. والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة: بخيل، ولا عاق والديه، ولا مان بما أعطى»^(٨).

(١) وسائل الشيعة: ج ٣ ص ٢٣٣ ب ٦٣ ح ٣٤٩٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٧١ باب فضل الصدقة ح ١٧٦٠.

(٣) الأمالي للصدوق: ص ٤٣٢ المجلس ٦٦ ح ١.

(٤) الخصال: ج ١ ص ١٨٤ ثلاثة لا يكلمهم الله عز وجل ح ٢٥٣.

(٥) سورة البقرة: ٢٦٤.

(٦) تفسير القمي: ص ٩١ قصة بخت نصر.

(٧) قرب الإسناد: ص ٤٠.

(٨) الجعفریات: ص ٢٥١ كتاب الرويا.

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «فمن أنفق ماله ابتغاء مرضات الله، ثم امتن على من تصدق عليه، كان كما قال الله: [أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ]»^(١). قال -: الإعصار الرياح. فمن امتن على من تصدق عليه، كان كمن كان له جنة كثيرة الثمار، وهو شيخ ضعيف له أولاد ضعفاء، فتجيء ريح أو نار فتحرق مال كله»^(٢).

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام: دخل رجل على محمد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام وهو مسرور. فقال: «ما لي أراك مسروراً؟». قال: يا ابن رسول الله، سمعت أباك يقول: «أحق يوم بأن يسر العبد فيه، يوم يرزقه الله صدقات ومبرات وسد خلات من إخوان له مؤمنين»، وإنه قصدني اليوم عشرة من إخواني المؤمنين الفقراء لهم عيالات، قصدوني من بلد كذا وكذا، فأعطيت كل واحد منهم فلهاذا سروري. فقال محمد بن علي عليه السلام: «لعمري إنك حقيق بأن تسر إن لم تكن أحبطته، أو لم تحبطه فيما بعد». فقال الرجل: وكيف أحبطته وأنا من شيعتكم الخالص؟! قال: «هاه، قد أبطلت برك بإخوانك وصدقاتك». قال: وكيف ذاك يا ابن رسول الله؟! قال له محمد بن علي عليه السلام: «اقرأ قول الله عز وجل: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى]»^(٣). قال الرجل: يا ابن رسول الله، ما مننت على القوم الذين تصدقت عليهم ولا أذيتهم!. قال له محمد بن علي عليه السلام: «إن الله عز وجل إنما قال: [لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى] ولم يقل: لا تبطلوا بالمن على من تتصدقون عليه، وبالأذى لمن تتصدقون عليه، وهو كل أذى»^(٤).

(١) سورة البقرة: ٢٦٦.

(٢) تفسير القمي: ص ٩٢ قصة بخت نصر.

(٣) سورة البقرة: ٢٦٤.

(٤) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣١٤-٣١٥ في معنى الرافضي وأن أول من سمي به

٤٥: مصاحبة الأشرار

مسألة: مصاحبة غير الصالحين من الرذائل وهي محرمة في بعض مراتبها، وهي من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم.

عن سفيان الثوري عن الصادق عليه السلام قال: «يا سفيان، أمرني والدي عليه السلام بثلاث ونهاني عن ثلاث، فكان فيما قال لي: يا بني، من يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يدخل مداخل السوء يتهم، ومن لا يملك لسانه يتدم»^(١).

وعن علي بن إبراهيم عن أبيه عن علي بن أسباط عنهم عليهم السلام قال: فيما وعظ الله عز وجل به عيسى عليه السلام: «يا عيسى، اعلم أن صاحب السوء يعدي، وقرين السوء يردي. واعلم من تقارن، واختر لنفسك إخواناً من المؤمنين»^(٢).

ومما وعظ لقمان به ابنه: «يا بني، الوحدة خير من صاحب السوء. يا بني، صاحب الصالح خير من الوحدة. يا بني، نقل الحجارة والحديد خير من قرين السوء. يا بني، إنني نقلت الحجارة والحديد فلم أجد شيئاً أثقل من قرين السوء. يا بني، إنه من يصحب قرين السوء لا يسلم، ومن يدخل مداخل السوء يتهم»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا صعد المنبر. قال: ينبغي للمسلم أن يجتنب مواخاة ثلاثة: الماجن، والأحمق، والكذاب. أما الماجن: فيزين لك فعله، ويجب أن تكون مثله، ولا يعينك على أمر دينك ومعادك، ومقارنته جفاء وقسوة، ومدخله ومخرجه عليك عار. وأما الأحمق: فإنه لا يشير عليك بخير، ولا يرجي لصرف السوء عنك ولو أجهد نفسه، وربما أراد منفعتك فضررك، فموته خير من حياته، وسكوته خير من نطقه، وبعده خير من قربه. وأما الكذاب: فإنه لا يهنؤك معه عيش، ينقل حديثك، وينقل إليك الحديث، كلما أفنى أحدوثة مطها بأخرى، حتى أنه يحدث بالصدق فما يصدق، ويغري بين الناس بالعداوة، فينبت السخائم في

(١) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٣٩ ب ١٨ ح ٩٦٠٠.

(٢) الكافي: ج ٨ ص ١٣٤ حديث عيسى ابن مريم عليه السلام ح ١٠٣.

(٣) الاختصاص: ص ٣٣٧ بعض وصايا لقمان الحكيم لابنه عليه السلام.

الصدور. فاتقوا الله وانظروا لأنفسكم»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «طلبت الراحة لنفسي، فلم أجد شيئاً أروح من ترك ما لا يعنيني. وتوحشت في القفر البلقع، فلم أر وحشة أشد من قرين السوء»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إياك وصاحب السوء! فإنه كالسيف كالمسلول، يروق منظره، ويقبح أثره»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «احذر مجالسة قرين السوء؛ فإنه يهلك مقارنه ويردي مصاحبه»^(٤).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «آفة الخير قرين السوء»^(٥).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «جماع الشر في مقارنة قرين السوء»^(٦).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «صاحب السوء قطعة من النار»^(٧).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «قرين السوء شر قرين وداء اللؤم داء دفين»^(٨).

وقال لقمان عليه السلام لابنه: «يا بني، لا تقترب فتكون أبعد لك، ولا تبعد فتهان. كل دابة تحب مثلها، وإن ابن آدم يحب مثله. ولا تنشر بزك إلا عند باغيه. كما ليس بين الذئب والكبش خلة، كذلك ليس بين البار والفاجر خلة. من يقترب من الزفت يعلق به بعضه، كذلك من يشارك الفاجر يتعلم من طرقة. من يحب المرء يشتم، ومن يدخل مداخل السوء يتهم، ومن يقارن قرين السوء لا يسلم، ومن لا يملك لسانه يندم»^(٩).

وفي وصية أمير المؤمنين عليه السلام لولده الحسن عليه السلام أنه قال فيها: «وإياك ومواطن

(١) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٢٠٥-٢٠٦ ب ١٤ ح ٤٣.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ٢٠ ص ٢٩٣ الحكم المنسوبة ٣٥٥.

(٣) شرح نهج البلاغة: ج ٢٠ ص ٢٧٣ الحكم المنسوبة ١٥٧.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٣١ ق ٦ ب ٣ ف ٢ ذم قرين السوء ح ٩٨١٦.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٣١ ق ٦ ب ٣ ف ٢ ذم قرين السوء ح ٩٨١٧.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٣١ ق ٦ ب ٣ ف ٢ ذم قرين السوء ح ٩٨١٨.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٣١ ق ٦ ب ٣ ف ٢ ذم قرين السوء ح ٩٨١٩.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٣١ ق ٦ ب ٣ ف ٢ ذم قرين السوء ح ٩٨٢٠.

(٩) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٢ باب من تكره مجالسته ومرافقته ح ٩.

التهمة! والمجلس المظنون به السوء؛ فإن قرين السوء يغير جليسه»^(١).

وعن النبي ﷺ أنه قال: «الوحدة خير من قرين السوء»^(٢).

وعن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال

رسول الله ﷺ: «راحة النفس ترك ما لا يعينها، وأوحش الوحشة قرين السوء»^(٣).

وقال موسى عليه السلام: «من قطع قرين السوء فكأنما عمل بالتوراة»^(٤).

٤٦: الخيانة

مسألة: الخيانة من الرذائل وهي محرمة، وهي من مقومات أو مصاديق العنف

بالمعنى الأعم. قال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا]^(٥).

وقال سبحانه: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ]^(٦).

وقال تعالى: [وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ]^(٧).

وقال سبحانه: [إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ]^(٨).

في خبر المناهي قال النبي ﷺ: «من خان جاره شبراً من الأرض، جعله الله طوقاً

في عنقه من تخوم الأرض السابعة، حتى يلقي الله يوم القيامة مطوقاً، إلا أن يتوب

ويرجع. وقال: من خان أمانة في الدنيا، ولم يردّها إلى أهلها، ثم أدركه الموت، مات

على غير ملتي، ويلقى الله وهو عليه غضبان. وقال: من اشترى خيانة وهو يعلم فهو

(١) الأماي للمفيد: ص ٢٢٢ المجلس ٢٦ ح ١.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٣١٢ ب ٣٦ ح ١٤١٧٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ١٦٧ ب ١٠ ح ٣٢.

(٤) جامع الأخبار: ص ١٨٠ ف ١٤٨.

(٥) سورة النساء: ١٠٧.

(٦) سورة الأنفال: ٢٧.

(٧) سورة يوسف: ٥٢.

(٨) سورة الحج: ٣٨.

كالذي خانه»^(١).

وعن عبد العظيم الحسيني عليه السلام عن أبي الحسن الثالث عليه السلام قال: «كان فيما ناجى موسى ربه: إلهي ما جزاء من ترك الخيانة حياء منك؟. قال: يا موسى، له الأمان يوم القيامة»^(٢).

وعن إسماعيل بن مسلم عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع لا تدخل بيتا واحدة منهن إلا خرب ولم يعمر بالبركة: الخيانة والسرقة وشرب الخمر والزنا»^(٣).

وعن ابن علوان عن جعفر عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ: «الأمانة تجلب الغنى، والخيانة تجلب الفقر»^(٤).

وعن ابن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «ثلاث من كن فيه زوجه الله من الحور العين كيف شاء: كظم الغيظ، والصبر على السيوف لله عزوجل، ورجل أشرف على مال حرام فتركه لله عز وجل»^(٥).

وعن عبد الرحمن العرزمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يقول إبليس لعنه الله: ما أعياني في ابن آدم، فلن يعينني منه واحدة من ثلاث: أخذ ماله من غير حله، أو منعه من حقه، أو وضعه في غير وجهه»^(٦).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى يعذب ستة ستة: العرب بالعصبية، والدهاقنة بالكبر، والأمراء بالجور، والفقهاء بالحسد، والتجار بالخيانة، وأهل الرستاق بالجهل»^(٧).

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ١٢ و ١٥ باب ذكر جمل من مناهي النبي ﷺ ح ٤٩٦٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٧٠ ب ٥٨ ح ١.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٢٨ ص ٢٤٢ ب ١ ح ٣٤٦٥٦.

(٤) قرب الإسناد: ص ٥٥.

(٥) الخصال: ج ١ ص ٨٥ ثلاث من كن فيه زوجه الله من الحور العين ح ١٤.

(٦) وسائل الشيعة: ج ٩ ص ٤٥ ب ٦ ح ١١٤٨٥.

(٧) مشكاة الأنوار: ص ١٤٩ ف ١١.

وعن السكوني عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال أمتي بخير ما لم يتخاونوا، وأدوا الأمانة، وآتوا الزكاة. وإذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط والسنين»^(١).

وعن الحسن بن محبوب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يكون المؤمن بخيلاً؟ قال: «نعم». قلت: فيكون جباناً؟ قال: «نعم». قلت: فيكون كذاباً؟ قال: «لا ولا خائناً» ثم قال: «يجبل المؤمن على كل طبيعة إلا الخيانة والكذب»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «ليس منا من يحقر الأمانة يعني يستهلكها إذا استودعها، وليس منا من خان مسلماً في أهله وماله»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «ليس منا من خان بالأمانة»^(٤).

٤٧: الإسراف

مسألة: الإسراف من الرذائل المحرمة، وهو من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم. قال تعالى: [وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا]^(٥).

وقال سبحانه: [وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ]^(٦).

وقال تعالى: [وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ]^(٧).

وقال سبحانه: [وَكُلُّوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ]^(٨).

وعن عامر بن جذاعة قال: دخل على أبي عبد الله عليه السلام رجل. فقال: يا أبا عبد

(١) ثواب الأعمال: ص ٢١٥ عقاب التباغض والتخاون.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٧٢ ب ٥٨ ح ١١.

(٣) الاختصاص: ص ٢٤٨ حديث في زيارة المؤمن لله.

(٤) مسندك الوسائل: ج ١٤ ص ١٣ ب ٣ ح ١٥٩٦٨.

(٥) سورة الفرقان: ٦٧.

(٦) سورة الأنعام: ١٤١.

(٧) سورة غافر: ٤٣.

(٨) سورة الأعراف: ٣١.

الله، قرضاً إلى ميسرة. فقال أبو عبد الله عليه السلام: «إلى غلة تدرِك؟». فقال: لا والله. فقال: «إلى تجارة تؤدي؟». فقال: لا والله. قال: «فإلى عقدة تباع؟». فقال: لا والله. فقال: «أنت إذا ممن جعل الله له في أموالنا حقاً». فدعا أبو عبد الله عليه السلام بكيس فيه دراهم فأدخل يده فناوله قبضة. ثم قال: «اتق الله، ولا تسرف، ولا تقتِر، وكن بين ذلك قواماً، إن التبذير من الإسراف. قال الله: [وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا] ^(١)، وقال: إن الله لا يعذب على القصد» ^(٢).

وعن بشر بن مروان قال: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام فدعا برطب. فأقبل بعضهم يرمي بالنوى - قال -: وأمسك أبو عبد الله عليه السلام يده. فقال: «لا تفعل إن هذا من التبذير، [وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ] ^(٣)» ^(٤).

وعن أبي السفاتج عن بعض أصحابه: أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام، فقال: إنا نكون في طريق مكة فنريد الإحرام، فلا يكون معنا نخالة نتدلك بها من النورة، فتتدلك بالدقيق فيدخلني من ذلك ما الله به أعلم. قال: «مخافة الإسراف؟». قلت: نعم. قال: «ليس فيما أصلح البدن إسراف، إني ربما أمرت بالنقي فيلت بالزيت فأتدلك به، إنما الإسراف فيما أتلّف المال وأضرّ بالبدن». قلت: فما الإقتار؟ قال: «أكل الخبز والملح وأنت تقدر على غيره». قلت: فالقصد؟ قال: «الخبز واللحم واللبن والزيت والسمن مرة ذاً ومرة ذاً» ^(٥).

وعن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أدنى الإسراف: هراقة فضل الإناء، وابتذال ثوب الصون، وإلقاء النوى» ^(٦).

وعن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يكون للمؤمن عشرة أقمصة؟ قال: «نعم». قلت: عشرون؟ قال: «نعم». قلت: ثلاثون؟ قال: «نعم»،

(١) سورة الإسراء: ٢٦.

(٢) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢٨٨ ومن سورة بني إسرائيل ح ٥٦.

(٣) سورة البقرة: ٢٠٥.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ٢٦٨ ب ٢٣ ح ١٨٢٠٨.

(٥) مكارم الأخلاق: ص ٥٧-٥٨ ب ٣ ف ٣.

(٦) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٣٠٣ ب ٧٧ ح ٧.

ليس هذا من السرف، إنما السرف أن تجعل ثوب صونك ثوب بذلتك»^(١).

وروى الأصمغ بن نباته عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «للمسرف ثلاث علامات: يأكل ما ليس له، ويشترى ما ليس له، ويلبس ما ليس له»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «السرف في ثلاث: ابتذالك ثوب صونك، وإلقاؤك النوى يميناً وشمالاً، وإهراقك فضلة الماء - وقال -: ليس في الطعام سرف»^(٣).

وعن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «أترى الله أعطى من أعطى من كرامته عليه، ومنع من منع من هوان به عليه! لا ولكن المال مال الله يضعه عند الرجل ودائع، وجوز لهم أن يأكلوا قصداً، ويشربوا قصداً، ويلبسوا قصداً، وينكحوا قصداً، ويركبوا قصداً، ويعودوا بما سوى ذلك على فقراء المؤمنين، ويلموا به شعثهم. فمن فعل ذلك كان ما يأكل حلالاً، ويشرب حلالاً، ويركب حلالاً، وينكح حلالاً، ومن عدا ذلك كان عليه حراماً. ثم قال: [لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ]^(٤)، أترى الله ائتمن رجلاً على مال خول له أن يشتري فرساً بعشرة آلاف درهم، ويجزيه فرس بعشرين درهماً، ويشترى جارية بألف دينار، ويجزيه جارية بعشرين ديناراً، وقال: [وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ]^(٥)»^(٦).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الإسراف يعني الكثير»^(٧).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أقبح البذل السرف»^(٨).

وقال عليه السلام: «ذر السرف؛ فإن المسرف لا يحمد جوده، ولا يرحم فقره»^(٩).

وقال عليه السلام: «ويح المسرف، ما أبعد عن صلاح نفسه، واستدراك أمره»^(١٠).

(١) الكافي: ج ٦ ص ٤٤١ باب اللباس ح ٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ١٦٧ باب المعاش والمكاسب ح ٣٦٢٤.

(٣) الخصال: ج ١ ص ٩٣ السرف في ثلاث ح ٣٧.

(٤) سورة الأنعام: ١٤١، سورة الأعراف: ٣١.

(٥) سورة الأنعام: ١٤١، سورة الأعراف: ٣١.

(٦) تفسير العياشي: ج ٢ ص ١٣ من سورة الأعراف ح ٢٣.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٥٩ ق ٥ ب ٢ ف ١ ح ٨١١٩.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٥٩ ق ٥ ب ٢ ف ١ ح ٨١٢٢.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٥٩ ق ٥ ب ٢ ف ١ ح ٨١٢٥.

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «رب فقير هو أسرف من الغني إن الغني ينفق مما أوتي والفقير ينفق من غير ما أوتي»^(١).

٤٨: التبذير

مسألة: التبذير من الرذائل المحرمة، وهو من مقومات أو مصاديق العنف بالمعنى الأعم. قال تعالى: [وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كُفُورًا]^(٢).

وقال سبحانه: [وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا]^(٣).

عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله: [وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا]^(٤)؟ قال: «من أنفق شيئاً في غير طاعة الله فهو مبذر، ومن أنفق في سبيل الخير فهو مقتصد»^(٥).

وفي قرب الإسناد عن علي بن أبي طالب عليه السلام كان يقول: «لا يذوق المرء من حقيقة الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال: الفقه في الدين، والصبر على المصائب، وحسن التقدير في المعاش»^(٦).

وروي: أن جبرئيل عليه السلام أهبط إلى رسول الله ﷺ. فقال: «يا رسول الله، إن الله عزوجل يقرأ عليك السلام، ويقول لك اقرأ: [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ]^(٧) الآية، فأمر النبي ﷺ منادياً ينادي: من

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٥٩ ق ٥ ب ٢ ف ١ ح ٨١٣٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢١ ص ٥٥٨ ب ٢٩ ح ٢٧٨٦٧.

(٣) سورة الإسراء: ٢٦ - ٢٧.

(٤) سورة الإسراء: ٢٩.

(٥) سورة الإسراء: ٢٦.

(٦) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢٨٨ ومن سورة بني إسرائيل ح ٥٣.

(٧) قرب الإسناد: ص ٤٦.

(٨) سورة الحجر: ٨٨.

لم يتأدب بأدب الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات»^(١).

وعن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام في قوله: [وَلَا تُبْذِرْ نَبْذِيرًا]^(٢)؟ قال: «بذل الرجل ماله، ويقعده ليس له مال». قال: فيكون تبذير في حلال؟ قال: «نعم»^(٣).

وعن علي بن جذاعة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «اتق الله ولا تسرف، ولا تقتّر، وكن بين ذلك قواماً. إن التبذير من الإسراف، وقال الله: [لَا تُبْذِرْ نَبْذِيرًا]^(٤)، إن الله لا يعذب على القصد»^(٥).

وعن بشر بن مروان قال: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام فدعا برطب. فأقبل بعضهم يرمي بالنوى - قال -: وأمسك أبو عبد الله عليه السلام يده. فقال: «لا تفعل إن هذا من التبذير، [وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ]^(٦)»^(٧).

عن ربيعة وعمارة وغيرهما: أن طائفة من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مشوا إليه عند تفرق الناس عنه، وفرار كثيرهم إلى معاوية طلباً لما في يديه من الدنيا. فقالوا: يا أمير المؤمنين، أعط هذه الأموال، وفضل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم، ومن يخاف عليه من الناس فراره إلى معاوية. فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: «أ تأمروني أن أطلب النصر بالجور، لا والله لا أفعلن ما طلعت شمس ولاح في السماء نجم. والله لو كان مالي لواسيت بينهم، وكيف وإنما هو أموالهم. قال: ثم أرم أمير المؤمنين عليه السلام طويلاً ساكتاً، ثم قال: «من كان له مال فإياه والفساد! فإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف، وهو وإن كان ذكراً لصاحبه في الدنيا والآخرة، فهو يضيعه عند الله عز وجل. ولم يضع رجل ماله في غير حقه، وعند

(١) فقه الرضا عليه السلام: ص ٣٦٤ ب ٩٨.

(٢) سورة الإسراء: ٢٦.

(٣) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢٨٨ ومن سورة بني إسرائيل ح ٥٤.

(٤) سورة الإسراء: ٢٦.

(٥) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٣٠٢ ب ٧٧ ح ٣.

(٦) سورة البقرة: ٢٠٥.

(٧) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ٢٦٨ ب ٢٣ ح ١٨٢٠٨.

غير أهله إلا حرمه الله شكرهم، وكان لغيره ودهم، فإن بقي معه من يوده، ويظهر له الشكر؛ فإنما هو ملق وكذب، يريد التقرب به إليه، لينال منه مثل الذي كان يأتي إليه من قبل. فإن زلت بصاحبه النعل، فاحتاج إلى معونته أو مكافاته، فشر خليل وأأم خدين. و من ضيع المعروف فيما أتاه فليصل به القرابة، وليحسن فيه الضيافة، وليفك به العاني، وليعن به الغارم، وابن السبيل، والفقراء، والمجاهدين في سبيل الله، وليصبر نفسه على النوائب والحقوق؛ فإن الفوز بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا، ودرك فضائل الآخرة»^(١).

وعن حماد بن واقد اللحام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لو أن رجلاً أنفق ما في يديه في سبيل من سبيل الله، ما كان أحسن ولا وفق، أليس الله يقول: [وَلَا تُنْفِقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ]^(٢)، يعني المقتصدين»^(٣).
وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «كن سمحاً ولا تكن مبذراً، وكن مقدراً ولا تكن مقتراً»^(٤).

وقال عليه السلام: «لا جهل كالتبذير»^(٥).

وقال عليه السلام: «التبذير عنوان الفاقة»^(٦).

وقال عليه السلام: «الحازم من تجنب التبذير وعاف السرف»^(٧).

وقال عليه السلام: «عليك بترك التبذير والإسراف، والتخلق بالعدل والإنصاف»^(٨).

وقال عليه السلام: «من افتخر بالتبذير احتقر بالإفلاس»^(٩).

(١) الأمالي للطوسي: ص ١٩٤ - ١٩٥ المجلس ٧ ح ٣٣١.

(٢) سورة البقرة: ١٩٥.

(٣) الكافي: ج ٤ ص ٥٣ باب فضل القصد ح ٧.

(٤) نهج البلاغة: قصار الحكم ٣٣.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٦٠ ق ٥ ب ٢ ف ٢ ح ٤٤٤.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٥٩ ق ٥ ب ٢ ف ٢ ح ٨١٣.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٥٩ ق ٥ ب ٢ ف ٢ ح ٨١٣٧.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٥٩ ق ٥ ب ٢ ف ٢ ح ٨١٣٨.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٦٠ ق ٥ ب ٢ ف ٢ ح ٤١٤١.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من أشرف الشرف الكف عن التبذير والسرف»^(١).
وقال عليه السلام: «إذا أقبلت الدنيا فأنفق منها فإنها لا بقي وإذا ما أدبرت فأنفق منها فإنها لا تبنى وأنشد:

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف
وإن تولت فأحرى أن تجود بها فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف^(٢)

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الفرق بين السخاء والتبذير: أن السخي يسمح بما يعرف مقداره، ومقدار الرغبة فيه إليه، ويضعه بحيث يحسن وضعه، وتزكو عارفته. والمبذر: يسمح بما لا يوازن به رغبة الراغب، ولا حق القاصد، ولا مقدار ما أولى، ويستفزه لذلك خطرة من خطراته، والتصدي لإطراء مطرله بينهما بون بعيد»^(٣).

وقيل: إن رجلاً سأل الصادق عليه السلام. فقال: يا ابن رسول الله، ما حد التبذير والتبذير والتقتير؟ فقال: «التبذير: أن تتصدق بجميع مالك، والتبذير: أن تنفق بعضه، والتقتير: أن لا تنفق من مالك شيئاً». فقال: زدني بياناً يا ابن رسول الله؟ قال: «فقبض رسول الله ﷺ قبضة من الأرض، وفرق أصابعه ثم فتح كفه، فلم يبق في يده شيء، فقال: هذا التبذير. ثم قبض قبضة أخرى وفرق أصابعه، فنزل البعض وبقي البعض، فقال: هذا التبذير. ثم قبض قبضة أخرى وضم كفه حتى لم ينزل منه شيء، فقال: هذا التقتير»^(٤).

وجاء في دعاء الإمام السجاد عليه السلام في المعونة على قضاء الدين: «اللهم صل على محمد وآله، واحجبني عن السرف والازدياد، وقومني بالبذل والاقتصاد، وعلمني حسن التقدير، واقبضني بلطفك عن التبذير، وأجر من أسباب الحلال أرزاقني، ووجه في أبواب البر إنفاقي، وازو عني من المال ما يحدث لي مخيلة، أو تأدياً إلى بغي، أو ما أتعقب منه طغياناً»^(٥).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٦٠ ق ٥ ب ٢ ف ٢ ح ٨١٤٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٨٩ ب ١٦ ضمن ح ٩٢.

(٣) شرح نهج البلاغة: ج ٢٠ ص ٢٧٩ الحكم المنسوبة ٢١٣.

(٤) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٣٨ - ١٣٩ ب ٤٣.

(٥) الصحيفة السجادية: الدعاء ٣٠ وكان من دعائه عليه السلام في المعونة على قضاء الدين.

٤٩: إيذاء الحيوان

مسألة: لا يجوز إيذاء الحيوان وينبغي عدم العنف به، وإيذاؤه من مصاديق أو مقومات العنف بالمعنى الأعم. قال تعالى: [وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ] (١).

وقال سبحانه حكاية عن إبليس: [وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَبْتِكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ] (٢).

في خبر مناهي النبي ﷺ قال: «ونهى عن ضرب وجوه البهائم» (٣).

وعن السكوني عن جعفر بن محمد ﷺ عن أبيه ﷺ عن آبائه ﷺ عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «للدابة على صاحبها خصال ست: يبدأ بعلفها إذا نزل، ويعرض عليها الماء إذا مر به، ولا يضرب وجهها؛ فإنها تسبح بحمد ربها، ولا يقف على ظهرها إلا في سبيل الله عز وجل، ولا يحملها فوق طاقتها، ولا يكلفها من المشي إلا ما تطيق» (٤).

وعن إسماعيل بن مسلم السكوني قال: قال الصادق جعفر بن محمد ﷺ: «للدابة على صاحبها سبعة حقوق: لا يحملها فوق طاقتها، ولا يتخذ ظهرها مجلساً يتحدث عليه، ويبدأ بعلفها إذا نزل، ولا يسمها في وجهها، ولا يضربها في وجهها؛ فإنها تسبح، ويعرض عليها الماء إذا مر به، ولا يضربها على النفار، ويضربها على العثار؛ لأنها ترى ما لا ترون» (٥).

وعن أمير المؤمنين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ولا يرتدف ثلاثة على دابة؛ فإن أحدهم ملعون، وهو المقدم» (٦).

(١) سورة النحل: ٥-٨.

(٢) سورة النساء: ١١٩.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٩ باب ذكر جمل من مناهي النبي ﷺ ح ٤٩٦٨.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦١ ص ٢٠١ ب ٨ ح ١.

(٥) الأمالي للصدوق: ص ٥٠٧ المجلس ٧٦ ح ٢.

(٦) علل الشرائع: ج ٢ ص ٥٨٣ ب ٣٨٥ ح ٢٣.

وعن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: «أن النبي صلى الله عليه وآله أبصر ناقه معقولة وعليها جهازها. فقال: أين صاحبها؟ مروه فليستعد غداً للخصومة»^(١).

وعن ابن فضال عن حماد اللحام قال: مر قطار لأبي عبد الله عليه السلام، فرأى زاملة قد مالت. فقال: «يا غلام، اعدل على هذا الجمل؛ فإن الله تعالى يحب العدل»^(٢).

وعن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «حج علي بن الحسين عليه السلام على راحلته عشر حجج ما قرعها بسوط، ولقد بركت به سنة من سنواته فما قرعها بسوط»^(٣).

وعن يونس بن يعقوب عن الصادق عليه السلام قال: «قال علي بن الحسين عليه السلام لابنه محمد عليه السلام حين حضرته الوفاة: إنني قد حججت على ناقتي هذه عشرين حجة فلم أقرعها بسوط قرعة. فإذا نفقت فادفنها لا يأكل لحمها السباع؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما من بعير يوقف عليه موقف عرفة سبع حجج إلا جعله الله من نعم الجنة، وبارك في نسله. فلما نفقت حفر لها أبو جعفر عليه السلام ودفنها»^(٤).

وعن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن لكل شيء حرمة، وحرمة البهائم في وجوهها»^(٥).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تضربوا وجوه الدواب، وكل شيء فيه الروح؛ فإنه يسبح بحمد الله»^(٦).

وعن علي بن حسان قال: قال أبو ذر تقول الدابة: (اللهم ارزقني ملك صدق يرفق بي، ويحسن إلي، ويطعمني ويسقيني، ولا يعنف علي) ^(٧).

وعن علي بن جعفر عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: «ما من دابة يريد صاحبها أن

(١) المحاسن: ج ٢ ص ٣٦١ ب ٢٤ ح ٩٠.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٥٤٠-٥٤١ ب ٥٠ ح ١٥٤٨٤.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦١ ص ٢٠٤ ب ٨ ح ٦، والبحار: ج ٩٦ ص ١٢٢ ب ٢٠ ح ٥.

(٤) ثواب الأعمال: ص ٥٠ باب نادر.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٤٨٤ ب ١٠ ح ١٥٣٢٦.

(٦) المحاسن: ج ٢ ص ٦٣٣ ب ١٤ ح ١١٦.

(٧) بحار الأنوار: ج ٦١ ص ٢٠٥ ب ٨ ح ٨.

يركبها إلا قالت: اللهم اجعله بي رحيماً»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «رئي أبو ذر (رضي الله عنه) يسقي حماراً بالريذة. فقال له بعض الناس: أما لك يا أبا ذر من يكفيك سقي الحمار؟. فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما من دابة إلا وهي تسأل الله كل صباح: اللهم ارزقني مليكاً صالحاً يشبعني من العلف، ويرويني من الماء، ولا يكلفني فوق طاقتي. فأنا أحب أن أسقيه بنفسي»^(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تتخذوا ظهور الدواب كراسي، فرب دابة مركوبة خير من راکبها، وأطوع لله تعالى وأكثر ذكراً»^(٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله تبارك وتعالى يحب الرفق ويعين عليه فإذا ركبتم الدواب العجاف فأنزلوها منازلها فإن كانت الأرض مجدبة فأنجوا عليها وإن كانت مخصبة فأنزلوها منازلها»^(٤).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «بعث أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) مصداقاً من الكوفة إلى باديتها. فقال له: ... فإذا قبضته فلا توكل به إلا ناصحاً شفيقاً أميناً حفيظاً، غير معنف لشيء منها، ثم احذر كل ما اجتمع عندك من كل ناد إلينا، نصيره حيث أمر الله عزوجل. فإذا انحدر بها رسولك، فأوعز إليه أن لا يحول بين ناقة وبين فصيلها، ولا يفرق بينهما، ولا يمصرن لبنها فيضر ذلك بفصيلها، ولا يجهد بها ركوباً، وليعدل بينهن في ذلك، وليوردهن كل ماء يمر به، ولا يعدل بهن عن نبت الأرض إلى جواد الطريق في الساعة التي فيها تريح وتغبق، وليرفق بهن جهده، حتى يأتينا بإذن الله سبحانه سماناً، غير متعبات ولا مجهدات، فيقسمن بإذن الله على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله على أولياء الله» الحديث^(٥).

(١) مسائل علي بن جعفر عليه السلام: ص ٣٤٩ الأخلاقيات ح ٨٦١.

(٢) الكافي: ج ٦ ص ٥٣٧ باب نوادر في الدواب ح ٢.

(٣) نوادر الراوندي: ص ١٤-١٥.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٨٩-٢٩٠ باب حسن القيام على الدواب ح ٢٤٨٠.

(٥) الكافي: ج ٣ ص ٥٣٦-٥٣٨ باب أدب المصدق ح ١.

٥٠: العدوان

مسألة: لا يجوز العدوان، وهو من مصاديق أو مقومات العنف بالمعنى الأعم.
قال تعالى: [وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ]^(١).

وقال سبحانه: [وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمْ
السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ]^(٢).

وقال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ]^(٣).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد»^(٤).

وعن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «وجدنا في كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا
ظهر الزنا من بعدي كثر موت الفجأة، وإذا طفف المكيال والميزان أخذهم الله بالسنين
والنقص، وإذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركتها من الزرع والثمار والمعادن كلها،
وإذا جاروا في الأحكام تعاونوا على الظلم والعدوان»^(٥).

وعن سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث قال: «والنفاق
على أربع دعائم: على الهوى، والهوى، والهوينا، والحفيظة، والطمع. فالهوى على أربع
شعب: على البغي، والعدوان، والشهوة، والطغيان. فمن بغى كثر غوائله، وتخلى
منه، ونصر عليه. ومن اعتدى لم تؤمن بوائقه، ولم يسلم قلبه»^(٦).

وعن عبد الرحمن بن الحجاج قال: بعث إليَّ أبو الحسن موسى عليه السلام بوصية أمير
المؤمنين عليه السلام وهي: «بسم الله الرحمن الرحيم - إلى أن قال -: وإياكم والتقاطع

(١) سورة المائدة: ٢.

(٢) سورة المائدة: ٦٢.

(٣) سورة المجادلة: ٩.

(٤) نهج البلاغة: قصار الحكم ٢٢١.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٣٧٤ باب في عقوبات المعاصي العاجلة ح ٢.

(٦) كتاب سليم بن قيس: ص ٩٥٢ ح ٨٦.

والتدابير والتفرقة وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب»^(١).

وعن إسماعيل بن مخلد السراج عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرجت هذه الرسالة من أبي عبد الله عليه السلام إلى أصحابه: «بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فاسألوا ربكم العافية - إلى أن قال -: فاتقوا الله وكفوا ألسنتكم إلا من خير. وإياكم أن تزلقوا ألسنتكم بقول الزور والبهتان، والإثم والعدوان؛ فإنكم إن كلفتم ألسنتكم عما يكرهه الله مما نهاكم عنه، كان خيراً لكم عند ربكم من أن تزلقوا ألسنتكم به؛ فإن زلق اللسان فيما يكره الله، وما ينهى عنه، مرداة للعبد عند الله، ومقت من الله»^(٢).

وعن أبي الصباح قال: سمعت كلاماً يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وعن علي عليه السلام وعن ابن مسعود، فعرضته على أبي عبد الله عليه السلام. فقال: «هذا قول رسول الله صلى الله عليه وآله أعرفه - إلى أن قال -: وإن أمر الله تبارك وتعالى نازل ولو كره الخلائق، وكل ما هو آت قريب، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. فتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله شديد العقاب»^(٣).

وذكر السيد علي بن طاوس رحمته الله في سعد السعود: من سنن إدريس عليه السلام: «إذا دخلتم في الصلاة فاصرفوا لها خواطركم وأفكاركم. وادعوا الله دعاء طاهراً متفرغاً، وسلوه مصالحكم ومنافعكم، بخضوع وخشوع، وطاعة واستكانة. وإذا بركتم وسجدتم فابعدوا عن نفوسكم أفكار الدنيا، وهواجس السوء، وأفعال الشر، واعتقاد المكر، وأكل السحت، والعدوان، والأحقاد، واطرحوا بينكم ذلك كله»^(٤).

وقال النبي صلى الله عليه وآله في جواب شمعون بن لاوي بن يهودا، من حواربي عيسى عليه السلام: «... وأما علامة الفاسق فأربعة: اللهو، واللغو، والعدوان، والبهتان»^(٥).

(١) بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ٢٤٩ ب ١٢٧ ح ٥١.

(٢) الكافي: ج ٨ ص ٣٥٢ كتاب الروضة ح ١.

(٣) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ٩٢.

(٤) سعد السعود: ص ٤٠.

(٥) تحف العقول: ص ٢٢ ومن حكمه صلى الله عليه وآله وكلامه.

ودعا علي عليه السلام زياد بن النضر، وشريح بن هانئ، وكانا على مذبح والأشعرين. قال: «يا زياد، اتق الله في كل ممسى ومصبح، وخف على نفسك الدنيا الغرور، ولا تأمنها على حال من البلاء. واعلم أنك إن لم تنزع نفسك عن كثير مما يجب مخافة مكروهة، سمت بك الأهواء إلى كثير من الضر، فكن لنفسك مانعاً وازعاً من البغي، والظلم، والعدوان»^(١).

وكتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى أمراء الأجناد، وكان قد قسم عسكره أسباعاً، فجعل على كل سبع أميراً: «أما بعد، فإني أبرأ إليكم من معرة الجنود، إلا من جوعه إلى شعبة، ومن فقر إلى غنى، أو عمى إلى هدى؛ فإن ذلك عليهم. فأغربوا الناس عن الظلم والعدوان، وخذوا على أيدي سفهائكم»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أفضل الإيمان الإخلاص والإحسان، وأقبح الشيم التجافي والعدوان»^(٣).

وقال عليه السلام: «ما أقرب النقمة من أهل البغي والعدوان»^(٤).

وقال عليه السلام: «القدرة يزيلها العدوان»^(٥).

وقال عليه السلام: «من سل سيف العدوان سلب عز السلطان»^(٦).

وقال عليه السلام: «الصيدق من كان ناهياً عن الظلم والعدوان، معيناً على البر

والإحسان»^(٧).

وقال عليه السلام: «أقبح الشيم العدوان»^(٨).

(١) وقعة صفين: ص ١٢١ - ١٢٢ نصيحة علي عليه السلام لزياد بن النضر وشريح بن هانئ.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ٣ ص ١٩٤ كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية وجوابه عليه.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٨ ق ١ ب ٢ ف ٦ كمال الإيمان ح ١٤٧٩.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٦ ق ٤ ب ٢ ف ٧ البغي ح ٧٩٤٨، والغرر: ص ٤٥٦

ق ٦ ب ٥ ف ١ بالظلم تزول النعم وتجلب النقم ح ١٠٤٢٥.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٦ ق ٤ ب ٢ ف ٧ الظلم والجور ح ٧٩٦٦.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٨ ق ٤ ب ٢ ف ٨ آثار الحكومة الجائرة ح ٨٠٤٩.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤١٥ ق ٦ ب ٢ ف ٢ من أحبك نهاك ح ٩٤٧٧.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٦١ ق ٦ ب ٥ ف ٥ نمها ح ١٠٥٦٦.

خاتمة

وهذا آخر ما أردنا بيانه في هذا الكتاب والله الموفق للصواب.
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب
العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

قم المقدسة
محمد الشيرازي

الفهرس

٢٠.....	المقدمة
٢٣.....	تمهيد

- ٢٥..... السلام في الإسلام
- ٢٨..... السلام مسؤولية الجميع
- ٣٠..... المعنى الشمولي للسلام والسلام
- ٣١..... □ الفصل الأول: دعوة الإسلام للسلام والمقارنة بين الديانات والحضارات
- ٣٧..... دور الإسلام في نشر السلام وتهذيب الإنسان
- ٤٤..... حرية العقيدة والأديان في ظل الإسلام
- ٥٦..... الفتوحات الإسلامية ونشر الدعوة عبر السلم والسلام
- ٦٤..... العلاقة بين المسلمين وغيرهم
- ٨٩..... □ الفصل الثاني: السلم والسلام في السياسة والحكم
- ٩١..... أصالة الحرية السياسية
- ٩٨..... مبدأ الاستشارة وخصائصه وتطبيقاته
- ١٠٦..... الحركات والتيارات الإسلامية المعاصرة
- ١١٤..... دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ١١٩..... نظرة الإسلام لظاهرة العنف والإرهاب
- ١٢٥..... أنواع الإرهاب
- ١٣٤..... الدور الإسلامي في إزالة الإرهاب
- ١٥٠..... مسائل في السلم والسلام السياسي
- ١٥٩..... □ الفصل الثالث: السلم والسلام في الاقتصاد
- ١٦١..... التطرف والإرهاب الاقتصادي
- ١٦٨..... دور التكافل الاجتماعي في تكامل السلام الاقتصادي
- ١٧٧..... صور من التكافل الاجتماعي الإسلامي
- ١٩٣..... السلام والعدالة في حقوق الملكية الفردية
- ٢٠٣..... نظرة الإسلام الاقتصادية في القضاء على الفقر
- ٢٤٧..... مسائل في السلم والسلام الاقتصادي
- ٢٤٩..... □ الفصل الرابع: السلم والسلام في باب الجهاد
- ٢٥١..... هل يمكن تحقيق السلام بدون ثمن
- ٢٥٦..... السلم طريق السلام
- ٢٦١..... خطوات مسيرة الرسالة الإسلامية
- ٢٧٠..... إذن المعصوم عليه السلام أو شورى المراجع
- ٢٨٣..... أسس السلم في ميادين الحرب

٢٨٨	أسباب النزاعات والمعارك بين المذاهب
٢٩٤	مسائل في السلم والسلام الجهادي
٢٩٧	□ الفصل الخامس: السلم والسلام في العلاقات الإنسانية والروحية (السلم الاجتماعي)
٢٩٩	البعد الإنساني لمفهوم المساواة في السلم
٣١٣	المساواة بين الرجل والمرأة في الشرع الإسلامي
٣١٩	نماذج من قانون المساواة في المجتمع الإسلامي
٣٢٨	موارد الاستثناء في المساواة
٣٤٤	جملة من مصاديق السلم والسلام الاجتماعيين
٣٤٤	التحية في الإسلام
٣٦٠	الأخوة الإسلامية
٣٦٩	صلة الأرحام ٣
٣٧٦	حسن الصحبة والمعاشرة
٣٨٠	خصائص العلاقات الإنسانية في المجتمع الإسلامي
٣٨٦	أثر الأخلاق الإسلامية في دعم الروابط الاجتماعية
٤٠٦	السلم والعلاقات الروحية
٤١٩	□ فصل: السلم والسلام الإداري
٤٨٧	□ فصل: السلم والسلام في القرآن الكريم والروايات الشريفة
٤٨٨	آيات كريمة في السلم والسلام
٥٠٠	روايات شريفة في السلم والسلام
٥٣٠	□ فصل: روايات الاعمف
٥٤١	□ فصل: من مصاديق السلم والاعمف
٦٨٨	□ فصل: من مصاديق العنف
٨١٤	خاتمة
٨١٥	الفهرس

